[illegible] الشيخ [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] شرح [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الامام ابي [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

في الطبعة الاولى [illegible]

[illegible]

([illegible])

[illegible]

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible]

الحمد لله [illegible]

[illegible]

الباب الاول

[illegible]

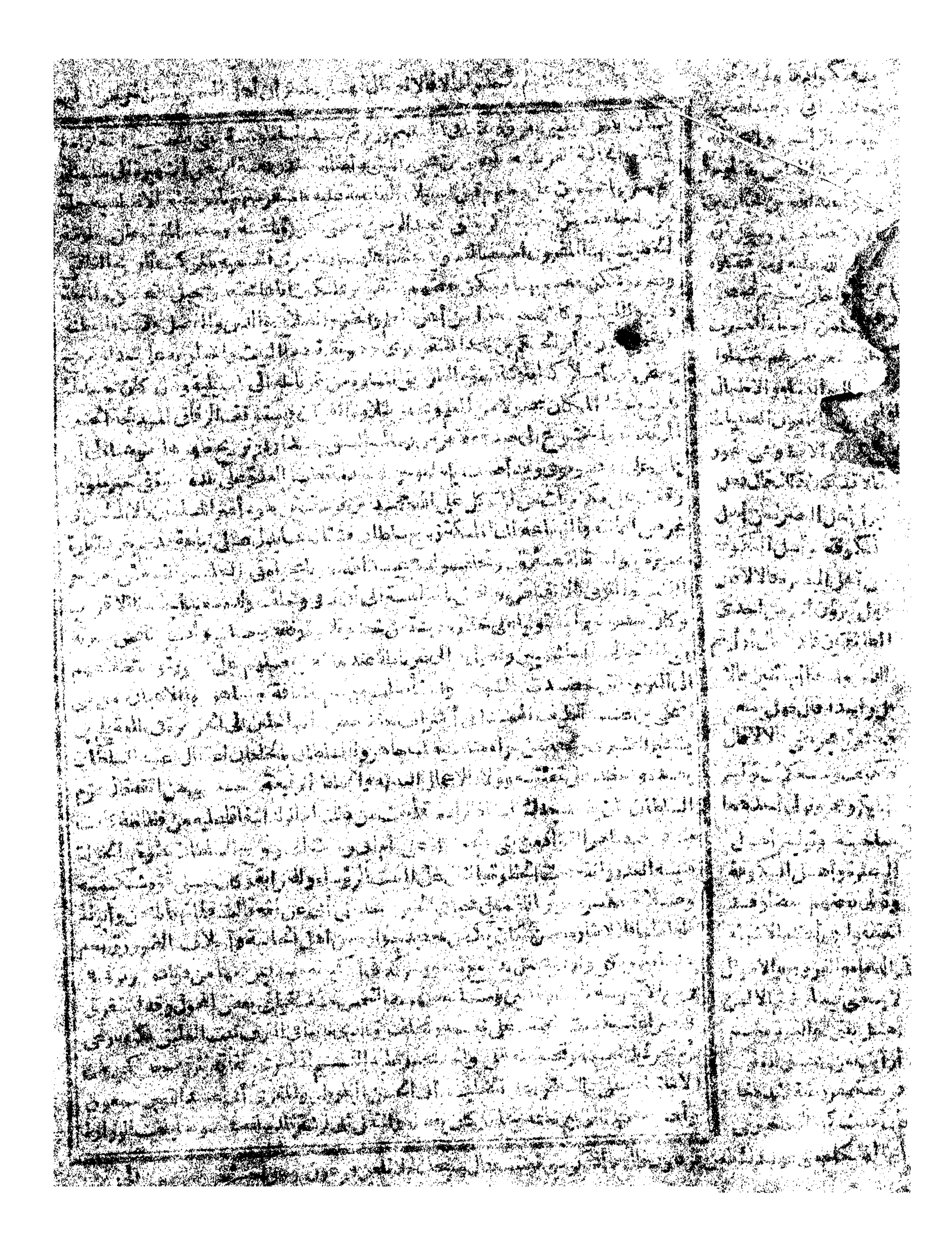
[illegible]

[illegible] والرضاعي لو وجه [illegible]

[illegible] الفصل الثالث [illegible]

[illegible] تلك الأبواب [illegible]

[illegible]



[illegible]

لا يخف راسيه ولا يعرى كاسيه وسكونا لا يطرق جانبه ولا يرهب غالبه وحلما لا ترزل
حصاته ولا تهمل وصاته وانقباضا لا يتعدى رسمه ولا يتجاوز حكمه ونزاهة لا ترخص
قيمتها ولا تلين عزيمتها وديانة لا تحسر أذيالها ولا يشغف سربالها وادرا كالا يفل
نصله ولا يدرك خصله وذهنا لا يخبو نوره ولا ينبو مطروره وفهما لا يخفى فلقه ولا
يهزم فيلقه ولا يلحق بحره ولا يعطل نحره وتحصيلا لا يملأ قنيصه ولا يسام حريصه بل
لا يحل عقاله ولا يصدأ صقاله وطلبا لا تخدفنونه ولا تتعين عيونه بل لا تحصر معارفه
ولا تقصر مصارفه يقوم اتم قيام على النحو على طريقة متأخري النحاة جمعا بين القياس
والسماع وتوجيه الاقوال البصرية واستحضار الشواهد الشعريه واستظهار اللغات
والاعربة واستبصارا في مذاهب المعربة محليا أجياد تلك الاعاريب من علمي البديع
والبيان بجواهر اسلاك ومجليا في آفاق تلك الاساليب من فوائد هذين الفنين زواهر
افلاك الى ما يتعلق بذلك من قافية للعروض وميزان وما للشعر من بحور وأوزان تضلع
بالقراآت أكمل اضطلاع مع التحقيق والاطلاع فيقنع ابن الباذش من اقناعه
ويشرح لابن شريح ما أشكل من اوضاعه ويقصر عن رتبته الداني ويحرز صدر المنصة
من حرز الاماني ويشارك في المنطق واصول الفقه والعدد والفرائض والاحكام
مشاركة حسنة ويتقدم في الادب نظما ونثرا وكتابة وشعرا الى براعة الخط واحكام الرسم
واتقان بعض الصنائع العملية كتفسير الكتب وتنزيل الذهب وغيرهما نشأ بالحضرة
العلية لا يغيب عن حلقات المشيخة ولا يريم عن مظان الاستفادة ولا يفتر عن المطالعة
والتقييد ولا يسأم من المناظرة والتحصيل مع المحافظة التي لا تخرم ولا تكسر والمفاوضة في
الادب ونظم القريض والفكاهة التي لا تقدح في وقاره انتهى ملخصا * وقد أطال في تعريفه
باوراق عدة ثم قال مولده في الربيع الثالث من يوم الخميس ثاني عشر جمادى الاولى من عام
ستين وسبعمائة كما نقلته من خط ابنه ثم قال وله مسائل متعددة في فنون شتى ضمنها كل
سديد من البحث وصحيح النظر وأما كتبه فالدر النفيس والياقوت الثمين والروض الانف
والزهر النضير نصاعة لفظ واصابة غرض وسهولة تركيب ومتانة اسلوب انتهى ثم
ذكر مشيخته وأطال ثم سرد تآليفه الارجوزة المسماة بتحفة الحكام والارجوزة المسماة
بمهيع الوصول في علم الاصول أصول الفقه والارجوزة الصغرى المسماة بمرتقى الوصول
للاصول كذلك والارجوزة المسماة بنيل المنى في اختصار الموافقات والقصيدة المسماة
بايضاح المعاني في القراآت الثماني والقصيدة المسماة بالامل المرقوب في قراءة يعقوب
والقصيدة المسماة بكنز المفاوض في علم الفرائض والارجوزة المسماة بالموجز في النحو حاذى
بها رجز ابن مالك في غرض البسط له والمحاذاة لقصده والكتاب المسمى بالحدائق في
أغراض شتى من الآداب والحكايات * توفي بين العصر والمغرب يوم الخميس حادي
عشر شوال عام تسعة وعشرين وثمانمائة انتهى كلام الوزير ابن عاصم وانما ذكرته لان
أهل الاندلس يقولون في حقه انه ابن الخطيب الثاني ولولا خوف الاطالة لذكرت بعض
انشائه ونظمه فانه في الذروة العليا وقد ذكرت جملة من ذلك في ازهار الرياض في اخبار

لم يلهه عمره عين يفجرها
ولا النخيل ولا ركض البراذين

ولعمر رحمة الله عليه خطب وأخبار حسان غير ما ذكرنا في هذا الكتاب في الزهد وغيره وقد أتينا على ذلك فيما سلف من كتبنا والحمد لله رب العالمين

* (ذكر أيام يزيد بن عبد الملك بن مروان) *

وملك يزيد بن عبد الملك في اليوم الذي توفي فيه عمر ابن عبد العزيز وهو يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة احدى ومائة ويكنى أبا خالد وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وتوفي يزيد بن عبد الملك باربد من أرض البلقاء من أعمال دمشق يوم الجمعة لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة وهو ابن سبع وثلاثين سنة فكانت ولايته أربع سنين وشهرا ويومين

* (ذكر لمع من أخباره وسيره وما كان في أيامه) *

كان الغالب على يزيد بن عبد الملك حب جارية يقال لها سلامة القس وكانت لسهيل بن عبد الرحمن ابن عوف الزهري فاشتراها يزيد بثلاثة آلاف دينار

عياض ومايناسبها مما يحصل به للنفس ارتياح وللعقل ارتياض * ولنرجع الى الترجمة المقصودة فنقول والسلمانى نسبة الى سلمان باسكان اللام على الصحيح قال ابن الاثير والمحدثون يفتحون اللام وسلمان حى من مراد من عرب اليمن القحطانيين دخل الاندلس منهم جماعة من الشأم وسلف لسان الدين رحمه الله تعالى ينتسبون اليهم كما سبق فى كلامه وهو مشهور الى الآن بالمغرب بابن الخطيب السلمانى ولذلك خاطبه شيخه شيخ الكتاب الرئيس أبو الحسن بن الجباب حين حل مالقة بقوله

أيا كتابى اذا ما جئت مالقة * دار المكارم من مثنى ووحدان

فلا تسلم على ربع لذى سلم * بها وسلم على ربع لسلمان

فاجابه لسان الدين رحم الله تعالى الجميع بقوله

ياليت شعرى هل يقضى تألفنا * و يثنى الشوق عن غاياته الثانى

أوهل يحن على نفسى معذبها * أوهل يرق لقلبى قلبى الثانى

وعلى ذكر نسبة ابن الخطيب لسلمان فقد تذكرت هنا بيتا أنشدنيه لنفسه صاحبنا الوزير الشهير الكبير البليغ صاحب القلم الاعلى سيدى أبو فارس عبد العزيز القشتالى صب الله تعالى عليه شآبيب رحماه من قصيدة نونية مدح بها سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وتخلص الى مدح مولانا السلطان المنصور بالله أبى العباس أحمد الحسنى أمير المؤمنين صاحب المغرب رحمه الله تعالى وهو

أولئك فخرى ان فخرت على الورى * ونافس بيتى فى الولاية سلمان

واراد كما أخبرنى بيت سلمان القبيلة التى منها لسان الملة والدين بن الخطيب رحمه الله تعالى أشار الى ولاء الكتابة للخلافة كما كان لسان الدين السلمانى رحمه الله تعالى كذلك وفيه مع ذلك تورية بسلمان الفارسى رضى الله عنه وأرضاه * وقد رأيت أن اسردهنا هذه القصيدة الفريدة لبلاغتها التى بذت شعر اليتيمة والخريدة ولان شجون الحديث الذى جرّ اليها شوّقتنى الى معاهدى المغربية التى أكثر البكاء عليها بحضرة المنصور بالله الامام سقى الله تعالى عهادها صوب الغمام حيث الشباب غض يانع والمؤمل لم يحجبه مانع والسلطان عارف بالحقوق والزمان وهو أبو الورى لم يشب برّه بالعقوق والليالى مسالمة غير رامية من البين بنبال والغربة الجالبة للكربة لم تخطر ببال ورؤساء الدولة الحسنية السنية ساعون فيما يوافق الغرض ويلائم والايام ثغورها بواسم وأوقاتها أعياد ومواسم وأفراح وولائم فلله فيها عيش ما نسيناه وعز طالما اقتبسنا نور الهدى من طور سيناه

مضى ما مضى من حلو عيش ومره * كأن لم يكن الا كأضغاث أحلام

وهذا نص القصيدة

هم سلبونى الصبر والصبر من شانى * وهم حرموا من لذة الغمض أجفانى

وهم أخفروا فى مهجتى ذمم الهوى * فلم يثنهم عن سفكها الجانى

لئن أترعوا من قهوة البين لى كؤسى * فشوقهم أضحى سميرى وندمانى

اقدفتن الدنيا وسلامة القس * فلم يتركا للقس عقلا ولا نفسا

فاحتالت ام سعيد العثمانية حتى اشترت جارية يقال لها حبابة قد كان فى نفس يزيد بن عبد الملك قديما منها شئ فغلبت عليه ووهب سلامة لام سعيد فعذله مسلمة بن عبد الملك لما عم الناس من الظلم والجور باحتجابه واقباله على الشرب واللهو وقال انما مات عمر أمس وكان من عدله ما قد علمت فينبغى أن تظهر للناس العدل وترفض هذا اللهو فقد اقتدى بك عمالك فى سائر افعالك وسيرتك فارتدع عما كان عليه واظهر الاقلاع والندم وأقام على ذلك مدة مديدة فغلظ ذلك على حبابة فبعثت الى الاحوص الشاعر ومعبد المغنى انظرا ما أنتما صانعان فقال الاحوص فى أبيات له

الا لا تلمه اليوم أن يتبلدا فقد غلب المحزون أن يتجلدا

اذا كنت لا تعشق ولم تدر ما الهوى فكن حجرا من يابس الصلد جلمدا

فما العيش الا ما تلذ وتشتهى وان لام فيه ذو الشنان وفندا

وغناه معبد وأخذته حبابة فلما دخل عليها يزيد قالت يا أمير المؤمنين اسمع منى صوتا واحدا ثم افعل ما بدا لك وغنته فلما فرغت منه جعل يردد وان

وان غادرتني بالعراء حمولهم * اني ان قلبي حاهد اثر أظعان
قف العيس واسأل ربعهم أية مضوا * أللجزع ساروا مدلجين أم البان
وهل باكروا بالسفح من جانب اللوى * ملاعب آرام هناك وغزلان
وأين استقلوا هل بهضب تهامة * أناخوا المطايا أم على كثب نعمان
وهل سال في بطن المسيل تشوقا * نفوس ترامت للحمى قبل جثمان
واذ جروها بالعشى فهل ثنى * ازمتها الحادى الى شعب بوان
وهل عرسوا في دير عبدون أم سروا * يؤم بهم رهبانهم دير نجران
سروا والدجى صبغ المطارف فانثنى * باحداجهم شتى صفات وألوان
وأدلج في الاسحار بيض قبابهم * فلحن نجوما في معارج كثبان
لك الله من ركب يرى الارض خطوة * اذا زمها بدنا نواعم أبدان
أرحها مطايا قد تمشى بها الهوى * تمشي الحميا في مفاصل نشوان
و يمم بها الوادي المقدس بالحمى * به الماء صدا والكلا نبت سعدان
وأهد حلول الحجر منه تحية * تفاوح عرفا ذاكى الرند والبان
لقد نفحت من شيح يثرب نفحة * فهاجت مع الاسحار شوقي وأشجانى
وقد تمهما الشرق في الغرب مسكة * سحبت بها في أرض دارين أرداني
وأذكرني نجدا وطيب عراره * نسيم الصبا من نحو طيبة حيانى
أحن الى تلك المعاهد انها * معاهد راحاتي و روحي وريحاني
وأهفو مع الاشواق للوطن الذى * به صح لي أنسي المنى وسلواني
وأصبو الى أعلام مكة شائقا * اذا لاح برق من شمام وثهلان
أهيل الحمى دينى على الدهر زورة * أحث بها شوقا لكم عزمي الواني
متى يشتفي جفني القريح بلحظة * ترنح بها في نوركم عين انساني
ومن لي بان يدنو لقاكم تعطفا * ودهرى عني دائما عطفه ثاني
سقى عهدهم بالخيف عهد عهاده * سوافح دمع من شؤني هتان
وأنعم في شط العقيق اراكة * بافيائها ظل المنى والهوى داني
وحيى ربوعا بين مروة والصفا * تحية مشتاق لها الدهر حيران
ربوعا بها تتلو الملائكة العلا * افانين وحى بين ذكر وقرآن
وأول أرض باكرت عرصاتها * وطرزت البطحا سحائب ايمان
وعرس فيها للنبوة موكب * هو البحر طام فوق هضب وغيطان
و أدى بها الروح الامين رسالة * أفادت بها البشرى مدائح عنوان
هنالك فص ختمه أشرف الورى * وفخر نزار من معد بن عدنان
محمد خير العالمين بأسرها * وسيد أهل الارض ملانس والجان
ومن بشرت في بعثه قبل كونه * نواميس كهان وأحبار رهبان
وحكمة هذا الكون لولاه ما سمت * سماء ولا غاضت طوافح طوفان

وعاد بعد ذلك الى لهوه وقصفه ورفض ما كان عليه وذكر اسحق بن ابراهيم الموصلي قال حدثني ابن سلام قال ذكر يزيد قول الشاعر
صفحنا عن بني ذهل
وقلنا القوم اخوان
عسى الايام أن يرجعـ
ـن قوما كالذى كانوا
فلما صرح الشر
فأمسى وهو عريان
مشينا مشية الليث
غدا والليث غضبان
بضرب فيه توهين
وتخضيع واقران
وطعن كفم الزق
وهي والزق ملآن
وفي الشر نجاة حيـ
ـن لا ينجيك احسان
وهو شعر قديم يقال انه للفند في حرب البسوس فقال لحبابة غنيني به بحياتي فقالت يا أمير المؤمنين هذا شعر لا أعرف أحدا يغني به الا الاحول المكي فقال نعم قد كنت سمعت ابن عائشة يعمل فيه ويترك قالت انما أخذه عن فلان ابن أبي لهب وكان حسن الاداء فوجه يزيد الى صاحب مكة اذا أتاك كتابي هذا فادفع الى فلان بن أبي لهب ألف دينار انفقة طريقه واحمله على ماشاء من دواب البريد ففعل فلما قدم عليه قال غني

ولا زخرفت من جنة الخلد أربع * تسيح فيها الحور مع جمع ولدان
ولا طلعت شمس الهدى غب دجية * تجهم من ديجورها الليل كفران
ولا أحدقت بالمذنبين شفاعة * يذود بها عنهم زبانى نيران
له معجزات أخرست كل جاحد * وسلت على المرتاب صارم برهان
له انشق قرص البدر شقين وارتوى * بماء همى من كفه كل ظمآن
وأنطقت الاوثان نطقا تبرأت * الى الله فيه من زخارف ميان
دعا سرحة عجما فلبت وأقبلت * تجر ذيول الزهر ما بين أفنان
وضاءت قصور الشأم من نوره الذى * على كل أفق نازح القطر او دانى
وقد بهج الانوا بدعوته التى * كست أوجه الغبراء بهجة نيسان
وان كتاب الله أعظم آية * بها افتضح المرتاب وابتأس الشانى
وعدى على شأو البليغ بيانه * فهيهات منه سجع قس وسحبان
نبى الهدى من أطلع الحق أنجما * محا نورها أسداف افك وبهتان
أعز بها ذل الاكاسرة الأُلى * هم سلبوا تيجانها آل ساسان
وأحرز للدين الحنيفى بالظبا * تراث الملوك الصيد من عهد يونان
وتم من سمر القنا السم قيصرا * تجرعه منه مجاجة ثعبان
وأضحت ربوع الكفر والشرك بلقعا * يناغى الصدى فيهن هاتف شيطان
وأصبحت السمحا ترف نضارة * ووجه الهدى بادى الصباحة للرانى
أيا خير أهل الارض بيتا ومحتدا * وأكرم كل الخلق عجما وعربان
فمن للقوافى أن تحيط بوصفكم * ولو ساجلت سبقا مدائح حسان
اليك بعثناها أمانى أجدبت * لتسقى بمزن من أياديك هتان
أجرنى اذا أبدى الحساب جرائمى * وأثقلت الاوزار كفة ميزانى
فأنت الذى لولا وسائل عزه * لما فتحت أبواب عفو وغفران
عليك سلام الله ما هبت الصبا * وماست على كثبانها ملد قضبان
وحمل فى جيب الجنوب تحية * يفوح بمسراها شذا كل توقان
الى العمرين صاحبيك كليهما * وتلوهما فى الفضل صهرك عثمان
وحيا عليا عرفها وأريجها * ووالى على سبطيك أوفر رضوان
اليك رسول الله صممت عزمة * اذا أزمعت فالشحط والقرب سيان
وخاطبت منى القلب وهو مقلب * على جمرة الاشواق فيك فلبانى
فياليت شعرى هل أزم قلائصى * اليك بدارا أو أقلقل كيرانى
وأطوى أديم الارض نحوك راحلا * نواحى المهارى فى صحاصح قيعان
برنحها فرط الحنين الى الحمى * اذا غرد الحادى بهن وغنانى
وهل تمحون عنى خطايا اقترفتها * خطاى فى تلك البقاع وأوطانى
وماذا عسى يثنى عنانى وان لى * با لشجاها صهوة العز أمطانى

بشعر الفند فغناه فأجاد وأحسن وقال أعده فأعاده فأجاد وأحسن وأطرب يزيد فقال له ممن أخذت هذا الغناء فقال يا أمير المؤمنين أخذته عن أبى وأخذه أبى عن أبيه فقال لو لم ترث الا هذا الصوت لكان أبو لهب قد ورثكم خيرا كثيرا فقال يا أمير المؤمنين ان أبا لهب مات كافرا مؤذيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد أعلم ما تقول ولكنى دخلتنى له رقة اذ كان مجيدا للغناء ووصله وكساه ورده الى بلده مكرما وكان فى عهد عمر الى يزيد اذا أمكنتك القدرة بالعزة فاذكر قدرة الله عليك وقيل ان هذا الكلام كتب به عمر الى بعض عماله وفيه زيادة على ما ذكره الزبير بن بكار وهى اذا أمكنتك القدرة من ظلم العباد فاذكر قدرة الله عليك بما تأتى عليهم واعلم أنك لا تأتى عليهم أمرا الا كان زائلا عنهم باقيا عليك وان الله يأخذ للمظلوم من الظالم ومهما ظلمت من احد فلا تظلمن من لا ينتصر عليك الا بالله تعالى واعتلت حبابة فأقام يزيد أياما لا يظهر للناس ثم ماتت فأقام اياما لا يدفنها جزعا عليها حتى جيفت فقيل ان الناس يتحدثون بجزعك وان الخلافة تجل عن ذلك فدفنها وأقام على قبرها فقال

فإن تسل عنك النفس أو تدع الهوى * فباليأس تسلو النفس لا بالتجلد

اذا ئذ عن زوّارك الباس والعنا * فجود اينك المنصور أحمد أغنانى
عمادى الذى أوطا السماكين أخمصا * وأوفى على السبع الطباق فأدنانى
متوج املاك الزمان وان سطا * أحل سيوفا فى معاقد تيجان
وقارى أسود الغاب بالصيد مثلها * اذا اضطرب الخطى من فوق جدران
هزبر اذا زار البلاد زئيره * تضاءل فى أخياسها أسد خفان
وان اطلعت غيم القتام جيوشه * وأرزم فى مركومه رعد نيران
صببن على أرض العداة صواعقا * اسلن عليهم بحر خسف ورجفان
كتائب لو يعلون رضوى لصدعت * صفاه الجياد الجرد تعدو بعقبان
عديد الحصا من كل أروع معلم * وكل كمى بالردينى طعان
اذا جن ليل الحرب عنهم طلى العدا * هدتهم الى أوداجها شهب خرصان
من اللاء جر عن العدا غصص الردى * وعفرن فى وجه الثرى وجه بستان
وفتحن أقطار البلاد فأصبحت * تؤدى الخراج الجزل أملاك سودان
امام البرايا من على نجاره * ومن عترة سادوا الورى آل زيدان
دعائم ايمان وأركان سودد * ذوو همم قد عرست فوق كيوان
هم العلويون الذين وجوههم * بدور اذا ما أحلكت شهب ازمان
وهم آل بيت شيد الله سمكه * على هضبة العلياء ثابت أركان
وفيهم فشا الذكر الحكيم وصرحت * بفضلهم آيات ذكر وفرقان
فروع ابن عم المصطفى ووصيه * فناهيك من فخرين قربى وقربان
ودوحة مجد معشب الروض بالعلا * يجود بأمواه الرسالة ريان
بمجدهم الاعلى الصريح تشرفت * معد على العرب العاربة عاد وقحطان
أولئك فخرى ان فخرت على الورى * ونافس بيتى فى الولا بيت سلمان
اذا اقتسم المداح فضل فخارهم * فقسمى بالمنصور ظاهر رجحان
امام له فى جبهة الدهر ميسم * ومن عزه فى مفرق الملك تاجان
سما فوق هامات النجوم بهمة * يحوم بها فوق السموات نسران
وأطلع فى أفق المعالى خلافة * عليها وشاح من علاء وسمطان
اذا ما احتبى فوق الاسرة وارتدى * على كبرياء الملك نخوة سلطان
توسمت لقمان الحجا وهو ناطق * وشاهدت كسرى العدل فى صدر ايوان
وان هزه حر الثناء تدفقت * أنامله عرفا تدفق خلجان
أيا ناظر الاسلام شيم بارق المنى * وبا كر روض فى ذرا المجد فينان
قضى الله فى عليائك أن تملك الدنا * وتفتحها ما بين سوس وسودان
وأنك تطوى الارض غير مدافع * فمن أرض سودان الى أرض بغدان
وتعلو هاء بمجد لا يرف لواؤه * على الحرمين أو على رأس غمدان
فكم هنأت أرض العراق بك العلا * وواعت بك البشرى لاطراف عمان

الثقفى قال لما ماتت حبابة جزع عليها يزيد بن عبد الملك جزعا شديدا وضم اليه جويرية كانت تحدثها فكانت تتمثل الجارية يوما

كفى حزنا للهائم الصب أن يرى * منازل من يهوى معطلة قفرا

فبكى حتى كاد أن يموت ولم تزل تلك الجويرية معه يتذكر بها حبابة حتى مات وكان يزيد ذات يوم فى مجلسه وقد غنته حبابة وسلامة فطرب طربا شديدا ثم قال أريد أن أطير فقالت له حبابة يا مولاى فعلى من تدع الامة وتدعنا وكان أبو حمزة الخارجى اذا ذكر بنى مروان وعابهم ذكر يزيد ابن عبد الملك فقال أقعد حبابة عن يمينه وسلامة عن يساره ثم قال اريد أن اطير فطار الى لعنة الله وأليم عذابه (قال المسعودى) وقد كان يزيد بن المهلب ابن أبى صفرة هرب من سجن عمر بن عبد العزيز حين أثقل وذلك فى سنة احدى ومائة وصار الى البصرة وعليها عدى بن ارطاة الفزارى فاخذه يزيد بن المهلب فاوثقه ثم خرج يريد الكوفة مخالفا على يزيد بن عبد الملك وحشدت له الازد وأحلافها وانحاز اليه أهله وخاصته وعظم أمره واشتدت

فلوشارفت شرق البلاد سيوفكم * أتاك استلابا تاج كسرى وخاقان

ولونشر الاملاك دهرك أصبحت * عيالا على عليائك أبناء مروان

وشايعك السفاح يقتاد طائعا * برايته السوداء أهل خراسان

فما المجد الا ما رفعت سماكه * على عمدى سمر الطوال ومران

وهاتيك أبكار القوافي جليتها * تغازلهن الحور في دار رضوان

أتتك أمير المؤمنين كأنها * لطائم مسك أوخمائل بستان

تعاظمن حسنا أن يقال شبيهها * فرائد در أوقلائد عقيان

فلازلت للدنيا تحوط جهاتها * وللدين تحميه بملك سليمان

ولازلت بالنصر العزيز مؤزرا * تقاد لك الاملاك في زى عبدان

انتهت القصيدة التي في تغزلها شرح الحال وأعرب عما في ضمير الغربة والارتحال ولنعززها باختها في البحر والروي قصيدة القاضي الشهير الذكر الاديب الذي سلبت النهى كواعب شعره اذا برزها من خدور الفكر الشيخ الامام سيدى أبو الفتح محمد بن عبد السلام المغربي التونسي نزيل دمشق الشام صب الله على ضريحه سجال الرحمة والانعام فانها نفث مصدور غريب وبث مغدور أديب فارق مثلي أوطانه وماسلاها وقرأ آيات الشجو وتلاها وتمنى أن يجود له الدهر برؤيتها تجتلاها وهي قوله رحمه الله وأنشأها بدمشق عام واحد وخمسين وتسعمائة

سلوا البارق النجدى عن سحب أجفاني * وعما بقلبي من لواعج نيران

ولاتسألوا غير الصبا عن صبابتي * وشدة أشواقي اليكم وأشجاني

فمالي سواها من رسول اليكم * سريع السرى في سيره ليس بالواني

فياطال بالاسحار ماقد تكفلت * بانعاش محزون وايقاظ وسنان

وتنفيس كرب عن كئيب متيم * يحن الى أهل ويصبو لاوطان

فلله ماأذكى شذا نسمة الصبا * صباحا اذا مرت على الرند والبان

وسارت مسير الشمس وهنا فأصبحت * من الشرق نحو الغرب تجري بحسبان

وقد وقفت بالشام وقفة حامل * نوافج مسك من ظباء خراسان

لترتاض في تلك الرياض هنيأة * وتزداد من أزهارها طيب أردان

وماغربت حتى تضاعف نشرها * بواسطتي روح هناك وريحان

فكم نحوكم حملتها من رسالة * مدونة في شرح حالي ووجداني

وناشدتها بالله الا تفضلت * بتبليغ أحبابي السلام وجيراني

تحية مشتاق الى ذلك الحمى * وسكانه والنازحين باظعان

سقى الله هاتيك الديار وأهلها * سحائب تحكي صوب مدمعي القاني

وحيا ربوع الحي من خير بلدة * تخيرها قدما أفاضل يونان

هي الحضرة العليا مدينة تونس * أنيسة انسان رآها بانسان

لها الفخر والفضل المبين بما حوت * من الانس والحسن المنوط باحسان

سو لثه فبعث اليه أخاه مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك في جيش عظيم فلما شارفاه رأى يزيد بن المهلب في عسكره اضطرابا فقال ماهذا الاضطراب قيل اء مسلمة والعباس قال فوالله ما مسلمة الا جرادة صفراء وما العباس الا بسطوس ابن بسطوس وما أهل الشأم الا طغام قد حشدوا مابين فلاح وزراع ودباغ وسفلة فأعيروني أكفكم ساعة تصفعون بها خراطيمهم فما هي الا غدوة او روحة حتى يحكم الله بيننا وبين القوم الظالمين على بفرسي فأتي بفرس أبلق فركب غير متسلح فالتقى الجيشان فاقتتلوا اقتالا شديدا وولى أصحاب يزيد عنه فقتل يزيد في المعركة وصبر اخوته أنفسهم فقتلوا جميعا ففي ذلك يقول الشاعر

كل القبائل بايعوك على الذي * تدعو اليه طائعين وساروا

حتى اذا حضر الوغى وجعلتهم * نصب الاسنة أسلموك وطاروا

ان يقتلوك فان قتلك لم يكن * عارا عليك وبعض قتل عار

فلما ورد الخبر على يزيد بن عبد الملك استبشر وأخذ الشعراء جميعا يهجون آل المهلب الا كثيرا فانه امتنع من ذلك فقال له يزيد حركتك الرحم يا أبا صخر لانهم يمانيون لقد

لقد حل منها آل حفص ملوكها * مراتب تسموفوق هامة كيوان
وسادوابها كل الملوك وشيدوا * بهامن مبانى العزأفخر بنيان
وكان لهم فيها بهاء وبهجة * وحسن نظام لايعاب بنقصان
وكان لهم فيها عساكر جمة * تصول بأسياف وتسطو بمران
جيوش وفرسان يضيق بها الفضا * وتحجم عنها الفرس من آل ساسان
وكان لاهليها المفاخر والعلا * وكان بها حصنا أمان وايمان
وكان على الدنيا جمال بحسنها * وحسن بنيها من ملوك وأعيان
وكانت لطلاب المعارف قبلة * لما فى حماها من أئمة عرفان
وكان لاهل العلم فيها وجاهة * وجاه وعز مجده ليس بالفانى
وكان بواديها المقدس فتية * تقدس بارئها بذكر وقرآن
ومن أدباء النظم والنثر معشر * تفوق بناديها بلاغة سحبان
وكانت على الاعداء فى حومة الوغى * تطول بابطال وتسطو بشجعان
ومابرحت فيها محاسن جمة * وفى كل نوع أهل حذق واتقان
الى أن رمتها الحادثات بأسهم * وسلت عليها سيف بغى وعدوان
فياليت تلك المحاسن أن عفت * وأقفر ربع الانس من بعد سكان
وشتت ذاك الشمل من بعد جمعه * كما انتثرت يوما قلائد عقيان
فأعظم برزء خص خير مدينة * وخير أناس بين عجم وعربان
لعمرى لقد كادت عليها قلوبنا * تضرم من خطب عراها بنيران
وقد عمنا غم بعظم مصابها * وانخص منه المضر بجثمانى
ومابقيت فيما علمناه بلدة * من الشرق الا ألبست ثوب أحزان
فصبرا أخى صبرا على المحنة التى * رمتك بها الاقدار ما بين اخوان
فما الدهر الا هكذا فاصطبرله * رزية مال أو تفرق خلان
أأحبابنا ان فرق الدهر بيننا * وطال مغيبى عنكم منذ أزمان
فانى على حفظ الوداد وحقكم * مقيم وماهجر الاحبة من شانى
ووالله والله العظيم ألية * على صدقها قامت شواهد برهان
لقد زادوجدى واشتياقى اليكم * وبرح بى طول البعاد وأضنانى
فلاتحسبوا أنى تسليت بعدكم * بشئ من الدنيا وزخرفها الفانى
ولا أننى يوما تناسيت عهدكم * بحال ولا أن التكاثر ألهانى
ولا راقنى روض ولاهش مسمعى * لنغمة أطيار ورنة عيدان
ولا حل فى فكرى سواكم بخلوة * ولا جلوة مابين حور وولدان
ولا اختلجت يوما ضمائر مهجتى * لغيركم فى سر سرى واعلانى
ولولم أسل النفس بالقرب واللقا * لأدرج جسمى فى مقاطع أكفانى
فما أنا من عودى اليكم بآيس * فما اليأس الا من علامة كفران

فى ذلك يقول جرير يهجو آل المهلب

*يارب قوم وقوم حاسدين لكم * ماقيهم بدل منكم ولاخلف
آل المهلب جزالله دابرهم * امسوا رمادا فلا اصل ولا طرف
مانالت الازد من دعوى مضلهم * الا المعاجم والاعناق تختطف
والازد قد جعلوا المنتوف قائدهم * فقتلتهم جنود الله وانتسفوا

وهى طويلة وفى ذلك يقول جرير أيضا ليزيد من كلمة

لقد تركت فلا تعدمك اذ كفروا * آل المهلب عظما غير مجبور
يا ابن المهلب ان الناس قد علموا * أن الخلافة للشم المغاوير

وبعث يزيد هلال بن أحوز المازنى فى طلب آل المهلب وأمره أن لايلقى منهم من بلغ الحلم الاضرب عنقه فاتبعهم حتى قندابيل من أرض السند وأتى هلال بغلامين من آل المهلب فقال لاحدهما أدركت قال نعم ومد عنقه فكان الآخر أشفق عليه فعض شفته لئلا يظهر جزعا فضرب عنقه وأثخن القتل فى آل المهلب حتى كاد أن يفنيهم فذكر ان آل المهلب مكثوا بعد ايقاع هلال بهم عشرين سنة يولد فيهم الذكور ولا يموت منهم احد وفى مدح

عليكم سلام الله فى كل ساعة * تحية صب لايدين بسلوان
مدى الدهر ماناحت مطوقة وما * تعاقب بين الخافقين الجديدان انتهت

ولصاحب الترجمة لسان الدين بن الخطيب قصيدة طنانة بهذا الوزن والقافية مدح بها السلطان أبا سالم المرينى حين فتح تلمسان وقد رأيت ايرادها فى هذا الباب لما اشتمل عليه آخرها من شرح أمر الأعراب الذى حير الالباب وللمناسبة أسباب لا تخفى على من له فكر مصيب *وكل غريب للغريب نسيب* وهى

أطاع لسانى فى مديحك احسانى * وقد لهجت نفسى بفتح تلمسان
فأطلعتها تفترعن شنب المنى * وتسفر عن وجه من السعد حيانى
كما ابتسم النوارعن أدمع الحيا * وجف بخد الورد عارض نيسان
كما صفقت ريح الشمال شمولها * فبان ارتياح السكر فى غصن البان
تهنيك بالفتح الذى معجزاته * خوارق لم تدخر سواك لانسان
خففت اليها والجفون ثقيلة * كما خف شثن الكف من أسد خفان
وقدت الى الاعداء فيها مبادرا * ليوث رجال فى مناكب عقبان
عديد بنود النصر منهم ظلالها * على كل مطعام العشيات مطعان
حجاجحة غر الوجوه كأنما * عمائمهم فيها معاقد تيجان
أمدك فيها الله بالملا العلا * فجيشك مهما حقق الامر جيشان
لقد جليت منك البلاد لخاطب * لقد جنيت منك الغصون الى جانى
لقد كست الاسلام بيعتك الرضا * وكانت على اهليه بيعة رضوان
ولله من ملك سعيد ونصبه * قضى المشترى فيها بعزلة كيوان
وسجل حكم العدل بين بيوتها * وقوفا مع المشهور من رأى يونان
فلم تخش سهم القوس صفحة بدرها * ولم تشك فيها الشمس من بخس ميزان
ولم يعترض مبتزها قطع قاطع * ولا نازعت نوبهرها كف عدوان
تولى اختيار الله حسن اختيارها * فلم يحتج الفرغان فيها الفرغان
ولا صرفت فيها دقائق نسبة * ولو خففت فيها طوالع بلدان
وجوه القضايا فى كمالك شانها * وجوب اذا خصت سواك بامكان
ومن قاس منك الجود بالبحر والحيا * فقد قاس تمويها قياس سفسطانى
وطاعتك العظمى بشارة رحمة * وعصيانك المحذور نزغة شيطان
وحبك عنوان السعادة والرضا * ويعرف مقدار الكتاب بعنوان
ودين الهدى جسم وذاتك روحه * وكم وصلة مابين روح وجثمان
تضن بك الدنيا ويحرسك العلا * كأنك منها بين لحظ وأجفان
بنيت على آساس أسلافك العلا * فلا هدم المبنى ولا عدم البانى
وصاحت بك العليا فلم تك غافلا * ونادت بك الدنيا فلم تك بالوانى
ولم تك فى خوض البحار بهائب * ولم تك فى نيل الفخار بكسلان

اخاف على نفسى ابن احوزانه
جلا كل هم فى النفوس فأسفرا
جعلت لقبر بالحساب ومالك
وقبر عدى بالمقابر اقبرا
فلم يبق منهم راية تعرفونها
ولم يبق من آل المهلب عسكرا

وهى ابيات وقد كان يزيد ابن عبد الملك حين ولى عمر ابن هبيرة الفزارى العراق واضاف اليه خراسان واستقام امره هنالك بعث ابن هبيرة الى الحسن بن ابى الحسن البصرى وعامر بن شرحبيل الشعبى ومحمد بن سيرين وذلك فى سنة ثلاث ومائة فقال الهم ان يزيد بن عبد الملك خليفة الله استخلفه على عباده وأخذ ميثاقهم بطاعته وأخذ عهدنا بالسمع والطاعة وقد ولانى ماترون يكتب الى بالامر من أمره فأنفذه وأقلده ما يقلده من ذلك فما ترون فقال ابن سيرين والشعبى قولا فيه تقية فقال عمر ماتقول ياحسن فقال الحسن يا ابن هبيرة خف الله فى يزيد ولا تخف يزيد فى الله ان الله يمنعك من يزيد وان يزيد لا يمنعك من الله وأوشك أن يبعث اليك ملكا فيزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك الى ضيق قبرك

ثم لايحيك الاعملك يابن هبيرة انى أحذرك ان تعصى الله فانما جعل الله هذا السلطان ناصر الدين الله وعباده

لقد هزمنك العزم لما انتضيته * ذوائب رضوى أومنا كب ثهلان
ولله عينا من رآها محلة * هى الحشر لاتحصى بعدّ وحسبان
وتنور عزم فار فى اثر دعوة * يعم الاقاصى والادانى بطوفان
عجائب أقطار وه ألف شارد * وأفلاذ آفاق وموعد ركبان
اذا ما سرحت اللحظ فى عرصاتها * تبلد منك الذهن فى العالم الثانى
جناحان والنصر العزيز اهتصاره * اذا انتظمت بالقلب منها جناحان
فمن سحب لاحت بها شهب القنا * ومن كثب بيض بدت فوق كثبان
مضارب فى البطحاء بيض قبابها * كما قلبت للعين أزهار سوسان
وما ان رأى الراؤن فى الدهر قبلها * قرارة عز فى مدينة كتان
تفوت التفات الطرف حال اقتبالها * كانك قد سخرت جن سليمان
فقد أطرقت من خوفها كل بيعة * وطأطأ من اجلالها كل ايوان
وقد ذعرت خولان بين بيوتها * غداة بدت منها البيوت بخولان
فلو رميت مصر بها وصعيدها * لأضحت خلاء بلقعا بعد عمران
ولو همت سيف بن ذى يزن لما * تقرر ذاك السيف فى غمد غمدان
تراع بها الاوثان فى أرض رومة * اذا خيمت شرقا على طرق أوثان
وتحفل اجفال النعام بيرقة * ليوث الشرى ما بين ترك وعربان
وعرضا كيوم العرض أذهل هوله * عيانى وأعيانى تعدد أعيان
وجيشا كقطع الليل للخيل تحته * اذا صهلت مفتنة رجع ألحان
فيومض من بيض الظبا ببوارق * ويقذف من سمر الرماح بشهبان
ويمطر من ودق السهام بحاصب * سحائبه من كل عوجاء مرنان
وجردا اذا ما ضمرت يوم غاية * تعجبت من ريح تقاد بارسان
تسابق ظلمان الفلا قعثلها * وتذعر غزلان الرمال بغزلان
ودون مهب العزم منك قواضب * أبى النصر يوما أن تسلم بأجفان
نظرت اليها والنجيع لباسها * فقلت سيوف أم شقائق نعمان
تفتح ورد الخد هاحين جردت * ولاينكر الاقوام خجلة عريان
كأن الوغى نادت بها لوليمة * قد احتفلت أوضاعها منذ أزمان
فان طمعت بالنصر كان وضوءها * نجيعا ووافاها الغبار باشنان
لقد خلصت لله منك سجية * جزاك على الاحسان منك باحسان
فسيفك للفتح المبين مصاحب * وعزمك والنصر المؤزر الفان
فرح واغد للرحمن تحت كلاءة * وسرحان فى غاب العدا كل سرحان
ودم والمنى تدنى اليك قطافها * ميسر أوطار ممهد أوطان
وكن واثقا بالله مستنصرا به * فسلطانه يعلو على كل سلطان
كفاك العدا كاف للملك كافل * فضدك نضو ميت بين اكفان

فلاتتركن دين الله وعباده
بسلطان الله فانه لاطاعة
لمخلوق فى معصية الخالق
وحكى فى هذا الخبر أن ابن
هبيرة أجازهم وأضعف
جائزة الحسن فقال الشعبى
سفسفنا فسفسف لنا
وذكر أن يزيد بن عبد
الملك بلغه أن أخاه هشام
ابن عبد الملك ينتقصه
ويتمنى موته ويعيب عليه
لهوه بالقينات فكتب اليه
يزيد أما بعد فقد بلغنى
استثقالك حياتى واستبطاؤك
موتى ولعمرى انك بعدى
لواهى الجناح أجذم الكف
وما استوجبت منك
ما بلغنى عنك فاجابه هشام
اما بعد فان أمير المؤمنين
متى فرغ سمعه لقول اهل
الشنآن واعداء النعم
يوشك ان يقدح ذلك فى
فساد ذات البين وتقطع
الارحام وامير المؤمنين
بفضله وما جعله الله اهلا له
أولى ان يتغمد ذنوب اهل
الذنوب فأما أنا فمعاذ الله أن
أستثقل حياتك او استبطئ
وفاتك فكتب اليه نحن
مغتفرون ما كان منك
ومكذبون ما بلغنا عنك
فاحفظ وصية عبد الملك
ايانا وقوله لنا فى ترك التباغى

 والتخاذل وما امر به وحض عليه من صلاح ذات البين واجتماع الاهواء فهو خير لك وأملك بك

رضا الوالد المولى أبيك عرفته * وقد أنكر المعروف من بعد عرفان
فكم دعوة أولاك عند انتقاله * الى العالم الباقى من العالم الفانى
فعرفت فى السراء نعمة منعم * وألفت فى الضراء رحمة رحمان
عجبت لمن يبغى الفخار بدعوة * مجردة من غير تحقيق برهان
وسنة ابراهيم فى الفخر قد أتت * بكل صحيح عن على وعثمان
ومن مثل ابراهيم فى ثبت موقف * اذا ما التقى فى موقف الحرب صفان
اذا هم لم يلفت بلحظة هائب * وان من لم ينفث بلفظة منان
فصاحة قس فى سماحة حاتم * واقدام عمرو تحت حكمة لقمان
شمائل ميمون النقيبة أروع * له قصبات السبق فى كل ميدان
محبته فرض على كل مسلم * وطاعته فى الله عقدة ايمان
هنيأ أمير المسلمين بنعمة * حبيت بها من مطلق الجود منان
لزينت أجياد المنابر بالتى * اتاح لها الرحمن فى آل زيان
قلائد فخر هن لكن قدرها * ترفع أن يدعى قلائد عقيان
أمولاى حى فى علاك وسيلتى * ولطفك بى دأبا عدلك أغرانى
أياديك لا أنسى على بعد المدى * نعم وذلك اللهم من شر نسيان
فلا جحد ما خولتنى من سجيتى * ولا كفر نعماك العميمة من شانى
ومهما انتحلت الحقوق لاهلها * فانك مولاى الحقيق وسلطانى
وركنى الذى لما نبابى منزلى * اجاب ندائى بالقبول وآوانى
وعالج أيامى وكانت مريضة * بحكمة من لم ينتظر يوم بحران
فأمننى الدهر الذى قد أخافنى * وجدد لى السعد الذى كان أبلانى
وخولنى الفضل الذى هو أهله * وشيكا وأعطانى ففوق أعطانى
تخوفنى صرف الحوادث فانثنى * يقبل أردانى ومن بعد أردانى
وأزعجنى من منشئى ومبوأى * ومعهد أحبابى ومألف جيرانى
بلادى التى فيها عقدت تمائمى * وجم بها وفرى وجل بها شانى
تحدثنى عنها الشمال فتنثنى * وقد عرفت منى شمائل نشوان
وآمل أن لا استفيق من الكرى * اذا الحلم أوطانى بها ترب أوطانى
تلون اخوانى على وقد جنت * على خطوب جمة ذات ألوان
وما كنت أدرى قبل أن يتنكروا * بأن خوانى كان مجمع خوانى
وكانت وقد حم القضاء صنائعى * على بما لا ارتضى شر أعوانى
فلولاك بعد الله يا مالك العلا * وقد دفت ما ألفيت من يتلافانى
تداركتنى بالشفاعة منعما * برأ رماه الدهر فى موقف الجانى
فان عرف الاقوام حقك وفقوا * وان جهلوا باءوا بصفقة خسران
وان خلطوا اعرفا بنكر وقصروا * وزنت بقسطاس قويم وميزان

ستقطع فى الدنيا اذا ما قطعتنى
يمينك فانظر أى كف تبدل
وان أنت لم تنصف أخاك وجدته
على طرف الهجران ان كان يعقل

فلما أتى الكتاب هشاما ارتحل اليه فلم يزل فى جواره مخافة أهل البغى والسعاية حتى مات يزيد وممن مات فى أيام يزيد بن عبد الملك عطاء بن يسار مولى ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ويكنى أبا محمد وهو ابن أربع وثمانين سنة وذلك فى سنة ثلاث ومائة وفيها مات مجاهد بن جبر مولى قيس بن السائب المخزومى ويكنى أبا الحجاج وهو ابن أربع وثمانين سنة وجابر بن زيد مولى الازد من أهل البصرة ويكنى أبا الشعثاء ويزيد بن الاصم من أهل الرقة وهو ابن اخت ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ويحيى بن وثاب الاسدى مولى بنى كنانة ثم كان وأبو بردة بن أبى موسى الاشعرى واسمه عامر كوفى وفى سنة أربع ومائة مات وهب ابن منبه ويقال مات سنة عشر ومائة وفى سنة أربع ومائة هذه أيضا مات طاوس وفى سنة خمس ومائة مات عبد الله بن جبير مولى العباس بن عبد المطلب

وحرمة هذا العدياني كمالها * هضيمة رد أو حطيطة نقصان

وقد نمت عن امرى ونبهت همة * تحدق من علو الى صرح هامان

اذا دانت الله النفوس وأملت * اقالة ذنب أو انالة غفران

فولاك يا مولاى قبلة وجهتى * وعهدة اسرارى وحجة اعلانى

وقفت على مثواه نفسى قائما * بترديد ذكر أو تلاوة قرآن

ولو كنت أدرى فوقها من وسيلة * الى ملك الارض لشمرت أردانى

وأبلغت نفسى جهدها غير أننى * طلابى ما بعد النهاية أعيانى

قرأت كتاب الحمد فيك لعاصم * فصح أدائى واقتدائى واتقانى

فدونكها من بحر فكرى لؤلؤا * يفصل من حسن النظام بمرجان

وكان رسول الله بالشعر يعتنى * وكم جئة فى شعر كعب وحسان

ووالله ما وفيت قدرك حقه * ولكنه وسعى ومبلغ امكانى

وكتب لسان الدين رحمه الله قبل هذه القصيدة نثرا من انشائه يخاطب به السلطان أبا سالم المذكور وذلك أنه ورد على لسان الدين وهو بشالة سلا كتاب السلطان المذكور بفتح تلمسان وكان وروده يوم الخميس سابع عشر شعبان عام واحد وستين وسبعمائة ونص ما كتب به لسان الدين مولاى فتاح الاقطار والامصار فائدة الازمان والاعصار أثير هبات الله الآمنة من الاعتصار قدوة أولى الايدى والابصار ناصر الحق عند قعود الانصار مستصرخ الملك الغريب من وراء البحار مصداق دعاء الاب المولى فى الاصائل والاسحار أبقاكم الله سبحانه لا تقف ايالتكم عند حد ولا تحصى فتوحات الله تعالى عليكم بعد ولا تفيق أعداؤكم من كد ميسرا على مقامكم ما عسر على كل اب كريم وجد عبدكم الذى خلص ابريز عبوديته لملك ملككم المنصور المعترف لادنى رحمة من رحماتكم بالعجز عن شكرها والقصور الداعى الى الله سبحانه أن يقصر عليكم سعادة العصور و يذلل بعز طاعتكم أنف الاسد الهصور ويبقى الملك فى عقبكم وعقب عقبكم الى يوم ينفخ فى الصور فلان من الضريح المقدس بشالة وهو الذى تعددت على المسلمين حقوقه وسطع نوره وتلألأ شروقه وبلغ مجده السماء لما بسقت فروعه ووشجت عروقه وعظم بيوتكم فخرا فاوق البسيطة فخر يفوقه حيث الجلال قد رست هضابه والملك قد كسيت بأستار الكعبة الشريفة قبابه والبيت العتيق قد ألحفت الملاحف الامامية أثوابه والقرآن العزيز ترتل أحزابه والعمل الصالح يرتفع الى الله ثوابه والمستخبر يخفى بالهيبة سؤاله فيجهر بنعرة العز جوابه وقد تفيأ من اوراق الذكر الحكيم حديقه وخيلة أنيقه وحط بجودى الجود نفسا فى طوفان الضر غريقه والتحف رفرف الهيبة التى لا تهتدى النفس فيها الا بهداية الله تعالى طريقه * واعتز بعزة الله وقد توسط جيش الحرمة المرينية حقيقه اذ جعل المولى المقدس المرحوم أبا الحسن مقدمه وأباه وجده وثيقه يرى بركم بهذا اللحد الكريم قد طنب عليه من الرضا فسطاطا وأعلق به يد العناية المرينية اهتماما واغتباطا وضمن له حسن العقبى التزاما

ويقال انه مولى مولى العباس وقيل ان طاوس بن كيسان ويكنى أبا عبد الرحمن مولى بحير الحميرى مات بمكة سنة ست ومائة وصلى عليه هشام بن عبد الملك وفى سنة سبع ومائة مات سليمان بن يسار مولى ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم وهو أخو عطاء بن يسار و يكنى أبا أيوب وهو ابن ثلاث وسبعين سنة بالمدينة وقيل انه مات فى سنة مائة وفى سنة ثمان ومائة مات القاسم بن محمد ابن أبى بكر الصديق ومات الحسن بن ابى الحسن البصرى ويكنى ابا سعيد فى سنة عشر ومائة واسم أبيه يسار مولى لامرأة من الانصار مات وله تسع وثمانون سنة وقيل تسعون سنة وكان أكبر من محمد ابن سيرين ومات محمد بعده بمائة ليلة فى هذه السنة و هو ابن احدى وثمانين سنة وقيل ابن ثمانين وكان أولاد سيرين خمسة اخوة محمد وسعيد ويحيى وخالد وانس بن سيرين وسيرين مولى أنس بن مالك والخمسة قد رووا السنن ونقلت عنهم ووجدت أصحاب التواريخ متباينين ومختلفين غير متفقين فى وفاة وهب ابن منبه ويكنى أبا عبد الله فمنهم من ذكر وفاته على حسب ما قدمنا فى هذا الباب ومنهم من رأى أنه مات سنة عشر ومائة بصنعاء وكان من الابناء وهو ابن

واشتراطا وقد عقد البصر بطريقة رحمتكم المنتظرة المرتقبه ومد اليد الى لطائف شفاعتكم التى تتكفل بعتق المال كما تكفلت بعتق الرقبه وشرع فى المراح بميدان نعمتكم بعد اقتحام هذه العقبه لما شنفت الاذن البشرى التى لم يبق طائر الا سجع بها وصدح ولا شهاب دجنة الا اقتبس من نورها واقتدح ولا صدر الا انشرح ولا غصن عطف الا سرح بشرى الفتح القريب وخبر النصر الصحيح الحسن الغريب فتح تلمسان الذى قلد المنابر عقود الابتهاج ووهب الاسلام منحة النصر غنية عن الانتهاج وألحف الخلق ظلا ممدودا وفتح باب الحج وكان مسدودا وأقر عيون أولياء الله الذين يذكرون الله قياما وقعودا وأضرع بسيف الحق جباها أبية وخدودا وملككم حق أبيكم الذى أهان عليه الاموال وخاض من دونه الاهوال وأخلص فيه الضراعة والسؤال من غير كد يغمز عطف المسره ولا جهد يكدر صفو النعم الثره ولا حصر يفض به المنجنيق ذؤابته ويظهر بتكرار الركوع انابته فالحمد لله الذى أقال العثار ونظم بدعوتكم الانتثار وجعل ملككم يجدد الآثار ويأخذ الثار والعبد يهنئ مولاه بما انعم الله تعالى به عليه واولاه فاذا اجال العبيد قداح السرور فللعبد المعلى والرقيب واذا استهموا حظوظ الجذل فلى القسم الوافر والنصيب واذا اقتسموا فريضة شكر الله فلى الحظ والتعصيب لتضاعف اسباب العبودية قبلى وترادف النعم التى عجز عنها قولى وعملى وتقاصر فى ابتغاء مكافاتها وجدى وان تطاول أملى فمقامكم المقام الذى نفس الكربه وآنس الغربه ورعى الوسيلة والقربه وأنعش الارماق وفك الوثاق وادر الارزاق وأخذ على الدهر بالاستقالة العهد والميثاق وان لم يباشر العبد اليد العالية بهذا الهناء ويمثل بين يدى الخلافة العظيمة السنى والسناء ويمد بسبب اليد الى تلك السماء فقد باشر به اليد التى يحن مولاى لتذكر تقبيلها ويكمل فروض المجد بتوفية حقوقها الابوية وتكميلها ووقفت بين يدى ملك الملوك الذى أجال عليها القداح ووصل فى طلب وصالها امساء الصباح وكان فتحها اياها أبا عذرة الافتتاح وقلت يهنيك يامولاى رد ضالتك المنشوده وجبر لقطتك المعرفة المشهوده ورد أمتك المودوده فقد استحقها وارثك الارضى وسيفك الامضى وقاضى دينك وقرة عينك مستنقذ دارك من يد غاصبها ورادر تبتك الى مناصبها وعامر المثوى الكريم وساتر الاهل والحريم مولاى هذه تلمسان قد طاعت وأخبار الفتح على ولدك الحبيب اليك قد شاعت والامم الى هنائه قد تداعت وعدوك وعدوه قد شردته المخافه وانضاف الى عرب الصحراء فخفضته الاضافه وعن قريب تحكم فيه يد احتكامه وتسلمه السلامة الى حمامه فلتطب يامولاى نفسك وليستبشر رمسك فقد نفقت بركتك وزكا غرسك نسأل الله أن يورد على ضريحك من أنباء نصره ما تفتح له أبواب السماء قبولا ويترادف اليك مددا موصولا وعددا وآخرته خير لك من الاولى ويعرفه بركة رضاك ظعنا وحلولا ويضفى عليك منه سترا مسدولا ولم يقنع العبد بخدمة النثر حتى اجهد القريحة التى ركضها الدهر فأنضاها واستشفها الحادث الجلل فتقضاها فلفق من خدمة المنظوم ما يتغمد حلمكم

تسعين سنة وفى سنة خمس عشرة ومائة مات الحكم بن عتبة الكندى وقيل انه مات فيها عطاء بن أبى رباح وفى سنة ثلاث وعشرين ومائه مات أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهرى وذكر الواقدى أنه مات سنة أربع وعشرين ومائه وليزيد بن عبد الملك أخبار حسان لما كان فى أيامه من الكوائن والاحداث وقد أتينا على مبسوط ذلك فى كتابينا أخبار الزمان والاوسط وانما ذكرنا وفاة من سمينا من أهل العلم ونقلة الآثار وحملة الاخبار ليكون ذلك زيادة فى فائدة الكتاب فتكون فوائده عامة اذ كان الناس فى أغراضهم متباينين وفيما يتيممونه من مأخذ العلم مختلفين فمنهم طالب خبر ومقلد لاثر ومنهم ذو بحث ونظر ومنهم صاحب حديث ومنقر عن ناقل ومراع لوفاة مثل من ذكرنا فجعلنا فيه لكل ذى رأى نصيبا وبالله التوفيق

(ذكر أيام هشام بن عبد الملك بن مروان)

وبويع هشام بن عبد الملك فى اليوم الذى توفى فيه أخوه يزيد بن عبد الملك وهو يوم الجمعة لخمس بقين من شوال سنة خمس ومائة وقبض يزيد وله يومئذ ثمان وثلاثون سنة وقيل أربعون وتوفى هشام بن عبد الملك بالرصافة من

تقصيره

تقصيره ويكون اغضاؤكم اذا التقى معرة العتب وليه ونصيره واحالة مولاي على الله في نفسي جبرها ووسيلة عرفها بحده فما أنكرها وحرمة بضريح مولاي والده شكرها ويطلع العبد منه على كمال أمله ونجح عمله وتسويغ مقترحه وتتميم جذله أطاع لساني في مدحك احساني الى آخر القصيدة التي تقدمت وحيث اقتضت المناسبة جلب هذه النونيات فلنضف اليها قصيدة أديب الاندلس الفقيه عمر صاحب الازجال اذ هو من فرسان هذا المجال وقد وطأ لها بنثر وجعل الجميع مقامة ساسانية سماها تسريح النصال الى مقاتل الفصال ونصها يا عماد السالكين ومحط المستفيدين والمتبركين وثمال الضعفاء والمساكين المتروكين في طريقك يتنافس المتنافس وعلى أعطافك تزهى العباآت وتروق الدلافس وبكتابك تحيي جوامد الافهام وبمذيتك تشرد ذئاب الاوهام وفي زنبيلك يدس التالد والطارف وبعصاك يهش على بدائع المعارف الله الله في سالك ضاقت عليه المسالك وشاد رمى بابعاد أدركته متاعب الحرفه وأقيم من صف أهل الصفه فلا يجد نشاطا على ما يتعاطى ولا يلقى اغتباطا ان حل زاوية أو نزل رباطا أقصى عن أهل القرب والتخصيص وابتلى بمثل حالة برصيص فاحمل عليك وتوقفت اقالته على توبه بين يديك فكاتبك استدعاء واستوهب منك هداية ودعاء لسير على ما سويت ويحمل عنك أشتات ما رويت فيلقى الاكفاء الظرفاء عزيزا ويباهى بك كل من خاطبك مستجيزا فاصرف الى محيا الرضا وعد من ايناسك للعهد الذي مضى ولا تلقني معرضا ولا معترضا وأصخ لي سمعك كما قدر الله تعالى وقضى

تعال نجددها طريقة ساسان * نقص عليها ما توالى الجديدان
ونصرف اليها من مشار عزائم * ونحلف عليها من مؤكد أيمان
ونعقد على حكم الوفاء هواءنا * لنأمن من أقوال زور وبهتان
ونقسم على أن لا نصدق واشيا * يروح ويغدو بين اثم وعدوان
يطوف حوالينا ليفسد بيننا * بمنطق انسان وخدعة شيطان
على أننا من عالم كلما بدا * تعوذ منه عالم الانس والجان
وحاشاك أن تلقى عن الصلح معرضا * الى الصلح آلت حرب عبس وذبيان
واني أهمتني شؤن كثيرة * وصلحك أولى ما أقدم من شاني
فأنت امامي ان كلفت بمذهب * وأنت دليلي ان صدعت ببرهان
سأرعاك في أهل العباآت كلما * رأيتك في أهل الطيالس ترعاني
ويا لابسي تلك العباآت انها * لباس امام في الطريقة دهقان
تفرقت الالوان منها اشارة * بأنك تأتي من حلاك بألوان
ويا بابي الفصال شيخ طريقة * خلوب لالباب لعوب بأذهان
اذا جاء في الثوب المحبر خلته * زنيبرة قد مد منها جناحان
فما تأمن الابدان آفة لسعها * وان أقبلت في سابغات وأبدان
سأدعوك في حالات كيدي وكديتي * بشيخي ساسان وعمي هامان

ثلاث وخمسين سنة فكانت ولايته تسع عشرة سنة وسبعة أشهر واحدى عشرة ليلة

(ذكر لمع من أخباره وسيره)

وكان هشام أحول خشنا فظا غليظا يجمع الاموال ويعمر الارض ويستجيد الخيل وأقام الحلبة فاجتمع له فيها من خيله وخيل غيره أربعة آلاف فرس ولم يعرف ذلك في جاهلية ولا اسلام لاحد من الناس وقد ذكرت الشعراء ما اجتمع له من الخيل واستجاد الكسى والفرش وعدد الحرب ولأمتها واصطنع الرجال وقوى الثغور واتخذ القنى والبرك بطريق مكة وغير ذلك من الآثار التي أتى عليها داود بن علي في صدر الدولة العباسية وفي أيامه عمل الخز والقطف الخز فسلك الناس جميعا في أيامه مذهبه ومنعوا ما في أيديهم فقل الافضال وانقطع الرفد ولم ير زمان اصعب من زمانه وفي ايامه استشهد زيد بن علي بن الحسين بن علي كرم الله وجهه وذلك في سنة احدى وعشرين ومائة وقيل في سنة اثنتين وعشرين ومائة وقد كان زيد بن علي شاور أخاه أبا جعفر بن علي بن الحسين بن علي

فان كان في الانساب متناسبان * فما تنكر الآداب أنا نسيبان
الا فادع لي في جمع ليلك دعوة * لتنجح آمالي ويربح ميزاني
لك الطائر الميمون في كل وجهة * سريت اليها غير نكس ولا واني
فكم من فقير بائس قد عرفته * فرقت عليه نعمة ذات أفنان
وكم من رفيع الجاه والبيت أنسه * فعاش قرير العين مرتفع الشان
فلو كنت للفتح بن خاقان صاحبا * لما خانه المقدور في ليلة الخان
ولو كنت للصابي صديقا ملاطفا * لما قبلت فيه مقالة بهتان
ولو كنت من عبد الحميد مقربا * لما هزم السفاح أشياع مروان
ولو كنت قد أرسلتها دعوة على * أبي مسلم ما حاز أرض خراسان
ولو كنت في يوم الغبيط مراسلا * لبسطام لم تهزم به آل شيبان
ولو كنت في حرب الامين لطاهر * لما هام في يوم اللقاء ابن ماهان
ولو كنت في مغزى أبي يوسف لما * رماه بغدر عبده في تلمسان
ولو أن كسرى يزدجرد عرفته * لما لاح مقتولا على يد طحان
ولو أن لذريقا وطئت بساطه * لما أثرت فيه مكيدة اليان
وفيما مضى في فاس أوضح شاهد * غني لدينا عن بيان وتبيان
ولما اعتنى منك السعيد بكاتب * رأى ما ابتغى من عز ملك وسلطان
فلا تنسني من أهل ودك انني * أخاف الليالي أن تطول فتنساني
ولا خير أن تجعل كفاه قصيدتي * كفاه ابن دراج على مدح خيران
فخذ بدنانير ولا تك كالتي * ألم بها الكندي في شعب بوان
بجودك فينا الغيث في رمل عالج * وفضلك فينا الخبز في دار عثمان
ومازلت من قبل السؤال مقابلا * مرادي باحسان وقصدي باحسان
ولا تنس أياما تقضت كريمة * بزاوية المحروق أو دار همدان
وتأليفنا فيها لقبض اتاوة * واغرام مسنون وقسمة حلوان
وقد جلس الطارقون بالبعد مطرقا * يقول نصيبي أو أبوح بكتمان
عريني بلحاني اذا ما أتيته * ولم أنصرف عنكم بواجب ألحان
وقد جمعت تلك الطريقة عندنا * أئمة حساب وأعلام كهان
اذا استنزلوا الارواح باسم تبادرت * طوائف ميمون وأشياع برقان
وان بخروا عند الحلول تأرجت * مباخرهم عن زعفران ولوبان
وان فتحوا الدارات في رد آبق * ثنت عزمه أوهام خوف وخذلان
فيحسب أن الارض حيث ارتمت به * وكائبه سرعان رجل وركبان
وقد عاشرتنا اسرة كيموية * أقامت لدينا في مكان وامكان
فلله من أعيان قوم تألفوا * على عقد سحر أو على قلب أعيان
ونحن على ما يغفر الله انما * نروح ونغدو من رباط الى خان

فاشار عليه بان لا يركن الى أهل الكوفة اذ كانوا أهل غدر ومكر وقال له بها قتل جدك علي وبها طعن عمك الحسن وبها قتل أبوك الحسين وفيها وفي أعمالها شتمنا أهل البيت وأخبره بما كان عنده من العلم في مدة بني مروان وما يتعقبهم من الدولة العباسية فأبى الا ما عزم عليه من المطالبة بالحق فقال له اني أخاف عليك يا أخي أن تكون غدا المصلوب بكناسة الكوفة وودعه أبو جعفر وأعلمه انهما لا يلتقيان وقد كان زيد دخل على هشام بالرصافة فلما مثل بين يديه لم ير موضعا يجلس فيه فجلس حيث انتهى به مجلسه وقال يا أمير المؤمنين ليس أحد يكبر عن تقوى الله ولا يصغر دون تقوى الله فقال هشام اسكت لا أم لك أنت الذى تنازعك نفسك في الخلافة وأنت ابن أمة قال يا أمير المؤمنين ان لك جوابا ان أحببت أجبتك به وان أحببت أسكت عنه فقال بل أجب قال ان الامهات لا يقعدن بالرجال عن الغايات وقد كانت أم اسمعيل أمة لام اسحق صلى الله عليهما وسلم فلم يمنعه ذلك أن بعثه الله نبيا وجعله للعرب أبا فأخرج من صلبه خير البشر محمدا صلى الله عليه وسلم فتقول لي هذا وأنا ابن فاطمة وابن علي وقام وهو يقول

مع الصبح نضفيها لعبناه صفة * وبالليل نلويها زنانير رهبان
أتذكر في سفع العقاب مبيتكم * ثمانين شخصا من اناث وذكران
لديكم من الالوان مالم يجئ به * طهور ابن ذنون ولا عرس بوران
وكم شائق منكم الى عقد تكة * ولم هائم فيكم على حل هميان
فأطفأت قنديل المكان تعمدا * وأومات فانقضوا كامثال عقبان
وناديت في القوم الركوب فاسرعوا * فريق لنسوان وقوم لذكران
فأقسم بالايمان لولا تعففي * عن السوء لانحلت عقيدة ايماني
فعد للذى كنا عليه فان لى * على الغيران صاحبته حقد غيران
فمن يوم اذ صيرت ودى جانبا * وأعرضت عنى ماتناطح عنزان
ولا روت الكتاب بعد نفارنا * محاورة من ثعلبان لسرحان
وما هو قصدى منك الا اجازة * تخولنى التفضيل مابين خلانى
وانك ان سخرت لى واجزتنى * لنعم ولى صان ودى وجازانى
ولم لا ترويني وأنت أجل من * سقانى من قبل الرحيق فروانى
ألا فأجزنى ياامام بكل ما * رويت لدغليس أولابن قزمان
ولا تنس للدباغ نظما عرفته * فانكما في ذلك النظم سيان
ومزدوجات ينسبون نظامها * الى ابن شجاع في مديح ابن بطان
وألمم بشيء من خرافات عنتر * وألمع ببعض من حكايات سوسان
وان كنت طالعت اليتيمة واسنى * بلامية في الفحش من نظم واسانى
أجزنى بكشف الدك أرضى وسيلة * وخبر جليس في بساط ودكان
وناولنى المصباح فهو لغربتى * مسامر اعراضى ورائد سلوانى
والحق به شمس المعارف اننى * أسائل عن اسناده كل انسان
وقد كنت قبل اليوم عرفتنى به * ولكننى أنسيته بعد عرفان
ولا بد يا أستاذ من أن تجيزنى * بيدء ابن سبعين وفصل ابن رضوان
وكتب ابن أحلى كيف كانت فانها * لوزن رقيق القول اكرم ميزان
ولا تنس ديوان الصبابة والصفا * لاخوان صدق في الصبا خير اخوان
وزهر رياض في صنوف أضاحك * وجيد كساء في مكايد نسوان
كذلك فناولنى كتاب عجائب * وزدنى تعمر يفابها وببرجان
ولى أمل في أن أروّى رسالة * مضمنة أخبار حى بن يقظان
وحبس على الكوز والكاس والعصا * فانك مثر من عصى وكيزان
وصير لى الدلفاس أرفع لبسة * فقد جل قدرى عن حرير وكتان
وقد رق طبعى واعترتنى خشية * تكاد بها روحى تفارق جثمانى
وخل مفاتيح الطريقة في يدى * وسوّغ لهم حكمى مزيدى ونقصانى
فانى لم أخدمك الا بنية * وانى لم أتبعك الا باحسان

شرده الخوف وأزرى به * كذلك من يكره حر الجلاد
مخرق الكفين يشكو الجوى * تنكبه أطراف مرو حداد
قد كان في الموت له راحة * والموت حتم في رقاب العباد
ان يحدث الله له دولة * يترك آثار العدا كالرماد

فمضى عليها الى الكوفة وخرج عنها ومعه القراء والاشراف فحاربه يوسف ابن عمر الثقفى فلما قامت الحرب انهزم أصحاب زيد وبقى في جماعة يسيرة فقاتلهم أشد قتال وهو يقول متمثلا

أذل الحياة وعز الممات * وكلا أراه طعاما وبيلا
فان كان لا بد من واحد * فسيرى الى الموت سيرا جميلا

وحال المساء بين الفريقين فراح زيد مثخنا بالجراح وقد أصابه سهم في جبهته فطلبوا من ينزع النصل فأتى بحجام من بعض القرى فاستكتموه أمره فاستخرج النصل فمات من ساعته فدفنوه في ساقية ماء وجعلوا على قبره التراب والحشيش وأجرى الماء على ذلك وحضر الحجام مواراته فعرف الموضع فلما أصبح مضى الى يوسف متنصحا فدله على موضع قبره فاستخرجه يوسف وبعث برأسه الى هشام فكتب اليه هشام أن اصلبه عريانا فصلبه يوسف كذلك وفي ذلك يقول بعض شعراء بنى أمية يخاطب آل أبى طالب وشيعتهم من أبيات

فكن لي بالاسرار أفصح معلن * فاني قد أخلصت سري واعلاني

وليس قصدي علم الله تجلب هذه القصيدة ما فيها من المجون بل ما فيها من التلميحات التي يرغب في مثلها أهل الأدب والحديث شجون على أن أمثال هؤلاء الاعلام لا يقصدون بمثل هذا الكلام الا مجرد الاحماض فينبغي أن ينظر كلامهم او اقف عليه بعين الاغضاء عن النقد والاغماض ولا يبادر بالاعتراض من لم يعلم في الاصول برهان القطع والافتراض والله سبحانه المسئول في التجاوز عن الزلات والنجاة من الامور المضلات فعفوه سبحانه وراء جميع ذلك والله تعالى المطلع على أسرار الضمائر والخبير بما هنالك لا رب غيره ولا خير الا خيره وحيث ذكرنا هذه القصائد النونية التي اتفق فيها البحر والروي وجرت من البلاغة على النهج السوي فلا باس أن نعززها بقصيدة الرئيس الوزير أبي عبد الله بن زمرك سامحه الله تعالى وهي قصيدة ميلادية أنشدها سلطان الاندلس عام خمسة وستين وسبعمائة وجعلها مكفرة لما مر في قصيدة الفقيه عمر من المجون ومبلغة للناظرين في هذا التاليف ما يرجون والحديث شجون وهي قوله

لعل الصبا ان صافحت روض نعمان * تؤدي أمان القلب عن ظبية البان
وماذا على الارواح وهي طليقة * لو احتملت أنفاسها حاجة العاني
وما حال من يستودع الريح سره * ويطلبها وهي النموم بكتمان
وكالطيف أستقري به في سنة الكرى * وهل تنقع الاحلام غلة ظمآن
أسائل عن نجد ومرمى صبابتي * ملاعب غزلان الصريم بنعمان
وأبدي اذا ريح الشمال تنفست * شمائل مرتاح المعاطف نشوان
عرفت بهذا الحب لم أدر سلوة * وأنى لمسلوب الفؤاد بسلوان
فيا صاحبي نجواي والحب غاية * فمن سابق جلى مداه ومن وان
وراءك ما اللوم يثني مقادتي * فاني عن شأن الملامة في شان
واني وان كنت الابي قياده * ليأمرني حب الحسان وينهاني
ومازلت أرعى العهد فيمن يضيعه * وأذكر من ماحييت وينساني
فلا تنكروا ما سامني مضض الهوى * فمن قبل ما أودى بقيس وغيلان
لي الله اما أومض البرق في الدجى * أقلب تحت الليل أجفان وسنان
وان سل من غمد الغمام حسامه * يرى كبدي الشوق الملم وأضناني
تراءى باعلام الثنية باسما * فأذكرني العهد القديم وأبكاني
أسامر نجم الافق حتى كأننا * وقد سدل الليل الرواق حليفان
ومما أناجي الافق أعديه بالجوى * فأرعى له سرح النجوم ويرعاني
ويرسل صوب القطر من فيض أدمعي * ويقدح زند البرق من نار أشجاني
وضاعف وجدي رسم دار عهدتها * مطالع شهب أو مراتع غزلان
على حين شرب الوصل غير مصرد * وصفو الليالي لم يكدر بهجران
لئن أنكرت عيني الطلول فانها * تمت الى قلبي بذكر وعرفان

وبني تحت خشبته عمود ثم كتب هشام الى يوسف باحراقه وذروه في الرياح (قال المسعودي) وحكى الهيثم بن عدي الطائي عن عمرو بن هانئ قال خرجت مع عبد الله بن علي لنبش قبور بني أمية في أيام أبي العباس السفاح فانتهينا الى قبر هشام فاستخرجناه صحيحا ما فقدنا منه الا خثمة انفه فضربه عبد الله بن علي ثمانين سوطا ثم أحرقه واستخرجنا سليمان من أرض دابق فلم نجد منه شيأ الا صلبه واضلاعه ورأسه فاحرقناه وفعلنا ذلك بغيرهما من بني امية وكانت قبورهم بقنسرين ثم انتهينا الى دمشق فاستخرجنا الوليد بن عبد الملك فما وجدنا في قبره قليلا ولا كثيرا واحتفرنا عن عبد الملك فما وجدنا الا شؤن رأسه ثم احتفرنا عن يزيد ابن معاوية فما وجدنا فيه الا عظما واحدا ووجدنا مع لحده خطا اسود كأنما خط بالرماد في الطول في لحده ثم اتبعنا قبورهم في جميع البلدان فاحرقنا ما وجدنا فيها منهم وانما ذكرنا هذا الخبر في هذا الموضع

قتل هشام زيد بن علي وما نال هشاما من المثلة بما فعل به سلفه من الاحراق كفعله بزيد بن علي وقد ذكر أبو بكر ولم

ولم أر مثل الدمع فى عرصاتها * سقى تربها حين استهل وأظمانى
وعاشجانى أن سرى الركب موهنا * تقاذبه هوج الرياح بأرسان
غوارب فى بحر السراب تخالها * وقد سبحت فيه مواخر غربان
على كل نضو مثله فكأنما * رمى منهما صدر المفازة سهمان
ومن زاجر كوماء مخطفة الحشا * توسد منها فوق عوجاء مرنان
نشاوى غرام يستميل رؤسهم * من النوم والشوق المبرح سكران
أجابوا نداء البين طوع غرامهم * وقد تبلغ الاوطار فرقة أوطان
يؤمون من قبر الشفيع مثابة * تطلع منها جنة ذات أفنان
اذا نزلوا من طيبة بجواره * فأكرم مولى ضم أكرم ضيفان
بحيث علا الايمان وامتد ظله * وزان حلى التوحيد تعطيل أوثان
مطالع آيات مثابة رحمة * معاهد أملاك مظاهر ايمان
هنالك تصفو للقبول موارد * يسقون منها فضل عفو وغفران
هنالك تؤدى للسلام أمانة * يحييهم عنها بروح وريحان
يناجون عن قرب شفيعهم الذى * يؤمله القاصى من الخلق والدانى
لئن بلغوا دونى وخلفت انه * قضاء جرى من مالك الارض ديان
وكم عزمة ماليت نفسى صدقها * وقد عرفت منى مواعد ليان
الى الله نشكوها نفوسا أبية * تحيد عن الباقى وتغتر بالفانى
ألا ليت شعرى هل تساعدنى المنى * فأترك أهلى فى رضاه وجيرانى
وأقضى لبانات الفؤاد بأن أرى * أعفر خدى فى ثراه وأجفانى
اليك رسول الله دعوة نازح * خفوق الحشا رهن المطامع هيمان
غريب بأقصى الغرب قيد خطوه * شباب تقضى فى مراح وخسران
يحن اشتياقا للعقيق وبانه * ويصبو اليها ما استجد الجديدان
وان أومض البرق الحجازى موهنا * يردد فى الظلماء أنة لهفان
فيا مولى الرحمى ويا مذهب العمى * ويا منجى الغرقى ويا منقذ العانى
بسطت يد المحتاج بالخير راحم * ودنى الجانى الى موقف الجانى
وسيلتى العظمى شفاعتك التى * يلوذ بها عيسى وموسى بن عمران
فأنت حبيب الله خاتم رسله * وأكرم مخصوص بزلفى ورضوان
وحسبك أن سماك أسماءه العلا * وذلك كمال لا يشاب بنقصان
وأنت لهذا الكون علة كونه * ولولاك ما امتاز الوجود بأكوان
ولولاك للافلاك لم تجل نيرا * ولا قلدت لباتهن بشهبان
خلاصة صفو المجد من آل هاشم * ونكتة سر الفخر من آل عدنان
وسيد هذا الخلق من نسل آدم * وأكرم مبعوث الى الانس والجان
وكم آية أطلعت فى أفق الهدى * يبين صباح الرشد منها ليقظان

ابن عياش وجماعة أن زيدا مكث مصلوبا خمسين شهرا عريانا فلم يرله أحد عورة سترا من الله له وذلك بالكناسة بالكوفة فلما كان فى أيام الوليد بن يزيد ابن عبد الملك وظهر ابنه يحيى بن زيد بخراسان كتب الوليد الى عامله بالكوفة أن أحرق زيدا بخشبته ففعل به ذلك وأذرى فى الرياح على شاطئ الفرات وقد أتينا فى كتابنا المقالات فى أصول الديانات على السبب الذى من أجله سميت الزيدية بهذا الاسم وان ذلك بخروجهم مع زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم هذا وقد قيل غير ذلك مما قد أتينا عليه فيما سلف من كتبنا والخلاف فى الزيدية والامامية والفرق بين هذين المذهبين وكذلك غيرهم من فرق الشيعة وغيرهم كأبى عيسى محمد ابن هرون الوراق وغيره فقلنا ان الزيدية كانت فى عصرهم ثمانية فرق أولها الفرقة المعروفة بالجارودية وهم أصحاب أبى الجارود زياد بن المنذر العبدى وذهبوا الى أن الامامة مقصورة فى ولد الحسن والحسين دون غيرهما ثم الفرقة الثانية المعروفة بالمرثية ثم الفرقة الثالثة المعروفة بالابرقية ثم الفرقة الرابعة المعروفة باليعقوبية وهم أصحاب يعقوب بن على السلاولى ثم الفرقة

وما الشمس يجلوها النهار لمبصر * بأجلى ظهورا أو بأوضح برهان
وأكرم بآيات تحديت بها * ولا مثل آيات لمحكم فرقان
وماذا عسى يثني البليغ وقد أتى * ثناؤك في وحي كريم وقرآن
فصلى عليك الله ما انسكب الحيا * وما سجعت ورقاء في غصن البان
وأيد مولانا ابن نصر فانه * لأشرف من ينمى لملك وسلطان
أقام كما يرضيك مولدك الذى * به سفر الاسلام عن وجه جذلان
سمى رسول الله ناصر دينه * معظمه فى حال سر واعلان
ووارث سر المجد من آل خزرج * وأكرم من تنمى قبائل قحطان
ومرساها ملء الفضاء كتائبا * تدين لها غلب الملوك باذعان
حدائق خضر والدروع غدائر * وما أنبتت الا ذوابل مران
تجاوب فيها الصاهلات وترتمى * جوانبها بالاسد من فوق عقبان
فمن كل خوار العنان قدارمى * به كل مطعام العشيات مطعان
وموردها ظمأى الكعوب ذوابلا * ومصدرها من كل أملد ريان
ولله منها والربوع مواحل * غمام ندى كفت المحل كفان
اذا أخلف الناس الغمام وأمحلوا * فان نداه والغمام لسيان
امام أعاد الملك بعد ذهابه * اعادة لا نابى الحسام ولا وانى
فغادر أطلال الضلال دوارسا * وجدد للاسلام أرفع بنيان
وشيدها والمجد يشهد دولة * محافلها تزهى بيمن وايمان
وراق من الثغر الغريب ابتسامه * وهزله الاسلام أعطاف مردان
لك الخير ما أسنى شمائلك التى * يقصر عن ادراكها كل انسان
ذكاء اياس فى سماحة حاتم * واقدام عمرو فى بلاغة سحبان
أمولاى ما أسنى مناقبك التى * هى الشهب لا تحصى بعد وحسبان
فلا زلت يا غوث البلاد وأهلها * مبلغ أوطار ممهد أوطان

ولابن زمرك المذكور ترجمة نأتى بها فى هذا التاليف ان شاء الله تعالى فى محلها وهو من تلامذة لسان الدين ومن عداد خدامه حين نبابه الزمان وتعوض الخوف بعد الامان كان أحد الساعين فى قتله كما سنذكره وصرح بذمه وهجوه بعد أن كان ممن يشكره وهكذا عادة بنى الدنيا يدورون معها حيث دارت ويسيرون حيث سارت ويشربون من الكأس التى ادارت وقد تولى المذكور الوزارة عوضا عن ابن الخطيب وصدح طير عزه بعده على فنن من الاقبال رطيب ثم آل الامر به الى القتل كما سعى فى قتل لسان الدين وكان الجزاء له من جنس عمله والمرء يدان بما كان به يدين وعفو الله سبحانه مرجو للجميع فى الآخره وهو سبحانه وتعالى المسؤل أن ينيلنا واياهم المراتب الفاخره فانه لا يتعاظمه ذنب وليس للكل غيره من رب *(رجع الى ما كنا بسبيله)* وأما الوشة التى ينسب اليها لسان الدين فقد تقدم من كلام ابن خلدون أنها على مرحلة من حضرة

الخامسة المعروفة بالعقيبة ثم الفرقة السادسة المعروفة بالابترية وهم اصحاب كثير الابتر والحسن بن صالح ابن حى ثم الفرقة السابعة المعروفة بالجريرية وهم أصحاب سليمان بن جرير ثم الفرقة الثامنة المعروفة باليمانية وهم أصحاب محمد بن اليمان الكوفى وقد زاد هؤلاء فى المذهب وفرعوا مذاهب على ما سلف من أصولهم وكذلك فرق أهل الامامة فكانوا على ما ذكر من سلف من أصحاب الكتب ثلاثا وثلاثين فرقة وقد ذكرنا تنازع القطيعية بعد مضى الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم وما قالت الكيسانية وما تباينت فيه وغيرها من سائر طوائف الشيعة وهم ثلاث وسبعون فرقة دون ما تباينوا فيه من التفريع وتنازعوا فيه من التأويل والعلاة أيضا ثمان فرق المحمدية منهم أربع والمعتزلة أربع وهم العلوية ولولا أن كتابنا هذا كتاب خبر لبسطنا من مذاهبهم ووصفنا من آرائهم ما تقدم قبلنا وحدث فى وقتنا هذا وما قالوه من دلائل ظهور المنتظر الموعود بظهوره وما ذهب اليه كل فريق منهم فى ذلك من أصحاب الدور والسروة والتشريق وغيرهم من أهل الامامة * وعرض

غرناطة في الشمال من البسيط الذي في ساحتها المسمى بالمرج وقد أجرى ذكرها لسان الدين في الاحاطة وقال انها بنت الحضرة يعني غرناطة وقال ذلك في ترجمة ابن مرج الكحل ولنذكر الترجمة بكمالها تتميما للغرض فنقول قال رحمه الله ما نصه محمد بن ادريس بن علي ابن ابراهيم بن القاسم من أهل جزيرة شقر يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن مرج الكحل كان شاعرا مفلقا غزلا بارع التوليد رقيق الغزل وقال الاستاذ أبو جعفر شاعر مطبوع حسن الكتابة ذاكر للادب متصرف فيه قال ابن عبد الملك وكانت بينه وبين طائفة من أدباء عصره مخاطبات ظهرت فيها اجادته وكان مبتذل اللباس على هيئة أهل البادية ويقال انه كان أميا * (من أخذ عنه) روى عنه أبو جعفر بن عثمان الوراد وأبو الربيع بن سالم وأبو عبد الله بن الابار وابن عسكر وابن أبي البقاء وأبو محمد بن عبد الرحمن بن برطلة وأبو الحسن الرعيني * (شعره ودخوله غرناطة) قال في عشية بنهر الغنداق من خارج بلد نالوشة بنت الحضرة والمحسوب من دخلها أنه دخل البيرة وقد قيل ان نهر الغنداق من احواز برجة وهذا الخلاف داع لذكره

عرج بمنعرج الكثيب الاعفر * بين الفرات وبين شط الكوثر
ولتغتبقها قهوة ذهبية * من راحتي أحوى المراشف أحور
وعشية كم كنت أرقب وقتها * سمحت بها الايام بعد تعذر
قلنا بهذا مالنا في روضة * تهدي لناشقها شميم العنبر
والدهر من ندم يسفه رأيه * فيما مضى فيه بغير تكدر
والورق تشدو والاراكة تنثني * والشمس ترفل في قميص أصفر
والروض بين مفضض ومذهب * والزهر بين مدرهم ومدنر
والنهر مرقوم الاباطح والربا * بمصندل من زهره ومعصفر
وكأنه وكأن خضرة شطه * سيف يسل على بساط أخضر
وكأنما ذاك الحباب فرنده * مهما طفا في صفحة كالجوهر
وكأنه وجهاته محفوفة * بالآس والنعمان خد معذر
نهر يهيم بحسنه من لم يهم * ويجيد فيه الشعر من لم يشعر
ما اصفر وجه الشمس عند غروبها * الا لفرقة حسن ذاك المنظر

ولا خفاء ببراعة هذا الشعر وقال منها

أرأت جفونك مثله من منظر * ظل وشمس مثل خد معذر
وجداول كاراقم حصباؤها * كبطونها وحبابها كالاظهر

وهذا تتميم عجيب لم يسبق اليه ثم قال منها

وقرارة كالعشر بين خميلة * سالت مذانبها بها كالاسطر
فكأنها مشكولة بمصندل * من يانع الازهار أو بمعصفر
أمل بلغناه بهضب حديقة * قد طرزته يد الغمام الممطر
فكأنه والزهر تاج فوقه * ملك تجلى في بساط أخضر

هشام يوما الجند بحمص فربه رجل من أهل حمص وهو على فرس نفور فقال له هشام ما حملك على أن تربط فرسا نفورا فقال الحمصي لا والرحمن الرحيم يا أمير المؤمنين ماهو بنفور ولكنه أبصر حولتك فظن أنها عين غزوان البيطار فقال له هشام تنح فعليك وعلى فرسك لعنة الله وكان غزوان البيطار نصرانيا ببلاد حمص كأنه هشام في حولته وكشفته وبينما هشام ذات يوم جالسا اذا وعنده الابرش الكلبي اذ طلعت وصيفة لهشام عليها حلة فقال للابرش مازحها فقال لها هبي لي حلتك فقالت له لانت أطمع من أشعب فقال لها هشام ومن أشعب فقالت كان مضحكا بالمدينة وحدثته بعض أحاديثه فضحك هشام وقال اكتبوا الى ابراهيم بن هشام وكان عامله على المدينة في حمله الينا فلما ختم الكتاب أطرق هشام طويلا ثم قال يا أبرش هشام يكتب الى بلد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحمل اليه مضحك لا ها الله ثم تمثل

اذا أنت طاوعت الهوى قادك الهوى
الى بعض ما فيه عليك مقال

وأوقف الكتاب وذكر أن هشاما أهدى له رجل طائرين فأعجبه فقال له الرجل جائزتي يا أمير المؤمنين قال وما جائزة طائرين قال له ما شئت قال خذ أحدهما فقصد الرجل

راق النواظر منه رائق منظر * يصف النضارة عن جنان الكوثر
كم قاد خاطر خاطر مستوفز * وكم استفز جماله من مبصر
لولاح لي فيما تقادم لم أقل * عرج بمعرج الكثيب الاعفر

قال أبو الحسن الرعيني وأنشدني لنفسه

وعشية كانت قنيصة فتية * ألفوا من الادب الصريح شيوخا
فكأنما العنقاء قد نصبوا لها * من الانحناء الى الوقوع فخوخا
شملتهم آدابهم فتجاذبوا * سر السرور محدثا ومصيخا
والورق تقرأ سورة الطرب التي * ينسيك منها ناسخ منسوخا
والنهر قد صفحت به نارنجة * فتيممت من كان فيه منيخا
فكأنهم خال السماء كواكبا * قد قارنت بسعودها المريخا
خرق العوائد في السرور نهارهم * فجعلت أبياتي له تاريخا

ومن أبياته في البديهة قوله

وعندي من مراشفها حديث * يخبر أن ريقتها مدام
وفي أجفانها السكرى دليل * وما ذقنا ولا زعم الهمام
تعالى الله ما أجرى دموعي * اذا عنت لمقلتي الخيام
وأشجاني اذا لاحت بروق * وأطربني اذا غنت حمام

ومن قصيدة

عذيري من الآمال خابت قصودها * ونالت جزيل الحظ منها الاخابث
وقالوا ذكرنا بالغنى فأجبتهم * خمولا وما ذكر مع البخل ماكث
يهون علينا أن يبيد أثاثنا * وتبقى علينا المكرمات الاثائث
وما ضر أصلا طيبا عدم الغنى * اذا لم يغيره من الدهر حادث

وله يتشوق الى عمرو بن أبي غياث

أبا عمرو متى تقضي الليالي * بلقياكم وهن قصص ريشي
أبت نفسي هوى الاشريشا * ويا بعد الجزيرة من شريش

وله من قصيدة

طفل المساء وللنسيم تضوع * والانس يجمع شملنا ويجمع
والزهر يضحك من بكاء غمامة * ريعت لشيم سيوف برق تلمع
والنهر من طرب يصفق موجه * والغصن يرقص والحمامة تسجع
فانعم أبا عمران واله بروضة * حسن المصيف بها وطاب المربع
يا شادن البان الذي دون النقا * حيث التقى وادي الحمى والاجرع
الشمس يغرب نورها ولربما * كسفت ونورك كل حين يسطع
ان غاب نور الشمس لسنا نتقي * بسناك ليل تفرق يتطلع
أفلت فناب سناك عن اشراقها * وجلا من الظلماء ما يتوقع

هشام بستانا له ومعه ندماؤه فطافوا به وبه من كل الثمار فجعلوا يأكلون ويقولون بارك الله لامير المؤمنين فقال وكيف يبارك لي فيه وأنتم تأكلونه ثم قال ادع قيمه فدعا به فقال له اقلع شجره واغرس فيه زيتونا حتى لا يأكل منه أحد شيأ وكتب اليه ابنه سليمان ان بغلتي قد عجزت فان رأى أمير المؤمنين أن يأمر لي بدابة فكتب اليه أمير المؤمنين قد فهم كتابك وما ذكرت من ضعف دابتك وقد ظن أن ذلك من قلة تعاهدك لعلفها وضياع العلف فقم عليها بنفسك ولعل أمير المؤمنين يرى رأيه في حملانك ونظر هشام الى رجل على برذون طخاري فقال من أين لك هذا قال حملني عليه الجنيد بن عبد الرحمن قال وقد كثرت الطخارية حتى ركبها العامة لقد مات عبد الملك وفي مربطه برذون واحد طخاري فتنافس فيه ولده حتى ظن من فاته أن الخلافة فاتته قال الرجل فحدثني اباه وقد كان أخوه مسلمة مازحه قبل أن يلي الامر فقال له يا هشام أتؤمل الخلافة وأنت جبان بخيل فقال والله اني عليم حليم (وذكر الهيثم بن عدي والمدائني وغيرهما) أن السواس من بني أمية فامنت

فامنت يا موسى الغروب ولم أقل * فوددت يا موسى لو انك يوشع

وقال

ألا بشروا بالصبح منى باكيا * اضر به الليل الطويل مع البكا

فنى الصبح للصب المتيم راحة * اذا الليل أجرى دمعه واذا شكا

ولا عجب أن يمسك الصبح عبرتى * فلم يزل الكافور للدم ممسكا

ومن بديع مقطوعاته قوله

مثل الرزق الذى تطلبه * مثل الظل الذى يمشى معك

أنت لا تدركه متبعا * واذا وليت عنه تبعك

وقال

دخلتم فافسدتم قلوبا بملكها * فانتم على ماجاء فى سورة النمل

وبالجود والاحسان لم تتخلقوا * فانتم على ماجاء فى سورة النحل

وقال أبو بكر محمد بن جهور رأيت لابن مرج الكحل مرجا أحمر قد أجهد نفسه فى خدمته فلم يجب فقلت

يا مرج كحل ومن هذى المروج له * ما كان أحوج هذا المرج للكحل

ماحمرة الارض من طيب ومن كرم * فلا تكن طمعا فى رزقها العجل

فان من شانها اخلاف آملها * فما تفارقها كيفية الخجل

فقال مجيبا

يا قائلا اذ رأى مرجى وحمرته * ما كان أحوج هذا المرج للكحل

هو احمرار دماء الروم سيلها * بالبيض من مر من آبائى الاول

أجبته أن حكى من قد فتنت به * فى حمرة الخد أو اخلافه أملى

*(وفاته) توفى ببلده يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الاول عام أربعة وثلاثين وستمائة ودفن فى اليوم بعده انتهى ما فى الاحاطة فى شان ابن مرج الكحل * وكتب أبو الحسن على بن لسان الدين على أول ترجمته ما نصه شاعر جليل القدر من مشايخ شعراء الاندلس من أهل بلنسية وسكن جزيرة شقر انتهى * وكتب على قوله والنهر قوم الاباطح ماصورته لم يصف أحد النهر بأرق ديباجة ولا أظرف من هذا الامام رحمة الله عليه اه كلام ابن لسان الدين (قلت) وما رأيت رائية تقرب من التى لابن مرج الكحل السابقة التى أولها عرج بمنعرج الكثيب الاعفر الا رائية شمس الدين بن الكوفى الواعظ وهى قوله

روح الزمان هو الربيع فبكر * وانهض الى اللذات غير منكر

هذا الربيع يبيح من لذاته * اصناف ما تهوى فاين المشترى

فافرح به فالفرحة بقدومه * رفل الشقائق فى القباء الاحمر

والكون مبتهج وخفاق الصبا * يحيى القلوب بنشره المتعطر

والغيم يبكى والاقاحى باسم * لبكائه كتبسم المستبشر

والسرو ان عبث النسيم فهز أعطاف الغصون يميس ميس موقر

وكأنما القداح فستق فضة * يهدى اليك أريج مسك أذفر

وان المنصور كان فى أكثر اموره وتدبيره وسياسته متبعا لهشام فى افعاله لكثرة كشفه عن أخبار هشام وسيره وقد أتينا على غرر أخباره وسيره وسياساته وما حفظ من اشعاره وخطبه وما كان فى أيامه فى كتابينا أخبار الزمان والاوسط وكذلك ذكرنا بدء الكلام الذى أثار تصنيف الكتاب المعروف بكتاب الواحدة فى مناقب العرب ومثالبها مفردة لا يشاركها فيها غيرها وما أضيف الى كل حى من العرب من قحطان وغيرهم من نزار وما جرى فى مجالس هشام فى أوقات مختلفة بين الابرش الكلبى والعباس ابن الوليد بن عبد الملك وخالد بن مسلمة المخزومى والنضر بن مريم الحميرى وما أورده الحميرى من مناقب قومه من نزار بن معد بن عدنان وما ذكره كل واحد منهم من المثالب فيما عدا قومه وبان عن عشيرته ورهطه وقد قيل ان هذا الكتاب ألفه أبو عبيدة معمر بن المثنى مولى آل تيم بن مرة بن كعب ابن لؤى على لسان من ذكرنا وعزاه الى من وصفنا أو غيره من الشعوبية

(ذكر أيام الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان) وبويع الوليد بن يزيد فى اليوم الذى توفى فيه هشام

وكأنما المنثور فى أثوابه * ألوان ياقوت أنيق المنظر
وترى البهار كعاشق متخوف * متشوق بادبوجه أصفر
وكأنما النارنج فى أوراقه الـ‍ـقنديل والاوراق شبه معصر
وكأنما الخشخاش قوم جاءهم * خمر يسرهم بطيب المخبر
فثنوا ملابسهم لفرط سرورهم * كى يخلعوا فرحا بقول المخبر
فتعلقت أذيالها بأكفهم * وتعلقت أزياقها بالمنحر
والطل من فوق الرياض كأنه * درر نثرن على بساط أخضر
وترى الربا بالنور بين متوج * ومدملج ومخلخل ومسور
ورياضها بالزهر بين مقرطق * ومطوق ومنطق ومزرر
والورد بين مضعف ومشنف * ومكتف وملطف لم يهصر
والزهر بين مفضض ومذهب * ومرصع ومدرهم ومدنر
والنثر بين مطيب وممسك * ومعطر ومصندل ومعنبر
والورق بين مرجع ومرجع * ومفجع ومسجع فى منبر
ومغرد ومردد ومعدد * ومبدد فى الخدماء المحجر

ولكن قصيدة ابن مرج الكحل اعذب مذاقا وكل منهما لم يقصر رحمهما الله تعالى فلقد أجادا فيما قالاه الى الغاية وليس الخبر كالعيان * ومن نظم ابن مرج الكحل قوله

الشمس يغرب نورها ولربما * كسفت ونورك كل حين يسطع
أفلت فناب سناك عن اشراقها * وجلا من الظلماء ما يتوقع
فامنت ياموسى الغروب ولم أقل * فوددت ياموسى لوانك يوشع

ولمح بهذه الابيات الى قول الرصافى الاندلسى البلنسى يخاطب من اسمه موسى بقصيدة اولها

مامثل موضعك ابن رزق موضع * زهر يرف وجدول يتدفع

ومنها

وعشية لبست ثياب شحوبها * والجو بالغيم الرقيق مقنع
بلغت بنا امد السرور تألفا * والليل نحو فراقنا يتطلع
فابلل بها ريق الغبوق فقد أتى * من دون قرص الشمس ما يتوقع
سقطت ولم يملك نديمك ردها * فوددت ياموسى لوانك يوشع

انتهى

(قلت) ومن نثر ابن مرج الكحل المذكور ما كتبه الى أديب الاندلس أبى بحر صفوان ابن ادريس مراجعا له بعد نظم ونص الجميع

يامن تبوأ فى العلياء منزلة * جداه قد اساها أى تأسيس
لم يتر كافى العلا حظا لملتمس * سيان هذا وهذاك ابن ادريس
وافى كتابكم فارتدلى جذلى * واعتضت من فرط أشواقى بتأنيس
وللنوى لوعة تطفو فيطفئها * مسك المداد وكافور القراطيس

حرس الله سناءك وسناك واظفر يمناك بمناك ودى الاسلم كما تعلم وعهدى الاقدم لم تزل

وهو يوم الاربعاء لست خلون من شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة ثم قتل بالبخراء يوم الخميس لليلتين بقيتا من شهر جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة فكانت ولايته سنة وشهرين واثنين وعشرين يوما وقتل وهو ابن أربعين سنة والموضع الذى قتل فيه ودفن فيه وهى قرية من قرى دمشق تعرف بالبخراء على ماذكرنا وقد أتينا على خبر مقتله فى كتابنا الاوسط

(ذكر لمع من أخباره وسيره)

ظهر فى أيام الوليد بن يزيد يحيى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام بالجوزجان من بلاد خراسان منكرا للظلم وما عم الناس من الجور فسير اليه نصر بن سيار وسلم بن أحوز المازنى فقتل يحيى فى المعركة بقرية يقال لها أرغونة ودفن هنالك وقبره مشهور مزور الى هذه الغاية وليحيى وقائع كثيرة وقتل فى المعركة بسهم أصابه فى صدغه فولى أصحابه عنه يومئذ واحتز رأسه فحمل الى الوليد وصلب جسده بالجوزجان فلم يزل مصلوبا الى أن خرج أبو مسلم صاحب الدولة العباسية فقتل أبو مسلم سلم بن أحوز وأنزل جثة يحيى فصلى عليها ودفنت هنالك وأظهر أهل خراسان النياحة على يحيى

له

له قدم وأنا دام عزكم ان أتفق معكم انتسابا فلم أتفق في شأو الادب باعا ولا قاربتكم طباعا وانطباعا بل بذلك الاتفاق تشرفت وسموت الى ذروة العلا واستشرفت واقررت بذلك الفضل واعترفت وكرعت في مناهله واغترفت ولقد وافى كتابكم فقلت وقد نثر الدر فيه من فيه و بلغ نفسي ما كانت تنويه من التنويه

حديث لوان الميت نودي ببعضه * لاصبح حيا بعد ما ضمه القبر

ولولا ما طالعني وجه من رضاكم وسيم وسقاني من اهتبالكم ما أروى به وأسيم وحياني منكم روض ونسيم لما ساعدني الفكر بقسيم لا زلتم في ظل من العيش وارف مرتدين رداء المعارف والسلام انتهى

وكانت مخاطبة صفوان له التي أجاب عنها ما نصه

يا قاطع البيد يطويها وينشرها * الى الجزيرة يفضي بدن العيس
اثمم بها عن اخي حب وذي كلف * بدا العلا والقوافي وابن ادريس

وأبلغها اليه تحية كالمسك صدرا وورودا وكالماء الزلال عذوبة وبردا يسرى بها الى دار ابن نسيم وسفر منها بجزيرة شقر وجه وسيم وهي وان كانت تذيب المسك خجلا وتستفز بصوتها وجلا فهي الاخائفة تترقب وسافرة تكاد تنتقب تمشي على استحياء وتعثر من التقصير في ذيل اعياء هذا الا انها جلبت الى هجر تمرا والى شبام وبيت رأس خمرا ولكن على المجد أن يبدي في قبول عذرها ويعيد لعلمه أنه يتيمم من لم يجد الا الصعيد فله الفضل أن لا يحفها بنار النقد ولا يعرضها على ما هنالك من الحل والعقد والله يبقي ذكره في مقلة الادب حورا وفي قلب الحسود حورا و يديه والقوافي طوع قريحته والاغراض الجميلة ملء تعريضته وتصريحته وزهر البيان طالع في سماء جنانه وزهر التبيان يونع في أنداء جنانه وعذرا اليه فاني كتبت والخامل عسلت زمامه و يلتفت في البيداء أمامه والسلام انتهى ومن انشاء صفوان خطبة نكاح نصها الحمد لله الذي تطول بالاحسان من غير جزاء ولا ثواب وألبس المخلوقات من فواضله سوابغ المطارف وكواسي الاثواب وجاؤا على أقدام الرجاء الى محال نوافله فوجدوها مفتحة لهم الابواب وسألوه كفاية المؤنة فكان الفعل بدل القول والاسعاف بدل الجواب خالق البرية من غير افتقار ولا اضطرار ونقلهم من الطفولية الى غيرها نقل البدر من التمام الى السرار وشرف هذه الطبقة الانسانية فرزقها الادراكات العقليه والابانات اللسانيه فضرب سرادق اعتنائه عليها وأنشأها من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها ومع صنعه الرفيق بهم اللطيف وتنويهه الحافل بأرجائهم المطيف رزقهم أحسن الصور الحيوانية وأجلها وأتاح لهم أتم أقسام الاعتناء وأكملها و بعث اليهم الرسل صلوات الله عليهم صنعا منه جميلا ورباء للصنيعة لديهم وتكميلا فبشروا وأنذروا وأمنوا وحذروا وباينوا بين الحرام والحلال مباينة ادراك البصير بين الكدر والزلال ودلوا على السمت الاهدى ونصبوا أعلام التوفيق والهدى ولم يدعوا شيأ سدى بل توازنت بهم مقادير الاقوال والاعمال وكانت أشاراتهم شمال الهداية وأي شمال فأب بكل

ابن زيد سبعة أيام في سائر أعمالها في حال أمنهم على أنفسهم من سلطان بني أمية ولم يولد في تلك السنة بخراسان مولودا الا وسمي يحيى او يزيد لما داخل أهل خراسان من الجزع والحزن عليه وكان ظهور يحيى في آخر سنة خمس وعشرين وقيل أول سنة ست وعشرين ومائة وقد أتينا على أخباره وما كان من حروبه في الكتاب الاوسط وفي غيره مما سلف من كتبنا فأغنى ذلك عن اعادته وكان يحيى يوم قتل يكثر من التمثل بشعر الخنساء

نهين النفوس وهون النفو * س يوم الكريهة أوفى لها

وكان الوليد بن يزيد صاحب شراب ولهو وطرب وسماع للغناء وهو أول من حمل المغنين من البلدان اليه وجالس الملهين وأظهر الشرب والملاهي والعزف وفي أيامه كان ابن سريج المغني ومعبد والغريض وابن عائشة وابن محرز وطويس ودحمان وغلبت عليه شهرة الغناء في أيامه وعلى الخاص والعام واتخذ القيان وكان متهتكا ماجنا خليعا وطرب الوليد ليلتين خلتا من ملكه وأرق فأنشأ يقول

طال ليلي وبت أسقى السلافه * وأتاني نعي من بالرصافه
وأتاني ببردة وقضيب * وأتاني بخاتم للخلافه

ومن مجونه قوله عند وفاة هشام وقد أتاه البشير بذلك

متسحب الى الارتباط وشد كل موفق على الاعتلاق بحالهم يد الاغتباط فصلوات الله الزاكية
عليهم ونوافح رحمته النامية تغدو وتروح اليهم وأتم الصلاة والسلام على علم أولئك
الاعلام الداعي على بصيرة الى دار السلام السراج المنير البشير النذير محمد صلى الله عليه
وعلى آله وصحبه صلاة تؤل بهم الى فسيح رضوانه ورحبه بعثه الله رحمة للعالمين عامه
وأرسله نعمة للناس موفورة تامه فاخذ بحجز مصدقيه عن التهافت في مداحض الاقدام
والتتابع في مزلات الجراءة على العصيان والاقدام فاقام الحجه وأوضح المحجه ودل على
المقامات التي تعجز الاولياء وافصح عن الكرامات التي تنقذ الاتقياء وقال وأهلا به
من قائل تناكحوا فاني مكاثر بكم الانبياء حرصا منه صلوات الله عليه على الزيادة في اهل
الاسلام والنماء ودفعا في صدر الباطل بواضح الحق الصادع غيهب الظلماء وحض على
ذات الدين الحصان واغرى بالاعتصام والاحصان ونصب أعلام النكاح مشيدة المباني
وجاء بها سنة عذبة المجاني وقال من تزوج فقد كمل نصف دينه فليتق الله في النصف
الثاني وأمر بالنكاح الذي توافقت فيه الطبيعة والشريعة ولبته النفوس وهي سريعة
واخصبت به ربوة التناسل فهي مروضة مريعه وسدت به عن اتباع الهوى وارتكاب
المحارم الذريعة وحفظت به الانسال والانساب وفاض به نهر الالتئام السلسال المنساب
اذ لا سبيل لان يستغني بذاته من كان أسير هواه ومأمور لذاته وانما الانفراد والاستغنا
لمن له الكمال والغنى ولا يجوز أن يتعاقب عليه الانا لا اله الا هو له السناء والسنا وان
فلانا لما ارتقت همته الى اتباع الصالحات وسمت ووسمته النجابة من أعلامها اللائحة بما
وسمت رأى أن الاعتصام بالنكاح أولى ما حمى به دينه ووقاه وأهم ما رفع اليه اعتناءه
ورقاه فخطب الى فلان ابنته فلانة خطبة تظافر فيها اليمن والقبول ونفحت بها شمال
من الجد المصمم وقبول وارتقى بها الى اللوح المحفوظ والديوان المكنون عمل مقبول
وتلقى فلان خطبته بالاجابه لما توسم فيه من مخايل النجابه حرصا منه على المساعدة والعون
واغتباطا بمباشرة أهل الرشد والصون وانعقد النكاح بينهما على بركة الله التي يتضاعف
بها العدد القليل ويتزيد وعونه الذي ينتهض به من اعتمده ويتأيد وحسن توفيقه الذي
يرتبط به من أخلص ضميره ويتقيد على أن أصدقها كذا تزوجها بكلمة الله التي علت
الكلمات وبهرتها وعلى سنة نبيه التي أحيت الحنيفية وأظهرتها وأنقت الملة من
أرجاس الجاهلية وطهرتها وهداية مهديه الى غابت الاباطيل وقهرتها ولتكون عنده
بامانة الله التي هي جنة واعتصام وعهدته للزوجات على أزواجهن التي ليس لعروتها
انفصام وعلى امساك بمعروف اوتسريح باحسان وتسلسل في ميدان التناصف وارسان
وله عليها من حسن العشرة التي هي بتحقيق الاتفاق عائده مثل ذلك ودرجة زائده والله
تعالى يمهد لهما مهاد نعمته الوثير ويخلف منهما الطيب الكثير ويرزقهما التوفيق الباعث
لطول المرافقة المثمر عنه ونعمته انتهت

*وله رحمه الله من رسالة عتاب أدام الله سبحانه مودة الاخ الذي أستديم اخاءه وان واجهني
زعازعه أرتقب رخاءه وتجاوزت عن يومه لامسه وأغضيت عن ظلامه لشمسه أني واعتنا

وسلم عليه بالخلافة
اني سمعت خليلي * نحو الرصافة رنه
أقبلت أسحب ذيلي * أقول ما حالهنه
اذ بنات هشام
يندبن والدهنه
يدعون ويلا وعولا
والويل حل بهنه
أنا المخنث حقا
ان لم أنيكهنه
وقيل للوليد ما بقي من
لذاتك قال محادثة الاخوان
في الليالي القمر على
الكثبان العفر وبلغ
الوليد عن شراعة بن
الزيدبود حسن عشرة
وحلاوة مجالسة فبعث في
احضاره فلما دخل اليه
قال اني ما بعثت اليك
لاسألك عن كتاب ولا
سنة قال ولست من أهلها
قال انما أسألك عن
القهوة قال سل عن أي
ذلك شئت يا أمير المؤمنين
قال ما تقول في الشراب
قال عن أيه تسال قال ما
تقول في الماء قال يشاركني
فيه البغل والحمار قال فنبيذ
الزبيب قال خمار وأذى
قال فنبيذ التمر قال ضراط
كله قال فالخمر قال شقيقة
روحي وأليفة نفسي قال
فما تقول في السماع قال
يبعث مع التأني على ذكر
الاشجان ويجدد للهو على
مواقع الاحزان ويؤنس
الخل الوحيد ويسر
العاشق الفريد ويبرد غليل القلوب ويثير من خواطر الضمائر خطرة ليست من الملاهي لغيره بسرع ترقيها

وانذارا

واندارا واعذارا ورحم الله من اعتمد على الافهام وعصى أوامر الاوهام ورأى الخليقة فى المعقول لا فى المختلف المنقول وبعد فانه وصل كلامك بل ملامك وكتابك بل عتابك ورسالتك بل بسالتك أسمعتنى بألفاظك العذاب سوء العذاب وأريتنى لمعان الحسام من فقرك الوسام (وقال) صفوان رحمه الله اجتمعت مع ابن مرج الكحل يوما فاشتكى الى ما يجده لفراقى وأطال عتب الزمان فى اشتمه واعراقى فقلت اذا تفرقنا والنفوس مجتمعه فما يضر أن الجسوم للرحيل مزمعه ثم قلت له

أنت مع العين والفؤاد * دنوت أو كنت ذا بعاد

فقال وهو من بارع الاجازة

وأنت فى القلب فى السويدا * وأنت فى العين فى السواد

انتهى * واذ جرى ذكر صفوان فلا حرج أن نترجمه فنقول

قال فى الاحاطة ما ملخصه صفوان بن ادريس بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عيسى بن ادريس التجيبى المرسى أبو بحر كان أديبا حسيبا ممتعا من الظرف ريان من الادب حافظا سريع البديهة ترف النشأة على تصاون وعفاف جميلا سريا ممن تساوى حظه فى النظم والنثر على تباين الناس فى ذلك روى عن أبيه وخاله ابن عم أبيه القاضى أبى القاسم ابن ادريس وأبى بكر بن مغاور وأبى رجال بن غلبون وأبى العباس بن مضاء سمع عليه صحيح مسلم وأبى القاسم بن حبيش وابن حوط الله وأبى الوليد بن رشد وأجازله ابن بشكوال وروى عنه أبو اسحق بن اليابرى وأبو الربيع بن سالم وابن عيشون وله تواليف أدبية منها زاد المسافر وكتاب الرحلة وكتاب العجالة سفران يتضمنان من نظمه ونثره أدبا لا كفاء له وانفرد من تأبين الحسين وبكاء أهل البيت بما ظهرت عليه بركته من حكايات كثيرة ثم سرد لسان الدين جملة من نظمه الى أن قال وقال فى غرض الرصافى من وصف بلده وذكر اخوانه يساجله فى الغرض والروى عقب رسالة سماها طراد الجياد فى الميدان وتنازع اللدات والاخدان فى تقديم مرسية على غيرها من البلدان

لعل رسول البرق يغتنم الاجرا * فينثر عنى ماء عبرته نثرا
معاملة أربى بها غير مذنب * فأقضيه دمع العين عن نقطة بحرا
ليسقى من تدمير قطرا محببا * يقر بعين القطر أن تشرب القطرا
ويقرضه ذوب اللجين وانما * توفيه عينى من مدامعها تبرا
وماذاك تقصيرا بها غير انه * سجية ماء البحر أن يذوى الزهرا
خليلى قوما فاحبسا طرق الصبا * مخافة أن يحمى بزفرتى الحرا
فان الصبا ريح على كريمة * بآية ما تسرى من الجنة الصغرى
خليلى أعنى أرض مرسية المنى * ولولا توخى الصدق سميتها الكبرى
محلى بل جوى الذى عبقت به * نواسم آدابى معطرة نشرا
ووكرى الذى منه درجت فليتنى * فجعت بريش العزم كى ألزم الوكرا
ومارو ضة الخضراء قد مثلت بها * مجرتها نهرا وأنجمها زهرا

في أجزاء الجسد فتهيج النفس وتقوى الحس قال فأى المجالس أحب اليك قال ما رأيت فيه السماء من غير أن يتأذى فيه أذى قال فما تقول فى الطعام قال ليس لصاحب الطعام اختيار ما وجده أكله فاتخذه الوليد نديما ومن مليح قوله فى الشراب من أبيات

وصفراء فى الكأس كالزعفران * سباها لنا التجر من عسقلان
تريك القذاة وعرض الاناء * سترلها دون مس البنان
لها حبب كلما صفقت * تراها كلمعة برق يمانى

ومن مجونه أيضا على شرابه قوله لساقيه

اسقنى يا يزيد بالقرقاره * قد طربنا وحنت الزماره
اسقنى اسقنى فان ذنوبى * قد أحاطت فما لها كفاره

وأخبرنا أبو خليفة الفضل ابن الحباب الجمحى القاضى عن محمد بن سلام الجمحى قال حدثنى رجل عن شيوخ أهل الشام عن أبيه قال كنت سميرا للوليد بن يزيد فرأيت ابن عائشة القرشى عنده وقد قال له غنى فغناه

انى رأيت صبيحة النحر * حورا نعين عزيمة الصبر
مثل الكواكب فى مطالعها * عند العشاء أطفن بالبدر
وخرجت أبغى الاجر محتسبا * فرجعت موقورا من الوزر

فقال له الوليد أحسنت والله يا أمير المؤمنين أعد بحق عبد شمس فأعاد فقال

بابهج منها والخليج مجرة * وقد فضت ازهار ساحتها الزهرا
وقد أسكرت أعطاف أغصانها الصبا * وما كنت أعددت الصبا قبلها خمرا
هنالك بين الغصن والقطر والصبا * وزهر الربا ولدت آدابي الغرا
اذا نظم الغصن الحيا قال خاطري * تعلم نظام النثر من ههنا شعرا
وان نثرت ريح الصبا زهر الربا * تعلمت حل الشعر أسبكه نثرا
فوائد أسحار هناك اقتبستها * ولم أر روضا غيره يقرئ السحرا
كأن هزبر الريح يمدح روضها * فملأ فاها من ازاهره درا
ابا رتقات الحسن هل فيك نظرة * من الجرف الاعلى الى السكة الغرا
فأنظر من هذي لتلك كأنما * أغير اذغارلتها أختها الاخرى
هي الكاعب الحسناء تم حسنها * وقدت لها أوراقها حللا خضرا
اذا خطبت أعطت دراهم زهرها * وما عادة الحسناء أن تنقد المهرا
وقامت بعرس الانس قينة ايكها * اغاريدها تسترقص الغصن النضرا
فقل في خليج يلبس الحوت درعه * ولكنه لا يستطيع بها نصرا
اذا ما بدا فيها الهلال رأيته * كصفحة سيف وسمها قبعة صفرا
وان لاح فيها البدر شبهت متنه * بشط لجين ضم من ذهب عشرا
وفي جر في روض هناك تجافيا * بنهر يود الافق لو زاره فخرا
كأنهما خلا صفاء تعاتبا * وقد بكيا من رقة ذلك النهرا
وكم لي بأبيات الحديد عشية * من الانس ما فيه سوى أنه مرا
عشيات كان الدهر غضا بحسنها * فأجلت بساط البرق افراسها شقرا
عليهن أجري خيل دمعي بوجنتي * اذا ركبت حمرا ميادينها الصفرا
أعهدي بالغرس المنعم دوحه * سقتك دموعي انها مزنة شكرا
فكم فيك من يوم أغر محجل * تقضت أمانيه فخلدتها ذكرا
على مذنب كالبحر من فرط حسنه * تود الثريا أن يكون لها نحرا
سقت أدمعي والقطر أيهما انبرى * نقا الرملة البيضاء فالنهر فالجسرا
واخوان صدق لو قضيت حقوقهم * لما فارقت عيني وجوههم الزهرا
ولو كنت أقضي حق نفسي ولم أكن * لما بت أستحلي فراقهم المرا
وما اخترت هذا البعد الا ضرورة * وهل تستجيز العين أن تفقد الشفرا
قضى الله أن تنأى بي الدار عنهم * أراد بذلك الله أن أعتب الدهرا
ووالله لو نلت المنى ما حمدتها * وما عادة المشغوف أن يحمد الهجرا
أيأنس باللذات قلبي ودونهم * مرام يجد الكرب في طيها شهرا
ويصحب هادي الليل راء وحرفه * وصادا ونونا قد تقدس واصفرا
فديتهم بانوا وضنوا بكتبهم * فلا خبرا منهم لقيت ولا خبرا
ولولا علا هماتهم لعتبتهم * ولكن عراب الخيل لا تحمل الزجرا

أحسنت والله بحق أمية
أعد فأعاد فجعل يتخطى من أب الى أب و يأمره بالاعادة حتى بلغ نفسه
فقال أعد بحياتي فأعاد فقام الى ابن عائشة فأكب عليه ولم يبق عضوا من أعضائه الا قبله وأهوى الى أيره فجعل ابن عائشة يضم ذكره بين فخذيه فقال الوليد والله لا زلت حتى أقبله فقبل رأسه وقال واطرباه واطرباه ونزع ثيابه فالقاها على ابن عائشة وبقي مجردا الى أن أتوه بثياب غيرها ودعا له بالف دينار فدفعت اليه وحمله على بغلة وقال اركبها على بساطي وانصرف فقد تركتني على أحر من جمر الغضى (قال المسعودي) وقد كان ابن عائشة غنى بهذا الشعر يزيد بن عبد الملك أباه فاطربه وقيل انه ألحد وكفر في طربه وكان فيما قال لساقيه اسقنا بالسماء الرابعة فكأن الوليد بن يزيد قد ورث الطرب في هذا الشعر عن أبيه والشعر لرجل من قريش والغناء لابن سريج وقيل لمالك على حسب ما في كتب الاغاني من الخلاف في ذلك مما ذكره اسحق بن ابراهيم الموصلي في كتابه في الاغاني وابراهيم بن المهدي المعروف بابن شكلة في كتابه في الاغاني أيضا وغيرهما ممن صنف في هذا المعنى والوليد يدعى خليع بني مروان وقرأ ذات

ضربت

ضربت غبار البيد في مهرق السرى * بحيث جعلت الليل في ضربه حبرا
وحققت ذاك الضرب جمعا وعدة * وطرحا وتحميلا فأخرج لي صفرا
كأن زماني حاسب متعسف * يطارحني كسرا وما يحسن الجبرا
فكم عارف بي وهو يحسن رتبتي * فيمدحني سرا ويشتمني جهرا
لذلك ما اعطيت نفسي حقها * وقلت لسرب الشعر لا ترم الذكرا
فما برحت فكري عذاري قصائدي * ومن خلق العذراء أن تألف الخدرا
ولست وان طاشت سهامي بآيس * فان مع العسر الذي يتقي يسرا .

وقال يراجع أبا الربيع بن سالم عن أبيات مثلها

سقى مضرب الخيمات من علمي نجد * أسح غمامي ادمعي والحيا الرغد
وقد كان في دمعي كفاء وانما * يجففها ما بالضلوع من الوقد
فان فترت نار الضلوع هنيهة * فسوف ترى تقصيره للحيا العد
وان ضن صوب المزن يوما فأدمعي * تنوب كما ناب الجميع عن الفرد
وان هطلا يوما بساحتها معا * فأرواهما ما صاب من منتهى الود
أرى زفرتي تذكي ودمعي ينهمي * تقضين قاما بالصلاء وبالورد
فهل بالذي أبصرتم أو سمعتم * غمام بلا افق وبرق بلا رعد
لي الله كم اهذي بنجد وأهلها * ومالي بها الا التوهم من عهد
ومالي الى نجد نزوع ولا هوى * خلا أنهم شنوا القوافي على نجد
وجاؤا بدعوى حسن الشعر زورها * فصارت لهم في مصحف الحب كالجحد
شغلنا بأبناء الزمان عن الهوى * وللدرع وقت ليس يحسن للبرد
الى الله أشكو ريب دهري يغص في * نوائبه قد الجمت ألسن العد
لقد صرفت حكم الفؤاد الى الهوى * كما فوضت أمر الجفون الى السهد
أما تتوقى ويحها أن أصيبها * بدعوة مظلوم على جورها يعدي
أما راعها أن زحزحت عن أكارم * فراقهم دل القلوب على حدى
أعاتبهم فيهم فتزداد قسوة * أجدك هل عاينت للصخر الصلد
أما علمت أن القساوة نافرت * طباع بني الآداب الا من الرد
اذا وعدت يوما بتأليف شملنا * فألمم بعرقوب وما سن من وعد
وان عاهدت أن لا تؤلف بيننا * تذكرت آثار السموأل في العهد
خليلي أعني النظم والنثر أرسلا * جيادكما في حلبة الشكر والحمد
قفا ساعداني انه حق صاحب * برىء جمام الكتم من كدر الحقد
بآية ما قيدتما ألسن الورى * بذكرى فيا ويح الكناني والكندي
فاين بياني أوفاين فصاحتي * اذا لم أعد ذكر الاكارم أو أبدي
فما خاطري وفى الثناء حقوقه * وصفه كما قالوا سوار على زند
ولا تلزمني بالتكاسل حجة * تشبها نار الحياء على خدي

يوم واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد فدعا بالمصحف فنصبه غرضا للنشاب وأقبل يرميه وهو يقول

أتوعد كل جبار عنيد
فها أنا ذاك جبار عنيد
اذا ما جئت ربك يوم حشر
فقل يارب مزقني الوليد

وذكر محمد بن يزيد المبرد أن الوليد ألحد في شعر له ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم وأن الوحي لم يأته عن ربه كذب أخزاه الله ومن ذلك في الشعر

تلعب بالخلافة هاشمي
بلا وحي أتاه ولا كتاب
فقل لله يمنعني طعامي
وقل لله يمنعني شرابي

فلم يمهل بعد قوله الا أياما حتى قتل وأم الوليد بن يزيد أم الحجاج بنت محمد ابن يوسف الثقفية ويكنى أبا العباس وقد كان حمل اليه جفنة من البلور وقيل من الحجر المعروف باليشب وقد ذهب جماعة من الفلاسفة الى أن من شرب فيه الخمر لا يسكر وقد ذكرنا خاصية ذلك في كتاب القضايا والتجارب وأن من وضع تحت رأسه منه قطعة أو كان فص خاتمه منه لم ير الا رؤيا حسنة فأمر الوليد فملئت خمرا وطلع القمر وهو يشرب وندماؤه معه فقال أين القمر الليلة فقال بعضهم في البرج الفلاني فقال له آخر منهم بل هو في الجفنة وقد كان القمر تبين في شعاع الجوهر

ثكلت القوافى وهى أبناء خاطرى * وغيبها الاقعام عنى فى لحد
لئن لم أصغ زهر النجوم قلادة * وآت بدر التم واسطة العقد
الى أن يقول السامعون لرقتى * نعم طار ذاك السقط عن ذلك الزند
أحيى برياها جناب ابن سالم * فيقرع فيه الباب فى زمن الورد

وهى طويلة ومن مقطوعاته قوله

يا قمرا مطلعه اضلعى * له سواد القلب فيها غسق
وربما استوقد نار الهوى * فغاب فيها وبها عن شفق
ملكتنى فى دولة من صبا * وصدتنى فى شرك من حدق
عندى من حبك ما لو سرت * فى البحر منه شعلة لاحترق

وقال

قد كان لى قلب فلما فارقوا * سوى جناحا للغرام وطارا
وجرت سحاب للدموع فاوقدت * بين الجوانح لوعة وأوارا
ومن العجائب أن فيض مدامعى * ماء ويثمر فى ضلوعى نارا

وشعره الرمل والقطر كثرة فلنختمه بقوله

قالوا وقد طال بى مدى خطئى * ولم أزل فى تجرمى ساهى
أعددت شيأ ترجو النجاة به * فقلت أعددت رحمة الله

وكتب يهنئ قاضى الجماعة أبا القاسم بن بقى برسالة منها لان محله دام عمره وامتثل نهيه الشرعى وأمره أعلى رتبة وأكرم محلا من أن يحلى بخطة هى به تحلى كيف يهنأ بالقعود لسماع دعاوى الباطل والمعاناة لانصاف المطول من الماطل والتعب فى المعادلة بين ذوى المجادلة أما لو علم المتشوفون الى خطة الاحكام المستشرفون الى مالها من التبسط والاحتكام ما يجب لها من اللوازم والشروط الجوازم كبسط الكنف ورفع الجنف والمساواة بين العدو وذى الذنب والصاحب بالجنب وتقديم ابن السبيل على ذى الرحم والقبيل وايثار الغريب على القريب والتوسع فى الاخلاق حتى لمن ليس له من خلاق الى غير ذلك مما علم قاضى الجماعة احصاه واستعمل خالقه الفاضل أدناه وأقصاه لجعلوا نحو لهم ما مولهم وأضربوا عن ظهورهم فنبذوه وراء ظهورهم اللهم الا من أوتى بسطة فى العلم ورسا طودا فى ساحة الحلم وتساوى ميزانه فى الحرب والسلم وكان كونا لا فى المماثلة بين أجناس الناس فقصاراه أن يتقلد الاحكام للاجر لا للتعنيف والزجر ويتولاها للثواب لا للغلظة فى رد الجواب ويأخذها لحسن الجزاء لا لقبح الاستهزاء ويلتزمها لجزيل الذخر لا للازراء والسخر فاذا كان كذلك وسلك المتولى هذه المسالك وكان مثل قاضى الجماعة ولا مثل له ونفع الحق به علله ونقع غلله فيومئذ تهنى به خطة القضاء وتعرف ما لله تعالى عليها من اليد البيضاء انتهت

(ورحل) الى مراكش فى جهاز بنت بلغت التزويج وقصد دار الخلافة مادحا فما تيسر له شئ من أمله ففكر فى خيبة قصده وقال لو كنت أملت الله سبحانه ومدحت نبيه صلى الله عليه وسلم وآل بيته الطاهرين لبلغت أملى بمحمود عملى ثم استغفر الله تعالى من اعتماده فى

وصورته فى ذلك الشراب فقال الوليد والله ما تعديت ما فى نفسى وطرب طربا شديدا وقال لأصطبحن هفت هفته وهذا كلام فارسى تفسيره لأصطبحن سبعة أسابيع فدخل عليه بعض حجابه فقال يا أمير المؤمنين ان بالباب جمعا من وفود العرب وغيرهم من قريش والخلافة تجل عن هذه المنزلة وتبعد عن هذه الحال فقال اسقوه فألقى فوضع فى فمه قمع وجعلوا يسقونه حتى خر ما يعقل سكرا وقد كان أبوه أراد أن يعهد اليه فلاستصغاره لسنه عهد الى أخيه هشام ثم الى الوليد من بعده وكان الوليد مغرى بالخيل وحبها وجمعها واقامة الحلبة وكان السندى فرسه جواد زمانه وكان يسابق به فى أيام هشام وكان يقصر عن فرس هشام المعروف بالزائد وربما ضامه وربما جاء مصليا وهاك مراتب السوابق من الخيل اذا جرت فاولها السابق ثم المصلى وذلك أن رأسه عند صلا السابق ثم الثالث والرابع وكذلك الى التاسع والعاشر السكيت مسدد وما جاء بعد ذلك لم يعتد به والفسكل الذى يجىء فى الحلبة آخر الخيل وأجرى الوليد الخيل بالرصافة وأقام الحلبة وهى يومئذ ألف قادح و وقف بها ينتظار الزائد ومعه سعيد

توجهه الاول وعلم أن ليس على غير الثاني معوّل فلم يك الا أن صوّب نحو هذا المقصد سهمه وأمضى فيه عزمه واذا به قد وجه عنه فادخل على الخليفة فسأله عن مقصده فأخبره مفصحا به فانفذه وزاده عليه وأخبره أن ذلك لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم يأمر بقضاء حاجته فانفصل موفى الاغراض واستمر في مدح أهل البيت عليهم السلام حتى اشتهر بذلك وتوفي سنة ثمان وتسعين وخمسمائة وسنه دون الاربعين وصلى عليه أبوه فانه كان ءكان من الفضل والدين رحمه الله تعالى الجميع انتهى كلام ابن الخطيب في حق المذكور ملخصا ولا بأس أن نزيد عليه ما حضر فنقول قال ابن سعيد وغيره ولد صفوان سنة ستين وخمسمائة أو في التي بعدها قال وديوان شعره مشهور بالمغرب انتهى ومن نظمه قوله

أومض ببرق الاضلع * واسكب غمام الادمع
واحزن طويلا واجزع * فهو مكان الجزع
وانثر دماء المقلتين * تألما على الحسين
وابك بدمع دون عين * ان قل فيض الادمع

وهذا من قصيدة عارض بها الحريري في قوله خل ادكار الاربع وله أيضا مطلع قصيدة فيه

يا عين سحي ولا تشحي * ولو بدمع بحذف عين

وقال ابن الابار توفي صفوان بمرسية ليلة الاثنين السادس عشر من شوال سنة ثمان وتسعين وخمسمائة وثكله أبوه وصلى عليه وهو دون الاربعين اذ مولده سنة احدى وستين وخمسمائة وكان من جلة الكتاب البلغاء ومهرة الادباء الشعراء ناقدا فصيحا مدركا جليل القدر متقدما في النظم والنثر ممن جمع ذلك وله رسائل بديعة وقصائد جليلة وخصوصا في مراثي الحسين رضي الله تعالى عنه وقد تذكرت هنا قول ناهض بن محمد الاندلسي الوادي آشي في رثاء الحسين رضي الله تعالى عنه

امرنة سجعت بعود أراك * قولي مولهة علام بكاك
أجفاك الفك ام بليت بفرقة * أم لاح برق بالحمى فشجاك
لو كان حقا ما ادعيت من الجوى * يوما لما طرق الجفون كراك
أو كان روعك الفراق اذا لما * ضنت بماء جفونها عيناك
ولما الفت الروض يأرج عرفه * وجعلت بين فروعه مغناك
ولما اتخذت من الغصون منصة * ولما بدت مخضوبة كفاك
ولما ارتديت الريش بردا معلما * ونظمت من قزح سلوك طلاك
لو كنت مثلي ما أفقت من البكا * لا تحسبي شكواي من شكواك
ايه حمامة خبريني انني * أبكي الحسين وأنت ما أبكاك
أبكي قتيل الطف فرع نبينا * أكرم بفرع للنبوة زاكي
ويل لقوم غادروه مضرجا * بدمائه نضوا صريع شكاك
متعفرا قد مزقت أشلاؤه * فريا بكل مهند فتاك

ابن عمرو بن سعيد بن العاص وكان له فيها جواد يقال له المصباح فلما طلعت الخيل قال الوليد

خيلي ورب الكعبة المحرمه
سبقن أفراس الرجال اللؤمه
كما سبقناهم وحزنا المكرمه

فاقبل فرس ابن الوليد ويقال له الوضاح أمام الخيل فلما دنا صرع فارسه وأقبل المصباح فرس سعيد يتلوه وعليه فارسه وهو فيما يرى سعيد بعد سابقا فقال سعيد

نحن سبقنا اليوم خيل اللؤمه
وصرف الله الينا المكرمه
كذاك كنا في الدهور المتقدمه
أهل العلا والرتب المعظمه

فضحك الوليد لما سمعه وخشي أن تسبق فرس سعيد فركض فرسه حتى ساوى الوضاح فقذف بنفسه عليه ودخل سابقا فكان الوليد أوّل من فعل ذلك وسنه في الحلبة ثم تلاه في الفعل كذلك المهدي في أيام المنصور والهادي في أيام المهدي ثم عرضت على الوليد الخيل في الحلبة الثانية فمر به فرس لسعيد فقال لا سابقك أبا عنبسة وأنت القائل

نحن سبقنا اليوم خيل اللؤمه

فقال سعيد ليس كذا قلت يا أمير المؤمنين وانما قلت

نحن سبقنا اليوم خيلا لؤمه

فضحك الوليد وضمه الى نفسه وقال لاعدمت قريش أخا مثلك وللوليد بن يزيد أخبار حسان في جمعه الخيول في الحلبة فانه

أبزيد لو راعيت حرمة جده * لم تقتنص ليث العرين الشاكي
أو كنت تصغي اذ نقرت بثغره * قرعت صماخك أنة المسواك
أتروم ويك شفاعة من جده * هيهات لا ومدير الافلاك
ولسوف تنبذ في جهنم خالدا * ما الله شاء ولات حين فكاك

وتوفي ناهض المذكور بوادي آش سنة ٦١٥ * (رجع الى أخبار صفوان بن ادريس رحمه الله تعالى) فنقول ومن شعر صفوان قوله

قلنا وقد شام الحسام مخوّفا * رشأ بعادية الضراغم عابث
هل سيفه من طرفه أم طرفه * من سيفه أم ذاك طرف ثالث

وقوله

غيري يروع بسيفه * رشأ تشاجع ساخرا
ان كف عني طرفه * فالسيف أضعف ناصرا

وقال صفوان المذكور رحمه الله تعالى حيت بعض أصحابنا بزهرة سوسن فقال

* حياء بسوسنة أبو بحر * فقلت مجيزا * نضراء تفضح يانع الزهر *
عجبا لها لم تذوها يده * من طول ما مكثت على الصدر

وقال أيضا ماشيت الوزير الكاتب أبا محمد بن حامد يوما فاتفق أن قال لامر تذكره

بين الكثيب ومنبت السدر * ريم غدا مثواه في صدري

فقلت أجيزه

لو شاهدته قلم بلا ألم * ولقرطه خفق بلا ذعر
لو كنت قد أنصفت مقلته * برأت هاروت من السحر
أو كنت أقضي حق مرشفه * أعرضت لا ورعا عن الخمر

وناولته يوما وردة مغلقة فقال

ومحمرة تختال في ثوب سندس * كوجنة محبوب أطل عذاره

فقلت أجيزه

كتطريف كف قد أحاطت بنانها * بقلب محب ليس يخبو أواره

وقال رآني الوزير أبو اسحق وأنا أقيد أشعارا من ظهر دفتر فقال

* ماذا الذي يكتب الوزير * فقلت * بدائع ما لها نظير *

فقال

در ولكنه نظيم * من خير أسلاكه السطور

فقلت

من أظهر الكتب أقتنيها * وخل ما تحتوي البحور
بتلك تزهو النحور لكن * بهذه تزدهي الصدور

ولكن الانصاف واجب هو قال المعنى الاخير نثرا وأنا سبكته نظما وقال جلسنا بعض العشايا بالوجة خارج مرسية والنسيم يهب على النهر فقال أبو محمد بن حامد

هب النسيم وماء النهر يطرد * فقلت على جهة المداعبة لا الاجازة
ونار شوقي في الاحشاء تتقد * فقال أبو محمد ما الذي يجمع بين هذا العجز وذاك الصدر فقلت

اجتمع له في الحلبة ألف فارح وجمع بين الفرس المعروف بالزائد والفرس المعروف بالسندي وكانا قد برزا في الجري على خيول زمانهما وقد ذكر ذلك جماعة من الاخباريين وأصحاب التواريخ مثل ابن عفير والاصمعي وأبي عبيدة وجعفر بن سليمان وقد أتينا على الغرر من أخباره في أخبار الخيل وأخبار الحلبات وخبر الفرس المعروف بالزائد والسندي وأشقر مروان وغير ذلك من أخبار من سلف من الامويين ومن تأخر في كتابنا المترجم بالاوسط وانما الغرض من هذا الكتاب ايراد جوامع تاريخهم ولمع من أخبارهم وسيرهم وكذلك أتينا على ذكر ما استحب من معرفة خلق الخيل وصفاتها من سائر أعضائها وعيونها وخلقها والشاب منها والهرم ووصف ألوانها ودوائرها وما يستحسن من ذلك ومقادير أعمارها ومنتهى بقائها وتنازع الناس في اعداد هذه الدوائر والمحمودة منها والمذمومة ومن رأى انها ثماني عشرة أو أقل من ذلك أو أكثر على حسب ما أدرك من طرق العادات بها والتجارب ووصف السوابق من الخيل وغير ذلك مما تكلم الناس به في شأنها وأعرافها فيما سلف من كتبنا وفي أيام

أنا أجمع بينهما ثم قلت

فصاغ من مائه درعا مفضضة * وزاد قلبي وقد الذي يجد

وإنما شب أحشائي لحاجته * إذ ليس دون لهيب يصنع الزرد

وخطرنا بعقنت على ثمرة تهزها الريح فقال أبو محمد

وسرحة كاللواء تهفو * بعطف هاهبة الرياح

فقلت كأن أعطافها اسقتها * كف الندامى كؤوس راح

فقال إذا انتحاها النسيم هزت * أعطافها هزة السماح

فقلت كأن أغصانها كرام * تقابل الضيف بارتياح

ولصفوان رحمه الله

تحية الله وطيب السلام * على رسول الله خير الأنام

على الذي فتح باب الهدى * وقال للناس ادخلوا بالسلام

بدر الهدى غيم الندى والسدى * وما عسى أن يتناهى الكلام

تحية تهزأ أنفاسها * بالمسك لا أرضى عسك الختام

تخصه مني ولا تنثني * عن أهله الصيد السراة الكرام

وقدرهم أرفع لكنني * لم ألف أعلى لفظة من كرام

وقال يقولون لي لما ركبت بطالتي * ركوب فتى جم الغواية معتدي

أعندك شيء ترتجي أن تناله * فقلت نعم عندي شفاعة أحمد

صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم وبارك وأنعم ووالى وكمل وأتم

(الباب الثاني)

في نشأته وترقيه ووزارته وسعادته ومساعدة الدهر له ثم قلبه له ظهر المجن على عادته في مصافاته ومنافاته وارتباكه في شباكه ومالقي من أحن الحاسد ذي المذهب الفاسد ومحن الكائد المستأسد وآفاته وذكر قصوره وأمواله وغير ذلك من أحواله في تقلباته عندما قابله الزمان بأهواله في بدئه وإعادته إلى وفاته

أقول كان مولد الوزير لسان الدين بن الخطيب رحمه الله كما في الإحاطة في الخامس والعشرين من شهر رجب عام ثلاثة عشر وسبعمائة وقال الرئيس الأمير أبو الوليد بن الأحمر رحمه الله نشأ لسان الدين بن الخطيب على حالة حسنة سالكا سبيل أسلافه فقرأ القرآن على المكتب الصالح أبي عبد الله بن عبد المولى العوّاد تكتيبا ثم حفظا ثم تجويدا ثم قرأ القرآن أيضا على أستاذ الجماعة أبي الحسن القيجاطي وقرأ عليه العربية وهو أول من انتفع به وقرأ على الخطيب أبي القاسم بن جزي ولازم قراءة العربية والفقه والتفسير على الشيخ الإمام أبي عبد الله بن الفخار البيري شيخ النحويين لعهده وقرأ على قاضي الجماعة أبي عبد الله بن بكر وتأدب بالرئيس أبي الحسن بن الجياب وروى عن كثير من الأعيان وسرد ابن الأحمر المذكور هنا جملة أعلام من مشايخ لسان الدين سيأتي ذكرهم إن شاء الله تعالى ثم قال وأخذ الطب والتعاليم وصناعة التعديل عن الإمام أبي زكريا يحيى بن هذيل ولازمه انتهى

الوليد بن يزيد كانت وفاة أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وقد تنوزع في ذلك فمن الناس من رأى أن وفاته كانت في أيام هشام وذلك سنة عشر ومائة ومن الناس من رأى أنه مات في أيام يزيد بن عبد الملك وهو ابن سبع وخمسين سنة بالمدينة ودفن بالبقيع مع أبيه علي بن الحسين وغيره من سلفه عليهم السلام مما سنورد ذكرهم فيما يرد من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى والله ولي التوفيق

(ذكر أيام يزيد وإبراهيم ابني الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان)

وولي يزيد بن الوليد بدمشق ليلة الجمعة لسبع بقين من جمادى الآخرة فبايعه الناس بعد قتل الوليد بن يزيد وتوفي يزيد بن الوليد بدمشق يوم الأحد هلال ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة فكانت ولايته من مقتل الوليد بن يزيد إلى أن مات خمسة أشهر وليلتين وقد كان إبراهيم بن الوليد أخوه قام بالأمر من بعده فبايعه الناس بدمشق أربعة أشهر وقيل شهرين ثم خلع وكانت أيامه عجيبة الشأن من كثرة الهرج والاختلاط واختلاف الكلمة وسقوط الهيبة وفيه يقول بعض أهل ذلك العصر

نبايع إبراهيم في كل جمعة * ألا إن أمرا أنت واليه ضائع

ست وأربعين سنة

(ذكر لمع مما كان في أيامهما)

كان يزيد بن الوليد أحول وكان يلقب بيزيد الناقص ولم يكن ناقصا في جسمه ولا عقله وانما نقص بعض الجند من أرزاقهم فقالوا يزيد الناقص وكان يذهب الى قول المعتزلة وما يذهبون اليه في الاصول الخمسة من التوحيد والعدل والوعد والوعيد والاسماء والاحكام وهو القول بالمنزلة بين المنزلتين والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتفسير قولهم فيما ذهبوا اليه من الباب الاول وهو باب التوحيد هو ما اجتمعت عليه المعتزلة من البصريين والبغداديين وغيرهم وان كانوا في غير ذلك من فروعهم متباينين من أن الله عز وجل لا كالاشياء وانه ليس بجسم ولا عرض ولا عنصر ولا جزء ولا جوهر بل هو الخالق للجسم والعرض والعنصر والجزء والجوهر وأن شيأ من الحواس لا يدركه في الدنيا ولا في الآخرة وأنه لا يحصره المكان ولا تحويه الاقطار بل هو الذي لم يزل ولا زمان ولا مكان ولا نهاية ولا حد وانه الخالق للاشياء المبدع لها لا من شئ قالوا

وقال بعضهم في حق لسان الدين هو الوزير العلامة المتحلي باجل الشمائل وافضل المناقب المتميز في الاندلس بارفع المراقي وأعلى المراتب علم الاعلام ورئيس أرباب السيوف والاقلام جامع أشتات الفضائل والمربي بحسن سياسته وعظيم رياسته على الاواخر والاوائل حائز رتبة رياسة السيف والقلم والقائم بتدبير الملك على أرسخ قدم صاحب القلم الاعلى الوارد من البراعة المنهل الاحلى صاحب الاحاديث التي لا تمل على كثرة ما تتلى والمحاسن التي صورها على منصة التنويه تجلى انتهى *وقال لسان الدين في الاحاطة بعد ذكر سلفه رحمهم الله تعالى ما لخصه وخلفني يعني أباه عبد الله عالي الدرجة شهير الخطة مشمولا بالقبول مكنوفا بالعناية فقلدني السلطان سره ولما يستكمل الشباب ويجتمع السن معززة بالقيادة ورسوم الوزارة واستعملني في السفارة الى الملوك واستنابني بدار ملكه ورمى الى يدي بخاتمه وسيفه وائتمنني على صوان حضرته وبيت ماله وسجوف حرمه ومعقل امتناعه ولما هلك السلطان ضاعف ولده حظوتي وأعلى مجلسي وقصر المشورة على نعمي الى أن كانت عليه الكائنة فاقتدى في أخوه المتغلب على الامر به فسجل الاختصاص وعقد القلادة ثم حمله أهل الشحناء من أعوان ثورته على القبض علي فكان ذلك وتقبض علي ونكث ما أبرم من أماني واعتقلت بحال ترفيه وبعد أن كبست المنازل والدور واستكثر من الحرس وختم على الاغلاق وابرد الى ماناه واستؤصلت نعمة لم تكن بالاندلس من ذوات النظائر ولاربات الامثال في تبحر الغلة وفراهة الحيوان وغبطة العقار ونظافة الآلات ورفعة الثياب واستجادة العدة ووفور الكتب الى الآنية والفرش والماعون والزجاج والطيب والذخيرة والمضارب والابنية واكتسحت السائمة وثيران الحرث وظهر الجولة وقوام الفلاحة والخيل فاخذ ذلك البيع وتناهبتها الاسواق وصاحبها البخس وزرأتها الخونة وشمل الخاصة والاقارب الطلب واستخلصت القرى وأعملت الحيل وطوقت الذنوب أمد الله تعالى بالعون وأنزل السكينة وانصرف اللسان الى ذكر الله تعالى وتعلقت الآمال به وطبقت نكبة مصحفية مطلوبها الذات وسببها المال حسبما قلت عند اقالة العثرة والخلاص من الهفوة

تخلصت منها نكبة مصحفية * لفقداني المنصور من آل عامر

ووصلت الشفاعة في مكتتبة بخط ملك المغرب وجعل خلاصي شرطا في العقدة ومسالمة الدولة فانتقلت صحبة سلطاني المكفور الحق الى المغرب وبالغ ملكه في برى منزلا رحيبا وعيشا خفضا واقطاعا جما وجراية ماوراءها مرمى وجعلني بمجلسه صدرا ثم اسعف قصدي في تهيؤ الخلوة بمدينة سلا منوه الصكوك مهنأ القرار متفقدا بالالهاء والخلع مخول العقار موفور الحاشية مخلى بيني وبين اصلاح معادي الى أن رد الله تعالى على السلطان أمير المسلمين أبي عبد الله ابن أمير المسلمين أبي الحجاج ملكه وصير اليه حقه فطالبني بوعد ضربته وعمل في القدوم عليه بولده احكمته ولم يوسعني عذرا ولا فسح في الترك مجالا فقدمت عليه بولده وقد ساء بامساكه رهينة ضده ونغص مسرة الفتح بعده على حال من التقشف والزهد فيما بيده وعزف عن الطمع في ملكه وزهد في رفده حسبما قلت من بعض المقطوعات

قالوالخدمته دعاك محمد * فأنفتها وزهدت فى التنويه
فاجبتهم أنا والمهيمن كاره * فى خدمة المولى محب فيه

عاهدت الله تعالى على ذلك وشرحت صدرى للوفاء به وجنحت الى الانفصال لبيت الله الحرام تشييدة أملى ومرمى نيتى وعملى فعلق بى وخرج لى عن الضرورة وأرانى أن موازرته ابر القرب وراكننى الى عهد بخطه فسح لعامين امد الثواء واقتدى بشعيب صلوات الله عليه فى طلب الزيادة على تلك النسبة وأشهد من حضر من العلية ثم رمى الى بعد ذلك بمقاليد رأيه وحكم عقلى فى اختيارات عقله وغطى من جفائى بحلمه وحثا فى وجوه شهواته تراب زجرى ووقف القبول على وعظى وصرف هواى فى القول ثانيا وقصدى واعترف بقبول نصحى فاستعنت الله تعالى وعاملت وجهه فيه من غير تلبس بجراية ولاتشبث بولاية مقتصرا على الكفاية حذرا من النقد خامل المركب معتمدا على المنسأة مستمتعا بخلق النعل راضيا بغير النبيه من الثوب مشفقا من موافقة الغرور هاجرا الزخرف صادعا بالحق فى أسواق الباطل كافا عن السخال براثن السباع ثم صرفت الفكر الى بناء الزاوية والمدرسة والتربة بكر الحسنات بهذه الخطة بل بالجزيرة فيما سلف من المدة فأتى بمنة الله تعالى من صلاح السلطان وعفاف الحاشية والامن وروم الثغور وتثمير الجباية وانصاف الحماة والمقاتلة ومقارعة الملوك المجاورة فى ايثار المصلحة الدينية والصدع فوق المنابر ضمانا من السلطان بترياق سم الثورة واصلاح بواطن الخاصة والعامة ماالله تعالى المجازى عليه والمعوض من سهر خلعته على أعطافه وخطر اقتحمته من أجله لاللاثريد الاعفر ولاللنور دتمرح فى الارسان ولاللبدر تنقل للاكتاد فهو الذى لايضيع عمل من عمل من ذكر أوأنثى سبحانه وتعالى ومع ذلك فلم أعدم الاستهداف للشرور والاستغراض للعذور والنظر الشزر المنبعث من خزر العيون شيمة من ابتلاه الله تعالى بسياسة الدهماء ورعاية سنة أنزاق السماء وقتلة الانبياء وعبدة الاهواء ممن لايجعل لله تعالى ارادة نافذة ولامشيئة سابقة ولايقبل معذرة ولايجمل فى الطلب ولايتلبس مع الله بادب ربنا لاتسلط علينا بذنوبنا من لايرحمنا والحال الى هذا العهد وهو منتصف عام خمسة وستين وسبعمائة على ماذكرته اداله الله بحال السلامة وبفيأة العافية والتمتع بالعبادة وربك يخلق مايشاء ويختار * وعلى أن أسعى وليس على ادراك النجاح * ولله سبحانه فيناء علم غيب نحن صائرون اليه ألحفنا الله لباس التقوى وختم لنا بالسعادة وجعلنا فى الآخرة من الفائزين نفثت عن ... وناوهت عن حمى ليظهر بعد المنقلب قصدى ويدل مكتبى على عقدى انتهى بلفظه * وكان رحمه الله تعالى عارفا باحوال الملوك سريع الجواب حاضر الذهن حاضر النادرة (ومن حكاياته فى حضور الجواب ماحكاه عن نفسه) قال حضرت يوما بين يدى السلطان أبى عنان فى بعض وفاداتى عليه لغرض الرسالة وجرى ذكر بعض أعدائه فقلت ماأعتقده فى اطراء ذلك العدو وماعرفته من فضله فانكر على بعض الحاضرين ممن لايحطب الافى حبل السلطان فصرفت وجهى وقلت أيدكم الله تحقير عدو السلطان بين يديه ليس من السياسة فى شئ بل غير ذلك أحق وأولى فان كان السلطان غالب عدوه كان

وأنه القديم وأن ماسواه محدث (وأما القول بالعدل) وهو الاصل الثانى فهو أن الله لايحب الفساد ولايخلق أفعال العباد بل يفعلون ما أمروا به ونهوا عنه بالقدرة التى جعلها الله لهم وركبها فيهم وانه لم يأمر الابما أراد ولم ينه الاعما كره وانه ولى كل حسنة أمر بها برىء من كل سيئة نهى عنها لم يكلفهم مالايطيقونه ولا أرادمنهم مالايقدرون عليه وأن أحدا لايقدر على قبض ولابسط الا بقدرة الله التى أعطاهم اياها وهو المالك لها دونهم يفنيها اذا شاء ويبقيها اذا شاء ولوشاء لجبر الخلق على طاعته ومنعهم اضطراريا عن معصيته ولكان على ذلك قادرا غير أنه لايفعل اذ كان فى ذلك رفع للمحنة وازالة للبلوى (وأما القول بالوعد) وهو الاصل الثالث فهو أن الله لايغفر لمرتكب الكبائر الابالتوبة وانه لصادق فى وعده ووعيده لامبدل لكلماته (وأما القول بالمنزلة بين المنزلتين) وهو الاصل الرابع فهو أن الفاسق المرتكب للكبائر ليس بمؤمن ولا كافر بل يسمى فاسقا على حسب ماورد التوقيف بتسميته وأجمع أهل الصلاة على فسوقه (قال المسعودى) وبهذا الباب سميت المعتزلة وهو الاعتزال وهو الموصوف بالاسماء والاحكام مع

قد غلب غير حقير وهو الاولى بفخره وجلالة قدره وان غلبه العدو لم يغلبه حقير فيكون أشد للعسرة وآكد للفضيحة فوافق رحمه الله تعالى على ذلك واستحسنه وشكر عليه وخجل المعترض انتهى (وكان) رحمه الله تعالى مبتلى بداء الارق لا ينام من الليل الا النزر اليسير جدا وقد قال في كتابه الوصول لحفظ الصحة في الفصول العجب مني مع تاليفي لهذا الكتاب الذي لم يؤلف مثله في الطب وعلى ذلك لا اقدر على مداواة داء الارق الذي بي أو كما قال ولذا يقال له ذو العمرين لان الناس ينامون في الليل وهو ساهر فيه ومؤلفاته ما كان يصنف غالبها الا بالليل وقد سمعت بالمغرب بعض الرؤساء يقول لسان الدين ذو الوزارتين وذو العمرين وذو الميتتين وذو القبرين انتهى وسيأتي ما يعلم منه معنى الاخيرين وقد عرف رحمه الله تعالى بالسلطان أبي الحجاج في الاحاطة فقال ما حاصله يوسف بن اسمعيل بن فرج بن اسمعيل ابن يوسف بن نصر الانصاري الخزرجي أمير المسلمين بالاندلس أبو الحجاج تولى الملك بعد أخيه بوادي السقائين من ظاهر الخضراء ضحوة يوم الاربعاء ثالث عشر ذي الحجة عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة وسنه خمسة عشر عاما وثمانية اشهر امه ام ولد وكان له ثلاثة أولاد كبيرهم محمد أمير المسلمين من بعده وتلوه أخوه اسمعيل محجوره وثالثهم قيس شقيق اسمعيل وذكر لسان الدين أنه وزر له بعد شيخه ابن الجياب وتولى كتابة سره مضافة الى الوزارة في اخريات شوال عام تسعة وأربعين وسبعمائة انتهى وقد علم أنه وزر بعده لابنه محمد كما تقدم ويأتي وأما اسمعيل بن أبي الحجاج فهو الذي تغلب على الامر وانتهز الفرصة في ملك أخيه محمد كما تقدم وفيه وفي أخيه قيس حين قتلا يقول لسان الدين * باسمعيل ثم أخيه قيس * البيتين (وقد ذكرا أيضا) رحمه الله تعالى حكاية وفاة السلطان أبي الحجاج ما محصله أنه هجم عليه رجل من عداد الممرورين وهو في الركعة الاخيرة من صلاة عيد الفطر عام خمسة وخمسين وسبعمائة فطعنه بخنجر وقبض عليه واستفهم فتكلم بكلام مخلط واحتمل الى منزله على فور ولم يستقر به الا وقد قضى وأخرج قاتله الى الناس فقتل لحينه وأحرق بالنار ودفن عشية اليوم المذكور في مقبرة قصره ضجيع والده وولي امره ولده محمد ورثيته في غرض ناء عن الجزالة تختار ولده

العمر نوم والمنى أحلام * ماذا عسى أن يستمر مقام
واذا تحققنا لشئ بداءة * فله بما تقضي العقول تمام
والنفس تجمع في مدى آمالها * ركضا وتأبى ذلك الايام
من لم يصب في نفسه فمصابه * بحبيبه نفذت بذا الاحكام
بعد الشبيبة كبرة ووراءها * هرم ومن بعد الحياة حمام
والحكمة ما أشرقت شهب الدجى * وتعاقب الاصباح والاظلام
دنياك يا هذا محلة نقلة * ومناخ ركب مالديه مقام
هذا أمير المسلمين ومن به * وجد السماح وأعدم الاعدام
سر الامانة والخلافة يوسف * غيث الملوك وليثها الضرغام
قصدته عادية الزمان فاقصدت * والعز سام والخميس لهام

ماتقدم من الوعيد في الفاسق من الخلود في النار (وأما القول بوجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر) وهو الاصل الخامس فهو أن ماذكر على سائر المؤمنين واجب على حسب استطاعتهم في ذلك بالسيف فما دونه وان كان كالجهاد ولا فرق بين مجاهدة الكافر والفاسق فهذا ما اجتمعت عليه المعتزلة ومن اعتقد ماذكرنا من هذه الاصول الخمسة كان معتزليا فان اعتقد الاكثر أو الاقل لم يستحق اسم الاعتزال فلا يستحقه الا باعتقاده هذه الاصول الخمسة وقد تنوزع فيما عدا ذلك من فروعهم وقد أتينا على سائر قولهم في أصولهم وفروعهم وأقاويلهم وأقاويل غيرهم من فرق الامة من الخوارج والمرجئة والرافضة والزيدية والحشوية وغيرهم في كتابنا المقالات في أصول الديانات وأفردنا بذلك كتابنا المترجم بكتاب الابانة احتبيناه لانفسنا وذكرنا فيه الفرق بين المعتزلة وأهل الامامة وما بان به كل فريق منهم عن الآخر اذ كانت المعتزلة وغيرها من الطوائف تذهب الى أن الامامة اختيار من الامة وذلك أن الله عز وجل لم ينص على رجل بعينه وان اختيار ذلك مفوض الى الامة تختار رجلا منها ينفذ فيها أحكامه سواء كان قرشيا

فجعت به الدنيا وكدر شربها * وشكا العراق مصابه والشام
أسفا على الخلق الجميل كأنما * بدر الدجنة قد جلاه غمام
أسفا على العمر الجديد كأنه * زهو الحديقة زهره بسام
أسفا على الخلق الرضي كأنه * زهر الرياض همى عليه غمام
أسفا على الوجه الذي مهما بدا * طاشت لنور جماله الافهام
يا ناصر الثغر الغريب وأهله * والارض ترجف والسماء قتام
يا صاحب الصدقات في جنح الدجى * والناس في فرش النعيم نيام
يا حافظ الحرم الذي بظلاله * ستر الارامل واكتسى الايتام
مولاي هل لك للقصور زيارة * بعد انتزاح الدار او المام
مولاي هل لك للعبيد تذكر * حاشاك أن ينسى لديك ذمام
يا واحد الآحاد والعلم الذي * خفقت بعزة نصره الأعلام
وافاك أمر الله حين تكاملت * فيك النهى والجود والاقدام
ورحلت عنا الركب خير خليقة * اثنى عليك الله والاسلام
نعم الطريق سلكت كان رفيقه * والزاد فيه تهجد وصيام
وكسفت يا شمس المحاسن ضحوة * فاليوم ليل والضياء ظلام
وسقاك عيد الفطر كاس شهادة * فيها من الاجل الوحي هدام
وختمت عمرك بالصلاة فحبذا * عمل كريم سعيه وختام
مولاي كم هذا الرقاد الى متى * بين الصفائح والتراب تنام
أعد التحية واحتسبها قربة * ان كان يمكنك الغداة كلام
تبكي عليك مصانع شيدتها * بيض كما تبكي الهديل حمام
تبكي عليك مساجد عمرتها * فالناس فيها سجد وقيام
تبكي عليك خلائق أمنتها * بالسلم وهي كأنها أنعام
عاملت وجه الله فيما رمته * منها فلم يبعد عليك مرام
لو كنت تفدى أو تجار من الردى * بذلت نفوس من لدنك كرام
لو كنت تمنع بالصوارم والقنا * ما كان ركنك بالغلاب يرام
لكنه أمر الاله وما لنا * الا الرضا بالحكم واستسلام
والله قد كتب الفناء على الورى * وقضاؤه جفت به الاقلام
نم في جوار الله مسرورا بما * قدمت يوم تزلزل الاقدام
واعلم بان سليل ملكك قد غدا * في مستقر علاك وهو امام
ستر تكنف منه من خلفته * ظل ظليل فهو ليس يضام
كنت الحسام وصرت في غمد الثرى * ولنصر ملكك سل منه حسام
خلفت أمة أحمد لمحمد * فقضت بسعد الامة الاحكام
فهو الخليفة للورى في عهده * ترعى العهود وتوصل الارحام

أو غيره من أهل ملة الاسلام وأهل العدالة والايمان ولم يراعوا في ذلك النسب ولا غيره وواجب على أهل كل عصر أن يفعلوا ذلك والذي ذهب الى أن الامامة قد تجوز في قريش وغيرهم من الناس هو المعتزلة بأسرها وجماعة من الزيدية مثل الحسن بن صالح بن حي ومن قال بقوله على حسب ما قدمنا من ذكرهم فيما سلف من هذا الكتاب في أخبار هشام ويوافق من ذكرنا على هذا القول جميع الخوارج من الاباضية وغيرهم الا النجدات من فرق الخوارج فزعموا ان الامامة غير واجب نصبها ووافقهم على هذا القول اناس من المعتزلة ممن تقدم وتأخر الا انهم قالوا ان عدلت الامة ولم يكن فيها فاسق لم يحتج الى امام وذهب من قال بهذا القول الى دلائل ذكروها منها قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو ان سالما حي ما داخلني فيه الظنون وذلك حين فوض الامر الى أهل الشورى قالوا وسالم مولى امرأة من الانصار فلو لم يعلم عمر أن الامامة جائزة في سائر المؤمنين لم يطلق هذا القول ولم يتأسف على موت سالم مولى أبي حذيفة قالوا وقد صح بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم أخبار كثيرة منها قوله اسمعوا وأطيعوا ولو لعبد أجدع وقد قال الله عز وجل ان

أبقى رسومك كلها محفوظة * لم ينتثر منها عليك نظام
العدل والشيم الكريمة والتقى * والدار والالقاب والخدام
حسبي بان أغشى ضريحك لاثما * وأقول والدمع السفوح سجام
يامدفن التقوى ويامثوى الهدى * منى عليك تحية وسلام
أخفيت من حزنى عليك وفى الحشا * نارلها بين الضلوع ضرام
ولو انى أديت حقك لم يكن * لى بعد فقدك فى الوجود مقام
واذا الفتى أدى الذى فى وسعه * وانى بجهد ماعليه ملام

قال لسان الدين وكتبت فى بعض معاهده

غبت فلا عين ولا مخبر * ولا انتظار منك مرقوب
يايوسف أنت لنا يوسف * وكلنا فى الحزن يعقوب

انتهى ورحم الله تعالى الجميع بمنه وقد قدمنا ما كتبه لسان الدين على لسان سلطانه الى السلطان أبى عنان فى شأن قتل السلطان ابى الحجاج فى الباب الثامن من القسم الاول (وقال لسان الدين) فى كتابه اللمحة البدرية فى الدولة النصرية فى ذكر مايتعلق بخلع سلطانه وقيام أخيه عليه فى خلال ذلك مانصه كان السلطان أبو عبد الله عند تصير الامر اليه قد ألزم اخاه اسمعيل قصرا من قصور أبيه بجوار داره مرفها عليه متممة وظائفه له وأسكن معه امه وأخواته منها وقد استأثرت يوم وفاة والده بمال جم من خزائنه الكائنة فى بيتها فوجدت السبيل الى السعى لولدها فجعلت تواصل زيارة ابنتها التى عقد لها والدها على ابن عمه الرئيس ابى عبد الله ابن الرئيس ابى الوليد ابن الرئيس ابى عبد الله المبايع له باندرش ابن الرئيس أبى سعيد جدهم الذى تجمعهم جرثومته وشمر الصهر المذكور عن ساعد عزمه وجده وهو على ماهو من الاقدام ومداخلة ذؤبان الرجال واستعان عن اسفته الدولة وهفت به الاطماع فتألف منهم زهاء مائة قصدوا جهة من جهات القلعة متسنمين شقى صعب المرتقى واتخذوا آلة تدرك ذروته لمعود بنية كانت به عن التمام وكبسوا حرسيا بأعلاه بما اقتضى صماته فاستووا به ونزلوا الى القلعة سحر الليلة الثامنة والعشرين من شهر رمضان عام ستين وسبعمائة فاستظهروا بالمشاعل والصراخ وعالجوا دار الحاجب رضوان ففضوا أغلاقها ودخلوها فقتلوه بين أهله وولده وانتهبوا ما اشتملت عليه داره وأسرعت طائفة مع الرئيس فاستخرجت الامير المعتقل اسمعيل وأركبته وقرعت الطبول ونودى بدعوته وقد كان اخوه السلطان متحولا بولده الى سكنى الجنة المنسوبة للعريف لصق داره وهى المثل المضروب فى الظل الممدود والماء المسكوب والنسيم البليل يفصل بينها وبين معقل الملك السور المنيع والخندق المصنوع فما راعه الا النداء والهيج وأصوات الطبول وهب الى الدخول الى القلعة فالفاها قد أخذت دونه شعابها كلها ونقابها وقذفته الحراب ورشقته السهام فرجع أدراجه وسدده الله تعالى فى محل الحيرة ودس له عرق الفحول من قومه فامتطى صهوة فرس كان مرتبطا عنده وصار لوجهه فاعيا المتبع وصبح مدينة وادى آش ولم يشعر حافظ قصبتها الا به وقد توجع عليها فالتفت به أهلها

أكرمكم عند الله أتقاكم وذهب أبوحنيفة وأكثر المرجئة وأكثر الزيدية من الجارودية وغيرها وسائر فرق الشيعة والرافضة والراوندية الى ان الامامة لاتجوز الا فى قريش لقول النبى صلى الله عليه وسلم الامامة فى قريش وقوله عليه السلام قدموا قريشا ولاتقدموها ولما احتج المهاجرون به على الانصار يوم سقيفة بنى ساعدة من أن الامامة فى قريش لانهم اذا ولوا عدلوا ورجوع كثير من الانصار الى ذلك ولما انفرد به أهل الامامة من أن الامامة لاتكون الا نصا من الله ورسوله على عين الامام واسمه واشتهاره كذلك وفى سائر الاعصار لاتخلو الناس من حجة الله فيهم ظاهرا أو باطنا على حسب استعماله التقية والخوف على نفسه واستدلوا بالنص على أن الامامة فى قريش وبدلائل كثيرة من العقول وجوامع من النصوص فى وجوبها وفى النص عليهم وفى عصمتهم من ذلك قوله عز وجل مخبرا عن ابراهيم انى جاعلك للناس اماما ومسئلة ابراهيم بقوله ومن ذريتى واجابة الله له بأنه لاينال عهدى الظالمين قالوا ففيما تلونا دلائل على أن الامامة نص من الله ولو كان نصها الى الناس ما كان لمسئلة ابراهيم ربه وجه ولما كان الله قد أعلمه أنه

واعطوه

واعطوه صفقتهم بالذب عنه فكان أملك بها وتجهزت الحشود الى منازلته وقد جدد أخوه المتغلب على ملكه عقد السلم مع طاغية قشتالة باحتياجه الى سلم المسلمين لجراء فتنة بينه وبين البرجلونيين من أمته واغتبط به أهل المدينة فذبوا عنه ورضوا بهلاك نعمتهم دونه واستمرت الحال الى يوم عيد النحر من عام التاريخ ووصله رسول صاحب المغرب مستزلا عنها ومستدعيا الى حضرته لما عجز عن امساكها وراسل ملك الروم فلم يجد عنده من معول فانصرف ثاني يوم عيد النحر المذكور وتبعه الجمع الوافر من أهل المدينة خيلا ورجلا الى مربلة من ساحل اجازته وكان وصوله الى مدينة فاس محفوفا بمن البر والكرامة بما لا مزيد عليه في السادس من شهر محرم فاتح عام أحد وستين وسبعمائة وركب السلطان للقائه ونزل اليه عندما سلم عليه وبالغ في الحفاية به وكنت قد ألحقت به مقلتا من شرك النكبة التي استأصلت المال وأوهمت سوء الحال بشفاعة السلطان أبي سالم قدس الله روحه فقمت بين يديه في الحفل المشهود يومئذ وأنشدته

سلا هل لديها من مخبرة ذكر * وهل أعشب الوادي ونم به الزهر
وهل باكر الوسمي دارا على اللوى * عفت آيها الا التوهم والذكر
بلادي التي عاطيت مشمولة الهوا * باكنافها والعيش فينان مخضر
وجوي الذي ربي جناحي وكره * فها انا ذا مالي جناح ولا وكر
نبت بي لا عن جفوة وملالة * ولا نسخ الوصل الهني بها هجر
ولكنها الدنيا قليل متاعها * ولذاتها دأبا تزور وتزور
فمن لي بقرب العهد منها ودوننا * مدى طال حتى يومه عندنا شهر
ولله عينا من رآنا وللاسى * ضرام له في كل جانحة جمر
وقد بددت در الدموع يد النوى * وللشوق أشجان يضيق لها الصدر
بكينا على النهر الشروب عشية * فعاد أجاجا بعدنا ذلك النهر
اقول لاظعاني وقد غالها السرى * وآنسها الحادي واوحشها الزجر
رويدك بعد العسر يسران أبشري * بانجاز وعد الله قد ذهب العسر
ولله فينا سر غيب وربما * اتى النفع من حال اريد بها الضر
وان تخن الايام لم تخن النهى * وان يخذل الاقوام لم يخذل الصبر
وان عركت مني الخطوب مجربا * نقابا تساوى عنده الحلو والمر
فقد عجمت عودا صليبا على الردى * وعزما كما تمضي المهندة البتر
اذا أنت بالبيضاء قررت منزلي * فلا اللعم حل ما حييت ولا الظهر
زجرنا بابراهيم برء همومنا * فلما رأينا وجهه صدق الزجر
بمنتخب من آل يعقوب كلما * دجا الخطب لم يكذب لعزمته فجر
تناقلت الركبان طيب حديثه * فلما رأته صدق الخبر الخبر
ندى لو حواه البحر لذ مذاقه * ولم يتعقب مده أبدا جزر
وبأس غدا يرتاع من خوفه الردى * وترفل في أثوابه الفتكة البكر

اختياره وقوله لا ينال عهدي الظالمين دلالة على أن عهده ينال من ليس بظالم ووصف هؤلاء الامام فقالوا نعت الامام في نفسه (أن يكون معصوما من الذنوب) لانه ان لم يكن معصوما لم يؤمن أن يدخل فيما يدخل فيه غيره من الذنوب فيحتاج أن يقام عليه الحد كما يقيمه هو على غيره فيحتاج الامام الى امام الى غير نهاية ولم يؤمن عليه أيضا أن يكون في الباطن فاسقا فاجرا كافرا (وأن يكون أعلم الخليقة) لانه ان لم يكن عالما لم يؤمن عليه أن يقلب شرائع الله واحكامه فيقطع من يجب عليه الحد ويحد من يجب عليه القطع ويضع الاحكام في غير المواضع التي وضعها الله (وأن يكون اشجع الخلق) لانهم يرجعون اليه في الحرب فان جبن وهرب يكون قد باء بغضب من الله (وأن يكون أسخى الخلق) لانه خازن المسلمين وأمينهم فان لم يكن سخيا تاقت نفسه الى أموالهم وشرهت الى ما في أيديهم وفي ذلك الوعيد بالنار وذكروا خصالا كثيرة ينال بها أعلى درجات الفضل لا يشاركه فيها أحد وأن ذلك كله وجد في علي بن أبي طالب وولده رضي الله عنهم في السبق الى الايمان والهجرة والقرابة والحكم بالعدل والجهاد في سبيل الله والورع والزهد وأن الله قد أخبر عن بواطنهم وموافقتها لظواهرهم بقوله عز وجل ووصفه لهم فيما صنعوه من الاطعام للمسكين واليتيم والاسير

اطاعته حتى العصم في قنن الربا * وهشت الى تأميله الانجم الزهر
قصدناك يا خير الملوك على النوى * لتنصفنا مما جنى عبدك الدهر
كففنا بك الايام عن غلوائها * وقد رابنا منها التعسف والكبر
وعذنا بذاك المجد فانصرم الردى * ولذنا بذاك العزم فانهزم الذعر
ولما أتينا البحر يرهب موجه * ذكرنا نداك الغمر فاحتقر البحر
خلافتك العظمى ومن لم يدن بها * فايمانه لغو وعرفانه نكر
ووصفك يهدي المدح قصد صوابه * اذا ضل في أوصاف من دونك الشعر
دعتك قلوب المؤمنين وأخلصت * وقد طاب منها السر لله والجهر
ومدت الى الله الاكف ضراعة * فقال لهن الله قد قضي الامر
وألبسها النعمى ببيعتك التي * لها الطائر الميمون والمحتد الحر
فاصبح ثغر الثغر يبسم ضاحكا * وقد كان مما نابه ليس يفتر
وأمنت بالسلم البلاد وأهلها * فلا ظبية تعرى ولا روعة تعرو
وقد كان مولانا أبوك مصرحا * بانك في ابنائه الولد البر
وكنت حقيقا بالخلافة بعده * على الفور لكن كل شئ له قدر
وأوحشت من دار الخلافة هالة * أقامت زمانا لا يلوح بها البدر
فرد عليك الله حقك اذ قضى * بأن تشمل النعمى وينسدل الستر
وقاد اليك الملك رفقا بخلقه * وقد عدموا ركن الامامة واضطروا
وزادك بالتمحيص عزا ورفعة * وأجرا ولولا السبك ما عرف التبر
وأنت الذي تدعى اذا دهم الردى * وأنت الذي ترجى اذا أخلف القطر
وأنت اذا جار الزمان محكم * لك النقض والابرام والنهي والامر
وهذا ابن نصر قد أتى وجناحه * مهيض ومن عليائك يلتمس الجبر
غريب يرجي منك ما أنت أهله * فان كنت تبغي الفخر قد جاءك الفخر
ففز يا أمير المسلمين ببيعة * موثقة قد حل عروتها الغدر
ومثلك من يرعى الدخيل ومن دعا * بيا لمرين جاءه العز والنصر
وخذ يا امام الحق بالحق ثأره * ففي ضمن ما تأتي به العز والاجر
وأنت لها يا ناصر الحق فلتقم * بحق فما زيد يرجى ولا عمرو
فان قيل مال فالك الدثر وافر * وان قيل جيش عندك العسكر المجر
يكف بك العادي ويحيا بك الهدى * ويبنى بك الاسلام ما هدم الكفر
أعده الى أوطانه عنك راضيا * وطوقه نعماك التي ما لها حصر
وعاجل قلوب الناس فيه بجبرها * فقد صدهم عنه التغلب والقهر
وهم يرقبون الفعل منك وصفقة * تحاولها يمناك ما بعدها خسر
مرامك سهل لا يؤودك كلفة * سوى عرض ما ان له في العلا خطر
وما العمر الا زينة مستعارة * ترد ولكن الثناء هو العمر

وأن ذلك لوجهه خالصا لا أنهم أبدوه بألسنتهم فقط وأخبر عن أمرهم في المنقلب وحسن الموئل في المحشر ثم في اخباره عز وجل عما أذهب عنهم من الرجس وفعل بهم من التطهير وفي غير ذلك مما أوردوه دلائل لما قالوه وأن عليا نص على ابنه الحسن ثم الحسين والحسين على علي بن الحسين وكذلك من بعده الى صاحب الوقت الثاني عشر على حسب ما ذكرنا وسمينا في غير هذا الموضع من هذا الكتاب ولاهل الامامة من فرق الشيعة في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة كلام كثير في الغيبة واستعمال التقية وما يذكرونه من أبواب الائمة والاوصياء لا يسعنا ايراده في هذا الكتاب اذ كان كتاب خبر وانما تغلغل بنا الكلام الى ايراد لمع من هذه المذاهب والآراء وكذلك ما عليه غير أهل الامامة من أصحاب دين المغيرة والمشورة وما يراعونه من الظهور وقد أتينا على جميع ذلك فيما سلف من كتبنا وما وصفنا فيها من الاقاويل في الظاهر والباطن والسائر والدائر والواقر وغير ذلك من أمورهم وأسرارهم (قال المسعودي) وكان خروج يزيد بن الوليد بدمشق مع سابقة من المعتزلة وغيرهم من أهل داريا والمزة من غوطة ومن

ومن باع ما يفنى بباق مخلد * فقد أنجح المسعى وقد ربح التجر
ومن دون ما تبغيه يا ملك الهدى * جياد المذاكى والمحجلة الغر
ورادوشقر واضحات شياتها * فاجسامها تبر وأرجلها در
وشهب اذا ما ضمرت يوم غارة * مطهمة غارت بها الانجم الزهر
وأسد رجال من مرين مخيفة * عمائمها بيض وآسالها سمر
عليها من الماذى كل مفاضة * تدافع فى أعطافها اللجج الخضر
هم القوم ان هبوا لكشف ملمة * فلا الملتقى صعب ولا المرتقى وعر
اذا سئلوا أعطوا وان نوزعوا سطوا * وان واعدوا وفوا وان عاهدوا بروا
وان مدحوا اهتزوا ارتياحا كأنهم * نشاوى تمشت فى معاطفهم خمر
وان سمعوا العوراء فروا بأنفس * حرام على هاماتها فى الوغى الفر
وتبسم ما بين الوشيج ثغورهم * وما بين قضب الدوح يبتسم الزهر
أمولاى غاضت فكرتى وتبلدت * طباعى فلا طبع يعين ولا فكر
ولولا حنان منك داركتنى به * وأحييتنى لم تبق عين ولا أثر
فأوجدت منى فائتا أى فائت * وأنشرت ميتا ضم أشلاءه قبر
بدأت بفضل لم أكن لعظيمه * بأهل فجل اللطف وانفرج الصدر
وطوقتنى النعمى المضاعفة التى * يقل عليها منى الحمد والشكر
وأنت بتتميم الصنائع كافل * الى أن يعود الجاه والعز والوفر
جزاك الذى أسنى مقامك عصمة * يفك بها عان و ينعش مضطر
اذا نحن أثنينا عليك بمدحة * فهيهات يحصى الرمل أو يحصر القطر
ولكننا نأتى بما نستطيعه * ومن بذل المجهود حق له العذر

فلا تسأل عن امتعاض وانتفاض وسداد أنحاء فى التأثر لنا وأغراض والله غالب على أمره * وفى صبيحة يوم السبت السابع عشر من شهر شوال عام اثنين وستين وسبعمائه كان انصرافه الى الاندلس وقد ألح صاحب قشتالة فى طلبه وترجح الرأى على قصده فقعد السلطان بقبة العرض من جنة المصارة وبرز الناس وقد أسمعهم البريح واستحضرت البنود والطبول والآلة وألبس خلعة الملك وقيدت له مراكبه فاستقل وقد التف عليه كل من جلا عن الاندلس من لدن الكائنة فى جملة كثيفة ورأى من رقة الناس واجهاشهم وعلو أصواتهم بالدعاء ما قدم به العهد اذ كان مظنة ذلك سكونا وعفافا وقربا قد ظلله الله برواق الرحمة وعطف عليه وشائج المحبة الى كونه مظلوم العقد منتزع الحق فتبعته الخواطر وحميت عليه الانفس وانصرف لوجهته وهو الآن برندة مستقل بها وبجهاتها ومقتنع برسم سلطنتها وقد قام له برسم الوزارة الشيخ القائد أبو الحسن على بن يوسف بن كماشة الحضرمى وبكتابته الفقيه أبو عبد الله بن زمرك وقد استفاض عنه من الحزم والتدرب والتيقظ للأمور والمعرفة بوجوه المصالح ما لا ينكر كان الله لنا وله بفضله انتهى كلام لسان الدين بن الخطيب فى اللمحة البدرية * وقد علمت أنه بعد هذا التاريخ عاد سلطانه

شق على الوليد بن يزيد لما ظهر من فسقه وشمل الناس من جوره فكان خبر مقتل الوليد ما قد ذكرناه فيما سلف من كتبنا مفصلا وذكرناه فى هذا الكتاب مجملا وكان يزيد بن الوليد أول من ولى هذا الامر وأمه أم ولد وكانت أمه شاه فريد بنت فيروز وهو الذى يقول فى ذلك

أنا ابن كسرى وأبى مروان * وقيصر جدى وجدى خاقان

وكان يكنى بأبى خالد وأم اخيه ابراهيم أم ولد تدعى بريرة والمعتزلة تفضل فى الديانة يزيد بن الوليد على عمر بن عبد العزيز لما ذكرناه من الديانة وفى سنة سبع وعشرين ومائة أقبل مروان ابن محمد بن مروان من الجزيرة فدخل دمشق وخرج ابراهيم بن الوليد هاربا من دمشق ثم ظفر به مروان فقتله وصلبه وقتل من مالأه ووالاه وقتل عبد العزيز بن الحجاج ويزيد بن خالد القسرى وبدا أمر بنى أمية يؤل الى ضعف وذكر اليحصبى عن الخليل بن ابراهيم السبيعى قال سمعت ابن الجمحى يقول قال لى العلاء ابن بنت ذى الكلاع انه كان مؤانسا لسليمان بن عبد الملك لا يكاد يفارقه وكان أمر المسودة بخراسان والمشرق قد بان ودنا من الجبل وقرب من العراق واشتد ارجاف الناس ونطق العدو

الى حضرة غرناطة واستبد بملك الاندلس وعاد لسان الدين اليه حسبما أحسن سياق ذلك لسان الدين رحمه الله تعالى في كتاب من انشائه على لسان سلطانه الغني بالله وخاطب به ملك الحرمين ومصر والشام السلطان المنصور بن أحمد بن الناصر بن قلاوون وقد ذكرنا منه ما يتعلق بالاندلس في الباب الثاني من القسم الاول وقال بعد ذلك فيما يتعلق بالخلع المذكور مانصه ولما صير الله الينا تراثهم الهني وأمرهم السني وبناءهم العادي وملكهم الجهادي اجرانا وله الطول على سننهم ورفع أعلامنا في هضابهم المشرفة وقننهم وجلا فيهم خير حل ونظم بنا لهم أي شمل وألبس أيامنا سلما فسح الداره وأحكم الاداره وهنأ الاماره ومكن العماره وأمن في البحر والبر السياره والعباره لولا ما طرقهم فينا من تمحيص أجلى عن تخصيص وتمحيص تيسره بعد تخليص ومرام عويص نبثكم بثه ونوالي لديكم حثه ونجمع منبثه فان في الحوادث ذكرا ومعروف الدهر لا يؤمن أن يعود نكرا وشر الوجود معاقب بخيره والسعيد من اتعظ بغيره والحزم أفضل ما اليه ينتسب وعقل التجربة بالمرانة يكتسب وهو أن بعضا من ينسب الينا بوشائج الاعراق لا بمكارم الاخلاق ويمت الينا بالقرابة البعيدة لا بالنصبة السعيدة ممن كفلناه يتيما وصنا ذميما ماشيما وبوأناه مبوأ كريما بعد أن نشأ حرفوشا ذميما وملعونا لئيما ونوهناه من خموله بالولاية ونسخنا حكم نسخه بآية العناية داخلنا اخاءلما كنا ألزمناه الاقتصار على قصره ولم نجعل أداة تدل على حصره وساعناه في كثير من أمره ولم نرتب بزيده ولا عمره واغتررنا برماد علا على جمره فاستدعى له من الصعاليك شيعة كل دوب بفك الاغلاق وتسرب أنفاق النفاق وخارق للاجماع والاصفاق وخبير بمكان الخراب ومذاهب الفساق وتسوّر بهم التابعة من ثلم شرع في سده بعد هدّه ولم تكمل الاقدار المميزة لي لله آثرنا مبيتنا ببعض البساتين خارج قصورنا واستنبنا من يضطلع بامورنا فاستتم الحيلة التي شرعها واقتحم القلعة وافترعها وجدّل حرس النوبة وصرعها وكبس محل النائب عنا وجدّله ولم ينشب أن جدّله واستخرج الاخ البائس فنصبه وشد به تاج الولاية وعصبه وابتز أمرنا وغصبه وتوهم الناس أن الحادثة على ذاتنا قد تمت والدائرة بنا قد ألمت ولقد همت نخذل الناصر وانقطعت الاواصر وأقدم المتقاصر واقتحمت الابهاء والمقاصر وتفرقت الاجزاء وتحللت العناصر وفقد من عين الاعيان النور الباصر فأعطوه طاعة معروفة وأصبحت الوجوه اليه مصروفة وركضنا وسرعان الخيل تقفو اثرنا وتحاولنا والظلام يخفيها وتكفي علينا السماء والله يكفيها الى أن خلصنا الى مدينة وادي آش خلوص القمر من السرار لا نملك الا نفسا مسلمة لحكم الاقدار ملقية لله مقادة الاختيار مطلوبة بموجب الاستقرار وناصحنا أهل تلك المدينة فعملوا على الحصار واستبصروا في الدفاع عنا أتم الاستبصار ورضوا البيوتهم المصحرة وبساتينهم المستبحرة بفساد الحديد وعيات النار ولم يرضوا لجوارهم بالاخفار ولا لنفوسهم بالعار الى أن كان الخروج عن الوطن بعد خطوب تسبح فيها الاقلام سجاطويلا وتوسعها الشجون شرحا وتأويلا وتلقي القصص منها على الآذان

وأوليائهم قال العلاء فاني لمع سليمان وهو يشرب حذاء رصافة أبيه وذلك في آخر

عما أصب في بني أمية أيام يزيد الناقص وعنده حكم الوادي وهو يغنيه بشعر العرجي

ان الحبيب تروحت أجماله
اصلا فدمعك دائم اسباله
افي الحياة فقد بكيت بعولة
لو كان ينفع باكيا اعواله
ياحبذا تلك الحمول وحبذا
شخص هنالك وحبذا امثاله

فاجاد ما شاء فشرب سليمان بالرطل وشربنا معه حتى توسدنا ايدينا فلم أنتبه الا بتحريك سليمان اياي فقمت اليه مسرعا فقلت ماشان الامير فقال لي على رسلك رايت كأني في مسجد دمشق وكأن رجلا في يده خنجر وعليه تاج ارى بصيص ما فيه من جوهر وهو رافع صوته بهذه الابيات

ابني اميه قد دنا تشتيتكم
وذهاب ملككم وان لا يرجع
وينال صفوته عدو ظالم
للمحسنين اليه ثم يفجع
بعد الممات بكل ذكر صالح
ياويله من قبح ما قد يصنع

فقلت يسل لا يكون ذلك وعجبت من حفظه ولم يكن من اصحاب ذلك فوجم ساعة ثم قال ياحميري بعيد ما ياتي به الزمان قريب قال فاجتمعنا على شراب بعد ذلك ودخلت سنة اثنتين وثلاثين ومائة وكان من أمر المسودة ومروان بن محمد الجعدي

قولا ثقيلا وجزنا البحر وضلوع موجه اشفاقا علينا تخفق وأكف رياحه حسرة تصفق ونزلنا من جناب سلطان بنى مرين على المثوى الذى رحب بنا ذرعه ودل على كرم الاصول فرعه والكريم الذى وهب فاجزل ونزل لنا عن الصهوة وتنزل وخير وحكم ورد على الدهر الذى تحكم واستعبر وتبسم وآلى واقسم وبسمل وقدم واستركب لنا واستخدم ولما بدا لمن وراءنا سيئات ما كسبوا وحققوا ما حسبوا وطفا الغثاء ورسبوا ولم ينشب الشقى الخزى أن قتل البائس الذى موه بزيفه وطوقه بسيفه ودل ركب المخافة على خيفه اذ أمن المضعوف من كيده وجعل ضرغامه بازيا لصيده واستقل على أريكته استقلال الظليم على تريكته حاسر الهامة متنفقا بالشجاعة والشهامة مستظهرا باولى الجهالة والجهامة وساءت فى محاولة عدو الدين سيرته ولما حصحص الحق انكشفت سريرته وارتابت لجبنه المستور جيرته وفتح عليه طاغية الروم بابه فالتقمه ومد عليه الصليب ذراعه فراعه وشد الكفر عليه يده فما عضده الله ولا أيده وتخرمت ثغور الاسلام بعد انتظامها وشكت اليه باهتضامها وغصت باشلاء عباد الله وعظامها وظهور أوضامها وو كلت السنة والجماعة وانقطعت من النجع الطماعة واشتدت المجاعة وطلعت شمس دعوتنا من المغرب فقامت عليها الساعة وركبنا البحر تكاد جهتاه تتقارب تيسيرا ورياحه لا تعرف فى غير وجهتنا مسيرا وكأن ماءه ذوب لجين اكسيرا ونهضنا يتقدمنا الرعب ويتقدمنا الدعاء وتحاجى بنا الاشارة ويخفرنا الاستدعاء وأقصر الطاغية عن البلاد بعد أن ترك ثغورها مهتومة والاخافة عليها محتومة وطوابعها مفضوضة وكانت بنا مختومة وأخذت الخائن الصيحة فاختبل وظهر تهوره الذى عليه جبل فجمع أوباش السفلة وأوشابه وبهرجه الذى غش به المحض وشابه وعمد الى الذخيرة التى صانتها الاغلاق الحريزة والمعاقل العزيزة فلا بها المناطق واستوعب الصامت والناطق والوشح والقراطق واحتمل عدد الحرب والزينة وخرج ليلا عن المدينة واقتضت آراؤه الفائلة ونعامته الشائلة ودولة بغيه الزائلة أن قصد طاغية الروم بقضه وقضيضه وأوجه وحضيضه وطويله وعريضه من غير عهد اقتضى وثيقته ولا أمر عرف حقيقته الا ما أمل اشتراطه من تبديل الكلمة واستئصال الامة المسلمة فلم يكن الا أن تحصل فى قبضته ودنا من مضجع ربضته واستشار نصحاءه فى أمره وحكم الحيلة فى جناية غدره وشهره ببلده وتولى قتله بيده وألحق به جميع من أمده فى غيه وظاهره على سوء سعيه وبعث الينا برؤسهم فنصبت بسور غدرها وقلدت لبة تلك البنية بشذرها وأصبحت عبرة للمعتبرين وآية للمستبصرين وأحق الله الحق بكلماته وقطع دابر الكافرين وعدنا الى أريكة ملكنا كما رجع القمر الى بيته بعد كيته وكيته أو العقد الى جيده بعد انتثار فريده أو الطير الى وكره مفلتا من غول الشرك ومكره ينظر الناس الينا بعيون لم ترومذ غبنا من حيا رحمة ولا طشت عليها بعدنا غمامة رحمة ولا باتت للسياسة فى ذمة ولا ركنت لدين ولا همة فطوينا بساط العتاب على الكتاب وعاجلنا سطور المؤاخذة بالاضطراب وآنسنا نفوس أولى الاقتراف بالاقتراب وسهلنا الوصول

ما كان وذكر المنقرى قال سئل بعض شيوخ بنى أمية ومحصليها عقيب زوال الملك عنهم الى بنى العباس ما كان سبب زوال ملككم قال انا شغلنا بلذاتنا عن تفقد ما كان تفقده يلزمنا فظلمنا رعيتنا فيئسوا من انصافنا وتمنوا الراحة منا وتحومل على أهل خراجنا فتخلوا عنا وخربت ضياعنا فخلت بيوت أموالنا ووثقنا بوزرائنا فآثروا مرافقهم على منافعنا وأمضوا أمورا دوننا أخفوا علمها عنا وتأخر عطاء جندنا فزالت طاعتهم لنا واستدعاهم أعادينا فظافروهم على حربنا وطلبنا أعداؤنا فعجزنا عنهم لقلة أنصارنا وكان استتار الاخبار عنا من أوكد أسباب زوال ملكنا

(ذكر السبب فى العصبية بين النزارية واليمانية)

ذكر أبو الحسن على بن محمد بن سليمان النوفلى قال حدثنى أبى قال لما قال الكميت بن زيد الاسدى من أسد مضر بن نزار الهاشميات قدم البصرة فأتى الفرزدق فقال يا أبا فراس انا ابن اخيك قال ومن أنت فانتسب له فقال صدقت فما حاجتك قال نفث على لسانى وانت شيخ مضر وشاعرها واحببت ان اعرض عليك ما قلت فان كان حسنا أمرتنى باذاعته وان كان غير ذلك أمرتنى

الينا واستغفرنا الله لنفسنا ولمن جنى علينا فلا تسألوا عما آثار ذلك من استدراك ندم ورسوخ قدم واستمتاع بوجود بعد عدم فسبحان الذي يمحص ليثيب ويأمر بالدعاء ليجيب وينبه من الغفلة ويهيب ويجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب ورأينا أن نطالع علومكم الشريفة بهذا الواقع تسنيبا للفاتحة المعتمدة وتمهيدا للوالاة المجددة فأخبار الاقطار مما تنفقه الملوك على أسمارها وترقم بدائعه هالات أقمارها وتستفيد منه حسن السير والامان من الغير وتستعين على الدهر بالتجارب وتستدل بالشاهد على الغائب وبلادكم ينبوع الخير وأهله ورواق الاسلام الذي أوى قريبه وبعيده الى ظله ومطلع نور الرسالة وأفق الرحمة المنثالة منه تقدم علينا الكواكب تضرب آباط افلاكها وتختال مداريها المذهبة غدائر أحلاكها وتستعلي البدور ثم يدعوها الى المغرب الحدور وتطلع الشمس متجردة من كمائم لياليها متهادية في دركات ميلها ثم تسحب الى الغروب فضل ذيلها ومن تلقائكم ورد العلم والعمل وأرعى الهمل فنحن نستوهب من مظان الاجابة لديكم دعاء يقوم لنا مقام المدد ويعدل منه الشئ بالمال والعدد ففي دعاء المؤمن بظهر الغيب مافيه مما ورد واياه سبحانه نسأل أن يدفع عنا وعنكم دواعي الفتن وغوائل المحن ويحملنا على سنن السنن ويلبسنا من تقواه أوقى الجنن وهو سبحانه يصل لابوتكم ما تستقل لدى قاضي القضاة رسومه فتكتب حقوقه وتكبت خصومه ولا تكلفه الايام ولا تسومه بفضل الله وعزته وكرمه ومنته والسلام الكريم الطيب المبارك بدأ بعد عود وجود اثر جود ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى

وللسان الدين بن الخطيب رحمه الله عن سلطانه المذكور كتاب آخر في هذه الكائنة الى كبير الموحدين أبي محمد عبد الله بن تفراجين ولعلنا نذكره ان شاء الله تعالى في الباب الخامس من هذا القسم عند تعرضنا لبعض نثر لسان الدين رحمه الله تعالى وقد ساق هذه القضية قاضي القضاة الشهير الكبير ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي رحمه الله تعالى في تاريخه الكبير في ترجمة السلطان الشهير أبي سالم ابن السلطان أبي الحسن المريني صاحب المغرب بما نصه الخبر عن خلع ابن الاحمر صاحب غرناطة ومقتل رضوان ومقدمه على السلطان لما هلك السلطان أبو الحجاج سنة خمس وخمسين وسبعمائة ونصب ابنه محمد للامر واستبد عليه رضوان مولى أبيه وكان قد رشح ابنه الاصغر اسمعيل بما ألقى عليه وعلى أمه من محبته فلما عدلوا بالامر عنه حجبوه ببعض قصورهم وكان له صهر من ابن عمه محمد بن اسمعيل ابن ابن الرئيس أبي سعيد فكان يدعوه سرا الى القيام بأمره حتى أمكنته فرصة في الدولة بخروج السلطان الى بعض منتزهاته برياضه فصعد سور الحمراء ليلة سبع وعشرين لرمضان من سنة ستين في أوشاب جمعهم من الطغام لثورته وعمد الى دار الحاجب رضوان فاقتحم عليه الدار وقتله بين حرمه وبناته وقربوا الى اسمعيل فرسه وركب فادخلوه القصر وأعلنوا ببيعته وقرعوا طبولهم بسور الحمراء وفر السلطان من مكانه بمنتزهه فلحق بوادي آش وغدا الخاصة والعامة على اسمعيل فبايعوه واستبد عليه هذا الرئيس ابن عمه لخلعه لاشهر من بيعته واستقل بسلطان الاندلس ولحق السلطان أبو عبد الله محمد

طربت وماشوقا الى البيض اطرب
ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب

قال بلى فالعب فقال

ولم يلهني دار ولا رسم منزل
ولم يتطربني بنان مخضب

قال فما يطربك اذا قال

وما انا ممن يزجر الطير همه
اصاح غراب او تعرض ثعلب

قال فأنت ويحك والى من تسمو فقال

ولا السانحات البارحات عشية
امر سليم القرن ام مر اعضب

قال اما هذا فقد احسنت فيه فقال

ولكن الى أهل الفضائل والنهى
وخير بني حواء والخير يطلب

قال من هم ويحك قال

الى النفر البيض الذين بحبهم
الى الله فيما نابني اتقرب

قال ارحني ويحك من هؤلاء قال

بني هاشم رهط النبي فانني
بهم ولهم ارضى مرارا واغضب

قال لله درك يا بني أصبت فاحسنت اذ عدلت عن الزعانف والاوباش اذا لا يصرد سهمك ولا يكذب قولك ثم مر فيها فقال له أظهر ثم أظهر وكد

بوادي آش بعد مقتل حاجبه رضوان واتصل الخبر بالمولى السلطان أبي سالم امتعض لمهلك رضوان وخلع السلطان رعيا لما سلف له في جوارهم وازعج لحينه أبا القاسم الشريف من أهل مجلسه لاستقدامه فوصل الى الاندلس وعقد مع أهل الدولة على اجازة المخلوع من وادي آش الى المغرب وأطلق من اعتقالهم الوزير الكاتب أبا عبد الله بن الخطيب كانوا اعتقلوه لاول أمرهم لما كان رديفا للحاجب رضوان وركنا للدولة المخلوع فاوصى المولى أبو سالم اليهم باطلاقه فاطلقوه ولحق مع الرسول أبي القاسم الشريف بسلطانه المخلوع بوادي آش للاجازة الى المغرب وأجاز لذي القعدة من سنته وأقدم على السلطان بفاس وأجل قدومه وركب للقائه ودخل به الى مجلس ملكه وقد احتفل ترتيبه وغص بالمشيخة والعلية ووقف وزيره ابن الخطيب فانشد السلطان قصيدته الرائية يستصرخه لسلطانه ويستحثه لمظاهرته على أمره واستعطف واسترحم بما أبكى الناس شفقة له ورحمة ثم سرد ابن خلدون القصيدة وقد تقدمت (ثم قال بعد ماصورته) ثم انفض المجلس وانصرف ابن الاحمر الى نزله وقد فرشت له القصور وقربت الجياد بالمراكب الذهبية وبعث اليه بالكسا الفاخرة ورتبت الجرايات له ولمواليه من المعلوجي وبطانته من الصنائع وحفظ عليه رسم سلطانه في الراكب والراجل ولم يفقد من ألقاب ملكه الا الالة أدبا مع السلطان واستقر في جملته الى أن كان من لحاقه بالاندلس وارتجاع ملكه سنة ثلاث وستين ما نحن نذكره انتهى المقصود جلبه من كلام ابن خلدون في هذه الواقعة وفيه بعض مخالفة لكلام لسان الدين السابق في اللمحة البدرية اذ قال فيها ان الثورة عليهم كانت ليلة ثمان وعشرين من رمضان وابن خلدون جعلها ليلة سبع وعشرين منه والخطب سهل وقال في اللمحة ان انصراف السلطان من وادي آش كان ثاني يوم النحر وقال ابن خلدون في ذي القعدة ولعله غلط من الكاتب حيث جعل مكان الحجة القعدة ورائية ابن الخطيب التي ذكرها هي من حر كلامه وغرر شعره على أنه كله غرر اذ جمع فيها المطلوب في ذلك الوقت بأبدع لفظ وأحسن عبارة في ذلك المحفل العظيم ولم نزل نسمع في المذاكرات بالمغرب أنه لما انتهى فيها الى قوله * فقد أنجح المسعى وقد ربح التجر قال له بعض من حضر ولعله أراد الغض منه أحسنت يا وزير فيما قلت وفي وصف الحال والسلطان غير أنه بقي عليك شيء وهو ذكر قرابة السلطان موالينا بني مرين وهم من هم ولا ينبغي السكوت عنهم فارتجل ابن الخطيب حينئذ قوله ومن دون ما تبغيه الى آخره حتى تخلص لمدح بني مرين أقارب السلطان بما لا مرمى وراءه ثم قال بعد ذلك معتذرا أمولاي غاضت فكرتي الى آخره وهذا ان صح أبلغ مما وقع لابي تمام في سينيته حيث قال لا تنكروا ضربي له البيتين لان أبا تمام ارتجل بيتين فقط ولسان الدين ارتجل تسعة عشر بيتا مع ما هو عليه من الخروج عن الوطن وذهاب الجاه والمال فاين الحال من الحال وقد ذكر ابن خلدون رحمه الله تعالى في تاريخه قضية اعتقال لسان الدين وخلع سلطانه في موضع آخر ولنذكره وان سبق بعضه لاشتماله على منشا الوزير لسان الدين وجملة من أحواله الى قريب من مهلكه فنقول قال رحمه الله تعالى بعد ذكره عبد الله والد لسان الدين وأنه انتقل من لوشة الى غرناطة واستخدم لملوك بني الاحمر واستعمل على مخازن الطعام ما محصله ونشا ابنه محمد هذا

الاعداء فانت والله أشعر من مضى واشعر من بقي فحينئذ قدم المدينة فأتى أبا جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن علي رضي الله عنهم فأذن له ليلا وأنشده فلما بلغ من الميمية قوله

وقتيل بالطف غودر منهم
بين غوغاء أمة وطغام

بكى أبو جعفر ثم قال يا كميت لو كان عندنا مال لاعطيناك ولكن لك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت لازلت مؤيدا بروح القدس ما ذببت عنا أهل البيت فخرج من عنده فأتى عبد الله بن الحسن بن علي فانشده فقال يا أبا المستهل ان لي ضيعة أعطيت فيها أربعة آلاف دينار وهذا كتابها وقد أشهدت لك بذلك شهودا وناوله اياه فقال بأبي أنت وأمي اني كنت أقول الشعر في غيركم أريد بذلك الدنيا والمال ولا والله ما قلت فيكم الا لله وما كنت لآخذ على شيء جعلته لله مالا ولا ثمنا فألح عبد الله عليه وأبى من اعفائه فاخذ الكميت الكتاب ومضى فمكث أياما ثم جاء الى عبد الله فقال بأبي أنت وامي يا ابن رسول الله ان لي حاجة قال وما هي وكل حاجة لك مقضية قال كائنة ما كانت قال نعم قال هذا الكتاب تقبله وترتجع الضيعة ووضع الكتاب بين يديه فقبله عبد الله

يعني لسان الدين بن الخطيب بغرناطة وقرأ وتأدب على مشيختها واختص بصحبة الحكيم
المشهور يحيى بن هذيل وأخذ عنه العلوم الفلسفية وبرز في الطب وانتحل الادب وأخذ عن
أشياخه وامتلأ من حول اللسان نظمه ونثره مع انتقاء الجيد منه ونبغ في الشعر والترسيل
بحيث لا يجارى فيهما وامتدح السلطان أبا الحجاج من ملوك بني الاحمر لعصره وملأ
الدنيا بمدائحه وانتشرت في الآفاق فرقاه السلطان الى خدمته وأثبته في ديوان الكتاب
ببابه مرؤسا بأبي الحسن بن الجياب شيخ العدوتين في النظم والنثر وسائر العلوم الادبية
وكاتب السلطان بغرناطة من لدن أيام محمد المخلوع من سلفه عندما قتل وزيره محمد بن الحكيم
المستبد عليه فاستبد ابن الخطيب برياسة الكتاب ببابه مثناة بالوزارة ولقبه بها فاستقل
بذلك وصدرت عنه غرائب من الترسيل في مكاتبات جيرانهم من ملوك العدوة ثم داخله
السلطان في تولية العمال على يده بالمشارطات فجمع له بها أموالا وبلغ به في المخالصة الى حيث
لم يبلغ باحد من قبله وسفر عنه الى السلطان ابن عنان ملك بني مرين بالعدوة معزيا بأبيه
السلطان أبي الحسن فخلى في أغراض سفارته ثم هلك السلطان أبو الحجاج سنة خمس وخمسين
وسبعمائة عدا عليه بعض الزعانف في سجوده للصلاة وطعنه فأشواه وفاظ لوقته وتعاورت
سيوف الموالي المعلوجي هذا القاتل فمزقوه أشلاء وبويع ابنه محمد لوقته وقام بأمره مولاهم
رضوان الراسخ القدم في قيادة عساكرهم وكفالة الاصاغر من ملوكهم واستبد بالدولة
وأفرد ابن الخطيب بوزارته كما كان لابيه وجعل ابن الخطيب رديفا لرضوان في أمره
ومشاركا في استبداده معه فجرت الدولة على أحسن حال وأقوم طريقة ثم بعثوا الوزير ابن
الخطيب سفيرا الى السلطان أبي عنان مستمدين منه على عدوهم الطاغية على عادتهم مع
سلفه فلما قدم على السلطان ومثل بين يديه تقدم الوفد الذين معه من وزراء الاندلس
وفقهائها واستأذنه في انشاد شعر قدمه بين يدي نجواه فأذن له وأنشد وهو قائم

خليفة الله ساعد القدر * علاك ما لاح في الدجى قمر
ودافعت عنك كف قدرته * ما ليس يستطيع دفعه البشر
وجهك في النائبات بدر دجى * لنا وفي المحل كفك المطر
والناس طرا بأرض أندلس * لولاك ما أوطنوا ولا عمروا
وجملة الامر انه وطن * في غير علياك ماله وطر
ومن به مذ وصلت حبلهم * ما جحدوا نعمة ولا كفروا
وقد أهمتهم بأنفسهم * فوجهوني اليك وانتظروا

فاهتز السلطان لهذه الابيات وأذن له في الجلوس وقال له قبل أن يجلس ما ترجع اليهم الا
بجميع طلباتهم ثم أثقل كاهلهم بالاحسان وردهم بجميع ما طلبوه وقال شيخنا القاضي
أبو القاسم الشريف وكان معه في ذلك الوفد لم نسمع بسفير قضى سفارته قبل ان يسلم على
السلطان الا هذا ومكثت دولتهم هذه بالاندلس خمس سنين ثم ثار بهم محمد الرئيس ابن
عم السلطان شركه في جده الرئيس ابي سعيد وتحين خروج السلطان الى منتزهه خارج
الحمراء وتسور دار الملك المعروفة بالحمراء وكبس رضوان في بيته فقتله ونصب للملك اسمعيل

ونهض عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فأخذ ثوبا جلدا فدفعه الى أربعة من
غلمانه ثم جعل يدخل
دور بني هاشم ويقول
يا بني هاشم هذا الكميت
قال فيكم الشعر حين صمت
الناس عن فضلكم وعرض
دمه لبني أمية فأثيبوه بما
قدر ثم فيطرح الرجل في
الثوب ما قدر عليه من
دنانير ودراهم وأعلم
النساء بذلك فكانت المرأة
تبعث ما أمكنها حتى انها
لتخلع الحلي عن جسدها
فاجتمع من الدنانير
والدراهم ما قيمته مائة
ألف درهم فجاء بها الى
الكميت فقال يا أبا
المستهل أتيناك بجهد
المقل ونحن في دولة عدونا
وقد جمعنا هذا المال وفيه
حلي النساء كما ترى فاستعن
به على دهرك فقال بأبي
أنت وأمي قد أكثرتم
وأطبتم وما أردت بمدحي
اياكم الا الله ورسوله ولم اك
لآخذ لذلك ثمنا من
الدنيا فاردده الى أهله
فجهد به عبد الله أن يقبله
بكل حيلة فأبى فقال ان
أبيت أن تقبل فاني رأيت
أن تقول شيأ تغضب به
بين الناس لعل فتنة
تحدث فيخرج من بين
أصابعها بعض ما يحب
فابتدأ الكميت وقال قصيدته التي يذكر فيها مناقب قومه من مضر بن نزار بن معد وربيعة بن

ابن السلطان أبي الحجاج بما كان صهره على شقيقته وكان معتقلا بالحمراء فأخرجه وبايع له وقام بأمره مستبدا عليه واحس السلطان محمد بقرع الطبول وهو بالبستان فركب ناجيا الى وادي آش وضبطها وبعث بالخبر الى السلطان ابي سالم اثر ما استولى على ملك آبائه بالمغرب وقد كان مثواه ايام اخيه ابي عنان عندهم بالاندلس واعتقل الرئيس القائم بالدولة هذا الوزير ابن الخطيب وضيق عليه في محبسه وكانت بينه وبين الخطيب ابن مرزوق مودة استحكمت أيام مقامه بالاندلس وكان غالبا على هوى السلطان ابي سالم فزين له استدعاء هذا السلطان المخلوع من وادي آش يعده زبونا على اهل الاندلس ويكف به عادية القرابة المرشحين هنالك متى طمعوا الى ملك المغرب فقبل ذلك منه وخاطب أهل الاندلس في تسهيل طريقه من وادي آش اليه وبعث من أهل مجلسه الشريف أبا القاسم التلمساني وحمله مع ذلك الشفاعة في ابن الخطيب وحل معتقله فاطلق وصحب الشريف أبا القاسم الى وادي آش وسار في ركاب سلطانه وقدموا على السلطان أبي سالم فاهتز لقدوم ابن الاحمر وركب في الموكب لتلقيه وأجلسه ازاء كرسيه وأنشد ابن الخطيب قصيدته يستصرخ السلطان لنصرته فوعده وكان يوما مشهودا ثم أكرم مثواه وأرغد نزله ووفر أرزاق القادمين مع ركابه وأرغد عيش ابن الخطيب في الجراية والاقطاع ثم استأذن السلطان في التجوال بجهات مراكش والوقوف على أعمال الملك بها فاذن له وكتب الى العمال بإتحافه فتباروا في ذلك وحصل منه على حظ وعند مامر بسلا اثر قفوله من سفره دخل مقبرة الملوك بشالة ووقف على قبر السلطان أبي الحسن وأنشد قصيدة على روى الراء يرثيه ويستجير به في استرجاع ضياعه بغرناطة مطلعها

ان بان منزله وشطت داره * قامت مقام عيانه أخباره

قسم زمانك عبرة أو عبرة * هذي ثراه وهذه آثاره

فكتب السلطان أبو سالم في ذلك الى أهل الاندلس بالشفاعة فشفعوه واستقر هو بسلا متبذا عن سلطانه طول مقامه بالعدوة ثم عاد السلطان محمد المخلوع الى ملكه بالاندلس سنة ثلاث وستين وسبعمائة وبعث عن مخلفه بفاس من الاهل والولد والقائم بالدولة يومئذ الوزير عمر بن عبدالله بن علي فاستقدم ابن الخطيب من سلا وبعثهم لنظره فسر السلطان لقدومه ورده الى منزلته كما كان مع رضوان كافله وكان عثمان بن يحيى بن عمر شيخ الغزاة وابن أشياخهم قد لحق بالطاغية ملك النصارى في ركاب أبيه عندما أحس بالشر من الرئيس صاحب غرناطة وأجاز يحيى من هنالك الى العدوة وأقام عثمان بدار الحرب فصحب السلطان في مثوى اغترابه هنالك وتقلب في مذاهب خدمته وانحرفوا عن الطاغية عند مايئسوا من الفتح على يده فتحولوا عنه الى ثغور بلادهم وخاطبوا الوزير عمر بن عبدالله في أن يمكنهم من بعض الثغور الغربية التي لطاعتهم بالاندلس يرتقبون منها الفتح وخاطبني السلطان المخلوع في ذلك وكانت بيني وبين عمر بن عبدالله ذمة مرعية وخاصة متأكدة فوفيت للسلطان بذلك من عمر بن عبدالله وحملته على أن يرد عليه مدينة رندة اذهي من تراث سلفه فقبل اشارتي في ذلك وتسوغها السلطان المخلوع ونزل بها وعثمان بن يحيى في جملته وهو

نزار وإياد وأنمار ابني نزار ويكثر فيها من تفضيلهم ويطنب في وصفهم وأنهم أفضل من قحطان فغضب بها ابن اليمانية والنزارية فيما ذكرناه وهي قصيدته التي أولها

ألا حييت عنا يا مدينا
وهل ناس تقول مسلمينا

الى أن انتهى الى قوله تصريحا وتعريضا باليمن فيما كان من أمر الحبشة وغيرهم فيها وهو قوله

لنا قمر السماء وكل نجم
تشير اليه أيدي المهتدينا

وجدت الله اذ سمى نزارا
وأسكنهم بمكة قاطنينا

لنا جعل المكارم خالصات
وللناس القفا ولنا الجبينا

وما ضربت هجائن من نزار
فوالج من فحول الاعجمينا

وما حملوا الحمير على عتاق
مطهرة فيلفوا مبلغينا

وما وجدت بنات بني نزار
حلائل أسودين وأحمرينا

وقد نقض دعبل بن علي الخزاعي هذه القصيدة على الكميت وغيرها وذكر مناقب اليمن وفضائلها من ملوكها وغيرها وصرح وعرض بغيرهم كما فعل الكميت وذلك في قصيدته التي أولها

أفيقي من ملامك يا ظعينا
كفاك اللوم مر الاربعينا

ألم تحزنك أحداث الليالي
يشيبن الذوائب والقرونا

أحيي الغر من سروات قومي * لقد حييت عنا يا مدينا

فان يك آل اسرائيل منكم * وكنتم بالاعاجم فاخرينا

المقدم فى بطانته ثم غزوا منها مالقة فكانت ركابا للفتح وملكها السلطان واستولى بعدها على دار ملكه بغرناطة وعثمان بن يحيى متقدم القدم فى الدولة عريق فى الخالصة وله على السلطان دالة واستبداد على هواه فلما وصل ابن الخطيب باهل السلطان وولده واعاده الى مكانه فى الدولة من علو يده وقبول اشارته ادركته الغيرة من عثمان ونكر على السلطان الاستكفاء به واراه التخوف من هؤلاء الاعياض على ملكه فحذره السلطان واخذ فى التدبير عليه حتى نكبه واباه واخوته فى رمضان سنة اربع وستين وسبعمائة واودعهم المطبق ثم غربهم بعد ذلك وخلا لابن الخطيب الجو وغلب على هوى السلطان ودفع اليه تدبير الدولة وخلط بنيه بندمائه واهل خلوته وانفرد ابن الخطيب بالحل والعقد وانصرفت اليه الوجوه وعلقت به الآمال وغشى بابه الخاصة والكافة وغصت به بطانة السلطان وحاشيته فتفننوا فى السعايا فيه وقدهم السلطان عن قبولها ونمى الخبر بذلك الى ابن الخطيب فشمر عن ساعده فى التفويض واستخدم للسلطان عبد العزيز ابن السلطان أبى الحسن ملك العدوة يومئذ فى القبض على ابن عمه عبد الرحمن بن أبى يفلوسن ابن السلطان أبى على ابن السلطان أبى سعيد ابن السلطان يعقوب بن عبد الحق كانوا قد نصبوه شيخا على الغزاة بالاندلس لما أجاز من العدوة بعد ما جاس خلالها لطلب الملك وأضرم بها نار الفتنة فى كل ناحية وأحسن دفاعه الوزير عمر بن عبد الله القائم حينئذ بدولة بنى مرين فاضطر الى الاجازة الى الاندلس وأجاز هو ووزيره مسعود بن ماساى ونزلوا على السلطان المخلوع أعوام سبعة وستين وسبعمائة فاكرم نزلهم وتوفى على بن بدر الدين شيخ الغزاة فقدم عبد الرحمن مكانه وكان السلطان عبد العزيز قد استبد بملكه بعد مقتل الوزير عمر بن عبد الله فغص بما فعله السلطان المخلوع من ذلك وتوقع انتقاض امره منهم ووقف على مخاطبات من عبد الرحمن يسربها فى بنى مرين فجزع لذلك وداخله ابن الخطيب فى اعتقال ابن أبى يفلوسن وابن ماساى واراحة نفسه من شغبهم على أن يكون له المكان من دولته متى نزع اليه فأجابه الى ذلك وكتب له العهد بخطه على يد سفيره الى الاندلس وكاتبه أبى يحيى بن أبى مدين وأغرى ابن الخطيب سلطانه بالقبض على ابن أبى يفلوسن وابن ماساى فقبض عليهما واعتقلهما وفى خلال ذلك استحكمت نفرة ابن الخطيب لما بلغه عن البطانة من القدح فيه والسعاية وربما تخيل أن السلطان مال الى قبولها وأنهم قد أحفظوه عليه فأجمع التحول عن الاندلس الى المغرب واستأذن السلطان فى تفقد الثغور وسار اليها فى لمة من فرسانه وكان معه ابنه على الذى كان خالصة للسلطان وذهب لطيته فلما حاذى جبل الفتح فرضة المجاز الى العدوة مال اليه وسرح اذنه بين يديه فخرج قائد الجبل لتلقيه وقد كان السلطان عبد العزيز اوعز اليه بذلك وجهز له الاسطول من حينه فاجاز الى سبتة وتلقاه ولاتها بانواع التكرمة وامتثال المراسم ثم سار لقصد السلطان فقدم عليه سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة بمقامه من تلمسان فاهتزت له الدولة وأركب السلطان خاصته لتلقيه وأحله من مجلسه بمحل الامن والغبطة ومن دولته بمكان التنويه والعزة وأخرج لوقته كاتبه أبا يحيى بن أبى مدين سفيرا الى صاحب الاندلس فى طلب أهله وولده فجاء بهم على أكمل حالات الامن والتكرمة ثم أكثر المنافسون له فى شأنه وأغروا

وماطاب الكميت طلاب وتر
ولكنا النصر تناهجينا
لقد علمت نزار أن قومى
الى نصر النبوة فاخرينا

وهى طويلة وفى قول الكميت فى النزارية واليمانية وافتخرت نزار على اليمن وافتخرت اليمن على نزار وأدلى كل فريق عاله من المناقب وتحزبت الناس وثارت العصبية فى البدو والحضر فنتج بذلك أمر مروان بن محمد الجعدى وتعصبه لقومه من نزار على اليمن وانحراف اليمن عنه الى الدعوة العباسية وتغلغل الامر الى انتقال الدولة عن بنى أمية الى بنى هاشم ثم ما تلا ذلك من قصة معن بن زائدة باليمن وقتله أهلها تعصبا لقومه من ربيعة وغيرها من نزار وقطعه الحلف الذى كان بين اليمن وربيعة فى القدم وفعل عقبة بن سالم بعمان والبحرين وقتله عبد القيس وغيرهم من ربيعة كيادا لمعن وتعصبا من عقبة بن سالم لقومه من قحطان وغير ذلك مما تقدم وتأخر مما كان بين نزار وقحطان

(ذكر أيام مروان بن محمد بن مروان بن الحكم وهو الجعدى) بويع مروان بن محمد بن

ساءاته بتتبع عثراته وابداء ما كان كامنا فى نفسه من سقطاته واحصاء معايبه وشاع على السنة اعدائه كلمات منسوبة الى الزندقة أحصوها عليه ونسبوها ورفعت الى قاضى الحضرة ابى الحسن بن الحسن فاسترعاها وسجل عليه بالزندقة وراجع صاحب الاندلس رأيه فيه وبعث القاضى ابن الحسن الى السلطان عبد العزيز فى الانتقام منه بتلك السجلات وامضاء حكم الله فيه فصم عن ذلك وأنف لذمته أن تخفر ولجواره أن يرد وقال لهم هلا انتقمتم منه وهو عندكم وأنتم عالمون بما كان عليه وأما أنا فلا يخلص اليه بذلك أحد ما كان فى جوارى ثم وفر الجراية والاقطاع له ولبنيه ولمن جاء من أهل الاندلس فى جملته فلما هلك السلطان عبد العزيز سنة أربع وسبعين وسبعمائة ورجع بنو مرين الى المغرب وتركوا تلمسان سار هو فى ركاب الوزير أبى بكر بن غازى القائم بالدولة فنزل بفاس واستكثر من شراء الضياع وتأنق فى بناء المساكن واغتراس الجنان وحفظ عليه القائم بالدولة الرسوم التى رسمها له السلطان المتوفى واتصلت حاله على ذلك الى أن كان ما نذكره انتهى (وقال) ابن خلدون فى تاريخه ما صورته كان محمد بن الاحمر المخلوع قد رجع من رندة الى ملكه بغرناطة فى جمادى من سنة ثلاث وستين وقتل له الطاغية عدوه الرئيس المنتزى على ملكهم الذى هرب من غرناطة اليه وفاء بعهد المخلوع واستوى على كرسيه واستقل بملكه ولحق به ذاته وكاتب أبيه محمد بن الخطيب فاستخلصه وعقد له على وزارته وفوض اليه فى القيام بملكه فاستولى عليه وملك هواه وكانت عينه ممتدة الى المغرب وسكناه الى أن نزلت به آفة رياسته فكان لذلك يقدم السوابق والوسائل عند ملوكه وكان لابناء السلطان أبى الحسن منهم غيرة من ولد عمهم السلطان أبى على ويحشونهم على أمرهم ولما لحق الامير عبد الرحمن بن أبى يفلوسن بالاندلس اصطفاه ابن الخطيب واستخلصه لنجواه ورفع فى الدولة رتبته اعلى منزلته وحمل السلطان على أن عقد له على الغزاة المجاهدين من زناته مكان بنى عمه من آل عياض فكانت له آثار فى الاضطلاع بها ولما استبد السلطان عبد العزيز بامره استقل بملكه وكان ابن الخطيب ساعيا فى مرضاته عند سلطانه فدس اليه باعتقال عبد الرحمن بن أبى يفلوسن ووزيره مسعود بن ماساى وأدار ابن الخطيب فى ذلك مكره وحمل السلطان عليهما الى أن سطا بهما ابن الاحمر واعتقلهما سائر أيام السلطان عبد العزيز ثم تغير الجو بين ابن الاحمر ووزيره ابن الخطيب وأظلم وتنكر له فنزع عنه الى عبد العزيز سلطان المغرب سنة ثنتين وسبعين وسبعمائة لما قدم من الوسائل ومهد من السوابق فقبله السلطان وأحله من مجلسه محل الاصفياء والقرب وخاطب ابن الاحمر فى أهله وولده فبعثهم اليه واستقر فى جملة السلطان ثم تأكدت العداوة بينه وبين ابن الاحمر فرغب السلطان عبد العزيز فى ملك الاندلس وحمله عليه وتواعدوا لذلك عند رجوعه من تلمسان الى المغرب ونمى ذلك الى ابن الاحمر فبعث الى السلطان عبد العزيز بهدية لم يسمع بمثلها انتقى فيها من متاع الاندلس وماعونها وبغالها الفارهة ومعلوجى السبى وجواريه وأوفد بها رسله يطلب اسلام وزيره ابن الخطيب اليه فأبى السلطان من ذلك ونكره ولما هلك السلطان استبد الوزير ابن غازى بالامر تحيز اليه ابن الخطيب وداخله وخاطبه ابن الاحمر فيه بمثل

روان بدمشق يوم الاثنين لاربع

ومائة وقيل اغتاد عالى نفسه بمدينة حران من ديار مضر وبويع له بها وأمه أم ولد يقال لها ريا وقيل طروبة كانت لمصعب بن الزبير فصارت بعد مقتله لمحمد بن مروان أبيه وكان مروان يكنى أبا عبد الملك واجتمع أهل الشام على بيعته الا سليمان بن هشام ابن عبد الملك وغيره من بنى أمية فكانت أيامه منذ بويع بمدينة دمشق من أرض الشام الى مقتله خمس سنين وعشرة أيام وقيل خمس سنين وثلاثة أشهر وكان مقتله فى أول سنة اثنتين وثلاثين ومائة ومنهم من رأى ان ذلك كان فى المحرم ومنهم من رأى انه كان فى صفر وقيل غير ذلك مما تنازع فيه أهل التواريخ والسير على حسب تنازعهم فى مقدار ملكه فمنهم من ذهب الى ان مدته خمس سنين وثلاثة اشهر ومنهم من قال خمسا وشهرين وعشرة أيام ومنهم من قال خمسا وعشرة أيام وكان مقتله ببوصير قرية من قرى الفيوم بصعيد مصر وقد تنوزع فى مقدار سنه كتنازعهم فى مقدار ملكه فمنهم من زعم انه قتل وهو ابن سبعين سنة ومنهم من قال ابن تسع وستين ومنهم من قال اثنتين وستين ومنهم من قال ثمان وخمسين وانما نذكر هذا

ما خاطب السلطان عبد العزيز فلج واستنكف عن ذلك وأقبح الرد وانصرف رسوله اليه
وقد رهب سطوته فاطلق ابن الاحمر لحينه عبد الرحمن بن أبي يفلوسن وأركبه الاسطول
وقذف به الى ساحل بطوية ومعه الوزير مسعود بن ماساى ونهض يعني ابن الاحمر الى جبل
الفتح فنازله بعساكره ونزل عبد الرحمن ببطوية ثم ذكر ابن خلدون كلاما كثيرا تركناه لطوله
وملخصه أن الوزير أبا بكر بن غازى الذى كان تحيز اليه ابن الخطيب ولى ابن عمه محمد بن
عثمان مدينة سبتة خوفا عليها من ابن الاحمر ونهض هو أعني الوزير الى منازلة عبد الرحمن
ابن أبي يفلوسن ببطوية اذ كانوا قد بايعوه فامتنع عليه وقاتله أياما ثم رجع الى تازا ثم الى
فاس واستولى عبد الرحمن على تازا وبينما الوزير أبو بكر بفاس يدبر الرأى اذ وصله الخبر بان
ابن عمه محمد بن عثمان بايع السلطان أحمد بن أبي سالم وهو المعروف بذى الدولتين وهذه هى
دولته الاولى وذلك أن ابن عم الوزير وهو محمد بن عثمان لما تولى سبتة كان ابن الاحمر قد
طاول حصار جبل الفتح وأخذ بمخنقه وتكررت المراسلة بينه وبين محمد بن عثمان والعتاب
فاستعتب له وقبح ما جاء به ابن عمه الوزير أبو بكر بن غازى من الاستغلاظ له في شأن ابن
الخطيب وغيره فوجد ابن الاحمر في ذلك السبيل الى غرضه وداخله في البيعة لابن السلطان
أبي سالم من الابناء الذين كانوا بطنجة تحت الحوطة والرقبة وأن يقيمه للمسلمين سلطانا
ولا يتركهم فوضى وهملا تحت ولاية الصبى الذى لم يبلغ ولا تصح ولايته شرعا وهو السعيد بن
أبي فارس الذى بايعه الوزير أبو بكر بن غازى بتلمسان حين مات أبوه واستبد عليه واختص
ابن الاحمر أحمد بن أبي سالم من بين أولئك الابناء لما سبق بينه وبين أبيه أبي سالم من المواخاة
وكان ابن الاحمر اشترط على محمد بن عثمان وحزبه شروطا منها أن ينزلوا له عن جبل الفتح
الذى هو محاصره وأن يبعثوا اليه جميع أبناء الملوك من بني مرين ليكونوا تحت حوطته
وأن يبعثوا اليه بالوزير ابن الخطيب متى قدروا عليه فانعقد أمرهم على ذلك وتقبل محمد بن
عثمان شروطه وركب من سبتة الى طنجة واستدعى أبا العباس أحمد من مكان اعتقاله
فبايعه وحمل الناس على طاعته واستقدم أهل سبتة للبيعة وكتابتها فقدموا وبايعوا
وخاطب أهل جبل الفتح فبايعوا وأفرج ابن الاحمر عنهم وبعث اليه محمد بن عثمان عن
سلطانه بالنزول له عن جبل الفتح وخاطب أهله بالرجوع الى طاعته فارتحل ابن الاحمر من
مالقة اليه ودخله ومحا دولة بني مرين مما وراء البحر وأهدى للسلطان أبي العباس وأمده
بعسكر من غزاة الاندلس وحمل اليه مالا للاعانة على أمره ولما وصل الخبر بهذا كله الى
الوزير أبي بكر بن غازى قامت عليه القيامة وكان ابن عمه محمد بن عثمان كتب اليه يموه
بأن هذا عن أمره فتبرأ من ذلك ولاطف ابن عمه أن ينقض ذلك الامر فاعتل له بانعقاد البيعة
لابى العباس وبينما الوزير أبو بكر ينتظر اجابة ابن عمه الى ما رامه منه بلغه الخبر بانه
أشخص الابناء المعتقلين كلهم للاندلس وحصلوا تحت كفالة ابن الاحمر فوجم وأعرض
عن ابن عمه ونهض الى تازا لمحاصرة عبد الرحمن بن أبي يفلوسن فاهتبل في غيبته ابن عمه محمد
ابن عثمان ملك المغرب ووصله مدد السلطان ابن الاحمر من رجال الاندلس الناشبة نحو
ستمائة وعسكر آخر من الغزاة وبعث ابن الاحمر رسله الى الامير عبد الرحمن باتصال اليد مع

ابن

الخلاف من قولهم لئلا يظن ظان أننا قد أغفلنا ما ذكروه أو تركنا شيأ مما وصفوه مما اليه قصدنا في كتابينا أخبار الزمان والاوسط وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب جملا من كيفية مقتله وأخباره وجوامع من سيره وحروبه وما كان من أمر الدولتين في ذلك من الماضية وهي الاموية والمستقبلة في ذلك الزمان وهي العباسية مع افرادنا بابا نذكر فيه جوامع تاريخ ملك الامويين وهو الباب المترجم بذكر مقدار المدة من الزمان وما ملكت فيه بنو أمية من الاعوام ثم نعقب ذلك بجمع من أخبار الدولة العباسية وأخبار أبي مسلم وخلافة أبي العباس السفاح ومن تلا عصره من خلفاء بني العباس الى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة من خلافة أبي اسحق المتقي لله ابراهيم بن المقتدر بالله ان شاء الله تعالى والله ولي التوفيق

(ذكر مقدار المدة من الزمان وما ملكت فيه بنو أمية من الاعوام)

كان جميع ملك بني أمية الى أن بويع أبو العباس السفاح ألف شهر كاملة لا تزيد ولا تنقص لانهم ملكوا تسعين سنة وأحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما (قال المسعودي) والناس متباينون في تواريخ أيامهم والمعول

ابن عمه السلطان أحمد ومظاهرته واجتماعهما على ملك فاس وعقد بينهما الاتفاق على أن
يختص عبد الرحمن بملك سلفه ثم تراضيا وزحف محمد بن عثمان وسلطانه الى فاس وبلغ الخبر
الى الوزير أبي بكر بمكانه من تازا فانفض معسكره ورجع الى فاس ونزل بكدية العرائس
وانتهى السلطان أبو العباس أحمد الى زرهون فصمد اليه الوزير بعساكره فاختل مصافه
ورجع على عقبه مفلولا وانتهب عسكره ودخل البلد الجديد وجاء أبا العرب أولاد حسين
بعسكروا بالزيتون ظاهر فاس فنهض اليهم الامير عبد الرحمن من تازا بمن كان معه من العرب
الاحلاف وشردهم الى الصحراء وشارف السلطان أبو العباس أحمد بجموعه من العرب
زناتة وبعثوا الى ونزمار بن عريف بمكانه من قصره الذي اختطه بملوية فجاءهم
وأطلعوه على كامن أسرارهم فأشار عليهم بالاجتماع والاتفاق فاجتمعوا بوادي النجا وتحالفوا
ثم ارتحلوا الى كدية العرائس في ذي القعدة من سنة خمس وسبعين وبرز اليهم الوزير
بعساكره فانهزمت جموعه وأحيط به وخلص الى البلد الجديد بعد غص الريق واضطرب
معسكر السلطان أبي العباس بكدية العرائس ونزل الامير عبد الرحمن بازائه وضربوا على
البلد الجديد سياجا بالبناء للحصار وأنزلوا بها أنواع القتال والارهاب ووصلهم مدد السلطان
ابن الاحمر فأحكموا الحصار وتحكموا في ضياع الوزير ابن الخطيب بفاس فهدموها وعاثوا
فيها ولما كان فاتح سنة ست وسبعين داخل محمد بن عثمان ابن عمه الوزير أبا بكر في النزول
عن البلد الجديد والبيعة للسلطان لكون الحصار قد اشتد به ويئس وأعجزه المال فأجاب
واشترط عليهم الامير عبد الرحمن التجافي له عن أعمال مراكش بدل سجلماسة فعقدوا له
على كره وطووا على المكر وخرج الوزير أبو بكر الى السلطان وبايعه واقتضى عهده بالامان
وتخلية سبيله من الوزارة ودخل السلطان أبو العباس الى البلد الجديد سابع المحرم وارتحل
الامير عبد الرحمن يومئذ الى مراكش واستولى عليها انتهى وقال حفيد السلطان ابن الاحمر
في تاريخه ما صورته لما لحق الرئيس أبو عبد الله بن الخطيب بالمغرب عام اثنين وسبعين
وسبعمائة وكان من وفاة مجيره والمحامي عنه السلطان عبد العزيز ما المعاند كره شد الوزير
أبو بكر بن غازي يده على ابن الخطيب بانيا على أشد الاشياء أن لا يسلمه لمولانا جدنا مع توقع
غضاه واقتدى هذا الوزير بالسلطان عبد العزيز في اعراضه عن العقود الموجهة من
الاندلس بالمقذع من موبقات ابن الخطيب ولج في الغلواء وسجل موجبات الوفاء والبواعث
ومولانا جدنا تتزايد والاساطيل تتجهز والآراء بالقصد الخطير ينتقي منها الصواب ويتخير
الى أن خيم مولانا جدنا بظاهر جبل الفتح وكان اذذاك راجعا الى ايالة المغرب فاناخ عليه كالكل
الجيش وأهمهم ثقل الوطاة ولم يبال مولانا جدنا بما أرسلت آناء الليل وأطراف النهار من
صيب الانفاط والجوار من باب الشطائين قريب والخالصة من الثقات مستريب
في النجاة من تلك الاهوال من الامر الغريب ولم يبق بغرناطة من له خلوص ولا من تترامى
به همة الا واعمل السير الحثيث ولحق بمولانا جدنا لحاق المحب بالحبيب حتى أهل العلم
والجادة والحلم ولا كالسيد الامام الاستاذ أبي سعيد قطب الجملة وعميد الملة وهو
الذي بلغنا نظامه في هذه الوجهة وعندما ألقى عصا التسيار في الجهة القريبة من أولي العداوة

على ما نورده وهو الصحيح عند أهل البحث ومن عني بأخبار هذا العالم وهو أن
(معاوية) بن أبي سفيان
ملك عشرين سنة (ويزيد)
ابن معاوية ثلاث سنين
وثمانية أشهر وأربعة
عشر يوما (ومعاوية) بن
يزيد شهرا وأحد عشر يوما
(ومروان) بن الحكم ثمانية
أشهر وخمسة أيام (وعبد
الملك) بن مروان احدى
وعشرين سنة وشهرا
وعشرين يوما (والوليد)
ابن عبد الملك تسع سنين
وثمانية أشهر ويومين
(وسليمان) بن عبد الملك
سنتين وستة أشهر وخمسة
عشر يوما (وعمر) بن
عبد العزيز رضي الله عنه
سنتين وخمسة أشهر وخمسة
أيام (ويزيد) بن عبد الملك
أربع سنين وثلاثة عشر
يوما (وهشام) بن عبد الملك
تسع عشرة سنة وتسعة
أشهر وتسعة أيام (والوليد)
ابن يزيد بن عبد الملك سنة
وثلاثة أشهر (ويزيد) بن
الوليد بن عبد الملك
شهرين وعشرة أيام وأسقطنا
أيام ابراهيم بن الوليد بن
عبد الملك كاسقاطنا أيام
ابراهيم بن المهدي أن يعد في
الخلفاء العباسيين (ومروان)
ابن محمد بن مروان خمس
سنين وشهرين وعشرة أيام
الى أن بويع السفاح
فتكون الجملة تسعين سنة وأحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما يضاف الى ذلك

ومن ذلك قصيدته المشهورة التي أولها

أيا جبل الفتح استمالت نفوسنا * فلا قلب الا نحوه مغناك قد سبق
فأرسلت اذ جئناك فينا صواعقا * تخال بها جو السماء قد انطبق

وقوله في اجابة السفهاء من الهاتفين بالسوء وطغامهم بارحمة الله تعالى عليه

وذموا وما يعنون الا مذمما * وأنت بحمد الله تدعى محمدا

وقول حامل اللواء الآتي ذكره في تضاعيف الاسماء

أمام امامك في عراض البيد * فبلغ ما شئت من مقصود
والهجران ألفته ألسنة العدا * يأباه فضل مقامك المحمود
سحقا لهم سفهاء كل قبيلة * شذت مقالتهم عن المعهود
قد ضلت الاحلام منهم رشدها * هذا ومنك الحلم غير بعيد
مع عزمة لو شئت هدت كل ما * قد أحكموا من معلم ومشيد

الى أن قال الخبر عن اجتماع الاميرين أبي العباس وأبي زيد متصاحبين ومترافقين على استخلاص مدينة فاس من يد الوزير أبي بكر بن غازي بن الكاس وكتب الرئيس أبو عبد الله بن زمرك في مخاص هذه الكائنة حث الوزير محمد بن عثمان السير في وسط عام خمسة وسبعين وسبعمائة وتلاقي بسلطانه أبي العباس مع الامير أبي زيد عبد الرحمن واستقلا بالطائلة وحصلا من التضييق على السعيد الطفل الصغير وعلى وزيره أبي بكر بن غازي في متسع الخطة ورحيب ذرع الخلافة وتصالحا عن رضا وتسليم منهما ومن أشياعهما على تسليم السعيد الى اللحاق بمن كان في طنجة من الامراء واتصل السلطان عبد الرحمن بمراكش فكان ملكها وجابي أموالها وتملك السلطان أبو العباس مدينة فاس وما والى البلاد الساحلية وسواهما مما يحتوي عليه ملك المدينة البيضاء برا وبحرا وعبر كاتب الدولة عن المدينة وعن الطفل متملكها بقوله والى هذا فقد ارتفع الالتباس واطرد القياس وغير خفي عن ذي عقل سليم وذي تفويض للحق وتسليم أن دار الملك المريني كامة بلا زهر ورياض بلا نهر ان لم يقتعد كرسيها من يزين جيدها ويجيد حليها وآن أوان البشرى لمن يتعصب للدين والآن قلادة التقوى منوطة بعلم اعلام الملوك المهتدين ثم ذكر ما يطول من فصول وربما اشتملت على فضول وملخصه مثل ما ذكر ابن خلدون ثم ساق قاضي القضاة ابن خلدون بعد ما تقدم جلبه من تاريخه الكلام على محنة لسان الدين بن الخطيب ووفاته مقتولا رحمه الله تعالى (فقال ما صورته) ولما استولى السلطان أبو العباس على البلد الجديد دار ملكه فاتح ست وسبعين استقل بسلطانه والوزير محمد بن عثمان مستبد عليه وسليمان بن داود بن اعراب كبير بني عسكر رديفه وقد كان الشرط وقع بينه وبين السلطان ابن الاحمر عند ما بويع بطنجة على نكبة الوزير ابن الخطيب واسلامه اليه لما نمي اليه عنه أنه كان يغري السلطان عبد العزيز بملك الاندلس فلما زحف السلطان أبو العباس من طنجة ولقيه أبو بكر بن غازي بساحة البلد الجديد فهزمه السلطان ولازمه بالحصار أوى معه ابن الخطيب الى البلد الجديد خوفا على نفسه فلما استولى السلطان على البلد أقام أياما ثم أغراه سليمان بن داود بالقبض على ابن

الثمانية أشهر التي كان مروان يقاتل فيها بني العباس الى أن قتل فيصير ملكهم احدى وتسعين سنة وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوما ويوضع من ذلك أيام الحسن بن علي وهي خمسة أشهر وعشرة أيام وتوضع أيام عبد الله بن الزبير الى الوقت الذي قتل فيه وهي سبع سنين وعشرة أشهر وثلاثة أيام فيصير الباقي بعد ذلك ثلاثا وثمانين سنة وأربعة أشهر يكون ذلك ألف شهر سواء وقد ذكر قوم أن تأويل قوله عز وجل ليلة القدر خير من ألف شهر ما ذكرناه من أيامهم وقد روي عن ابن عباس أنه قال والله ليملكن بنو العباس ضعف ما ملكته بنو أمية باليوم يومين وبالشهر شهرين وبالسنة سنتين وبالخليفة خليفتين (قال المسعودي) فملك بنو العباس في سنة اثنتين وثلاثين ومائة وانقضى ملك بني أمية فلبني العباس من وقت ملكهم الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة مائتا سنة وذلك أن أبا العباس السفاح بويع له بالخلافة في ربيع الآخر من سنة اثنتين وثلاثين ومائة وانتهينا في تصنيفنا من هذا الكتاب الى هذا الموضع في شهر ربيع الاول من سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة في خلافة أبي

الخطيب فقبضوا عليه وأودعوه السجن وطيروا بالخبر الى السلطان ابن الاحمر وكان سليمان ابن داود شديد العداوة لابن الخطيب لما كان سليمان قد بايعه السلطان ابن الاحمر على مشيخة الغزاة بالاندلس متى أعاده الله تعالى الى ملكه فلما استقر السلطانه أجاز اليه سليمان سفيرا عن الوزير عمر بن عبد الله ومقتضيا عهده من السلطان فصده الوزير ابن الخطيب عن ذلك محتجا بان تلك الرياسة انما هي لاعياص الملك من بني عبد الحق لانهم يعسوب زناتة فرجع سليمان وأثار حقد ذلك لابن الخطيب ثم جاوز الاندلس لمحل امارته من جبل الفتح فكانت تقع بينه وبين ابن الخطيب مكاتبات ينفث كل واحد منهما لصاحبه بما يحفظه مما كمن في صدورهما وحين بلغ خبر القبض على ابن الخطيب الى السلطان ابن الاحمر بعث كاتبه ووزيره بعد ابن الخطيب وهو أبو عبد الله بن زمرك فقدم على السلطان أبي العباس وأحضر ابن الخطيب بالمشور في مجلس الخاصة وعرض عليه بعض كلمات وقعت له في كتابه في المحبة فعظم النكير فيها فوبخ ونكل وامتحن بالعذاب بمشهد ذلك الملأ ثم نقل الى محبسه واشتوروا في قتله بمقتضى تلك المقالات المسجلة عليه وأفتى بعض الفقهاء فيه ودس سليمان بن داود لبعض الاوغاد من حاشيته بقتله فطرقوا السجن ليلا ومعهم زعانفة جاؤا في لفيف الخدم مع سفراء السلطان ابن الاحمر وقتلوه خنقا في محبسه وأخرج شلوه من الغد فدفن في مقبرة باب المحروق ثم أصبح من الغد على سافة قبره طريحا وقد جمعت له أعواد وأضرمت عليه نارا فاحترق شعره واسود بشره فأعيد الى حفرته وكان في ذلك انتهاء محنته وعجب الناس من هذه الشنعاء التي جاء بها سليمان واعتدوها من هناته وعظم النكير فيها عليه وعلى قومه وأهل دولته والله الفعال لما يريد وكان عفا الله تعالى عنه أيام امتحانه بالسجن يتوقع مصيبة الموت فتجهش هواتفه بالشعر يبكي نفسه ومما قال في ذلك رحمه الله تعالى

بعدنا وان جاورتنا البيوت * وجئنا بوعظ ونحن صموت
وأنفاسنا سكنت دفعة * كجهر الصلاة تلاه القنوت
وكنا عظاما فصرنا عظاما * وكنا نقوت فها نحن قوت
وكنا شموس سماء العلا * غربنا فناحت علينا السموت
فكم جدلت ذا الحسام الظبا * وذو البخت كم جدلته البخوت
وكم سيق للقبر في خرقة * فتى ملئت من كساه التخوت
فقل للعدا ذهب ابن الخطيب * وفات ومن ذا الذي لا يفوت
ومن كان يفرح منهم له * فقل يفرح اليوم من لا يموت

انتهى كلام ابن خلدون في ديوان العبر وقال الحافظ ابن حجر في أنباء الغمر بعد ان ذكر ما قدمناه على سبيل الاختصار ما نصه واشتهر انه يعني لسان الدين نظم حين قدم للقتل الابيات المشهورة التي يقول فيها

وقل للعداة مضى ابن الخطيب * وفات فسبحان من لا يفوت
فمن كان يشمت منكم به * فقل يشمت اليوم من لا يموت

بعد هذا الوقت من الايام وقد أتينا بحمد الله فيما سلف من كتابينا أخبار الزمان والاوسط على الغرر من أخبارهم والنوادر من أسمائهم والطرائف مما كان في أيامهم وعهودهم ووصاياهم ومكاتباتهم وأخبار الحوادث والخوارج في أيامهم من الازارقة والاباضية وغيرهم وممن ظهر من الطالبيين طالبا بحق أو آمرا بمعروف أو ناهيا عن منكر فقتل في أيامهم وكذلك من تلاهم من بني العباس الى خلافة المتقي لله من سنتنا هذه وهي سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وما ذكرنا في هذا الكتاب من جوامع التاريخ قد يخالف ما تقدم بسطه باليوم أو العشرة أو الشهر عند ذكرنا الدولة كل واحد منهم وأيامه وهذا هو المعول عليه من تاريخهم وسنيهم والمفصل من مددهم والله أعلم ومنه التوفيق

(ذكر الدولة العباسية ولمع من أخبار مروان ومقتله وجوامع من حروبه وسيره)

قد قدمنا في الكتاب الاوسط ما ذكرته الراوندية وهم شيعة ولد العباس بن عبد المطلب من أهل خراسان وغيرهم من أن رسول الله صلى الله عليه

وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله وأن الناس اغتصبوه حقه وظلموه أمره الى أن رده الله اليهم وتبرؤا من أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وأجازوا بيعة على بن أبى طالب رضى الله عنه باجازته لها وذلك لقوله يا ابن أخى هلم الى أن أبايعك فلا يختلف عليك اثنان ولقول داود ابن على على منبر الكوفة يوم بويع لابى العباس يا أهل الكوفة لم يقم فيكم امام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على بن أبى طالب وهذا القائم فيكم يعنى أبا العباس السفاح وقد صنف هؤلاء كتبا فى هذا المعنى الذى ادعوه هى متداولة فى ايدى أهلها ومنتحليها منها كتاب صنفه عمرو بن بحر الجاحظ وهو المترجم بكتاب امامة ولد العباس يحتج فيه لهذا المذهب ويذكر فعل أبى بكر فى فدك وغيرها وقصته مع فاطمة رضى الله عنها ومطالبتها بارثها من أبيها صلى الله عليه وسلم واستشهادها بعلها وابنيها وأم أيمن وما جرى بينها وبين أبى بكر من المخاطبة وما كثر بينهم من

والصحيح فى ذلك ماذكره صديقه شيخنا ولى الدين بن خلدون أنه نظم الابيات المذكورة وهو فى السجن لما كان يستشعر من التشديد انتهى ثم حكى ابن حجر عن بعض الاعيان أن ابن الاحمر وجهه الى ملك الافرنج فى رسالة فلما أراد الرجوع أخرج له رسالة لابن الخطيب تشتمل على نظم ونثر فلما قرأها قال له مثل هذا كان ينبغى أن يقتل ثم بكى حتى بل ثيابه انتهى كلام الحافظ و بعضه بالمعنى فانظر سدد ك الله تعالى بكاء العدو الكافر على هذا العلامة وقتل اخوانه فى الاسلام له على حظ نفسانى ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم لا رب غيره (قلت) ورأيت بحضرة فاس حاطها الله تعالى تخميسا لهذه الابيات بديعا منسوبا الى بعض بنى الصباغ وزاد فى الاصل بعض أبيات على ماذكره ابن خلدون من هذه القطعة والمزيد يشبه نفس لسان الدين بن الخطيب فلعل ابن خلدون اختصر منها ولم يقف على الزائد ولنثبت جملته تتميما للمقصود فنقول قال رحمه الله تعالى

اما جاهلا لاغرو ما يفوت * وأما ماء حال فليل الثبوت
تأمل لمن بعد انس تقوت * بعدنا وان جاورتنا البيوت
وجئنا بوعظ ونحن صموت

لقد فلت من دهر نار فعة * تقضت كبرق مضى سرعة
فهيهات نرجو لها رجعة * وأصواتنا سكنت دفعة
كجهر الصلاة تلاه القنوت

بدا لى من العز وجه شباب * يؤمل سيبى و بأسى يهاب
فسرعان مزق ذاك الاهاب * ومدت وقد أنكرتنا الثياب
علينا نسائجها العنكبوت

فآها لعز تقضى مناما * نمحن به الجاه قوما كراما
وكنا نسوس امورا عظاما * وكنا عظاما قصرنا عظاما
وكنا نقوت فها نحن قوت

وكنا لدى الملك حلى الطلى * فآها عليه زمانا خلا
نعوض من جدة بالبلى * وكنا شموس سماء العلا
غربنا فناحت علينا السموت

تعودت بالرغم صرف الليالى * وحملت نفسى فوق احتمالى
وأيقنت أن سوف يأتى ارتحالى * ومن كان منتظر الزوال
فكيف يؤمل منه الثبوت

هو الموت يا ماله من نبا * يجوز الحجاب الى من أبى
ويألف أخذ سنى الحبا * فكم أسلمت ذا الحسام الظبا
وذا البخت كم جدلته البخوت

هو الموت أفصح عن عجمة * وأيقظ بالوعظ من خفقة
وسلى عن الحزن ذا حرقة * وكم سيق للقبر فى خرقة

المنازعة وما قالت وما قيل لها عن أبيها عليه السلام من انه قال نحن معاشر الانبياء نرث ولا نورث وما

فتى ماشئت من كساه الخوت

تقضى زمانى بعيش خصيب * وعندى لذنبى انكسار المنيب

وها الموت قد صبت منه نصيبى * فقل للعدا ذهب ابن الخطيب

وفات ومن ذا الذى لا يفوت

مضى ابن الخطيب كمن قبله * ومن بعده يقتفى سبله

وهذا الردى ناثر شمله * فمن كان يفرح منهم له

فقل يفرح اليوم من لا يموت

هو الموت عم فما للعدا * يسرون فى حين ذقت الردى

ومن فاته اليوم يأتى غدا * سيبلى الجديد اذا ما المدى

تتابع آحاده والسبوت

أخى توخ طريق النجاة * وقدم لنفسك قبل الممات

وشمر بجد لما هو آت * ولا تغترر بسراب الحياة

فانك عما قريب تموت انتهى

وقد ذكرنى قوله رحمه الله تعالى فمن كان يفرح منهم له الى آخره قول بعض العلماء الشاميين

يا ضاحكا ممن استقل غباره * سيثور عن قدميك ذاك العثير

لا فارس بجنودها منعت حمى * كسرى ولا للروم خلد قيصر

جد دمضت عاد عليه وجرهم * وتلاه كهلان وعقب حمير

وسطا بغسان الملوك وكندة * فلها دماء عنده لا تثأر

لعبت بهم فكأنهم لم يخلقوا * ونسوا بها فكأنهم لم يذكروا

وما أحسن قول أبى الخطاب بن دحية الحافظ بعد كلام ما صورته وأخذت من طريق خوزستان الى طريق حلوان وقاسيت من الغربة أصناف الالوان ومررت على مدائن كسرى انوشروان وزرت بها قبر صاحب النبى صلى الله عليه وسلم الزاهد العابد المعمر سلمان وأعملت منها السير والاغذاذ الى مدينة بغداذ فنظرت اليها معالم وربوعا وأقمت بها مرة عاما ومرة أسبوعا وأسبوعا وأنا أبدى فى ندائهم وأعيد والترب قد علا على منازلهم والصعيد وأسال عن الخلفاء الماضين وأنشد ولسان الحال يجاوبنى وينشد

يا سائل الدار عن اناس * ليس لهم نحوها معاد

مرت كما مرت الليالى * اين جديس وأين عاد

بل أين أبو البشر آدم الذى خلقه بيده الكبير المتعال اين الانبياء من ولده والارسال أهل النبوة والرسالة والوحى من الله ذى الجلالة اين سيدهم محمد الذى فضله عليهم ذو العزة والجلال وجعله شفيعهم مع امته والناس فى شدائد الاهوال اين القرون الماضية والاجيال اين التبابعة والاقيال اين ملوك همدان اين اولو الابرق الفرد أو غمدان اين اولو التيجان والاكاليل اين الصيد والبهاليل بل اين النماردة وأكبرهم نمروذ

الا التوارث وغير ذلك من الخطاب ولم يصنف الجاحظ هذا الكتاب ولا استقصى فيه الحجاج للراوندية وهم شيعة ولد العباس لانه لم يكن مذهبه ولا كان يعتقده لكن فعل ذلك تماجنا وتطرباً وقد صنف أيضا كتابا استقصى فيه الحجاج عند نفسه وأيده بالبراهين وعضده بالادلة فيما تصور من عقله ترجمه بكتاب العثمانية يحل فيه عند نفسه فضائل على عليه السلام ومناقبه ويحتج فيه لغيره طلبا لاماتة الحق ومضادة لاهله والله متم نوره ولو كره الكافرون ثم لم يرض بهذا الكتاب المترجم بكتاب العثمانية حتى اعقبه بتصنيف كتاب آخر فى امامة المروانية وأقوال شيعتهم ورأيته مترجما بكتاب أمير المؤمنين معاوية ابن أبى سفيان فى الانتصار له من على بن أبى طالب رضى الله عنه وشيعته الرافضة يذكر فيه رجال المروانية ويؤيد فيه امامة بنى امية وغيرهم ثم صنف كتابا آخر ترجمه بكتاب مسائل العثمانية يذكر فيه مافاته ونقضه عند نفسه من فضائل أمير المؤمنين على ومناقبه فيما ذكرنا وقد نقضت عليه ماذكرنا من كتبه ككتاب العثمانية وغيره وقد نقضها جماعة من متكلمى الشيعة كابى عيسى الوراق

ابراهيم الخليل اين الفراعنة ومن هو بالسحر عليم الذين منهم فرعون موسى الكليم اين ملك المدائنية هدد بن بدد الكردى الذى لم يكن غدره عقيدله ولا مجدى وقد أخبر الحق جل جلاله عنه أنه كان يأخذ كل سفينة غصبا وزعم المؤرخون أنه كان إضايلا القلوب رعبا ويسوم أصحابه قتلا وصلبا مع الطمع فى المال وعدم النظر فى عقبى المآل أين الفرس وملوكها وعدلها وعدولها أين دارا بن دارا بن بهمان أين اسكندر بن فلبش اليونانى الذى غلبه وملك بلاده فى ذلك الزمان وأطاعه جميع ملوك الاقاليم وقدر الله به امتحان الخلق ذلك تقدير العزيز العليم أين كسرى وقيصر غلبهما من الموت الاسد القسور بعد أن أخرجهما من بلادهما أمير المؤمنين أبو حفص عمر لما ظهرت الملة الحنيفية كما ظهرت الشمس وبدا القمر اين أولاد جفنة وملوك غسان أين مماديح زياد وحسان أين هرم بن سنان أين الملاعب بالسنان أين أولاده مضر بن نزار بن معد بن عدنان أين بنو عبد المدان أين أرباب العواصم أين قيس بن عاصم أين العرب العرباء الامة الفاضلة والجماعة المناضلة أين أولو الباس والحفاظ وذوو الحمية والاحفاظ حيث الوفاء والعهد والحباء والرفد الى علو الهمم والوفاء بالذمم والعطاء الجزل والضيف والنزل وهبة الافال والبزل وانهما لاتدين عزا ولا انقيادا ولا ترام افة ولا انقياد أين قريش المعروفة فى الجاهلية بالحى اللقاح والشعب الرقاح أين الماضون من ملوك بنى أمية ذوو الالسن الذلق والاوجه الطلق والحمية أين خلفاء بنى العباس بن عبد المطلب الذين شرفهم بالاصالة وليس اليهم بالمجتلب ذوو الشرف الشامخ والفخر الباذخ والخلافة السنية الرضية والمملكة العامة المرضية بلغنا والله وفاتهم ولم يبق الاذكرهم وصفاتهم قبض ملك الموت أرواحهم قبضا ولم يترك لهم حراكا ولا نبضا ومزق الدود لحومهم قددا ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا الا ما كان من أجساد الانبياء عليهم أفضل الصلاة والتسليم فان الله تعالى حرم على الارض أن تاكل أجساد الانبياء وقد تكلمت على هذا الحديث وأثبت أنه من الصحيح لا السقيم وخرجت طرقه فى كتابى العلم المشهور بعون من العزيز الرحيم فما أبعد المرء عن رشده وما أقصاه كم وعظه الدهر وكم وصاه يخلط الحقيقة بالمحال والعاطل بالحال ولا توبة حتى يشيب الغراب ويألف الدم التراب فيا لهفى لبعد الدار وانقضاض الجدار وأنت هامة ليل أو نهار وقاعد من عمرك على شفى جرف هار تقرأ العلم وتدعيه ولا تفهمه ولا تعيه فهو عليك لا لك فأولى لك ثم أولى لك أما آن لليل الغى ان تنجلى أحلاكه ولنظم الغى أن تنتثر أسلاكه وأن يستقطع الجانى جناه ويأسف على ما اقترفه وجناه وأن يلبس عهاده بتا ويطلق الدنيا بتا ويفر منها فرار الاسد ويتيقن انه لابد من مفارقة الروح الجسد نبهنا الله تعالى من سنات غفلاتنا وحسن ما ساء من صنائعنا الذميمة وسلاتنا وجعل التقوى احصن عددنا وأوثق آلاتنا اللهم اليك المآب وبيدك المتاب قد واقعنا الخطايا وركبنا الاجرام رواحل ومطايا فتب علينا اجمعين وأدخلنا برحمتك فى عبادك الصالحين القائمين وصلى الله على سيد ولد آدم محمد شفيعنا يوم القيامة

والحسن بن موسى النوبختى وغيرهما من الشيعة ممن ذكر ذلك فى كتبه فى الامامة مجتمعا ومفترقا وقد نقض على الجاحظ كتاب العثمانية أيضا رجل من شيوخ المعتزلة البغداديين ورؤسائهم وأهل الزهد والديانة منهم ممن يذهب الى تفضيل على والقول بامامة المفضول وهو أبو جعفر محمد بن عبد الله الاسكافى وكانت وفاته سنة أربعين ومائتين وفيها مات أحمد بن حنبل وسنذكر وفاة الجاحظ فيما يرد من هذا الكتاب ووفاة غيره من المعتزلة وان كنا قد أتينا على ذلك فيما سلف من كتبنا والذى ذهب اليه من تأخر من الراوندية وانتقل وخبر عن جملة الكيسانية القائلة بامامة محمد بن الحنفية وهم الحربانية أصحاب أبى مسلم عبد الرحمن بن محمد صاحب الدولة العباسية وكان يلقب بحريان أن محمد بن الحنفية هو الامام بعد على بن أبى طالب وأن محمدا أوصى الى ابنه أبى هاشم وأن أبا هاشم أوصى الى على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وأن على بن عبد الله أوصى الى ابنه محمد بن على وأن محمدا أوصى الى ابنه ابراهيم الامام المقتول بحران وان ابراهيم أوصى الى أخيه أبى العباس بن عبد الله بن الحارثية المقتول وقد تنوزع فى أمر أبى مسلم فى

القيامة وصاحب الحوض المورود والمقام المحمود والكرامة وعلى آله الطاهرين وأصحابه اهل الرضوان المنتخبين وسلام الله عليه وعليهم الى يوم الدين انتهى وهو آخر كتابه النبراس في تاريخ بني العباس وذكرته بطوله لمناسبته (قلت) وقد سلكت هذا المنحى نظما في خطبة هذا الكتاب كما وللسان الدين رحمه الله تعالى كلام قريب من هذا سيأتي في نثره ان شاء الله تعالى واقول انى قد تذكرت هنا قول القائل

نطوى سبوتا وآحادا وننشرها * ونحن في الطى بين السبت والاحد
فعدّ ما شئت من سبت ومن أحد * لا بدّ أن يدخل المطوى في العدد

وقول الآخر

ألم تر أن الدهر يوم وليلة * يكران من سبت عليك الى سبت
فقل لجديد العيش لا بدّ من بلى * وقل لاجتماع الشمل لا بدّ من شت

واعلم ان لسان الدين لما كانت الايام له مسالمة لم يقدر احد ان يواجهه بما يدنس معاليه او يطمس معالمه فلما قلبت الايام له ظهر مجنها وعاملته بعنفها بعد منحها ومنها اكثر اعداؤه في شأنه الكلام ونسبوه الى الزندقة والانحلال من ربقة الاسلام بتنقص النبي عليه افضل الصلاة والسلام والقول بالحلول والاتحاد والانخراط في سلك اهل الالحاد وسلوك مذاهب الفلاسفة في الاعتقاد وغير ذلك مما أثاره الحقد والعداوة والانتقاد مقالات نسبوها اليه خارجة عن السنن السوى وكلمات كدر وابها منهل علمه الروى ولا يدين بها ويفوه الا الضال الغوى والظن أن مقامه رحمه الله تعالى من لبسها برى وجنابه سامحه الله تعالى عن لبسها عرى وكان الذى تولى كبر محنته وقتله تلميذه أبو عبد الله بن زمرك الذى لم يزل مضمر الختله فلقد وقفت على خط ابن لسان الدين على أنه تسبب في قتل لسان الدين أبيه وسيأتى الالماع بالالمام بابن زمرك المذكور في تلامذة لسان الدين مع انه أعنى لسان الدين حلاه في الاحاطة أحسن الحلى وصدقه فيما انتحله من أوصاف العلا وقد سبق في كلام ولى الدين بن خلدون أنه قدم على السلطان أبى العباس احمد المرينى في شأن الوزير ابن الخطيب وأخرج الى مجلس الخاصة وامتحن والمجالس بالاعيان غاصة ولا حول ولا قوة الا بالله ومن أعدائه الذين باينوه بعد أن كانوا يسعون في مرضاته سعى العبيد القاضى أبو الحسن بن الحسن النباهى فكم قبل يده ثم جاهره بعد انتقال الحال وجد في أمره مع ابن زمرك حتى قتل لسان الدين وانقضت دولته فسبحان من لا يتحول ملكه ولا يبيد وقد سبق فيما جلبناه من كلام ابن خلدون أن القاضى ابن الحسن قدم على السلطان عبد العزيز في شأن لسان الدين والانتقام منه بسبب تلك السجلات وامضاء حكم الله فيه بمقتضاها فأبى السلطان من ذلك وقال هلا فعلتم أنتم ذلك حين كان عندكم وامتنع لذمته أن يخفره فلما أراد الله بنفوذ الامر وعدم نفع زيد وعمرو توفى السلطان عبد العزيز واختلت الاحوال واضطربت بالمغرب نيران الاهوال فقدم في شأنه الوزير الكاتب ابن زمرك خادمه الذى رباه وصنيعته فكان ما كان مما سبق به الالمام

الناس من رأى انه كان من العرب ومنهم من رأى انه كان عبدا فاعتق وكان من أهل البرس والجامعين من قرية يقال لها خرطينة واليها تضاف الثياب البرسية المعروفة بالخرطينية وتلك من أعمال الكوفة وسوادها وكان قهرمانا لادريس بن ابراهيم العجلى ثم آل أمره ونمت به الاقدار الى أن اتصل بمحمد بن على ثم بابراهيم بن محمد الامام فأنفذه ابراهيم الى خراسان وأمر أهل الدعوة بطاعته والانقياد الى أمره ورأيه فقوى أمره وظهر سلطانه وأظهر السواد وصار زينة في اللباس والاعلام والبنود وكان أول من سوّد من أهل خراسان وأهل نساند وأظهر ذلك فيهم أسيد بن عبد الله ثم فشا ذلك في الاكثر من المدن والكور بخراسان وقوى أمر أبى مسلم وضعف أمر نصر بن سيار صاحب مروان بن محمد الجعدى على بلاد خراسان وكانت له مع أبى مسلم حروب أكثر فيها أبو مسلم الحيل والمكايد من تفريقه بين اليمانية والنزارية بخراسان وغير ذلك مما احتال به على عدوه وقد كان لنصر بن سيار حروب كثيرة مع الكرمانى الى ان قتل أتينا على ذكرها في كتابينا أخبار الزمان والاوسط وذكرنا بدء أخبار الكرمانى جديع بن على

وقد ذكرنا في الباب الاول قول لسان الدين رحمه الله تعالى في قصيدته النونية

تلوّن اخواني علي وقد جنت * على خطوب جمة ذات ألوان

وما كنت أدري قبل أن يتنكروا * بأن خواني كان مجمع خواني

وكانت وقد دحم القضاء صنائعي * على عالا ارتضى شر أعوان

ولقد صدق رحمه الله تعالى على أنه قال هذه القصيدة في النكبة الاولى التي انتقل فيها مع سلطانه الى المغرب كما مر مفصلا وكانه عبر عن هذه المحنة الاخيرة التي ذهبت فيها نفسه على يد صنائعه الكاتب ابن زمرك والقاضي ابن الحسن سامح الله الجميع ورحم الله أبا اسحق التلمساني صاحب الرجز في الفرائض حيث يقول

الغدر في الناس شيمة سلفت * قد طال بين الورى تصرفها

ما كل من قد سرت له نعم * منك يرى قدرها ويعرفها

بل ربما أعقب الجزاء بها * مضرة عز عنك مصرفها

أما ترى الشمس كيف تعطف بالنـ * ـور على البدر وهو يكسفها

وقال لسان الدين بعد ذكره أن ملك النصارى دن جانجه بن دن الفنش استنصر على أبيه بالسلطان المجاهد أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني ولاذ به ورهن عنده تاجه ذخيرة النصارى ولقيه بصخرة عباد من أحواز رندة فسلم عليه وقال ان أمير المسلمين لما فرغ من ذلك طاب بلسان زناتة الماء ليغسل يده من قبلة الفنش أو مصافحته ما نصه والشيء بالشيء يذكر فاثبت حكاية اتفقت لي بسبب ذلك أستدعي بها الدعاء ممن يحسن عنده موقعها وهي أن اليهودي الحكيم ابن زرزار على عهد ملك النصارى حفيد هذا الفنش المذكور وصل الينا بغرناطة في بعض حوائجه ودخل الي بدار سكناي مجاور القصر السلطاني بحمراء غرناطة وعندي القاضي اليوم بغرناطة وغيره من أهل الدولة وبيده كتاب من سلطان المغرب محمد ابن أبي عبد الرحمن ابن السلطان الكبير المولى أبي الحسين وكان محمد هذا قد رمي بصاحب قشتالة واستدعى من قبله الى الملك فسهل له ذلك وشرط عليه ما شاء وربما وصله خطابه عالم يقنعه في اطرائه فقال لي مولاي السلطان دن بطره يسلم عليك ويقول لك انظر مخاطبة هذا الشخص وكان بالامس كلبا من كلاب بابه حتى ترى خسارة الكرامة فيه فأخذت الكتاب من يده وقرأته وقلت له أبلغه عني أن هذا الكلام ما جرك اليه الا خلو بابك من الشيوخ الذين يعرفونك بالكلاب وبالاسود وبمن تغسل الايدي منهم اذا قبلوها فتعلم من الكلب الذي تغسل اليد منه ومن لا وان جد هذا الولد هو الذي قبل جدك يده واستدعى الماء لغسل يده منه بمحضر النصارى والمسلمين ونسبة الجد الى الجد كنسبة الحفيد للحفيد وكونه لجأ الى بلادك ليس بعار عليه وأنت معرض الى اللجا اليه فيكافئك بأضعاف ما عاملته به فقام أبو الحسن المستقضي يبكي ويقبل يدي ويصفني بولي الله وكذلك من حضرني وتوجه الى المغرب رسولا فقص على بني مرين خبر ما شاهده مني وسمعه وبالحضرة اليوم من تلقى منه ذلك كثير جعل الله تعالى ذلك خالصا لوجهه انتهى * وقد أثنى لسان الدين في الاحاطة على القاضي ابن الحسن المذكور كما سيأتي وقال في ترجمة السلطان ابن الاحمر ما نصه ثم قدم للقضاء

وما كان بينه وبين سالم بن وغيرهما من الدعاة والمقيمين بخراسان للدعوة العباسية كسليمان ابن كثير وأبي داود خالد بن ابراهيم ونظرائهم وما كان من شعارهم عند اظهار الدعوة ونداءاتهم حين الحروب محمد يا منصور والسبب الذي له ومن أجله أظهروا استعمال السواد دون سائر الالوان وطالت مكاتبة نصر بن سيار مروان واعلامه بما هو فيه واظهار أمر العباسية وتزايده في كل وقت فكان فيما كتب به اليه اعلامه بحال أبي مسلم وحال من معه وانه كشف عن أمره وبحث عن حاله فوجده يدعو الى ابراهيم بن محمد ابن علي بن عبد الله بن العباس وضمن كتابه أبياتا من الشعر وهي

اري بين الرماد وميض جمر
ويوشك أن يكون له ضرام
فان النار بالعودين تذكى
وان الحرب أولها الكلام
فان لم تطفؤها تجن حربا
مشمرة يشيب لها الغلام
أقول من التعجب ليت شعري
أأيقاظ أمية أم نيام
فان يك قومنا أضحوا نياما
فقل قوموا فقد حان القيام

ففري عن رحالك ثم قولي * على الاسلام والعرب السلام

فلما ورد الكتاب على مروان وجده مشتغلا

للقضاء الفقيه الحسيب أبا الحسن وهو عين الاعيان عالقه المخصوص برسم الفضلة والقيام
بالعقد والحل فسدد وقارب وحل الكل وأحسن مصاحبة الخطبة والخطة وأكرم المشيخة
مع النزاهة ولم يقف في حسن الثاني على غاية فاتفق على رجاحته ولم يقف في النصح عند غاية
انتهى * وحين أظلم الجو بينه وبين لسان الدين ذكره في الكتيبة الكامنة بما يباين ما سبق
ولقبه بالجعسوس ولم يقنعه ذلك حتى ألف فيه خلع الرسن في وصف القاضي ابن الحسن
وقد وقفت بفاس المحروسة على كتاب مطول كتبه ابن الحسن للسان الدين بعد تحوله عن
الاندلس ونص ما تعلق به الغرض هنا فشرعتم في الشراء وتشييد البناء وتركتم
الاستعداد لهادم اللذات هيهات هيهات تبنون ما لا تسكنون وتدخرون ما لا تاكلون
وتؤملون ما لا تدركون أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة فأين المهرب
عما هو كائن ونحن انما نتقلب في قدرة الطالب شرقتم أو غربتم والايام تتقاضى الدين
وتنادي بالنفس الفرارة الى أين الى أين ونترك الكلام مع الناقد فيما ارتكبه من
تزكية نفسه وعد ما جلبه من مناقبه ما عدا ما هدد به من حديد لسانه خشية اندراجه في نمط
من قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من شر الناس من تركه الناس اتقاء فحشه
ولا غيبة فيمن ألقى جلباب الحياء عن وجهه وزجه على ما أبداه أو أهداه من العيوب التي
نسبها لاخيه واستراح على قوله بها فيه ونذكره على طريقة نصيحة الدين بالحديث الثابت
في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا
من لا درهم له ولا متاع فقال ان المفلس من أمتي من ياتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة
ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا
من حسناته فاذا فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم
طرح في النار ويعلم الله أن معنى هذا الحديث الثابت عن النذير الصادق هو الذي حملني
على نصحكم ومراجعتكم في كثير من الامور منها الاشارة عليكم باذهاب عين ما كتبتم به في
التاريخ وأمثاله فانكم نفعتم بما وقعتم فيه من الغيبة المحرمة أحياء وأمواتا غير شيء حصل
بيدكم وضررتم نفسكم بما رتبتم لهم من المطالبات بنص الكتاب والسنة قبلكم والرضا بهذه
الصفقة الخاسرة أمر بعيد من الدين والعقل وقد قلت لكم غير مرة عن أطراسكم المسودة بما
دعوتم اليه من البدعة والتلاعب بالشريعة ان حقها التخريق والتحريق وان من أطراها
لكم فقد خدع نفسه وخدعكم والله الشهيد باني نصحتكم وما غششتكم وليس هذا القول وان
كان ثقيلا عليكم بمخالف كل المخالفة لما دنتم به من تقدم المواجهة بالملاطفة والمعاملة
بالمكارمة فليست المداراة بقادحة في الدين بل هي محمودة في بعض الاحوال مستحسنة على
ما بينه العلماء اذ هي مقاربة في الكلام او مجاملة باسباب الدنيا لصلاحها واصلاح الدين وانما
المذموم المداهنة وهي بذل الدين لمجرد الدنيا والمصانعة به لتحصيلها ومن خالط للضرورة
مثلكم وزايله باخلاقه ونصحه مخاطبة ومكاتبة واستدل له بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم على صحة مقالته فقد سلم والحمد لله من مداهنته وقام لله تعالى بما يجب عليه
في حقكم من التحذير والانكار مع الاشفاق والوجل وأكثرتم في كتابكم من المن بما ذكرتم

قيس الحروري حتى قتله مروان بعد وقائع كثيرة بين كفرتوثى ورأس العين وكان الضحاك خرج من بلاد شهرزور ونصبت الخوارج بعد قتل الضحاك عليها الحري الشيباني فلما قتل الحري ولت الخوارج عليها أبا الدلفاء شيبان الشيباني وما كان من حروب مروان مع نعيم بن ثابت الجذامي وكان خرج عليه ببلاد طبرية والاردن من بلاد الشام حتى قتله مروان وذلك في سنة ثمان وعشرين ومائة فلم يدر مروان كيف يصنع في أمر نصر بن سيار وخراسان وانحيازه لما هو فيه من الحروب والفتن فكتب اليه مروان مجيبا عن كتابه ان الشاهد يرى ما لا يراه الغائب فاحسم الثؤلول عنك فلما ورد الكتاب على نصر قال لخواص أصحابه أما صاحبكم فقد أعلمكم أن لا نصر عنده وأقام مروان أكثر أيامه لا يدنو من النساء الى أن قتل وبرزت له جارية من جواريه فقال لها والله لا دنوت منك ولا حللت لك عقدة وخراسان ترجف وتضطرم بنصر بن سيار وأبو مجرم قد أخذ منه بالمخنق وكان مع ما هو فيه يديم قراءة سير الملوك وأخبارها في حروبها من الفرس وغيرها من ملوك الامم وعذله بعض أوليائه

انكم صنعتم وعلى تقدير الموافقة لكم ليتكم ماوملتم فسلمنامن المعرة وسلمتم وجل القائل سبحانه قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والله غنى حليم وقلما شاركتم انتم فى شئ الا باغراض حاصلة فى يدكم ولاغراض دنيوية خاصة بكم فالملام اذن فى الحقيقة انما هو متوجه اليكم واما ما أظهرتم بمقتضى حركاتكم وكلامكم من التندم على فراق محلكم والتعلل بأخبار قطركم واهلكم فتناقض منكم وان كنتم فيه بعذركم

اتبكى على ليلى وانت تركتها * فكنت كآت غيه وهو طائع
وماكل ماتنك نفسك مخليا * تلاقى ولاكل له انت تابع
فلاتكن فى اثر شئ ندامة * اذا نزعته من يديك النوازع

وعلى أن تأسفكم لما وقعتم فيه من الغدر لسلطانكم والخروج لا لضرورة غالبة عن أوطانكم من الواجب بكل اعتبار عليكم سيما وقد مددتم الى التمتع بغيرها عينيكم ولولم يكن بهذه الجزيرة الفريدة من الفضيلة الا ماخصت به من بركة الرباط ورحمة الجهاد لكفاها فخرا على ما يجاورها من سائر البلاد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رباط يوم فى سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه وقال عليه الصلاة والسلام الروحة يروحها العبد فى سبيل الله والغدوة خير من الدنيا ومافيها وعلى كل تقدير فاذالم يكن يا أخى فراركم من الاندلس الى الله وحده بالتوبة المكملة والاستغفار مع الانقطاع فى أحد المواطن المكرمة المعظمة بالاجماع وهى طيبة أو مكة أو بيت المقدس فقد خسرتم صفقة رحلتكم وتبين أن لغير وجه الله العظيم كانت نية هجرتكم اللهم الا ان كنتم قد لاحظتم مسئلة الرجل الذى قتل مائة نفس وسأل اعلم أهل الارض فاشار عليه بعد ازماع التوبة بمفارقة المواطن التى ارتكب فيها الذنوب واكتسب بها العيوب فأمر آخر مع أن كلام العلماء فى هذا الحديث معروف ويقال لكم من الجواب الخاص بكم فعليكم اذا بترك القيل والقال وكسر حربة الجدال والقتال وقصر ما بقى من مدة العمر على الاشتغال بصالح الاعمال ووقعت فى مكتوبكم كلمات أوردها النقد فى قالب الاستهزاء والازدراء والجهالة بمقادير الاشياء منها ريح صرصر وهو لغة القرآن وقاع قرقر وهو لفظ سيد العرب والعجم محمد صلى الله عليه وسلم ثبت فى الصحيح فى باب التغليظ فيمن لا يؤدى زكاة ماله قيل يارسول الله والبقر والغنم قال ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدى منها حقها الا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيأ تنطحه بقرونها وتطؤه باظلافها الحديث الشهير قال صاحب المعلم بطح لها بقاع قرقر أى ألقى على وجهه والقاع المستوى من الارض والقرقر كذلك هذا ما حضر من الجواب وبقى فى مكتوبكم حشو كثير من كلام اقذاع وفحش بعيد من الحشمة والحياء رأيت من الصواب الاعراض عن ذكره وصون اليد عن الاستعمال فيه والظاهر أنه انما صدر منكم وانتم بحال مرض فلاحرج فيه عليكم أسأل الله تعالى أجلكم ومكن امنكم وسكن وجلكم ومنه جل اسمه تسأل لى ولكم حسن الخاتمة والفوز بالسعادة الدائمة والسلام الاتم يعتمدكم والرحمات والبركات من كاتبه على بن عبد الله بن الحسن وفقه الله وذلك بتاريخ أخريات جمادى الاولى من عام ثلاثة وسبعين وسبعمائة وقيد رحمه الله تعالى

ممن كان يأنس اليه فى ترك النساء والطيب وغير ذلك من اللذات فقال له مروان يعنى منهن ما منع أمير المؤمنين عبد الملك فقال له الرجل وماذاك يا أمير المؤمنين قال حمل صاحب افريقية اليه جارية ذات بهاء وكمال تامة المحاسن شهية للتأمل فلما وقفت بين يديه تامل حسنها وبيده كتاب ورد من الحجاج وهو يدبر الحاجم مواقعا لابن الاشعث فرمى بالكتاب عن يده وقال لها أنت والله منية النفس فقالت الجارية مايمنعك يا أمير المؤمنين اذ كنت بهذا الوصف قال يمنعنى والله منك بيت قاله الاخطل

قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم * دون النساء ولو باتت باطهار

أ ألتذ بالعيش وابن الاشعث مصاف لابى محمد وقد هلكت زعماء العرب لاها الله اذاثم أمر بصيانتها فلما قتل ابن الاشعث كانت أول جارية خلا بها ولما يئس نصر بن سيار من انجاد مروان كتب الى يزيد ابن عمر بن هبيرة الفزارى عامل مروان على العراق يستمده ويسأله النصرة على عدوه وضمن كتابه أبياتا من الشعر وهى

أبلغ يزيد وخير القول أصدقه * وقد تبينت أن لاخير فى الكذب
بان أرض خراسان رأيت بها * بيضا لو افرخ قد حدثت بالعجب
فراخ عامين الا انها كبرت *

فى مدرج على هذا الكتاب مانصه يا أخى اه لحى الله وايا كم بقى من الحديث شئ الصواب الخروج عنه لكم اذ هذا أوانه وتأخير البيان عن وقت الحاجة فيه مافيه وليكون البناء بعد ان كان على أصل صحيح بحول الله وحاصله أنكم عددتم ماشاركتكم فيه بحسب الاوقات وقطعتم بنسبة الامور كلها الى أنفسكم وأنها انما صدرت عن أمركم وباذنكم من غير مشارك فى شئ منها لكم ثم مننتم بها المن القبيح المبطل لعمل بركم على تقدير التسليم فى فعله لكم ورميتم غيركم بالتقصير فى حاله كله طريقة من بصر القذى فى عين أخيه ويدع الجذع فى عينه وأقصى ماتسنى للعب ايام كونكم بالاندلس تقلد كافة قضاء الجماعة وما كان الآن وليتها بقضاء الله وقدره فقد تبين لكل ذى عقل سليم أنه لا موجد الا الله وانه اذا كان كذلك كان الخير والشر والطاعة والمعصية حاصلا بايجاده سبحانه وتخليقه وتكوينه من غير عاضد له على تحصيل مراده ولا معين ولكنه جلت قدرته وعد فاعل الخير بالثواب فضلا منه وأوعد فاعل الشر بالعقاب عدلا منه وكانى بكم تضحكون من تقرير هذه المقدمة وما أحوجكم الى تأملها بعين اليقين فكابدت أيام تلك الولاية النكدة من النكايا باستحقاركم للقضايا الشرعية وتهاونكم بالامور الدينية ما يعظم الله به الاجر وذلك فى جملة مسائل منها مسئلة ابن الزبير المقتول على الزندقة بعد تقضى موجباته على كره منكم ومنها مسئلة ابن أبى العيش المثقف فى السجن على آرائه المضلة التى كان منها دخوله على زوجه اثر تطليقه اياها بالثلاث وزعمه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره مشافهة بالاستمتاع بها فحملتم أحد ناسكم تناول اخراجه من الثقاف من غير مبالاة بأحد ومنها أن أحد الفتيان المتعلقين بكم توجهت عليه المطالبة بدم قتيل وسيق المدعى عليه للذبح بغير سكين فاوسعنى بمقتضى الدين الاحبسه على ما أحكمته السنة فأنفتم لذلك وسجنتم الطالب ولى الدم وسرحتم الفتى المطلوب على الفور الى غير ذلك مما لا يسع الوقت شرحه ولا يحمل بى ولا بكم ذكره والمسئلة الاخرى أنتم توليتم كبرها حتى جرى فيها القدر بما جرى به من الانفصال والحمد لله على كل حال وأما الرمى بكذا وكذا مما لا علم لنا بسببه ولا عذر لكم من الحق فى التكلم به فشئ قلما يقع مثله من البهتان ممن كان يرجو لقاء ربه وكلامكم فى المدح والهجو هو عندى من قبيل اللغو الذى مر به كراما والحمد لله فكثروا أو قللوا من أى نوع شئتم أنتم وما ترضونه لنفسكم وما فهت لكم بما فهت من الكلام الا على جهة الاعلام لا على جهة الانفعال لما صدر أو يصدر عنكم من الاقوال والافعال فذهى غير مذهبكم وعندى ماليس عندكم وكذلك رأيتكم تكثرون فى مخاطباتكم من لفظ الرقية فى معرض الانكار لوجودنفعها والرمى بالمنقصة والحمق لمستعملها ولو كنتم قد نظرتم فى شئ من كتب السنة وسير الامة المسلمة نظر مصدق لما وسعكم انكار ما أنكرتم وكتبه بخط يدكم فهو قادح كبير فى عقيدة دينكم فقد ثبت بالاجماع فى سورة الفلق أنها خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وأنه المراد بها هو وآحاد أمته وفى أمهات الاسلام الخمس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى رقاه جبريل فقال بسم الله يبريك ومن كل داء يشفيك ومن شر حاسد اذا حسد ومن شر كل ذى عين وفى الصحيح أيضا ان ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا فى سفر فروا بحى من

لما يطرن وقد سترنا بالرغب فان يطرن ولم يحتل لهن بهاء يلهبن نيران حرب أيما لهب

فلم يجبه يزيد بن عمر عن كتابه وتشاغل بدفع فتن العراق ودخلت خوارج اليمن مكة والمدينة وعليهم أبو حمزة المختار بن عوف الازدى و بلخ بن عقبة الازدى وهما فيمن معهما يدعون الى عبد الله ابن يحيى الكندى وكان قد سمى نفسه بطالب الحق وخوطب بامير المؤمنين وكان أباضى المذهب من رؤساء الخوارج وذلك فى سنة تسع وعشرين ومائة وفى سنة ثلاثين ومائة جهز مروان بن محمد جيشا مع عبد الملك بن محمد بن عطية السعدى فلقى الخوارج بوادى القرى فقتل بلخ وفر أبو حمزة وأكثر من كان معه من الخوارج وسار عبد الملك فى جيش مروان من أهل الشام يريد اليمن وخرج عبد الله بن يحيى الكندى الخارجى من صنعاء فالتقوا بناحية الطائف وأرض جرش فكانت بينهم حرب عظيمة قتل فيها عبد الله بن يحيى وأكثر من كان معه من الاباضية ولحق بقية الخوارج ببلاد حضرموت فأكثرها أباضية الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ولا فرق بينهم وبين من بعمان من الخوارج فى هذا الوقت وسار عبد الملك فى جيش مروان فنزل صنعاء وذلك

أحياء العرب فاستضافوهم فلم يضيفوهم فقالوا هل فيكم راق فان سيد الحي لديغ أو مصاب فقال رجل من القوم نعم فأتاه فرقاه بفاتحة الكتاب فبرئ الرجل فاعطى قطيعا من غنم الحديث الشهير قال أهل العلم فيه دليل على جواز أخذ الاجرة على الرقية والطب وتعليم القرآن وهو قول مالك وأحمد والشافعي وأبي ثور وجماعة من السلف وفيه جواز المقارضة وان كان ضد ذلك أحسن وفي هذا القدر كفاية وما رقيت قط أحدا على الوجه الذي ذكرتم ولا استرقيت والحمد لله وما حملني على تبيين ما بينته الآن لكم في المسئلة الا ارادة الخير التام لجهتكم والطمع في اصلاح باطنكم وظاهركم فاني أخاف عليكم من الافصاح بالطعن في الشريعة ورمي علمائها بالمنقصة على عادتكم وعادة المتخلف ابن هذيل شيخكم منكر علم الجزئيات القائل بعدم قدرة الرب جل اسمه على جميع الممكنات وأنتم قد انتقلتم الى جوار أناس أعلام قلما تجوز عليهم حفظهم الله المغالطات فتأسركم شهادة العدول التي لا مدفع لكم فيها وتقع الفضيحة والدين النصيحة أعاذنا الله من درك الشقاء وشماتة الاعداء وجهد البلاء وكذلك احذركم من الوقوع بما لا ينبغي في الجناب الرفيع جناب سيد المرسلين وقائد الغر المحجلين صلوات الله وسلامه عليه فانه نقل عنكم في هذا الباب أشياء منكرة يكبر في النفوس التكلم بها أنتم تعلمونها وهي التي زرعت في القلوب ما زرعت من بغضكم وايثار بعدكم مع استشعار الشفقة والوجل من وجه آخر عليكم ولولا أنكم سافرتم قبل تقاصر ظل السلطنة عنكم لكانت الامة المسلمة امتعاضا لدينها ودنياها قد برزت بهذه الجهات لطالب الحق منكم فليس يعلم أنه صدر عن مثلكم من خدام الدول ما صدر عنكم من العيث في الابشار والاموال وهتك الاعراض وافشاء الاسرار وكشف الاستار واستعمال المكر والحيل والغدر في غالب الاحوال للشريف والمشروف والخادم والمخدوم ولو لم يكن في الوجود من الدلائل على صحة ما رضيتم به لانفسكم من الاتسام بسوء العهد والتجاوز المحض وكفران النعم والركون الى ما تحصل من الحطام الزائل الا عملكم مع سلطانكم مولاكم وابن مولاكم أيده الله بنصره وما ثبت من مقالاتكم السيئة فيه وفي الكثير من أهل قطره لكفاكم وصمة لا يغسل دنسها البحر ولا ينسى عارها الدهر فانكم تركتموه أولا بالمغرب عند تلون الزمان وذهبتم للكدية والاخذ بمقتضى المقامة الساسانية الى أن استدعاه الملك وتخلصت له بعد الجهد الاندلس فسقطتم عليه سقوط الذباب على الحلواء وضربتم وجوه رجاله بعضا ببعض حتى خلا لكم الجو وتمكن الامر والنهي فهمزتم ولمزتم وجمعتم من المال ما جمعتم ثم وريتم بتفقد ثغر الجزيرة الخضراء مكرا منكم فلما بلغتم أرض الجبل انحرفتم عن الجادة وهربتم بأثقالكم الهروب الذي أنكره عليكم من بلغه حديثكم او يبلغه الى آخر الدهر في العدوتين من مؤمن وكافر وبر وفاجر فكيف يستقيم لكم بعد المعرفة بتصرفاتكم حازم او يثق بكم في قول او فعل صالح أو طالح ولو كان قد بقي لكم من العقل ما تتفكرون به في الكيفية التي ختمتم بها عملكم بالاندلس من الزيادة في المغرم وغير ذلك عما لكم وزره ووزر من عمل به بعدكم الى يوم القيامة حسبما ثبت في الصحيح لحملكم على مواصلة الحزن وملازمة الاسف والندم على ما أوقعتم فيه نفسكم من الامارة من التورط

سنة ثلاثين ومائة وقد كان سليمان بن هشام بن عبد الملك اتصل بالخوارج بالجزيرة خوفا من مروان واحتوى عبد الله بن معاوية ابن عبد الله بن جعفر على بلاد اصطخر وغيرها من أرض فارس الى أن رفع منها وصار الى خراسان فقبض عليه أبو مسلم وقد ذكرنا من يقول بامامته وينقاد الى دعوته في كتابنا المقالات في أصول الديانات في باب تفرق الشيعة ومذاهبهم وقوي أمر أبي مسلم وغلب على أكثر خراسان وضعف نصر بن سيار من عدم النجدة فخرج عن خراسان حتى أتى الري وخرج عنها فنزل ساوة بين بلاد همذان والري فمات بها كذا وكان نصر بن سيار لما صار بين الري وخراسان كتب كتابا الى مروان يذكر فيه خروجه عن خراسان وأن هذا الامر الذي أزعجه سينمو حتى يملأ البلاد وضمن ذلك أبياتا من الشعر وهي

أنا وما نكتم من أمرنا … كالثور اذ قرب للباخع
أو كالتي يحسبها أهلها … عذراء بكرا وهي في التاسع
كنا نرفيها فقد مزقت … واتسع الخرق على الراقع
كالثوب اذ أنهج فيه البلى … أعيا على ذي الحيلة الصانع

فلم يستتم مروان قراءة هذا الكتاب حتى مثل أصحابه بين يديه ممن كان قد وكل بالطرق رسولا من خراسان

والتنشب

والتذبذب في أشطان الآمال ودسائس الشيطان ونعوذ بالله من شرور الانفس وسيآت
الاعمال وأما قولكم عن فلان انه كان حشرة في قلوب اللوز وان فلانا كان برغوثا في تراب
الجول فكلام سفساف يقال لكم من الجواب عليه وأنتم يا هذا أين كنتم منذ خمسين سنة
مثلا خلق الله الخلق لا استظهارا بهم ولا استكثارا وأنشأهم كما قدر أحوالا وأطوارا
واستخلفهم في الارض بعد أمة أمما وبعد عصر أعصارا وكلفهم شرائعه وأحكامه ولم
يتركهم هملا وأمرهم ونهاهم ليبلوهم أيهم أحسن عملا ان أكرمكم عند الله اتقاكم وبكل
اعتبار فلا نعلم في نمط الطلبة تدريجا كان أسمج من تدريجكم ونبذا من نبذا فانه كان كذا
وأكثر أهل زمانه تحملا وتقللا في نفسه بالنسبة الى منصبه كان الشيخ أبو الحسن بن الجياب
ولكنه حين علم رحمه الله تعالى من نشأتكم وحالتكم ما لم نبه دمصاهرتكم وصرف عليكم
صداقكم وكذلك فعلت بنت جزي زوج الرهصي معكم حسبما هو مشهور في بلدكم وذكرتم
انكم ما زلتم من أهل الغنى حيث تقررتم بذكر العرض وهو بفتح العين والراء حطام الدنيا على
ما حكى أبو عبيد وقال أبو زيد هو بسكون الراء المال الذي لا ذهب فيه ولا فضة وأي مال
خالص يعلم لكم ولابيكم بعد الخروج من الثقاف على ما كان قد تبقى عنده من مجبى قرية
متراسل ثم من العدد الذي برز قبلكم أيام كانت أشغال الطعام بيدكم على ما شهد به الجمهور من
أصحابكم وأما الفلاحة التي أشرتم اليها فلا حق لكم فيها اذ هي في الحقيقة لبيت مال المسلمين
مع ما بيدكم على ما تقرر في الفقهيات والمعدوم شرعا كالمعدوم حسا ولو قبل من أهل المعرفة
بكم بعض ما لديهم من سقطاتكم في القال والقيل ولم يصرف الى دفع معرتها عنكم وجه
التأويل لكانت مسئلتكم ثانية لمسئلة أبي الخير بل أبي الشر الحادثة أيام خلافة الحكم
المسطورة في نوازل أبي الاصبغ بن سهل فاعلموا ذلك ولا تهملوا اشارتي عليكم قديما وحديثا
بلزوم الصلوات وحضور الجماعات وفعل الخيرات والعمل على التخلص من التبعات ان وعد
الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقلتم في كتابكم ان الخطط المتوارثة
عن الآباء والاجداد وقد اذهب الله عنا ببركة الملة المحمدية عبية الجاهلية في التفاخر
بالآباء ولكني أقول لكم على جهة المقابلة لكلامكم ان كانت الاشارة الى المحتسب بهذا
فمن المعلوم المتحقق عند أفاضل الناس أنه من حيث الاصالة احد أماثل قطره قال القاضي
أبو عبد الله بن عسكر وقد ذكر في كتابه من سلفي فلان بن فلان ما نصه وبيته بيت قضاء
وعلم وجلالة لم يزالوا يرثون ذلك كابرا عن كابر استقضى جده المنصور بن أبي عامر وقاله
غيره وغيره وبيدي من عهود الخلفاء وصكوك الامراء المكتتبة بخطوط أيديهم من لدن
فتح جزيرة الاندلس الى هذا العهد القريب ما تقوم به الحجة القاطعة للسان الحاسد والجاحد
والمنة لله وحده وان كانت الاشارة للغير من الاصحاب في الوقت حفظهم الله فكل واحد منهم
اذا نظر اليه بعين الحق وجد أقرب منكم نسبا للخطط المعتبرة وأولى بميراثها بالفرض والتعصيب
أو مساويا على فرض المسامحة لكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه
ولا يخذله ولا يحقره حرام دمه وماله وعرضه ونرجع الى طريقة أخرى فنقول من كان
يا فلان من قومكم في عمود نسبكم نبيها مشهورا او كاتبا قبلكم معروفا او شاعرا مطبوعا او رجلا

من أبي مسلم الى ابراهيم بن محمد الامام يخبره فيه خبره وما آل اليه أمره فلما تأمل
مروان كتاب أبي مسلم قال
للرسول لا ترع كم دفع لك
صاحبك قال كذا وكذا
قال فهذه عشرة آلاف
درهم لك وانما دفع اليك
شيأ يسيرا وامض بهذا
الكتاب الى ابراهيم ولا
تعلمه بشئ مما جرى وخذ
جوابه فائتني به ففعل
الرسول ذلك فتأمل مروان
جواب ابراهيم الى أبي مسلم
بخطه يأمره فيه بالجد
والاجتهاد والحيلة على
عدوه وغير ذلك من أمره
ونهيه فاحتبس مروان
الرسول وكتب الى الوليد
ابن معاوية بن عبد الملك
وهو على دمشق يأمره أن
يكتب الى عامل البلقاء
فيسير الى القرية المعروفة
بالكداد والحميمة ليأخذ
ابراهيم بن محمد فيشده وثاقا
ويبعث به اليه في خيل
كثيفة فوجه الوليد الى
عامل البلقاء وهو جالس
في مسجد القرية فأخذوه
ملففا وحمل الى الوليد
فحمله الى مروان فحبسه
في السجن شهرين وقد كان
جرى بين ابراهيم ومروان
خطب طويل حين سأل
ابراهيم وانكر كل ما ذكره
له مروان من أمر أبي مسلم
وقال له مروان يا منافق أليس
هذا كتابك الى أبي مسلم
جوابا عن كتابه اليك وأخرج اليه الرسول وقال أتعرف هذا فلما رأى ذلك ابراهيم أمسك وعلم

نبيها مذكورا ولو كان بالوشي وكان لكان من الواجب الرجوع الى التناصف والتواصل
والتواضع وترك التحاسد والتباغض والتقاطع ان الله لا ينظر الى صوركم وابدانكم ولكن
ينظر الى قلوبكم وأعمالكم وكذلك العجب كل العجب من تسميتكم الخربات التي شرعتم في
بنائها بدار السلامة وهيهات هيهات المعروف من الدنيا أنها دار بلاء وجلاء وعناء وفناء ولولم
يكن من الموعظة الواقعة بتلك الدار في الوقت الاموت سعيد كم عند دخولها لاغنا كم عن
العلم اليقين بما لها وأظهرتم سرورا كثيرا بما قلتم انكم نلتم حيث أنتم من الشهوات التي
ذكرتم ان منها الاكثار من الاكل والخرق والقعود بازاء جارية الماء على نطع الجلد
والامساك أولى بالجواب على هذا الفصل فلا خفاء بما فيه من الخسة والخبائث والخبث
وبالجملة فسرور العاقل انما ينبغي أن يكون بما يحمل تقدمه من زاد التقوى للدار الباقية فما
العيش كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عيش الآخرة فقدموا ان قبلتم وصاة
الحبيب او البغيض بعضا عسى أن يكون لكم ولا تخلوا كلا يكون عليكم هذا الذي قلته لكم
وان كان لدي من يقف عليه من نمط الكثير فهو باعتبار المكان وما مر من الزمان في حيز
اليسير وهو في نفسه قول حق وصدق ومستند أكثره كتاب الله وسنة محمد رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعلى سائر أنبيائه فاحمدوا الله العلي العظيم على تذكيركم به اذ هو جار مجرى
النصيحة الصريحة يسرني الله واياكم لليسرى وجعلنا ممن ذكر فانتفع بالذكرى والسلام
انتهى كلام القاضي ابن الحسن النباهي في كتابه الذي خاطب به لسان الدين رحمه الله
تعالى وأين هذا الكلام الذي صدر من ابن الحسن في حقه من انشاء لسان الدين رحمه الله
تعالى في تولي ابن الحسن المذكور القضاء وهو هذا ظهير كريم انتج مطلوب الاختيار
قياسه ودل على ما يرضي الله عز وجل التماسه وأطلع نور العناية الذي يجلو الظلام نبراسه
واعتمد بمثابة العدل من عرف باقتراع هضبتها ناسه وألقى بيد المعتمد به زمام الاعتقاد
الجميل تروق أنواعه وأجناسه وشيد مبنى العز الرفيع في قبة الحسب المنيع وكيف
لا والله بانيه والمجد أساسه أمر به وأمضى العمل بمقتضاه وحسبه أمير المسلمين عبد الله
محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبي الحجاج ابن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد اسمعيل بن فرج
ابن نصر أيد الله أوامره وخلد مفاخره لقاضي حضرته العلية وخطيب حمرائه السنية
المخصوص لديه بترفيع المزية المصروف اليه خطاب القضاة بإيالته النصرية قاضي
الجماعة ومصرف الاحكام الشرعية المطاعة الشيخ كذا أبي الحسن ابن الشيخ كذا
أبي محمد بن الحسن وصل الله سعادته وحرس مجادته وبنى من فضله ارادته عصب منه
جبين المجد بتاج الولاية وأجال قداح الاختيار حتى بلغ الغاية وتجاوز النهاية ما ألقى منه
بيمين عرابة الراية وأحله منه محل اللفظ من المعنى والاعجاز من الآية وحشر الى مدعاة
ترفيعه وجوه البر وأعيان العناية وأنطق بتجليه ألسن أهل جيله بين الافصاح والكناية
ولما كان له الحسب الاصيل الذي شهدت به ورقات الدواوين والاصالة التي قامت
عليها صحاح البراهين والآباء الذين اعتد بمضاء قضائهم الدين وطبق مفاصل الحكم
بسيوفهم الحق المبين وازدان بعدالة وزرائهم السلاطين فمن فارس حكم أو حكيم تدبير

وقاض

أنه أتى من مامنه واشتد أمر أبي مسلم وكان في الحبس مع ابراهيم جماعة من بني هاشم وبني أمية فمن بني أمية عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن مروان والعباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان وكان مروان قد خافهما على نفسه وخشي أن يخرجا عليه ومن بني هاشم عيسى بن علي وعبد الله بن علي وعيسى بن موسى فذكر أبو عبيدة الثعلبي وكان معهم في الحبس أنه هجم عليهم في الحبس وذلك بحران جماعة من موالي مروان من العجم وغيرهم فدخلوا البيت الذي كان فيه ابراهيم والعباس وعبد الله فأقاموا عندهم ساعة ثم خرجوا وأغلق باب البيت فلما أصبحنا دخلنا عليهم فوجدناهم قد أتى عليهم ومعهم غلامان صغيران من خدمهم كالموتى فلما رأيانا انسابا فسألناهما الخبر فقالا أما العباس وعبد الله فجعل على وجوههما مخاد وقعد فوقهما فاضطربا ثم بردا وأما ابراهيم فانهم جعلوا رأسه في جراب كان معهم فيه نورة مسحوقة فاضطرب ساعة ثم خمد وكان في الكتاب الذي قرأه مروان من ابراهيم الى أبي مسلم أبيات من الرجز بعد خطب طويل منها

دونك أمراً قد بدت أشراطه * ان السبيل واضح صراطه * لم يبق الا السيف واختراطه

وقاض في الامور الشرعية ووزير أو جامع بينهما جمع سلامة لا جمع تكسير تعدد ذلك واطرد
ووجد مشرع المجد عذبا فورد وقصرت النظراء عن مداه فانفرد وفرى الفرى في يد
الشرع فأشبه السيف البرد وجاء في أعقابهم محييا المدارس بما حقق ودرس جانيا لما
بذر السلف المبارك واغترس طاهر النشأة وقورها محمود السجية مشكورها متحليا
بالسكينة حالا من النزاهة بالمكانة المكينة ساحبا أذيال الصون بعيدا عن الاتصاف
بالفساد من لدن الكون خطبته الخطط العليه واغتبطت به الجادة الاوليه واستعملته
دولته التي ترتاد أهل الفضائل للرتب واستظهرت على المناصب بابناء التقى والحسب
والفضل والمجد والادب ممن يجمع بين الطارف والتالد والارث والمكتسب فكان معدودا
من عدول قضاتها وصدور نبهائها وأعيان وزرائها وأولى آرائها فلما زان الله تعالى خلافته
بالتمحيص المتجلي من التخصيص وخلص ملكه الاصيل كالذهب الابريز بعد التخليص
كان ممن صحب ركابه الطالب للحق بسيف الحق وسلك في مظاهرته أوضح الطرق
وجادل من حاده بأمضى من الحداد الذلق واشتهر خبره وفاؤه في الغرب والشرق وصلى به
صلاة السفر والحضر والامن والحذر وخطب به في الاماكن التي بعد بذكر الله عهدها
وخاطب عنه أيده الله تعالى المخاطبات التي حمد قصدها حتى استقل ملكه فوق سريره
وابتهج منه الاسلام بأميره وابن أميره ونزل الستر على العباد والبلاد ببركة ايالته وحسن
تدبيره وكان الجليس المقرب المحل والحظي المشاور في العقد والحل والرسول المؤتمن على
الاسرار والامين على الوظائف الكبار مزين المجلس السلطاني بالوقار ومتحف الملك
بغريب الاخبار وخطيب منبره العالي في الجمعات وقارئ الحديث لديه في المجتمعات
ثم رأى أيده الله تعالى أن يشرك رعيته في نفعه ويصرف عوامل الحظوة على مزيد رفعه
ويجلسه مجالس الشارع صلوات الله عليه لايضاح شرعه واصله الوثيق وفرعه وقدمه
أعلى الله تعالى قدمه وشكر آلاءه ونعمه قاضيا في الامور الشرعية وفاصلا في
القضايا الدينية بحضرة غرناطة العلية تقديم الاختيار والانتقاء وأبقى له فخر السلف
على الخلف والله سبحانه يمتعه بطول البقاء فليتول ذلك عادلا في الحكم مهتديا بنور
العلم مسويا بين الخصوم حتى في لحظه والتفاته متصفا من الحلم بأفضل صفاته مهيبا
في الدين رؤفا بالمؤمنين جزلا في الاحكام مجتهدا في الفصل بامضى حسام مراقبا الله
عز وجل في النقض والابرام وأوصاه بالمشورة التي تقدح زناد التوفيق والتثبت حتى
ينتج قياس التحقيق بارا بمشيخة أهل التوثيق عادلا الى سعة الاقوال عند المضيق سائرا
من مشورة المذهب على أهدى طريق وصية اصدرها له مصدر الذكرى التي تنفع
ويعلي الله بها الدرجات ويرفع والا فهو عن الوصاة غني وقصده قصد سني والله عز وجل
ولي اعانته والحارس من التبعات أكناف ديانته والكفيل بحفظه من الشبهات وصيانته
وأمر أيده الله تعالى أن ينظر في الاحباس على اختلافها والاوقاف على شتى أصنافها
واليتامى التي أسندت كفالة القضاة على اضعافها فيذود عنها طوارق الخلل ويجري
امورها بما يتكفل لها بالامل وليعلم أن الله عز وجل يراه وأن فلتات الحكم تعاوده

وقد ذكر في كيفية قتل ابراهيم الامام من الوجوه غير ما ذكرنا وقد أتينا على
جميع ما قيل في ذلك في الكتاب الاوسط وكذلك ما كان من قحطبة وابن هبيرة على الفرات وغرق قحطبة فيه ودخول ابنه الحسن بن قحطبة الكوفة وسار مروان حتى نزل على الزاب الصغير وعقد عليه الجسر وأتاه عبد الله بن علي في عساكر أهل خراسان وقوادهم وذلك لليلتين خلتا من جمادى الآخرة من سنة اثنتين وثلاثين ومائة فالتقى مروان وعبد الله بن علي وقد كردس مروان خيله كراديس ألفا وألفين فكانت على مروان فانهزم وقتل وغرق من أصحابه خلق عظيم فكان فيمن غرق في الزاب من بني أمية ذلك اليوم ثلثمائة رجل دون من غرق من سائر الناس وكان فيمن غرق في الزاب في ذلك اليوم من بني أمية ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك المخلوع وهو أخو يزيد الناقص وقد قيل في رواية أخرى ان مروان كان قد قتل ابراهيم بن الوليد قبل هذا الوقت وصلبه وكانت هزيمة مروان من الزاب في يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت من جمادى
الآخرة في سنة اثنتين وثلاثين ومائة ومضى مروان في هزيمته حتى أتى الموصل فمنعه أهلها من

المراجعة في اخراه فيدرع جنة تقواه وسبحان من يقول ان الهدى هدى الله فعلى من يقف عليه أن يعرف أمر هذا الاجلال صائنا منصبه من الاخلال مبادرا أمره الواجب بالامتثال بحول الله وكتب في الثالث من شهر الله المحرم فاتح عام اربعة وستين وسبعمائة عرف الله سبحانه فيه هذا المقام العلي عوارف النصر المبين والفتح القريب بمنه وكرمه فهو المستعان لارب غيره انتهى ونظير هذا ما أنشأه لسان الدين على لسان سلطانه للكاتب أبي عبد الله بن زمرك حين تولى كتابة السر ونصه هذا ظهير كريم نصب المعتمد به للامانة الكبرى ببابه فرفعه وأفرد له متلو العز وجمعه واوتره وشفعه وقربه في بساط الملك تقريبا افتتح له باب السعادة وشرعه وأعطاه لواء القلم الاعلى فوجب على من دون رتبته من أولى صنعته أن يتبعه ورعى له وسيلة السابقة عند استخلاص الملك لما ابتزه الله من يد الغاصب وانتزعه وحسبك من زمام لا يحتاج الى شئ معه أمر به امير المسلمين محمد للكذا والكذا فلان وصل الله سعادته وحرس مجادته أطلع الله تعالى له وجه العناية ابهى من الصبح الوسيم وأقطعه جناب الانعام الجسيم وأنشقه أرواح الحظوة عاطرة النسيم ونقله من كرسي التدريس والتعليم الى مرقى التنويه والتكريم والرتبة التي لا يلقاها الا ذو حظ عظيم وجعل اقلامه جياد الاجالة أمره العلي وخطابه السني في ميدان الاقاليم ووضع في يده أمانة القلم الاعلى جاريا من الطريقة المثلى على المنهج القويم واختصه بمزية التفوق على كتاب بابه والتقدم لما كان ناهض الفكر في طلبة حضرته زمن البداية ولم تزل تظهر عليه لاولى التطميز مخايل هذه العناية فان حضر في حلق العلم جلى في حلبة الحفاظ الى الغاية وان نظم او نثر أتى بالقصائد المصقولة والمخاطبات المنقولة فاشتهر في بلده وغير بلده وصارت أزمة العناية طوع يده بما أوجب له المزية في يومه وغده وحين رد الله عليه ملكه الذي جبر به جناح الاسلام وزين وجوه الليالي والايام وأدال الضياء من الظلام كان ممن وسمه الوفاء وشهره وعجم الملك عود خلوصه وخبره فحمد أثره وشكر ظاهره ومضمره واستصحب على ركابه الذي صحب اليمن سفره واخلصت الحقيقة نفره وكفل الله ورده وصدره معوان النقيبة حسن الضريبة صادقا في الاحوال المريبة ناطقا عن مقامه بالمخاطبات العجيبة واصلا الى المعاني البعيدة بالعبارة القريبة مبرزا في الخدم الغريبة حتى استقام العماد ونطق بصدق الطاعة الحي والجماد ودخلت في دين الله أفواجا العباد والبلاد لله الحمد على نعمه الثرة العهاد وآلائه المتوالية الترداد رعى له أيده الله هذه الوسائل وهو احق من رعاها وشكر له الخدم المشكور مسعاها فنص عليه الرتبة الشماء التي خطبها بوفائه وألبسه أثواب اعتنائه وفسح له مجال آلائه وقدمه أعلى الله قدمه كاتب السر وأمين النهي والامر تقديم الاختيار بعد الاختبار والاغتباط بخدمته الحسنة الآثار وتيمن باستخدامه قبل الحلول بدار الملك والاستقرار وغير ذلك من موجبات الاكبار فليتول ذلك عارفا بقدر داره مقتفيا آثاره مستعينا بالكتم لاسراره والاضطلاع بما يحمد من أمانته وعفافه ووقاره معطيا هذا الرسم حقه من الرياسة عارفا بانه أكبر أركان السياسة حتى يتأكد الاغتباط بتقريبه وادنائه

الدخول اليها واظهروا السواد لما رأوه من تولية الامر عنه وأتى حران وكانت داره وكان مقامه بها وقد كان أهل حران قاتلهم الله تعالى حين أزيل ابن أبي تراب يعني علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن المنابر يوم الجمعة امتنعوا من ازالته وقالوا لا صلاة الا بلعن أبي تراب وأقاموا على ذلك سنة حتى كان من امر المشرق وظهور المسودة ما كان وامتنع مروان من ذلك لانحراف الناس عنهم وخرج مروان في أهله وسائر بني أمية عن حران وعبر الفرات ونزل عبد الله ابن علي على باب حران فهدم قصر مروان وقد كان أنفق عليه عشرة آلاف درهم واحتوى على خزائن مروان وأمواله وسار مروان فيمن معه من خواصه وعياله حتى انتهى الى نهر أبي فطرس من بلاد فلسطين والاردن فنزل عليه وسار عبد الله ابن علي حتى نزل دمشق فحاصرها وفيها يومئذ الوليد بن معاوية بن عبد الملك في خمسين ألف مقاتل فوقعت بينهم العصبية في فضل اليمن على نزار ونزار على اليمن فقتل الوليد بن معاوية وقد قيل ان أصحاب عبد الله بن علي قتلوه وأتى عبد الله بن علي يزيد بن معاوية بن عبد الملك بن مروان وعبد الجبار بن يزيد بن عبد الملك بن مروان وتتوفر

وتتوفر أسباب الزيادة فى اعلائه وهو ان شاء الله غنى عن الوصاة فهما ثاقبا يهتدى بضيائه وهو يعمل فى ذلك أقصى العمل المتكفل ببلوغ الامل وعلى من يقف عليه من حملة الاقلام والكتاب الاعلام وغيرهم من الكافة والخدام أن يعرفوا قدر هذه العناية الواضحة الاحكام والتقديم الراسخ الاقدام ويوجبوا ما أوجب من البر والاكرام والاجلال والاعظام بحول الله وكتب فى كذا انتهى فانظر صانني الله واياك من الاغيار وكفاناشر من كفر الصنيعة التى هى على النقص عنوان ومعيار الى حال الوزير لسان الدين بن الخطيب مع هذين الرجلين القاضى ابن الحسن والوزير ابن زمرك اللذين تسببا فى هلاكه حتى صار أثرا بعد عين مع تنويهه بهما فى هذا الانشاء وغيره وتفيئهما كما هو معلوم ظلال خيره فقابلاه بالغدر وأظهرا عند الامكان حقد القلب وغل الصدر وسددا القتله سهاما وقسيا وصيرا سبيل الوفاء نسيا منسيا ولا حول ولا قوة الا بالله

ومن انشاء لسان الدين فى حق القاضى ابن الحسن أيضا حين أضيفت اليه الخطابة الى القضاء على لسان سلطانه هذا ظهير كريم أعلى رتبة الاحتفاء اختيارا واختبارا وأظهر معانى الكرامة والتخصيص انتقاء واصطفاء وايثارا ورفع لواء الجلالة على من اشتمل عليه حقيقة واعتبارا ورقى فى درجات العز من طاولها على بهر أنوارا ودنا كرم فى الصالحات آثارا وزكا فى الاصالة نجارا وخلوص الى هذا المقام العلى السعيد الذى راق اظهارا واضمارا أمر به وأمضاه وأنفذ حكمه ومقتضاه أمير المسلمين عبد الله محمد الى آخره للشيخ الكذا القاضى العدل الارضى قاضى الجماعة وخطيب الحضرة العلية المخصوص لدى المقام العلى بالحظوة السنية والمكانة الحفية الموقر الفاضل الحافل الكامل المبرور أبى الحسن ابن الشيخ الفقيه الوزير الاجل الاعز الماجد الاسنى المرفع الاحفل الاصلح المبارك الاكمل الموقر المبرور المرحوم أبى محمد بن الحسن وصل الله عزته ووالى رفعته ومبرته ووهب له من صلة العناية الربانية أمله وبغيته لما أصبح فى صدور القضاة العلماء مشارا الى جلاله مستندا الى معرفته المخصوصة بكماله مطرزا على الافادة العلمية والادبية بمحاسنه البديعة وخصاله محفوفا معقد الحكم النبوى ببركة عدالته وفضل خلاله وحل فى هذه الحضرة العلية المحل الذى لا يرقاه الا عين الاعيان ولا يثوى مهاده الا مثله من أبناء المجد الثابت الاركان وموئل العلم الواضح البرهان والمبرزين بالمآثر العلية فى الحسن والاحسان وتصدر لقضاء الجماعة فصدرت عنه الاحكام الراجحة الميزان والانظار الحسنة الاثر والعيان والمقاصد التى وفت بالغاية التى لا تستطاع فى هذا الميدان فكم من قضية جلا بمعارفه مشكلها ونازلة مبهمة فتح بادراكه مقفلها ومسئلة عرف نكرتها وقرر مهملها حتى قرت بعدالته وجزالته العيون وصدقت فيه الآمال الناجحة والظنون وكان فى تصدره لهذه الولاية العظمى من الخير والخيرة ما عسى أن يكون كان أحق بالتشفيع لولاياته وأولى وأجدر بمضاعفة النعم التى لا تزال تترادف على قدره الاعلى فلذلك أصدر له أيده الله هذا الظهير الكريم مشيدا بالترفيع والتنويه ومؤكدا للاحتفاء الوجيه وقدمه أعلى الله قدمه وشكر نعمه خطيبا بالجامع الاعظم من

فحملهما الى أبى العباس السفاح فقتلهما وصلبهما بالحيرة وقتل عبد الله بن على بدمشق خلقا كثيرا ولحق مروان بمصر ونزل عبد الله بن على على نهر أبى فطرس فقتل من بنى أمية هنالك بضعا وثمانين رجلا وذلك فى يوم الاربعاء للنصف من ذى القعدة سنة اثنتين وثلاثين ومائة وقتل بالبلقاء سليمان بن يزيد بن عبد الملك وحمل رأسه الى ابى عبد الله ابن على ورحل صالح بن على فى طلب مروان ومعه أبو عون عبد الملك بن يزيد وعامر بن اسمعيل المذحجى فلحقوه بمصر وقد نزل بوصير فبايتوه وهجموا على عسكره وضربوا بالطبول وكبروا ونادوا يالثارات ابراهيم فظن من فى عسكر مروان أن قد أحاط بهم سائر المسودة فقتل مروان وقد اختلف فى كيفية قتله فى المعركة فى تلك الليلة وكان قتله ليلة الاحد لثلاث بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة ولما قتل عامر بن اسمعيل مروان وأراد الكنيسة التى فيها بنات مروان ونساؤه اذا بخادم لمروان شاهر السيف يحاول الدخول عليهن فأخذوا الخادم فسئل عن أمره فقال أمرنى مروان اذا هو قتل أن أضرب رقاب بناته ونسائه فلا تقتلونى فانكم والله أن قتلتمونى ليفقدن ميراث رسول الله صلى الله

حضرته مضافا ذلك الى ولايته ورفيع منزلته مرافقا لمن بالجامع الاعظم عمره الله بذكره من علية الخطباء وكبار العلماء وخيار النبهاء الصلحاء فليتداول ذلك في جماته مظهرا في الخطة أثر بركاته وحسناته عاملا على مايقربه عند الله من مرضاته ويظفره بجزيل مثوباته بحول الله وقوته انتهى فهذا ثناء لسان الدين المرحوم على القاضي ابن الحسن واشادته بذكره وباشارته وتدبيره ولي قضاء القضاة وخطابة الجامع الاعظم بغرناطة وهذان المنصبان لم يكن في الاندلس في ذلك الزمان من المناصب الدينية أجل منهما ولما حصل للسان الدين رحمه الله تعالى ماحصل من النفرة عن الاندلس واعمال الحيلة في الانفصال عنها العلمه أن سعايات ابن زمرك وابن الحسن ومن يعضدهما تمكنت فيه عند سلطانه خاص منها على الوجه الذي قدمناه وشمر القاضي ابن الحسن عن ساعد اذايته والتسجيل عليه بما يوجب الزندقة كما سبق جميعه مفصلا فحينئذ أطلق لسان الدين عنان قلمه في سب المذكور وثلبه وأورد في كتابه الكتيبة الكامنة في أبناء المائة الثامنة من مثالبه ما انسى ماسطره صاحب القلائد في ابن باجة المعروف بابن الصائغ حسبما نقلنا ذلك أعني كلام الفتح في غير هذا الموضع ولم يقتنع بذلك حتى ألف الكتاب الذي سماه بخلع الرسن كما ألمعنا به فيما سبق والله سبحانه يتجاوز عن الجميع بمنه وكرمه * واعلم أن للسان الدين ابن الخطيب رحمه الله تعالى الغاية في المدح والقدح فتارة على طريق الترسل وطورا على غيرها وقد أقذع وبالغ رحمه الله تعالى في هجو أعدائه بما لا تحتمله الجبال وهو أشد من وقع النبال ومنه ماوصف به الوزير الذي كان استوزره السلطان اسمعيل بن الاحمر الثائر على سلطان ابن الخطيب حسبما سبق الالمام بذلك والوزير هو ابراهيم بن أبي الفتح الاصلع الغوي اذ قال في المذكور وفي ابن عمه محمد بن ابراهيم بن أبي الفتح العقرب الردي بعد كلام ماصورته وماظنك برجل مجهول الجد موصوم الابوة الى أن قال تنور خبز وبركة مرقة وثعبان حلواء وفاكهة مغي في شح النفس منها لك في مستر ذل الطمع عليه العذيوط الغبي ابن عمه بسداجة زعوامع كونه قبيح الشكل بشيع الطلعة الى أن قال وفي العشر الاول من رمضان عام واحد وستين وسبعمائة تقبض على الوزير المشؤم وابن عمه الغوي العشوم وولد الغوي مرسل الظفيرة أبعد الناس في مهوى الاغترار يختال في السرف والحلية سم من سم القوارير وابتلاء من الله لذوي الغيرة بروح نشوان العشيات يرقص بين يديه ومن خلفه عدد من الاخلاف يعاقرون النبيذ في السكك الغاصة وولد العقرب الردي بضده قماءة وتقطيبا تنبو عنهما العيون ويبكي منهما الخز كأنهما صمتا عند المحاورة وأظلاما عند الالاء من اذلاء بني النضير ومهتضمي خيبر فثقفا مليا ووجدهما الى ساحل المنكب قال المخبر فرأيت منكوبين أقبح شكلا ولا أفقد صبرا من ذينك التيسين الحبقين لعم الرؤس ضخام الكروش مبهوري الانفاس متلعلعي الالسنة قدر بت بحبل السيف من عنق كل جبار منهما شعمة اترجية كأنها اسنام الحوار لايثيرون دمعا ولا يستنزلون رحمة ولا يمهدون عذرا ولا يتزودون من كتاب الله آية قد طبع الله على قلوبهم وأخذهم ببغيهم وعجل لهم سوء سعيهم وللعين أركبوهم وجراءهم يعني أولادهم في جفن غزوي تحف بهم الساعير من الرجال واقتفى بهم اثر قرقورة

الى موضع رمل فقال اكشفوا ههنا فكشفوا فاذا البرد والقضيب ومخصر قد دفنها مروان لئلا تصير الى بني هاشم فوجه بها عامر بن اسمعيل الى عبد الله ابن علي فوجه بها عبد الله الى أبي العباس السفاح فتداولت ذلك خلفاء بني العباس الى أيام المقتدر فيقال ان البرد كان عليه في يوم مقتله ولست أدري أكل ذلك باق مع المتقي لله الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة في نزوله الرقة أم قد ضيع ذلك ثم وجه عامر بنات مروان وجواريه والاسارى الى صالح بن علي فلما دخلن عليه تكلمت ابنة مروان الكبرى فقالت ياعم أمير المؤمنين حفظ الله لك في الدنيا والآخرة نحن بناتك وبنات أخيك فليسعنا من عفوكم ماوسعكم من جورنا قال اذا لانستبقي منكم أحدا رجلا ولا امرأة ألم يقتل أبوك بالامس ابن أخي ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الامام في محبسه بحران ألم يقتل هشام بن عبد الملك زيد ابن علي بن الحسين بن علي وصلبه في كناسة الكوفة وقتل امرأة زيد بالحيرة على يدي يوسف بن عمر الثقفي ألم يقتل الوليد بن يزيد يحيى بن زيد وصلبه

تحمل

تحمل حاجا الى الاسكندرية تورية بالقصد فلما لججوا اقذف بهم فى لجة بعد استخلاص ماضيشوابه وتلك الاصلع الغوى فاثبت بجراحة أشعر بها ديه واختلط العقرب الردى فنال من جناب الله سخطا وضيقا تعالى الله عن نكيره فكان فرعون هذا الزمان جبروتا وعتوا وميتة عجل الله لهم العذاب وغرقهم فى اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين فسبحان من لا تضيع الحقوق مع عدله ولا تنفخ الآمادح منازعة رداء كبريائه مرغم الانوف وقاطع دابر الكافرين وفى ذلك أقول مترجحا وان لم يكن علم الله تعالى شانى ولا تكرر فى ديوانى

وما كنت ممن يدخل العشق قلبه * ولكن من يبصر جفونك يعشق

ومن أمثالهم من استغضب فلم يغضب فهو حمار والله سبحانه يقول ومن أصدق من الله قيلا وجزاء سيئة سيئة مثلها والعفو أقرب للتقوى والقرب والبعد بيده سبحانه وصدرت هذه الكلمة لحين تعرف احلائهم فى الجفن الى الاسكندرية وبعد ذلك صح هلاكهم

كن من صروف الردى على حذر * لا يقبل الدهر عذر معتذر
ولا تعوّل فيه على دعة * فأنت فى قلعة وفى سفر
فكل رى يفضى الى ظما * وكل أمن يدعو الى غرر
كم شامخ الانف ينثنى فرحا * بال عليه زمانه وخرى
قل للوزير البليد قد ركضت * فى ربعك اليوم غارة الغير
يا ابن أبى الفتح نسبة عكست * فلا بفتح أتت ولا ظفر
وزارة لم يجد مقلدها * عن شؤمها فى الوجود من وزر
فى طالع النحس حزت رتبتها * وكل شئ فى قبضة القدر
أى اختيار لم تبال نصبته * فى جسد للنحوس او نظر
بات له المشترى على غير * وأحرقت فيه قرصة القمر
يا طللا ما عليه من عمل * يا شجرا ما لديه من ثمر
يا مفرط الجهل والغباوة لا * يحسب الا من جملة البقر
يا دائم الحقد والفظاظة لا * يفرق ما بين ظالم وبرى
يا كمد اللون ينطفى كمدا * من حسد يستطير بالشرر
يا عدل سرج يا دن معتعد * ملآن من ريبة ومن قذر
يا واصلا للعشاء ناشئة الليل ورب الضراط فى السحر
من غير لب ولا مراقبة * لله فى مورد ولا صدر
يا خاملا جاهه الفروج يرى * صهر أولى الجاه مفخر مفتخر
كانوا انبطا فى الاصل او حبشا * ما عنده عبرة بمعتبر
يا ناقص الدين والمروءة والعقل ومجرى اللسان بالهذر
يا ولد السحق غير مكتتم * حديثه يا ابن فاسد الدبر
يا بغل طاحونة يدور بها * مجتهد السير مغمض البصر

بخراسان ألم يقتل عبيد الله بن زياد الدعى مسلم بن عقيل بن أبى طالب بالكوفة ألم يقتل يزيد بن معاوية الحسين بن على على يدى عمر بن سعد مع من قتل بين يديه من أهل بيته ألم يخرج بحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا حتى وردبهم على يزيد ابن معاوية وقبل مقدمهم بعث اليه برأس الحسين ابن على قد نصب دماغه على رأس رمح يطاف به كور الشام ومدائنها حتى قدموا به على يزيد بدمشق كانما بعث اليه برأس رجل من أهل الشرك ثم أوقف حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم موقف السبى يتصفحهن جنود أهل الشام الجفاة الطغام و يطلبون منه أن يهب لهم حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم استخفافا بحقه صلى الله عليه وسلم وجراءة على الله عز وجل وكفرا لانعمه فما الذى استبقيتم منا أهل البيت لو عدلتم فيه علينا قالت يا عم أمير المؤمنين وليسعنا عفوكم اذا قال أما العفو فنعم قد وسعكم فان أحببت زوجتك من الفضل بن صالح بن على و زوجت أختك من أخيه عبد الله بن صالح فقالت يا عم أمير المؤمنين وأى أوان عرس هذا بل تلحقنا بحران قال فاذا أفعل ذلك بكم ان شاء الله فالحقن بحران فعلت أصواتهن عند دخولهن بالبكاء على

في أشهر عشرة طمتهمو * فيا رحى الشؤم والبوادر
والله ما كنت بامشوم ولا * أنت سوى عرة بن العرر
ومن أبو الفتح في الكلاب وهل * لجاهل في الانام من خطر
قد ستر الدهر منك عورته * وكان لليوم غير مستتر
حانوت بزيمشي على فرش * وثور عرس يختال في حبر
لا منية تتقي لمعترك * ولا لسان يبين عن خبر
ولا يد تنتمي الى كرم * ولا صفاء يريح من كدر
عهدي بذاك الجبين قد ملئت * غضونه الغبر بالدم الهدر
عهدي بذاك القفا الغليظ وقد * مد لوقع المهند الذكر
اهدتك للبحر كف منتقم * ألقتك للحوت كف مقتدر
يا يتم أولادك الصغار ويا * حيرتهم بعد ذاك في الكبر
يا ثكل تلك الصماء أمهم * وظاعن الموت غير منتظر
والله لا نال من تخلفه * من أمل بعدها ولا وطر
والله لامحقان لا انتقلت * رحلاك منها الا الى سقر
ألحفك الله بالهوان ولا * رعاك فيمن تركت من عرر
ماء وقب الليل بالصباح وما * تقدم البرق عارض المطر انتهى

وقال مورياً بدم الاخوين في شأن سلطان تلك الدولة الذي أضحى أثراً بعد عين باسمعيل ثم أخيه قيس

تأذن ليل همي بانبلاج * دم الاخوين داوى جرح قلبي
وعالجني وحسبك من علاج

وهذه تورية بديعة لان الاطباء يقولون ان من خاصية دم الاخوين النفع من الجراح وقال رحمه الله تعالى تلت في رأس الغادر بالدولة حين عرض علي

في غير حفظ الله من هامة * هام بها الشيطان في كل واد
ما تركت حمداً ولا رحمة * في فم انسان ولا في فؤاد

وقال أيضاً في تلك الدولة بعد كلام ما نصه وانتدب فاضيهم الشيخ المتراخي الدين والفك المنحل العصب والعقيدة المعرق في العمومية المشهور بقبول الرشوة أبو فلان فلان بن فلان الغريب الاسم والولاية ومفتيهم معدن الرياء والموادة والبعد عن التخصص والحشمة والمثل في العماه والطرف في التهالك على الحطام فلان البناء المبحر في بناء الحفيرة المستخدم في دار ابنه أجيرا المختضب بالطين مضايقاً في رمق العيشة وحسبك به دليلا على الحياء وفضل البنوة فلفقوا من خيوط العنا كب شبهات تقلدوا بها حل العقد الموثق دينهم في معارضة صلب الملة بالآراء الخبيثة يحكم الوقاح منهم في الحكم الذي نزل به شديد القوى على الذي لا ينطق عن الهوى بحسب شهوته تحكمه في غزل امه ايثاراً للعاجل واستراباً بالوعيد ففضوا النكاح وحللوا محرم البضع للداخل وقد تأذن الله بفسخه وأجرى دمه نقداً قبل دفع فقده سبحانه حكم الحكام وقاهر الظلام وبا مشيخة السوء بلعنة الله وسوء الاحدوثة ومن يلعن الله فلن

مروان وشققن جيوبهن ملك مروان الى أن بويع أبو العباس السفاح خمس سنين وشهرين وعشرة أيام على حسب ما قدمنا في هذا الكتاب من التنازع في مدة أيامه ومن وقت أن بويع أبو العباس السفاح الى أن قتل ببوصير ثمانية أشهر فكانت مدة أيامه الى أن قتل خمس سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام وقد قدمنا ما تنازعوا فيه من مقدار سنه وغير ذلك من أخباره وقد أتينا على مبسوط أخباره فيما سلف من كتبنا وكان كاتبه عبد الحميد بن يحيى بن سعد صاحب الرسائل والبلاغات وهو أول من أطال الرسائل واستعمل التحميدات في فصول الكتب واستعمل الناس ذلك بعده وذكران مروان قال لكاتبه عبد الحميد حين أيقن بزوال ملكه قد احتجت أن تصير مع عدوي وتظهر الغدر بي فان اعجابهم بأدبك وحاجتهم الى كتابتك تدعوهم الى حسن الظن بك فان استطعت أن تنفعني في حياتي والا لم تعجز عن حفظ حرمي بعد وفاتي فقال له عبد الحميد ان الذي أشرت به على انفع الامرين لك وأقبحهما بي وما عندي الا الصبر حتى يفتح الله أو

فلن تجد له نصيرا انتهى * (ومن كلامه في نفاضة الجراب) وقد ذكر وزير المغرب محمد ابن علي بن مسعود ما ملخصه وانه مجنون أحول العين وحش النظرة يظن به الغضب في حال الرضا يهيج به المراق كمن زمانا خلف كاة مرقده يدخل اليه وعاء الحاجتين خوفا من اصحابه الى فضاء منزله وتوحشه من أهله وولده الى أن تضعف سورة المرة فيغف أمره قد باين زوجه مع انسحاب رواق الشبيبة وتوفر داعية الغبطة بخلاف جره الوسواس السوداوي نستدفع بالله شر بلائه فاستعان مستوزره منه برأي الفضل بن سهل ويحيى بن خالد وأمثالهما تداركنا الله رمق الاسلام بلطفه انتهى * ولما دخل لسان الدين رحمه الله تعالى مدينة مكناسة الزيتون تأخر قاضيها الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن علي بن أبي رمانة عن لقائه يوم وصوله فكتب اليه ما نصه

جفا ابن أبي رمانة وجه مقدمي * ونكب عني معرضا وتحاماني
وعجب عني حبه غير جاهل * بأني ضيف والمبرة من شاني
ولكن رآني مغربيا محققا * وأن طعامي لم يكن حب رمان

زيارة القاضي أصلحه الله لمثلي ممن لا يخافه ولا يرجوه تجب من وجوه أولها كوني ضيفا ممن لا يعد على الاختبار زيفا ولا تجرموا آنسته حيفا فضلا عن أن تشرع رمحا او تسل سيفا وثانيها أني امت اليه من الطلب بنسب بين موروث ومكتسب وقاعدة الفضل قد قررها الحق وأصلها والرحم كما علم تدعو لمن وصلها وثالثها المبدا في هذا الغرض ولكن الواو لا ترتب الا بالعرض وهو اقتفاء سنن المولى أيده الله في تأنيسي ووصفها باي عقربي وجليسي ورابعها وهو عدة كيسي وذخر تخييسي وقافية تجنيسي ومقام تلويني وتلبيسي مودة رئيس هذا الصنف العلمي ورئيسي فليت شعري ما الذي عارض هذه الاصول الاربعة ورجح مذاهبها المتبعة الا ان يكون عمل أهل المدينة ينافيها فهذا الحسب النفس ويكفيها وان تعذر لقاء اواستدعاء وعدم طعام اووعاء ولم يقع نكاح ولا استرعاء فلم يتعذر عذر يقتضيه الكرم والمنصب المحترم فالحاجة الى التماس الجدذات استباق والعرف بين الله والناس باق والغيرة على لسان مثله مفروضة والاعمال معروضة والله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة وان كان لدى القاضي في ذلك عذر فليبده وأولى الاعذار به أنه لم يقصده والسلام انتهى * ويعني بالمولى السلطان أبا سالم ابن السلطان أبي الحسن المريني وبرئيس هذا الصنف العلامة الخطيب أبا عبد الله بن مرزوق رحم الله الجميع * (ومن كلام لسان الدين رحمه الله تعالى) رسالة في أحوال خدمة الدولة ومصايرهم وتنبيههم على النظر في عواقب الرياسة بعيون بصائرهم عبر فيها عن ذوق ووجدان وليس الخبر كالعيان وخاطب بها الامام الخطيب عين الاعيان سيدي أبا عبد الله ابن مرزوق وكانه أعني لسان الدين اشار ببعض فصولها الى نفسه ونطق بالغيب في نكبته التي قادته الى رمسه وكان ذلك منه عندما أراد التخلي عن خدمة الملوك والتحلي بزينة أهل التصوف والسلوك فلم يرد الله أن تكون مهجته ناجية عن ساحة الظلمة خارجة وأراد ساحة الله وغفرانه عمر او أراد الله خارجة وصورة ما قال رحمه الله تعالى وأحسنت منه يعني ابن

وقد أتينا على خبر أبي الورد ومقتله وخبر بشر بن عبد الله الواحدي ومقتله في كتابنا الاوسط فاغنى ذلك عن ذكره وذكر اسمعيل ابن عبد الله القسري قال دعاني مروان وقد وافى على الهزيمة الى حران فقال يا أبا هاشم وما كان يكنيني قبلها قد ترى ما جاء من الامر وأنت الموثوق به ولا مخبأ بعد بؤس فالرأى فقلت يا أمير المؤمنين علام أجمعت قال على ان أرتحل بموالي ومن تبعني من الناس حتى اقطع الدرب وأميل الى مدينة من مدن الروم فانزلها وأكاتب صاحبها وأستوثق منه فقد فعل ذلك جماعة من ملوك الاعاجم وليس هذا عارا بالملوك ولا يزال يأتيني الخائف والهارب والطامع فيكثر من معي ولا أزال على ذلك حتى يكشف الله أمري وينصرني على عدوي فلما رأيت ما أجمع عليه وكان الرأي ورأيت آثاره من قومي من قحطان وتلاه عندهم فقلت أعيذك بالله يا أمير المؤمنين من هذا الرأي تحكم أهل الشرك في بناتك وحرمك وهم الروم ولا وفاء لهم

ولا تدري ما تأتي به الايام وانت ان حدث عليك حادث بارض النصرانية ولا يحدث عليك الا خير

مرزوق في بعض كتبه الواردة الى صاغية الى الدنيا وحنينا لما بلاه من غرورها فحملني الطور الذي ارتكبته في هذه الايام بتوفيق الله على أن أخاطبه بهذه الرسالة وحقها أن يجعلها خدمة الملوك ممن ينسب الى نبل ويلم بمعرفه مصحفا يدرسه وشعارا يلتزمه وهى سيدى الذى يده البيضاء لم تذهب بشهرتها المكافآت ولم تختلف في مدحها الافعال ولا تغايرت الصفات ولا تزال تعترف بها العظام الرفات أطلقك الله من أسر كل الكون كما أطلقك من أسر بعضه وزهدك في سمائه الفانية وفي أرضه وحقر الحظ في عين بصيرتك بما يحملك على رفضه اتصل بي الخبر السار من تركك لشانك واحناء الله تعالى اياك ثمرة احسانك وانجياب ظلام الشدة الحالك عن أفق حالك فكبرت وفي الفرج من بعد الشدة اعتبرت لا بسوى ذلك من رضا مخلوق يؤمر فيأتمر ويدعوه القضاء فيبتدر انما هو فيء وظل ليس له من الامر شئ ونسأل الله جل وعلا أن يجعلها آخر عهدك بالدنيا وبنيها وأول معارج نفسك التي تقربها من الحق وتدنيها وكأني والله احس بثقل هذه الدعوة على سمعك ومضادتها ولا حول ولا قوة الا بالله لطبعك وانا أنا فرك الى العقل الذي هو قسطاس الله تعالى في عالم الانسان والآلة لبث العدل والاحسان والملك الذي يبين عنه ترجمان اللسان فأقول ليت شعرى ما الذى غبط سيدي بالدنيا وان بلغ من زبرجدها الرتبة العليا ونفرض المثال بحال ابالها ووصل حبالها وخشوع جبالها وضراعة سبالها ألتوقع المكروه صباحا ومساء وارتقاب الحوالة التى تديل من النعيم البأساء ولزوم المنافسة التي تعادى الاشراف والرؤساء ألترتب العتب على التقصير في الكتب وضغينة جار الجنب وولوع الصديق باحصاء الذنب ألنسبة وقائع الدولة اليك وأنت برى ونطويقك الموبقات وأنت منها عرى ألاستهدافك للمضار التى تنتجها غيرة الفروج والاحقاد التى تضطرمها ركبة السروج وسرحة المروج ونجوم السماء ذات البروج ألتقليدك التقصير فيما ضاقت عنه طاقتك وصحت اليه فاقتك من حاجة لا يقتضى قضاؤها الوجود ولا يكفيها الركوع للملك والسجود ألقطع الزمان بين سلطان يعبد وسهام للغيوب تكبد وعجاجة شر تلبد وأقبوحة تخلد وتؤبد ألوزير يصانع ويدارى وذى حجة صحيحة يجادل في مرضاة السلطان ويمارى وعورة لا توارى ألمباكرة كل غرن حاسد وعدو مستأسد وسوق للانصاف والشفقة كاسد وحال فاسد ألوفود تتزاحم بسدتك مكلفة لك غير ما في طوقك فان لم يقع الاسعاف قلبت عليك السماء من فوقك ألجلساء ببابك لا يقطعون زمان رجوعك وايابك الا بقبيح اغتيابك فالتصرفات تمقت والقواطع توقت والالاقى تبث والسعايات تحث والمساجد يشتكي في حلقها البث يعتقدون أن السلطان في يدك بمنزلة الحمار المدبور واليتيم المحجور والاسير المأمور ليس له شهوة ولا غضب ولا أمل في الملك ولا أرب ولا موجدة لاحد كامنة وللشر ضامنة وليس في نفسه عن رأي نفرة ولا بازاء ما لا يقبله نزوة ولا طفرة انما هو جارحة لصيدك وعان في قيدك وآلة لتصرف كيدك وانك علة حيفه ومسلط سيفه الشرار يسملون عيون الناس باسمك ثم يمزقون بالغيبة مزق جسمك قد تخلهم الوجود

ضاع من بعدك ولكن اقطع الفرات ثم استنفر الشأم جندا فانك في كنف وعزة ولك في كل جند صنائع يسيرون معك حتى تاتي مصر فانها أكثر أرض الله مالا وخيلا ورجالا ثم الشام أمامك وافريقية خلفك فان رأيت ما تحب انصرفت الى الشام وان كانت الاخرى مضيت الى أفريقية قال صدقت وأستخير الله فقطع الفرات والله ما قطعه معه من قيس الا رجلان ابن جندة السلمى وكان اخاه من الرضاعة والكوثر بن الاسود الغنوى ولم ينفع مروان تعصبه مع النزارية شيأ بل غدروا به وخذلوه فلما اجتاز ببلاد قنسرين والحاضر اوقعت تنوخ القاطنة بقنسرين بساقته ووثب به أهل حمص وسار الى دمشق فوثب به الحرث ابن عبد الرحمن الحرشي ثم أتى الاردن فوثب به هاشم بن عمر العنسى والمذ حجيون جميعا ثم مر بفلسطين فوثب الحكيم ابن صنعان بن روح بن زنباع لما رأوا من ادبار الامر عنه وعلم مروان أن اسمعيل ابن عبد الله القسرى قد غشه في الرأى ولم يمحضه النصيحة وأنه فرط في مشورته اياه إذ شاور رجلان من قحطان موتورا متعصبا من قومه على اضدادهم من نزار وأن الرأى الذى هم بفعله

أخبث

أخبث مافيه واختارهم السفيه فالسفيه اذالخير يستره الله تعالى عن الدول ويخفيه ويقنعه بالقليل فيكفيه فهم يتاحون بك ويولونك الملامة ويقعدون عليك القول ويسدون طرق السلامة وليس لك فى أثناء هذه الامال يعوزك مع ارتفاعه ولا يفوتك مع انقشاعه وذهاب صداعه من غذاء يشبع وثوب يقنع وفراش ينيم وخديم يقعد ويقيم وما الفائدة فى فرش تحتها جمر الغضى ومال من ورائه سوء القضا وجاه يحلق عليه سيف منتضى واذا بلغت النفس الى الالتذاذ بما لا تملك واللجاج حول المسقط الذى تعلم أنها فيه تهلك فكيف تنسب الى نبل أو تسير من السعادة فى سبل وان وجدت فى القعود بمجلس التحية بعض الاريحية فليت شعرى أى شئ زادها أو متى أفادها الا مبا كرة وجه الحاسد وذى القلب الفاسد ومواجهة العدو المستاسد أو شعرت ببعض الايناس فى الركوب بين الناس ما التذت الابحلم كاذب أوجذبها غير الغرور جاذب اغمارا كبك من يحدق الى الحلية والبزة ويستطيل مدة العزة ويرتاب اذا حدثت بخبرك ويتبع بالنقد والتجسس مواقع نظرك ويمنعك من مسايرة أنيسك ويحتال على فراغ كيسك ويضمر الشر لك ولرئيسك وأى راحة لمن لا يباشر قصده ويمشى اذا شاء وحده ولو صح فى هذه الحال لله تعالى حظ وهبه زهيدا أو عين الرشد علا حميدا لساغ الصاب وخفت الاوصاب وسهل المصاب لكن الوقت أشغل والفكر أوغل والزمن قد عمرته الحصص الوهمية واستنفدت منه الكمية أماليله ففكر أو نوم وعتب بجراء الضرائر ولوم وأما يومه فتدبير وقبيل ودبير وأمور يعيا بها ثبير وبلاء مبير ولغط لا يدخل فيه حكم كبير وأنا بمثل ذلك خبير والله ياسيدى ومن فلق الحب وأخرج الاب وذرأ من مشى ومن دب وسمى نفسه الرب لو تعلق المال الذى يجره هذا القدح ويورى سقيطه هذا القدح باذيال الكواكب وزاحمت البدر بدره بالمناكب لما ورثه عقب ولا خلص به محتقب ولا فاز به سافر ولا منتقب والشاهد الدول والمشائم الاول فاين الرباع المقتناة وأين الديار المبتناة وأين الحوائط المغترسات وأين الذخائر المختلسات وأين الودائع المؤملة وأين الامانات المحملة تأذن الله بتتبيرها وادناء نار التبار من دنانيرها فقلما تلقى أعقابهم الا أعراء الظهور مترمقين بجريات الشهور متعللين بالهباء المنثور يطردون من الابواب التى حجب عنها آباؤهم وعرف منها اباؤهم وشم من مقاصيرها عنبرهم وكباؤهم ولم تسامحهم الايام الا فى ارث محرر أو حلال مقرر وربما محقه الحرام وتعذر منه المرام هذه أعزك الله حال قبولها مع الترفيه ومالها المرغوب فيه وعلى فرض أن يستوفى العمر فى العز مستوفيه وأما ضده من عدو يتحكم وينتقم وحوت بغى يبتلع ويلتقم ومطبق يحجب الهواء ويطيل فى التراب الثواء وثعبان قيد يعض الساق وشؤبوب عذاب يمزق الابشار الرقاق وغيلة يهديها الواقب الغاسق ويجرعها العدو الفاسق فصرف السوق وساعته المعتادة الطروق مع الافول والشروق فهل فى شئ من هذا مغتبط لنفس حرة أو ما يساوى جرعة حال مرة واحسرتا للاحلام ضلت وللاقدام زلت ويالها مصيبة جلت ولسيدى أن يقول حكمت باستثقال الموعظة واستعفائها ومراودة الدنيا

كان أولى وذكر المدائنى والعتبى وغيرهما أن مروان حين نزل على الزاب جرد من رجاله من اختاره من سائر جيشه من أهل الشام والجزيرة وغيرهم مائة ألف فارس فلما كان يوم الوقعة وأشرف عبد الله بن على فى المسودة وفى أوائلهم البنود السود يحملها الرجال على الجمال البخت وقد جعلت أقتابها من خشب الصفصاف والغرب قال مروان لمن قرب منه أماترون رماحهم كأنها النخل غلظا أماترون الى أعلامهم فوق هذه الابل كأنها قطع من الغمام سود فبينا هو كذلك اذ طار من أترجة هنالك قطعة من الغرابيب سود فاجتمعت على أول رايات عبد الله بن على واتصل سوادها بسواد تلك الرايات والبنود ومروان ينظر فتطير من ذلك فقال أماترون السواد قد اتصل بالسواد وكان الغرابيب كالسحب سودا ثم نظر الى أصحابه المحاربين وقد استشعروا الجزع والفشل فقال انها لعدة وما تنفع العدة اذا انقضت المدة ولمروان على الزاب أخبار غير هذه قد أتينا على ذكرها فى كتابينا أخبار الزمان والاوسط فاغنى ذلك عن اعادة ذكرها والله ولى التوفيق

* (ذكر خلافة أبى العباس عبد الله بن محمد السفاح) *

بين خلانها او كفاتها وتناسي عدم وفاتها فأقول الطبيب بالعلل أدرى والشفيق بسوء الظن مغرى وكيف لا وأنا أقف على السحا آت بخط يد سيدى من مطارح الاعتقال ومثاقف النوب الثقال وخطوات الاستعداد للقاء الخطوب الشداد ونوش الاسنة الحداد وحيث يحمل عقله أن لا يصرف فى غير الخضوع لله تعالى بنانا ولا يثنى لمخلوق عنانا وأتعرف انها قد ملأت الجو والدو وقصدت الجماد والبو تقتحم أكف أولى الشمات وحفظة المذمات وأعوان النوب الملمات زيادة فى الشقاء وقصد ابرياء من الاختيار والانتقاء مشتملة من التجاوز على أغرب من العنقاء ومن النفاق على أشهر من البلقاء فهذا يوصف بالامامة وهذا يجعل من أهل الكرامة وهذا يكلف الدعاء وليس من أهله وهذا يطلب منه لقاء الصالحين وليسوا من شكله الى ما احفظنى والله من البحث عن السموم وكتب النجوم والمذموم من العلوم هلا كان من ينظر فى ذلك قد قوطع بتاتا واعتقد أن الله قد جعل لزمان الخير والشر مقاتا وأنا لا املك موتا ولا نشورا ولا حياتا وأن اللوح قد حصر الاشياء محوا واثباتا فكيف نرجو لما منع منالا او نستطيع عما قدر افلاتا افيدونا ما يرجع العقيدة المتقررة فنحول اليه وبينوا لنا الحق نعول عليه الله الله يا سيدى فى النفس المرشحة والذات المحلاة بالفضائل الموشحة والسلف الشهير الخير والعمر المشرف على الرحلة بعد حث السير ودع الدنيا لبنيها فما أوكس حظوظهم وأخس لحوظهم وأقل متاعهم وأعجل اسراعهم وأكثر عناءهم وأقصر آناءهم

ما ثم الا ما رأيـــ ** ـت ورب داعى السلامه
والناس اما جائر * أو حائر يشكو ظلامه
واذا أردت العز لا * ترزأ بنى الدنيا قلامه
والله ما احتقب الحر ** يص سوى الذنوب أو الملامه
هل ثم شك فى المعا * د الحق أو يوم القيامه
قولوا لنا ما عندكم * أهل الخطابة والامامه

وان رميت باحجارى وأوجرت المر من اشجارى فوالله ما تلبست اليوم منها بشئ قديم ولا حديث ولا استأثرت بطيب فضلا عن خبيث وما انا الا عابر سبيل وهاجر مرعى وبيل ومرتقب وعدا قدر فيه الانجاز وعاكف على حقيقة لا تعرف المجاز قد فررت من الدنيا كما يفر من الاسد وحاولت المقاطعة حتى بين روحى والجسد وغسل الله قلبى ولله الحمد من الطمع والحسد فلم أبق عادة الا قطعتها ولا جنة للصبر الا ادرعتها أما اللباس فالصوف وأما الزهد فيما بأيدى الخلق فمعروف وأما المال الغبيط فعلى الصدقة مصروف والله لو علمت أن حالى هذه تتصل وأن عراها لا تنفصل وأن ترتيبى هذا يدوم ولا يحيرنى الوعد المحتوم والوقت المعلوم لمت أسفا وحسبى الله وكفى ومع هذا يا سيدى فالموعظة تتلقى من لسان الوجود والحكمة ضالة المؤمن يطلبها ببذل المجهود ويأخذها من غير اعتبار بحاملها المذموم ولا المحمود ولقد أعملت نظرى فيما يكافئ عنى بعض يدك أو ينتهى فى الفضل الى أمدك فلم أر لك الدنيا كفاء هذا لو كنت صاحب دنيا وألفيت بذل النفس

قليلا

بويع أبو العباس السفاح وهو عبدالله بن محمد بن على بن عبدالله بن عباس بن عبد المطلب ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر من سنة اثنتين وثلاثين ومائة وقيل فى النصف من شهر جمادى الآخرة من هذه السنة وأمه رائطة بنت عبيدالله بن عبد المدان الحارثية وركب الى المسجد الجامع فى يوم الجمعة فخطب على المنبر قائما وكانت بنو أمية تخطب قعودا فضج الناس وقالوا أحييت السنة يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر ومات بالانبار فى مدينته التى بناها وذلك فى يوم الاحد لاثنتى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وقيل ابن تسع وعشرين سنة وكانت أمه تحت عبدالملك بن مروان فكان له منها الحجاج بن عبدالملك فلما توفى عبدالملك تزوجها محمد بن على بن عبدالله بن العباس فولدت منه عبدالله بن محمد السفاح وعبيدالله وداود وميمونة

*(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى ايامه)

ولما حبس ابراهيم الامام بحران وعلم أن لا نجاة له من مروان أثبت وصيته وجعلها الى أخيه

قليلا لك من غير شرط ولا ثنيا فلما ألهمني الله لمخاطبتك بهذه النصيحة المفرغة في قالب الجفا لمن يثبت عين الصفا ولا يشيم بارقة الوفا ولا يعرف قاذورة الدنيا معرفة مثلي من المتدنسين بها المتمسكين و ينظروا عوارها القارح بعين اليقين و يعلم أنها المومسة التي حسنها زور وعاشقها مغرور وسرورها شرور تبين لي أني قد كافأت صنيعتك المتقدمة وخرجت عن عهدتك الملتزمة وأمحضت لك النصح الذي يعز بعز الله ذاتك ويطيب حياتك ويحيي مواتك ويريح جوارحك من الوصب وقلبك من النصب ويحقر الدنيا وأهلها في عينك إذا اعتبرت ويلاشي عظائمها لديك إذا اختبرت كل من تقع عينك عليه فهو حقير قليل وفقير ذليل لا يفضلك بشيء الا باقتفاء رشد أو ترك غي أثوابه النبيهة يجردها الغاسل وعروة عزه يقصلها القاصل وماله الحاضر الحاصل يعبث فيه الحسام القاصل والله ما تعين للغافل الا ما تعين للسالف ولا مصير المجموع الا الى التلف ولا صح من الهياط والمياط والصياح والنياط و جمع القيراط الى القيراط والاستظهار بالوزعة والاشراط والخبط والخباط والاستكثار والاغتباط والغلو والاشطاط وبناء الصرح وعمل الساباط ورفع العمد وادارة الفسطاط الا امل يذهب القوة وينسي الآمال المرجوة ثم نفس يصعد وسكرات تتردد وحسرات لفراق الدنيا تتجدد ولسان يثقل وعين تبصر الفراق وتقل قل هو نبأ عظيم انتم عنه معرضون ثم القبر وما بعده والله منجز وعيده ووعده فالاضراب الاضراب والتراب التراب وان اعتذر سيدي بقلة الجاه لكثرة الولد فهو ابن مرزوق لا ابن رزاق و بيده من التسبب ما يتكفل بامساك الارماق اين النسخ الذي يبلغ الانسان بأجرته في كن حجرته لا بل السؤال الذي لا عار عند الحاجة بمعرته السؤال والله أقوم طريقا وأكرم رفيقا من يد تمتد الى حرام لا يقوم بمرام ولا يؤمن من ضرام أحرقت فيه الحلل وقلبت الاديان والملل وضربت الابشار ونحرت العشار ولم يصل منه على يدي واسطة السوء المعشار ثم طلب عند الشدة ففضح وبان شؤمه ووضح اللهم طهر منها أيدينا وقلوبنا وبلغنا من الانصراف اليك مطلوبنا وعرفنا بمن لا يعرف غيرك ولا يسترفد الا خيرك يا الله وحقيق على الفضلاء ان جنح سيدي منها الى اشاره او أعمل في اجتلابها اضباره أو لبس منها شاره أو تشوف لخدمة اماره أن لا يحسنوا ظنونهم بعدها بابن ناس ولا يغتروا بسمة ولا خلق ولا لباس فاعدا عابدا تقضى العمر في سجن وقيد وعمرو وزيد وضرو كيد وطراد صيد وسعد وسعيد وعبد وعبيد فتى تظهر الافكار ويقر القرار وتلازم الاذكار وتشام الانوار وتتجلى الاسرار ثم يقع الشهود الذي يذهب معه الاخبار ثم يحق الوصول الذي اليه من كل ما سواه الفرار وعليه المدار وحق الحق الذي ما سواه فباطل والفيض الرحماني الذي ربابه الابد هاطل ما شابت مخاطبتي لك شائبة تريب ولقد محضت لك ما يمحضه الحبيب للحبيب فتحمل جفائي الذي حملت عليه الغيرة ولا تظن بي غيره وان لم تعذرني مكاشفة سيادتك بهذا النث في الاسلوب الرث فالحق أقدم وبناؤه لا يهدم وشاني معروف في مواجهة الجبابرة على حين يدي الى رفدهم ممدودة

أبي العباس عبد الله بن محمد وأوصاه بالقيام بالدولة والجد والحركة وأن لا يكون له بعده بالحميمة لبث ولا عرجة حتى يتوجه الى الكوفة فان هذا الامر صائر اليه لا محالة وأنه بذلك أتتهم الرواية وأظهره على أمر الدعاة بخراسان والنقباء ورسم له بذلك رسما أوصاه فيه أن يعمل عليه ولا يتعداه ودفع الوصية بجميع ذلك الى سابق الخوارزمي مولاه و أمره ان حدث به حدث من مروان في ليل أو نهار ان يركب أسرع سابق في السير فلما احدث ركب وسار حتى أتى الحميمة فدفع الوصية الى أبي العباس ونعاه اليه فامره أبو العباس بستر الوصية وأن ينعاه ثم أظهر أبو العباس من أهل بيته على أمره ودعا اليه وازرته ومكاشفته أخاه أبا جعفر عبد الله بن محمد وعيسى بن موسى بن محمد ابن أخيه وعبد الله بن علي عمه وتوجه أبو العباس الى الكوفة مسرعا وهؤلاء معه في غيرهم ممن خف من أهل بيته فلقيتهم اعرابية على بعض مياه العرب في طريقهم الى الكوفة وقد تقدم أبو العباس وأخوه أبو جعفر وعمه عبد الله بن علي فيمن كان معهم الى الماء فقالت الاعرابية تالله ما رأيت وجوها مثل هذه ما بين خليفة وخليفة وخارجي

ونفسي في النفوس المتهافتة عليهم معدودة وشبابي فاحم وعلى الشهوات مزاحم فكيف
بي اليوم مع الشيب ونصح الجيب واستكشاف العيب انما أنا اليوم على كل من عرفني
كل ثقيل وسيف العدل في كفي صقيل اعذل أهل الهوى وليست النفوس في القبول
سوا ولا لكل مرض دوا وقد شفيت صدري وان جهلت قدري فاحملني حملك الله
تعالى على الجادة الواضحة وسحب عليك ستر الابوة الصالحة والسلام انتهت الرسالة
البديعة في بابها الآتية من الموعظة بلبابها ذات النصيحة الصريحة التي يتعين على كل
عاقل خصوصا من يريد خدمة الملوك التمسك بأسبابها قلت وقد رأيت بخط الامام العلامة
الخطيب ابن مرزوق على هامش قول لسان الدين أول الكلام وأحسست منه في بعض كتبه
الى آخره ما صورته توهم ما لا يقع بل لما تجلت عني سحب النكبة والامتحان جزمت بالرحلة
وعزمت على النقلة ونفرت عن خدمة السلطان وملازمة الاوطان قال ابن مرزوق
والعجب كل العجب أن جميع ما خاطبني به أبقاه الله تعالى تحلى به أجمع وابتلي بما منه حذر
فكأنه خاطب نفسه وأنذرها بما وقع له فالله تعالى يحسن له الخاتمة والخلاص انتهى
وكتب تحت كلام ابن مرزوق هذا بخطه ابن لسان الدين على ما صورته صدق والله سيدي
أبو عبد الله بن مرزوق كان الله تعالى له قاله ولده ابن المؤلف انتهى * قلت وهذا الذي
قاله ابن مرزوق كان في حياة ابن الخطيب ولذلك دعا له بالبقاء وبحسن الخاتمة والخلاص
وقد أسفر الغيب عن محنته ثم قتله على الوجه الذي وصفه أثناء هذه الرسالة اذ قال واما
ضده من عدو يتحكم وينتقم وحوت بحر يبتلع ويلتقم ومطبق يحجب الهواء وطيل في
التراب الثواء وثعبان قيد يعض الساق وشؤبوب عذاب يمزق الابشار الرقاق وغيلة
يهديها الواقب الغاسق ويجرعها العدو الفاسق فصرف السوق وسلعته المعتادة
الطروق مع الافول والشروق فانه رحمه الله تعالى حصل له ما ذكر ثم اغتاله ليلا وخنقه
في محبسه عدوه الفاسق سليمان بن داود كما تقدمت الاشارة الى ذلك فالله تعالى يثيبه بهذه
الشهادة وقد تذكرت هنا مرثية ابن صابر المنجنيقي وهي

هل لمن يرتجي البقاء خلود * وسوى الله كل شيء يبيد
والذي كان من تراب وان عا * ش طويلا الى التراب يعود
فمصير الانام طرا لما صا * ر اليه آباؤهم والجدود
اين حوا أم أين آدم اذ فا * تهما الملك والثوا والخلود
أين هابيل أين قابيل اذ هـ * ـذا لهذا معاند وحسود
أين نوح ومن نجا معه بالـ * ـفلك والعالمون طرا فقيد
أسلمته الايام كالطفل للمو * ت ولم يغن عمره الممدود
أين عاد بل أين جنة عاد * ارم أين صالح وثمود
أين ابراهيم الذي شاد بيت الله فهو المعظم المقصود
أين اسحق أين يعقوب أم أيـ * ـن بنوه وعدهم والعديد
حسدوا يوسفا أخاهم فكادوا * ومات الحساد والمحسود

فقال لها أبو جعفر المنصور كيف قلت يا أمة الله قالت والله ليلينها هذا وأشارت الى السفاح ولتخلفنه أنت وليفرحن عليك هذا وأشارت الى عبد الله بن علي فلما انتهوا الى دومة الجندل لقيهم داود بن علي وموسى بن داود وهما منصرفان من العراق الى الحميمة من أرض الشراة فسأله داود عن مسيره فأخبره بسببه وأعلمه بحركة أهل خراسان لهم مع أبي مسلم وانه يريد الوثوب بالكوفة فقال له داود يا أبا العباس تثبت بالكوفة فمروان شيخ بني أمية وزعيمهم في أهل الشام والجزيرة مطل على أهل العراق وابن هبيرة شيخ العرب وحلية العرب بالعراق فقال أبو العباس يا عماه من أحب الحياة ذل وتمثل بقول الأعشى

فما ميتة ان متها غير عاجز * بعار اذا ما غالت النفس غولها

فالتفت داود الى ابنه موسى فقال أي بني صدق عمك ارجع بنا معه نحيا أعزاء أو نموت كراما فعطفا ركابهما معه وسار أبو العباس حتى دخل الكوفة وقد كان أبو سلمة حفص ابن سليمان حين بلغه مقتل ابراهيم الامام أضمر الرجوع عما كان عليه من الدعوة العباسية الى آل أبي طالب وقدم أبو العباس الكوفة فيمن ذكرنا من

وسليمان

وسليمان في النبوة والملك قضى مثل ما قضى داود
ذهبا بعد ما أطاع لذا الخلق وهذا له ألين الحديد
وابن عمران بعد آياته التسع وشق الخضم فهو صعيد
والمسيح بن مريم وهو روح الله كادت تقضي عليه اليهود
وقضى سيد النبيين والهادي الى الحق أحمد المحمود
وبنوه وآله الطاهرون الزهر صلى عليهم المعبود
ونجوم السماء منتثرات * بعد حين وللهواء ركود
ولنار الدنيا التي توقد الصخر خمود وللمياه جمود
وكذا الأثرى غداة يقوم الناس منها تزلزل وهمود
هذه الامهات نار وترب * وهواء رطب وماء برود
سوف تفنى كما فنينا فلا يبقى من الخلق والد ووليد
لا الشقي الغوي من نوب الأيام ينجو ولا السعيد الرشيد
ومتى سلت المنايا سيوفا * فالموالي حصيدها والعبيد

وأما قصيدة ابن عبدون الاندلسي التي رثى بها بني الافطس وذكر فيها كثيرا من الملوك الذين أبادهم الدهر وطحنهم برحاه وصيرهم أثرا بعد عين ففيها ما يوقظ النوّام وأولها

الدهر يفجع بعد العين بالأثر * فما البكاء على الاشباح والصور

وبالجملة فالامر كما قال ابن المبارك

الموت لا يبقى أحد * لا والدا ولا ولد
مات لبيد ولبد * وخلد الفرد الصمد

كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام اللهم اختم لنا بالحسنى وردنا اليك ردا جميلا وتذكرت هنا أيضا مرثية على روي مرثية المنجنيقي السابقة منها

أين أهل الديار من قوم نوح * ثم عاد من بعدهم وثمود
بينما هم على الاسرة والانماط أفضت الى التراب الخدود
ثم لم ينقض الحديث ولكن * بعد ذا الوعد كله والوعيد
وأطباء بعدهم لحقوهم * ضل عنهم سعوطهم واللدود
وصحيح أضحى يعود مريضا * وهو أدنى للموت ممن يعود

وما أحكم قول السلطان أبي علي ابن السلطان أبي سعيد المريني يخاطب أخاه السلطان أبا الحسن وقد حصره بسجلماسة حتى أخذه قسرا

فلا يغرنك الدهر الخؤن فكم * أباد من كان قبلي يا أبا الحسن
الدهر مذ كان لا يبقى على صفة * لابد من فرح فيه ومن حزن
أين الملوك التي كانت تهابهم * أسد العرين ثووا في اللحد والكفن
بعد الاسرة والتيجان قد محيت * رسومها وعفت عن كل ذي حسن
فاعمل لأخرى وكن بالله مؤتمرا * واستغن بالله في سر وفي علن

بن سعد في بني أود حي من اليمن وقد ذكرنا مناقب أود وفضائلها فيما سلف من هذا الكتاب في أخبار الحجاج وبراءتهم من علي والطاهرين من ذريته ولم أر الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلثمائة فيما درت من الارض وتغربت من الممالك رجلا من أود الا وجدته اذا استبطنت ما عنده ناصبيا متوليا لآل مروان وحزبهم واختفى أبو سلمة أمر أبي العباس ومن معه ووكل بهم وكان قدوصل أبو العباس الكوفة في صفر من سنة اثنتين وثلاثين ومائة وفيها جرى البريد بالكتب لولد العباس وقد كان أبو سلمة لما قتل ابراهيم الامام خاف انتقاض الامر وفساده عليه فبعث بمحمد بن عبد الرحمن ابن أسلم مولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب معه كتابين على نسخة واحدة الى أبي عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب والى أبي محمد عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين يدعو كل واحد منهم الى الشخوص

اليه ليصرف الدعوة اليه ويجتهد في بيعة أهل خراسان له وقال للرسول العجل العجل فلا تكونن

واختر لنفسك أمرا أنت آمره * كأنني لم أكن يوما ولم تكن

ودخل السلطان أبو الحسن سجلماسة عنوة على أخيه السلطان أبي علي عمر سنة ٧٣٤ وجاء به في الكبل لفاس ثم قتله بالفصد والخنق في ربيع الاول من السنة وكان القبض عليه في المحرم رحمه الله تعالى ومما وجد مكتوبا على قصر بعض السلاطين

قد كان صاحب هذا القصر مغتبطا * في ظل عيش يخاف الناس من باسه
فبينما هو مســـرور بلذته * في مجلس اللهو مغبوط بجلاسه
اذجاءه بغتــــة مالا مرد له * فخر ميتا وزال التاج عن راسه

(رجع الى أخبار لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى) قلت وقد زرت قبره مرارا رحمه الله تعالى بفاس المحروسة فوق باب المدينة الذي يقال له باب الشريعة وهو يسمى الآن باب المحروق وشاهدت موضع دفنه غير مستو مع الارض بل ينزل اليه بانحدار كثير ويزعم الجل من عوام فاس أن الباب المذكور انما سمي بباب المحروق لاجل ما وقع من حرق لسان الدين به حين اخرجه بعض أعدائه من حفرته كما مر وليس كذلك وانما سمي باب المحروق من دولة الموحدين قبل أن يوجد لسان الدين ولا أبوه بسبب ثائر ثار على الدولة فأمسك وأحرق في ذلك المحل والله غالب على أمره وحصل لي من الخشوع والحزن عند زيارة قبره رحمه الله تعالى مالا مزيد عليه جعل الله له تلك المحن كفارة وطهرة فانه كان آية الله علما وجلالة وحكمة وشهرة وقد تذكرت عند كتبي هذا المحل رسالة كتبها بعض أئمة المغرب في عزاء الوزير الشهير أبي جعفر بن جبير الاندلسي رحمه الله تعالى الى بنيه وهي مما يصلح أن يوصف بمثلها لسان الدين رحمه الله تعالى وفيها عزاء عمن مضى ونصها عزاء يا كواكب الهدى في بدركم الذي تحيفه الردى وجمع به الفضل والندى فحق للشهب أن تتكدر على فراقه وللصبح أن يخبو نور اشراقه وللريح أن تمزق صدارا وللاهلة أن لا تعرف ابدارا ولليل أن يشتمل خميصة الحزن وللسماء أن تبكيه بأدمع المزن وللرعد أن ينتحب لوفاته وللبرق أن يحكي برجفاته افئدة عفاته وللثريا أن ينفصم سوارها وللشمس أن تنكسف انوارها وللنثرة أن تنثر كواكبها وللجوزاء أن تنفض مناكبها وللنيرات أن ترفض مواكبها وللرامح أن يبيت اعزلا وللبدر أن لا يالف منزلا وللعبرة أن يفيض دمعا نهرها وللغميصاء أن يطرد بكاؤها وسهرها وللروض أن يفارق امراعه وللاورق أن يهتف بما راعه وللغصون أن تهصر لهفته وتتقصف اسفا على حتفه لكن هو الحمام يختل ويختر ولا يحفل بمن يتر يعدم ما أوجده الكون ويذيل ما اكنفه الصون وأين بناء عن مكافح لانقاله ورام أرواحنا مقاتله لا يديه ناصرة وعزمته قاصرة للقياصرة وعينه كاسرة للاكاسرة لم يبق من رسم لطسم ولا من احسان لغسان ولا من أياد لاياد ولا من سلطان لقحطان ولا من نجيب لتجيب ولا من شرف ضخم للخم لم يكن له عن اليمنيين اقصار ومنهم الانصار وهم أسماع للنبي وأبصار وعدا الى المهاجرين من مضر يطفيها هذا والوحي يتنزل فيها ولم يصخ في الصديق الى التصديق وأصمى الفاروق برداه وحكم فيه أبو لؤلؤة ومداه وأمكن صرف الاقدار من شهيد الدار ولم يرع من علي بالبسالة والذي

كوافد داع فقدم محمد بن عبد الرحمن المدينة على أبي عبد الله جعفر بن محمد فلقيه ليلا فلما وصل اليه أعلمه انه رسول أبي سلمة ودفع اليه كتابه فقال له أبو عبد الله وما أنا وأبو سلمة وأبو سلمة شيعة لغيري قال له اني رسول فتقرأ كتابه وتجيبه بما رأيت فدعا أبو عبد الله بسراج ثم أخذ كتاب أبي سلمة فوضعه على السراج حتى احترق وقال للرسول عرف صاحبك بما رأيت ثم أنشأ يقول متمثلا بقول الكميت بن زيد

أيا موقدا نارا لغيرك ضوءها
ويا حاطبا في غير حبلك تحطب

فخرج الرسول من عنده وأتى عبد الله بن الحسن فدفع اليه الكتاب فقبله وقرأه وابتهج فلما كان غد ذلك اليوم الذي وصل اليه فيه الكتاب ركب عبد الله حمارا حتى أتى منزل أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق فلما رآه أبو عبد الله أكبر مجيئه وكان أبو عبد الله أسن من عبد الله فقال له يا أبا محمد أمر ما أتى بك قال نعم هو أجل من أن يوصف فقال وما هو يا أبا محمد قال هذا كتاب أبي سلمة يدعوني الى ما أقبله وقد قدمت عليه شيعتنا من أهل خراسان فقال له أبو عبد الله يا أبا محمد ومتى كان أهل خراسان شيعة لك أنت

العسالة

العسالة ولا أبقى سبطيه وقد تفقأت عنهما بيضة الرسالة وأذهب الزبير حواري الرسول
وحنظلة وهو بأيدي الملائكة مغسول وأفات ابن معاذ ولم يحفل بفوته على انه اهتز العرش
لموته وأودى بحمزة ومقعده من النبوة مقعد الابوة وشفى من عمار صدور الاسل
وأودى مالك الاشتر بقمن عسل ولم يعبأ بعضاء عمرو ولا بحلم معاوية ودهاء عمرو فياله من
خطب مود بكل يابس ورطب يشرب ماء الاعمار ويجعل الاجداث منازل الاقمار
ويلوك السوقة والاملاك ولا يبالي أية لاك لا يقبل شفيعا ولا يغادر منحطا ولا رفيعا هاهو
اعتمد نور علاء فكسفه وطود حلم فنسفه وأعلق المجد في حباله وأقصد الفضل بنباله
وفجع كنانة بسهم لم ينثل مثله من كنانة فيا طارق الاعين لقد بؤت بأنفس الاعلاق
ويا ناعيه لقد نعيت باسق الاخلاق رويدا أسائلك عمن لم تضع لديه وسائلك اين سماحته
وطلاقته أين كلفه بالحمد وعلاقته ما الذي ثنى عطفه عن الارتياح أم أين عافيه من ذلك
الامتياح أم من يؤلف امنية كما ألفت السحب ايدي الرياح فيا هبة المجد اطوي عرفك فما
تنشق ويا ربة المجد اقصري طرفك فما تعشق ويا معشر عفاته كيف حييتم وقد علمتم
بوفاته ويا زمر أماله صفرت أيديكم من اجماله ويا اخا رسحابه أين مواقع سحابه ويا بني
ولائه من يتبوأ مقام علائه ويا منافسي شيمه من يجود بمثل ديمه ويا منازعي كرمه
من يطيف المعتفين بمثل حرمه ويا حاسدي هممه من له كحفاظه وذممه سيدي لقد أضاءت
مساعيك وأشرقت وأغصت الحاسدين طرا وأشرقت وحسبهم أن لم ينتبهوا الا اذا
نمت ولا نطقوا الا حين مت واين ملاك وصحبك أن احيتك صنائعك وقد قضيت نحبك
وان حم فناؤك فقد أبقى الحياة الخالدة ثناؤك

ردت صنائعه عليه حياته * فكأنه من نشرها منشور
والناس مأتمهم عليه واحد * في كل دار أنة وزفير

سيدي أما تجيب صرخة لهفان ام صدك عن الجواب أنك فان سيدي من لا ملك يبسط
اناملك من للرملات الضرائك بارشادك وآرائك من لقربائك بصلاتك وحبائك من
لاخيك بمواثق اواخيك من لابنائك بلطف احنائك انفض شملهم وكان جميعا
ونادوك لو نادوا امنك سميعا هذا كبيرهم يدعوك فلا تجيبه وقد فت الاضلاع وجيبه
يبكي عند تلك الرجام بأدمع سجام وقد ألهبت الزفرات حشاه وألح الدمع بجفنه حتى
أعشاه والاصاغر مالهم بعدك مفزع وصغيرهم تسلب به الانفس رحمة وتنزع لا يدري
ماجزع عليك فيجزع لشدما اذابتهم وقدة الا وار حين عدموا منك كرم النجوى والجوار
اف لدهر رماهم بالاجوار وتركهم أنجما سلوبة الانوار لا جرم أن يحزنوا عليك ويكثروا
فلقد تسلوا عنك ببعض ما ورثوا وما ورثتهم غير الحزن والبث وأمل في الحياة كالهباء المنبث
كما تتلى محاسنك فاسمع طفقت عليك شؤون عيني تدمع أيا ضريحه كيف وجدت ريحه
لقد أرج بك ذلك المعفر حتى ما ينافحه المسك الاذفر وكما ظفرت بوجوده فجد كل قبر
بجوده ففيه سماء ثرة وغمام ونور انضم عليه منك كمام ولو علمت بمن بين جنبيك راقد
لعلوت حتى تلوح في ذرا الفراقد ويا دافنيه كيف هلتم عليه الرغام اولم تنكروا على

بعث أبا مسلم الى خراسان وأنت أمرته بلبس السواد وهؤلاء الذين قدموا
العراق أنت كنت سبب قدومهم أو وجهت فيهم وهل تعرف منهم أحدا فنازعه عبد الله بن الحسن الكلام الى ان قال انما يريد القوم ابني محمدا لانه مهدي هذه الامة فقال ابو عبد الله جعفر والله ماهو مهدي هذه الامة ولئن شهر سيفه ليقتلن فنازعه عبد الله القول حتى قال له والله ما يمنعك من ذلك الا الحسد فقال أبو عبد الله والله ما هذا الا نصح مني لك ولقد كتب الي ابو سلمة بمثل ما كتب به اليك فلم يجد رسوله عندي ما وجد عندك ولقد أحرقت كتابه من قبل أن أقرأه فانصرف عبد الله من عند جعفر مغضبا ولم ينصرف رسول أبي سلمة اليه الى أن بويع للسفاح بالخلافة وذلك أن أبا حميد الطوسي دخل ذات يوم من العسكر الى الكوفة فلقي سابقا الخوارزمي في سوق الكناسة فقال له سابق قال سابق فسأله عن ابراهيم الامام فقال قتله مروان في الحبس وكان مروان يومئذ بحران فقال أبو حميد فالى من الوصية قال الى أخيه أبي العباس قال وأين هو قال معك بالكوفة
هو وأخوه وجماعة من عمومته وأهل بيته قال مذ متى هم هنا قال من شهرين قال فتمشي بنا

الشمس ان تغام هيهات لقد سمعتم باقبار دف الشمائل طيب الاخبار والحاد من لانزاع في فضله ولا الحاد أي نفس تخذتم له التراب مستودعا فأضحى عزيز المكارم مجدعا

فتى مثل نصل السيف من حيث جئته * لنائبة نابتك فهو مضارب
فتى همه حمد على الناس رابح * وان بات عنه ماله وهو عازب

اماوان ازدحمت بمهلكه الاوصاب وفدح الرزء وجل المصاب حتى لا نألف الناسا فاقد سر الموت من حيث سا فلقد خلف فقيدهم مافيه غير مصائب ولا يبالي من اقصده سهمه الصائب فيا فقيد الندى ما كان احدرك بالخلود وأخلقك ويا جواد عمره ما كان اقصر طاقتك توى حين استوى وتوارى اذملأ الافق أنوارا وكسف حين بلغ الكمال فكان كالغصن عندما اعتدل مال اوكالشهاب عندما استقام حار وكذا عمر كواكب الاسحار هذه البراعة التحفت بعده الضنى والصحف تطوى على جهالة وتحنى وعهدي به ان امتطى راحته اليراع راع اودبج الاوراق راق اواستدر طبعه السلسال سال وأي روض أراد راد ومتى اراغ الانشاء أحسن ان شاء حق للفؤاد ان يستعر بوقده وللمدامع ان تسيل دما على فقده بيد أنه الموت لا بد ان يرد مشرعه ونسيغ على شرق به جرعه فانا زرع يحصده الذي ازدرعه وصبرا ياذوي ارحامه وبنيه ومن مر في غلواء الوجد فالسلوان يثنيه وثعا على اجر لا يذهب به الجزع ويفنيه والله يزلف الفقيد من رحمته ويدنيه ويقطفه زهر رضوانه ويجنيه و ييسر لكم العزاء الاجمل برحمته ويسنيه والسلام انتهت ويرحم الله القائل

كل جمع الى الشتات يصير * أي صفو ماشابه تكدير
انت في اللهو والاماني مقيم * والمنايا في كل وقت تسير
والذي غره بلوغ الاماني * بسراب وخلب مغرور
ويك يانفس أخلصي ان ربي * بالذي اخفت الصدور بصير

ولاخفاء على ذوي الأحلام من الاعلام أن الدنيا أضغاث أحلام

يندم المرء على مافاته * من لبانات اذا لم يقضها
وتراه فرحا مستبشرا * بالتي امضى كأن لم يمضها
انها عندي كأحلام الكرى * لقريب بعضها من بعضها

وقال ابو منصور اسعد النحوي

يجمع المرء ثم يترك ما يجمع من كسبه لغير شكور
ليس يحظى الا بذكر جميل * اوبعلم من بعده مأثور

وقال الامام الشهير أبو الفرج بن الجوزي

ياساكن الدنيا تأهب وانتظر يوم الفراق
وأعد زادا للرحيل فسوف يحدى بالرفاق
وابك الذنوب بأدمع * تنهل من سحب المآق
يامن اضاع زمانه * ارضيت ما يفنى بباق

اليهم قال غدا بيني وبينك الموعد في هذا الموضع وأراد سابق أن يستاذن أبا العباس في ذلك فانصرف الى أبي العباس فأخبره فلامه أدلم يأت به معه اليهم ومضى أبو حميد فأخبر جماعة من قواد خراسان في عساكر أبي سلمة بذلك منهم الجهم وموسى بن كعب وكان زعيمهم وغدا سابق الى الموضع فلقى أبا حميد فضيا حتى دخل على أبي العباس ومن معه فقال أيكم الامام فأشار داود بن علي الى أبي العباس وقال هذا خليفتكم فأكب على أطرافه يقبلها وسلم عليه بالخلافة وأبو سلمة لا يعلم بذلك فبايعه ودخلوا الى الكوفة في أحسن زي وضربوا له مصافا وقدمت الخيول فركب أبو العباس ومن معه حتى أتوا قصر الامارة وذلك في يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر من سنة اثنتين وثلاثين ومائة وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب تنازع الناس في أي شهر بويع من هذه السنة ثم دخل المسجد الجامع من دار الامارة فحمد الله واثنى عليه وذكر تعظيم الرب ومنته وفضل النبي صلى الله عليه وسلم وقاد الولاية والوراثة حتى انتهت اليه ووعد الناس خيرا ثم سكت فتكلم عمه داود بن علي وهو على المنبر دون ابي العباس فقال انه والله ما كان بينكم وبين

وكان

وكان ابن الجوزى المذكور آية الله فى كثرة التاليف والكتابة والوعظ والحفظ واقل من كان يحضر مجلسه عشرة آلاف وربما حضر عنده مائة الف وقال فى آخر عمره على المنبر كتبت باصبعى هاتين ألفى مجلدة وتاب على يدى مائة ألف وأسلم على يدى عشرون ألف يهودى ونصرانى وأسمع رحمه الله تعالى الناس اكثر من أربعين سنة وحدث بمصنفاته مرارا وقال الحافظ الذهبى فى حقه الحافظ الكبير الواعظ المفتن صاحب التصانيف الكثيرة الشهيرة فى العلوم المتعددة وعظ من صغره وفاق فيه الاقران ونظم الشعر المليح وكتب بخطه مالا يوصف ورأى من القبول والاحترام مالا مزيد عليه وحزر مجلسه غير مرة بمائة ألف وحضر مجالسه المستضىء مرارا من وراء الستر انتهى ومن كلامه فى بعض مجالسه والله ما اجتمع لاحد أمله الاوسعى فى تفريقه أجله وعقارب المنايا تلسع الناس وخدران جسم الامل يمنع الاحساس وقال فى قوله صلى الله عليه وسلم أعمار أمتى من الستين الى السبعين انما طالت أعمار القدماء لطول البادية فلما شارف الركب بلد الاقامة قيل حثوا المطى وقال فى الذين عبدوا العجل لو ان الله خار لهم ما خار لهم وقال يوما وقد طرب أهل المجلس فهمتم فهمتم وقال فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه بعد أن ذكر أحاديث تدل على خلافته كقوله صلى الله عليه وسلم مروا أبا بكر فليصل بالناس وغيره ما صورته فهذه أحاديث تجرى مجرى النص فهمها الخصوص غير أن الرافضة فى اخفائها كاللصوص فقال السائل لما قال اقيلونى ماسمعنا مثل جواب على رضى الله عنه والله لا اقلناك فقال لما غاب على عن البيعة فى الاول أخلف مافات بالمدح فى المستقبل ليعلم السامع والرائى أن بيعة أبى بكر وان كانت من ورائى فهى رأيى ومثل ذلك الصدر لا يرائى وقال فى قول فرعون أليس لى ملك مصر يفتخر بما أجراه ما أجراه وتواجد رجل فى مجلسه فقال عجبا كلنا فى انشاد الضالة سوا فلم وجدت وحدك ألم الجوى وأنشد

قد كتمت الحب حتى شفنى * واذا ما كتم الداء قتل
بين عينيك علالات الكرى * فدع النوم لربات الحجل

ونظر يوما الى أقوام يبكون فى مجلسه ويتواجدون فأنشد

ولولم يهجنى الظاعنون لهاجنى * حمائم ورق فى الديار وقوع
تداعين فاستبكين من كان ذا هوى * نوائح لم يقطر لهن دموع
وكيف اطيق العاذلين وذكرهم * يؤرقنى والعاذلون هجوع

وقام رجل وتواجد فأنشد

ومازال يشكو الشوق حتى كانما * تنفس من احشائه وتكلما
ويبكى فأبكى رحمة لبكائه * اذا ما بكى دمعا بكيت له دما

واعجبه يوما كلامه فأنشد

تزدحم الالفاظ والمعانى * على فؤادى وعلى لسانى
تجرى بى الافكار فى ميدان * ازاحم النجم على مكان

ووعظ المستضىء يوما فقال يا أمير المؤمنين ان تكلمت خفت منك وان سكت خفت عليك

عسكر أبى سلمة فنزل فى حجرته واستخلف على الكوفة وارضها عمه داود بن على وبعث بعمه عبد الله بن على الى ابى عون عبد الملك بن يزيد فسارا معا الى مروان فكان من امرهم ما قدمنا ذكره من التقائهم على الزاب وهزيمة مروان بن محمد واتصل بابى العباس السفاح ما كان من عامر ابن اسمعيل وقتله لمروان ببوصير وقيل ان ابن عم لعامر يقال له نافع بن عبد الملك كان قتله فى تلك الليلة فى المعركة وهو لا يعرفه وان عامرا لما احتز رأس مروان واحتوى على عسكره دخل الكنيسة التى كان فيها مروان فقعد على فرشه واكل من طعامه فخرجت ابنة مروان الكبرى وتعرف بأم مروان وكانت اسنهن فقالت يا عامر ان دهرا انزل مروان عن فرشه حتى اقعدك عليها فاكلت من طعامه واحتويت على امره وحكمت فى مملكته لقادر أن يغير ما بك وبلغ السفاح فعله وكلامها فاغتاظ من ذلك وكتب اليه ويلك اما كان لك فى ادب الله عز وجل ما يزجرك عن ان تأكل من طعام مروان وتقعد على مهاده وتمكن

أمير المؤمنين تأول ما فعلت على غير اعتقاد منك لذلك ولا شهوة لسلك من

فانا اقدم خوفي عليك على خوفي منك لحبي لدوام أيامك ان قول القائل اتق الله خير من قول القائل أنتم أهل بيت مغفور لكم وقال الحسن البصري لأن تصحب أقواما يخوفونك حتى تبلغ المأمن خير لك من أن تصحب أقواما يؤمنونك حتى تبلغ المخاوف وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول اذا بلغني عن عامل ظالم انه قد ظلم الرعية ولم أغيره فانا الظالم يا أمير المؤمنين كان يوسف عليه السلام لا يشبع في زمان القحط لئلا ينسى الجياع وكان عمر رضي الله عنه يصر بطنه عام الرمادة فيقول قرقري ان شئت أولا تقرقري فوالله لا شبعت والمسلمون جياع فتصدق الخليفة المستضيء بصدقات كثيرة وأطلق من في السجن وقال رحمه الله تعالى لبعض الولاة اذكر عدل الله فيك وعند العقوبة قدرة الله عليك واياك أن تشفي غيظك بسقم دينك وقال الطاعة تبسط اللسان والمعاصي تذل الانسان وقال له قائل ما نمت البارحة من شوقي الى المجلس فقال نعم لانك تريد أن تتفرج وانما ينبغي أن لا تنام الليلة لاجل ما سمعت فيه وقيل له ان فلانا أوصى عند الموت فقال طين سطوحه في كانون وقال له قائل أسبح ام أستغفر فقال الثياب الوسخة احوج الى الصابون من البخور وسأله سائل ما الذي وقر في قلب أبي بكر رضي الله عنه فقال قوله ليلة المعراج أن كان قال فلقد صدق فله السبق ولما قال له بعضهم سيف علي نزل من السماء فسعفة أبي بكر أين أجابه بقوله ان سعفة هزت يوم الردة فأثمرت سباياها منه مثل ابن الحنفية لأمضى من سيوف الهند ثم قال يا عجبا الروافض اذا مات لهم ميت تركوا معه سعفة من ابن ذا المصطلح وسئل عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم من أراد أن ينظر الى ميت يمشي على وجه الارض فلينظر الى أبي بكر فقال الميت يقسم ماله ويكفن وأبو بكر اخرج ماله كله وتخلل بالعباء وقال في قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا قال علي اني والله لأرجو أن أكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم ثم قال أبو الفرج اذا اصطلح أهل الحرب فما بال النظارة وقال قال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم سلم على عائشة ولم يواجهها بالخطاب احتراما لزوجها وواجه مريم لانها لم يكن لها زوج من يحترمها جبريل كيف يجوز في حقها الاباطيل قال أبو شامة وكان ابن الجوزي رحمه الله تعالى مبتلى بالكلام في مثل هذه الاشياء لكثرة الروافض ببغداد وتعنتهم بالسؤالات فيها فكان بصيرا بالخروج منها لحسن اشاراته وانقطع القراء يوما عن مجلسه فانشد

وما الحلي الا زينة لنقيصة * يتمم من حسن اذا الحسن قصرا
وأما اذا كان الجمال موفرا * كحسنك لم يحتج الى أن يزورا

وقيل له لم تعال موسى عليه السلام بسوف تراني فأنشد

ان لم يكن وصل لديك لنا * يشفي الصبابة فليكن وعد

ولما ذكر أن بلالا رضي الله عنه لما منع الطواف بالبيت كان يقف من بعيد وينظر اليه ويبكي أنشد

أمر على منازلهم واني * بمن أضحى بها صب مشوق
وأومي بالتحية من بعيد * كما يومي باصبعه الغريق

ومن شعر أبي الفرج رحمه الله تعالى

من وساده اما والله لولا ان غضبه واليم ادبه ما يكون لك زاجرا ولغيرك واعظا فاذا اتاك كتاب امير المؤمنين فتقرب الى الله بصدقة تطفئ بها غضبه وصلاة تظهر بها الاستكانة وصم ثلاثة ايام ومر جميع اصحابك ان يصوموا مثل صيامك ولما اتى ابو العباس برأس مروان ووضع بين يديه سجد فاطال ثم رفع رأسه فقال الحمد لله الذي لم يبق ثاري قبلك وقبل رهطك الحمد لله الذي أظفرني بك وأظهرني عليك ثم قال ما أبالي متى طرقني الموت قد قتلت بالحسين وبني أبيه من بني أمية مائتين وأحرقت شلو هشام بابن عمي زيد بن علي وقتلت مروان باخي ابراهيم وتمثل

لو يشربون دمي لم يرو شاربهم
ولا دماؤهم للغيظ ترويني

ثم حول وجهه الى القبلة فاطال السجود ثم جلس وقد اسفر وجهه وتمثل بقول العباس بن عبد المطلب من أبيات له

أبى قومنا أن ينصفونا فأنصفت
قواطع في أيماننا تقطر الدما
تورثن من أشياخ صدق تقربوا * بهن الى يوم الوغى فتقدما

لعمت

اعبث ومثلك لا يلعب * وقد ذهب الاطيب الاطيب
وقد كنت فى ظلمات الشباب * فلما أضاء انجلى الغيهب
ألا ابن اقرا نك الراحلون * لقد لاح اذ ذهبوا المذهب

ولنقتصر على هذا المقدار ونرجع الى أحوال لسان الدين رحمه الله تعالى وارتحاله والاعتبار بحاله فنقول ومما يناسب أن نذكره فى هذا المحل ونثبته فيه ما حكاه العالم العلامة بلدينا سيدى أبو الفضل ابن الامام التلمسانى رحمه الله تعالى عن جدى الامام قاضى القضاة سيدى أبى عبد الله المقرى التلمسانى رحمه الله تعالى وهو أحد أشياخ لسان الدين كما يأتى ان شاء الله ذلك فى محله قال كنت مع ذى الوزارتين أبى عبد الله بن الخطيب فى جامع البيرة من الاندلس اذ مر بنا الاعتبار فى تلك الآثار فأنشد ابن الخطيب ارتجالا

أقمنا برهة ثم ارتحلنا * كذاك الدهر حال بعد حال
وكل بداية فالى انتهاء * وكل اقامة فالى ارتحال
ومن سام الزمان دوام حال * فقد وقف الرجاء على المحال انتهى

وحكى لسان الدين فى الاحاطة عن نفسه أنه خطط هذه الابيات فى مرحلة نزلها رحمه الله تعالى حسبما يأتى ذلك فى شعره وما أحسن قوله رحمه الله تعالى

أيسنا قبل الزمان وأبلانا * يتابع أحرانا على الغى أولانا
ونغتر بالآمال والعمر ينقضى * فما كان بالرجعى الى الله أولانا
وماذا عسى أن ينظر الدهر من عسا * فما انقاد للزجر الحثيث ولالانا
جزينا صنيع الله شر جزائه * فلم نرع ما من سابق الفضل أولانا
فيارب عاملنا بما أنت أهله * من العفو واجبر صدعنا أنت مولانا

وقد حكى غير واحد أنه رحمه الله تعالى رئى بعد موته فى المنام فقال له الرائى ما فعل الله بك فقال غفر لى ببيتين قلتهما وهما

يا مصطفى من قبل نشأة آدم * والكون لم تفتح له أغلاق
أيروم مخلوق ثناءك بعدما * أثنى على أخلاقك الخلاق

وقد كرر رحمه الله تعالى هذا المعنى فى قصيدة فى حقه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم وبارك وأنعم وهو قوله

مدحتك آيات الكتاب فما عسى * يثنى على علياك نظم مديحى
واذا كتاب الله أثنى مفصحا * كان القصور قصار كل فصيح

وستأتى هذه القصيدة فى نظمه ان شاء الله تعالى وقد رأيت بالمغرب تخميسا للبيتين الاولين منسوبا للاديب الشهير الذكر بالمغرب أبى عبد الله محمد بن جابر الغسانى المكناسى رحمه الله تعالى ولا بأس أن نورده هنا وهو قوله رحمه الله تعالى

يا سائلا عن فخر خير العالم * ينمى اليه مقام صب هائم
بالله ناد وقل مقالة عالم * يا مصطفى من قبل نشأة آدم
والكون لم تفتح له أغلاق

وقالت الشعراء فى أمر مروان فأكثرت (وذكر) أبو الخطاب عن أبى جعدة ابن هبيرة المخزومى وكان احد وزراء مروان وسماره وقد كان لما ظهر امر ابى العباس انضاف الى جملته وصار فى عداد أصحابه وخواصه الذين اتخذهم أنه كان فى ذلك اليوم حاضرا لمجلس ابى العباس ورأس مروان بين يديه وهو يومئذ بالحيرة وأن أبا العباس التفت الى أصحابه فقال أيكم يعرف هذا قال أبو جعدة فقلت أنا أعرفه هذا رأس أبى عبد الملك مروان ابن محمد خليفتنا بالامس رضى الله عنه قال فحدقت الى الشيعة فاخذتنى بابصارها فقال لى أبو العباس فى أى سنة كان مولده قلت سنة ست وسبعين فقام وقد تغير لونه غيظا على وتفرق الناس من المجلس وانصرفت وأنا نادم على ما كان منى وتكلم الناس فى ذلك وتحدثوا به فقلت زلة والله لا تستقال ولا تنساها القوم أبدا فاتيت منزلى فلم أزل باقى يومى أعهد وأوصى فلما كان الليل اغتسلت وتهيأت للصلاة وكان ابو العباس قد اهتم بامر بعث فيه ليلا

بثنائك قد شهدت ملائكة السما * والله قد صلى عليك وسلما
يا مجتبي ومعظما ومكرما * أيروم مخلوق ثناءك بعدما
أثنى على أخلاقك الخلاق

وما أحسن قول لسان الدين رحمه الله تعالى بعد ما عرّف بنفسه وسلفه وكأن بالحي ممن ذكر قد التحق بالميت وبالقبر قد استبدل بالبيت وقال رحمه الله تعالى بعد ايراد جملة من نظمه ما صورته وقلت والبقاء لله وحده وبه يختم الهذر

عد عن كيت وكيت * ما عليها غير ميت
كيف ترجى حالة البقيا لمصباح وزيت

وسيأتي ذلك ولقد صدق رحمه الله تعالى ورقى درجته في الجنة وأما البيتان الشائعان على ألسنة أهل المشرق والمغرب وانهما قيلا في لسان الدين رحمه الله تعالى وبعضهم ينسبهما له نفسه فالصحيح خلاف ذلك كما سيأتي وهما

قف كي ترى مغرب شمس الضحى * بين صلاة العصر والمغرب
واسترحم الله قتيلا بها * كان امام العصر في المغرب

وشرح بعضهم البيتين فقال ان قوله قتيلا بها من باب الاستخدام أي قتيلا بشمس الضحى التي هي المتغزل فيها وقد رأيت وأنا بالمغرب بخط الشيخ الاغصاوي أنهما لم يعن بهما قائلهما لسان الدين بن الخطيب وانما هما مقولان في غيره ونسيتهما ونسيت الآن ذلك لطول العهد والله أعلم ويدل على ذلك أنه رحمه الله تعالى لم يقتل بين صلاة العصر والمغرب وانما قتل في جوف الليل كما علم في محله على أنه يمكن بتكلف تأويل ذلك بانه قامت لقائلهما قرينة على أنه بصدد الموت في ذلك الوقت وهذا الوثبت أنهما قيلا فيه وقد علمت أن الاغصاوي نفى ذلك فالله أعلم بحقيقة الامر في ذلك ثم رأيت في كتاب اسمعيل بن الاحمر في ترجمة بعض العلماء ما نصه فمن قوله يرثي الامراء بالمغرب وقد حل رمسه بين صلاة العصر والمغرب

قف كي ترى مغرب شمس العلا * بين صلاة العصر والمغرب
واسترحم الله دفينا به * كان مليك العصر في المغرب

وهذا مما يبعد أنهما في لسان الدين من وجوه لا تخفى على المتأمل منها قوله كان مليك العصر فان لسان الدين لم يكن كذلك وقد تقدم آنفا كان امام العصر في المغرب وهو أحسن لما فيه من التورية البديعة والله أعلم (رجع) الى أخبار لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى وقد عرض عدوه الرئيس ابن زمرك في بعض قصائده التي مدح بها سلطانه الغني بالله أبا عبد الله بن نصر بما تسنى له من الظفر بابن الخطيب ومن حماه منه وهو الوزير ابن الكاس على يد من عينه لملك المغرب وأعانه بجنده وعضده كما تقدم وهو السلطان أحمد المريني فقال من قصيدة عيدية

يهني زمانك أعياد مجددة * من الفتوح مع الايام تغشاه
غضبت للدين والدنيا بحقهما * ياحبذا غضب في الله أرضاه
فوقت للغرب سهما راشه قدر * وسدد الله للاعداء مرماه

فلم ازل ساهرا حتى اصبحت فلما اصبحت ركبت بغلتي واستعرضت بقلبي الى من اقصد في امري فلم اجد احدا اولى من سليمان بن خالد مولى بني زهرة وكان له من ابي العباس منزلة عظيمة وكان من شيعة القوم فأتيته فقلت أذكرني امير المؤمنين البارحة فقال نعم جرى ذلك فقال هو ابن اختنا وفي لصاحبه ونحن ان اوليناه خيرا كان اهلا اشكر فشكرت ذلك له وجزيته خيرا ودعوت له وانصرفت فلم ازل آتي أبا العباس على ما كنت عليه لا ارى الا خيرا ونمى الكلام الذي كان في مجلس ابي العباس حين اتي براس مروان فبلغ ابا جعفر وعبد الله بن علي فكتب عبد الله بن علي الى ابي العباس يعلمه بما بلغه من كلامي وانه ليس هذا يحتمل وكتب ابو جعفر يخبر بما بلغه من ذلك ويقول هو ابن اختنا ونحن اولى باصطناعه واتخاذ المعروف عنده وبلغني ما كان منهما فامسكت وضربت الدهر ضربا بانه فبينما انا ذات يوم عند ابي العباس بعد حين وقد زايدت حالي عنده واحظاني فنهض الناس ونهضت فقال لي ابو العباس يا ابن بسيرة اجلس فجلست ونهض ليدخل فقمت لقيامه فقال اجلس فرفع

سهم أصاب ورامبه بذي سلم * لقد رمى الغرض الاقصى فاصماه
من كان بندك ياموالاى يقدمه * فليس يخلفه فتح ترجاه
من كان جندك جند الله ينصره * أناله الله مايرجو وسناه
ملكت غربا به خلدت من ملك * للغرب والشرق منه ما تمناه
وسام أعداءك الاشقين ما كسبوا * ومن تردى رداء الغدر أرداه
قل للذي رمدت جهلا بصيرته * فلم تر الشمس شمس الهدى عيناه
غطى الهوى عقله حتى اذا ظهرت * له المراشد أعشاه وأعماه
هل عنده وذنوب الغدر توبقه * أن الذي قد كساه العز أعراه
لو كان يشكر ما أوليت من نعم * مازلت ملجأه الاحمى ومنجاه
سل السعود وخل البيض معمدة * فالسيف مهما مضى فالسعد أقصاه
واشرع من البرق نصلا راع مصلته * وارفع من الصبح بنداراق مجلاه
فالعدوتان لنا قد ضم ملكهما * انصار ملكك صان الله علياه
لا أوحش الله قطرا أنت مالكه * وآنس الله بالالطاف مغناه
لا أظلم الله أفقا أنت نيره * لا أهمل الله سرحا أنت ترعاه
واهنأ بشهر صيام جاءزائره * مستنزلا من اله العرش رحماه
أهل بالسعد فاتهلت به منن * وأوسع الصنع اجمالا وفاه
أما ترى بركات الارض شاملة * وأنعم الله قد عمت برايا
وعادك العيد تستحلي موارده * ويجزل الاجر والرحمى مصلاه
جهزت جيش دعاء فيه ترفعه * اذى المعارج والاخلاص رقاه
أفضت فيه من النعماء أجزلها * وأشرف البر بالاحسان زكاه
واليت للخلق ما أوليت من نعم * والى لك الله ما أولى ووالاه

وأول هذه القصيدة

هذي العوالم لفظ أنت معناه * كل يقول اذا استنطقته الله
بحر الوجود وفلك الكون جارية * وباسمك الله مجراه ومرساه
من نور وجهك ضاء الكون أجمعه * حتى تشيد بالافلاك مبناه
عرش وفرش وأملاك مسخرة * وكلها ساجد لله مولاه
سبحان من أوجد الاشياء من عدم * وأوسع الكون قبل الكون نعماه
من ينسب النور للافلاك قلت له * من أين أطلعت الانوار لولاه
مولاى مولاى بحر الجود أغرقني * والخلق أجمع في ذا البحر قد تاهوا
فالفلك تجري كما الافلاك جارية * بحر السماء وبحر الارض أشباه
وكلهم نعم للخلق جارية * تبارك الله لا تحصى عطاياه
يا فاتق الرتق من هذا الوجود كما * في سابق العلم قد خطت قضاياه
كن لي كما كنت لي اذ كنت لا عمل * أرجو ولا ذنب قد أذنبت أخشاه

منه ولا تماما عليه قط فلما رفع الستر نهضت فقال اجلس فجلست فقال يا ابن هبيرة اني ذاكرلك أمرا فلا يخرجن من رأسك الى أحد من الناس ثم قال قد علمت ما جعلنا من هذا الامر وولاية العهد لمن قتل مروان وعبد الله ابن علي عمي هو الذي قتله لان ذلك كان بجيشه وباصحابه وأخي أبو جعفر مع فضله وعلمه وايثاره لامر الله كيف يسوغ اخراجه عنه قال فاطال في مدح أبي جعفر فقلت اصلح الله الامير لا أشير عليك ولكني احدثك حديثا تعتبره فقال هاته فقلت كنا مع مسلمة بن عبد الملك عام الخليج بالقسطنطينية اذ ورد عليه كتاب عمر بن عبد العزيز ينعي سليمان ومصير الامر اليه فبعث الى فدخلت عليه فرمى بالكتاب الى فقرأته ثم اندفع يبكي فقلت أصلح الله الامير لا تبك على أخيك ولكن ابك على خروج الخلافة من ولد أبيك الى ولد عمك فبكى حتى اخضلت لحيته قال فلما فرغت من حديثي قال لي أبو العباس حسبك قد فهمت عنك ثم قال اذا شئت فانهض فما مضيت غير بعيد حتى قال لي يا ابن هبيرة فالتفت راجعا فقال لي امض أما انك قد كافأت

وأنت فى حضرات القدس تنقلنى * حتى استقر بهذا الكون مثواه
ما أقبح العبد أن ينسى وتذكره * وأنت باللطف والاحسان ترعاه
غفرانك الله من جهل بليت به * فمن افادوجودى كيف أنساه
منى على حجاب لست أرفعه * الا بتوفيق هدى منك ترضاه
فعد على بما عودته من كرم * فأنت أكرم من امات رحماه
ثم الصلاة صلاة الله دائمة * على الذى باسمه فى الذكر سماه
المجتبى وزناد النور ماقدحت * ولا ذكامن نسيم الروض مسراه
والمصطفى وكمام الكون ماافتقت * عن زهر زهر بروق العين مرآه
ولا تفجر نهر للنهار على * درالدرارى فعطاه وأخفاه
يافاتح الرسل أوياختمها شرفا * والله قدس فى الحالين معناه
لم ادخر غير حب فيك أرفعه * وسيلة لكريم يوم ألقاه
صلى عليك اله أنت صفوته * ماطيبت بلذيذ الذكر أفواه
وعم بالروح والريحان صحبته * وجاههم من غير العفو اصفاه
وخص أنصاره الاعلين صفوته * وأسكنوا من جوار الله اعلاه
أنصار ملته أعلام بيعته * مناقب شرفت أثنى بها الله
وأيد الله من أحيا جهادهم * وواصل الفخر أخراه باولاه
المنتقى من صميم الفخر جوهره * ما بين نصر وأنصار تهاداه
العلم والحلم والافضال شيمته * والبأس والجود بعض من سجاياه

وهى طويلة ولنقتصر منها على ماذكر وقد صرح ابن زمرك المذكور فى قصيدة أخرى مدح بها سلطانه الغنى بالله وهنأه بفتح المغرب على يد السلطان أحمد وذكر فيها ظفره بالوزير ابن الكاس وهو اعنى ابن الكاس كان القائم بنصرة لسان الدين والمانع له والمجير له منهم حين طلبوه منه فلما لم يخفر ذمته تمكنت كما سبق أسباب العداوة وجر ذلك أن اغرى للسلطان أحمد على تملك فاس واشترطوا عليه كما مر القبض على لسان الدين وارساله اليهم وقد نقلت هذه القصيدة من تأليف لحفيد السلطان الغنى بالله ونص محل الحاجة منه ومن ذلك أيضا قوله يعنى ابن زمرك هناء لمولانا الجد رحمه الله تعالى بالفتح المغربى للسلطان أبى العباس ابن السلطان ابى سالم المرينى

هى نفحة هبت من الانصار * اهدتك فتح ممالك الامصار
فى بشرها وبشارة الدنيا بها * مستمتع الاسماع والابصار
هبت على قطر الجياد فروضت * ارجاءه بالنفحة المعطار
وسرت وامر الله طى برودها * يهدى البرية صنع لطف البارى
مرت بأدواح المنابر فانبرت * خطباؤها مفتنة الاطيار
حنت معارجها الى اعشارها * لما سمعن بها حنين عشار
لو أنصفتك لكللت أدواحها * تلك البشائر يانع الازهار

ابن هبيرة هذا هو من ولد جعدة بن هبيرة المخزومى من فاختة ام هانئ بنت ابى طالب وعلى وجعفر وعقيل اخواله وقد قدمنا خبره فيما سلف من هذا الكتاب (قال المسعودى) ووجدت فى أخبار المدائنى عن محمد بن الاسود قال بينما عبد الله بن على يساير اخاه داود بن على ومعهما عبد الله بن الحسن بن الحسن فقال داود لعبد الله لم لا تأمر ابنيك بالظهور فقال عبد الله هيهات لم يأن لهما بعد فالتفت اليه عبد الله بن على فقال كانك تحسب ان ابنيك هما قاتلا مروان فقال ان ذلك كذلك فقال عبد الله هيهات وتمثل
سيكفيك المقالة مستميت * خفيف اللحم من اولاد حام
انا والله قاتله وقيل لعبد الله ابن على ان عبد الله بن عمر ابن عبد العزيز يذكر انه قرأ فى بعض الكتب عين ابن عين ابن عين وقد امل ان يكون هو فقال عبد الله ابن على انا والله ذلك ولى عليه فضل ثلاثة اعين انا عبد الله بن على بن عبد الله ابن عباس بن عبد المطلب ابن هاشم وهو وعمرو بن عبد مناف فلما ضاف مروان عبد الله بن على اقبل مروان على رجل الى جنبه فقال

فتح الفتوح اتاك فى حلل الرضا * بعجائب الازمان والاعصار
فتح الفتوح جنيت من أفنانه * ماشئت من نصر ومن انصار
كم آية لك فى العود جلية * خلدت منها عبرة استبصار
كم حكمة لك فى النفوس خفية * خفيت مداركها عن الافكار
كم من امير أم بابك فانثنى * يدعى الخليفة دعوة الا كبار
اعطيت احمد راية منصورة * بركاتها تروى عن الانصار
اركبته فى المنشآت كأنما * جهزته فى وجهة لمزار
من كل خافقة الشراع مصفق * منها الجناح تطير كل مطار
القت بايدى الريح فضل عنانها * فتكاد تسبق لمحة الابصار
مثل الجياد تدافعت وتسابقت * من طافح الامواج فى مضمار
لله منها فى المجاز سوابح * وقفت عليك الفخر وهى جوارى
لما قصدت بها مرامى سبتة * عطفت على الاسوار عطف سوار
لما رأت من صبح عزمك غرة * محفوفة بأشعة الانوار
ورأت جبينا دونه شمس الضحى * لبتك بالاجلال والا كبار
فأفضت فيها من نداك مواهبا * حسنت مواقعها على التكرار
وأريت أهل الغرب عزم مغرب * قد ساعدته غرائب الاقدار
وخطبت من فاس الجديد عقيلة * لبتك طوع تسرع وبدار
ماصدقوا متن الحديث بفتحها * حتى رأوه فى متون شفار
وتسمعوا الاخبار باستفتاحها * والخبر قد يغنى عن الاخبار
قولوا القرد فى الوزارة غره * حلم منحت به على مقدار
أسكنته من فاس جنة ملكها * متنعما منها بدار قرار
حتى اذا كفر الصنيعة وازدرى * بحقوقها ألحقته بالنار
جرعت نجل الكاس كاس مرة * دست اليه الحتف فى الاسكار
كفر الذى أوليته من نعمة * لاتأنس النعماء بالكفار
فطرحته طرح النواة فلم يفز * من عز مغربه بغير فرار
لم يتفق لخليفة مثل الذى * أعطى الاله خليفة الانصار
لم أدر والايام ذات عجائب * تردادها يحلو على التذكار
ألواء صبح فى ثنية مشرق * أم راية فى جحفل جرار
وشهاب أفق أم سنان لامع * ينقض نجما فى سماء غبار
ومناقب المولى الامام محمد * قد أشرقت أم هن زهر دراوى
فاق الملوك بهمة علوية * من دونها نجم السماء السارى
لو صافح الكف الخضيب بكفه * نخرت بنهر للمجرة جارى
والشهب تطمع فى مطالع أفقها * لو أحرزت منه منيع جوار

من الرجل الذى كان يخاصم عندك عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الاقى
الحديد البصر الحسن الوجه فقلت يرزق الله البيان من يشاء قال قال انه لهو قلت نعم قال من ولد العباس بن عبد المطلب هو قلت اجل فقال مروان انا لله وانا اليه راجعون ويحك انى ظننت ان الذى يحاربنى من ولد ابى طالب وهذا الرجل من ولد العباس واسمه عبد الله اتدرى لم صيرت الامر بعدى لابنى عبيد الله بن عبد الله ومحمد اكبر من عبيد الله لانا خبرنا ان الامر صائر بعدى الى عبد الله وعبيد الله فنظرت فاذا عبيد الله أقرب الى عبد الله من محمد فوليته دونه قال وبعث مروان بعد أن حدث صاحبه بهذا الحديث الى عبد الله بن على فى خفية ان الامر يا ابن عم صائر اليك فاتق الله فى الحرم قال فبعث اليه عبد الله ان الحق لنا فى دمك والحق علينا فى حرمك وذكر مصعب الزبيرى قال كانت أم سلمة بنت يعقوب بن سلمة بن عبد الله ابن الوليد بن المغيرة المخزومى عند عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك فهلك عنها ثم كانت عند هشام فهلك عنها فبينا هى ذات يوم اذ مر بها أبو العباس
السفاح وكان جميلا وسيما فسألت عنه فنسب لها فارسلت له مولاة لها تعرض عليه أن يتزوجها وقالت لها قولى له هذه

سل بالمشارق صبحها عن وجهه ✻ يفتر منه عن جبين نهار
سل بالغمائم صوبها عن كفه ✻ تنبيك عن بحر بها زخار
سل بالبروق صفاحها عن عزمه ✻ تخبرك عن أمضى شبا وغرار
قد أحرز الشيم الخطيرة عندما ✻ أمضى العزائم صهوة الاخطار
ان يلق ذو الاجرام صفحة صفحه ✻ فمحا القبول له خطا الاعمار
يامن اذا هبت نواسم حمده ✻ أزرت بعرف الروضة المعطار
يامن اذا افترت مباسم بشره ✻ وهب النفوس وعاث في الاقتار
يامن اذا طلعت شموس سعوده ✻ تعشى أشعتها قوى الابصار
قسما بوجهك في الضياء فانه ✻ شمس تمد الشمس بالانوار
قسما بعزمك في المضاء فانه ✻ سيف تجرده يد الأقدار
لسماح كفك كلما استوهبته ✻ يزري بغيث الديمة المدرار
لله حضرتك العلية لم تزل ✻ يلقى الغريب بها عصا التسيار
كم من طريد نازح قذفت به ✻ أيدي النوى في القفر رهن سفار
بلغته ما شاء من آماله ✻ فسلا عن الاوطان بالاوطار
صيرت بالاحسان دارك داره ✻ متعت بالحسنى وعقبى الدار
والخلق تعلم أنك الغوث الذي ✻ يضفي عليها وافي الاستار
كم دعوة لك في المحول مجابة ✻ أغرت جفون المزن باستعبار
جادت مجاري الدمع من قطر الندى ✻ فرعى الربيع لها حقوق الجار
فاعاد وجه الارض طلقا مشرقا ✻ متضاحكا عن باسم النوار
يامن مآثره وفضل جهاده ✻ تحدى القطار بها الى الاقطار
حطت البلاد ومن حوته ثغورها ✻ وكفى بسعدك حاميا لذمار
فلرب بكر للفتوح خطبتها ✻ بالمشرفية والقنا الخطار
وعقيلة للكفر لما رعتها ✻ أخرست من ناقوسها المهذار
اذهبت من صفح الوجود كيانها ✻ ومحوتها الا من التذكار
عمروا بها جنات عدن زخرفت ✻ ثم انثنوا عنها ديار بوار
صبحتها روضة مطلولة ✻ فأعدتها للعين موقد نار
واسود وجه الكفر من خزي متى ✻ ما احمر وجه الابيض البتار
ولرب روض للقنا متأود ✻ ناب الصهيل به عن الاطيار
مهما حكت زهر الاسنة زهره ✻ حكت السيوف معاطف الانهار
متوقد لهب الحديد بجوه ✻ تصلى به الاعداء لفح أوار
في كل ملتفت صقال مشهر ✻ قداح زند الحفيظة واري
في كف أروع فوق نهد سابح ✻ متموج الاعطاف في الاحضار
من كل مخفر بلمة بارق ✻ حمل السلاح به على طيار

سبعمائة دينار أوجه بها اليك وكان معها مال عظيم وجوهر وحشم فاتته المولاة فعرضت عليه ذلك فقال أنا معاق لا مال عندي فدفعت اليه المال فانعم لها وأقبل الى أخيها فسأله التزويج فزوجه اياها فاصدقها خمسمائة دينار وأهدى مائتي دينار ودخل عليها من ليلته واذا هي على منصة فصعدت عليها فاذا كل عضو منها مكلل بالجوهر فلم يصل اليها فدعت بعض جواريها فنزلت وغيرت لبسها ولبست ثيابا مصبغة وفرشت له فراشا على الارض دون ذلك فلم يصل اليها فقالت لا يضرك هذا كذلك كان يصيبهم مثل ما أصابك فلم تزل به حتى وصل اليها من ليلته وحظيت عنده وحلف أن لا يتزوج عليها ولا يتسرى فولدت منه محمدا وريطة وغلبت عليه غلبة شديدة حتى ما كان يقطع أمرا الا بمشورتها وبتأميرها حتى أفضت الخلافة اليه فلم يكن يدنو الى النساء غيرها الا الى حرة ولا الى أمة ووفى لها بما حلف أن لا يغيرها فلما كان ذات يوم في خلافته خلا به خالد بن صفوان فقال يا أمير المؤمنين اني فكرت في أمرك وسعة ملكك وقد ملكت نفسك امرأة واحدة فان مرضت مرضت وان غابت غبت وحرمت نفسك التلذذ باستطراف الجواري ومعرفة

من

من أشهب كالصبح يطلع غرة * فى مستهل العسكر الجرار
أوادهم كالليل الا انه * لم يرض بالجوزاء حلى عذار
أواحمر كالجمر يذكى شعلة * وقدا رمى من بأسه بشرار
أواشقر حلى الجمال أديمه * وكساه من زهو جلال نضار
أوأشعل راق العيون كأنه * غلس يخالط سدفة بنهار
شهب وشقر فى الطراد كأنها * روض تفتح عن شقيق بهار
عودتها ان ليس تقرب منهلا * حتى يخالط بالدم الموّار
ياأيها الملك الذى أيامه * غرر تلوح بأوجه الاعصار
يهنى لواءك أن جدك زاحف * بلواء خير الخلق للكفار
لاغروأن فقت الملوك سيادة * اذكان جدك سيد الانصار
السابقون الاوّلون الى الهدى * والمصطفون لنصرة المختار
متهللون اذا النزيل عراهم * سفروا له عن أوجه الاقمار
من كل وضاح الجبين اذا احتبى * تلقاه معصوبا بتاج فخار
تدلاث صبحا فوق بدر بعدما * لبس المكارم وارتدى بوقار
فاسأل ببدر عن مواقف بأسهم * فهم تلافوا أمره ببدار
لهم العوالى عن معالى فخرها * نقل الرواة عوالى الاخبار
واذا كتاب الله يتلو حمدهم * أودى القصور بمنة الاشعار
ياابن الذين اذا تذوكر فخرهم * فخروا بطيب أرومة ونجار
حقا لقد أوضحت من آثارهم * لما أخذت لدينهم بالثار
اصبحت وارث مجدهم وفخارهم * ومشرف الاعصار والامصار
ياصادرا فى الفتح عن ورد المنى * ردناجح الايراد والاصدار
واهنأ بفتح جاء يشتمل الرضا * جذلان يرفل فى حلى استبشار
واليكها ملء العيون وسامة * حييتك بالابكار من أفكارى
تجرى حداة العيس طيب حديثها * يتعللون به على الاكوار
ان مسهم لفح الهجير أبلهم * منه نسيم ثنائك المعطار
وتميل من اصغى لها فكانى * عاطيته منها كؤس عقار
قذفت بحور الفكر منها جوهرا * لما وصفت انامل بحار
لازلت للاسلام سترا كلما * أم الحجيج البيت ذا الاستار
وبقيت يابدر الهدى تجرى بما * شاءت علاك سوابق الاقدار انتهت

ولابن زمرك السابق قصيدة أخرى قالها بعد موت لسان الدين بن الخطيب وخلع السلطان أبى العباس أحمد بن أبى سالم الذى قتل ابن الخطيب فى دولته وكان سلطان الاندلس موالا للسلطان أحمد المذكور ولذلك امتعض لرده لملكه فقال ابن زمرك وزير صاحب الاندلس بعد ابن الخطيب هذه القصيدة يمدح بها سلطانه أثناء وجهته لتجديد الدولة الاحمدية

أخبار حالاتهن والتمتع بما تشتهى منهن فان منهن يا أمير المؤمنين الطويلة الغيداء وان منهن الفضة البيضاء والعتيقة الادماء والدقيقة السمراء والبربرية العجزاء من مولدات المدينة تفتن بمحادثتها وتلذ بخلوتها وأين أمير المؤمنين من بنات الاحرار والنظر الى ما عندهن وحسن الحديث منهن ولو رأيت يا أمير المؤمنين الطويلة البيضاء والسمراء اللعساء والصفراء العجزاء والمولدات من البصريات والكوفيات ذات الالسن العذبة والقدود المهفهفة والاوساط المخصرة والاصداغ المزرفنة والعيون المكحلة والثدى المحققة وحسن زيهن وزينتهن وشكلهن لرأيت شيأ حسنا وجعل خالد يجيد فى الوصف ويجد فى الاطناب بحلاوة لفظه وجودة وصفه فلما فرغ كلامه قال له أبو العباس ويحك ياخالد ما صك مسامعى والله قط كلام أحسن مما سمعته منك فاعد على كلامك فقد وقع منى موقعا فاعاد عليه خالد أحسن مما ابتداه ثم انصرف وبقى أبو العباس مفكرا فيما سمع منه فدخلت عليه أم سلمة امرأته فلما رأته مفكرا مغموما قالت انى لا أنكرك يا أمير المؤمنين فهل حدث أمر تكرهه أو أتاك خبر فارتعت له قال لم يكن من ذلك شئ قالت فما قصتك فجعل يزوى

المذكورة صدر عام تسعة وثمانين وسبعمائة

هب النسيم على الرياض مع السحر * فاستيقظت فى الدوح أجفان الزهر
ورمى القضيب دراهما من نوره * فاعتاض من طل الغمام بها درر
نثر الازاهر بعدما نظم الندى * ياحسن ما نظم النسيم وما نثر
قم هاتها والجو أزهر باسم * شمسا تحل من الزجاجة فى قمر
ان شجها بالماء كف مديرها * ترميه من شهب الحباب بها شرر
نارية نورية من ضوئها * قدح السراج لنا اذا الليل اعتكر
لم يبق منها الدهر الا صبغة * قد أرعشت فى الكاس من ضعف الكبر
من عهد كسرى لم يفض ختامها * اذ كان يدخر كنزها فيما دخر
كانت مذاب التبر فيما قد مضى * فاحالها ذوب اللجين لمن نظر
جدد بها عرس الصبوح فانها * بكر تحييها الكرام مع البكر
وابلل بها رمق الاصيل عشية * والشمس من وعد الغروب على خطر
محمرة مصفرة قد أظهرت * خجل المريب يشوبه وجل الحذر
من كف شفاف تجسد نوره * من جوهر لألاؤه يعتبهر
تهوى البدور كماله وتود أن * لو أوتيت منه المحاسن والغرر
قد خط نور عذاره فى خده * قلمان من آس هناك ومن شعر
والى عليك بها الكؤس وربما * يسقيك من كاس الفتور اذا فتر
سكر الندامى من يديه ولحظه * متعاقب مهما سقى واذا نظر
حيث الهديل مع الهدير تناغيا * فالطير تشدو فى الغصون بلا وتر
والقضب مالت للعناق كانها * وفد الاحبة قادمين من السفر
متلاعبات فى الحلى ينوب فى * وجناتهن الورد حسنا عن خفر
والنرجس المطلول يرنو نحوها * بلواحظ دمع الندى منها انهمر
والنهر مصقول الحسام متى يرد * درع الغدير مصفقا فيه صدر
يجرى على الحصباء وهى جواهر * متكسرا من فوقها ماء همى عثر
هل هذه أم روضة البشرى التى * فيها لارباب البصائر معتبر
لم أدر من شغف بها وبهذه * من منهما فتن القلوب ومن سحر
جاءت بها الاجفان ملء ضلوعها * ملء الخواطر والمسامع والبصر
ومسافر فى البحر ملء عنانه * وافى مع الفتح المبين على قدر
قادته نحوك بالخطام كانه * جمل يساق الى القياد وقد نفر
وأراه دين الله عزة أهله * بك يا أعف القادرين اذا قدر
يا فخر أندلس وعصمة أهلها * للناس سر فى اختصاصك قد ظهر
كم معضل من دائها عالجته * فشفيت منه بالبدار وبالبدر
ماذا عسى يصف البليغ خليفة * والله ما أيامه الا غرر

عنها فلم تزل به حتى أخبرها بمقالة خالد فقالت فما قلت لابن الفاعلة قال لها سبحان الله ينهانى وتشتمينه فخرجت من عنده مغضبة وأرسلت الى خالد من الجارية ومعهم الكافر كوبات وأمرتهم أن لا يتركوا منه عضوا صحيحا قال خالد فانصرفت الى منزلى وأنا على السرور بما رأيت من أمير المؤمنين واعجابه بما ألقيته اليه ولم أشك أن صلته ستأتينى فلم ألبث حتى صار الى أولئك الجارية وأنا قاعد على باب دارى فلما رأيتهم قد أقبلوا نحوى أيقنت بالجائزة والصلة حتى وقفوا على فسألوا عنى فقلت ها أنا ذا خالد فسبق الى أحدهم بهراوة كانت معه فلما أهوى بها الى وثبت فدخلت منزلى وأغلقت الباب على واستترت ومكثت أياما على تلك الحال لا أخرج من منزلى ووقع فى خلدى أنى أتيت من قبل أم سلمة وطلبنى أبو العباس طلبا شديدا فلم أشعر ذات يوم الا بقوم قد هجموا على وقالوا أجب أمير المؤمنين فايقنت بالموت فركبت وليس على لحم ولا دم فلم أصل الى الدار أومأ الى بالجلوس ونظرت فاذا خلف ظهرى باب عليه ستور قد أرخيت وحركة خلفها فقال يا خالد لم أرك منذ ثلاث قلت كنت عليلا يا أمير المؤمنين وزنت

ورثت هذا الفخر يا ملك الهدى * من كل من آوى النبي ومن نصر
من شاء يعرف فخرهم وكمالهم * فليتل وحي الله فيهم والسير
أبناؤهم ابناء نصر بعدهم * بسيوفهم دين الاله قد انتصر
مولاي سعدك والصباح تشابها * وكلاهما في الخافقين قد اشتهر
هذا وزير الغرب عبد آبق * لم يلف غيرك في الشدائد من وزر
كفر الذي أوليته من نعمة * والله قد حتم العذاب لمن كفر
ان لم يمت بالسيف مات بغيظه * وصلى سعير التأسف والفكر
ركب الفرار مطية يحجو بها * جرت به حتى استقر على سقر
وكذا أبوه وكان منه حمامه * قد حم وهو من الحياة على غرر
بلغته والله أكبر شاهد * ماشاء من وطن يعز ومن وطر
حتى اذا جحد الذي أوليته * لم تبق منه الحادثات ولم تذر
في حاله والله أعظم عبرة * لله عبد في القضاء قد اعتبر
فاصبر تنل أمثالها في مثله * ان العواقب في الامور لمن صبر
ردحيث شئت مسوغا ورد المنى * فالله حسبك في الورود وفي الصدر
لازلت محروسا بعين كلاءة * مادام عين الشمس تعشي من نظر

ومنها وقد أضاف اليه من التغزل طوع بداره وحجة اقتداره فقال

والعود في كف النديم بسرما * تلقى لنا منه الانامل قد جهر
غنى عليه الطير وهو بدوحه * والآن غنى فوقه ظبي اغر
عود ثوى حجر القضيب رعى له * أيام كان في الرياض مع الشجر
لاسيما لما رأى من ثغره * زهرا وأين الزهر من تلك الدرر
ويظن ان عذاره من آسه * ويظن تفاح الخدود من الثمر
يسبي القلوب بلفظه وبلحظه * وافتنني بين التكلم والنظر
قد قيدته لأنسنا أوتاره * كالظبي قيد في الكناس اذا نفر
لم يبل قلبي قبل سمع غنائه * عذر سلب العقول وما اعتذر
جس القلوب بجسه اوتاره * حتى كأن قلوبنا بين الوتر
نمت لنا ألحانه بجميع ما * قد أودعت فيه القلوب من الفكر
باصامتا والعود تحت بنانه * يغنيك نطق الخبر فيه عن الخبر
أغنى غناؤك عن مدامك يا ترى * هل من لحاظك أم بنانك ذا السكر
باحت أناملك اللذان بكل ما * كان المتيم في هواه قد ستر
ومقاتل ماسل غير لحاظه * والرمح هز من القوام اذا خطر
دانت له منا القلوب بطاعة * والسيف علك ربه مهما قهر انتهى

وسنلم ان شاء الله تعالى بترجمة ابن زمرك هذا في باب التلامذة ونشير هنالك الى كثير من أحواله وكيفية قتله مع أولاده وخدمه بمرأى ومسمع من أهله فكان الجزاء من جنس

مسامعي قط كلام أحسن منه فاعده على قلت نعم يا أمير المؤمنين اعلمتك أن العرب اشتقت اسم الضرة من الضر وان أحدهم ماتزوج من النساء أكثر من واحدة الا كان في جهد فقال ويحك لم يكن هذا في الحديث قلت بلى والله يا أمير المؤمنين وأخبرتك أن الثلاث من النساء كاثافي القدر يغلي عليهن قال أبو العباس برئت من قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت سمعت هذا منك في حديثك قال وأخبرتك أن الاربعة من النساء شر صحيح لصاحبهن يشيبنه ويهرمنه ويسقمنه قال ويلك والله ماسمعت هذا الكلام منك ولا من غيرك قبل هذا الوقت قال خالد بلى والله قال ويلك وتكذبني قال وتريد أن تقتلني يا أمير المؤمنين قال مر في حديثك قال وأخبرتك أن أبكار الجواري رجال ولكن لاخصي لهن قال خالد فسمعت الضحك من وراء الستر قلت نعم وأخبرتك أيضا ان بني مخزوم ريحانة قريش وأنت عندك ريحانة من

الرياحين وأنت تطمع بعينك الى حرائر النساء وغيرهن من الاماء قال خالد فقيل لي من وراء الستر

العمل وخاب منه الامل اذ لسان الدين قتل غيلة بليل غاسق على يد مختلس في السجن فاسق وأما ابن زمرك فقتل بالسيف جهارا وتناوشته سيوف مخدومه بين بناته ابداء للتشفي واظهارا وقتل معه من وجد من خدمه وأبنائه وابعده الدهر وطالما أدناه وهكذا الحال في خدام الدول وذوي الملك أنهم أقرب شيء من الهلك ورحم الله من قال اياك وخدمة الملوك فانهم يستقلون في العقاب ضرب الرقاب ويستكثرون في الثواب رد الجواب انتهى (رجع الى ما كنا فيه من أحوال لسان الدين بن الخطيب) وكان رحمه الله تعالى قبيل موته لما توفي السلطان أبو فارس عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن المريني بتلمسان وتغلب على الامر الوزير أبو بكر بن غازي بن الكاس مبايعا الابن صغير السن من أولاد السلطان عبد العزيز ألف كتابه المسمى باعلام الاعلام بمن بويع من ملوك الاسلام قبل الاحتلام ومراده بذلك تثبيت دولة الوزير الذي أبى أن يخفر عهده وذمته وامتنع أن يمكن منه أهل الاندلس فاكثروا القالة في الوزير بسبب مبايعته للصبي وبنوا ظاهر الامر على أن ذلك لا يجوز بالشرع وأبدؤا وأعادوا في ذلك وأسروا من كامن أمرهم حسوا في ارتغاء ومن جملة كلام لسان الدين بن الخطيب في ذلك الكتاب قوله فنبس أهل الاندلس بانكار بيعة صبي صغير أو نيابة صاحب أو وزير فقد عموا وصموا وخطروا بربع الانصاف فأعرضوا وما ألموا وبما سنوه لغيرهم ذموا انتهى (وكان) رحمه الله تعالى ألف للسلطان عبد العزيز حين انحيازه اليه المباخر الطيبية في المفاخر الخطيبية يذكر فيه نباهة سلفه ومالهم من المجد وقصده الرد على أهل الاندلس المجاهرين له بالعداوة القادحين في فخر سلفه ثم ألف للسلطان المذكور كتاب خلع الرسن في التعريف بأحوال ابن الحسن لكونه تولى كبر الحط منه والسعي في هلاكه كما مر وقال في حق هذا الكتاب انه لا شيء فوقه في الظرف والاستطراف وسلي الثكالى ونستغفر الله تعالى انتهى ومع هذا كله لما أنشبت المنية أظفارها لم تنفعه مما كتب تميمه ونال ما أمله فيه أهل السعاية والنميمه وسجلوا عليه المقالات الذميمه وقد صار الجميع الى حكم عدل قادر يحيي من العظم رميمه وينصف المظلوم من الظالم ويجازي الجاهل والعالم ويساوي بين المأمور والآمر والشريف والمشروف والعزيز والحقير والمنكر والمعروف وعفوه سبحانه مؤمل بعد وهو لا يخلف الوعد ومن سبقت له العنايه لم تضره الجنايه وقد كان لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى محبا في العفو حتى انه كان اذا جرى لديه ذكر عقوبة الملوك لاتباعهم تشمئز نفسه من ذلك ويقول ما معناه ماضرهم لو عفوا ورأيت له رحمه الله تعالى في بعض مؤلفاته وقد أجرى ذكر استعطاف ذي الوزارتين أبي بكر بن عمار للسلطان المعتمد بن عباد حين قبض عليه بقوله

سجاياك ان عافيت أندى وأسمح * وعذرك ان عاقبت أولى وأوضح
وان كان بين الخطتين مزية * فأنت الى الادنى من الله أجنح
وماذا عسى الاعداء أن يتزيدوا * سوى أن ذنبي ثابت ومصحح
وان رجائي أن عندك غير ما * يخوض عدوي اليوم فيه ويمرح

صدقت والله يا عماه وبررت بهذا حدثت أمير المؤمنين ولكنه بدل وغير ونطق عن لسانك فقال له أبو العباس مالك قاتلك الله وأخزاك وفعل بك وفعل قال فتركته وخرجت وقد أيقنت بالحياة قال خالد فما شعرت الا برسل أم سلمة قد صاروا الي ومعهم عشرة آلاف درهم وتخت وبرذون وغلام ولم يكن أحد من الخلفاء يحب مسامرة الرجال مثل أبي العباس السفاح وكان كثيرا ما يقول انما العجب ممن يترك أن يزداد علما ويختار أن يزداد جهلا فقال له أبو بكر الهذلي ما تأويل هذا الكلام يا أمير المؤمنين قال يترك مجالسة مثلك وأمثال أصحابك ويدخل الى امرأة أو جارية فلا يزال يسمع سخفا ويروي نقصا فقال له الهذلي لذلك فضلكم الله على العالمين وجعل منكم خاتم النبيين (ودخل) عليه أبو نخيلة الشاعر فسلم عليه وانتسب له وقال عبدك يا أمير المؤمنين وشاعرك أفتأذن لي في انشادك فقال له لعنك الله ألست القائل في مسلمة ابن عبد الملك بن مروان

أمسلم اني يا ابن كل خليفة * ويا فارس الهيجا ويا جبل الارض
شكرتك ان الشكر حبل من التقى * وما كل من أوليته نعمة يقضي

أقلني

أتاني عتابي وبينك من رضا * له نحو روح الله باب مفتح
ولا تلتفت قول الوشاة وزورهم * فكل اناء بالذى فيه يرشح
وقالوا سيجزيه فلان بذنبه * فقلت وقد يعفو فلان ويصفح
الا ان بطشا للمؤيد يرتمى * ولكن حلما للمؤيد يرجح
وبين ضلوعى من هواه تميمة * ستشفع لو أن الحمام مجلح
سلام عليه كيف دار به الهوى * الى فيدنو أو على فينزح
ويهنيه ان مت السلو فانني * أموت ولى شوق اليه مبرح

مانصه ولابن عمار كلمات شهيرة تعالج براهمها جراح القلوب وتعفى على هضبات الذنوب لولا ما فرغ عنه من القدر المكتوب والاجل المحسوب الى ان قال وما كان أجل بالمعتمد أن يبقى على جان من عبيده قد مكنه الله من عنقه لا يؤمل الحصول على أمره ولا يحذر تعصب قبيله ولا يزيده العفو عنه الا ترفعا وعزة وجلالة وهمة وذكرا جميلا وأجرا جزيلا ولا شئ أمحى للسيئة من الحسنة ولا أقتل للشر من الخير ورحم الله الشاعر اذ يقول

وطعنتهم بالمكرمات وباللها * فى حيث لو طعن القنا لتكسرا انتهى

وقد تذكرت هنا قول الاديب ابى عبد الله محمد بن أحمد التجانى رحمه الله تعالى ورضى عنه

أتعجب ان حطت يد الدهر فاضلا * عن الرتبة العليا فاصبح تحتها
أما هذه الاشجار تحمل أكلها * وتسقط منه كل ما طاب وانتهى

(وحكى غير واحد من مؤرخى الاندلس) ان الكاتب الشهير الوزير أبا جعفر بن عطية القضاعى لما تغير له عبد المؤمن وتذاكر مع بعض من أهل العلم أبيات ابن عمار السابقة قال ما كان المعتمد الا قاسى القلب حيث لم تعطفه هذه الابيات الى العفو ووقع لابن عطية المذكور مثل قضية ابن عمار واستعطف فما نفع ذلك وقتل رحمه الله تعالى ولنلم بذلك فنقول كان أبو جعفر هذا من أهل مراكش وأصله القديم من طرطوشة ثم بعد من دانية وهو ممن كتب عن على بن يوسف بن تاشفين أمير لمتونة وعن ابنيه تاشفين واسحق ثم استخلصه لنفسه سالب ملكهم عبد المؤمن بن على وأسند اليه وزارته فنهض باعبائها وتحبب الى الناس باجمال السعى والاحسان فعمت صنائعه وشاع معروفه وكان محمود السيرة مبخت المحاولات ناجح المساعى سعيد المآخذ ميسر المآرب وكانت وزارته زينا للوقت وكمالا للدولة وفى أيام توجهه للاندلس وجد حساده السبيل الى التدبير عليه والسعى به حتى اوغروا صدر الخليفة عبد المؤمن عليه فاستوزر عبد السلام بن محمد الكومى وابرى لمطالبة ابن عطية وجد فى التماس عوراته وتشنيع سقطاته وطرحت بمجلس السلطان أبيات منها

قل للامام أطال الله مدته * قولا تبين لذى لب حقائقه
ان الزراجين قوم قد وترتهم * وطالب الثار لم تؤمن بوائقه
وللوزير الى آرائهم ميل * لذاك ما كثرت فيهم علائقه
فبادر الحزم فى اطفاء نارهم * فربما عاق عن أمر عوائقه

وأحييت لى ذكرى وما كان خاملا * ولكن بعض الذكر أنبه من بعض

قال فانا يا أمير المؤمنين الذى أقول

لما رأينا استمسكت يداكا
كنا أناسا نرهب الملاكا
ونركب الاعجاز والاوراكا
من كل شئ ما خلا الاشراكا
فكلما قد قلت فى سواكا
زور وقد كفر هذا ذاكا
انا انتظرنا قبلها أباكا
ثم انتظرنا بعدها أخاكا
ثم انتظرناك لها اياكا
فكنت أنت للرجاء ذاكا

قال فرضى عنه ووصله وأجازه (وكان) أبو العباس اذا حضر طعامه أبسط ما يكون وجها فكان ابراهيم بن مخرمة الكندى اذا أراد أن يسأله حاجة أخرها حتى يحضر طعامه ثم يسأله فقال له يوما يا ابراهيم ما دعاك الى أن تشغلنى عن طعامى بحوائجك قال يدعونى الى ذلك التماس النجح لما أسأل قال أبو العباس انك لحقيق بالسودد لحسن هذه الفطنة (وكان) اذا تعادى رجلان من أصحابه وبطانته لم يسمع من أحدهما فى الآخر شيئا ولم يقبله وان كان القائل عدلا فى شهادته واذا اصطلح الرجلان لم يقبل شهادة واحد منهما لصاحبه ولا عليه ويقول ان الضغينة القديمة تولد العداوة المحضة وتحمل على اظهار المسالمة وتحتمل الافعى التى اذا

هم العدوّ ومن والاهم لهم * فاحذر عدوك واحذر من يصادقه
الله يعلم أنى ناصح لكم * والحق أبلج لا تخفى طرائقه

قالوا ولما وقف عبد المؤمن على هذه الابيات البليغة فى معناها وغر صدره على وزيره أبى جعفر وأسر له فى نفسه تغيرا فكان من أقوى أسباب نكبته وقيل افضى اليه بسر فافشاه وانتهى ذلك كله الى أبى جعفر وهو بالاندلس فقلق وعجل الانصراف الى مراكش فحجب عند قدومه ثم قيد الى المسجد فى اليوم بعده حاسر العمامة واستحضر الناس على طبقاتهم وقرروا على مايعلمون من أمره وماصار اليه منهم فاجاب كل بما اقتضاه هواه وأمر بسجنه ولف معه أخوه ابو عقيل عطية وتوجه فى اثر ذلك عبد المؤمن الى زيارة تربة المهدى محمد ابن تومرت فاستصحبهما بحال ثقاف وصدرت عن أبى جعفر فى هذه الحركة من لطائف الادب نظما ونثرا فى سبيل التوسل بتربة امامهم المهدى عجائب لم تجد شيأ مع نفوذ قدر الله تعالى فيه ولما انصرف من وجهته اعادهما معه قافلا الى مراكش فلما حاذى بأقرت انفذ الامر بقتلهما بالشعراء المتصلة بالحصن على مقربة من الملاحة هنالك فضيا لسبيلهما رحمهما الله تعالى ومما خاطب به الخليفة عبد المؤمن مستعطفا له من رسالة تعالى فيه فغالته المنية ولم ينل الامنية وهذه سنة الله تعالى فيمن لم يحترم جناب الالوهية ولم يحرس لسانه من الوقوع فيما يخدش فى وجه فضل الانبياء على غيرهم وعصمتهم قوله سامحه الله تالله لو أحاطت بى كل خطيئة ولم تنفك نفسى عن الخيرات بطيئة حتى سخرت بمن فى الوجود وأنفت لآدم من السجود وقلت ان الله تعالى لم يوح فى الفلك لنوح وبريت لقدار ثمود نبلا وأبرمت لحطب نار الخليل حبلا وحططت عن يونس شجرة اليقطين وأوقدت مع هامان على الطين وقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وافتريت على العذراء البتول فقذفتها وكتبت صحيفة القطيعة بدار الندوه وظاهرت الاحزاب بالقصوى من العدوه وذممت كل قرشى وأكرمت لاجل وحشى كل حبشى وقلت ان بيعة السقيفه لا توجب امامة الخليفة وشحذت شفرة غلام المغيرة بن شعبه واعتلقت من حصار الدار وقتل أشمطها بشعبه وقلت تقاتلوا رغبة فى الابيض والاصفر وسفكوا الدماء على الثريد الاعفر وغادرت الوجه من الهامة خضيبا وناولت من قرع سن الحسين قضيبا ثم أتيت حضرة المعلوم لائذا وبقبر الامام المهدى عائذا لقد آن لمقالتى أن تسمع وتغفر لى هذه الخطيئات اجمع مع أنى مقترف وبالذنب معترف

فعفوا أمير المؤمنين فمن لنا * بردقلوب هدها الخفقان

وكتب مع ابن له صغير آخره

عطفا علينا أمير المؤمنين فقد * بان العزاء لفرط البث والحزن
قد أغرقتنا ذنوب كلها لجج * وعطفة منكم أنجى من السفن
وصادفتنا سهام كلها غرض * ورحمة منكم أوقى من الجنن
هيهات للخطب أن تسطو حوادثه * بمن أجارته رحماكم من المحن
من جاء عندكم يسعى على ثقة * بنصره لم يخف بطشا من الزمن

أول أيامه يظهر لندمائه ثم احتجب عنهم وذلك لسنة خلت من ملكه لا تمكنت لم تبق (وكان) فى قدذكرناه فيما سلف من هذا الكتاب فى سيرة أردشير بن بابك وأيامه (وكان) يطرب من وراء الستر ويصيح بالمطرب له من المغنين أحسنت والله فاعد هذا الصوت (وكان) لا ينصرف عنه أحد من ندمائه ولا مطربيه الا بصلة من مال أو كسوة ويقول لا يكون سرورنا معجلا ومكافأة من سرنا وأطربنا مؤجلا وقد سبقه الى هذا الفعل ملك من الملوك التى للفرس وهو بهرام جور (وحضره) أبو بكر الهذلى ذات يوم والسفاح مقبل عليه يحادثه بحديث لانوشروان فى بعض حروبه بالمشرق مع بعض ملوك الامم فعصفت الريح فأذرت ترابا وقطعا من الآجر من أعلى السطح الى المجلس فجزع من حضر المجلس لوقوع ذلك وارتاع له والهذلى شاخص نحو أبى العباس لم يتغير كما تغير غيره فقال له أبو العباس لله أنت يا أبا بكر لم أر كاليوم أما راعك ماراعنا ولا أحسست بما ورد علينا فقال يا أمير المؤمنين ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وانما للرجل قلب واحد فلما غمره السرور بفائدة أمير المؤمنين لم يكن فيه لحادث مجال والله عز وجل اذا فالثوب

فالثوب يطهر عند الغسل من درن * والطرف ينهض بعد الركض في سنن
أنتم بذلتم حياة الخلق كلهم * من دون من عليهم لا ولا ثمن
ونحن من بعض من أحيت مكارمكم * كلتا الحياتين من نفس ومن بدن
وصبية كفراخ الورق من صغر * لم يألفوا النوح في فرع ولا فنن
قد أوجدتهم أياد منك سابقة * والكل لولاك لم يوجد ولم يكن

فوقع عبد المؤمن على هذه القصيدة آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين وبما كتب به من السجن

أنوح على نفسي أم انتظر الصفا * فقد آن أن تنسى الذنوب وأن تمحى
فها أنا في ليل من السخط حائر * ولا أهتدي حتى أرى للرضا صبحا

وامتحن عبد المؤمن الشعراء بهجو ابن عطية فلما أسمعوه ما قالوا أعرض عنهم وقال ذهب ابن عطية وذهب الادب معه وكان لابي جعفر أخ اسمه عطية قتل معه ولعطية هذا ابن أديب كاتب وهو أبو طالب عقيل بن عطية ومن نظامه في رجل تعشق قينة كانت ورثت من مولاها مالا فكانت تنفق عليه منه فلما فرغ المال ملها

لا تلمه أن مل من حبها * فلم يكن ذلك من ود
لما رآها قد صفا مالها * قال صفا الوجه مع الوجد

وكان أبو جعفر بن عطية من أبلغ أهل زمانه وقد حكي انه مر مع الخليفة عبد المؤمن ببعض طرق مراكش فأطلت من شباك جارية بارعة الجمال فقال عبد المؤمن

قدت فؤادي من الشباك اذ نظرت

فقال الوزير ابن عطية مجيزا له *حوراء ترنو الى العشاق بالمقل*

فقال عبد المؤمن *كأنما لحظها في طلب عاشقها*

فقال ابن عطية *سيف المؤيد عبد المؤمن بن علي*

ولا خفاء أن هذه طبقة عالية

(ومن فصول رسالته) التي كتب بها عن أبي حفص وهي التي أورثته الرتبة العلية السنيه والوزارة الموحدية المؤمنيه قوله كتابنا هذا من وادي ماسه بعد ما تجدد من أمر الله الكريم ونصر الله تعالى المعهود المعلوم وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم فتح بهر الانوار اشراقا وأحدق بنفوس المؤمنين احداقا ونبه للاماني النائمة جفونا وأحداقا واستغرق غاية الشكر استغراقا فلا تطيق الالسن لكنهه وصفه ادراكا ولا لحاقا جمع أشتات الطلب والارب وتقلب في النعم أكرم منقلب وملأ دلاء الامل الى عقد الكرب

فتح تفتح أبواب السماء له * وتبرز الارض في أثوابها القشب

وتقدمت بشارته جمله حين لم تعط الحال بشرحه مهله كان أولئك الضالون قد بطروا عدوانا وظلما واقتطعوا الكفر معنى واسما وأملى لهم الله تعالى ليزدادوا اثما وكان مقدمهم الشقي قد استمال النفوس بخزعبلاته واستهوى القلوب بهولاته ونصب له الشيطان من حبالاته فأتته المخاطبات من بعد وكثب ونسلت اليه الرسل من كل حدب

انفرد بكرامة أحد وأحب أن يبقى له ذكرها جعل تلك الكرامة على لسان نبي أو خليفة وهذه امة خصصت بها والي الهادي وشغل بها فكري فلو انقلبت الخضراء على الغبراء ما أحسست بها ولا وجدت لها الا ما يلزمني في نفسي لامير المؤمنين أعزه الله تعالى فقال له السفاح لئن بقيت لك لأرفعن منك وضعا لا تطيف به السباع ولا ينحط عليه العقاب وقد قدمنا فيما أسلف من هذا الكتاب وصية عبد الملك للشعبي في فضل الانصات للملوك وقد حكي عن عبد الله ابن عباس المتوفى انه قال لم تتقرب العامة الى الملوك بمثل الطاعة ولا العبيد بمثل الخدمة ولا البطانة بمثل حسن الاستماع (وقد حكي) عن روح بن زنباع الخزاعي أنه كان يقول اذا أردت أن يمكنك الملك من اذنه فأمكن اذنك من الاصغاء الى حديثه ولا يتعقب الرجل عندي اذا كان يصغي الى حديثي ولا يقدح ما قيل فيه في قلبي لما تقدم له من حسن الاستماع عندي (وقد حكي) عن معاوية انه كان يقول يغلب الملك حتى يركب لشيئين بالحلم عند سورته والاصغاء الى حديثه (ووجدت) في سير الملوك من الاعاجم ان شيرويه بن ابرويز بيناهو في متنزهاته بارض العراق وكان لا يسايره

واعتقدته الخواطر أعجب عجب وكان الذى قادهم الى ذلك وأوردهم تلك المهالك وصول من كان بتلك السواحل ممن ارتسم برسم الانقطاع عن الناس فيما سلف من الاعوام واشتغل على زعمه بالقيام والصيام آناء الليالى والايام لبسوا الناموس أثوابا وتدرعوا الرياء جلبابا فلم يفتح الله تعالى لهم للتوفيق بابا *(ومنها) فى ذكر صاحبهم المسمى المدعى للهداية فصرع بحمد الله تعالى لحينه وبادرت اليه بوادر منونه وأتته وافدات الخطيآت عن يساره ويمينه وقد كان يدعى أنه بشر بأن المنية فى هذه الاعوام لا تصيبه والنوائب لا تنوبه ويقول فى سواه قولا كثيرا ويختلق على الله تعالى افكا وزورا فلما رأوا هيئة اضطجاعه وما خطته الاسنة فى أعضائه وأضلاعه ونفذ فيه من أمر الله تعالى مالم يقدروا على استرجاعه هزم من كان لهم من الاحزاب وتساقطوا على وجوههم تساقط الذباب وأعطوا عن بكرة أبيهم صفحات الرقاب ولم تقطر كلومهم الا على الاعقاب فامتلأت تلك الجهات بأجسادهم وآذنت الآجال بانقراض آمادهم وأخذهم الله تعالى بكفرهم وفسادهم فلم يعاين منهم الا من خر صريعا وسقى الارض نجيعا ولقى من أمر المنديات فظيعا ودعت الضرورة باقيهم الى الترامى فى الوادى ممن كان يؤمل الفرار ويرتجيه وسبح طامعا فى الخروج الى ما ينجيه اختطفته الاسنة اختطافا وأذاقته موتا ذعافا ومن لج فى الترامى على لججه ورام البقاء فى ثبجه قضى عليه شرقه وألوى بذقنه غرقه ودخل الموحدون الى البقية الكائنة فيه يتناولون قتالهم طعنا وضربا ويلقونهم بأمر الله تعالى هولا عظيما وكربا حتى انبسطت مراقة الدماء على صفحات الماء وحكت حمرتها على زرقته حمرة الشفق على زرقة السماء وجرت العبرة للمعتبر فى جرى ذلك الدم جرى الابحر (وبالجملة) فالرجل كان نسيج وحده رحمه الله تعالى وسامحه وقصة لسان الدين تشبه قصته وكلاهما مذاق من الذل بعد العز غصته وبدل الدهر نصيبه من الوزارة وحصته بعد أن اقتعد ذروة الامر ومنصته رحم الله تعالى الجميع انه مجيب سميع

(الباب الثالث)

فى ذكر مشايخه الجله هداة الناس ونجوم الملة وما يتعلق بذلك من الاخبار الشافية من العله والمواعظ المنجية من الاهواء المضله والمناسبات الواضحة البراهين والادله أقول لا خفاء ان الشيخ لسان الدين رحمه الله تعالى أخذ عن جماعة من أهل العدوة والاندلس عدة فنون وحدث عنهم بما يصدق الاقوال ويحقق الظنون فمن أشياخه رحمه الله تعالى الفقيه الجليل الشريف النبيه الشهير رئيس العلوم اللسانية بالاندلس قاضى الجماعة أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الحسنى السبتى رحمه الله تعالى كان هذا الشريف آية الله الباهرة فى العربية والبيان والادب ويكفيه فضلا انه شرح الخزرجية وافترع هضاب مشكلاتها بفهمه من غير ان يسبقه احد الى استخراج كنوزها وايضاح رموزها وشرح مقصورة أديب المغرب الامام أبى الحسن حازم بن محمد القرطاجنى الاندلسى التى مدح بها أمير المؤمنين المستنصر بالله أبا عبد الله محمدا الحفصى وسمى هذا الشرح بفتح الحجب

وأهل المراتب العالية خلف ظهره على مراتبهم فان التفت يمينا دنا منه أحد من الناس مبتدئا صاحب الجيش وان التفت شمالا دنا منه الموبذان فأمره باحضار من أراد مسايرته فالتفت فى مسيره هذا يمينا فدنا منه صاحب الجيش فقال أين شداد بن جرثة فاحضر فسايره فقال له شيرويه أذكرت فى حديث حدثنا به اردشير ابن بابك حين واقع ملك الخزر تخبرنى به ان كنت تحفظه وكان شداد قد سمع هذا الحديث من أنوشروان وعرف المكيدة وكيف كان أردشير أوقع بملك الخزر فاستعجم عليه شداد وأوهمه أنه لا يعرفه فحدثه شيرويه بالحديث فاصغى اليه الرجل بجوارحه كلها وكان مسيره على شاطئ نهر فترك الرجل لاقباله على شيرويه النظر الى موطئ حافر دابته فزلت إحدى قوائم الدابة فمالت بالرجل الى اليمين ووقع فى الماء ونفرت الدابة فابتدرها حاشية الملك وغلمانه فامالوها عن الرجل وجذبوه فحملوه على أيديهم حتى أخرجوه فاغتم لذلك ونزل عن دابته وبسط له هنالك حتى تغدى فى موضعه ودعا بثياب من خاص كسوته فالقيت على شداد وأكل معه وقال له غفلت عن النظر الى موضع حافر دابتك فقال ايها الملك ان الله اذا

المستوره

أنعم على عبد نعمة قابلها بمحنة وعارضها ببلية وعلى قدر النعم تكون المحن وان

المستوره عن محاسن المقصوره وهذا الشرح في مجلدين كبيرين وفيه من الفوائد مالامزيد عليه رأيته بالمغرب واستفدت منه كثيرا ومن فوائد الشريف المذكور انه قال فيما جاء من الحديث في صفة وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل بهما وأدبر ان أحسن الوجوه في تأويله أن يكون قدم الاقبال تفاؤلا ثم فسر بعد ذلك على معنى أدبر وأقبل قال والعرب تقدم في كلامها ألفاظا على ألفاظ أخر وتلتزمه في بعض المواضع كقولهم قام وقعد ولا تقول قعد وقام وكذلك أكل وشرب ودخل وخرج وعلى هذا النمط كلام العرب فتكون هذه المسئلة من هذا قال ويؤيد ما قلناه وهو موضع النكتة تفسيره لاقبل وأدبر في باقي الحديث على معنى أدبر ثم أقبل ولو كان اللفظ على ظاهره لم يحتج الى تفسير انتهى وحدث رحمه الله تعالى عن جده لامه قال كنت بالمشرق فدخلت على بعض القرائين فألفيت الطلبة يعربون عليه قول امرئ القيس

٣ كأن أبانا في أفانين ودقه * كبير أناس في بجاد مزمل

فأنشدو لا أدري هل هي له اولغيره

اذا ما الليالي جاورتك بساقط * وقدرك مرفوع فعنه ترحل

ألم تر ما لاقاه في جنب جاره * كبير اناس في بجاد مزمل

وكان بعض الناس ينشد في هذا المقصد قول الآخر

عليك بأرباب الصدور فمن غدا * مضافا لارباب الصدور تصدرا

واياك أن ترضى بصحبة ساقط * فتنحط قدرا من علاك وتحقرا

فرفع أبو من ثم خفض مزمل * يبين قولي مغريا ومحذرا

وهذا معنى قول الشاعر

اذا كنت في قوم فصاحب خيارهم * ولا تصحب الاردى فتردى مع الردى انتهى

وما أحسن قول أبي بحر صفوان بن ادريس المرسي رحمه الله تعالى

انا الى الله من أناس * قد خلعوا لبسة الوقار

جاورتهم فانخفضت هونا * يارب خفض على الجوار

ومن نظم الشريف رحمه الله تعالى

وأحور زان خديه عذار * سبى الالباب منظره العجاب

أقول لهم وقد عابوا غرامي * به اذلاح للدمع انسكاب

ابعد كتاب عارضه يرجى * خلاص لي وقد سبق الكتاب

ومن الغريب في توارد الخواطر ما وجد بخط الاديب البارع المحدث الكاتب أبي عبد الله محمد ابن الشيخ الكبير أبي القاسم بن جزي الكلبي رحمهما الله تعالى وسيأتيان ما معناه قلت هذه القطعة

ومعسول اللمى عادت عذابا * على ذلي ثناياه العذاب

وقد كتب العذار بوجنتيه * كتابا خط قارئه اكتئاب

الله أنعم على بنعمتين عظيمتين هما اقبال الملك على بوجهه من بين هذا السواد الاعظم وهذه الفائدة وهي تدبير هذه الحرب حتى حدث بها عن أردشير حتى اني لو دخلت الى حيث تطلع الشمس أو تغرب لكنت رابحا فلما اجتمعت نعمتان جليلتان في وقت واحد قابلتهما هذه المحنة ولولا أساورة هذا الملك وعين جده لكنت معرض هلكة وعلى ذلك فلو غرقت حتى ذهبت عن جديد الارض لكان قد أبقى لي الملك ذكرا مخلدا ما بقي الضياء والظلام فسر الملك بذلك وقال ما ظننتك بهذا المقدار الذي أنت فيه فحشا فاه جوهرا ودرا رائقا ثمينا واستبطنه حتى غلب على أكثر أمره (وانما ذكرنا) هذا الخبر من أخبار من سلف من ملوك الفرس ليعلم ان أبا بكر الهذلي لم يبتدئ بحال لم يسبقه اليها غيره ويتقدمه بها سواه وأحسن المواقع من الملوك الاستماع منها والاخذ عنها وقد كانت حكماء اليونانيين تقول ان الواجب على من أقبل عليه ملك أوذو رياسة بحديث أن يصرف كله الى ذلك وان كان يعرف الحديث الذي يسمعه من الملك كانه لم يسمعه قط ويظهر السرور من الملك والاستبشار بحديثه وان في ذلك

٣ قوله كأن أبانا الخ المعروف في كتب الادب * كأن ثبيرا في عرانين وبله * الخ

وقالوا الوسلوت فقلت خيرا * وأنى لى وقد سبق الكتاب

ثم عرضتها على شيخنا القاضى أبى القاسم الشريف بعد نظمها بمدة يسيرة فقال لى قد نظمت هذا المعنى بالعروض والقافية فى هذه الايام اليسيرة وأنشدنى * وأحوز زان خديه عذار الابيات السابقة وهذا يقع كثيرا ومنه ماوقع لابن الرقام حيث قال من شعر عمى قوله

جل فى البلاد تنل عزا وتكرمة * فى أى أرض فكن تبلغ مناكبها
جل الفوائد بالاسفار مكتسب * والله قد قال فامشوا فى مناكبها

فقال له الفقيه ابن حذلم مثل هذا وقع لابى حيان اذ قال

يانفس مالك تهوين الاقامة فى * أرض تعذر كل من مناك بها
أما تلوت وعجز المرء منقصة * فى محكم الوحى فامشوا فى مناكبها

فحصل العجب من هذا الاتفاق الغريب ونقلت ممن نقل من خط الفقيه محمد بن على ب الصباغ العقيلى ماصورته كان الشريف الغرناطى رحمه الله تعالى آية زمانه وأزه البيان طوع بنانه له شرح المقصورة القرطاجنية أغرب ما تحلى به الآذان وأبد ماينشرح له الجنان الى العقل الذى لايدرك والفضل الذى حمد منه المسلك حدثني بنادرة جرت بينه وبين مولاى الوالد من أثق به من طلبة الاندلس وأعلامها قال دخل والدا يوما لاداء الشهادة عنده فوجد بين يديه جماعة من الغزاة يؤدون شهادة فسمع القاضى منه وقال لهم هل ثم من يعرفكم فقالوا نعم يعرفنا على الصباغ فقال القاضى أتعرفهم يا أبا الحسن فقال له نعم ياسيدى معرفة محمد بن يزيد فما أنكر عليه شيأ بل قال لهم عرف الفقيه أبو الحسن ما عنده فانظروا من يعرف معه رسم حالكم فانصرفوا راضين ولم يرتهن والدى فى شئ من حالهم ولا كشف القاضى لهم ستر القضية قال محمد بن على بن الصباغ أما قول والدى معرفة محمد بن يزيد فاشارة الى قول الشاعر

اسائل عن ثمالة كل حى * فكلهم يقول وما ثماله
فقلت محمد بن يزيد منهم * فقالوا الآن زدت بهم جهاله

فتفطن القاضى رحمه الله تعالى لجودة ذكائه الى انه لم يرتهن فى شئ من معرفتهم ممتنعا من اظهار ذلك بلفظه الصريح فكنى واكتفى بذكاء القاضى الصحيح رحمهما الله تعالى انتهى ومن فوائد الشريف ماحكاه عنه تلميذه الامام النظار أبو اسحق الشاطبي رحمه الله تعالى ونصه قال لى الشيخ القاضى الكبير الشهير أبو القاسم الحسنى يوما وقد جرى ذكر حتى التى للابتداء وأن معناها التى يقع بعدها الكلام سواء كان ذلك متعلقا بما قبلها لم يتم دونه أولا بل لايكون الامر الا كذلك قال وقد حدثني بعض الاصحاب أنه سمع رجلا يصلى أشفاع رمضان فقرأ من سورة الكهف الى قوله تعالى ثم اتبع سببا فوقف هنالك وركع وسجد قال فظننت أنه نسى مابعد ثم ركع وسجد حتى يتذكر بعد ذلك ويعيد أول الكلام فلما قام من السجود ابتدأ القراءة بقوله حتى اذا بلغ فلما أتم الصلاة قلت له فى ذلك فقال أليست حتى الابتدائية قال القاضى الشريف المذكور فيجب أن يفهم أن الاصطلاح فى حتى وفى غيرها من حروف الابتداء ماذكر انتهى وقال الشاطبي أنشدنى أبو محمد بن حذلم لنفسه

أمرين أحدهما ما ظهر من حسن أدبه فانه يعطى الملك حقه بحسن الاستماع لحديثه والاستغراب له كانه لم يسمعه واظهار السرور والاستفادة منه فالنفس الى الفوائد من الملوك والحديث عنهم أشهى وأقرب منها الى فوائد السوقة وما أشبهها (وقد ذكر) جماعة من الاخباريين كابن داب وغيره نحو هذا المعنى عن معاوية بن ابى سفيان ويزيد بن سخبرة الرهاوى وهو أن ابن سخبرة كان يساير ذات يوم معاوية وكان آنسا به والى حديثه تائقا ومعاوية مقبل عليه يحدثه عن (جرعان) يوم كان لبنى مخزوم وغيرهم من قريش كان فيه حرب عظيمة فنى فيها خلق من الناس وذلك قبل الاسلام وقيل ان ذلك كان قبل الهجرة وكان لابى سفيان فيها مكرمة وسابقة فى الرياسة وهو أنه لما أشرف الفريقان على الفناء علا على نشز من الارض ثم صاح بالفريقين وأشار بكمه وانصرف الفريقان جميعا انقيادا الى أمره وكان معاوية معجبا بهذا الحديث فبينما هو يحدثه به ويزيد بن سخبرة مقبل عليه وقد استخفتهما لذة المحدث والمستمع اذ صك جبين يزيد بن سخبرة حجر عائر فأدماه فجعلت الدماء تسيل على وجهه ولحيته وثوبه وغير ذلك ولم يتغير عما كان عليه

شأن

شأن المحبين في أشجانهم عجب * وحالتي بينهم في الحب أعجبها
قد كنت أبعث من ريح الصبا رسلا * تأتي فتطفئ أشواقي فتذهبها
والآن أرسل دمعي إثر هاديها * فتلتظي نار وجدي حين أسكبها
فاعجب لنار اشتياق في الحشا وقفت * الريح يذهبها والماء يلهبها

ثم قال الشاطبي ما نصه أخذ هذا المعنى فتممه من قطعة أنشدناها شيخنا القاضي أبو القاسم الشريف رحمة الله تعالى عليه أذكر الآن آخر بيت منها وهو

يا من رأى النار ان تطفأ بخالفة * فبالرياح وان توقد فبالماء انتهى

وأخذ عن الشريف المذكور رحمه الله تعالى جماعة غير لسان الدين من أشهرهم العلامة النظار أبو اسحق الشاطبي والوزير الكاتب أبو عبد الله بن زمرك قال حفيد السلطان الغني بالله ابن الأحمر رحمه الله تعالى في حق ابن زمرك انه كان يتردد الأعوام العديدة الى قاضي الجماعة أبي القاسم الشريف فاحسن الاصغاء وبذ الأئمة البلغاء بما أوجب أن رثاه عند الوقوف على قبره بالقصيدة الفريدة التي أولها * أغرى سراة الحي بالاطراق * وقال في موضع آخر ومما بذ به حتى ابن زمرك سبقا وتبريزا وعرضه على نقدة البيان فرأيت منه كل مذهبة خلصت ابريزا مرثيته للقاضي المعظم الشريف أبي القاسم الحسني من شيوخه وهي

أغرى سراة الحي بالاطراق * نبأ أصم مسامع الآفاق
أمسى به ليل الحوادث داجيا * والصبح أصبح كاسف الاشراق
جمع الجميع بواحد جمعت له * شتى العلا ومكارم الاخلاق
هبوا لحكم الرصين فانه * صرف القضاء فماله من واقي
نفس الزمان بصرفه في صفحه * كل اجتماع مؤذن بفراق
ماذا ترجى من زمانك بعدما * علق الفناء بأنفس الأعلاق
من يحسد السبع الطباق علاءه * عالوا عليه من الثرى بطباق
ان المنايا للبرايا غاية * سبق الكرام لخصلها بسباق
لما حسبنا أن تحول أبؤسا * كشفت عوان حروبها عن ساق
ما كان الا البدر طال سراره * حتى رمته يد الردى بمحاق
أنف المقام مع الفناء نزاهة * فنوى الرحيل الى مقام باقي
عدم الموافق في مرافقة الدنا * فمضى الركاب الى الرفيق الباقي
أسفا على ذاك الجلال تقلصت * أفياؤه وعهدن خير رواق
يا آمري بالصبر عيل تصبري * دعني عدتك لواعج الاشواق
وذر اليراع تشي بدمع مدادها * وشي القريض بروق في الاوراق
واحسرتا للعلم اقفر ربعه * والعدل جرد أجمل الاطواق
وكدت رياح المعلوات لفقدها * كسدت به الآداب بعد نفاق
كم من غوامض قد صدعت بفهمها * خفيت مداركها على الحذاق
كم قاعد في البيد بعد قعوده * قعدت به الآمال دون لحاق

يسيل على ثوبك فقال أعتق ما أملك ان لم يكن حديث أمير المؤمنين ألهاني حتى غمر فكري وغطى على قلبي فما شعرت بشيء مما حدث حتى نبهني عليه أمير المؤمنين فقال معاوية لقد ظلمك من جعلك في ألف من العطاء وأخرجك من عطاء أبناء المهاجرين والجماهير عن حضر معنا بصفين ثم أمر له وهو في مسيره بخمسمائة ألف درهم وزاده في عطائه ألفا من الدراهم وجعله بين جلده وثوبه (وقد قال) بعض أهل المعرفة والادب من مصنفي الكتب في هذا المعنى وغيره فيما حكيناه عن معاوية وابن سمرة لئن كان ابن سمرة خدع معاوية في هذا ومعاوية ممن لا يخادع فما مثله الا كما قال الاول من يملك العبريك نياكا وان كان بلغ من بلادة ابن سمرة وقلة حسه ما وصف به نفسه فما كان جديرا بخمسمائة ألف صلة وزيادة ألف في عطائه وما أظن ذلك خفي عن معاوية (قال المسعودي) وقد قالت الحكماء في هذا وأكثرت وأمرت بحسن الاستماع

 واطنبت فقالوا الاتحسن المحادثة الابحسن الفهم وقالوا تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام

لمن الركائب بعد بعدك تنتضى * مابين شام ترتمى وعراق
تفلى الفلاء عناسم مفلولة * تسم الحصى بنجيعها الرقراق
كانت اذا اشتكت الوجى وتوقفت * يهفو نسيم ثنائك الخفاق
فاذا تنسمت الثناء أمامها * مدت لها الأعناق فى الاعناق
يامزجى البدن القلاص خوافقا * رفقابها فالسعى فى اخفاق
مات الذى ورث العلاء عن معشر * ورثوا تراث المجد باستحقاق
رفعت لهم رايات كل جلالة * فتميزوا فى حلبة السباق
علم الهداة وقطب أعلام النهى * سرم العفاة المجتنى الارزاق
رقت سجاياه وراقت مجتلى * كالشمس فى بعد وفى اشراق
كالزهر فى لألائه والبدر فى * عليائه والزهر فى الابراق
مهما مدحت سواه قيد وصفه * وصفاته جمد على الاطلاق
ياوارثا نسب النبوة جامعا * فى العلم والأخلاق والأعراق
يابن الرسول وانها لوسيلة * يرقى بها اوج المصاعد راق
ورد الكتاب بفضلكم وكمالكم * وكفى ثناء الواحد الخلاق
مولاى انى فى علاك مقصر * قد ضاق عن حصر النجوم نطاق
ومن الذى يحصى مناقب مجدكم * عد الحصى والرمل غير مطاق
يهنى قبورا زرتها فلقد ثوت * منا مصون جوانح وحداق
خط الردى منها سطورا نصها * لابد أنك للفناء ملاق
ولحقت ترجمة الكتاب وصدره * وفوائد المكتوب فى الالحاق
كم من سراة فى القبور كأنهم * فى بطنها در ثوى بحقاق
قل للسحاب اسحب ذيولك نحوه * والعب بصارم برقك الخفاق
أودى الذى غيث العباد بكفه * يزرى بوا كف غيثك الغيداق
ان كان صوبك بالمياه فدرها * در يروض ماحل الاملاق
بشر كثير قد نعوا المانعى * قاضى القضاة وغاب فى الاطباق
ألبستهم ثوب الكرامة ضافيا * وأرحت من كد ومن ارهاق
يتفيؤن ظلال جاهك كلما * لفحت سموم الخطب بالاحراق
عدموا المرافق فى فراقك وانطوى * عنهم بساط الرفق والارفاق
رفعوا سريرك خافضين رؤسهم * مامنهم الاحليف سياق
لكن مصيرك للنعيم مخلدا * كان الذى أبقى على الارماق
ومن العجائب أن يرى بحر الندى * طود الهدى يسرى على الاعناق
ان يحملوك على الكواهل طالما * قد كنت محمولا على الأحداق
أو يرفعوك على العواتق طالما * رفعت ظهر منابر وعتاق
ولئن رحلت الى الجنان فاننا * نصلى بنار الوجد والاشواق

وحسن الاستماع هو امهال المحدث حتى ينقضي حديثه (ومن أدب الحديث) وواجباته أن لا يقتضب اقتضابا ولا يهجم عليه وأن يتوصل الى اجرائه بما يشاكله ويستنسب له مايحسن أن يجرى فى غرضه حتى يكون بعض المفاوضة متعلقا ببعض على حسب ماقالوا فى المثل ان الحديث ذو شجون يريدون بذلك تشعبه وتفرعه عن أصل واحد الى وجوه من المعانى كثيرة اذ كان العيش كله فى الجليس الممتع وقال رجل والله ماأمل الحديث فقال السامع انما يمل العتيق لا الحديث وقد أكثرت الشعراء من الاغراق فى هذا المعنى ومن ذلك قول العباس ابن على الرومى

وسئمت كل مآربى
فكأن أطيبها خبيث
الا الحديث فانه
مثل اسمه أبدا حديث

وأحسن ماقيل فى هذا المعنى قول ابراهيم بن العباس

ان الزمان ومابه ينعفرقى
صرف الغواية فانصرفت كريما
وضجرت الامن لقاء محدث
حسن الحديث يزيدنى تعليما

وقد ذكر بعض المحدثين من أهل الادب ان من الادب عدم اطالة الحديث من النديم وان أحلى الحديث وأحسنه موقعا

لو

لو كنت تشهد حزن من خلفته * لثنى عنانك كثرة الاشفاق
ان جن ليل جن من فرط الاسى * وسوى كلامك ماله من راقي
فابعث خيالك في الكرى يبعث به * ميت السرور لثاكل مشتاق
اغلبت يارزء التصبر مثلما * ارخصت در الدمع في الآماق
ان يخلف الارض الغمام فانني * أسقي الضريح بدمعي المهراق

وكانت وفاة الشريف المذكور سنة احدى وستين وسبعمائة قال ابن الخطيب القسمطيني في وفياته وفي هذه السنة يعني سنة ٧٦١ توفي شيخنا قاضي الجماعة بغرناطة حرسها الله تعالى أبو القاسم محمد بن أحمد الشريف الحسني وكتب لي بالاجازة العامة بعد التمتع بمجلسه وله شعر مدون سماه جهد المقل وله الشرح على الخزرجية في العروض وأقدم عليها بعد أن عجز الناس عن فكها وكان اماما في الحديث والفقه والنحو وهو على الجملة ممن يحصل الفخر بلقائه ولم يكن أحد بعده مثله بالاندلس انتهى * وقال في الاحاطة ان مولد الشريف كان سنة سبع وتسعين وستمائة وأن وفاته سنة ستين وسبعمائة وفي وفاته مخالفة لما تقدم والله أعلم وما أحسن قول الشريف أبي القاسم المترجم به

حدائق انبتت فيها الغوادي * ضروب النور رائقة البهاء
فمايبدو بها النعمان الا * نسيباً الى ماء السماء

وكان للشريف أبي القاسم المذكور ابنان نجيبان أحدهما قاضي الجماعة أبو المعالي والآخر أبو العباس أحمد قال الراعي في كتابه الفتح المنير في بعض مايحتاج اليه الفقير مانصه حكاية تتعلق بالانقطاع نسأل الله تعالى العافية * وقع للسيد الشريف قاضي الجماعة بغرناطة أبي المعالي ابن السيد الشريف أبي القاسم الحسني شارح الخزرجية ومقصورة حازم نفع الله تعالى بسلفهم الكريم وكانت أم السيد أبي المعالي حسينية فكان شريفا من الجهتين أنه كان قد ترك كبار الوظائف والرياسات وتجرد للعبادة ولبس المرقعة وسلك طريق القوم وكان من الدين والعلم والتعظيم في قلوب أهل الدنيا وأهل الآخرة على جانب عظيم يشار اليه بالاصابع وكان أخوه شيخي واستاذي أبو العباس أحمد قاضيا بشرقي الاندلس فكان أخوه أبو المعالي المذكور لايأكل في بيت شقيقه شيأ لاجل ذلك ولعيشه من خدم السلطان وكان اذا احتاج الى الطعام وهو في بيت أخيه أعطاني درهما من عنده أشتري له به مايأكل وأقام على هذه الحالة الحسنة سنين كثيرة ثم انه دخل يوما على الفقراء بزاوية المحروق من ظاهر غرناطة وكان شيخ الفقراء بها في ذلك الوقت الشيخ أبا جعفر أحمد المجدود فقال لهم ياسادتي انه كان معي قنديل أستضيء به ففقدته في هذه الايام ومابقيت ابصر شيأ فقال له شيخهم المذكور ياشريف أول رجل يدخل علينا في هذا المجلس يجيبك عن مسئلتك فدخل عليهم رجل من خيارهم من أهل البادية فسلم وجلس فقال له الشيخ ان الشريف يسأل الجماعة فقلت له أول رجل يدخل علينا يجيبك فوفقت أنت فأجبه عن مسئلته فقال له ماسؤالك ياشريف فقال انه كان لي قنديل أستضيء به ففقدته ومابقيت ابصر شيأ فقال له الفقير هذا لايصدر الا عن سوء أدب أخبرنا بما وقع منك فقال له الشريف ما أعلم أنه وقع مني شئ غير أن المباشر فلانا طلبه السلطان

ينقضي باقتصاصها زمان المجالس وتتعلق بها النفوس وتحتسى على أواخرها الكؤس وأن ذلك بمجالس القصاص أشبه منه بمجالس الخواص (وقد ذكر) هذا المعنى فاجاد فيه عبد الله بن المعتز بالله ووصف ذلك بين أصحاب الشراب على المعاقرة فقال بين أقداحهم حديث قصير هو سحر وما عداه كلام وكأن السقاة بين الندامى ألفات بين السطور قيام وهذه طريقة من ذهب في هذا المعنى الى استماع الملح وكان أول من وقع عليه اسم الوزارة في دولة بني العباس أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال الهمداني مولى لسبيع وكان في نفس أبي العباس منه شئ لانه كان حاول في رد الامر عنهم الى غيرهم فكتب أبو مسلم الى السفاح يشير عليه بقتله ويقول له قد أحل الله لك دمه لانه قد نكث وغير وبدل فقال السفاح ما كنت لافتتح دولتي بقتل رجل من شيعتي لاسيما مثل أبي سلمة وهو صاحب هذه الدعوة وقد عرض نفسه وبذل مهجته وأنفق ماله وناصح امامه وجاهد عدوه وكلمه أبو جعدة أخوه وداود بن علي عمه في ذلك وقد كان أبو مسلم كتب اليهما يسألهما أن يشيرا على

أن تجتنب منه الاحاديث الطوال دون المعاني المتغلغلة الا الفاظ الحشوية السنى

للصادرة فاستخفى منه فررت ببابه يوما فنادانى من شقة الباب ياسيدى اجعل خاطرك معى الله تعالى فقلت له اذكر الذكر الفلانى قلت وانا اظن انه أمره بذكر اسمه تعالى اللطيف فانه سريع الاجابة فى تفريج الشدائد والكرب نص عليه البونى فى منتخبه وهو مجرب فى ذلك وقد رواه لى عن بعض مشايخه السيد الشريف احمد أخوه فقال له الفقير هل كان اذن لك فى تلقينه قال لا قال له الفقير لا يعود اليك نورك أبدا لانك قد أسأت الادب فكان كما قال فانقطع وولى بعده قضاء الجماعة وعزل عن سخط وخدم الملوك وأكل طعامهم وحالته أولا وآخرا معروفة بغرناطة نسأل الله تعالى أن لا يجعلنا من المطرودين عن باب رحمته بمنه وكرمه انتهى كلام الراعى رحمه الله تعالى (رجع الى مشايخ لسان الدين) رحمه الله تعالى ورضى عنه وسامحه فنقول ومن مشايخ لسان الدين الامام الرحال شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن جابر الوادى آشى ولد بتونس وهو محمد ابن الامام المحدث معين الدين جابر بن محمد بن قاسم بن احمد القيسى شيخ ممتع نبيل رحال متقن قال الخطيب ابن مرزوق وعاشرته كثيرا سفرا وحضرا وسمعت بقراءته وسمع بقراءتى وقرأت عليه الكثير وقيدت من فوائده وأنشدنى الكثير فاول ما قرأت عليه بالقاهرة وقرأت عليه بمدينة فاس وبظاهر قسنطينة وبمدينة بجاية وبظاهر المهدية وبمنزلى من تلمسان وقرأت عليه أحاديث عوالى من تخريج الدمياطى وفيها الحديث المسلسل بالاولية وسلسلته عنه من غير رواية الدمياطى بشرطه ثم قرأت عليه أكثر كتاب الموطا رواية يحيى وأجازه السفر فاتممته عليه فى غير القاهرة وحدثنى به عن جماعة ومعوله على الشيخين قاضى القضاة أبى العباس بن الغماز الخزرجى وهو أحمد بن محمد بن حسن والشيخ أبى محمد بن هرون وهو عبد الله بن محمد القرطبى الطائى الكاتب المعمر الاديب بحق سماعه لا كثره على الاول وقراءته بأجمعه على الثانى قال الاول أخبرنا أبو الربيع بن سالم بجميع طرقه فيه منها عن ابن مرزوق وأبى عبد الله بن أبى عبد الله الخولانى عن أبى عمر وعثمان بن أحمد المغافرى عن أبى عيسى بسنده وقال الثانى أخبرنا أبو القاسم بن بقى بقرطبة أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الحق عن محمد بن فرج مولى الطلاع عن يونس بتمام سنده قال شيخنا وفى هذا السند غريبتان احداهما انه ليس فيه اجازة والثانية ان شيوخه كلهم قرطبيون قال ابن مرزوق قلت ولا غرابة فى اتصال سماع الموطا وقراءته فقد وقع لى على قلة التحصيل متصلا من طرق ولله الحمد وقد رويته عن قرطبى وهو أبو العباس بن العشاء ثم قرأت عليه كتاب الشفاء لعياض وحدثنى به عن أبى القاسم عن أبى عبد الله بن أبى القاسم الانصارى المالقى نزيل سبتة ويعرف بها بابن حكم وبابن أخت ابى صالح عن أبى زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الخزرجى عن أبى جعفر احمد بن حكم عن المؤلف وحدثنى به أيضا عن قاضى الجماعة ابن ابى الربيع بن سالم عن ابى جعفر بن حكم ثم قال ابن مرزوق بعد كلام ما صورته ورويت عنه وانشدنى لابى محمد بن هرون

لا تطمعن فى نفع آلك انه * ضرر وقل النفع عند الآل
اقصر رويدك ان ما علقته * بالآل من اهل كمثل الآل

ولابن هرون المذكور

السفاح بقتله فقال أبو مسلم وهى خطرة من خطرات الشيطان وغفلة من غفلات الانسان فقالا له فينبغى يا أمير المؤمنين أن تحترس منه فانا لا نأمنه عليك فقال كلا انى لا آمنه فى ليلى ونهارى وسرى وجهرى ووحدتى وجماعتى فلما اتصل هذا القول من أبى العباس بابى مسلم أكبره وأعظمه وخاف من ناحية أبى سلمة أن يقصده بالمكروه فوجه جماعة من ثقات أصحابه فى اعمال الحيلة فى قتل أبى سلمة وقد كان أبو العباس يأنس بابى سلمة ويسمر عنده وكان أبو سلمة فكها ممتعا أديبا عالما بالسياسة والتدبير فيقال ان ابا سلمة انصرف ليلة من عند السفاح من مدينته بالانبار وليس معه أحد فوثب عليه أصحاب أبى مسلم فقتلوه فلما اتصل خبره بالسفاح أنشأ يقول الى النار فليذهب ومن كان مثله على أى شئ فاتنا منه نأسف وكان أبو مسلم يقال له أمين آل محمد وأبو سلمة حفص ابن سليمان يدعى وزير آل محمد فلما قتل غيلة على ما ذكرنا قال فى ذلك الشاعر من أبيات ان المساءة قد تسر وربما * كان السرور بما كرهت جديرا

أقلل زيارة الاحباب * ب تزدد عندهم قربا
فان المصطفى قد قا * ل زر غبا تزد حبا

ولابن هرون أيضا

رماني بالنوى زمني * فشمل الانس مفترق
وليلي كله فكر * فقلبي منه محترق
وللآداب أبناء * بحر الفقر قد غرقوا
وكل منهم وجل * بما يلقاه أو فرق
يغص بريقه منه * وفي النطق اوشرق
وقد صفرت اكفهم * فلا ورق ولا ورق
ولطف الله مرتقب * به العادات تنخرق

قال ابن مرزوق وشعره الفائق لا يحصر وهو عندي في مجلد كبير وولد ابن جابر سنة ٦٧ وسمع بمصر على جماعة وكتب بخطه كثيرا وله معرفة بالحديث والنحو واللغة والشعر وله نظم حسن وتوفي بتونس سنة ٧٧٩ وأخذ القراآت عن ابن الزيات وغيره وترجمة الحافظ ابن جابر رحمه الله تعالى واسعة مشهورة وقد ذكرناه في غير هذا الكتاب بما جمعناه

ومما أنشده لسان الدين رحمه الله تعالى لبعض المتصوفة من شيوخه ولم يسمه قوله

هل تعلمون مصارع العشاق * عند الوداع بلوعة الاشواق
والبين يكتب من نجيع دمائهم * ان الشهيد لمن توى بفراق
لو كنت شاهد حالهم يوم النوى * لرأيت ما يلقون غير مطاق
منهم كئيب لا يعل بكاءه * قد أحرقته مدامع الآماق
ومحرق الاحشاء أشعل نارها * طول الوجيب بقلبه الخفاق
ومولّه لا يستطيع كلامه * مما يقاسي في الهوى ويلاقي
خرس اللسان فما يطيق عبارة * ألم ألم وماله من راقي
ما للمحب من المنون وقاية * ان لم يجد محبوبه بتلاقي
مولاي عبدك ذاهب بغرامه * أدرك بفضلك من ذماه الباقي
اني اليك بذاتي متوسل * فاعطف بلطف منك او اشفاق

وهذه الابيات اوردها رحمه الله تعالى في الروضة في العشق بعد أن حده وتكلم عليه ثم أورد عدة مقطوعات ثم ذكر بعدها هذه الابيات كما ذكر وأنشد لسان الدين رحمه الله تعالى لبعض أشياخه وسماه وأنسيته انا الآن

عما بيننا من خلوة معنوية * أرق من النجوى وأحلى من السلوى
قفي ساعة في ساحة الدار وانظري * الى عاشق لا يستفيق من البلوى
وكم قد سألت الريح شوقا اليكم * فما حن مسراها علي ولا ألوى

وقوله

انست بوحدتي حتى لواني * أتاني الانس لاستوحشت منه
ولم تدع التجارب لي صديقا * أميل اليه الا ملت عنه

ان الوزير وزير آل محمد * أودى فمن يشناك كان وزيرا وقد أتينا على خبر مقتله وكيفية أمره في الكتاب الاوسط (وكان) السفاح يعجبه المحادثة ومفاخرات العرب من نزار واليمن والمذاكرة بذلك ولخالد بن صفوان وصدر من قحطان أخبار حسان ومفاخرات ومذاكرات ومنادمات ومسامرات مع السفاح مشهورة فاغنى ذلك عن ذكرها (ومما ذكر) من أخباره واستفاض من أسماره ماذكره البهلول بن العباس عن الهيثم بن عدي الطائي عن يزيد الرقاشي قال كان السفاح يعجبه مسامرة الرجال واني سمرت عنده ذات ليلة فقال يا يزيد أخبرني باظرف ما سمعته من الاحاديث فقلت يا أمير المؤمنين وان كان في بني هاشم قال ذلك أعجب الي قلت يا أمير المؤمنين نزل رجل من تنوخ بحي من بني عامر بن صعصعة فجعل لا يحط شيأ من متاعه الا تمثل بهذا البيت

لعمرك ما تبلى سرائر عامر * من اللؤم ما دامت عليها جلودها

فخرجت اليه جارية من الحي فآذنته وآنسته وسالته حتى أنس بها ثم قالت ممن أنت متعت بك فقال رجل من تميم فقالت أتعرف الذي يقول

وقوله رحمه الله تعالى

عليك بالعزلة ان الفتى * من طاب بالقلة في العزله
لا يرتجى عزلة وال ولا * يخشى من الذلة في العزله

(ومن أكابر شيوخ ابن الخطيب رحمه الله تعالى جدي الامام العلامة قاضي القضاة بحضرة الخلافة فاس المحروسة أبو عبد الله) قال في الاحاطة محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى ابن عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي القرشي المقري يكنى أبا عبد الله قاضي الجماعة بفاس تلمساني أوليته نقلت من خطه قال وكان الذي اتخذها من سلفنا قرارا بعد أن كانت لمن قبله مزارا عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي المقري صاحب الشيخ أبي مدين الذي دعا له ولذريته بما ظهر فيهم قبوله وتبين وهو أبي الخامس فأنا محمد بن محمد بن احمد بن أبي بكر بن يحيى ابن عبد الرحمن وكان هذا الشيخ عروي الصلاة حتى انه ربما امتحن بغير شيء فلم يؤنس منه التفات ولا استشعر منه شعور ويقال ان هذا الحضور مما أدركه من مقامات شيخه أبي مدين انتهى وكتب بعض المغاربة على هامش هذا المحل من الاحاطة ما صورته القرشي وهم انتهى فكتب تحته الشيخ الامام أبو الفضل ابن الامام التلمساني رحمه الله تعالى ما نصه بل صحيح نطقت به الالسن والمكاتبات والاجازات وأعربت عنه الخلال الكريمة الان البلدية يا سيدي أبا عبد الله والمنافسة تجعل القرشية في امام المغرب أبي عبد الله المقري وهما والحمد لله انتهى قلت وممن صرح بالقرشية في حق الجد المذكور ابن خلدون في تاريخه وابن الاحمر في نثر الجمان وفي شرح البردة عند قوله

لعل رحمة ربي حين يقسمها * والشيخ ابن غازي والولي الصالح سيدي احمد زروق والشيخ علامة زمانه سيدي أحمد الونشريسي وغير واحد وكفى بلسان الدين شاهدا مزكى وقد ألف عالم الدنيا ابن مرزوق تأليفا استوفى فيه التعريف بمولاي الجد سماه النور البدري في التعريف بالفقيه المقري وهذا ابناء منه على مذهبه انه بفتح الميم وسكون القاف كما صرح بذلك في شرح الالفية عند قوله * ووضعوا لبعض الاجناس علم * وضبطه غيره وهم الاكثرون بفتح الميم وتشديد القاف وعلى ذلك عول اكثر المتأخرين وهما لغتان في البلدة التي نسب اليها وهي مقرة من قرى زاب افريقية وانتقل منها جده الى تلمسان صحبة شيخه ولي الله سيدي أبي مدين رضي الله عنه (رجع الى تكملة كلام مولاي الجد في حق اوليته) قال رحمه الله تعالى بعد الكلام السابق في حق جده عبد الرحمن ما صورته ثم اشتهرت ذريته على ما ذكر من طبقاتهم بالتجارة فمهدوا طريق الصحراء بحفر الآبار وتأمين التجار واتخذوا طبلا للرحيل وراية تقدم عند المسير وكان ولد يحيى الذين أحدهم أبو بكر خمسة رجال فعقدوا الشركة بينهم في جميع ما ملكوه او يملكونه على السواء بينهم والاعتدال فكان أبو بكر ومحمد وهما أرومتا نسبي من جميع جهات امي وأبي بتلمسان وعبد الرحمن وهو شقيقهما الاكبر بسجلماسة وعبد الواحد وعلي وهما شقيقاهم الصغيران بايوالاتن فاتخذوا بهذه الاقطار الحوائط والديار وتزوجوا النساء واستولدوا الاماء وكان التلمساني يبعث الى الصحراوي بما يرسم له من السلع ويبعث اليه الصحراوي بالجلد والعاج

ولو أن برغوثا على ظهر قملة
يكر على جمعي تميم لولت
ذبحنا فسمينا فتم ذبيحنا
وما ذبحت يوما تميم فسمت
أرى الليل يجلوه النهار ولا أرى
عظام المخازي عن تميم تجلت
فقال لا والله ما انا منهم قالت فمن انت قال رجل من عجل قالت أتعرف الذي يقول
أرى الناس يعطون الجزيل ولا أرى
عطاء بني عجل ثلاث واربع
اذا مات عجلي بارض فانما
يشق له منها ذراع واصبع
قال لا والله ما انا من عجل قالت فمن انت قال رجل من بني يشكر قالت اتعرف الذي يقول
اذا يشكري مس ثوبك ثوبه
فلا تذكرن الله حتى تطهرا
قال لا والله ما انا من يشكر قالت فمن أنت قال رجل من بني عبد القيس قالت اتعرف الذي يقول
رايت عبد القيس لاقت ذلا
اذا اصابوا بصلا وخلا
وما لحا مصنعا قد طلا
باتوا يسلون النساء سلا * سل النبيط القصب المبتلا
قال لا والله ما انا من عبد القيس قالت فمن انت والجوز

والجوز والتبر والسعلماسى كلسان الميزان يعرفهما بقدر الخسران والرجحان ويكاتبهما باحوال التجار وأخبار البلدان حتى اتسعت أموالهم وارتفعت فى الفخامة أحوالهم ولما افتتح التكرور كورة ابوالاتن وأعمالها أصيبت أموالهم فيما أصيب من أموالها بعد أن جمع من كان فيها منهم الى نفسه الرجال ونصب دونها ودون مالهم القتال ثم اتصل بملكهم فاكرم مثواه ومكنه من التجارة بجميع بلاده وخاطبه بالصديق الاحب والخلاصة الاقرب ثم صار يكاتب من بتلمسان يستقضى منهم مآربه فيخاطبه بمثل تلك المخاطبة وعندى من كتبه وكتب ملوك المغرب ما ينبئ عن ذلك فلما استوثقوا من الملوك تذللت لهم الارض للسلوك فخرجت أموالهم عن الحد وكادت تفوت الحصر والعد لان بلاد الصحراء قبل أن يدخلها أهل مصر كان يجلب اليها من المغرب ما لا بال له من السلع فتعاوض عنه بماله بال من الثمن (أى مدبر دنيا ضم جنبا أبى حمو وشمل ثوبا ه كان يقول لولا الشناعة لم أزل فى بلادى تاجرا من غير تجار الصحراء الذين يذهبون بخبيث السلع ويأتون بالتبر الذى كل أمر الدنيا له تبع ومن سواهم يحمل منها الذهب ويأتى اليها بما يضمحل عن قريب ويذهب ومنه ما يغير من العوائد ويجر السفهاء الى المفاسد) ولما درج هؤلاء الاشياخ جعل أبناؤهم ينفقون مما ترك والهم ولم يقوموا بأمر التثمير قيامهم وصادفوا توالى الفتن ولم يسلموا من جور السلاطين فلم يزل حالهم فى نقصان الى هذا الزمن فها أنا ذا لم أدرك من ذلك الأثر نعمة اتخذنا فصوله عيشا وأصوله حرمة ومن جملة ذلك خزانة كبيرة من الكتب وأسباب كثيرة تعين على الطلب فتفرغت بحول الله عز وجل للقراءة فاستوعبت أهل البلد لقاء وأخذت عن بعضهم عرضا والقاء سواء المقيم القاطن والوارد والظاعن انتهى كلامه فى أوليته وقد نقله لسان الدين فى الاحاطة وقال مولاى الجد رحمه الله تعالى كان مولدى بتلمسان أيام أبى حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن بن زيان وقد وقفت على تاريخ ذلك ولكنى رأيت الصفح عنه لان أبا الحسن بن مؤمن سأل أبا طاهر السلفى عن سنه فقال أقبل على شأنك فانى سألت أبا الفتح بن زيان عن سنه فقال أقبل على شأنك فانى سألت على بن محمد اللبان عن سنه فقال أقبل على شأنك فانى سألت حمزة بن يوسف السهمى عن سنه فقال أقبل على شأنك فانى سألت أبا بكر محمد بن عدى المنقرى عن سنه فقال أقبل على شأنك فانى سألت أبا اسمعيل الترمذى عن سنه فقال أقبل على شأنك فانى سألت بعض أصحاب الشافعى عن سنه فقال أقبل على شأنك فانى سألت الشافعى عن سنه فقال أقبل على شأنك فانى سألت مالك بن أنس عن سنه فقال أقبل على شأنك ليس من المروءة للرجل أن يخبر بسنه انتهى قلت ولما تذاكرت مع مولاى العم الامام صب الله تعالى على مضجعه من الرحمة الغمام هذا الذى ساقه مولاى الجد رحمه الله تعالى أنشدنى لبعضهم

احفظ لسانك لا تبح بثلاثة * سن ومال ما استطعت ومذهب
فعلى الثلاثة تبتلى بثلاثة * بمكفر وبحاسد ومكذب

قال الونشريسى فى حق الجد ما نصه القاضى الشهير الامام العالم أبو عبد الله محمد بن محمد

تحمى الباهلى عن الزحام
فلو كان الخليفة باهليا
لقصر عن مناواة الكرام
وعرض الباهلى وان توقى
عليه مثل منديل الطعام
قال لا والله ما أنا من باهلة
قالت فمن أنت قال رجل
من بنى فزارة قالت اتعرف
الذى يقول
لا تأمنن فزاريا خلوت به
على قلوصك واكتبها بأسيار
لا تأمنن فزاريا على حمر
بعد الذى امتل أير العير
فى النار
قوم اذا نزل الاضياف
ساحتهم
قالوا لامهم بولى على النار
قال لا والله ما أنا من فزارة
قالت فمن أنت قال انا
رجل من ثقيف قالت
اتعرف الذى يقول
أهل الناسبون الى ثقيف
فما لهم أب الا الضلال
فان نسبت أو انتسبت
ثقيف
الى أحد فذلك هو المحال
خنازير الحشوش فقتلوها
فان دماءها الكم حلال
قال لا والله ما أنا من ثقيف
قالت فمن أنت قال رجل
من عبس قالت أتعرف
الذى يقول
اذا عبسية ولدت غلاما
فبشرها بلؤم مستفاد
قال لا والله ما أنا من عبس قالت فمن أنت قال رجل من تغلبة قالت أتعرف الذى يقول

المقري التلمساني المولد والمنشأ الفاسي المسكن كان رحمه الله تعالى عالما عاملا ظريفا نبيها
ذكيا نبيلا فهما متيقظا جزلا محصلا انتهى * وقد وقفت له بالمغرب على مؤلف عرّف فيه
بمولاي الجد وذكر جملة من أحواله وذلك انه طلبه بعض أهل عصره في تاليف أخبار الجد
فألف فيه ما ذكر *وقال في الاحاطة في ترجمة مولاي الجد بعد ذكره أوليته ما صورته حال
هذا الرجل مشار اليه بالعدوة الغربية اجتهادا ودؤوبا وحفظا وعناية واطلاعا ونقلا
ونزاهة سليم الصدر قريب الغور صادق القول مسلوب التصنع كثير الهشة مفرط
الخفة ظاهر السذاجة ذاهب أقصى مذاهب التخلق محافظ على العمل مثابر على
الانقطاع حريص على العبادة مضايق في العقد والتوجه يكابد من تحصيل النية بالوجه
واليدين مشقة ثم يغافص الوقت فيها ويوقعها دفعة متبعا اياها زعقة التكبير برجفة
ينبو عنها سمع من لم تؤنسه بها العادة بما هو دليل على حسن المعاملة وارسال السجية قديم
النعمة متصل الخيرية مكب على النظر والدرس والقراءة معلوم الصيانة والعدالة
منصف في المذاكرة حاسر للذراع عند المباحثة راحب عن الصدر في وطيس المناقشة
غير مختار للقرن ولا ضان بالفائدة كثير الالتفات متقلب الحدقة جهير بالحجة بعيد
عن المراء والمباهتة قائل بفضل أولي الفضل من الطلبة يقوم أتم القيام على العربية
والفقه والتفسير ويحفظ الحديث ويتهجر بحفظ التاريخ والاخبار والآداب ويشارك
مشاركة فاضلة في الاصلين والجدل والمنطق ويكتب ويشعر مصيبا غرض الاجادة
ويتكلم في طريقة الصوفية كلام أرباب المقال ويعتني بالتدوين فيها شرق وحج
ولقي جلة واضطبن رحلة مفيدة ثم عاد الى بلده فأقرأ به وانقطع الى خدمة العلم فلما ولي ملك
المغرب السلطان محالف الصنع ونشيدة الملك وأثير الله من بين القرابة والاخوة أمير المؤمنين
أبو عنان اجتذبه وخلطه بنفسه واشتمل عليه وولاه قضاء الجماعة بمدينة فاس فاستقل بذلك
أعظم الاستقلال وأنفذ الحق وألان الكلمة وآثر التسديد وحمل الكل وخفض الجناح
فحسنت عنه القالة وأحبته الخاصة والعامة حضرت بعض مجالسه للحكم فرأيت من صبره
على اللدد وتأنيه للحجج ورفقه بالخصوم ما قضيت منه العجب (دخوله غرناطة) ثم لما أخر عن
القضاء استعمل بعد لأي في الرسالة فوصل الاندلس أوائل جمادى الثانية من عام سبعة
وخمسين وسبعمائة فلما قضى غرض رسالته وأبرم عقد وجهته واحتل مالقة في منصرفه
بدا له في نبذ الكلفة واطراح وظيفة الخدمة وحل التقييد الى ملازمة الامرة فتقاعد وشهر
غرضه وبت في الانتقال طمع من كان صحبته وأقبل على شأنه فخلى بينه وبين همه وترك
وما انتحله من الانقطاع الى ربه وطار الخبر الى مرسله فأنف من تخصيص اياله بالهجرة والعدول
عنها بقصد التخلي والعبادة وأنكر ما حقه الانكار من ابطال عمل الرسالة
والانقباض قبل الخروج عن العهدة فوغر صدره على صاحب الامر ولم يبعد حمله على الظنة
والمواطأة على النفرة وتجهزت جملة من الخدام المجلين في مأزق الشبهة المضطلعين باقامة
الحجة مواعين خطة الملام مخيرين بين سحائب عادمن الاسلام مظنة أعلاق النقمة وايقاع
العقوبة أو الاشادة بسبب اجارته بالقطيعة والمنابذة وقد كان المترجم به لحق بغرناطة فتذمم

وثعلبة بن قيس شر قوم * والأمهم وأغدرهم بجار قال لا والله ما أنا منهم قالت فمن أنت قال رجل من
بني مرة قالت أتعرف الذي يقول
اذا مرية خضبت يداها
فزوّجها ولا تأمن زناها
قال لا والله ما أنا من بني مرة قالت فمن أنت قال رجل من بني ضبة قالت أتعرف الذي يقول
لقد زرقت عيناك يا ابن معكبر
كما كل ضبي من اللؤم أزرق
قال لا والله ما أنا من بني ضبة قالت فمن أنت قال رجل من بجيلة قالت أتعرف الذي يقول
سل الناعي بجيلة حين حلت
لتخبر أين قرّ بها القرار
فما تدري بجيلة أين تدعى
أقحطان أبوها أم نزار
فقد وقعت بجيلة بين بين
وقد خلعت كما خلع العذار
قال لا والله ما أنا من بجيلة قالت فمن انت ويحك قال رجل من بني الازد قالت أتعرف الذي يقول
اذا ازدية ولدت غلاما
فبشرها بملاح مجيد
قال لا والله ما انا من الازد قالت فمن انت ويلك اما تستحي قل الحق قال انا رجل من خزاعة قالت اتعرف الذي يقول
اذا افتخرت خزاعة في كريم
وجدنا فخرها شرب الخمور
وباعت كعبة الرحمن جهرا * بزق بئس مفتخر الفخور
قال لا والله ما انا من خزاعة قالت فمن انت قال رجل بسجدها

بمجدها وجار بالانقطاع الى الله وتوعد من يجيره بنكير من يجير ولا يجار عليه سبحانه فأهم
أمره وشغلت القلوب أبدته وأمسك الرسل بخلال ما صدرت شفاعة اقتضى له فيها رفع التبعة
وتركه الى تلك الوجهة ولما تحصل ما تيسر من ذلك انصرف محفوفا بمعالى القطر قاضى
الجماعة أبى القاسم الحسنى المذكور قبله والشيخ الخطيب أبى البركات بن الحاج مسلمين
لوروده مشافهين بالشفاعة فى غرضه فانقشعت الغمة وتنفست الكربة واستصحبا من
المخاطبة السلطانية فى أمره من املائى ما نذكره حسبما ثبت فى الكتاب المسمى بكناسة
الدكان بعد انتقال السكان المجموع بسلا ما صورته المقام الذى يحب الشفاعة ويرعى
الوسيله وينجز العدة ويتمم الفضيله ويضفى مجده المنن الجزيله ويعيى حمده المادح
العريضة الطويله مقام محل والدنا الذى كرم مجده ووضح سعده وصح فى الله تعالى عقده
وخلص فى الاعمال الصالحة قصده وأعجز الالسنة حمده السلطان الكذا ابن السلطان
الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله سبحانه لوسيلة يرعاها وشفاعة يكرم مسعاها
وأخلاق جميلة تجيب دعوة الطبع الكريم اذا دعاها معظم سلطانه الكبير وممجد مقامه
الشهير المتشيع لابوته الرفيعة قولا باللسان واعتقادا بالضمير المعتمد منه بعد الله على
المعالى الحجى والولى النصير فلان سلام كريم طيب برعميم يخص مقامكم الاعلى
وأبوتكم الفضلى ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله الذى جعل الخلق الحميدة دليلا على
عنايته بمن حلاه حلاها وميز بها النفوس النفيسة التى اختصها بكرامته وتولاها حمدا
يكون كفؤا النعم التى أولاها وأعادها ووالاها والصلاة على سيدنا ومولانا محمد عبده
ورسوله المترقى من درجات الاختصاص ارفعها وأعلاها الممتاز من أنوار الهداية بأوضحها
وأجلاها مطلع آيات السعادة يروق مجتلاها والرضا عن آله وصحبه الذين خبر صدق
ضمائرهم لما ابتلاها وعسل ذكرهم فى الافواه فما أعذب أوصافهم على الالسن وأحلاها
والدعاء لمقام ابوتكم حرس الله تعالى علاها بالسعادة التى يقول الفتح انا طلاع الثنايا
وابن جلاها والصنائع التى تخترق المفاوز ركائبها المبشرات فتفلى فلاها * فانا كتبنا
اليكم كتب الله تعالى لكم عزة مشيدة البناء وحشد على أعلام صنائعكم الكرام جيوش
الثناء وقلدكم من قلائد مكارم الاخلاق ما يشهد لذاتكم منه بسابقة الاعتناء من حمراء
غرناطة حرسها الله والود باهر السنا ظاهر السناء مجدد على الانا والتشيع رحب الدسيعة
والفناء والى هذا وصل الله تعالى سعدكم وحرس مجدكم فاننا خاطبنا مقامكم الكريم
فى شأن الشيخ الفقيه الحافظ الصالح أبى عبد الله المقرى خار الله تعالى لنا وله وبلغ الجميع
من فضله العميم أمله جوابا عما صدر عن مثابتكم فيه من الاشارة الممتثله والمآرب المعمله
والقضايا غير المهمله نصادركم بالشفاعة التى مثلها بأبوابكم لا يرد وظمآها عن منهل
قبولكم لا تحلى ولا تصد حسبما سنه الاب الكريم والجد والقبيل الذى وضح منه فى
المكارم الرسم والحد ولم نصدر الخطاب حتى ظهر لنا من أحواله صدق المخيله وتبلج صبح
الزهادة والفضيله وجود النفس الشحيحة بالعرض الادنى البخيله وظهر تخليه عن هذه
الدار واختلاطه باللفيف والغمار واقباله على ما يعنى مثله من صلة الاوراد ومداومة

من سليح قالت اتعرف الذى يقول أما السليح شتت الله أمرها * تنيك بأيديها وتعي أبورها
قال لا والله ما أنا من سليح
قالت فمن أنت قال رجل
من لقيط قالت أتعرف
الذى يقول
لعمرك ما البحار ولا الفيافى
باوسع من فقاح بنى لقيط
لقيط شر من ركب المطايا
وانذل من يدب على البسيط
ألا لعن الاله بنى لقيط
بقايا سبة من قوم لوط
قال لا والله ما أنا من لقيط
قالت فمن أنت قال رجل
من كندة قالت أتعرف
الذى يقول
اذا ما افتخر الكندى
ذو البهجة والطره
فبالنسج وبالحف وبالسدل
وبالحفره
فدع كندة للنسج
فأعلى فخرها عره
قال لا والله ما أنا من كندة
قالت فمن أنت قال رجل
من خثعم قالت أتعرف
الذى يقول
وخثعم لو صفرت بهاصفيرا
لطارت فى البلاد مع الجراد
قال لا والله ما أنا من خثعم
قالت فمن أنت قال رجل
من طى قالت اتعرف
الذى يقول
وما طيئ الا نبيط تجمعت
فقالت طيأ كلمة فاستمرت
ولو أن حرقوصا يمد جناحه
على جبلى طى اذا لاستظلت
قال لا والله ما أنا من طى قالت فمن أنت قال رجل من مزينة قالت أتعرف الذى يقول

الاستغفار وكذا لما تعرفنا اقامته عالقة لهذا الغرض الذى شهره والفضل الذى أبرزه
للعيان وأظهره أمرنا أن يعتنى بأحواله ويعان على فراغ باله ويجرى عليه سبب من
ديوان الاعشار الشرعية وصريح ماله وقلنا أما تاله من غير مسئلة مستند صحيح لاستدلاله
فقر من مالقة على ما تعرفنا لهذا السبب وقد تحضر تناسب ستور المنتمى والمنتسب وسكن
بالمدرسة بعض الاماكن المعدة لسكنى المتسمين بالخير والمحترفين ببضاعة الطلب بحيث
لم يتعرف وروده ووصوله الا ممن لا يؤبه بتعريفه ولم تحقق زوائده وأصوله الا القلة تصريفه
ثم تلاحق ارسالكم الجلة فوجبت حينئذ الشفاعة وعرضت على سوق الحلم والفضل من
الاستلطاف والاستعطاف البضاعة وقررنا ما تحققناه من أمره وانقباضه عن زيد الخلق
وعمره واستقباله الوجهة التى من ولى وجهه شطرها فقد آثر أثيرا ومن ابتاعها بمتاع
الدنيا فقد نال فضلا كبيرا وخيرا كثيرا وسألناكم أن تمحوا ذلك الغرض الذى رماه
بعزمه وقصر عليه أقصى همه فما أخلق مقامكم أن يفوز منه طالب الدنيا بسهمه
ويحصل منه طالب الآخرة على حظه الباقى وقسمه ويتوسل الزاهد بزهده والعالم بعلمه
ويعول البرىء على فضله ويثق المذنب بحلمه فوصل الجواب الكريم بمجرد الامان وهو
أرب من آراب وفائدة من جراب ووجه من وجوه اعراب فرأينا أن المطل بعد جفاء
والاعادة ليس يثقلها اخفاء ولمجدكم عما ضمناعنه وفاء وبادرنا الآن الى العزم عليه فى
ارتحاله وأن يكون الانتقال عن رضا منه من صفقة حاله وان يقتضى له ثمرة المقصد
ويبلغ طية الاسعاف فى الطريق ان قصد اذ كان الامان لمثله ممن تعلق بجناب الله من
مثلكم حاصلا والدين المتين بين نفسه وبين المخافة فاصلا وطالب كيمياء السعادة باعتنائكم
واصلا ولما مدت اليد فى تسويغ حاله هديكم عليها أبدا الحرص وعلمكم يصرح عزيتها ولا
يعرض فكملوا أبقاكم الله ما لم تسعنا فيه مشاحة الكتاب والحقوا بالاصل حديث
هذه الاباحة فهو أصح حديث فى الباب ووفوا غرضنا من مجدكم وخلوا بينه وبين مراده من
ترك الاسباب وقصد غافر الذنب وقابل التوب باخلاص المتاب والتشمير ليوم العرض
وموقف الحساب وأظهروا عليه عناية الجناب الذى تعلق به أعلق الله به يدكم من جناب
ومعاذ الله أن تعود شفاعتنا من لدنكم غير مكملة الآراب وقد بعثنا من ينوب عنا فى
مشافهتكم بها أحمد المناب ويقتضى خلاصها بالرغبة لا بالغلاب وهما فلان وفلان ولولا
الاعذار لكان فى هذا الغرض اعمال الركاب يسبق اعلام الكتاب وأنتم تولون هذا القصد
من مكارمكم ما يوفر الثناء الجميل ويربى على التأميل ويكتب على الود الصريح العقد
وثيقة التسجيل وهو سبحانه يبقيكم لتأييد المجد الاثيل واثالة الرفد الجزيل والسلام
الكريم يخص مقامكم الاعلى ومثابتكم الفضلى ورحمة الله تعالى وبركاته فى الحادى
والعشرين لجمادى الآخرة من عام سبعة وخمسين وسبعمائة انتهى كلام ابن الخطيب
فى الاحاطة* (وذكر فى الريحانة) أنه كتب فى هذا الغرض ما نصه والى هذا فاننا وقفنا
على كتابكم الكريم فى شان الشيخ الصالح الفقيه الفاضل أبى عبد الله المقرى وفقنا الله واياه
لما يزلف لديه وهدانا لما يقرب اليه وما بلغكم بقاعدة القة وما أشرتم به فى أمره فاستوفينا

وهل مزينة الا من قبيلة* لا يرتجى كرم فيها ولا دين قال لا والله ما أنا من مزينة قالت فمن أنت قال رجل من النخع قالت أتعرف الذى يقول

اذا النخع اللئام غدوا جميعا * تأذى الناس من وفر الزحام
وما يسموا الى مجد كريم * وما هم فى الصميم من الكرام

قال لا والله ما أنا من النخع قالت فمن أنت قال رجل من أود قالت أتعرف الذى يقول

اذا نزلت بأود فى ديارهم * فاعلم بأنك منهم لست بالناجى
لا تركنن الى كهل ولا حدث * فليس فى القوم الا كل عفاج

قال لا والله ما أنا من أود قالت فمن أنت قال أنا رجل من لخم قالت أتعرف الذى يقول

اذا ما انتمى قوم لفخر قديمهم * تباعد فخر القوم من لخم أجمعا

قال لا والله ما أنا من لخم قالت فمن أنت قال أنا رجل من جذام قالت أتعرف الذى يقول

اذا كاس المدام أدير يوما * لمكرمة تنحى عن جذام

قال لا والله ما أنا من جذام قالت فمن أنت ويلك أما تستحى أكثرت من الكذب قال أنا رجل من تنوخ وهو الحق قالت أتعرف الذى يقول

جميع

جميع ما قررتم واستوعبنا ما أجملتم في ذلك وفسرتم واعلموا ايها المحل والدنا أمتعنا الله ببقائكم
الذي في ضمنه اتصال السعاده وتعرف النعم المعاده أننا لما انصرف عن بابنا هو ومن رافقه
عن انشراح صدور وتكييف جذل بما تفضلتم به وسرور تعرفنا انه تقاعد عالقة عن صحبه
وأظهر الاشتغال بما يخلصه عند ربه وصرف الوجه الى التخلي مما فقام من ذنبه واحتج بأن
قصده ليس له سبب ولا تعين له في الدنيا أرب وانه عرض عليكم أن تسمحوا له فيما ذهب اليه
وتقروه عليه فيجمل البدار ويمهد تحت ايالتكم القرار فلما بلغنا هذا الخبر لم يخلق الله
عندنا به مبالاة تعتبر ولا أعددناه فيما يذكر فكيف فيما ينكر وقطعنا أن الامر فيه
هين وأن مثل هذا الغرض لا تلتفت اليه عين فان بابكم غني من طبقات أولي الكمال
ملي بتسويغ الآمال موفور الرجال معمور بالفقهاء العارفين بأحكام الحرام والحلال
والصلحاء اولي المقامات والاحوال والادباء فرسان الرويه والارتجال ولم ينقص
بفقدان الحصى أعداد الرمال ولا يستكثر بالقطرة جيش العارض المثال مع ما علم من
اعانتكم على مثل هذه الاعمال واستمساككم باسعاف غرض من صرف وجهه الى ذي
الجلال ولو علمنا أن شيأ يهجس في الخاطر من أمر مقامه لقابلناه بالاج سقامه ثم لم
ينشب أن تلاحق بحضرتنا بارزا في طور التقلل والتخفيف خالطا نفسه باللفيف قد صار
نكرة بعد العلمية والتعريف وسكن ببعض مواضع المدرسة منقبضا عن الناس لا يظهر الا
لصلاة يشهد جماعتها ودعوة للعباد يخاف اضاعتها ثم تلاحق ارسالكم الجله الذين تحق
لمثلهم التجله فحضروا لدينا وأدوا المخاطبة الكريمة كاذكرالينا وتكلمنا معهم في
القضيه وتحلنا في الوجوه المرضيه فلم نجدوجها أخلص من هذا الغرض ولا علاجا
يتكفل ببرء المرض من أن كلفناهم الاقامة التي يتبرك بمن جوارها ويعمل على
ايثارها بخلال ما تخاطب مقامكم بهذا الكتاب الذي مضمونه شفاعة يضمن حباؤكم
احتسابها ويرعى انتماءها الى الخلوص وانتسابها ويعيدها قد أعملت الحظوة أثوابها
ونقصدكم ومثلكم من يقصد في المهمه فانتم المثل الذائع في عموم الحلم وعلو الهمه في أن
تصدروا له مكتوبا مكمل الفصول مقرر الاصول يذهب الوجل ويرفع الخجل
ويسوغ من مآربه لديكم الامل ويخلص النية ويرتب العمل حتى يظهر مالنا عند
أبوتكم من تكميل المقاصد جريا على ما بذلتم من جميل العوائد واذا تحصل ذلك كان
بفضل الله ايابه وأناخت بعقوة عدلكم الوفي ركابه وتحصل لمقامكم عزه ومجده وثوابه
وأنتم ممن يرعى أمور المجد حق الرعايه ويجري في معاملة الله تعالى على ما أسس من فضله
البدايه وتحقق الظنون فيما لديه من المدافعة عن حوزة الاسلام والحمايه هذا ما عندنا
أعلناه الاعلام وأعملنا فيه الاقلام بعد أن أجهدنا الاختيار وتحلنا الكلام وجوابكم
بالخير كفيل ونظركم لنا وللمسلمين جميل والله تعالى يصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام
انتهى * قلت وهذه آفة مخالطة الملوك فان مولاي الجد المذكور كان نزل عن القضاء
وغيره فلما أراد التخلي الى ربه لم يتركه السلطان أبو عنان كما رأيت وقد ذكر لسان الدين
رحمه الله تعالى في الاحاطة شيوخ مولانا الجد فلنذكرهم من جزء الجد الذي سماه نظم اللآلي

قال لا والله ما أنا من تنوخ
قالت فمن أنت ثكلتك
أمك قال أنا من حمير قالت
أتعرف الذي يقول
نبئت حمير تهجوني فقلت
لهم
ما كنت أحسبهم كانوا
ولا خلقوا
لان حمير قوم لا نصاب لهم
كالعود بالقاع لا ماء ولا
ورق
لا يكثرون وان طالت
حياتهم
ولو يبول عليهم ثعلب غرقوا
قال لا والله ما أنا من حمير
قالت فمن أنت قال أنا
رجل من بخاتر قالت
أتعرف الذي يقول
ولو مر مار بأرض بخاتر
لماتوا وأضحوا في التراب
رمما
قال لا والله ما انا من بخاتر
قالت فمن أنت قال رجل
من قشير قالت أتعرف
الذي يقول
بني قشير قتلت سيدكم
فاليوم لا فدية ولا قود
قال لا والله ما أنا من قشير
قالت فمن أنت قال رجل
من بني أمية قالت أتعرف
الذي يقول
وهي من أمية بنيانها
فهان على الله فقدانها
وكانت أمية فيما مضى
جرى على الله سلطانها
فلا آل حرب أطاعوا الرسول * ولم يتق الله مروانها قال لا والله ما أنا من بني أمية قالت فمن أنت

في سلوك الامالي ومنه اختصر لسان الدين ما في الاحاطة في ترجمة مشيخته فنقول قال مولاي الجد رحمه الله تعالى فمن أخذت عنه واستفدت منه علماها يعني تلمسان الشامخان وعالماها الراسخان (أبو زيد عبد الرحمن وأبو موسى عيسى ابنا محمد بن عبد الله بن الامام) وكانا قد رحلا في شبابهما من بلدهما برشك الى تونس فاخذا بها عن ابن جماعة وابن العطار واليفرني وتلك الحلبة وأدركا المرجاني وطبقته من أعجاز المائة السابعة ثم وردا في أول المائة الثامنة تلمسان على أمير المسلمين أبي يعقوب وهو محاصر لها وفقيه حضرته يومئذ أبو الحسن علي بن يخلف التنسي وكان قد خرج اليه برسالة من صاحب تلمسان المحصورة فلم يعد وارتفع شأنه عند أبي يعقوب حتى انه شهد جنازته ولم يشهد جنازة أحد قبله وقام على قبره وقال نعم الصاحب فقدنا اليوم حدثني الحاج الشيخ بعباد تلمسان أبو عبد الله محمد بن محمد بن مرزوق العجيسي ان أبا يعقوب طلع الى جنازة التنسي في الخيل حوالي روضة الشيخ أبي مدين فقال كيف تتركون الخيل تصل الى ضريح الشيخ هلا عرضتم هنالك وأشار الى حيث المعراض الآن خشبة ففعلنا فلما قتل أبو يعقوب وخرج المحصور ان أنكر اذ لك فاخبرتهما فأما أبو زيان وكان السلطان يومئذ فنزل وطأطأ رأسه ودخل وأما أبو حمو وكان أمير افوثب وخلفها ولما رجع الملك الى هذين الرجلين اختصا ابني الامام وكان ابو حمو أشد اعتناء بهما ثم بعده ابنه ابو تاشفين ثم زادت حظوتهما عند امير المسلمين ابي الحسن الى ان توفي ابو زيد في العشر الاوسط من رمضان عام احد وار بعين وسبعمائة بعد وقعة طريف باشهر فزادت مرتبة ابي موسى عند السلطان الى أن كان من أمر السلطان بافريقية ما كان في أول عام تسعة وار بعين وكان ابو موسى قد صدر عنه قبل الوقعة فتوجه صحبة ابنه امير المسلمين ابي عنان الى فاس ثم رده الى تلمسان وقد استولى عليها عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان فكان عنده الى أن مات الفقيه عقب الطاعون العام قال لي خطيب الحضرة الفاسية أبو اسحق ابراهيم بن عبد الله بن مالك بن عبد الله الرندي لما ازمع الفقيه ومن أطلق معه على القفول الى تلمسان بت على تشييعهم فرأيتني كاني نظمت هذا البيت في المنام

وعند وداع القوم ودعت سلوتي * وقلت لها بيني فانت المودع

فانتبهت وهو في فحاولت قريحتي بالزيادة عليه فلم يتيسر لي مثله ولما استحكم ملك أبي تاشفين واستوثق رحل الفقيهان الى المشرق في حدود العشرين وسبعمائة فلقيا علاء الدين القونوي وكان بحيث اني لما رحلت فلقيت أبا علي حسين بن حسين ببجاية قال لي ان قدرت أن لا يفوتك شيء من كلام القونوي حتى تكتب جميعه فافعل فانه لا نظير له ولقيا أيضا جلال الدين القزويني صاحب البيان وسمعا صحيح البخاري على الحجار وقد سمعته أنا عليهما وناظرا تقي الدين بن تيمية وظهرا عليه وكان ذلك من أسباب محنته وكانت له مقالات فيما يذكر وكان شديد الانكار على الامام فخر الدين حدثني شيخي العلامة ابو عبد الله الابلي أن عبد الله بن ابراهيم الزموري اخبره انه سمع ابن تيمية ينشد لنفسه

محصول في أصول الدين حاصله * من بعد تحصيله علم بلا دين
أصل الضلالة والافك المبين فما * فيه فاكثره وحي الشياطين

قال رجل من بني هاشم
فان قالت مورهط النبي محمد
فان النصارى رهط عيسى ابن مريم
قال لا والله ما أنا من بني هاشم قالت فمن أنت قال رجل من همدان قالت أتعرف الذي يقول
اذا همدان دارت يوم حرب
رحاها فوق هامات الرجال
رأيتهم يحثون المطايا
سراعا هاربين من القتال
قال لا والله ما أنا من همدان قالت فمن أنت قال رجل من قضاعة قالت أتعرف الذي يقول
لا يغفرن قضاعي باسرته
فليس من يمن محضا ولا مضر
مذبذبين فلا قحطان والدهم
ولا نزار نخلوهم الى سقر
قال لا والله ما أنا من قضاعة قالت فمن أنت قال رجل من شيبان قالت أتعرف الذي يقول
شيبان قوم لهم عديد
فكلهم مقرف لئيم
ما فيهم ماجد حسيب
ولا نجيب ولا كريم
قال لا والله ما أنا من شيبان قالت فمن أنت قال رجل من بني نمير قالت أتعرف الذي يقول

قال وكان فى يده قضيب فقال والله لو رايته لضربته بهذا القضيب هكذا ثم رفعه ووضعه وبحسبك مما طار لهذين الرجلين من الصيت بالمشرق أنى لما حللت بيت المقدس وعرف به مكانى من الطلب وذلك أنى قصدت قاضيه شمس الدين بن سالم ليضع لى يده على رسم استوجب به هنالك حقا فلما أطلت عليه عرّفه بى بعض من معه فقام الىّ حتى جلست ثم سألنى بعض الطلبة بحضرته فقال لى انكم معشر المالكية تبيحون للشامى يمر بالمدينة أن يتعدى ميقاتها الى الجحفة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن عين المواقيت لاهل الآفاق هن لهن ولمن مر عليهن من غير أهلهن وهذا قد مر على ذى الحليفة وليس من أهله فيكون له فقلت له ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من غير أهلهن أى من غير أهل المواقيت وهذا سلب كلى وانه غير صادق على هذا الفرد ضرورة صدق نقيضه وهو الايجاب الجزئى عليه لانه من بعض أهل المواقيت قطعا فلما لم يتناوله النص رجعنا الى القياس ولا شك أنه لا يلزم أحدا أن يحرم قبل ميقاته وهو يمر به لكن من ليس من أهل الجحفة لا يمر بميقاته اذا مر بالمدينة فوجب عليه الاحرام من ميقاتها بخلاف أهل الجحفة فانها بين أيديهم وهم يمرون عليها فوقعت من نفوس أهل البلد بسبب ذلك فلما عرفت أتانى آت من أهل المغرب فقال لى تعلم أن مكانك فى نفوس أهل هذا البلد مكين وقدرك عندهم رفيع وأنا أعلم تفاضلك عن ابنى الامام فان سئلت فانتسب لهما فقد سمعت منهما وأخذت عنهما ولا تظهر العدول عنهما الى غيرهما فتضع من قدرك فاعما أنت عند هؤلاء الناس خليفتهما ووارث علمهما وأن لا أحد فوقهما *وليس لما تبنى يد الله هادم* وشهدت مجلسا بين يدى السلطان أبى تاشفين عبد الرحمن بن أبى حمو ذكر فيه أبو زيد بن الامام أن ابن القاسم مقلد مقيد النظر باصول مالك ونازعه أبو موسى عمران بن موسى المشذالى وادعى أنه مطلق الاجتهاد واحتج له بمخالفته لبعض ما يرويه ويبلغه عنه لما ليس من قوله وأتى من ذلك بنظائر كثيرة قال فلو تقيد بمذهبه لم يخالفه لغيره فاستظهر أبو زيد بنص لشرف الدين التلمسانى مثل فيه الاجتهاد المخصوص باجتهاد ابن القاسم بالنظر الى مذهب مالك والمزنى الى الشافعى فقال عمران هذا مثال والمثال لا تلزم صحته فصاح به أبو موسى بن الامام وقال لابى عبد الله بن أبى عمرو تكلم فقال لا أعرف ما قال هذا الفقيه الذى أذكره من كلام أهل العلم أنه لا يلزم من فساد المثال فساد الممثل فقال أبو موسى للسلطان هذا كلام اصولى محقق فقلت لهما وأنا يومئذ حديث السن ما انصفتما الرجل فان المثل كما تؤخذ على جهة التحقيق كذلك تؤخذ على جهة التقريب ومن ثم جاء ما قاله هذا الشيخ أعنى ابن أبى عمرو وكيف لا وهذا سيبويه يقول وهذا مثال ولا يتكلم به فاذا صح أن المثال قد يكون تقريبا فلا يلزم صحة المثال ولا فساد الممثل لفساده فهذان القولان من أصل واحد *وشهدت مجلسا آخر عند هذا السلطان قرئ فيه على أبى زيد بن الامام حديث لقنوا موتاكم لا اله الا الله فى صحيح مسلم فقال له الاستاذ أبو اسحق ابن حكم السلوى هذا الملقن محتضر حقيقة ميت مجازا فما وجه ترك محتضريكم الى موتاكم والاصل الحقيقة فاجابه أبو زيد بجواب لم يقنعه وكنت قد قرأت على الاستاذ بعض التنقيح فقلت زعم القرافى ان المشتق انما يكون حقيقة فى الحال مجازا فى الاستقبال مختلفا فيه فى

٣ سقط من جميع النسخ التى بايدينا ما قيل فى تيم كذا بهامش الاصل

قال لا والله ما أنا من نمير قالت فمن أنت قال أنا رجل من تغلب قالت أتعرف الذى يقول
لا تطلبن خؤولة من تغلب
فالزنج أكرم منهم اخوالا
والتغلبى اذا تنحنح للقرى
حك استه وتمثل الامثالا
قال لا والله ما أنا من تغلب قالت فمن أنت قال رجل من مجاشع قالت أتعرف الذى يقول
تبكى الصبية من بنات مجاشع
ولها اذا سمعت نهيق حمار
قال لا والله ما أنا من مجاشع قالت فمن أنت قال رجل من كلب قالت أتعرف الذى يقول
فلا تقربا كلبا ولا باب دارها
فما يطمع السارى يرى ضوء نارها
قال لا والله ما أنا من كلب قالت فمن أنت قال أنا رجل من تيم قالت أتعرف الذى يقول
٣ تيمية
قال لا والله ما أنا من تيم قالت فمن أنت قال رجل من جرم قالت أتعرف الذى يقول
تمنتنى سويق الكرم جرم
وما جرم وماذاك السويق
فما شربوه لما كان حلا
ولا غالوا به فى يوم سوق
فلما أنزل التحريم فيها
اذا الجرمى منه لا يفيق

الماضي اذا كان محكوما به أما اذا كان متعلق الحكم كما هنا فهو حقيقة مطلقا اجماعا وعلى هذا التقرير لا مجاز ولا سؤال لا يقال انه احتج على ذلك بما فيه نظر لانا نقول انه نقل الاجماع وهو أحد الاربعة التي لا يطالب مدعيها بالدليل كما ذكر أيضا بل نقول انه أسامحيث احتج في موضع الوفاق كما أساء اللخمي وغيره في الاحتجاج على وجوب الطهارة ونحوها بل هذا أشنع لكونه مما علم من الدين بالضرورة ثم انا لو سلمنا نفي الاجماع فلنا ان نقول ان ذلك اشارة الى ظهور العلامات التي يعقبها الموت عادة لان تلقينه قبل ذلك ان لم يدهش فقد يوحش فهو تنبيه على وقت التلقين أي لقنوا من تحكمون بانه ميت أو نقول انما عدل عن الاحتضار لما فيه من الابهام ألا ترى اختلافهم فيه هل أخذ من حضور الملائكة أو حضور الاجل أو حضور الجلاس ولا شك أن هذه حالة خفية يحتاج في نصبها دليلا على الحكم الى وصف ظاهر يضبطها وهو ما ذكرناه أو من حضور الموت وهو أيضا مما لا يعرف بنفسه بل بالعلامات فلما وجب اعتبارها وجب كون تلك التسمية اشارة اليها والله تعالى أعلم *كان أبو زيد يقول فيما جاء من الاحاديث من معنى قول ابن أبي زيد واذا سلم الامام فلا يثبت بعد سلامه ولينصرف ان ذلك بعد أن ينتظر بقدر ما يسلم من خلفه لئلا يمر بين يدى أحد وقد ارتفع عنه حكمه فيكون كالداخل مع المسبوق جمعا بين الادلة قلت وهذا من ملح الفقيه *اعترض عند أبي زيد قول ابن الحاجب وابن الآدمي والمباح طاهر بأنه انما يقال في الآدمي لبان فأجاب بالمنع واحتج بقول النبي صلى الله عليه وسلم اللبن للفحل وأجيب بان قوله ذلك لتشريكه المباح معه في الحكم لان اللبان خاص به وليس موضع تغليب لان اللبان ليس بعاقل ولا حجة على تغليب ما يختص بالعاقل *تكلم أبو زيد يوما في مجلس تدريسه في الجلوس على الحرير فاحتج ابراهيم السلوى للمنع بقول أنس فقمت الى حصير لنا قد اسود من طول ما لبس فمنع أبو زيد أن يكون انما أراد باللباس الافتراش فحسب لاحتمال أن يكون انما أراد التغطية معه أو وحدها وذكر حديثا فيه تغطية الحصير فقلت كلا الامرين يسمى لباسا قال الله عز وجل هن لباس لكم وأنتم لباس لهن وفيه بحث *كان أبو زيد يضعف قول الخونجي في الجمل والمقارنات التي يمكن اجتماعها معها في قول والمفارقات ولعله في هذا كما قال أبو عمرو بن العلاء للاصمعي لما قرأ عليه

وغررتني وزعمت أنك لابن بالصيف تامر

فقال

وغررتني وزعمت انك لابن بالضيف تامر

فقال أنت في تصحيفك أشعر من الحطيئة أو كما حكى عمن صلى بالخليفة في رمضان ولم يكن يومئذ يحفظ القرآن فكان ينظر في المصحف فصحف آيات صنعة الله اصيب بها من أساء انما المشركون نحس وعدها أباه تقية الله خير لكم هذا أن دعوا للرحمن ولدا لكل امرئ منهم يومئذ شأن يعنيه *سمعت أبا زيد يقول ان أبا العباس الغماري التونسي أول من أدخل معالم الامام فخر الدين للمغرب وسبب ما فصل به من الفوائد رحل أبو القاسم بن زيتون وسمعته يقول ان ابن الحاجب ألف كتابه الفقهي من ستين ديوانا وحفظت

قال لا والله ما أنا من جرم قالت
اذا ما سليم جئتها بغدائها
رجعت كما قد جئت غرثان جائعا
قال لا والله ما أنا من سليم
قالت فمن أنت قال رجل من الموالي قالت أتعرف الذي يقول
ألا من أراد الفحش واللؤم والخنا
فعند الموالي الجيد والطرفان
قال أخطأت نسبي ورب الكعبة أنا رجل من الحور
قالت أتعرف الذي يقول
لا بارك الله ربي فيكم أبدا
يا معشر الحور ان الحور في النار
قال لا والله ما أنا من الحور
قالت فمن أنت قال رجل من أولاد حام قالت أتعرف الذي يقول
فلا تنكحن أولاد حام فانهم
مشاويه خلق الله حاشا ابن أكوع
قال لا والله ما أنا من ولد حام لكني من ولد الشيطان الرجيم قال فلعنك الله ولعن أباك الشيطان معك أفتعرف الذي يقول
ألا يا عباد الله هذا عدوكم
وهذا عدو الله ابليس فاقتلوا
فقال لها هذا مقام

من وجادة أنه ذكر عند أبي عبد الله بن قطرال المراكشي أن ابن الحاجب اختصر الجواهر فقال ذكر هذا لابي عمرو حين فرغ منه فقال بل ابن شاس اختصر كتابي قال ابن قطرال وهو أعلم بصناعة التأليف من ابن شاس والانصاف أنه لا يخرج عنه وعن ابن بشير الا في الشئ اليسير فهما اصلاه ومعتمداه ولا شك أن له زيادات وتصرفات تنبئ عن رسوخ قدمه وبعد مداه وكان أبو زيد من العلماء الذين يخشون الله حدثني أمير المؤمنين المتوكل بن عنان أن ولده أمير المسلمين أبا الحسن ندب الناس الى الاعانة بأموالهم على الجهاد فقال له أبو زيد لا يصح لك هذا حتى تكنس بيت المال وتصلي ركعتين كما فعل علي بن أبي طالب وسأله أبو الفضل بن أبي مدين الكاتب ذات يوم عن حاله وهو قاعد ينتظر خروج السلطان فقال له أما الآن فانا مشرك فقال اعيذك من ذلك فقال لم أرد الشرك في التوحيد لكن في التعظيم والمراقبة والا فاي شئ جلوسي ههنا والشئ بالشئ يذكر قعدت ذات يوم على باب السلطان بمراكش فيمن ينتظر خروجه فقام الى جانبي شيخ من الطلبة وأنشدني لابي بكر بن خطاب رحمه الله تعالى

ابصرت ابواب الملوك تغص بالراجين ادراك العلا والجاه
مترقبين لها فهما فتحت * خروا الاذقان لهم وجباه
فأنفت من ذاك الزحام واشفقت * نفسي على انضاء جسمي الواهي
ورأيت باب الله ليس عليه من * متزاحم فقصدت باب الله
وجعلته من دونهم لي عدة * وأنفت من غي وطول سفاهي

يقول جامع هذا المؤلف رأيت بخط عالم الدنيا ابن مرزوق على هذا المحل من كلام مولاي الجد مقابل قوله ورأيت باب الله ماصورته قلت ذلك لسعته اولقلة أهله

ان الكرام كثير في البلاد وان * قلوا كما غيرهم قل وان كثروا

قل لا يستوي الخبيث والطيب الآية انتهى (رجع الى كلام مولاي الجد) قال رحمه الله تعالى ورضي عنه وحدثني شيخ من أهل تلمسان انه كان عند ابي زيد مرة فذكر القيامة وأهوالها فبكى فقلت لا باس علينا وأنتم أمامنا فصاح صيحة واسود وجهه وكاد يتفعر دما فلما سرى عنه رفع يديه وطرفه الى السماء وقال اللهم لا تفضحنا مع هذا الرجل وأخباره كثيرة وأما شقيقه أبو موسى فسمعت عليه كتاب مسلم واستفدت منه كثيرا فمما سألته عنه قول ابن الحاجب في الاستلحاق واذا استلحق مجهول النسب الى قوله او الشرع بشهرة نسبه كيف يصح هذا القسم مع فرضه مجهول النسب فقال يمكن أن يكون مجهول النسب في حال الاستلحاق ثم يشتهر بعد ذلك فيبطل الاستلحاق فكانه يقول الحقه ابتداء ودواما مالم يكذبه أحد هذه هي احدى الحالين الا ان هذا انما يتصور في الدوام فقط ومما سألته عنه أن الموثقين يكتبون الصحة والجواز والطوع على مايوهم القطع وكثيرا ماينكشف الامر بخلافه ولو كتبوا امتثالا ظاهر الصحة والجواز والطوع لبرؤا من ذلك فقال لي لما كان مبني الشهادة وأصلها العلم لم يحمل ذكر الظن ولا ما في معناه احتمال فاذا امكن العلم بعض موضع لم يجز أن يحمل على غيره فاذا تعذر كما هنا بني باطن أمرها على غاية مايسعه فيه الامكان عادة

رسول رب العالمين ومن اختاره الله على عباده وعصمه من عدوه وأنت كما قال جرير للفرزدق

وكنت اذا حللت بدار قوم * رحلت بخزية وتركت عارا

فقال لها والله لا أنشدت بيت شعر أبدا (فقال السفاح) لئن كنت قلت هذا الخبر ونظمت فيمن ذكرت هذه الاشعار فلقد أحسنت وأنت سيد الكاذبين وان كان الخبر صدقا وكنت فيما ذكرته محقا فان هذه الجارية العامرية لمن أحضر الناس جوابا وأبصرهم بمثالب الناس (قال المسعودي) وللسفاح أخبار غير هذه و أسمار حسان قد أتينا على مبسوطها في أخبار الزمان والاوسط

(ذكر خلافة أبي جعفر المنصور)

وبويع أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وهو بطريق مكة أخذ له البيعة عمه عيسى ابن علي ثم لعيسى بن موسى من بعده يوم الاحد لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة والمنصور يومئذ ابن احدى وأربعين سنة وكان مولده في ذي الحجة سنة خمس وتسعين وكانت أمه أم ولد يقال لها سلامة

واجرى ظاهره على ما بنا في اصلها صيانة لرونقها ورعاية لما كان ينبغي أن تكون عليه لولا الضرورة قلت ولذلك عقد ابن فتوح وغيره عقود الجوائح على ما يوهم العلم بالتقدير مع أن ذلك انما يدرك بما غايته الظن في الحزر والتخمين وكانا معا يذهبان الى الاختيار وترك التقليد (وممن اخذت عنه أيضا حافظها ومدرسها ومفتيها ابو موسى عمران بن موسى بن يوسف المشذالي) صهر شيخ المدرسين أبي علي ناصر الدين على ابنته وكان قد فر من حصار بجاية فنزل الجزائر فبعث فيه أبو تاشفين وأنزله من التقريب والاحسان بالمحل المكين فدرس بتلمسان الحديث والفقه والاصلين والنحو والمنطق والجدل والفرائض وكان كثير الاتساع في الفقه والجدل مديد الباع فيما سواهما ماذا كرسالته من قول ابن الحاجب في السهو فان اخال الاعراض فبطل عمده فقال معناه فان اخال غيره أنه معرض فحذف المفعول لجوازه وأقام المصدر مقام المفعولين كما يقوم مقامه ما في معناه من أن وأن قال الله العظيم الم أحسب الناس أن يتركوا قلت وأقوى من هذا أن يكون المصدر هو المفعول الثاني وحذف الثالث اختصار الدلالة المعنى عليه أي فان اخال الاعراض كائنا كما قالوا خلت ذلك وقد أعربت الآية بالوجهين وهذا عندي أقرب ومن هذا الباب ما يكتب به القضاة من قولهم أعلم باستقلاله فلان أي أعلم فلان من يقف عليه بان الرسم مستقل فحذفوا الاول وصاغوا اما بعده المصدر * سئل عمران وأنا عنده عما صبغ من الثياب بالدم فكانت حمرته منه فقال يغسل فان لم يخرج شئ من ذلك في الماء فهو طاهر لان المتعلق به على هذا التقدير ليس الا لون النجاسة واذا عسر قلعه بالماء فهو عفو والا وجب غسله الى أن لا يخرج منه شئ قلت في البخاري قال معمر رأيت الزهري يصلي فيما اصبغ بالبول من ثياب اليمن وتفسيره على ماذكره عمران وكان قد صاهر لقاضي الجماعة أبي عبد الله بن هربة على ابنته فلم تزل عنده الى أن توفي عنها (ومنهم) مشكاة الانوار الذي يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار الاستاذ أبو اسحق ابراهيم بن حكم السلوي رحمه الله تعالى ورد تلمسان بعد العشرين ثم لم يزل بها الى أن قتل يوم دخلت على بني عبد الواد وذلك في الثامن والعشرين من شهر رمضان عام سبعة وثلاثين وسبعمائة قال لي الشيخ ابن مرزوق ابتدأ أمر بني عبد الواد بقتلهم لابي الحسن السعيد وكان أسمر لأم ولد تسمى العنبر وختم بقتل أبي الحسن بن عثمان اياهم وهو بصفته المذكورة حذو النعل بالنعل فسبحان من دقت حكمته في كل شئ ولما وقف الرفيقان أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري ومحمد بن عبد الرحمن بن الحكيم الرندي في رحلتهما على قبر السعيد بعباد تلمسان تناول ابن الحكيم فحمة ثم كتب بها على جدار هنالك

انظر فني اليك اليوم معتبر * ان كنت ممن بعين الفكر قد لحظا
بالامس أدعى سعيدا والورى خولي * واليوم يدعى سعيدا من بي اتعظا

قال ابن حكم كان أول اتصالي بالاستاذ أبي عبد الله بن آجروم أني دخلت عليه وقد حفظت بعض كتاب المفصل فوجدت الطلبة يعربون بين يديه هذا البيت

عهدي به الحي الجميع وفيهم * قبل التفرق ميسر وندام

وقد عمي عليهم خبر عهدي فقلت له قد سدت الحال وهي الجملة بعده مسده فقال لي بعض

بربيه وكانت وفاته يوم اثنتين وعشرين سنة الا تسعة أيام وهو حاج عند وصوله الى مكة في الموضع المعروف ببستان بني عامر من جادة العراق ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة ودفن بعلة مكشوف الوجه لانه كان محرما وقيل انه مات بالبطحاء عند بئر ميمون ودفن بالحجون وهو ابن خمس وستين سنة والله أعلم

(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه)

ذكر عن سلامة أم المنصور انها قالت رأيت المنامات بابي جعفر كأن أسدا خرج من قبلي فاقعى وزأر وضرب بذنبه فاقبلت اليه الاسد من كل ناحية فكلما انتهى اليه أسد منها سجد له (حدث) علي بن محمد المدائني ان المنصور قال صحبت رجلا ضريرا الى الشأم وكان يريد مروان ابن محمد بشعر قاله فيه قال فسألته ان ينشدني فانشدني ليت شعري افاح رائحة المسك وما ان اخال بالخيف انسي

حين غابت بنو امية عنه * والبهاليل من بني عبد شمس خطباء على المنابر فرسا * ن عليها وقالة غير خرس

الطلبة وهل يكون هذا في الجملة كما كان في قولك ضربي زيدا قائما فقلت له نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد * ذكر أبو زيد بن الامام يوما في مجلسه أنه سئل بالمشرق عن هاتين الشرطيتين ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون فانهما يستلزمان بحكم الانتاج لو علم الله فيهم خيرا لتولوا وهو محال ثم أراد أن يرى ما عند الحاضرين فقال ابن حكم قال الخونجي والاهمال باطلاق لفظ لو وان في المتصلة فهاتان القضيتان على هذا مهملتان والمهملة في قوة الجزئية ولا قياس عن جزئيتين فلما اجتمعت ببجاية بأبي علي حسين بن حسين وأخبرته بهذا وبما أجاب به الزمخشري وغيره مما يرجع الى انتفاء تكرر الوسط قال لي الجوابان في المعنى سواء لان القياس على الجزئيتين انما امتنع لانتفاء أمر تكرر الوسط فأخبرت بذلك شيخنا الابلي فقال انما يقوم القياس على الوسط ثم يشترط فيه بعد ذلك أن لا يكون من جزئيتين ولا سالبتين الى سائر ما يشترط فقلت ما المانع من كون هذه الشروط تفصيلا لمجمل ما ينبني عليه من الوسط وغيره والا فلا مانع غير ما قاله ابن حسين قال الابلي وقد أجبت بجواب السلوي ثم رجعت الى ما قاله الناس لوجوب كون مهملات القرآن كلية لان الشرطية لا تنتج جزئية فقلت هذا فيما يساق منها للحجة مثل لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا أما في مثل هذا فلا ولما ورد تلمسان الشيخ الاديب أبو الحسن ابن فرحون نزيل طيبة على تربتها السلام سأل ابن حكم عن معنى هذين البيتين

رأت قمر السماء فاذكرتني * ليالي وصلها بالرقمتين
كلانا ناظر قمرا ولكن * رأيت بعينها ورأت بعيني

ففكر ثم قال لعل هذا الرجل كان ينظر اليها وهي تنظر الى قمر السماء فهي تنظر الى القمر حقيقة وهو لافراط الاستحسان يرى أنها الحقيقة فقد رأى بعينها لانها ناظرة الحقيقة وأيضا فهو ينظر الى قمر مجازا وهو لافراط الاستحسان لها يرى أن قمر السماء هو المجاز فقد رأت بعينه لانها ناظرة المجاز (قلت) ومن ههنا تعلم وجه الفاء في قوله فأذكرتني لانه لما صارت رؤيتها رؤيته وصار القمر حقيقة اياها كان قوله رأت قمر السماء فاذكرتني بمثابة قولك أذكرتني فتامله فان بعض من لا يفهم كلام الاستاذ حق الفهم ينشده وأذكرتني فالفاء في البيت الاول مبنية على معنى البيت الثاني لانها مبنية عليه وهذا النحو يسمى الايذان في علم البيان ولما اجتمعنا بأبي الوليد بن هانئ مقدمه علينا من غرناطة سأل ابن حكم عن تكرار من في قوله تعالى سواء منكم من أسر القول ومن جهر به دون ما بعدها فقال لولا تكررها أولا لتوهم التضاد بتوهم اتحاد الزمان فارتفع بتكرار الموضوع أما الآخر فقد تكرر للزمان فارتفع توهم التضاد فلم يحتج الى زائد على ذلك فقلت فهلا اكتفى بسواء عن تكرار الموضوع لان التسوية لا تقع الا بين امرين وانما الجواب عندي انها تكررت أولا على الاصل لانهما صنفان يستدعيها كل واحد منهما أن تقع عليه ثم اختصرت ثانيا لفهم المراد من التفصيل بالاول مع امن اللبس وقد أجاب الزمخشري بغير هذين فانظره * سألني ابن حكم المذكور عن نسب المحيب في هذا البيت

لا يعابون قائلين وان قا * لوا اصابوا ولم يقولوا بلبس وحلوم اذا الحلوم استخفت * ووجوه مثل الدنانير ملس

قال المنصور فوالله ما فرغ من شعره حتى ظننت ان العمى ادركني وكان والله ممتع الحديث حسن الصحبة قال وحججت سنة احدى واربعين ومائة فنزلت على الجاز في جبلي زرود في الرمل امشي لنذر كان علي فاذا انا بالضرير فاومأت الى من كان معي تاخروا فتاخروا ودنوت منه فاخذت بيده فسلمت عليه فقال من انت جعلني الله فداك فما اثبتك معرفة قلت رفيقك الى الشام في ايام بني امية وانت متوجه الى مروان فسلم علي وتنفس وانشا يقول

آمت نساء بني امية منهم * وبناتهم بمضيعة أيتام
نامت جدودهم وأسقط نجمهم * والنجم يسقط والجدود نيام
خلت المنابر والاسرة منهم * فعليهم حتى الممات سلام

فقلت له كم كان مروان أعطاك فقال أغناني فلا أسال أحدا بعده فقلت كم فقال أربعة آلاف دينار وخلع وحملان قلت وأين ذاك قال بالبصرة قلت أثبتني معرفة فقال أما معرفة الصحبة فقد

لعمري وأما معرفة النسب فلا فقلت أنا أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين فوقع عليه الانكاء وقال

ومهفهف الاعطاف قلت له انتسب * فاجاب ماقتل المحب حرام

ففكرت ثم قلت أراه نحى الالغاثه ما النافية فاستحسنه منى لصغرسنى يومئذ* تذاكرت يوما مع ابن حكم فى تكملة البدر بن محمد بن مالك لشرح التسهيل لابيه ففضلت عليه كلام أبيه ونازعنى الاستاذ فقلت *عهود من الآ با توارثها الابنا* فما رأيت باسرع من أن قال

بنوا مجدها لكن بنوهم لها أبنا

فبهت من العجب وتوفى الشيخ ابن مالك سنة اثنتين وسبعين وستمائة وفيها ولد شيخنا عبد المهيمن الحضرمى فقيل مات فيها امام نحو وولد فيها امام نحو* سالت ابن حكم عن قول فخر الدين فى أول المحصل وعندى أن شيأ منها غير مكتسب بمعنى لاشئ ولا واحد هل له أصل فى العربية أو هو كما قيل من بقايا عجمته فقال لى بل له أصل وقد حكى ابن مالك مثله عن العرب فلم يتفق أن أستوقفه عليه ثم لم أزل استكشف عنه كل من أظن أن لديه شيأ منه فلم أجد من عنده اثارة منه حتى مر لى فى باب الافعال الداخلة على المبتدا والخبر الداخل عليها كان من شرح التسهيل قوله فان تقدم على الاستفهام احد المفعولين نحو علمت زيدا أبو من هو اختير نصبه لان الفعل مسلط عليه بلا مانع ويجوز رفعه لانه والذى بعد الاستفهام شئ واحد فى المعنى فكانه فى حيز الاستفهام والاستفهام مشتمل عليه وهو نظير قوله ان احدا لا يقول ذلك واحد هذا لا يقع الا بعد نفى ولكن لما كان هنا والضمير المرفوع بالقول شيأ واحدا فى المعنى تنزل منزلة واقع بعد نفى فعلمت انه نحا الى هذا لان شيأ ههنا والضمير المرفوع مكتسب النفى فى المعنى شئ واحد فكان شيأ كانه وقع بعد غير اى بعد النفى* سأل ابن فرحون ابن حكم هل تجد فى التنزيل ست فاآت مرتبة ترتيبها فى هذا البيت

رأى فحب فرام الوصل فامتنعت * فسام صبرا فاعيا نيله فقضى

ففكر ثم قال نعم فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون الى آخره فنعت له الثامن فتنادوا فقال لابن فرحون فهل عندك غيره فقال نعم فقال لهم رسول الله الى آخر السورة فنعم له بناء الآخرة لقراءة الواو فقلت له اسمع ولا تسند فيقال للثان المعانى قد تختلف باختلاف الحروف وان كان السند لا يسمع الكلام عليه وأكثر ما وجدت الفاء تنتهى فى كلامهم الى هذا العدد سواء بهذا الشرط وبدونه كقول نوح عليه السلام فعلى الله توكلت الآية وكقول امرئ القيس غشيت ديار الحى بالبكرات البيتين لا يقال فالحسابع لانا نقول انه عطف على عاقل المجرد منها ولعل حكمة الستة انها أول الاعداد التامة كما قيل فى حكمة خلق السموات والارض فيها وشأن اللسان عجيب وقوله فى هذا البيت فحب لغة قليلة جرى عليها محبوب كثيرا حتى استغنى به عن محب فلا تكاد تجده الا فى قول عنترة

ولقد نزلت فلا تظنى غيره * منى بمنزلة المحب المكرم

ونظيره محسوس من حس والاكثر أحس ولا تكاد تجد محسا وهذا التوجيه أحسن من قول القرافى فى شرح التنقيح أجروا محسوسات مجرى معلومات لان الحس أحد طرق العلم (سمعت) ابن حكم يقول بعث بعض أدباء فاس الى صاحب له

ابعث الى بشئ * مدار فاس عليه

يا أمير المؤمنين اعذر فان ابن عمك محمدا صلى الله عليه وسلم قال جبلت النفوس على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها قال أبو جعفر فهممت والله به ثم تذكرت الحرمة والصحبة فقلت للمسيب اطلقه ثم بدا لى فى مسامرته رأى فامرت بطلبه فكأن البيداء أبادته (وحدث الربيع) قال اجتمع عند المنصور عيسى بن على وعيسى بن موسى ومحمد بن على وصالح بن على وقثم بن العباس ومحمد ابن جعفر ومحمد بن ابراهيم فذكروا خلفاء بنى أمية وسيرهم وتدبيرهم والسبب الذى به سلبوا عزهم فقال المنصور أما عبد الملك فكان جبارا لا يبالى ما صنع وأما سليمان فكان همته بطنه وفرجه وأما عمر فكان أعور بين عميان وكان رجل القوم هشام ولم تزل بنو أمية ضابطين لما مهد لهم من السلطان يحوطونه ويحفظونه ويصونون ما وهب الله لهم منه مع تسنمهم معالى الامور ورفضهم أدانيها حتى افضى الامر الى ابنائهم المترفين فكانت همتهم قصد الشهوات وركوب اللذات من معاصى الله جل وعز جهلا منهم باستدراجه وامنا منهم لمكره مع اطراحهم صيانة الخلافة واستخفافهم بحق الرياسة وضعفهم عن السياسة

وليس

وليس عندك شيء * مما أشير اليه

فبعث اليه ببطة من مري يشير بذلك الى الرياء وحدثت أن قاضيا أبا محمد عبد الله بن أحمد بن المهوم حضر وليمة وكان كثير البلغم فوضع بين يديه صهره أبو العباس بن الاشقر غضارا من اللون المطبوخ بالمري لمناسبته لمزاجه فخاف أن يكون قد عرض له بالرياء وكان ابن الاشقر يذكر بالوقوع في الناس فناوله القاضي غضار المقروض فاستحسن الحاضرون فطنته

(ومنهم عالم الصلحاء وصالح العلماء وجليس النزيل وحليف البكاء والعويل أبو محمد عبد الله بن عبد الواحد بن ابراهيم بن الناصر المجاصي) خطيب جامع القصر الجديد وجامع خطتي التحديث والتجويد يسميه أهل مكة البكاء ولما قدم أبو الحسن علي بن موسى البحيري سأل عنه فقيل له لو علم بك أتاك فقال أنا آتي من سمعت سيدي أبا زيد الهزميري يقول له لاول ما رآه ولم يكن يعرفه قبل ذلك مرحبا بالفتى الخاشع أسمعنا من قراءتك الحسنة دخلت عليه بالفقيه أبي عبد الله السطي في أيام عيد فقدم لنا طعاما فقلت لو أكلت معنا فرجونا بذلك ما يرفع من حديث من أكل مع مغفور له غفر له فتبسم وقال لي دخلت على سيدي أبي عبد الله الفاسي بالاسكندرية فقدم طعاما فسألته عن هذا الحديث فقال وقع في نفسي منه شيء فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فسألته عنه فقال لي لم أقله وأرجو أن يكون كذلك وصافحته بمصافحته الشيخ أبا عبد الله زيان بمصافحته أبا سعيد عثمان بن عطية الصعيدي بمصافحته أبا العباس أحمد الملثم بمصافحته المعمر بمصافحته رسول الله صلى الله عليه وسلم * وسمعته يحدث عن شيخه أبي محمد الدلاصي أنه كان للملك العادل مملوك اسمه محمد فكان يخصه لدينه وعقله بالنداء باسمه وانما كان ينعق بمماليكه يا ساقي يا طباخ يا ما بن فناداه به ذات يوم يا فراش فظن ذلك لموجدة عليه فلما لم ير أثر ذلك وتصورت له به خلوة سأله عن مخالفته لعادته معه فقال لا عليك كنت حينئذ جنبا فكرهت ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الحالة * ومما نقلته من خط المجاصي ثم قرأته عليه حدثني به قال حدثني القاضي أبو زكريا يحيى بن محمد ابن يحيى بن أبي بكر بن عصفور قال حدثني جدي يحيى المذكور أخبرنا محمد بن عبد الرحمن التجيبي المقرى بتلمسان حدثنا الحافظ أبو محمد يعني والله أعلم عبد الحق الاشبيلي أخبرنا أبو غالب أحمد بن الحسن المستعمل أخبرنا أبو الفتوح عبد الغافر بن الحسين بن أبي الحسن بن خلف الالمعي أخبرنا أبو نصر أحمد بن اسحق النيسابوري املى علينا أبو عثمان اسمعيل بن عبد الرحمن الصابوني أخبرنا محمد بن علي بن الحسين العلوي أخبرنا عبد الله بن اسحق اللغوي وانا سألته أخبرنا ابراهيم بن الهيثم البلدي أخبرنا عبد الله بن نافع بن عيسى بن يونس عن الاعمش عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي جبريل الا أعلمك الكلمات التي قالهن موسى حين انفلق له البحر قلت بلى قال قل اللهم لك الحمد واليك المشتكى وبك المستغاث وأنت المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله قال ابن مسعود فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تسلسل الحديث على ذلك كل أحد من رجاله يقول ما تركتهن منذ سمعتهن من فلان لشيخه وقد سمعت المجاصي يكررها كثيرا وما تركتهن منذ سمعتهن منه * وانشدني المجاصي قال انشدني نجم الدين الواسطي انشدني شرف

فسلبهم الله العز والبسهم الذل ونفى عنهم النعمة فقال صالح بن علي يا امير المؤمنين ان عبد الله بن مروان لما دخل أرض النوبة هاربا فيمن اتبعه سأل ملك النوبة عن حالهم وهيئتهم فركب الى عبد الله ليسأله عن شيء من امورهم والسبب الذي به زالت النعمة عنهم وكلمه بكلام سقط عني حفظه ثم أشخصه عن بلده فان راى امير المؤمنين ان يدعو به ليحدثه امره فعل فامر المنصور باحضاره في مجلسه فلما مثل بين يديه قال له يا عبد الله قص علي قصتك وقصة ملك النوبة قال يا امير المؤمنين قدمت الى النوبة فاقمت بها ثلاثا فاتاني ملكها فقعد على الارض وقد اعددت له فراشا فقلت له ما منعك من القعود على فراشنا فقال لاني ملك وحق لكل ملك ان يتواضع لعظمة الله عز وجل اذ رفعه الله ثم قال لم تشربون الخمر وهي محرمة عليكم في كتابكم فقلت اجترأ على ذلك عبيدنا واتباعنا قال فلم تطؤون الزرع بدوابكم والفساد محرم عليكم في كتابكم فقلت فعل ذلك عبيدنا وأتباعنا لجهلهم قال فلم تلبسون الديباج والحرير والذهب وهو محرم عليكم في كتابكم ودينكم فقلت ذهب منا الملك فانتصرنا بقوم من العجم دخلوا في ديننا فلبسوا

الدين الدمياطي انشدني تاج الدين الارموي مؤلف الحاصل قال انشدني الامام فخر الدين لنفسه

نهاية اقدام العقول عقال * واكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا * وحاصل دنيانا اذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا * سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
وكم من رجال قد رأينا ودولة * فبادوا جميعا مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها * رجال فاتوا والجبال جبال

وتوفي الحاصي في العشر الآخر من شهر ربيع الاول عام احد وأربعين وستمائة (ومنهم الشيخ الشريف القاضي الرحلة المعمر ابو على حسن بن يوسف بن يحيى الحسني السبتي) ادرك ابا الحسين بن ابي الربيع وابا القاسم الغرفي واختص بابن عبيدة وابن الشاط ثم رحل الى المشرق فلقي ابن دقيق العيد وطبقته ثم قفل فاستوطن تلمسان الى أن مات بها سنة اربع وخمسين او ثلاث وخمسين وسبعمائة قرأ علينا حديث الرحمة وهو أول حديث سمعته منه حدثنا الحسن بن على بن عيسى بن الحسن اللخمي وهو أول حديث سمعته منه أخبرنا على بن المظفر بن القاسم الدمشقي وهو أول حديث سمعته منه أخبرنا أبو الفرج محمد بن عبد الرحمن ابن ابي العز الواسطي وهو اول حديث سمعته منه اخبرنا ابو العز عبد المغيث بن زهير وهو اول حديث سمعته منه أخبرنا زاهر بن طاهر بن محمد الشحامي وهو اول حديث سمعته منه (ح) قال الحسن بن على وحدثنا أيضا ابو الحسن بن محمد البكري وهو اول حديث سمعته منه اخبرنا ابو الفتوح محمد بن محمد بن محمد بن الجنيد الصوفي وهو اول حديث سمعته منه اخبرنا زاهر بن طاهر وهو اول حديث سمعته منه اخبرنا ابو الفضل عبد الرحمن بن ابى الفضائل عبد الوهاب بن صالح عرف بابن المعزم امام جامع همذان بها وهو اول حديث سمعته منه اخبرنا أبو منصور عبد الكريم بن محمد بن حامد المعروف بابن الخيام وهو اول حديث سمعته منه اخبرنا ابو صالح احمد بن عبد الملك وهو اول حديث سمعته منه حفظا اخبرنا ابو الطاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي وهو اول حديث سمعته منه أخبرنا أبو حامد احمد بن محمد بن يحيى بن هلال البزار وهو أول حديث سمعته منه أخبرنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم وهو أول حديث سمعته منه أخبرنا سفيان بن عيينة وهو أول حديث سمعته منه عن عمرو ابن دينار عن أبي قابوس مولى لعبد الله بن عمرو بن العاص عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء (ح) وحدثني الشريف أيضا كذلك بطريقه عن السلفي بأحاديثه المشهورة فيه وهذا الحديث أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قال لي الشريف قال لي القاضي أبو العباس الرندي لما قدم أبو العباس بن الغماز من بلنسية نزل بجاية فجلس بها في الشهود مع عبد الحق بن ربيع فجاء عبد الحق يوما وعليه برنس أبيض وقد حسنت شارته وكملت هيأته فلما نظر اليه ابن الغماز أنشده

لبس البرنس الفقيه فباهى * ورأى أنه المليح فتاها

ذلك على الكره منا فاطرق الى الارض يقلب يده مرة وينكت فى الارض أخرى ويقول عبيدنا وأتباعنا واعاجم دخلوا علينا فى ديننا ثم رفع رأسه فقال ليس كما ذكرت بل انتم قوم استحللتم ما حرم الله وركبتم ما عنه نهيتم وظلمتم فيما ملكتم فسلبكم الله العز وألبسكم الذل بذنوبكم ولله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها فيكم وانا خائف ان يحل بكم العذاب وانتم ببلدي فينالني معكم وانما الضيافة ثلاث فتزود ما احتجت اليه وارحل عن ارضي ففعلت فتعجب المنصور واطرق مليا فرق له وهم باطلاقه فاعلمه عيسى بن على أن في عنقه بيعة له فاعاده الى الحبس (قال المسعودي) ولعشر سنين خلت من خلافة المنصور توفي أبو عبد الله محمد بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب رضي الله عنهم سنة ثمان واربعين ومائة ودفن بالبقيع مع ابيه وجده وله خمس وستون سنة وقيل انه سم وعلى قبورهم في هذا الموضع من البقيع رخامة عليها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله مبيد الامم ومحيي الرمم هذا قبر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدة نساء العالمين وقبر الحسن بن على بن أبي طالب وعلى بن الحسين بن على بن أبي طالب ومحمد

لو زليخا رأته حين تبدى * لتمنته أن يكون فتاها

وبه أن ابن الغماز جلس لارتقاب الهلال بجامع الزيتونة فنزل الشهود من المئذنة وأخبروا أنهم لم يهلوه وجاء حفيد له صغير فأخبره أنه أهله فردهم معه فأراهم إياه فقال ما أشبه الليلة بالبارحة وقع لنا مثل هذا مع أبي الربيع بن سالم فأنشدنا فيه

توارى هلال الافق عن أعين الورى * وأرخى حجاب الغيم دون محياه

فلما تصدى لارتقاب شقيقه * تبدى له دون الانام حياه

سمعت الشريف يقول أول زجل عمل في الدنيا

بالله يا طير مد الل * مرجى وسط القفار

ابالك تجدد لعاده * ترمي حجيره في داري

(ومنهم قاضي جماعتها وكاتب خلافتها وخطيب جامعها أبو عبد الله محمد بن منصور بن علي ابن هدية القرشي) من ولد عقبة بن نافع الفهري نزلها سلفه قديماً وخلفه بها الى الآن توفي في أواسط سنة خمس وثلاثين وسبعمائة وشهد جنازته سلطانها أبو تاشفين وولي ابنه أبا علي منصوراً مكانه يومئذ ولما ثقل لسانه دعا ابنه هذا فقال له اكتب هذين البيتين فاني نظمتهما على هذه الحالة فكتب

الهي مضت للعمر سبعون حجة * جنيت بها ما جنيت الدواهيا

وعبدك قد أمسى عليل ذنوبه * فخذلي برحمى منك تمح الدواهيا

ولما ورد الاديب أبو عبد الله محمد بن محمد المكودي من المغرب رفع اليه قصيدة أولها

سرت والدجى لم يبق الا يسيرها * نسيم صبا يحيي القلوب مسيرها

وفيها الابيات العجاب التي سارت سير الامثال وهي قوله

وفي الكلة الحمراء حمراء لو بدت * لشكلي لولي شكلها وثبورها

فما يستوي مثوى لها من سوى القنا * خيام ومن بيض الصفاح ستورها

وما يستوي صدق الغرام أزورها * ولا يستوي زور الخيال أزورها

فأحسن اليه وكلم السلطان حتى أرسل جرايته عليه وقد شهدت المكودي وهذه القصيدة تقرأ عليه (ومنهم القاضي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن أبي عمرو التميمي) أدرك ابن زيتون وأخذ عن أبي الطاهر بن سرور وحليته وعنه أخذت شرح المعالم له وولي القضاء بتلمسان مرات فلم تستفزه الدنيا ولا باع الفقر بالغنى (ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد النور) قاضي الجماعة بعد ابن أبي عمرو وكانت له رحلة الى المشرق لقي بها جلال الدين القزويني وحليته وتوفي بتونس في الوباء العام في حدود الخمسين وسبعمائة (ومنهم الشيخ أبو عبد الله محمد بن الحسين البروني) قدم عليها من الاندلس فأقام الى ان مات سمعته يقول البقر العدوية كالابل المهملة في الصحراء لا يجوز أن تباع بالنظر اليها لكن بعد أن تمسك ويستولى عليها (ومنهم أبو عمران موسى المصمودي الشهير بالبخاري) سمعت البروني يقول كان الشيخ أبو عمران يدرس صحيح البخاري ورفيق له يدرس صحيح مسلم فكانا يعرفان بالبخاري ومسلم فشهدا عند قاض فطلب المشهود عليه الاعذار فيهما فقال له أبو عمران

الباهلي ثم استوزر أبا أيوب النوراني الحوري وكان له بأبي جعفر أسباب منها أنه كان يكتب لسليمان بن حبيب بن المهلب وقد كان سليمان ضرب المنصور بالسوط في أيام الامويين وأراد هتكه فخلصه كاتبه أبو أيوب من يده فكانت سببه به فلما استوزره اتهم بأشياء منها احتجار الاموال وسوء النية فكان على الايقاع به وتطاول ذلك فكان كلما دخل عليه ظن انه سيوقع به ثم يخرج سالماً فقيل انه كان معه دهن قد عمل فيه شئ من السحر يطليه على حاجبيه اذا أراد الدخول على المنصور فسار في العامة دهن أبي أيوب لما ذكرنا ثم أوقع به واستكتب ابان بن صدقة الى أن مات وذكر لابي جعفر تدبير هشام في حرب كانت له فبعث الى رجل كان ينزل رصافة هشام يسأله عن تلك الحرب فقدم عليه رجل فقال له أنت صاحب هشام فقال نعم يا أمير المؤمنين قال فاخبرني كيف فعل في حرب دبرها في سنة كذا وكذا قال فعل رضي الله عنه فيها كذا وكذا وفعل رحمه الله كذا وكذا فاغاظ ذلك المنصور فقال له قم عليك غضب الله تطأ بساطي وتترحم على عدوي فقام

أمكنه من الاعذار في الصحيحين فضحك القاضي واصلح بين الخصمين سألته عما ضربه ابن هدية عليه من اباحة الاستياك في رمضان بقشر الجوز فقال لي نعم و يبلغ ريقه تأول رحمه الله تعالى ان الحصال المذكورة في السواك انما تجتمع في الجوز فكان يحمل كل ماروى فيه عليه وهذا غلط فاحش لان العرب لا تكاد تعرفه ونظر الى ما في البخاري من قوله بعد أن ذكر جواز السواك للصائم ولا بأس أن يبتلع ريقه يعني الصائم في الجملة فحمله على المستاك بالجوز وكان رحمه الله تعالى قليل الاصابة في الفتيا كثير المصائب عليها * (ومنهم نادرة الاعصار أبو عبد الله محمد بن يحيى بن علي بن النجار) قال لي العلامة الابلي ماقرأ احد علي حتى قلت له لم أبق عندي ما أقول لك غير ابن النجار * سمعت ابن النجار يقول رعمل الموقتين على تساوي فضلتي ما بين المغرب والعشاء والفجر والشمس فيؤذنون بالعشاء لذهاب ثماني عشرة درجة و بالفجر لبقائها وهو الجاري على مذهب مالك أن الشفق الحمرة وأن تكون فضلة ما بين العشاء من اقصر لان الحمرة ثانية الغوارب والطوالع فتزيد فضلة الفجر بمقدار ما بين ابتداء طلوع الحمرة والشمس فعرضت كلامه هذا على المزوار أبي زيد عبد الرحمن بن سليمان اللعاثي فصوبه * وذكرت يوما حكاية ابن رشد الاتفاق في الخمر اذا تخللت بنفسها انها تطهر واعترضته بما في الاكمال عن ابن وضاح أنها لا تطهر فقال لي لا معتبر بقول ابن وضاح هذا لانه يلزم عليه تحريم الخل لان العنب لا يصير خلا حتى يكون خمرا وفيه بحث * وذكرت يوما قول ابن الحاجب فيما يحرم من النساء بالقرابة وهي أصول وفصول وفصول أول أصوله وأول فصل من كل أصل وان علا فقال ان تركب لفظ التسمية العرفية من الطرفين حلت والا حرمت فتأملته فوجدته كما قال لان أقسام هذا الضابط أربعة التركب من الطرفين كابن العم وابنة العم مقابله كالاب والبنت التركب من قبل الرجل كابنة الاخ والعم مقابله كابن الاخت والخالة * وأنشدت يوما عنده على زيادة اللام

باعد أم العمرو من اسيرها البيت فقال لي ومايدريك أنه أراد العمر الذي أراده المعري بقوله

وعمر هند كأن الله صوره * عمرو بن هند يعني الناس تعنتا

وأضاف اللام اليه كما قالوا أم الحليس قلت ولا يندفع هذا بثبوت كون المغنية تكنى أم عمرو لان ذلك لا يمنع ارادة المعنى الآخر فتكون أم عمرو وأم العمر قال ابن النجار بعثت بهذه الابيات من نظمي الى القاضي أبي عبد الله بن هدية فاخرج لغزها

ان حروف اسم من كلفت به * خفت على كل ناطق بفم
سائغة سهلة مخارجها * من أجل هذا ازداد في الكلم
صحفه ثم اقلبن مصحفه * فهل ذكي مهذب فهم
واطلبه في الشعر جد مطلبه * تجده كالصبح لاح في الظلم
فان تأملت بت منه على * علم والافانت عنه عمي

واللغز سلمان وموضعه تاملت بت وتوفي رحمه الله تعالى بتونس أيام الوباء العام * (ومنهم الاستاذ المقرئ الراوية الرحلة أبو الحسن علي بن أبي بكر بن سبع بن مزاحم المكناسي) ورد علينا من المشرق فاقام معنا أعواما ثم رحل الى فاس فتوفي بها في الوباء العام جمعت عليه السبع

كيف قلت قال انه كفاني الطلب وصان وجهي عن السؤال فلم أقف على باب عربي ولا عجمي منذ رأيته أفلا يجب لي أن اذكره بالخير وأتبعه بثنائي فقال بلى لله أم نهضت عنك أشهد أنك نهيض حرة وغراس كريم ثم استمع منه وأمر له بجائزة فقال يا أمير المؤمنين ما آخذها لحاجة وما هو الا أن أتبجح بحبائك وأتشرف بصلاتك فاخذ الصلة فقال له المنصور مت اذا شئت لله أنت لو لم يكن لقومك غيرك كنت قد أبقيت لهم مجدا وقال لجلسائه بعد خروجه عنه في مثل هذا تحسن الصنيعة ويوضع المعروف ويجاد بالمصون وأين في عسكر نامثله ودخل معن ابن زائدة على المنصور فلما نظر اليه قال هيه يا معن تعطي مروان بن أبي حفصة مائة ألف درهم على قوله معن بن زائدة الذي زيدت به شرفا على شرف بنو شيبان فقال كلا يا أمير المؤمنين انما أعطيته على قوله

مازلت يوم الهاشمية معلنا
بالسيف دون خليفة الرحمن

فمنعت حوزته وكنت وقاءه * من وقع كل مهند وسنان فقال أحسنت يا معن وكان معن من أصحاب عمر

السبع وقرأت عليه البخاري والشاطبيتين وغير ذلك فاما البخاري فحدثني به قراءة منه على
أحمد بن الشحنة الحجار سنة ثلاثين وسبعمائة وكان الحجار قد سمعه على ابن الزبيدي سنة
ثلاثين وستمائة وهذا مما لا يعرف له نظير في الاسلام وقد قال عبد الغني الحافظ لا نعرف في
الاسلام من وازاه عبد الله بن محمد البغوي في قدم السماع فانه توفي سنة سبع عشرة وثلثمائة
قال ابن خلاد سمعناه يقول أخبرنا اسحق بن اسمعيل الطالقاني سنة خمس وعشرين ومائتين
وسمعه ابن الزبيدي على أبي الوقت بسنده قال لي ابن مزاحم هذا طريق كله سماع وأما
الشاطبيتان فحدثني بهما قراءة عليه بجميعهما عن بدر الدين بن جماعة بقراءتهما عليه عن
أبي الفضل هبة الله بن الازرق بقراءتهما عليه عن المؤلف كذلك وحدثني بتسهيل الفوائد
عن ابن جماعة عن المؤلف ابن مالك وغير ذلك *(وممن ورد علينا بريد الاقامة بها شيخي
وبركتي وقدوتي أبو عبد الله محمد بن حسين القرشي الزبيدي التونسي) حدثني بالصحيحين
قراءة لبعضهما ومناولة لجميعهما عن أبي اليمن بن عساكر لقيه بمكة سنة احدى وثمانين
وستمائة بسنده المشهور وحدثني أيضا أن أبا منصور العجمي حدثه بحضور الشيخين والده
حسين وعمه حسن وأثنى عليه دينا وفضلا أنه أدخل ببعض بلاد المشرق على المعمر أدخله
عليه بعض ولده فالفاه ملفوفا في قطن وسمع له دويا كدوي النحل فقيل له ألقيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم ورأيته قال نعم قلت ليس في هذا ما يستراب منه الا الشيخ المعمر فانا
لا نعرف حاله فان صح فحدثنا عنه الآن وقد تركت سنة خمس وأربعين بمصر رجلا يسمى
بعثمان معه تسعون حديثا يزعم أنه سمعها من المعمر وقد أخذت عنه وكتبت منه فهذا
ثنائي وأمر المعمر غريب والنفس أميل الى نفيه *(ومنهم امام الحديث والعربية وكاتب
الخلافة العثمانية والعلوية أبو محمد عبد المهيمن بن محمد الحضرمي السبتي) جمع فأوعى
واستوهب أكثر المشاهير وما سعى فهو المقيم الظاعن والضارب القاطن سألني عن
الفرق بين علم الجنس واسم الجنس فقلت له زعم الخسروشاهي أنه ليس بالديار المصرية
من يعرفه غيره وأنا أقول ليس في الدنيا عالم الا وهو يعلمه غيره لانه حكم لفظي وجب تقديره
المحافظة على ضبط القوانين كعدل عمر ونحوه فاستحسن ذلك *وكان ينكر اضافة الحول
الى الله عز وجل فلا يجيز أن يقال بحول الله وقوته قال لانه لم يرد اطلاقه والمعنى يقتضي
امتناعه لان الحول كالحيلة او قريب منها وتوفي بتونس أيام الوباء العام *(ومنهم الفقيه
المحقق الفرضي المدقق أبو عبد الله محمد بن سليمان بن علي السطي) قرأت عليه كتاب الحوفي
علما وعملا قال لي في قول ابن الحاجب والثمن والثلث والسدس من أربعة وعشرين هذا
لا يصح اذ لا يجتمع الثلث والثمن في فريضة وقد سبقه الى هذا الوهم صاحب المقدمات
وسألت عنه ابن الابار فقال لي انما أراد المقام لانه يجتمع مع الثلثين والانصاف أنه لا يحسن
التعبير عما لا تصح ارادة نفسه عن غيره فكان الوجه أن يقول والثلثان او ومقام الثلث أو
نحو ذلك لان الثلث انما يدخل هنا بتقدير لا تحقيقا كما في الجواهر وانظر باب المدبر من كتاب
الحوفي فان فيه موافقة السبعة لعدد لا توافقه فهو من باب الفرض وعليه ينبغي أن يحمل
كلام ابن الحاجب *(ومنهم الاستاذ أبو عبد الله الرندي والقاضي أبو عبد الله محمد بن علي بن

ابن هبيرة وكان مستترا حتى كان يوم الهاشمية وقد كان سعت فيه عدة من اهل خراسان فانه حضر وهو معتم متلثم فلما نظر الى القوم قد وثبوا على المنصور تقدم ثم جعل يضربهم بالسيف قدامه فلما أفرجوا وتفرقوا عنه قال من أنت فحسر عن وجهه وقال انا طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة فلما انصرف المنصور أمنه وحباه وأكرمه وكساه ورتبه وذكر أن ابن عياش المتوف ذكر أن المنصور كان جالسا في مجلسه المبني على طاق باب خراسان من مدينته التي بناها واضافها الى اسمه وسماها مدينة المنصور مشرفا على دجلة وكان قد بنى على كل باب من أبواب المدينة في الاعلى من طاقه المعقود مجلسا يشرف منه على ما يليه من البلاد من ذلك الوجه وكانت أربعة أبواب شوارع مخترقة وطاقات معقودة وهي باقية الى وقتنا هذا الذي هو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فاول أبوابها باب خراسان وكان يسمى باب الدولة لاقبال الدولة العباسية من خراسان ثم باب الشام وهو تلقاء الشام ثم باب الكوفة وهو تلقاء الكوفة ثم باب البصرة وهو تلقاء البصرة وقد أتينا على كيفية خبر بناء هذه المدينة واختيار المنصور لهذه البقعة بين دجلة والفرات

عبد الرزاق الجزولي والقاضي أبو اسحق ابراهيم بن عبد الرحمن بن أبي يحيى) في كثير من الخلق فلنضرب عن هذا * (ومن شيوخي الصلحاء الذين لقيت بها خطيبها الشيخ أبو عثمان سعيد بن ابراهيم بن علي الخياط) أدرك أبا اسحق الطيار وقد صافحته وانا صغير لانه توفي سنة تسع وعشرين بمصافحته اباه بمصافحته الشيخ أبا تميم بمصافحته أبا مدين بمصافحته أبا الحسن ابن حرزهم بمصافحته ابن العربي بمصافحته الغزالي بمصافحته أبا المعالي بمصافحته أبا طالب المكي بمصافحته ابا محمد الجريري بمصافحته الجنيد بمصافحته سريا بمصافحته معروفا بمصافحته داود الطائي بمصافحته حبيبا العجمي بمصافحته الحسن البصري بمصافحته علي بن ابي طالب بمصافحته رسول الله صلى الله عليه وسلم * (ومنهم خطيبها المصقع ابو عبد الله محمد بن علي بن الجمال) ادرك محمد بن رشيد البغدادي صاحب الزهر والوتريات على حروف المعجم والمذهبة وغيرها احدثني عنه انه تاب بين يديه لاول مجلس جلسه بتلمسان سبعون رجلا * (ومنهم الشقيقان الحاجان الفاضلان ابو عبد الله محمد وابو العباس احمد ابنا ولي الله ابي عبد الله محمد بن محمد بن ابي بكر بن مرزوق العجيسي) كساني محمد خرقة التصوف بيده كما كساه اياها الشيخ بلال بن عبد الله الحبشي خادم الشيخ ابي مدين كما كساه ابو مدين قال محمد بن مرزوق وكان مولد بلال سنة تسع وخمسين وخمسمائة وخدم ابامدين نحوا من خمسة عشر عاما الى ان توفي في عام تسعين وخمسمائة ثم عاش بعده اكثر من مائة سنة والبس ابو مدين من يد ابن حرزهم ولبس ابن حرزهم من يد ابن العربي واتصل الالباس اتصال المصافحة * (ومنهم أبو زيد عبد الرحمن بن يعقوب بن علي الصنهاجي المكتب) حدثنا عن قاضيها أبي زيد عبد الرحمن بن علي الدكالي أنه اختصم عنده رجلان في شاة ادعى احدهما انه أودعها الآخر وادعى الآخر انها ضاعت منه فاوجب اليمين على المودع عنده أنها ضاعت من غير تضييع فقال كيف أضيع وقد شغلتني حراستها عن الصلاة حتى خرج وقتها فحكم عليه بالغرم فقيل له في ذلك فقال تاولت قول عمر ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن محمد الغرموني) مكتبي الاول ووسيلتي الى الله عز وجل قرأ على الشيخين أبي عبد الله القصري وأبي حريث وحج حجات وكان عقد بقلبه أنه كلما ملك مائة دينار عينا سافر الى الحج وكان بصيرا بتعبير الرؤيا ومن عجائب شأنه فيه أنه كان في سجن أبي يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق فيمن كان فيه من أهل تلمسان أيام محاصرته لها فرأى أبو جمعة بن علي التلالسي الجرائحي منهم كانه قائم على ساقية ائرة وجميع قواديسها يصب في نقير في وسطها فجاء ليشرب فلما اغترف الماء اذا فيه فأر فأرسله ثم اغترف فاذا هو كذلك ثلاثا أو أكثر فعدل عنه فرأى حصة ماء فشرب منها ثم استيقظ وهو النهار فأخبره فقال ان صدقت رؤياك فنحن عما قليل خارجون من هذا المكان قال كيف قال الساقية الزمان والنقير السلطان وانت جرائحي تدخل يدك في جوفه فينالها الفرث والدم وهذا ما لا تحتاج معه فلم يكن الا ضحوة النهار واذا النداء عليه فأخرج فوجد السلطان مطعونا بخنجر فأدخل يده فنالها الفرث والدم فخاط جراحته ثم خرج فرأى حصة ماء فغسل يديه وشرب ثم لم يلبث السلطان أن توفي وسرحوا * وتعداد أهل هذه الصفة

ودجيل والصراة وهذه انهار تأخذ من الفرات وأخبار بغداد وعلة تسميتها بهذا الاسم وماقاله الناس في ذلك وخبر القبة الخضراء وسقوطها في هذا العصر وقصة قبة الحجاج الخضراء التي كان الحجاج بناها بواسط العراق وبقائها الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة في كتابنا الاوسط الذي كتابنا هذا تال له فبينما المنصور جالس في هذا المجلس من أعالي باب خراسان اذ جاءهم سهم عائر حتى سقط بين يديه فذعر المنصور منه ذعرا شديدا ثم أخذه فجعل يقلبه فاذا مكتوب عليه بين الريشتين

أتطمع في الحياة الى التنادي
وتحسب أن مالك من معاد
ستسئل عن ذنوبك والخطايا
وتسئل بعد ذلك عن العباد

ثم قرأ عند الريشة الاخرى

أحسنت ظنك بالايام اذ حسنت
ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها
وعند صفو الليالي يحدث الكدر

ثم قرأ عند الريشة الاخرى

هي المقادير تجري في أعنتها * فاصبر فليس لها صبر على حال

بالثر فلنصفح عنهم ولنختم فصل من لقيته بتلمسان بذكر رجلين هما بقية الحياة أحدهما عالم الدنيا والآخر نادرتها *(أما العالم فشيخنا ومعلمنا العلامة أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن أحمد العبدرى الابلى التلمسانى) سمع جده لامّه أبا الحسين بن غلبون المرسى القاضى بتلمسان واخذ عن فقهائها ابى الحسين التنسى وابنى الامام ورحل فى آخر المائة السابعة فدخل مصر والشام والحجاز والعراق ثم قفل الى المغرب فاقام بتلمسان مدة ثم فر ايام أبى حم موسى بن عثمان الى المغرب حدثنى أنه لقى أبا العباس احمد بن ابراهيم الخياط شقيق شيخنا أبى عثمان المتقدم ذكره فشكا له ما يتوقعه من شر أبى حم فقال له عليك بالجبل فلم يدر ما قال حتى تعرض له رجل من غمارة فعرض عليه الهروب به قال فخفت أن يكون أبو حم قد دسه على فتنكرت له فقال لى انما أسير بك على الجبل فتذكرت قول أبى اسحق فواطأته وكان خلاصى على يده قال ولقد وجدت العطش فى بعض مسيرى به حتى غلظ لسانى واضطربت ركبتاى فقال لى ان جلست قتلتك لئلا أفتضح بك فكنت أقوّى نفسى فرعلى بالى فى تلك الحالة استسقاء عمر بالعباس وتوسله به فوالله ما قلت شيأ حتى رفع لى غدير ماء فأريته اياه فشربنا ونهضنا ولما دخل المغرب ادرك أبا العباس بن البناء فأخذ عنه وشافه كثيرا من علمائه قال لى قلت لابى الحسن الصغير ما قولك فى المهدى فقال عالم سلطان فقلت له قد أبنت عن مرادى ثم سكن جبال الموحدين ثم رجع الى فاس فلما افتتحت تلمسان لقيته بها فأخذت عنه فقال لى الابلى كنت يوما مع القاسم بن محمد الصنهاجى فوردت عليه طومارة من قبل القاضى أبى الحجاج الطرطوشى فيها

خبيرات ماتحويه مبذولة * ومطلى تحصيف مقلوبها

فقال لى ما مطلبه فقلت نارنج دخل على الابلى وأنا عنده بتلمسان الشيخ أبو عبد الله الدباغ المالقى المتطبب فاخبرنا أن اديبا استجدى وزيرا بهذا الشطر *ثم حبيب قلما ينصف* فاخذته فكتبته ثم قلبته وصحفته فاذا هو قصبتا ملف شحمى ومر الدباغ علينا يوما بفاس فدعاه الشيخ فلباه فقال حدثنا بحديث اللطافة فقال نعم حدثنى أبو زكريا بن السراج الكاتب بسجلماسة أن أبا اسحق التلمسانى وصهره مالك بن المرحل وكان ابن السراج قد لقيهما اصطحبا فى مسير فآواهما الليل الى مجشر فسألا عن صاحبه فدلا فاستضافاه فاضافهما فبسط لهما ... وقدم عليهما الخبز واللبن وقال لهما استعملا من هذه اللطافة حتى يحضر ... فتحاورا فى اسم اللطافة لاى شئ هو منهما حتى ناما فلم يرع أبا اسحق ... يقول قد وجدت اللطافة قال كيف قال ابعدت فى طلبها حتى وقعت بمالم يعرقط البدوى فضلا عن ان يراه ثم رجعت القهقرى حتى وقعت على قول النابغة

بمخضب رخص كأن بنانه * عنم يكاد من اللطافة يعقد

... اللطافة وعليها مكتوب بالخط الرقيق اللين فجعل احدى النقطتين للطاء ... اللطافة واللين اللبن وان كان قد صحف عنم بغنم وظن ان يعقد جبن فقد قوى عنده بوهم فقال ابو اسحق ما خرجت عن صوبه فلما جاء سألاه فاخبر انها اللبن واستشهد بالبيت كما قال مالك ولا تعجب من مالك فقد وردفاس شيخنا ابو عبد الله محمد بن يحيى الباهلى

واذا على جانب السهم مكتوب همذان منها رجل مظلوم فى حبسك فبعث من فوره بعدة من خاصته ففتشوا الحبوس والمطابق فوجدوا شيخا فى بنية من الحبس فيه سراج يسرج على بابه بارية مسبلة واذا الشيخ موثق بالحديد متوجه نحو القبلة يردد هذه الآية وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون فسألوه عن بلده فقال همذان فحمل ووضع بين يدى المنصور فسأله عن حاله فاخبره انه رجل من أبناء مدينة همذان وأرباب نعمها وان واليك علينا دخل بلدنا ولى ضيعة فى بلدنا تساوى ألف ألف درهم فاراد أخذها منى فامتنعت فكبلنى فى الحديد وحملنى وكتب اليك انى عاص فطرحت فى هذا المكان فقال منذكم قال منذ أربعة أعوام فأمر بفك الحديد عنه والاحسان اليه والاطلاق له وأنزله أحسن منزل ورده اليه فقال له ياشيخ قد رددنا عليك ضيعتك بخراجها ماعشت وعشنا وأما مدينتك همذان فقد وليناك عليها وأما الوالى فقد حكمناك فيه وجعلنا أمره اليك فجزاه خيرا ودعا له بالبقاء وقال يا أمير المؤمنين أما الضيعة فقد قبلتها وأما الولاية فلا أصلح لها وأما واليك فقد عفوت

عرف بابن المسفر رسولا عن صاحب بجاية فزاره الطلبة فكان فيما حدثهم انهم كانوا على زمان ناصر الدين يستشكلون كلاما وقع فى تفسير سورة الفاتحة من كتاب فخر الدين ويستشكله الشيخ معهم وهذا نصه ثبت فى بعض العلوم العقلية ان المركب مثل البسيط فى الجنس والبسيط مثل المركب فى الفصل وان الجنس أقوى من الفصل فرجعوا به الى الشيخ الابلى فتأمله ثم قال هذا كلام مصحف واصله أن المركب قبل البسيط فى الحس والبسيط قبل المركب فى العقل وان الحس أقوى من العقل فاخبروا ابن المسفر فلج فقال لهم الشيخ التمسوا النسخ فوجدوه فى بعضها كما قال الشيخ والله يؤتى فضله من يشاء * قال لى الابلى لما نزلت تازى بت مع أبى الحسن بن برى وأبى عبد الله الزرجالى فاحتجت الى النوم وكرهت قطعهما عن الكلام فاستكشفتهما عن معنى هذا البيت للمعرى

أقول لعبد الله لما سقاؤنا * ونحن بوادى عبد شمس وهاشم

فجعلا يفكران فيه فنمت حتى أصبحا ولم يجداه فسألانى عنه فقلت معناه أقول لعبد الله لما وهى سقاؤنا ونحن بوادى عبد شمس شم لنا برقا قلت وفى جواز مثل هذا نظر سمعت الابلى يقول دخل قطب الدين الشيرازى والدنيران على أفضل الدين الخونجى ببلده وقد تزيا بزى القونوية فسأله أحدهما عن مسئلة فاجابه فتعايا عن الفهم وقرب التقرير فتعايا فقال الخونجى متمثلا

على نحت المعانى من معادنها * وما على لكم أن تفهم البقر

فقال له ضم التاء يامولانا فعرفهما فحملهما الى بيته قلت سمعت الشيخ شمس الدين الاصبهانى بخانقاه قوصون بمصر يقول ان شيخه القطب توفى عام احد عشر وسبعمائة وله سبع وسبعون سنة وهذا يضعف هذه الحكاية عندى سمعت الابلى يقول ان الخونجى ولى قضاء مصر بعد عز الدين بن عبد السلام فقدم شاهدا كان عز الدين أخره فعدله فى ذلك فقال ان مولانا لم يذكر السبب الذى رفع يده من اجله وهو الآن غير متمكن من ذكره سمعت الشيخ الابلى يحدث عن قطب الدين القسطلانى أنه ظهر فى المائة السابعة من المفاسد العظام ثلاث مذهب ابن سبعين وعلك الطظر للعراق واستعمال الحشيشة * سمعت الابلى يقول قال ابو المطرف بن عميرة

فضل الجمال على الكمال بوجهه * فالحق لايخفى على من وسطه
و بطرفه سقم وسحر قد انى * مستظهرا بهما على ما ... ذامنه
عجبا له برهانه بشر و طه * معه فما نقصوده بالسفسطه ... لمعنى

قال فاجابه أبو القاسم بن الشاط فقال ... ماجنا

علم التباين فى النفوس وانها * منها مغلطة وغير مغلطه ... سفا
فتنة رأت وجه الدليل وفرقة * اصغت الى الشبهات فهى مورطه
فاراد جمعهما معا فى ملكه * هذى بحجة وذى بمغلطه

يعنى قولهم فى النام هو ماتحمل فيه البرهان الفصل وأخبار الابلى وأسمعتى منه تحتمل كتابا فلنقف على هذا القدر منها * وأما النادرة (فابو عبد الله بن أحمد بن شاطر الجمعى

عنه فأرله المنصور بمال جزيل وبر واسع واستجله وحمله الى بلده مكرما بعد أن صرف الوالى وعاقبه على ما جنى من انحرافه عن سنة العدل وواضحة الحق وسال الشيخ مكاتبته فى مهماته وأخبار بلده واعلامه بما يكون من ولاته على البريد ثم أنشأ المنصور يقول

من يصحب الدهر لا يأمن تصرفه
يوما وللدهر احلاء وامرار
لكل شئ وان دامت سلامته
اذا انتهى فله لابد اقصار

وقال المنصور يوما لسالم بن قتيبة ماترى فى أمر أبى مسلم قال لوكان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فقال حسبك يا ابن قتيبة لقد أودعتها أذنا واعية * وذكر ابن دأب وغيره عن عيسى بن على قال مازال المنصور يشاورنا فى جميع أموره حتى امتدحه ابراهيم بن هرمة فقال فى قصيدة له

اذا ما أراد الامر ناجى ضميره
فناجى ضميرا غير مختلف العقل
ولم يشرك الادنين فى سر أمره
اذا انتقضت بالاصبعين قوى الحبل

ولما أراد المنصور قتل أبى مسلم سقط بين الاستبداد برأيه والمشورة فيه فأرقه ذلك فقال

تقسمنى أمران لم أمتحنهما * بحزم ولم يعرك قواى الكراكر

(المراكشي)

المراكشي) صحب أبا زيد الهزميري كثيرا وابا عبد الله بن تيجان وأبا العباس بن البناء وأضرابه من المراكشيين ومن جاورهم ورزق بصحبة الصالحين حلاوة القبول فلا تكاد تجد من يستثقله وربما سئل عن نفسه فيقول ولي مفسود قلت له يوما كيف انت فقال محبوس في الروح وقال الليل والنهار حرسيان أحدهما اسود والآخر أبيض وقد اخذا بجامع الخلق يجرانهم الى القيامة وان مردنا الى الله تعالى وسمعته يقول المؤذنون يدعون أولياء الله الى بيته لعبادته فلا يصدهم عن دعائهم ظلمة ولا شتاء ولا طين ويصرفونهم عن الاشتغال بما يبين لهم فيخرجونهم ويغلقون الابواب دونهم ووجدته ذات يوم في المسجد ذاكرا فقلت له كيف أنت فقال فهم في روضة يحبرون فهممت بالانصراف فقال ابن تذهب من روضة من رياض الجنة يقام بها على رأسك بهذا التاج وأشار الى المنار مملوءا الله أكبر *مر ابن شاطر يوما على أبي العباس احمد بن شعيب الكاتب وهو جالس في جامع الجزيرة طهره الله تعالى وقد ذهبت به الكفرة فصاح به فلما رفع رأسه اليه قال له انظر الى مركب عزرائيل وأشار الى نعش هنالك قد رفع شراعه ونودي عليه الطلوع يا غزي *وأكل يوما مع أبي القاسم عبد الله بن رضوان الكاتب جلجلانا فقال له أبو القاسم ان في هذا الجلجلان لضربا من طعم اللوز فقال ابن شاطر وهل الجلجلان الا لوزة دقة *وسئل عن العلة في نضارة الحداثة فقال قرب عهدها بالله فقيل له فما غير الشيوخ فقال من بعد العهد من الله وطول الصحبة مع الشياطين فقيل له فما غير أفواههم فقال من كثرة ما تقل الشياطين فيها *وكان يسمي الصغير فار المصطكي *قال لي ابن شاطر لقيت عمي ميمونا المعروف بدبير لقرب موته وقد اصفر وجهه وتغيرت حالته فقلت له ما بالك وكان قد خدم الصالحين ورزق بذلك القبول فقال اشدت الزر بطانة فطلع يعني العذرة يشير الى الاحتقان للطبيعة *أنشدني ابن شاطر قال أنشدني ابو العباس بن البناء لنفسه *قصدت الى الوجازة في كلامي *الابيات وأخبار ابن شاطر عندي تحتمل كراسة فلنقنع منها بهذا القدر

*(فصل) ولما دخلت تلمسان على بني عبد الواد نهي ألي السفر منها فرحلت الى بجاية فلقيت بها أعلاما درجوا فامست بعدهم خلاء بلقعا فمنهم الفقيه أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلي عرف بابن المسفر باحثته واستفدت منه وسألني عن اسم كتاب الجوهري فقلت له من الناس من يقول الصحاح بالكسر ومنهم من يفتح فقال انما هو بالفتح بمعنى الصحيح كما ذكره في [illegible] المنار ويحتمل أن يكون مصدر صح كجنان وكتب الى بعض أصحابه بجواب رسالة فهم [illegible] ليبتين

هذا [illegible] ملت صحيفتكم فهزت معطفي * فكأنما اهدت كؤس القرقف

[illegible] وكانها نيل الامان لخائف * اووصل محبوب لصب مدنف

فاشملها قاضيها أبو عبد الله محمد ابن الشيخ أبي يوسف يعقوب الزواوي) فقيه ابن فقيه كان يقول من عرف ابن الحاجب اقرأ به المدونة قال واذا اقرأ به المدونة ومنهم أبو علي حسين ابن حسين امام المعقولات بعد ناصر الدين ومنهم خطيبها أبو العباس احمد بن عمران وكان قد ورد تلمسان وأورد بها على قول ابن الحاجب في حد العلم صفة توجب تمييزا لا يحتمل

وماشاور الاحشاء مثل دفينة * من الهم ردتها عليك المصادر

وقد علمت أبناء عدنان أنني * على مثلها مقدامة متجاسر

وقد كان عبد الله بن علي خالف على المنصور ودعا الى نفسه من كان معه من أهل الشام وزعم أن السفاح جعل الخلافة من بعده لمن انتدب لقتل مروان فلما بلغ المنصور ذلك من فعل عبد الله كتب اليه

سأجعل نفسي منك حيث جعلتها * وللدهر أيام لهن عواقب

ثم بعث اليه بابي مسلم فكانت له معه حروب كثيرة ببلاد نصيبين المعروفة بدير الاعور وصبر الفريقان شهورا على حربها واحتفروا الخنادق ثم انهزم عبد الله بن علي فيمن كان معه وسار في نفر من خواصه الى البصرة وعليها أخوه سليمان بن علي عم المنصور وظفر أبو مسلم بما كان في عسكر عبد الله فبعث اليه المنصور بيقطين بن موسى لقبض الخزائن فلما دخل يقطين على أبي مسلم قال السلام عليك أيها الامير قال لا سلم الله عليك يا ابن اللخناء أوتمن على الدماء ولا أوتمن على الاموال فقال له ما بدا هذا منك أيها الامير قال أرسلك صاحبك لقبض ما في يدي من الخزائن فقال له امرأته طالق ثلاثا ان كان أمير المؤمنين وجهني

النقيض الخاصة الان يزاد فى الحد لمن قامت به لانها انما توجب فيه تمييزا وهذا حسن ومنهم الشيخان أبو عزيز وأبو موسى بن فرحان وغيرهم من أهل عصرهم ثم رحلت الى تونس فلقيت بها قاضى الجماعة وفقيهها أبا عبد الله بن عبد السلام فحضرت تدريسه وأكثرت مباحثته ولما نزلت بظاهر قسطينة تلقانى رجل من الطلبة فسألنى عن هذه الآية وان لم تفعل فما بلغت رسالته فان ظاهرها أن الجزاء هو الشرط أى وان لم تبلغ فما بلغت وذلك غير مفيد فقلت بل هو مفيد أى وان لم تبلغ فى المستقبل لم ينفعك تبليغك فى الماضى لارتباط أول الرسالة بآخرها كالصلاة ونحوها بدليل قصة يونس فعبر بانتفاء ماهية التبليغ عن انتفاء المقصود منه اذ كان انما يطلب ولا يعتبر بدونه كقوله عليه الصلاة والسلام لا صلاة الا بطهور ثم اجتمعت بابن عبد السلام بجامع بوقير بتونس فسألته عن ذلك فلم يزد على أن قال هذا مثل قوله عليه الصلاة والسلام فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله وقد علمتم ما قال الشيخ تقى الدين فيه قلت كلام تقى الدين لا يعطى الجواب عن الآية فتأمله وقاضى المناكح أبا محمد الاجمى وهو حافظ فقهائها فى وقته والفقيه أبا عبد الله بن هرون شارح ابن الحاجب فى الفقه والاصول والخطيب أبا عبد الله بن عبد الستار وحضرت تدريسه بمدرسة العرض والعلامة أبا عبد الله بن الحباب الكاتب والفقيه أبا عبد الله بن سلمة والشيخ الصالح أبا الحسن المنتصر وارث طريقة الشيخ أبى محمد المرجانى آخر المذكورين بافريقية ورأيت الشيخ ابن الشيخ المرجانى فحدثنى أبو موسى بن الامام انه أشبه به من الغراب بالغراب وسيدى أبا عبد الله الزبيدى المتقدم ذكره وأوقفنى على خطه فى كتاب الصحاح وذلك أنه زعم ان السالم جلدة ما بين العين والانف قال وفيه يقول ابن عمر فى ابنه سالم

يديروننى عن سالم وادبرهم * وجلدة بين الانف والعين سالم

قال وهذا أراد عبد الملك حيث كتب الى الحجاج انت منى كسالم وهو خطأ فاحش وكان يلزمه أن يسميها بالعمارة أيضا لقوله عليه السلام عمارة جلدة ما بين عينى وانفى وانما اراد مثل هذا القرب والتحمد * ولقيت بتونس غير واحد من العلماء والصلحاء يطول ذكرهم ثم قفلت الى المغرب يسايرنى رجل من أهل قسطينة يعرف بمنصور الحلى فما رأيت رجلا أكثر أخبارا ولا أظرف نوادر منه فمما حفظته من حديثه أن رجلا من الادباء مر برجل من الغرباء وقدامه ستة أطفال جعل ثلاثة عن يمينه وثلاثة عن شماله وأخذ ينشد

ما كنت احسب أن أبقى كذا أبدا * أعيش والدهر فى أطرافه حتى لعسى
ساس بستة أطفال توسطهم * شخصى كاحرف ساس وسطها الف احبنا

قال فتقدمت اليه وقلت فأين تعريقة السين فقال طالب ورب الكعبة ثم قال للآخر سفا عينه قم فقام يجر رجله كانه مبطول فقال هذا تمام تعريقة السين * ثم رحلت من تلمسان الى المغرب فلقيت بفاس الشيخ الفقيه الحاج أبا اسحق ابراهيم بن عبد الله بن عبد الرحيم البرناسى والشيخ الفقيه أبا محمد عبد المؤمن الجاناتى والشيخ الفقيه الصالح أبا زرهون عبد العزيز بن محمد القيروانى والفقيه أبا الضياء مصباح بن عبد الله الياصونى وكان حافظ

قد طلق زوجته ولكنه وفى لصاحبه وسار أبو مسلم من الجزيرة وقد أجمع على خلاف المنصور واجتاز على طريق خراسان متنكبا للعراق يريد خراسان وسار المنصور من الانبار يريد المدائن فنزل برومية المدائن التى بناها كسرى وقد قدمنا ذكرها فيما سلف من هذا الكتاب وكتب الى أبى مسلم انى قد أردت مذاكرتك باشياء لم يحملها الكتاب فأقبل فان مقامك عندنا قليل فقرأ الكتاب ومضى على حاله فسرح اليه المنصور جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجلى وكان واحد أهل زمانه وداهية دهره وكانت المعرفة بينه وبين أبى مسلم قديمة بخراسان فاتاه فقال أيها الامير ضربت الناس عن عرض لاهل هذا البيت ثم تنصرف على هذه الحالة ما آمن أن يعيبك من هنالك ومن ههنا وأن يقال طلب بثار قوم ثم نقض بيعتهم فيخالفك من يأمن مخالفته اياك وان الامر لم يبلغ عند خليفتك ما تكره ولا أرى ان تنصرف على هذه الحال فاراد أن يجيب الى الرجوع فقال له مالك ابن الهيثم لا تفعل فقال لمالك ويلك لقد بليت بابليس وما بليت بمثل هذا قط يعنى الجريرى فلم يزل به حتى

وقته

وقته والفقيه اباعبد الله بن عبد الكريم وشيخ الشيوخ ابازيد عبد الرحمن بن عفان الجزولي والاستاذ اباالعباس المكناسي وكنت لقيت الاستاذ اباالعباس بن حزب الله والاستاذ اباعبد الله القصار بتلمسان ولقيت غير هؤلاء ممن يكثر عددهم وكنت قد لقيت بتازى الفقيه اباعبد الله بن عطية والاستاذ اباعبد الله الجاصي والشيخ اباالحسن الجبار وغيرهم ثم بلغت بالرحلة الى اغمات ثم وصلت الى سبتة فاستوعبت بلاد المغرب ولقيت بكل بلد من لابد من لقائه من علمائه وصلحائه ثم قفلت الى تلمسان فاقمت بها ماشاء الله تعالى ثم اعملت الرحلة الى الحجاز فلقيت بمصر الاستاذ اثير الدين اباحيان الغرناطي فرويت عنه واستفدت منه وشمس الدين الاصبهاني الآخر وشمس الدين بن عدلان وقرأ على بعض شروحه لكتب المزني وناولني اياه وشمس الدين بن اللبان آخر المذكورين بها والشيخ الصالح ابامحمد المنوفي فقيه المالكية بها وتاج الدين التبريزي الاصم وغيرهم ممن يطول ذكرهم ثم حججت فلقيت بمكة امام الوقت اباعبد الله بن عبد الرحمن التوزري المعروف بخليل وسألته يوم النحر حين وقف بالمشعر الحرام عن بطن محسر لاحرك فيه على الجمل فقال لي تمالأ الناس على ترك هذه السنة حتى نسي بتركها محلها والاقرب انه هذا واشار الى ما يلي الجابية التي على يسار المار من المشعر الى منى من الطريق من اول ما يحاذيها الى ان يأخذ صاعدا الى منى وما رأيت اعلم بالمناسك منه والامام اباالعباس بن رضي الدين الشافعي وغير واحد من الزائرين والمجاورين واهل البلد وبالمدينة اعجوبة الدنيا ابامحمد عبد الوهاب الجبرتي وغيره ثم اخذت على الشام فلقيت بدمشق شمس الدين بن قيم الجوزية صاحب الفقيه ابن تيمية وصدر الدين الغماري المالكي واباالقاسم بن محمد اليماني الشافعي وغيرهم وبيت المقدس الاستاذ اباعبد الله ابن مثبت والقاضي شمس الدين بن سالم والفقيه المذكر اباعبد الله بن عثمان وغيرهم ثم رجعت الى المغرب فدخلت سجلماسة ودرعة ثم قطعت الى الاندلس فدخلت الجبل واصطبونة ومربلة ومالقة وبلش والحامة وانتهت بي الرحلة الى غرناطة وفي علم الله تعالى ما لا اعلم وهو المسؤل أن يحملنا على الصراط الاقوم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم انتهى كلام جدي رحمه الله تعالى في الجزء الذي ألفه في مشيخته وقد لخصه لسان الدين في الاحاطة * ولنذكر هنا زيادات لا بأس بها فنقول ولما ألم ولي الدين بن خلدون بذكر مولاي الجد في تاريخه الكبير عند تعريفه بنفسه ووصفه بانه كبير علماء المغرب ونص محل الحاجة من ... لما رحلت من تونس منتصف شعبان من سنة أربع وثمانين أقمنا في البحر نحوا من ... ليلة ثم وافينا مرسى الاسكندرية يوم الفطر ولعشر ليال من جلوس الملك الظاهر على ... اقتعاد كرسي الملك دون أهله بني قلاوون وكنا على ترقب ذلك لما كان يؤثر بقاصية ... من سموه لذلك وتمهيده له وأقمت باسكندرية شهر التهيئة اسباب الحج ولم يقدر عامئذ فانتقلت الى القاهرة أول ذي القعدة فرأيت حضرة الدنيا وبستان العالم ومحشر الامم ومدرج الذر من البشر وايوان الاسلام وكرسي الملك تلوح القصور والاواوين في أوجه وتزهو الخوانق والمدارس بآفاقه وتضيء البدور والكواكب من علمائه قد مثل بشاطئ بحر النيل نهر الجنة ومدفع مياه السماء يسقيهم النهل والعلل سيحه ويجبي اليهم

قول ذلك على حسب ما وجد في الملاحم وأنه يميت دولة ويحيي أخرى فلما دخل على المنصور وقد تلقاه الناس رحب به وقال له كدت أن تمضي قبل أن أقضي عليك بما تريد قال فقد أتيت يا أمير المؤمنين فأمر بأمره بالانصراف الى منزله وانتظر فيه الفرص والغوائل فركب أبو مسلم الى المنصور مرارا وقد أظهر له التجني فسار أبو مسلم الى عيسى بن موسى وكان له فيه رأي جميل فسأله الركوب معه الى المنصور ليعذله بحضرته فأمره أن يتقدمه الى المنصور فانه بالاثر فتقدم أبو مسلم الى مضرب المنصور وهو على دجلة برومية المدائن فدخل وجلس تحت الشراع وقيل الرواق فاخبر أن المنصور يتوضأ للصلاة وكان المنصور قد تقدم الى صاحب حرسه عثمان في عدة فيهم شبيب ابن رواح المروزي وأبو حنيفة حرب بن قيس وأمرهم أن يقوموا خلف السرير الذي وراء أبي مسلم وأمرهم أنه اذا عاتبه وظهر صوته لا يظهرون فاذا صفق بيد على يد فليظهروا وليضربوا عنقه وما أدركوا

منه بسيوفهم وجلس المنصور فقام أبو مسلم من موضعه ودخل فسلم عليه فرد عليه وأذن له بالجلوس وحادثه ساعة

الثمرات والخيرات نجمه ومررت في سكك المدينة تغص بزحام المارة وأسواقها تزخر بالنعم
ومازلنا نحدث عن هذا البلد وبعد مداه في العمران واتساع الاحوال ولقد اختلفت عبارات
من لقيناه من شيوخنا وأصحابنا حاجهم وتاجرهم بالحديث عنه سألت صاحبنا قاضي الجماعة
بفاس وكبير العلماء بالمغرب أبا عبد الله المقري فقلت له كيف هي القاهرة فقال من لم يرها لم
يعرف عز الاسلام وسألت شيخنا أبا العباس بن ادريس كبير العلماء ببجاية مثل ذلك فقال
كأنما انطلق أهله من الحساب يشير الى كثرة أممه وأمنهم العواقب وحضر صاحبنا قاضي
العسكر بفاس الفقيه الكاتب أبا القاسم البرجي بمجلس السلطان أبي عنان منصرفه من
السفارة عنه الى ملوك مصر وتأدية رسالته النبوية الى الضريح الكريم سنة خمس وخمسين
وسأله عن القاهرة فقال أقول في العبارة عنها على سبيل الاختصار ان الذي يتخيله الانسان
فانما يراه دون الصورة التي تخيلها لاتساع الخيال على كل محسوس الا القاهرة فانها أوسع
من كل ما يتخيل فيها فأعجب السلطان والحاضرون بذلك انتهى كلام ابن خلدون ولا يخلو
عن فائدة زائدة * ولا بأس أن نورد من فوائد مولاي الجد ما حضرني الآن فمن ذلك
ما حكاه عن عبد الرزاق عن ابن قطرال قال سمع يهودي بالحديث المأثور نعم الادام الخل فانكر
ذلك حتى كاد يصرح بالقدح فبلغ ذلك بعض العلماء فأشار على الملك أن يقطع عن اليهود الخل
وأسبابه سنة قال فما تمت حتى ظهر فيهم الجذام * ومنها أنه قال أنشدني الشيخ أبو عبد الله
محمد بن عبد الواحد قال أنشدني الشيخ التقي ابن دقيق العيد لنفسه في معنى لطيف حجازي

اذا كنت في نجد وطيب نعيمه * تذكرت أهلي باللوى فمحسر
وان كنت فيهم زدت شوقا ولوعة * الى ساكني نجد وعيل تصبري
فقد طال ما بين الفريقين موقفي * فمن لي بنجد بين أهلي ومعشري

ومنها ما حكاه عن عبد الله بن عبد الحق عن ابن قطرال قال كنت بالمدينة على ساكنها الصلاة
والسلام اذ أقبل رافضي بفحمة في يده فكتب بها على جدار هنالك

من كان يعلم أن الله خالقه * فلا يحب أبا بكر ولا عمرا

وانصرف فألقى علي من الفطنة وحسن البديهة ما لم أعهد مثله من نفسي قبل فجعلت مكان
يحب يسب ورجعت الى مجلسي خفاء فوجده كما أصلحته فجعل يلتفت يمينا وشمالا كأنه
يطالب من صنع ذلك ولم يهتد فلما أعياه الامر انصرف * ومنها أنه قال حدثت أن الزاهد
أبا عمرة بن غالب المرسي نزيل تلمسان وقد لقيت غير واحد من أصحابه ساله بعض أن يامنه
عقد ابنته فتعذر عليه فلم يزل به حتى أجاب بعد جهد فحضر العقد وطعم الوليمة ثم لما حضرت
ليلة الزفاف استحضره في ركوبها الى دار زوجها على عادة أهل تلمسان فأجابه مسرعا فقلنا
له أين هذا التيسير من ذلك التعسير فقال من أكل طعام الناس مشى في خدمتهم أو كما قال
* ومنها انه قال حدثت أن الفقيه أبا عبد الله بن العواد العدل بتونس التقى يوما مع القاضي
أبي علي بن قداح وكان ابن العواد شيخا فقال له أبو علي كبرت يا أبا عبد الله فصرت تمشي
كل شبر بدينار يوري بكثرة الفائدة في مشيه الى الشهادة فقال له كنت اذ كنت في سنك
أخرج رزقي من الحجر يعرض لابن قداح بأنه حجار وكذلك كان هو وأبوه رحمهم الله تعالى

ثم أقبل يعاتبه ويقول فعلت وفعلت فقال أبو مسلم ليس يقال هذا لي بعد بلائي وما كان مني فقال له
يا ابن الخبيثة والله انما فعلت ذلك بجدنا وحظوظنا ولو كان مكانك أمة سوداء لأجزت ألست الكاتب الى تبدأ بنفسك والكاتب الى تخطب آسية بنت علي وتزعم أنك ابن سليط بن عبد الله بن العباس لقد ارتقيت لا أم لك مرتقى صعبا فأخذ أبو مسلم بيده يعركها ويقبلها ويعتذر اليه فقال المنصور وهو آخر ما كلمه به قتلني الله ان لم أقتلك وذكر له قتله لسليمان بن كثير ثم صفق باحدى يديه على الاخرى فخرج اليه القوم فبدره عثمان ابن نهيك فضربه ضربة خفيفة بالسيف قطعت حمائل سيف أبي مسلم وضربه شبيب بن رواح فقطع رجله واعتورته السيوف فخلطت أجزاءه وأتى عليه والمنصور يصيح اضربوا قطع الله أيديكم وقد كان أبو مسلم قال أول ضربة استبقني يا أمير المؤمنين لعدوك قال لا أبقاني الله أبدا ان أبقيتك وأي عدو أعدى لي منك وكان قتله في شعبان سنة ست وثلاثين ومائة وفيها كانت بيعة المنصور وهزيمة عبد الله بن علي وأدرج
أبو مسلم في بساط ودخل عيسى بن موسى فقال يا أمير المؤمنين أين أبو مسلم فقال قد كان ههنا آنفا

جميعا وهذا من مزاح الاشراف كما جرى بين معاوية والاحنف انظر صدر ادب الكتاب

* ومنها أنه قال قال لى الحاج أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الواحد الرباطى كنا عند الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد ففقد أحدنا نعليه فقال الشيخ كنا عند العلم التبريزى فدخل عليه رجل يدعى بشيرا فكلمه ثم خرج فلم يجد نعليه فرجع الى العلم وأنشده

دخلت اليك يا أملى بشيرا * فلما أن خرجت خرجت بشرا
أعد يائى التى سقطت من اسمى * فيائى فى الحساب تعد عشرا

وقال رحمه الله تعالى لما سعى اولاد الشيخ أبى شعيب بالقاضى أبى الحجاج الطرطوشى الى السلطان وأمر باشخاصه وكثر ارجاف المتشيعين فيهم من بعده وخرج الامر على خلاف ما أملوا منه قال فى ذلك

حمدت الله فى قوم أثاروا * شرورا فاستحالت لى سرورا
وقالوا النار قد شبت فلما * دنوت لها وجدت النار نورا

* ومنها أنه حكى أن الشيخ أبا القاسم بن محمد اليمنى مدرس دمشق ومفتيها حكى له بدمشق أنه قال له شيخ صالح بر باط الخليل عليه السلام نزل بى مغربى فمرض حتى طال على أمره فدعوت الله أن يفرج عنى وعنه بموت أو صحة فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال أطعمه الكسكسون قال يقوله هكذا بالنون فصنعته له فكأنما جعلت له فيه الشفاء قال وكان أبو القاسم يقوله كذلك ويخالف الناس فى حذف النون من هذا الاسم ويقول لا أعدل عن لفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال قلت ووجه هذا من الطب أن هذا الطعام مما يعتاده المغاربة ويشتهونه على كثرة استعمالهم له فربما انبعث منه شهوة أورده الى عادة * وقال الجد رحمه الله تعالى رأيت بجامع الفسطاط من مصر فقيرا عليه قميص الى جانبه دفافة قائمة وبين يديه قلنسوة فذكر لى هنالك أنهما محشوتان بالبرادة وأن زنة الدفافة أربعمائة رطل مصرية وهى ثلثمائة وخمسون مغربية وزنة القلنسوة مائتا رطل مصرية وهى مائة وخمسة وسبعون مغربية فعمدت الى الدفافة فأخذتها من طوقها أنا ورجل آخر فأملناها بالجهد ثم أقمناها ولم نصل بها الى الارض وعدت الى القلنسوة فأخذتها من اصبع كان فى رأسها فلم اطق حملها فتركتها وكان يوم جمعة فلما قضيت الصلاة مر رنا فى جملة من أصحابنا بالفقير فوجدناه لابسا تلك الدفافة فى عنقه واضعا تلك القلنسوة على رأسه فقام والى غيرنا ومشى بهما كما يمشى احدنا بثيابه فجعلنا نتعجب ويشهد بعضنا بعضا على ففهمه من ذلك ولم يكن بالعظيم الخلقة * وقال رحمه الله تعالى كان الاستاذ ابن حكم قد بعث هذا الشعر لا بعث به الى من يعرضه للبيع ثم بلغه أن احمالا من المتاع التونسى قد وصلت الى ... فكتب الى الحمد لله الذى أمر عند كل مسجد باخذ الزينة وصلواته الطيبة وبركاته الصيبة على من ختم به شريعته وأكمل دينه وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوه والذين يتبعونه وبعد فما تعلق به الاعلام ان تعوضوا المحرر باحرام لا يخفى على مثلكم جنسه وعجانسه ومن كلام العرب كل ثوب ولابسه وان اربى على ثمن الاول ثمن الثانى فلست عن الزيادة والحمد لله بالوانى * ومن فوائده أنه قال كتب فى صدر رسالة صاحبنا الشيخ

فقال يا أمير المؤمنين قد عرفت طاعته ونصيحته ورأى ابراهيم الامام فيه فقال له المنصور يا أنوك خلق الله ما أعلم فى الارض عدوا أعدى لك منه هاهو ذاك فى بساط فقال عيسى انا لله وانا اليه راجعون (ودخل) عليه جعفر بن حنظلة فقال له المنصور ما تقول فى أمر أبى مسلم فقال يا أمير المؤمنين ان كنت أخذت من رأسه شعرة فاقتل ثم اقتل ثم اقتل فقال المنصور وفقك الله هاهو فى البساط فلما نظر اليه قتيلا قال يا أمير المؤمنين عد هذا اليوم أول خلافتك وقد كان السفاح هم بقتله برأى المنصور ثم رجع عن قتله وأقبل المنصور على من حضره وأبو مسلم بين يديه طريح فقال

زعمت أن الدين لا يقتضى * فاستوف بالكيل أبا مجرم
اشرب بكاس كنت تسقى بها * أمر فى الحلق من العلقم

ودعا المنصور بنصر بن مالك وكان على شرطة أبى مسلم فقال استشارك أبو مسلم بالمسير الى فنهيته قال نعم قال ولم قال سمعت أخاك ابراهيم الامام يحدث عن أبيه قال لا يزال المرء يزداد فى عقله اذا محض النصيحة لمن شاوره فكنت له كذلك وأنا الآن لك كذلك واضطرب أصحاب أبى مسلم ففرقت فيهم الاموال وعلموا بقتله

الناسك أبي علي منصور ابن شيخ عصره وفريد دهره ناصر الدين المشذالي الشيخ الخاشع صاحبنا أبو الحسن علي بن موسى البحيري يذكره شوقه الى لقائه لما كان يبلغه عنه حتى قدر باجتماعهما أبو هران أيام قضاء البحيري بها

أوحشتني ولو اطاعت على الذي * لك في فؤادي لم تكن لي موحشا
يا محرقا بالنار قلب محبه * أنسيت انك مستكن في الحشا

وقال رحمه الله تعالى أنشدني محمد البلغيثي قال أنشدني ابن رشيد قال أنشدني أبو حفص ابن الخيمي المصري لنفسه

لو رأى وجه حبيبي عاذلي * لتفاصلنا على وجه جميل

وقال رحمه الله تعالى قال لي محمد بن داود بن المكتب قال لي بلال الحبشي خادم الشيخ أبي مدين كان الشيخ كثيرا ما ينشد هذا البيت

الله قل وذر الوجود وما حوى * ان كنت مرتادا بصدق مراد

وقال رحمه الله تعالى دخلت على عبد الرحمن بن عفان الجزولي وهو يجود بنفسه وكنت قد رأيته قبل ذلك معافى فسألته عن السبب فأخبرني أنه خرج الى لقاء السلطان فسقط عن دابته فتداعت أركانه فقلت ما حملك أن تتكلف مثل هذا في ارتفاع سنك فقال حب الرياسة آخر ما يخرج من قلوب الصديقين * وقال رحمه الله تعالى قال لي محمد بن مرزوق قال لي بعض أصحاب أبي اسحق الطيار دفين عباد تلمسان ان أبا اسحق أقام خمسا وعشرين سنة لا ينام الا قاعدا فقال ابن مرزوق لم لقب بالطيار فحدثني عن بعض أصحابه انه نشر ذات يوم ثوبه في الشمس على بعض السطوح ثم قعد هنالك فمر به رجل فقال له طر فقال أعن أمرك قال نعم فطار حتى وقع على الارض وما به من باس فقال الجد رحمه الله تعالى بعد هذا ما نصه قلت اذا صار الحق للعبد سمعا وبصرا فسمع به وأبصر أصاخ الى الاحوال واجتلى المعاني فيرى من غير مبصر ويسمع من غير ناطق كما قال الشيخ أبو عبد الله الشوذي الحلوي دفين تلمسان

اذا نطق الوجود أصاخ قوم * بآذان الى نطق الوجود
وذاك النطق ليس به انعجام * ولكن دق عن فهم البليد
فكن فطنا تنادى من قريب * ولا تك من ينادى من بعيد

وقال رحمه الله تعالى حدثت بمصر أن الشيخ سيدي عمر بن الفارض ولع بجمل فكان يستأجره من صاحبه ليتأنس به فقيل له لو اشتريته فقال المحبوب لا يملك فسألت أي حال كان هذه فقيل لي في ابتداء أمره فقلت وجد اعتبار أفلا ينظرون الى الابل فوقفت به رؤيته انس فيه عليه فاحبه مدلا وطلبه مجلا * وقال رضي الله عنه حفظت من خط أبي زيد والدصنا أبي الحسن قيل للغزالي ما تقول في الحلاج فقال وما عسى أن أقول فيمن شرب بكاس الأنس على بساط الوفاء فسكر فعربد فاستوجب من الله الحد فكان حده شهادته ثم قال بعد هذا قلت عربد الحلاج في الحضرة لما انسي بسكره أوامره فانتصر الظاهر لنفسه لعصمة تعلق اسمه وسدل الباطن على عذره حجاب الغيرة من افشاء سره

على سمة الاسماء تجري امورهم * وحكمة وصف الذات للحكم اجرت

وامسكوا رغبة ورهبة وخطب المنصور الناس بعد قتله أبا مسلم فقال أيها الناس لاتخرجوا عن أنس الطاعة الى وحشة المعصية ولا تسروا غش الائمة فان من أسر غش امامه أظهر الله سريرته في فلتات لسانه وسقطات أفعاله وأبداها الله لامامه الذي بادر باعزاز دينه به واعلاء حقه بفلجه انا لم نبغسكم حقوقكم ولم نبغس الدين حقه عليكم انه من نازعنا هذا القميص أوطأناه ما في هذا الغمد وان أبا مسلم بايعنا وبايع الناس لنا على انه من نكث بيعتنا فقد أباح دمه لنا ثم نكث بنا فحكمنا عليه لانفسنا حكمه على غيره لنا ولم تمنعنا رعاية الحق له من اقامة الحق عليه ولما نعي قتل أبي مسلم الى خراسان وغيرها من الجبال اضطربت الخرمية وهي الطائفة التي تدعى بالمسلمية القائلون بأبي مسلم وامامته وقد تنازعوا في ذلك بعد وفاته فمنهم من رأى انه لم يمت ولن يموت حتى يظهر فيملأها عدلا وفرقة قطعت بموته وقالت بامامة ابنته فاطمة وهؤلاء يدعون الفاطمية وأكثر الخرمية في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة الكركية والنورساتية وهاتان الفرقتان أعظم الخرمية ومنهم كان بابك الخرمي الذي خرج على المأمون والمعتصم وقال

وقال رحمه الله تعالى سمعت شيخنا بيت المقدس يقول تجلى الله على المسجد الاقصى بالجمال وعلى المسجد الحرام بالجلال وعلى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالكمال قلت فذلك يوقف النواظر وذاك يملأ الخواطر وهذا يفتح البصائر وقال رحمه الله تعالى أخبرني أمير المؤمنين المتوكل على الله ابو عنان فارس نصره الله ان جده امير المسلمين اباسعيد سال كاتبه عبد المهيمن الحضرمي عن تهادي اهل الحب التفاح دون الخوخ وكلاهما حسن المنظر طيب المخبر شديد شبهه باخيه شديد تشبيه الوجنات به لمتوخيه فقال من عند مولانا فقال أرى ذلك لاشتمال التفاح على الحب الذي يذكر بالحب والهوى والخوخ على النوى الذي يذكر اسمه ص فرة الجوى * وقال رحمه الله تعالى قال لي أبو حيان بالقاهرة قال لي عمر بن الخيمي تجاذبت انا ونجم الدين بن اسرائيل هذا البيت

يا بارقا بأعالي الرقمتين بدا * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

وتحاكمنا الى ابن الفارض فاشار بان نظم قصيدة نضمنها البيت فنظم ونظمت

يا مطلبا ليس لي في غيره ارب * اليك آل التقضي وانتهى الطلب

فقضى به لي * وقال رحمه الله تعالى حدثت ان أبا يزيد الهزميري بعث الى أبي عمران الشولي وكان كثير الصلاة انه لم يبق بينك وبين الله حجاب الا الر كعات فرجع اليه ما معناه ان لاتصال كان منها فلا كان الانفصال عنها يعني من رزق من باب فليلزمه * وقال رحمه الله تعالى كنت بجامع تلمسان والى جانبي رجل ينتمي الى طريقة العرفان فجعل سائل يشكو الجوع الالم فتصدق ذلك الرجل عليه بدرهم وقال اياك أن تشكو الرحمن الى من لا يرحم فقالت امره أن يسأل عز يراعولاه ونهاه أن يشكو ذليلا الى سواه * وكان الفارابي كثيرا ما يقول يارب اليك المشتكى حتى انه يوجد أثناء كلامه في غير موضعه فيعجب منه من لا علم عنده بمنزعه وقال رحمه الله تعالى حدثت أن الفخر مر ببعض شيوخ الصوفية فقيل للشيخ هذا يقيم على الصانع ألف دليل فلو قمت اليه فقال وعزته لو عرفه ما استدل عليه فبلغ ذلك الامام فقال نحن نعلم من وراء الحجاب وهم ينظرون من غير حجاب * وقال رحمه الله تعالى حدثت أن رجلا كان يجلس الى أبي الحسن الحراني وكان يشرب الخمر فسكر ذات يوم فسقط على زجاجة فشج وجهه فاختفى الى ان برئ ثم عاد الى مجالسة الشيخ فلما رآه أنشد

أجريح كاسات ارقت نجيعها * طلب التراث بعز منه خلاص

لا تسفكن دم الزجاجة بعدها * ان الجروح كما علمت قصاص

ففهمها الشاب فتاب * وقال رحمه الله تعالى كثيرا ما كنت اسمع أبا محمد الحاصي ينشد هذا البيت

ذم الرجال وعيب أن يقال لمن * لم يتصف بمعاني وصفهم رجل

ثم يبكي وكان أهل البلد يسمونه البكاء وبعضهم الخاشع * ووجدت بخط مولاي الجد على ظهر كتابه القواعد ما نصه الحمد لله تعالى جده قرأت صدر كتاب زهرة البساتين للقاسم ابن الطيلسان ثم سمعت ثلاثة أحاديث من أول بل حديثا وأثرا وانشادا من في الشيخ الخطيب الصالح أبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عياش الانصاري ثم تناولت منه جميع الكتاب المذكور واجازنيه بحق سماعه لبعضه وتناوله لجميعه من جده محمد المذكور بحق

بالمداين من أرض الران وأذربيجان وسنأتي على خبره وخبر مقتله في أخبار

المعتصم فيما يرد من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وأكثر الخرمية ببلاد خراسان والري وأصبهان وأذربيجان وكرخ أبي دلف والبرج الموضح المعروف بالدو والدرسخان ثم ببلاد الصروان والصيرة وأدلوطان من بلاد ماسبذان وغيرها من تلك الامصار وأكثر هؤلاء في القرى والضياع وسيكون لهم عند أنفسهم شأن وظهور يراعونه وينتظرونه في المستقبل من الزمان ويعرفون هؤلاء بخراسان وغيرها بالباطنية وقد أتينا على مذاهبهم وذكر فرقهم في كتابنا في المقالات فاجتمعت الخرمية حين علمت بقتل أبي مسلم فسارت في عسكر عظيم من بلاد خراسان الى الري فغلب عليها وعلى جرمس وما يليها وقبض على ما كان بالري من خزائن أبي مسلم فكبر جمع بستقاد عن حوله من اهل الجبال وطبرستان ولما اتصل خبر مسيره بالمنصور سرح اليه جهور بن مروان العجلي في عشرة آلاف رجل وتلاه بالعساكر فالتقوا بين همذان والري على طرف المفازة فاقتتلوا

قتالا شديدا وصبر الفريقان جميعا فقتل بستقاد وولى اصحابه فقتل منهم ستون الفا وسبي منهم سبايا وذراري

أخذه له عن مؤلفه صهره القاسم المذكور وذلك بالمسجد الجامع من مالقة المحروسة قال ذلك وكتبه محمد بن محمد بن أحمد المقرى فى متم عشرين لشهر ربيع الآخر من عام سبعة وخمسين وسبعمائة * وبخطه رحمه الله تعالى حيث ذكر مانصه الحمد لله مخالفة القواعد الشرعية للعوائد العرفية كانكار الحشر وفتنة القبر ونحوهما من الامر بالمعروف للركون الى المشهور المألوف اوكالتقليد مع الدليل الذى ذمه الشرع فى محكم التنزيل * وبخطه أيضا الحمد لله قد تتابع صفات العام حتى يصير كأنه أشير به الى شخص بعينه فيختص ومن ثم قيل فى قول الله عزوجل ولا تطع كل حلاف مهين انه الاخنس بن شريق وفى قوله تعالى ويل لكل همزة لمزة انه امية بن خلف وفى قوله تعالى ذرنى ومن خلقت وحيدا انه الوليد ابن المغيرة انتهى * ووجد بخطه أيضا رحمه الله تعالى مانصه الحمد لله قال لى المتوكل على الله أبو عنان أمير المؤمنين فارس بن على كان جدنا أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق يقول الولايات ست ثلاث وقفتها على اختيارى الحجابة والقصبة والشرطة وثلاث موكولة الى الحكم القضاء والامامة والحسبة ثم قال رحمه الله تعالى وهذا تدبير حسن * ومن فوائده حدثنى العدل أبو عبد الله محمد بن أبى زرع عن القاضى أبى عبد الله بن أبى الصبر أنه أمر الوالى بفاس أن يبنى فندق الشماعين وكان قد خرب فتوقف حتى ياذن السلطان فقال له أسلفنى ما ابنيه به فان أجاز ذلك السلطان والا رددته عليك ففعل فلما طواب ذكر ما فال له القاضى فغضب السلطان وبعث فيه فجعل المبعوثون يأتونه واحدا بعد واحد وهو متمهل فى وضوئه واصلاح برنته ومركوبه ثم جعل يمشى الهوينى فلقيه ابنه فقال له أسرع فقد أكثر السلطان من التوجيه اليك وهو واجد عليك فقال له مسكين أبو يحيى خاف وثبت على حاله فلما كان فى الطريق لقى بعض العلماء تعرض اليه فقال قل يخفى لطفك بلطيف صنعك بجميل سترك دخلت فى كنفك تشفعت بنبيك فحفظه ثم طلبه فلم يجده فجعل يقول ذلك فلما رآه السلطان سكن مابه ثم سأله عن ذلك برفق فقال له القاضى كرهت الخراب بقرب القرويين وبالشماعين الذى هو عين فاس فسألت الوالى ذلك على أبى أغرم ان لم تجز وقلت له المرجو من السلطان أن يجعله حبسا فقال قد فعلت ثم بعث الى الشهود وحبسه على الجامع وشكر للقاضى صنيعه وصرفه مغبوطا وهذا السلطان هو أبو يعقوب يوسف بن أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق المرينى وتوفى محاصر التلمسان فى ذى القعدة من عام ستة وسبعمائة وكان ابتداء حصاره اياها سنة ثمان وتسعين وستمائة وكان جملة الحصار فيما حدثت ألف شهر انتهى * ومن فوائد مولاى الجد رحمه الله تعالى ماحكاه تلميذه أبو اسحق الشاطبى فى كتاب الانشادات والافادات ونصه افادة حضرت يوما مجلسا فى المسجد الجامع بغرناطة مقدم الاستاذ القاضى أبى عبد الله المقرى فى أواخر ربيع الاول عام سبعة وخمسين وسبعمائة وقد جمع ذلك المجلس القاضى أبا عبد الله والقاضى أبا القاسم الشريف شيخنا والاستاذ أبا سعيد بن لب والاستاذ أبا عبد الله البلنسى وذا الوزارتين أبا عبد الله بن الخطيب وجماعة من الطلبة فكان من جملة ماجرى أن قال القاضى أبو عبد الله المقرى سئلت عن مسئلة فى الاصول لم أجد لاحد فيها نصا وهى تخصيص العام المؤكد

كثيرة وكان بين خروجه الى وفى سنة خمس وأربعين كان ظهور محمد بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم بالمدينة وكان قد بويع له فى الامصار وكان يدعى بالنفس الزكية لزهده ونسكه وكان مستخفيا من المنصور ولم يظهر حتى قبض المنصور على أبيه عبد الله بن الحسن وعمومته وكثير من أهله وعدتهم ولما ظهر محمد بن عبد الله بالمدينة دعا المنصور بامسلم العقيلى وكان شيخا ذا رأى وتجربة فقال له اشر على فى خارجى خرج على قال صف لى الرجل قال رجل من ولد فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاعلم وزهد وورع قال فمن تبعه قال ولد على وولد جعفر وعقيل وولد عمر بن الخطاب وولد الزبير وسائر قريش وأولاد الانصار قال له صف لى البلد الذى قام به قال بلد ليس به زرع ولا ضرع ولا تجارة واسعة ففكر ساعة ثم قال اشحن يا أمير المؤمنين البصرة بالرجال فقال المنصور فى نفسه قد خرف الرجل أسأله عن خارجى خرج بالمدينة يقول لى اشحن البصرة بالرجال فقال له انصرف ياشيخ ثم لم يكن الا يسيرا حتى ورد الخبر ان ابراهيم قد ظهر بالبصرة فقال المنصور على بالعقيلى

عنه فصل فاجبت بالجواز محتجا بقول الله عز وجل قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن فهذا عام مؤكد وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحل الله من الفواحش الامسئلة الناسى انتهى * ومن الكتاب المذكور ما نصه افادة حدثنى الشيخ الفقيه القاضى الجليل الشهير الخطير أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المقرى رحمه الله تعالى وأملاه علينا عن العالم الكبير أبى حيان بن يوسف بن حيان انه قال ورد كتاب من الاستاذ أبى عبد الله بن مثبت الغرناطى الى صاحب له يسمى حمزة وفيه سئل الشيخ قال أبو حيان يعنى وجدت على ظهر نسخة من المفصل بخط عتيق سئل ابن الاخضر بحضرة ابن الابرش علام انتصب قوله * مقالة أن قد قلت سوف أناله * فقال * ولا تصحب الاردى فتردى مع الردى فقال سألتك عن اعراب كلمة فاجبتنى بشطر بيت فقال ابن الابرش قد أجابك لو كنت تفهم قال أبو حيان فوقعت عليه لاتبين ان هذا الشطر من قول النابغة

أتانى أبيت اللعن أنك لمتنى * وتلك التى تصطك منها المسامع

مقالة أن قد قلت سوف أناله * وذلك من تلقاء مثلك رائع

يروى مقالة بالرفع على أنه بدل من أنك لمتنى الفاعل وبالفتح على ذلك الا أنه بناه لما أضافه الى مبنى * ومنه افادة حدثنى الشيخ الفقيه القاضى أبو عبد الله المقرى رحمه الله تعالى قال سئل أبو العباس بن البناء رحمه الله تعالى وكان رجلا صالحا فى قوله تعالى قالوا ان هذان لساحران لم تعمل ان فى هذا فقال لما لم يؤثر القول فى المقول لم يؤثر العامل فى المعمول فقال له ياسيدى هذا لا ينهض جوابا فانه لا يلزم من بطلان قولهم بطلان عمل ان فقال له ان هذا الجواب نوّارة لا تحتمل أن تحك بين الاكف انتهى * ومنه افادة قال لنا الشيخ الاستاذ القاضى أبو عبد الله المقرى رحمه الله تعالى ان أهل المنطق وغيره يزعمون أن الاسماء المعدولة لا تكاد توجد فى كلام العرب وهى موجودة فى القرآن وذلك قوله لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فان زعم زاعم أن ذلك على حذف المبتدا ودخلت لا على الجملة وتقديره لا هى فارض ولا هى بكر قيل له ان كان يسوغ لك ذلك فى هذا الموضع فلا يسوغ فى قوله تعالى لا شرقية ولا غربية فصح أن الاسم المعدول موجود فصيح فى كلام العرب * ومنه افادة حدثنا الاستاذ أبو عبد الله المقرى قال سئل عن قوله تعالى وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون لم عاد ضمير من يعقل الى ما لا يعقل فقال بعضهم لما اشترك مع من يعقل فى السباحة وهى العوم عومل لذلك معاملته قال وهذا لا ينهض جوابا فان السباحة لما لا يعقل كالحوت وانما لمن يعقل العوم لا السباحة وأيضا فالحاقه بما العوم له لازم كالحوت أولى من الحاقه بما هو غير لازم له قال وأجاب الاستاذ أبو محمد عبد المهيمن الحضرمى السبتى بان الشئ المعظم عند العرب تعامله معاملة العاقل وان لم يكن عاقلا لعظمه عندهم وأجبت أنا بانه لما عوملت فى غير هذا الموضع معاملة من يعقل فى نحو قوله تعالى والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين لصدور أفعال العقلاء عنها أجرى عليها هنا ذلك الحكم للانس به فى موضعه * ومنه افادة لقمى الشيخ الفقيه القاضى أبو عبد الله المقرى رحمه الله تعالى لقمة بيده المباركة وقال لقمنى الشيخ أبو عبد الله المسفر قال لقمنى أبو زكريا المحياوى قال لقمنى

فلما دخل عليه ادناه ثم قال له انى كنت قد شاورتك فى خارجى خرج بالمدينة فاشرت على أن أشحن البصرة أو كان عندك من البصرة علم قال لا ولكن ذكرت لى خروج رجل اذا خرج مثله لم يتخلف عنه أحد ثم ذكرت لى البلد الذى هو فيه فاذا هو ضيق لا يحتمل الجيوش فقلت انه رجل سيطلب غير موضعه ففكرت فى مصر فوجدتها مضبوطة والشام والكوفة كذلك وفكرت فى البصرة فخفت عليها منه فأشرت بشحنها فقال له المنصور أحسنت وقد خرج بها أخوه فما الرأى فى صاحب المدينة قال ترميه بمثله اذا قال أنا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذا وأنا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المنصور لعيسى ابن موسى اما أن تخرج اليه وأقيم أنا أمدك بالجيوش واما أن تكفينى ما أخلف ورائى وأخرج أنا اليه فقال عيسى بل أقيك بنفسى يا أمير المؤمنين وأكون الذى يخرج اليه فاخرجه اليه من الكوفة فى أربعة آلاف فارس وألفى راجل واتبعه محمد بن قحطبة فى جيش كثيف فقاتلوا محمدا بالمدينة حتى قتل وهو ابن خمس وأربعين سنة ولما اتصل بابراهيم قتل أخيه محمد بن عبد الله وهو بالبصرة صعد المنبر فنعاه وتمثل أبا المنازل يا خير الفوارس من * يفجع بمثلك فى الدنيا فقد فجعا

أبو محمد صالح قال لقمني الشيخ أبو مدين قال لقمني أبو الحسن بن حرزهم قال لقمني ابن العربي قال لقمني الغزالي قال لقمني أبو المعالي قال لقمني أبو طالب المكي قال لقمني أبو محمد الجريري قال لقمني الجنيد قال لقمني السقطي قال لقمني معروف الكرخي قال لقمني داود الطائي قال لقمني حبيب العجمي قال لقمني الحسن البصري قال لقمني علي ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال لقمني رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت وبهذا السند صافحته أيضا رضي الله تعالى عنه انتهى وللمحدثين في هذا السند كلام مشهور وانتصر بعضهم للسادة الصوفية رضي الله تعالى عنهم *ومنه انشادة أنشدني الشريشي الفقيه أبو عبد الله قال أنشدني القاضي المقري قال أنشدني الرباطي قال أنشدني ابن دقيق العيد لنفسه من صدر رسالة كتب بها لبعض اخوانه بالحجاز

يهيم قلبي طربا عندما * أستلمح البرق الحجازيا
ويستميل الوجد قلبي وقد * أصبح لي ثوب الحجا زيا
يا هل أقضي من منى حاجتي * فأنحر البدن المهاريا
وأرتوي من زمزم فهي لي * ألذ من ريق المهاريا

ومنه افادة حدثنا الاستاذ القاضي أبو عبد الله المقري رحمه الله تعالى قال رأيت لبعض من ألف على كتاب الكشاف للزمخشري فائدة لم أرها لغيره في قوله تعالى والراسخون في العلم اذ الناس يختلفون في هذا الموضع اختلافا كثيرا فقال قوم الراسخون في العلم يعلمون تأويله والوقوف عند قوله والراسخون في العلم وقال قوم ان الراسخين لا يعلمون تأويله وانما يوقف عند قوله وما يعلم تأويله الا الله فقال هذا القائل ان الآية من باب الجمع والتفريق والتقسيم من أنواع البيان وذلك لان قوله تعالى هو الذي أنزل عليك الكتاب هو جمع وقوله منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات تفريق وقوله تعالى فأما الذين في قلوبهم زيغ الى قوله تعالى وابتغاء تأويله أحد طرفي التقسيم وقوله تعالى والراسخون في العلم الطرف الثاني وتقديره وأما الراسخون في العلم فيقولون آمنا به وجاء قوله تعالى وما يعلم تأويله الا الله اعتراضا بين طرفي التقسيم قال وهذا مثل قوله تعالى وأنا منا المسلمون الآية فقوله وأنا جمع وقوله منا المسلمون ومنا القاسطون تفريق وقوله فمن أسلم وأما القاسطون تقسيم وهو من بديع التفسير قلت ومثله أيضا قوله تعالى يوم يأتي لا تكلم نفس الا باذنه الآيات انتهى *ومنه انشادة أنشدنا الشيخ الفقيه القاضي أبو عبد الله المقري في القول بالموجب لبعض العلماء في وديعة

ان قال قد ضاعت فصدق أنها * ضاعت ولكن منه يعني لو يعي
أو قال قد وقعت فصدق أنها * وقعت ولكن منه أحسن موقع

ومنه انشادة أيضا من القول بالموجب لبعض الحنابلة

يحجون بالمال الذي يجمعونه * حراما الى البيت العتيق المحرم
ويزعم كل أن تحط ذنوبهم * تحط ولكن فوقهم في جهنم

*ومنه افادة كتب لي بخطه شيخنا الفقيه القاضي الجليل أبو عبد الله المقري رحمه الله تعالى

وقد كان تفرق اخوة محمد وولده في البلدان يدعون الى امامته فكان فيمن توجه ابنه علي بن محمد الى مصر فقتل بها وسار عبد الله الى خراسان فهرب لما طلب الى السند فقتل هنالك وسار ابنه الحسن الى اليمن فحبس فمات في الحبس وسار أخوه موسى الى الجزيرة ومضى أخوه يحيى الى الري وطبرستان فكان من خبر الرشيد ما سنورده فيما يرد من هذا الكتاب ومضى أخوه ادريس بن عبد الله الى المغرب فأجابه خلق من الناس وبعث المنصور من اغتاله فيما احتوى عليه من مدن المغرب وقام ولده ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن مقامه فعرف البلد بهم فقيل بلد ادريس بن ادريس وقد أتينا على خبرهم متقدم ذكرنا لخبر عبد الله صاحب المغرب وبنائه المدينة المعروفة بالمهدية وخبر أبي القاسم وانتقالهم من مدينة سجلماسة من أرض حمص الى المغرب في الكتاب الاوسط ومضى ابراهيم أخوه الى البصرة وظهر بها فأجابه أهل فارس والاهواز وغيرهما من الامصار في عساكر كثيرة من الزيدية وجماعة ممن يذهب الى قول البغداديين من المعتزلة وغيرهم ومعه عيسى بن

على ظهر التسهيل لابن مالك الذي كتبته بخطي بعدما كتب لي بخطه روايته فيه عن أبي الحسن بن مزاحم عن بدر الدين بن جماعة عن المؤلف فكتب بعد ذلك ما نصه قال محمد بن محمد المقري بدر الدين بن جماعة المذكور يدعى بقاضي القضاة على ما جرت به عوائد أهل المشرق في تسمية مثله وأنا أكره هذا الاسم محتجا بقول النبي صلى الله عليه وسلم ان اخنع اسم عند الله يوم القيامة رجل تسمى بملك الملوك لا ملك الا الله انتهى ما انتقيته من كتاب الانشادات والافادات للشاطبي فيما يتعلق بجدي رحمه الله تعالى (ومن فوائد مولاي الجد رحمه الله) مما لم يذكر فيما سبق أنه حكى أن ابن احوط الموله دخل في حلقة أبي عبد الله بن رشيد بجامع القرويين وبين رجليه قصبة كأنها فرس وبيده أخرى كأنها رمح فانتهره رجل فضربه برمحه على رأسه وقال له اسكت يا ميت فابهت الناس لكلامه فقال له الشيخ يا فقير أنت في حال ونحن في مقال وشأن أرباب الاحوال التسليم لاصحاب المقال فنظر اليه الموله وانصرف ثم لم ينشب المنتهر أن توفي بعد ذلك بأيام قلائل ❊ ومنها قلت لابن شاطر يوما كيف حالك فقال محبوس في الروح وصدق لان الدنيا سجن المؤمن ولا خلاص له من حبسه الا بمفارقة نفسه وقال سألت ابن شاطر عن معنى قول ابن الفارض

فلم ألهُ باللاهوت عن حكم مظهري ❊ ولم أنس بالناسوت موضع حكمتي

فقال يقول ما أنا بالحلاج ولا بابن العام ثم قال مولاي الجد بعد هذا الكلام ما صورته قلت وهذا هو الانسان على الكمال والتمام ولقد سمعته يقول في الحلاج نصف انسان يشير الى البيت وقال أيضا رحمه الله تعالى سمع ابن شاطر انسانا يقول الجنة رخيصة فقال كيف تكون رخيصة والله عز وجل يقول ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة انتهى ثم قال مولاي الجد بأثر هذا الكلام قلت ما الانفس والاموال في جنب ما فيها مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لا سيما وفوق هذه الحسنى زيادة الاكرام بالنظر والرضا ❊ وقال أيضا قيل لابن شاطر صف لنا الدنيا فقال كسراب بقيعة الآيتين فبلغ ذلك أبا زيد بن الامام فانكر عائبا الاستحسان سامعه تاليا يحرفون الكلم عن مواضعه ولقد أصيب المتعسف بادهى منها وأمر فانه افحم يوما ببعض أهل النظر وتلى عليه فبهت الذي كفر على أن له أن يقول لم أخرج الآية عن مرادها فالبهت من انقطاع المعاند والكفر من جحد الجاحد ولنا أن نقول التحريف المذموم هو التحويل للابطال وليس هذا من قصدا لممثل الاول بالمثال انتهى وهذا كله على مذهب جمهور المالكية في منع الاقتباس وللكلام على ذلك موضع غير هذا فليراجع في كتب البيان وغيرها ❊ وقال رحمه الله تعالى حدثت أن المتوكل على الله أبا عنان رحمه الله تعالى أعطى ابن شاطر ألف دينار ليحج بها فربها الى تلمسان فصار يدفع منها شيأ فشيئا للمتفرجين بغدير الوريط شرقي عباد تلمسان العلوى الى أن نفدت فلما ورد السلطان أبو عنان تلمسان لقيه بسوق العطارين من منشر الجلد فقال له يا سيدي أبا عبد الله حج مبرور فقال له اذا جهلت أصل المال فانظر مصارفه ويأبى الله الا أن ينفق الخبيث في مثله فضحك السلطان وانصرف انتهى ❊ وكان لابن شاطر هذا عجائب ولم يكن مخلا بشيء من الحقوق الشرعية وكان معتقدا عند أهل وقته

وسعيد بن مسلم في العساكر خارب حتى قتل في الموضع المعروف بباخمرى وذلك على ستة عشر فرسخا من الكوفة من أرض الطف وهو الموضع الذي ذكرته الشعراء ممن رثى ابراهيم فممن ذكر ذلك دعبل بن علي في قصيدة أولها

مدارس آيات خلت من تلاوة
ومنزل وحي مقفر العرصات

ومنها قوله فيهم

قبور بكوفان وأخرى بطيبة
وأخرى بفخ نالها صلوات
وأخرى بأرض الجوزجان محلها
وقبر بباخمرى لدى القربات

وقتل معه من الزيدية من شيعته أربعمائة رجل وقيل خمسمائة وروى بعض الاخباريين عن حماد التركي قال كان المنصور نازلا في دير على شاطئ دجلة في الموضع الذي يسمى اليوم الخلد عمر مدينة السلام اذ أتى الربيع في وقت الهاجرة والمنصور في البيت الذي هو فيه وحماد قاعد على الباب فقال يا حماد افتح الباب فقلت الساعة هجع أمير المؤمنين فقال افتح ثكلتك أمك قال فسمع المنصور كلامه فنهض يفتح الباب بيده وتناول منه الخريطة فقرأ ما فيها من الكتب وتلا هذه الآية وألقينا بينهم العداوة

وكان السلطان أبو عنان على فقهه يعظمه ويصله ويسلم له وبات عنده ليلة بقصره وكان يدخل القصر ولا تحتجب منه الجوارى فاحتاج الى البول فبال فى قبة فى القصر عظيمة فانتهرته احدى الجوارى وقالت له أتبول فى قبة مولانا فقال لها ان قبة مولانا الخضراء أعظم من هذه وأنا أفعل تحتها ما هو أفظع من البول وما انتهرنى قط فذكرت ذلك الجارية للسلطان فضحك وعلم انه يريد السماء وكان يكتب القرآن والعمدة ولا يغلق حرفا محوقا فاذا غلب على ذلك أصلحه حتى حكى انه سافر لاصلاح حرف محوق أغلقه سهوا من نسخة كان باعها ولم يتذكر ذلك حتى سافر مشتريها فما رجع حتى جدده * وحكى الشيخ أبو القاسم بن داود الفخار السلوى أن الشيخ أبا عبد الله الشريف التلمسانى صاحب المفتاح فى أصول الفقه وشارح الجمل الخونجية المتوفى عام اثنين وسبعين وسبعمائة المدفون بالمدرسة اليعقوبية من تلمسان المحروسة افتتح شرح العمدة بما نصه اللهم احمد نفسك عمن أمرته أن يحمدك وكيلا حمدا عائدا منك اليك متحدا بك دائما بدوام ملكك لا منقطعا ولا مفصولا قال فقال لى أبو عبد الله بن شاطر ما هو انفصال عالم الملك فقلت له بالضرورية الوقتية فقال لى ما أجهلك واجهل سيدك أبا عبد الله واجهل ابن سودكين الذى أخذ من كتابه هذا الحمد اذ قال لا منقطعا ولا مفصولا بعد قوله بدوام ملكك وهو بالضرورية الوقتية وهى منقطعة فهلا قال دائما بدوام قيوميتك وعظيم قدرك ومجدك الاعلى وسبحات وجهك الاكرم لا منقطعا ولا مفصولا فبلغ ذلك أبا عبد الله الشريف فبدله انتهى وأخبار ابن شاطر كثيرة وقد مر ذكره فى كلام مولاى الجد رحمه الله تعالى وسيأتى ما ذكره لسان الدين به فى الاحاطة * ومن فوائد مولاى الجد رحمه الله تعالى ما قاله اثر قول الرازى فى التفسير الحس أقوى من العقل ونصه هذا على ما حكاه فى المحصل من ان المعقولات فرع المحسوسات قال ولذلك من فقد حسا فقد فقد علما كالاكمه والعنين ومذهب جمهور الفلاسفة أن اليقينيات هى المعقولات لا المحسوسات انظر المحصل انتهى * ومن فوائده رحمه الله تعالى أنه قال أنشدت يوما الابلى قول ابن الرومى

أفنى وأعمى ذا الطبيب بطبه * وبكحله الاحياء والبصراء
فاذا مررت رأيت من عميانه * أمما على أمواته قراء

فاستعادنى حتى عجبت منه مع ما أعرف من عدم ميله الى الشعر وانفعاله وظننت أنه اعجب بما تضمنه البيت الاول من غريب اللف والنشر المكرر الذى لا أعرف له ثانيا فيه فقال أظننت أنى استحسنت الشعر فقلت مثلك يستحسن مثل هذا الشعر فقال انما تعرفت منه كون العميان كانوا فى ذلك الزمان يقرؤن على المقابر فانى كنت أرى ذلك حديث العهد فاستفدت التاريخ * وقال مولاى الجد رحمه الله تعالى حدثنى الابلى أن أبا عبد الله محمد بن عبد الرحيم ابن أبى العيش الخزرجى الخطيب بتلمسان كان يقول فى خطبته من يطع الله ورسوله فقد رشد بالكسر وكان الطلبة ينكرون عليه ذلك فلما ورد عليهم الراوية الرحلة أبو عبد الله محمد ابن عمر بن رشيد الفهرى سمعه يقول ذلك فأنكر عليه فى جلتهم وبلغ الخطيب ذلك فلم يرجع فلما قفل ابن رشيد من وجهته تلك دخل على الاستاذ أبى الحسن بن أبى الربيع بسبتة

المفسدين ثم أمر باحضار الناس والقواد والموالى وأهل بيته وأصحابه وأمر حمادا التركى باسراج الخيل وأمر ابن مجالد بالتقدم ثم خرج فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال

مالى أكفكف عن سعد وتشتمنى
وان شتمت بنى سعد لقد سكنوا
جهلا علينا وجبنا عن عدوهم
لبئست الخصلتان الجهل والجبن

أما والله لقد عجزوا عن أمر قناله فما شكروا ولا حمدوا الكافى ولقد مهدوا فاستوعروا وغبطوا فغمطوا فماذا تحاول منى أسقى رنقا على كدر كلا والله لأن أموت معززا أحب الى من أن أحيا مستذلا ولئن لم يرض العفو منى ليطلبن ما لا يوجد عندى والسعيد من وعظ بغيره ثم نزل فقال يا غلام قدم فركب من فوره الى معسكره وقال اللهم لا تكلنا الى خلقك فنضيع ولا الى أنفسنا فنعجز * وذكر أن المنصور هيئت له جبة من خز وسكر فاستطابها فقال أراد ابراهيم يحرمنى هذا وأشباهه (وذكر) أن المنصور قال يوما لجلسائه بعد قتل محمد وابراهيم تالله

فهناه

فهنأه بالقدوم وقال له فيما قال رشدت يا ابن رشيد ورشدت لغتان صحيحتان حكاهما يعقوب في الاصلاح ثم قال مولاى الجد قلت هذه كرامة للرجلين أو الثلاثة * وقال رحمه الله تعالى قال طالب لشيخنا الابلي يوما مفهوم اللقب صحيح فقال له الشيخ قل زيد موجود فقال زيد موجود فقال له الشيخ أما أنا فلا أقول شيأ فعرف الطالب ما وقع فيه فخجل وهذا الابلي تقدم في كلام مولاى الجد رحمه الله تعالى أنه عالم الدنيا وهو تلمسانى كما تقدم قال تلميذه أبو القاسم السلوى الفخار دخل على شيخنا الابلي يوما وأنا أعجن طين الفخارة فقال لى ما علامة قبول هذه المادة أكمل صورة ترد عليها فقلت أن تدفع عن نفسها ما هو من غير جنسها من حجر أو زبل أو غيره فادركه وجد عظيم حتى انه صاح وقام وقعد وبقى هنيأة مطرقا برأسه مفكرا ثم قال هكذا هى النفوس البشرية * قال وقال لى يوما وقد وجد الصبيان يصوتون بقضب رقاق على الذباب فاذا خرج قتلوه الغلط الداخل عليه من أى أنواع المغلطات هو فقلت له من ايهام العكس لما كان كل ذباب مصوتا ظن أن كل مصوت ذباب فاستحسن ذلك * قلت وحدثنى مولاى العم الامام شيخ الاسلام سيدى سعيد بن أحمد المقرى رحمه الله تعالى عن شيخه ابن جلال مفتى حضرتى فاس وتلمسان أنه كان يحكى أن الغلط جاءه من عدم كلية الكبرى فى الشكل الاول لانه ركبه هكذا هذا مصوت وكل مصوت ذباب وقد علمت انها هنا انما تصدق جزئية لا كلية واذا كانت جزئية بطل الانتاج لان ذلك من الضروب العقيمة انتهى * ومن فوائد مولاى الجد رحمه الله تعالى أنه قال سمعت شيخنا الابلي يقول ما فى الامة المحمدية اشعر من ابن الفارض * وقال أيضا رحمه الله تعالى سمعت شيخنا الابلي يقول انما أفسد العلم كثرة التواليف وانما اذهبه بنيان المدارس وكان ينتصف له من المؤلفين والبانين وانه لكما قال غير أن فى شرح ذلك طولا وذلك أن التاليف نسخ الرحلة التى هى أصل جمع العلم فكان الرجل ينفق فيها المال الكثير وقد لا يحصل له من العلم الا النزر اليسير لان عنايته على قدر مشقته فى طلبه ثم صار يشترى أكبر ديوان بابخس ثمن فلا يقع منه أكبر من موقع ما عوض عنه فلم يزل الامر كذلك حتى نسى الاول بالآخر وأفضى الامر الى ما يسخر منه الساخر وأما البناء فلانه يجذب الطلبة الى ما يرتب فيه من الجرايات فيقبل بها على من يعينه أهل الرياسة للاجراء والاقراء منهم أو ممن يرضى لنفسه الدخول فى حكمهم ويصرفونها عن اهل العلم حقيقة الذين لا يدعون الى ذلك وان دعوا لم يجيبوا وان أجابوا لم يوفوا لهم بما يطلبون من غيرهم ثم قال مولاى الجد رحمه الله تعالى ولقد استباح الناس النقل من المختصرات الغريبة أربابها ونسبوا ظواهر ما فيها الى أمهاتها وقد نبه عبد الحق فى تعقيب التهذيب على ما يمنع من ذلك لو كان من يسمع وذيلت كتابه بمثل عدد مسائله أجمع ثم تركوا الرواية فكثر التصحيف وانقطعت سلسلة الاتصال فصارت الفتاوى تنقل من كتب من لا يدرى ما زيد فيها مما نقص منها لعدم تصحيحها وقلة الكشف عنها ولقد كان أهل المائة السادسة وصدر السابعة لا يسوغون الفتوى من تبصرة الشيخ أبى الحسن اللخمى لكونه لم يصحح على مؤلفه ولم يؤخذ عنه وأكثر ما يعتمد اليوم ما كان من هذا النمط ثم انضاف الى ذلك عدم الاعتبار بالناقلين فصار يؤخذ من كتب المسخوطين كما يؤخذ من كتب المرضيين بل لا تكاد تجد من

مارأيت رجلا أنصح من الحجاج لبنى مروان فقام المسيب بن زهرة الضبى فقال يا أمير المؤمنين ما سبقنا الحجاج بأمر تخلفنا عنه والله ما خلق الله على جديد الارض خلقا أعز علينا من نبينا صلى الله عليه وسلم وقد أمرتنا بقتل أولاده فأطعناك وفعلنا ذلك فهل نصحناك أم لا قال له المنصور اجلس لا جلست وقد ذكرنا أنه كان قبض على عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على رضى الله عنه وكثير من أهل بيته وذلك فى سنة أربع وأربعين ومائة فى منصرفه الى الحج فحملوا من المدينة من الربذة من جادة العراق وكان ممن حمل مع عبد الله ابن الحسن ابراهيم بن الحسن بن الحسن وأبو بكر ابن الحسن بن الحسن وعلى الخير وأخوه العباس وعبد الله بن الحسن بن الحسن والحسن بن جعفر ابن الحسن بن الحسن ومعهم محمد بن عبد الله بن عمرو ابن عثمان بن عفان أخو عبد الله بن الحسن بن الحسن لامه فاطمة ابنة الحسين بن على وجدتهما فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فجرد المنصور بالربذة محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان فضربه ألف سوط وسأله عن ابنى أخيه محمد وابراهيم فانكر أن يعرف مكانهما فسالت جدته العثمانى

يفرق بين الفريقين ولم يكن هذا فيمن قبلنا فلقد تركوا كتب البراذعي على نبلها ولم
يستعمل منها على كره من كثير منهم غير التهذيب الذي هو المدونة اليوم لشهرة مسائله
وموافقته في أكثر ما خالف فيه المدونة لابي محمد ثم كل أهل هذه المائة عن حال من قبلهم
من حفظ المختصرات وشق الشروح والاصول الكبار فاقتصروا على حفظ ما قل لفظه
ونزر حظه وأفنوا أعمارهم في فهم رموزه وحل لغوزه ولم يصلوا الى رد ما فيه الى أصوله
بالتصحيح فضلا عن معرفة الضعيف من ذلك والصحيح بل هو حل مقفل وفهم أمر مجمل
ومطالعة تقييدات زعموا انها تستنهض النفوس فبينا نحن نستكبر العدول عن كتب
الائمة الى كتب الشيوخ أتيحت لنا تقييدات للجهلة بل مسودات المسوخ فانا لله
وانا اليه راجعون فهذه جملة تهديك الى أصل العلم وتريك ما غفل الناس عنه انتهى
*ولنصلها بخاتمة تشير الى حال العلماء أيضا اعلم أن شر العلماء علماء السلاطين
وللعلماء معهم أحوال فكان الصدر الاول يفرون منهم وهم يطلبونهم فاذا حضر واحد
منهم أفرغوا عليه الدنيا افراغا ليقتنصوا بذلك غيره ثم جاء أهل العصر الثاني فطمعت
أنفسهم الى دنيا من حصل لهم ومنعهم قرب العهد بالخير عن اتيانهم فكانوا لا يأتونهم فان
دعوهم أجابوهم الا القليل فانتقصوا مما كان لغيرهم بقدر ما نقصوا من منابذتهم ثم كان
فيمن بعدهم من يأتيهم بلا دعوة وأكثرهم ان دعي أجاب فانتقصوا بقدر ذلك أيضا ثم تطارح
جمهور من بعدهم عليهم فاستغنوا بهم عن دعاء غيرهم لا على جهة الفضل او محبة المدحة
منهم فلم يبقوا عليهم من ذلك الا النزر اليسير وصرفوهم في أنواع السخر والخدم الا القليل
وهم ينتظرون صرفهم والتصريح بالاستغناء عنهم وعدم الحاجة اليهم ولا تستعظم هذا فلعله
سبب اعادة الحال جذعة عجب الله من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل وهذا كله ليظهر
لك سر قول النبي صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى
لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه خلفهم قيل اليهود والنصارى قال فمن وقد قص علينا
القرآن والاخبار من امرهم ما شاهدنا اكثره او اكثر منه فينا سمعت العلامة الابلي يقول
لولا انقطاع الوحي لنزل فينا اكثر مما نزل فيهم لانا أتينا اكثر مما اتوا يشير الى افتراق هذه
الامة على اكثر مما افترقت عليه بنو اسرائيل واشتهار باسمهم بينهم الى يوم القيامة حتى
ضعفوا بذلك عن عدوهم وتعدد ملوكهم لاتساع أقطارهم واختلاف انسابهم وعوائدهم
حتى غلبوا بذلك على الخلافة فنزعت من ايديهم وساروا في الملك بسير من قبلهم مع غلبة الهوى
واندراس معالم التقوى لكنا آخر الامم أطلعنا الله من غيرنا على أقل مما استرمنا وهو المرجو
أن يتم نعمته علينا ولا يرفع ستره الجميل عنا فمن أشد ذلك ائتلافا لغرضنا تحريف الكلم عن
مواضعه الصحيح أن ذلك لم يكن بتبديل اللفظ اذ لا يمكن ذلك في المشهورات من كتب العلماء
المستعملة فكيف في الكتب الالهية وانما كان ذلك بالتأويل كما قال ابن عباس وغيره
وأنت تبصر ما اشتملت عليه كتب التفسير من الخلاف وما حملت الآي والاخبار من
التأويلات الضعاف قيل لمالك لم اختلف الناس في تفسير القرآن فقال قالوا بآرائهم
فاختلفوا وأين هذه من قول الصديق أي سماء تظلني وأي أرض تقلني اذا قلت في كتاب الله

في ذلك الوقت وارتحل المنصور عن الربذة وهو في قبة وأوهن القوم بالجهد فحملوا على المحامل المكشفة
فربهم المنصور في قبته على
الجمارة فصاح به عبد الله
ابن الحسن يا أبا جعفر
ما هكذا فعلنا بكم يوم بدر
فصيرهم الى الكوفة
وحبسوا في سرداب تحت
الارض لا يفرقون بين
ضياء النهار وسواد الليل
وخلى منهم سليمان وعبد الله
ابنا داود بن الحسن بن
الحسن وموسى بن عبد الله
ابن الحسن والحسن بن
جعفر وحبس الآخرين
ممن ذكرنا حتى ماتوا وذلك
على شاطئ الفرات بالقرب
من قنطرة الكوفة ومواضعهم
بالكوفة تزار في هذا الوقت
وهو سنة اثنتين وثلاثين
وثلثمائة وكان قد هدم
عليهم الموضع وكانوا
يتوضؤن في مواضعهم
فاشتدت عليهم الرائحة
فاحتال بعض مواليهم
حتى أدخل اليهم شيأ من
الغالية فكانوا يدفعون
بشمها تلك الروائح المنتنة
وكان الورم في اقدامهم
فلا يزال يرتفع حتى يبلغ
الفؤاد فيموت صاحبه
وذكر انهم لما حبسوا في
هذا الموضع أشكل عليهم
أوقات الصلاة فجزؤا
القرآن خمسة أجزاء فكانوا
يصلون الصلاة على فراغ
كل واحد منهم من حزبه وكان عدد من بقي منهم خمسة فمات اسمعيل بن الحسن فترك عندهم فجيف

عزوجل برأي كيف وبعض ذلك قد انحرف عن سبيل العدل الى بعض الميل وأقرب ما يحمل
عليه جمهور اختلافهم أن يكون بعضهم قد علم بقصد الى تحقيق نزول الآية من سبب أو
حكم أو غيرهما وآخرون لم يعلموا ذلك على التعيين فلما طال بحثهم وظنوا عجزهم أرادوا تصوير
الآية بما يسكن النفوس الى فهمها في الجملة ليخرجوا عن حد الابهام المطلق فذكروا ما
ذكروه على جهة التمثيل لا على سبيل القطع بالتعيين بل منه ما لا يعلم انه اريد لا عموما ولا
خصوصا لكنه يجوز أن يكون المراد فان لم يكن اياه فهو قريب من معناه ومنه ما يعلم انه
مراد لكن بحسب الشركة والخصوصية مع جواز أن يكون هو المراد بحسب الخصوصية
ثم اختلط الامران والحق أن تفسير القرآن من أصعب الامور فالاقدام عليه جراءة وقد قال
الحسن لابن سيرين تعبر الرؤيا كأنك من آل يعقوب فقال له تفسر القرآن كأنك شهدت
التنزيل وقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يفسر من القرآن الا آيات معدودة
وكذلك أصحابه والتابعون بعدهم وتكلم أهل النقل في صحة التفسير المنسوب لابن عباس
اليه الى غير ذلك ولا رخصة في تعيين الاسباب والناسخ والمنسوخ الا بنقل صحيح أو برهان
صريح وانما الرخصة في تفهيم ما تفهمه العرب بطباعها من لغة واعراب و بلاغة لبيان اعجاز
ونحوها انتهى (ولنرجع الى بقية أنباء مولاي الجد رحمه الله) فنقول قال صاحب نيل
الابتهاج بتطريز الديباج ما صورته محمد بن محمد بن أحمد القرشي التلمساني الشهير
بالمقري بفتح الميم وتشديد القاف المفتوحة كذا ضبطه الشيخ عبد الرحمن الثعالبي في كتابه
العلوم الفاخرة وضبطه ابن الاحمر في فهرسته وسيدي أحمد زروق بفتح الميم وسكون القاف
الامام العلامة النظار المحقق القدوة الحجة الجليل الرحلة احد فحول أكابر علماء المذهب
المتأخرين الاثبات قاضي الجماعة بفاس ذكره ابن فرحون في الاصل يعني الديباج وأثنى عليه
انتهى وقال الخطيب ابن مرزوق كان صاحبنا المقري معلوم القدر مشهور الذكر بالخير
تسعه بعد موته من حسن الثناء وصالح الدعاء ما يرجى له النفع به يوم اللقاء وعوارفه معلومة
عند الفقهاء ومشهورة بين الرعاع انتهى وقال أبو العباس الونشريسي في بعض فوائده
ومقرة بفتح الميم بعدها قاف مفتوحة مشددة قرية من قرى بلاد الزاب من أعمال أفريقية
سكنها سلفه ثم تحولوا الى تلمسان وبها ولد الفقيه المذكور وبها نشأ وقرأ وأقرأ الى ان
خرج منها صحبة الركاب المتوكلي العناني أمير المؤمنين فارس عام تسعة وأربعين وسبعمائة
الى مدينة فاس المحروسة فولاه القضاء فنهض باعبائه علما وعملا وحمدت سيرته ولم تأخذه
في الله لومة لائم الى أن توفي بها اثر قدومه من بلاد الاندلس في غرض الرسالة لابي عنان عام
تسعة وخمسين وسبعمائة ثم نقل الى مسقط رأسه تلمسان وقال في موضع آخر انه توفي رحمه الله
تعالى يوم الاربعاء التاسع والعشرين من جمادى الاولى عام تسعة وخمسين وسبعمائة بمدينة
فاس المحروسة ثم نقل الى تلمسان محل ولادته ومقر أسلافه ودفن بها في البستان الملاصق
لقبلي داره الكائنة بباب الصرف من البلد المذكور وهو الآن على ملك بعض ورثة
الشيخ أبي يحيى الشريف انتهى ٭ ومن أخبار مولاي الجد رحمه الله تعالى أنه قال شهدت
الوقفة سنة أربع وأربعين وسبعمائة وكانت جمعة وقام الخطيب في سابع ذي الحجة في

فصعق داود بن الحسن فمات وأتى برأس ابراهيم بن عبد الله فوجه به
المنصور مع الربيع اليهم فوضع الرأس بين أيديهم وعبد الله يصلي فقال له ادريس أخوه اسرع في صلاتك يا أبا محمد فالتفت اليه وأخذ الرأس فوضعه في حجره وقال له أهلا وسهلا يا أبا القاسم والله لقد كنت من الذين قال الله عزوجل فيهم الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل الى آخر الآية فقال له الربيع كيف أبو القاسم في نفسه قال كما قال الشاعر

فتى كان يحميه من الذل سيفه
ويكفيه أن يأتي الذنوب اجتنابها

ثم التفت الى الربيع فقال قل لصاحبك قد مضى من بؤسنا أيام والملتقى القيامة قال الربيع فما رأيت المنصور قط أشد انكسارا منه في الوقت الذي بلغته فيه الرسالة فأخذ هذا المعنى العباس بن الاحنف فقال

فان تلحظي حالي وحالك مرة
بنظرة عين عن هوى النفس تحجب
ترى كل يوم بين يومين عيشتي
تمر بيوم من نعيمك تحسب

(قال المسعودي) ولما أخذ المنصور عبد الله بن الحسن وأهل بيته صعد المنبر بالهاشمية فحمد

الناس بالمسجد الحرام وقال ان جمعة وقفتكم هذه خاتمة مائة جمعة وقف بها من الجمعة التي وقف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع آخر عشر من الهجرة وشاع ذلك في الناس وذاع وكان علم ذلك مما تواتر عندهم والله أعلم وهم يزعمون أن الجمعة تدور على خمس سنين وهذا مناف لذلك لكن كثير منهم ينكر اطراد هذا ويقول انها قد تكون على خلاف ذلك فلا أدري * ومنها أنه قال شهدت شمس الدين بن قيم الجوزية مقيم الحنابلة بدمشق وقد سأله رجل عن قوله عليه الصلاة والسلام من مات له ثلاثة من الولد كانوا له حجابا من النار كيف ان أتى بعد ذلك بكبيرة فقال موت الولد حجاب والكبيرة خرق لذلك الحجاب وانما يكون الحجاب حجابا مالم يخرق فاذا خرق فقد زال عن ان يكون حجابا الا ترى الى قوله عليه الصلاة والسلام الصوم جنة مالم يخرقها ثم قال وهذا الرجل أكبر أصحاب تقي الدين بن تيمية * ومن أخبار مولاي الجد الدالة على صرامته ما حكاه ابن الازرق عنه انه كان يحضر مجلس السلطان أبي عنان لبث العلم وكان نقيب الشرفاء بفاس اذا دخل مجلس السلطان يقوم له السلطان وجميع من في المجلس اجلالا له الا الشيخ المقري فانه كان لا يقوم في جملتهم فأحس النقيب من ذلك وشكاه الى السلطان فقال له السلطان هذا رجل وارد علينا نتركه على حاله الى أن ينصرف فدخل النقيب في بعض الايام على عادته فقام له السلطان على العادة وأهل المجلس فنظر الى المقري وقال له أيها الفقيه مالك لا تقوم كما يفعل السلطان نصره الله وأهل مجلسه اكراما لجدي ولشرفي ومن أنت حتى لا تقوم لي فنظر اليه المقري وقال له أما شرفي فمحقق بالعلم الذي انا أبثه ولا يرتاب فيه احد وأما شرفك فمظنون ومن لنا بصحته منذ أزيد من سبعمائة سنة ولو علمنا شرفك قطعا لأقمنا هذا من هنا وأشار الى السلطان أبي عنان وأجلسناك مجلسه فسكت انتهى قال ابن الازرق وعلى اعتذاره ذلك بان الشرف الآن مظنون فمن معنى ذلك أيضا ما يحكى عنه انه كان يقرأ بين يدي السلطان أبي عنان المذكور صحيح مسلم بحضرة أكابر فقهاء فاس وخاصتهم فلما وصل الى أحاديث الائمة من قريش قال الناس ان قال الشيخ الائمة من قريش وأفصح بذلك استوغر قلب السلطان وان ورى وقع في محظور فجعلوا يتوقعون له ذلك فلما وصل الى الاحاديث قال بحضرة السلطان والجمهور ان الائمة من قريش ثلاثا ويقول بعد كل كلمة وغيرهم متغلب ثم نظر الى السلطان وقال له لا عليك فان القرشي اليوم مظنون وأنت أهل للخلافة اذ بعض الشروط قد توفرت فيك والحمد لله فلما انصرف الى منزله بعث له السلطان بالف دينار انتهى قال أبو عبد الله بن الازرق قلت ويلزم أيضا من اعتذاره أن قيام السلطان لذي الشرف المحقق بالعلم أولى بالمحافظة على تعظيم حرمات الله وقد روى عن بعض الامراء أنه تكبر على ذلك واستخف بمنزلة من عظم به غيره فسلبه الله ملكه وملك بنيه من بعده انتهى * ومن أجوبة مولاي الجد رحمه الله تعالى قوله سألني السلطان عمن ألزمته يمينا على نفي العلم فحلف جهلا على البت هل يعيد أم لا فاجبته باعادتها وقد كان من حضر من الفقهاء أفتوا بان لا تعاد لانه أتى بأكثر مما أمر به على وجه يتضمنه فقلت له اليمين على وجه الشك غموس قال ابن يونس والغموس الحلف على تعمد الكذب او على غير يقين ولا شك أن الغموس محرمة منهي عنها

دعوتنا ولو بايعتم غيرنا لم تبايعوا خيرا منا ان ولد ابن أبي طالب تركناهم والذي لا اله الا هو والخلافة فلم نعرض لهم لا بقليل ولا بكثير فقام فيها علي بن أبي طالب رضي الله عنه فما أفلح وحكم الحكمين فاختلف عليه الامة وافترقت الكلمة ثم وثب عليه شيعته وأنصاره وثقاته فقتلوه ثم قام بعده الحسن بن علي رضي الله عنه فوالله ما كان برجل عرضت عليه الاموال فقبلها ودس اليه معاوية اني أجعلك ولي عهدي فخلعه وانسلخ له مما كان فيه وسلمه اليه وأقبل على النساء يتزوج اليوم واحدة ويطلق غدا أخرى فلم يزل كذلك حتى مات على فراشه ثم قام من بعده الحسين ابن علي رضي الله عنه فخدعه أهل العراق وأهل الكوفة أهل الشقاق والنفاق والاغراق في الفتن الى هذه المدرة السوء وأشار الى الكوفة فوالله ما هي بحرب فأحاربها ولا سلم فأسالمها فرق الله بيني وبينها فخذلوه وابرؤا أنفسهم منه فأسلموه حتى قتل ثم قام بعده زيد بن علي فخدعه أهل الكوفة وغروه فلما أظهروه وأخرجوه أسلموه وقد كان أبي محمد بن علي ناشده الله

والنهى

والنهي يدل على الفساد ومعناه في العقود عدم ترتب أثره فلا أثر لهذه اليمين ويجب أن تعاد
وقد يكون من هذا اختلافهم فيمن أذنها السكوت فتكلمت هل يجتزي بذلك والاجزاء هنا
أقرب لانه الاصل والصمات رخصة لغلبة الحياء فان قلت البت أصل ونفي العلم انما يعتبر
عند تعذره قلت ليس رخصة كالصمات* ومنها أنه قال سألني بعض الفقهاء عن السبب
في سوء بخت المسلمين في ملوكهم اذ لم يل أمرهم من يسلك بهم الجادة ويحملهم على الواضحة بل
من يغتر في مصلحة دنياه غافلا عن عاقبة أخراه فلا يرقب في مؤمن الا ولا ذمة ولا يراعي عهدا
ولا حرمة فأجبته بان ذلك لان الملك ليس في شريعتنا وذلك أنه كان فيمن قبلنا شرعا قال
الله تعالى ممتنا على بني اسرائيل وجعلكم ملوكا ولم يكن ذلك في هذه الامة بل جعل لهم
خلافة قال الله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض
الآية وقال تعالى وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا وقال سليمان رب اغفر لي
وهب لي ملكا فجعلهم الله تعالى ملوكا ولم يجعل في شرعنا الا الخلفاء فكان أبو بكر خليفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وان لم يستخلفه نصا لكن فهم الناس ذلك فهما وأجمعوا على
تسميته بذلك ثم استخلف أبو بكر عمر فخرج بها عن سبيل الملك الذي يرثه الولد عن الوالد
الى سبيل الخلافة الذي هو النظر والاختيار ونص في ذلك على عهده ثم اتفق أهل الشورى
على عثمان فاخراج عمر لها عن بنيه الى الشورى دليل على انها ليست ملكا ثم تعين علي
بعد ذلك اذ لم يبق مثله فبايعه من آثر الحق على الهوى واصطفى الآخرة على الدنيا ثم الحسن
كذلك ثم كان معاوية أول من حول الخلافة ملكا والخشونة لينا ثم ان ربك من بعدها
لغفور رحيم فجعلها ميراثا فلما أخرجها عن وضعها لم يستقم ملك فيها الا ترى أن عمر بن
عبد العزيز رضي الله عنه كان خليفة لا ملكا لان سليمان رحمه الله تعالى رغب عن بني أبيه
ايثارا للحق للمسلمين ولئلا يتقلدها حيا وميتا وكان يعلم اجتماع الناس عليه فلم يسلك
طريق الاستقامة بالناس قط الا الخليفة وأما الملوك فعلى ما ذكرت الا من قل وغاب أفعاله
غير مرضية انتهى وفوائد مولاي الجد وتحفه وطرفه ولطائفه ودقائقه يستدعي
استقصاؤها مجلدات فلنكتف بما قدمناه* وفي الاشارة ما يغني عن الكلام* (وأما تآليفه
فكثيرة) منها كتاب القواعد اشتمل على ألف قاعدة ومائتي قاعدة قال العلامة
الونشريسي في حقه انه كتاب غزير العلم كثير الفوائد لم يسبق الى مثله بيد أنه يفتقر الى
عالم فتاح انتهى وقد أشار فيه الى مآخذ الاربعة وهو قليل بهذه الديار المشرقية ولم أر
منه بمصر الا نسخة عند بعض الاصحاب وذكر أنها من أوقاف رواق المغاربة بالازهر المعمور
وأما قول لسان الدين في الاحاطة عند تعرضه لذكر تآليف مولاي الجد ما صورته ألف
كتابا يشتمل على أزيد من مائة مسئلة فقهية ضمنها كل أصل من الرأي والمباحثة فهو غير
القواعد بلا مرية* ومنها كتاب الطرف والتحف غاية في الحسن والظرف قاله الونشريسي
وقد وقفت على بعضه فرأيت العجب العجاب* ومنها اختصار المحصل ولم يكمله وشرحه
لجمل الخونجي كذلك ومنها كتاب عمل من طب لمن حب وهو بديع في بابه مشتمل على
أنواع الاول فيه أحاديث حكمية كأحاديث الشهاب وسراج المهتدين لابن العربي

في الخروج اوقال له لاتقبل أقاويل أهل الكوفة فانا نجد في علمنا أن بعض
أهل بيتنا يصلب بالكناسة
وأخشى أن تكون ذلك
المصلوب وناشده الله بذلك
عمي داود وتحذره رحمه الله
عن زاهد الكوفة فلم يقبل
وتم على خروجه فقتل
وصلب بالكناسة ثم
وثب بنو أمية علينا فأماتوا
شرفنا وأذهبوا عزنا والله
ما كان لهم عندنا ترة
يطلبونها وما كان ذلك كله
الافيهم وبسبب خروجهم
فنفونا عن البلاد فصرنا
مرة بالطائف ومرة بالشام
ومرة بالسراة حتى ابتعثكم
الله لنا شيعة وأنصارا
فأحيا الله شرفنا وعزنا بكم
وأظهر لنا حقنا وأصار
الينا ميراثنا من نبينا صلى
الله عليه وسلم فقر الحق في
قراره وأظهر الله مناره
وأعز أنصاره وقطع دابر
القوم الذين ظلموا والحمد
لله رب العالمين فلما استقرت
الامور فينا على قرارها من
فضل الله وحكمه العدل
وثبوا علينا حسدا منهم
وبغيا لهم بما فضلنا الله به
عليهم وأكرمنا من خلافته
ميراثنا من نبيه وجبنا من
بني أمية وجراءة علينا اني
والله يا أهل خراسان ما أتيت
ما أتيت من هذا الامر من
جهالة ولقد كنت يبلغني
عنهم بعض السقم ولقد
كنت سميت لهم رجالا فقلت قم أنت يافلان فخذ معك من المال كذا وكذا وقم أنت يافلان فخذ معك من

والنوع الثاني منه الكليات الفقهية على جملة أبواب الفقه في غاية الافادة والثالث في قواعد وأصول والرابع في اصطلاحات وألفاظ قال الوانشريسي وقد أطلعني الفقيه أبو محمد عبد الله بن عبد الخالق على نسخة من هذا الكتاب فتلطفت في استنساخها فلم يسمح به انتهى قلت وقد رأيت هذا الكتاب بحضرة فاس عند بعض أولاد ملوك تلمسان وهو فوق ما يوصف وفيه يقول مولاي الجد رحمه الله تعالى

هذا كتاب بديع في محاسنه * ضمنته كل شيء خلته حسنا
فكل ما فيه ان مر اللبيب به * ولم يشم عبيرا شام منه سنا
فخذه واشدد به كف الضنين وذد * حتى تحصله عن جفنك الوسنا

وهذه الابيات كافية في وصف هذا الكتاب اذ صاحب البيت أدرى بالذي فيه * ومنها كتاب المحاضرات وفيه من الفوائد والحكايات والاشارات كثير وقد ملكت منه بالمغرب نسختين فلنذكر منه بعض الفوائد فنقول قال رحمه الله تعالى قيل لصوفي لم تقول الله ولا تقول لا إله إلا الله فقال نفي العيب حيث يستحيل العيب عيب وهذا ان لم يكن في هذه الكلمة لانها أفضل ما قالته الانبياء فهو في كثير من التنزيه الذي يطلقه المتكلمون وغيرهم حتى قال الشاشي عنهم انهم يتمدلون باسماء الله عز وجل ما عرفه من كيفه ولا وحده من مثله ولا عبده من شبهه المشبه اعشى والمعطل أعمى المشبه متلوث بفرث التجسيم والمعطل نجس بدم الجحود ونصيب المحق لبن خالص وهو التنزيه انزل من علو التشبيه ولا تعل قلل اباطيل التعطيل فالوادي المقدس بين الجبلين (أبو المعالي) من اطمأن الى موجود انتهى اليه فكره فهو مشبه ومن سكن الى النفي المحض فهو معطل ومن قطع بموجود واعترف بالعجز عن ادراكه فهو موحد جل رب الاعراض والاجسام عن صفات الاعراض والاجسام جل ربي عن كل ما اكتنفته لحظات الافكار والاوهام برئ الله من هشام وممن قال في الله مثل قول هشام (الدقاق) المريد صاحب وله لان المراد بلا شبه وقيل مثله الاعلى ليس كمثله شيء (الجنيد) اشرف كلمة في التوحيد قول الصديق الحمد لله الذي لم يجعل للخلق سبيلا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته (القشيري) يعني أن العارف عاجز عن معرفته والمعرفة موجودة فيه (غيره) ما عرف الله سوى الله لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك

كل ما ترتقي اليه بوهم * من جلال وقدرة وسناء
فالذي أبدع البرية أعلى * منه سبحان مبدع الاشياء

سئل المريسي الشافعي عن التوحيد بحضرة الرشيد فقال أن لا تتوهمه ولا تتهمه فابهت (الشبلي) من توهم انه واصل فليس له حاصل ومن رأى انه قريب فهو بعيد ومن تواجد فهو فاقد ومن أجاب عن التوحيد بالعبارة فهو غافل ومن سكت عنه فهو جاهل ما أرادت همة سالك أن تقف عندما كشف لها الا نادته هواتف الحقيقة الذي تطلب أمامك وما تبرجت ظواهر المكونات الا نادتك حقائقها انما نحن فتنة فلا تكفر

ما ينتهي نظري منهم الى رتب * في الحسن الا ولاحت فوقها رتب

المال كذا وكذا وحذوت لهم مثالا يعملون عليه فخرجوا حتى أتوا المدينة فسدوا ذلك المال فوالله ما بقي منهم شيخ ولا شاب ولا صغير ولا كبير الا بايعهم لي فاستحللت به دماءهم وحكمت عند ذلك بنقضهم بيعتي وطلبهم الفتنة والتماسهم الخروج علي ثم قرأ في درج المنبر وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل باشياعهم من قبل انهم كانوا في شك مريب (قال المسعودي) وقال المنصور للربيع يوما اذكر حاجتك قال يا أمير المؤمنين حاجتي أن تحب الفضل فقال له ويحك ان المحبة انما تقع باسباب قال يا أمير المؤمنين قد أمكنك الله من ايقاع السبب قال وماذاك قال تفضل عليه فانك اذا فعلت ذلك أحبك واذا أحبك أحببته واذا أحببته كبر عندك صغير احسانه وصغر عندك كبير اساءته وكانت ذنوبه كذنوب الصبيان وصاحبه اليك الشفيع العريان وقال المنصور يوما للربيع ويحك يا ربيع ما أطيب الدنيا لولا الموت قال له ما طابت الا بالموت قال وكيف ذلك قال لولا الموت لم تقعد ههنا قال صدقت (وذكر) اسحق ابن الفضل قال بينا أنا على باب المنصور اذ أتى عمرو بن عبيد فنزل عن حماره وجلس فخرج اليه الربيع فقال قم أبا عثمان بأبي

(الجريرى) ليس لعلم التوحيد الالسان التوحيد (الحسن) العجز عن درك الادراك ادراك

تبارك الله وارث غيبه حجب * فليس يعرف الا الله ما الله

دعانى الى الله عز وجل بحقيقة التوحيد فلم يستجب له الا الواحد بعد الواحد فعجب من ذلك فاوحى الله عز وجل اليه تريد أن تستجيب لك العقول قال نعم قال احجبني عنها قال كيف أحجبك وأنا أدعو اليك قال تكلم فى الاسباب وفى أسباب الاسباب فدعا الخلق من هذا الطريق فاستجاب له الجم الغفير *(ومنه) سمع اعرابى اختلاف المتكلمين بمسجد البصرة فى الانسان وانتزاع كل واحد منهم الحجة على رأيه فخرج وهو يقول

ان كنت أدرى فعلى بدنه * من كثرة التخليط فى من انه

ومن عجز عن أقرب الاشياء نسبة منه فكيف يقدر على أبعد الامور حقيقة عنه من عرف نفسه عرف ربه * (ومنه) دع ما يسبق الى القلوب انكاره وان كان عندك اعتذاره * لما احتضر الوليد بن أبان قال لبنيه هل تعلمون أحدا هو أعلم بالكلام منى قالوا لا قال فانى أوصيكم بما عليه أهل الحديث فانى رأيت الحق معهم وعن أبي المعالى نحوه (ومنه) هو أحمد المحاسبى لما صنف فى علم الكلام فقال انما قصدت الى نصر السنة فقال ألست تذكر البدعة والشبهة قلت من تحقق كلام فخر الدين الرازى وجده فى تقرير الشبه أشد منه فى الانفصال عنها وفى هذا ما لا يخفى *(ومنه) من آمن بالنظر الى ظاهر الثعبان كفر بالاستماع الى خوار العجل ومن شاهد مجاوزة القدرة الالهية لمنتهى وسع القوة البشرية لم يكترث بوعيد الدنيا ولم يؤثر الهوى على الهدى والتقوى *(ومنه) على بن الحسين من عرف الله بالاخبار دون شواهد الاستبصار والاعتبار اعتمد على ما لحقه التهم *(ومنه) قيل لطبيب بم عرفت ربك قال بالاهليلج يجفف الحلق ويلين البطن * وقيل لاديب بم عرفت ربك قال بنحلة فى أحد طرفيها عسل وفى الآخر لسع والعسل مقلوب اللسع وسأل الدهرية الشافعى عن دليل الصانع فقال ورقة الفرصاد تأكلها دودة القز فيخرج منها الابريسم والنحل فيكون منها العسل والظباء فينعقد فى نوافجها المسك والشاء فيكون منها البعر فآمنوا كلهم وكانوا سبعة عشر * قيل لاعرابى بم عرفت ربك فقال البعرة تدل على البعير والروث يدل على الحمير وآثار الاقدام تدل على المسير فسماء ذات أبراج وبحار ذات أمواج أما يدل ذلك على العليم القدير

قد يستدل بظاهر عن باطن * حيث الدخان يكون موقد نار

قيل لاعرابى بم عرفت الله قال بنقض عزائم الصدور وسوق الاختيار الى حبائل المقدور (ومنه) الدقاق لو كان ابليس بالحق عارفا ما كان لنفسه بالاضلال والاغواء واصفا (ومنه) التوحيد محو آثار البشرية وتجديد صفات الالوهية الحق واحد فى ذاته لا ينقسم واحد فى صفاته لا يماثل واحد فى أفعاله لا يشارك لو كان موجودا عن عدم ما كان موصوفا بالقدم الحياة شرط القدرة دلت على ذلك الفطرة لو لم يكن الصانع حيا لاستحال ان يوجد شيأ لو لم يكن باقيا لكان للالوهية منافيا لو كان البارى جسما ما استحق الالهية اسما لو كان البارى جوهرا لكان للحيز مفتقرا العرض لا يبقى

أنت وأمى فلما دخل على أبي جعفر أمر أن تفرش له ابو دبقر به وأجلسه اليه بعدما سلم ثم قال يا أباعثمان عظني بموعظة فوعظه بمواعظ فلما أراد النهوض قال أمرنا لك بعشرة آلاف قال لا حاجة لى فيها قال أبو جعفر والله لتأخذنها قال لا والله لا آخذها وكان المهدى حاضرا فقال يحلف أمير المؤمنين وتحلف فالتفت عمرو الى أبي جعفر فقال من هذا الفتى قال هذا محمد ابنى وهو المهدى وهو ولى عهدى قال أما والله لقد ألبسته لباسا ما هو من لباس الابرار ولقد سميته باسم ما استحقه عملا ولقد مهدت له أمتع ما يكون عنه ثم أقبل عمرو على المهدى فقال نعم يا ابن أخى اذا حلف أبوك أحنثه عمك لان أباك أقوى على الكفارات من عمك فقال له المنصور هل لك من حاجة يا أباعثمان قال نعم قال ما هى قال أن لا تبعث الى حتى آتيك قال اذا لا نلتقى قال هى حاجتى فمضى واتبعه المنصور بطرفه ثم قال

كلكم يمشى رويد
كلكم يطلب صيد
غير عمرو بن عبيد

ودخل عمرو بن عبيد على المنصور بعدما بايع للمهدى فقال له يا أباعثمان هذا ابن أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين فقال له عمرو يا أمير المؤمنين أراك قد وطدت له الامور وهى

والقديم لا يتغير ولا يفنى لو لم يكن بصفة القدرة موصوفا لكان بسمة العجز معروفا لو لم يكن عالما قادرا لاستحال كونه خالقا فاطرا دلت الفطرة والعبرة أن الحوادث لا تحصل الا من ذي قدرة لو لم يكن بالارادة قاصدا ما كان العقل بذلك شاهدا من تنوع ايجاده دل ذلك على ان الفعل مراده لو لم يكن بالسمع والبصر موصوفا لكان لضديهما مألوفا لو جاز سامع لا سمع له لجاز صانع لا صنع له لو كان سمعه باذن لافتقرت ذاته الى ركن من صدرت عنه الشرائع والاحكام كان موصوفا بالكلام ليس في الصفات السبع ما لا يتعلق الا الحياة ولا ما يؤثر الا القدرة والارادة كما جاز أن يأمر بما لا يريد جاز أن يريد ما لا يحب لا يسئل عما يفعل الواحد كاف وما زاد عليه متكاف ليس مع الله تعالى موجودات لان الموجودات كلها كالظل من نور القدرة له نور التبعية لا رتبة المعية

ان من اشرك بالله مجهول بالمعاني

أحول العقل لهذا * ظن للواحد ثاني

قال جعفر بن محمد لو كان على شئ لكان محمولا ولو كان في شئ لكان محصورا ولو كان من شئ لكان محدثا (قيل) لثمامة بن الاشرس متى كان الله فقال ومتى لم يكن فقيل فلم كفر الكافر فقال الجواب عليه (قال خادم) أبي عثمان قال لي مولاي يا محمد لو قيل لك اين معبودك ما كنت تجيب قال أقول بحيث لم يزل قال فان قيل لك فأين كان في الازل فقال أقول بحيث هو الآن فنزع قميصه واعطانيه (قيل) لصوفي اين هو فقال محقك الله ايطلب مع العين أين (ومنه) سمعت شيخنا يقول نقصنا صفة كمال له فينا يعني اذا وجب له كل الكمال وجب لنا كل النقص وهذا على انه ليس في الامكان ابدع مما كان وفيه كلام *(ومنه) بلغ أحمد ان أبا ثور قال في الحديث خلق الله آدم على صورته ان الضمير لآدم فهجره فاتاه أبو ثور فقال أحمد أي صورة كانت لآدم يخلقه عليها كيف تصنع بقوله خلق الله آدم على صورة الرحمن فاعتذر اليه وتاب بين يديه *(ومنه) أتى يهودي المسجد فقال أين وصي محمد صلى الله عليه وسلم فاشاروا الى الصديق فقال اني سائلك عن أشياء لا يعلمها الا نبي أو وصي نبي قال سل قال فاخبرني عما ليس لله وعما ليس عند الله وعما لا يعلمه الله فقال هذه مسائل الزنادقة وهم بقتله فقال ابن عباس ما أنصفتموه اما أن تجيبوه واما ان تصرفوه الى من يجيبه فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلي اللهم اهد قلبه وثبت لسانه فقال أبو بكر قم معه الى علي فقال له اما ما لا يعلمه الله فقولكم في عزير انه ابن الله والله عز وجل لا يعلم له ولدا قال في التنزيل ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله الآية وأما ما ليس عند الله فالظلم واما ما ليس له فالشريك فاسلم اليهودي فقبل أبو بكر رأس علي وقال له يا مفرج الكربات وورد مثل هذه المسائل عن الصحابة فالله تعالى أعلم *وقال العتابي لابي قرة النصراني عند المأمون ما تقول في المسيح قال من الله قال البعض من الكل على سبيل التجزي والولد من الوالد على طريق التناسل والخل من الخمر على وجه الاستحالة والخلق من الخالق على جهة الصنعة فهل من معنى خامس قال لا ولكن لو قلت بواحد منها ما كنت تقول قال البارى لا يتجزأ ولو جاز عليه ولد لجاز له ثان وثالث وهلم جرا ولو

تصير الى ... وأنت عنه أعطاك الدنيا باسرها فاشتر نفسك منها ببعضها وان هذا الذي في يديك لو بقي في يد غيرك لم يصل اليك فاحذر ليلة تمخض بيوم لا ليلة بعده وأنشد

يا أيهذا الذي قد غره الامل
ودون ما يأمل التنغيص والاجل
الا ترى أنما الدنيا وزينتها
كمنزل الركب حلوا ثمت ارتحلوا
حتوفها رصد وعيشها نكد
وصفوها كدر وملكها دول
تظل تقرع بالروعات ساكنها
فما يسوغ له لين ولا جذل
كأنه للمنايا والردى غرض
تظل فيه بنات الدهر تنتضل
والنفس هاربة والموت يرصدها
وكل عثرة رجل عندها زلل
والمرء يسعى لما يبقى لوارثه
والقبر وارث ما يسعى له الرجل

ومات عمرو بن عبيد في أيام المنصور سنة أربع وأربعين ومائة ويكنى أبا عثمان وهو عمرو بن عبيد ابن رباب مولى بني تميم وكان جده رباب من سبي كابل من رجال السند وكان شيخ المعتزلة ومفتيها وله خطب ورسائل وفي سنة احدى وأربعين ومائة شخص المنصور الى

استحال

استحال فسد والرابع مذهبنا وهو الحق *(ومنه) أول ما تكلم به عيسى فى المهد أن قال انى عبد الله وهو حجة على الغالين فيه يقال لهم ان صدق فقد كذبتم والا فمن عبدتم ولمن ادعيتم *قال القاضى ابن الطيب للقسيس لما وجهه عضد الدولة الى ملك الروم لم اتحد اللاهوت بالناسوت فقال أراد ان ينجى الناس من الهلاك قال فهل درى أنه يقتل ويصلب أولا فان لم يدر لم يجز أن يكون الها ولا ابنا وان درى فالحكمة تمنع من التعرض لمثل ما قلتم انه جرى سأل القاضى هذا البطرك عن أهله وولده فأنكر ذلك النصارى فقال تبرئون هذا مما تثبتونه لربكم سوأة لهذا الرأى فانكسروا *(ابن العربى) سمعت الفقراء ببغداد يقولون ان عيسى عليه السلام كان اذا خلق من الطين كهيئة الطير طار وشيا ثم سقط ميتا لانه كان يخلق ولا يرزق ولو رزق لم يبق أحد الا قال هو الله الآمن اوتى هداه *سأل ابن شاهين الجنيد عن معنى مع فقال مع الانبياء بالنظر والكلاءة انى معكما ومع العامة بالعلم والاحاطة الا هو معهم فقال مثلك يصلح دليلا على الله *(ومنه) سأل قدرى عليا رضى الله عنه عن القدرة فاعرض عنه فالح عليه فقال أخلقك كيف شئت او كيف شاء فأمسك فقال اترونه يقول كيف شئت اذن والله أقتله فقال كيف شاء قال ايحييك كيف تشاء او كيف يشاء قال كيف يشاء قال فيدخلك حيث تشاء أو حيث يشاء قال حيث يشاء قال اذهب فليس لك من الامر شئ *(أبو سليمان) أدخلهم الجنة قبل أن يطيعوه وأدخلهم النار قبل أن يعصوه جل حكم الازل أن يضاف الى العلل سبق قضاؤه فعله انى جاعل فى الارض خليفة وأوقفت مشيئته أمره ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا *قال الشاذلى أهبط آدم الى الارض قبل ان يخلقه لانه قال فى الارض ولم يقل فى السماء ولا فى الجنة *(الاوزاعى) نضى عما نهى وحال دون ما أمر واضطر الى ما حرم

ألقاه فى اليم مكتوفا وقال له * اياك اياك أن تبتل بالماء

قال الاوزاعى لغيلان مشيئتك مع مشيئة الله عز وجل او دونها فلم يجب فقال هشام بن عبد الملك فلو اختار واحدة فقال ان قال معها فقد زعم أنه شريك وان قال وحدها فقد تفرد بالربوبية قال لله درك أبا عمرو *من بيان عظمته رفيع الدرجات من آثار قدرته رفيع السموات توقيع أمره يامر بالعدل والاحسان واقع زجره وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى تنفيذ حكمه فعال لما يريد دستور ملكه لا يسئل عما يفعل *(اياس بن معاوية) ما خاصمت أحدا بعقلى كله الا القدرية قلت لقدرى ما الظلم فقال أخذ ما ليس لك قلت فان الله له كل شئ *(الواسطى) ادعى فرعون الربوبية على الكشف وادعت المعتزلة الربوبية على الستر تقول ما شئت فعلت *(ومنه) من أقصته السوابق لم تدنه الوسائل اذا كان القدر حقا فالحرص باطل *اذا كان الله عز وجل عدلا فى قضائه فعصيات الخلق بما كسبت أيديهم

ما عذر معتزلى موسر منعت * كفاه معتزليا عسرا صفدا
ايزعم القدر المحتوم ثبطه * ان قال ذاك فقد حل الذى عقدا

*(ومنه) دخل محمد بن واسع على بلال بن فروة فقال ما تقول فى القدر قال تفكر فى جيرانك

بيت المقدس فصلى فيه لنذر كان عليه وانصرف وفى سنة ست وأربعين ومائة مات هشام بن عروة وهو ابن خمس وثمانين وكان اذا أسمعه رجل كلاما قال انا أرفع نفسى ثم نازع على بن الحسين بن على فأسرع اليه هشام فقال له على انى أدعك الى ما كنت تدعو اليه وفى سنة خمسين ومائة مات أبو حنيفة النعمان بن ثابت مولى تيم اللات من بكر بن وائل فى أيام المنصور ببغداد توفى وهو ساجد فى صلاته وهو ابن تسعين سنة وفى سنة سبع وخمسين مات الاوزاعى ويكنى أبا عمرو عبد الرحمن بن عمرو من أهل الشام وانما كان منزله فيهم أعنى الاوزاع ولم يكن منهم وذلك بدمشق فى آخر أيام المنصور وله تسعون سنة وفى سنة ست وخمسين ومائة مات سوار ابن عبد الله القاضى وفى سنة أربع وخمسين ومائة مات أبو عمرو بن العلاء فى أيام المنصور وطال حبس عبد الله بن على بامر المنصور وأقام فى محبسه تسع سنين فلما أراد المنصور الحج فى سنة تسع وأربعين ومائة حوله من عنده الى عيسى ابن موسى وأمره بقتله وان لا يعلم بذلك أحدا فاستشار عيسى بن موسى ابن شبرمة فقال له لا تفعل فأبى أن يقتله وأظهر لابى جعفر أنه قتله وشاع ذلك فكلم بنو على عيسى بن

أهل القبور فان فيهم شغلا عن القدر

وكل من أغرق في نعته * أصبح منسوبا الى العى

المقادير تبطل التقدير وتنقض التدبير قال معتزلي لسني لو أراد ثبوت أحد على الكفر لم يقل ليخرجكم من الظلمات الى النور فقال السني لو لم يكن الايمان من فعله لم يقل ليخرجكم من الظلمات الى النور * قال نقفور طاغية النصارى لابي الحسن الثلباني أنت تقول ان الخير والشر من الله وذلك لان النصارى كلهم على مذهب القدرية في الاستطاعة قال نعم قال كيف يعذب عليه هل كان حقا عليه أن يخلق فقال لم يضطره الى ما خلق مضطر * قيل نزلت وما أضلنا الا المجرمون في القدرية لانهم أضافوا الحول والقوة في الشر الى البشر وأشركوهم في الخالق أما ترى قوله تعالى ان المجرمين في ضلال وسعر الى قوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر

كنت دهرا أقول بالاستطاعه * وأرى الجبر ضلة وشناعه

ففقدت استطاعتي في هوى ظبـ * ـي فسمعا لمن أحب وطاعه

(غيره) ما لا يكون فلا يكون بحيلة * أبدا وما هو كائن سيكون

(غيره) تريد النفس أن تعطى مناها * ويأبى الله الا ما يشاء

شفاء الصدور في التسليم للمقدور

اذا لم يكن الا الاسنة مركب * فلا رأى للمضطر الا ركابها

(غيره) أي يومي من الموت افر * يوم لا يقدر أم يوم قدر

اذا كان الداء من السماء بطل الدواء قال الحائط للوتد لم تشقني قال سل من يدقني

الناس يلحون الطبيب وانما * غلط الطبيب اصابة المقدور

قيل لحكيم أخرج الهم من قلبك فقال ليس باذني دخل

نفسي تنازعني فقلت لها قرى * موت يريحك او صعود المنبر

ما قد قضى سيكون فاصطبري له * ولك الامان من الذي لم يقدر

ولتعلمي أن المقدر كائن * لابد منه صبرت أو لم تصبري

(ومنه) الهارب من المقدور كالمتقلب في كف الطالب * من كان السلطان يطلبه ضاق عليه مذهبه وما أنتم بمعجزين * أسلى آية في التنزيل ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الى قوله تعالى بما آتاكم * (ومنه) أخل رجل بخدمة صاحب الاسكندرية فتغيب ثم ظفر به عرفاؤه فقادوه فانساب منهم ورمى بنفسه في بئر وتحت الاسكندرية أسراب يسير فيها القائم من أول البلد الى آخره فلم يزل يمشي حتى وجد بئرا صاعدة فتعلق بها فاذا هي في دار السلطان فاخذه فأدبه فانظر كيف فر من قودة السلطان مكرها وأتاه برجله طائعا * ذهب القضاء بحيلة العقلاء * (ومنه) قال يزيد بن المهلب لموسى بن نصير أنت أدهى الناس وأعلمهم فكيف طرحت نفسك في يد سليمان فقال ان الهدهد يهتدي للماء في الارض الفيفاء وينصب له الصبي الفخ بالدودة أو الحبة فيقع فيه

ولو جرت الامور على قياس * لوقى شرها الفطن اللبيب

للغضب على عيسى وقال يقتل عمي والله لاقتلنه وكان أبو جعفر أحب أن يكون عيسى قتله فيقتله به فيستريح منهما جميعا قال فدعا به فقال لم قتلت عمي قال أنت أمرتني بقتله قال لم آمرك بذلك فقال هذا كتابك الي فيه قال لم أكتبه فلما رأى الجد من المنصور وتخوف على نفسه قال هو عندي لم أقتله قال ادفعه الى أبي الازهر المهلب بن أبي عيسى فلم يزل عنده محبوسا ثم أمره بقتله فدخل عليه ومعه جارية له فبدأ بعبد الله فخنقه حتى مات ثم مده على الفراش ثم أخذ الجارية ليخنقها فقالت يا عبد الله قتلة غير هذه فكان أبو الازهر يقول ما رحمت أحدا قتلته غيرها فصرفت وجهي عنها وأمرت بها فخنقت ووضعتها معه على الفراش وأدخلت يدها تحت جنبه ويده تحت جنبها كالمعتنقين ثم أمرت بالبيت فهدم عليهما ثم احضرنا القاضي ابن علام وغيره فنظروا الى عبد الله والجارية معتنقين على تلك الحال ثم أمر به فدفن في مقبرة ابي سويد بباب الشام من بغداد في الجانب الغربي (قال المسعودي) وذكر عبد الله بن عياش * (الواسطي)

*(الواسطى) اختيار ماجرى لك فى الازل خير من معارضة الوقت (ابن معاذ) عجبت من ثلاثة رجل يريد تناول رزقه بتدبيره ورجل شغله غده وعالم مفتون يعيب على زاهد مغبوط *(ومنه) شكى لبعض الانبياء امرأة كانت تؤذى أهل زمانها فاوحى الله اليه أن فر من قدامها حتى تنقضى أيامها *(ومنه)* (ابن المعتز) كرم الله عز وجل لا ينقض حكمته ولذلك لا تقع الاجابة فى كل دعوة ولو اتبع الحق أهواءهم

اريد فلا أعطى وأعطى ولم أرد * وقصر علمى أن أنال المغيبا

(ومنه) كان ابن مجاهد ينشد لبعضهم

أيها المقتدى ليطلب علما * كل علم عبد لعلم الكلام

تطلب الفقه كى تصحح حكما * ثم أغفلت منزل الاحكام

(ومنه) قال الاحدب البغدادى للقاضى الباقلانى هل لله عز وجل أن يكلف الخلق مالا يطيقونه فقال ان أردتم بالتكليف القول المجرد فقد وجد قل كونوا حجارة أنبؤنى باسماء هؤلاء ويدعون الى السجود فلا يستطيعون وان أردتم به مايصح فعله وتركه فالكلام متناقض وهذا هو الذى نعرفه لان التكليف اقتضاء فعل مافيه مشقة ومالا يطاق لا يفعل البتة فقال سئلت عن كلام مفهوم فطرحته فى الاحتمالات فقال انى بينت الوجوه المحتملة فان كان معك شئ فهاته فقال عضد الدولة قد صدق وما جمعتكم الا للفائدة لا للمهاترة ثم قال القاضيه بشر بن الحسن المعتزلى تكلم فقال مالا يطاق على ضربين أحدهما مالا يطاق للاشتغال بضده وهذا سبيل الكافر لا يطيق الايمان للاشتغال بالكفر وأما العاجز فما ورد فى الشريعة تكليفه ولو ورد لكان جائزا وقد أثنى الله عز وجل على من سأله أن لا يكلفه مالا يطيقه فقال ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به لان الله له أن يفعل فى ملكه مايريد *(ومنه) خرج عمر بن عبد العزيز فى سفر ليلا فقال له رجل انظر الى القمر ما أحسنه فنظر فقال قد علمت انك أردت نزوله بالدبران ونحن لا نتطير بذلك ولا نعتقده

اذا عقد القضاء عليك أمرا * فليس يحله الا القضاء

يدبر بالنجوم وليس يدرى * ورب النجم يفعل مايشاء

وقال

ليس للنجم الى ضر ولا نفع سبيل

انما النجم على الاو * قات والسمت دليل

وقال

من كان يخشى زحلا * أو كان يرجو المشترى

فاننى منه وان * كان أخى الادنى برى

لما وجه عضد الدولة القاضى ابن الطيب الى ملك الروم قال له الوزير أخذت الطالع لخروجك فسأله القاضى عن ذلك ففسره له فقال السعد والنحس بيد الله ليس للكواكب فيه تأثير وانما وضعت كتب النجوم ليتمعش بها العامة ولا حقيقة لها فاستحضر الوزير ابن الصوفى ودعاه الى مناظرة القاضى فقال لا أقدم على المناظرة وانما أقول اذا كان من النجوم كذا كان كذا وأما التعليل فى علم المنطق والذى يتولى المناظرة عليه أبو سليمان المنطقى فاحضر وأمر فقال هذا القاضى يقول اذا ركب عشرة أنفس فى ذلك المركب الذى فى دجلة فالله

جبارا أول اسمه عين وجبارا أول اسمه عين وجبارا أول اسمه عين قال قلت نعم يا أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان قتل عمرو بن سعيد بن العاص وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فقال المنصور أفتعرفون خليفة أول اسمه عين قتل جبارا أول اسمه عين وجبارا أول اسمه عين وجبارا أول اسمه عين قلت نعم أنت يا أمير المؤمنين قتلت عبد الرحمن بن مسلم وعبد الجبار بن عبد الرحمن وعمك عبد الله بن على سقط عليه البيت قال فما ذنبى ان كان سقط عليه البيت قلت لا ذنب لك فتبسم ثم قال هل تحفظ الابيات التى قالتها زوجة الوليد أخت عمرو بن سعيد وهى حاسرة تنشد

أيا عين جودى بالدموع على عمرو
عشية أوتينا الخلافة بالقهر
غدرتم بعمرو يا بنى خيط باطل
وكلكم يبنى البيوت على غدر
وما كان عمرو عاجزا غير أنه
أتته المنايا بغتة وهو لا يدرى

كأن بنى مروان اذ يقتلونه * خشاش من الطير اجتمعن على صقر

تعالى قادر على أن يزيد ويهم آخر في ذلك الوقت فان قلت له لا يقدر قطعتم لساني فأي معنى لمناظرتي فقال القاضي للوزير ليس كلامنا في القدرة لكن في تأثير الكواكب فانتقل هذا الى ما ترى لعجزه وانا ان قلت ان الله تعالى قادر على ذلك فلا أقول انه يخرق العادة الآن ولا يجوز عندنا ذلك فهو فرار من الزحف فقال المدائني المناظرة دربة وأنا لا أعرف مناظرة هؤلاء القوم وهم لا يعرفون مواضعاتنا فقال الوزير قد قبلنا اعتذارك والحق أبلج * رأس الدين صحة اليقين من سابق القدر عثر

وإذا خشيت من الامور مقدرا * وفررت منه فنحوه تتوجه

قيل لما وقع الوباء بالكوفة فر ابن أبي ليلى على حمار فسمع منشدا ينشده

لن يسبق الله على حمار * ولا على ذي منسم طيار

أو يأتي الحتف على مقدار * قد يصبح الله أمام الساري

فقال اذا كان الله امام الساري فلا مهرب ورجع *(ومنه) شكا بعض الصالحين الى الخليفة ضرر الاتراك فقال أنتم تعتقدون ان هذا من قضاء الله وقدره فكيف أرده فقال ان صاحب القضاء قال ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض فردهم عنهم القدر والطلب كالعدلين على ظهر الدابة كل واحد منهما معين لصاحبه فالقدر بالطلب والطلب بالقدر * قيل لعارف ان كنت متوكلا فألق بنفسك من هذا الحائط فلن يصيبك الا ما كتب الله لك فقال انما خلق الله الخلق ليجربهم لا ليجربوه *(الجوهري) كف الله النار عن يد موسى لئلا تقول النار طبعي واحترق لسانه لئلا يقول الكليم مكاني وقال غيره لو لم يقل انارا براهيم سلاما لهلك من برد النار * قيل للجنيد انطلب الرزق قال ان علمتم اين هو فاطلبوه قيل فنسأل الله قال ان خشيتم ان ينسا كم فذكروه قيل فنلزم البيوت قال التجربة منك شك قيل فما الحيلة قال ترك الحيلة * يقول ليكن تصرفك باذنه لا بشهوتك فقد قيل ترك الطلب يضعف الهمة ويذل النفس ويورث سوء الظن *(الطرطوشي) القدر والطلب كأعمى ومقعد في قرية يحمل الاعمى المقعد ويدل المقعد الاعمى * قال رجل لبشر اني أريد السفر الى الشام وليس عندي زاد فقال اخرج لما قصدت اليه فانه ان لم يعطك ما ليس لك لم يمنعك مالك * الناس في هذا الباب ثلاثة فرقة عاملت الله عز وجل على مقتضى شمول قدرته للشر والخير وأعرضوا عن الاسباب فادركوا التوكل وفاتهم الادب وهم بعض الصوفية وقد قيل اجعل ادبك دقيقا وعملك ملحا وهذا ابليس لم تنفعه كثرة علمه لما دفعته قلة أدبه * وفرقة عاملته على ذلك مع الجريان على عوائد مملكته والتصرف باذنه على مقتضى حكمته وهم الانبياء وخواص العلماء فاصابوا الادب وما اخطؤا التوكل * والفرقة الثالثة وهم الجمهور أقبلوا على الاسباب ونسوا المسبب ففاتهم الامران فهلكوا * (ومنه) جل الواحد المعروف قبل الحدود والحروف

لقد ظهرت فما تخفى على أحد * الا على اكمه لا يعرف القمرا

كما بطنت بما ابديت من حجب * وكيف يبصر من بالعزة استترا

سئل النصيبي عن الرؤية بمجلس عضد الدولة فانكرها محتجا بان كل شيء يرى بالعين فهو في

ألا يالقومي للوفاء وللغدر وللغلقين الباب قسرا على عمرو
فرحنا وراح الشامتون عشية كأن على أعناقهم فلق الصخر

قال ابن عياش فقال المنصور رفقا الابيات التي بعث بها عمرو الى عبد الملك ابن مروان قال نعم يا أمير المؤمنين كتب اليه

يريد ابن مروان أمورا أظنها ستحمله مني على مركب صعب
لينقض عهدا كان مروان شده وأدركه فيه بالقطيعة والكرب
فقدمته قبلي وقد كنت قبله ولولا انقيادي كان كرب من الكرب
وكان الذي أعطيت مروان هفوة عنفت بها رأيا وخطبا من الخطب
فان تنفذوا الامر الذي كان بيننا فقلنا جميعا بالسهولة والرحب
وان يعطها عبد العزيز ظلامة فاولى بها منا ومنه بنو حرب

وكان مولد المنصور في السنة التي مات فيها الحجاج بن يوسف وهي سنة خمس وتسعين وكان يقول ولدت في ذي الحجة وأعذرت في ذي الحجة ووليت الخلافة في ذي الحجة وأحسب الامر يكون في ذي الحجة مقابلتها

مقابلتها فقال له القاضى ابن الطيب لا يرى بالعين قال له الملك فبماذا يرى قال بالادراك الذى يحدثه الله فى العين وهو البصر ولو أدرك المرئى بالعين لوجب أن يدرك بكل عين قائمة وهذا الاجهر عينه قائمة ولا يرى بها شيأ *(ومنه) ابن العربى للصوفية فى اطلاق لفظ العشق على الحق تجاوز عظيم واعتداء كبير ولولا اطلاقه للمحبة ما أطلقناها فكيف أن نتعداها *(الدقاق) العشق مجاوزة الحد فى الحب ولما كان الحق لا يوصف بالحد لم يوصف بالمحدود اذلو جمع محاب الخلق كلهم لشخص واحد لم يبلغ ما يستحقه قدر الحق من الحب * خمسة ابهمت فلم تعين لعظم أمرها الاسم الاعظم وساعة الجمعة وليلة القدر والصلاة الوسطى والكبائر لان اجتنابها يكفر غيرها يعنى على أحد الاقوال فى المسئلة *(ومنه) قيل فى التسعة والتسعين اسما انها تابعة لاسم الله وهو تمام المائة فهى عدد درج الجنة لما فى الصحيح من ان درجها مائة بين كل درجتين مسيرة مائة عام ولذلك قيل من احصاها دخل الجنة وهذه الاسماء مفضلة على غيرها مما لا يحصى ألا ترى قوله عليه السلام فى الصحيح باسمائه الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم * ذكر القرآن فى أربعة وخمسين موضعا منه فلم يشر فى شئ منها الى خلقه وذكر الانسان فى ثمانية عشر موضعا ثالث ذلك العدد فصرح فى جميعها بخلقه قال ابن عطية وهذا يدل على أنه غير مخلوق *(أبو على بن أبى العمر) بت ليلة جمعة بمصر فى أيام أبى حريش وكان يقول بخلق القرآن وأبى خالف المعافرى وكان يقول القرآن كلام الله ليس بمخلوق أفكر عن أيهما آخذ فلما غمت أتانى آت فقال لى قم فقمت قال قل فقلت ما أقول فقال

لا والذى رفع السما * ء بلا عماد للنظر

فتزينت بالساطعا * ت اللامعات وبالقمر

والمالئ السبع الطبا * ق بكل مختلف الصور

ما قال خلق فى القرا * ن بخلقه الا كفر

لكن كلام منزل * من عند خلاق البشر

ثم قال اكتبها فاخذت كتابا من كتبى وكتبتها فيه فلما أصبحت وجدت ذلك بخطى على كتاب من كتبى فجلست فى البيت الى الزوال ثم خرجت فسالنى انسان عما رأيت البارحة فقلت ما أخبرت أحدا فقال قد شاعت رؤيالك فى الناس *(الخواص) انتهيت الى رجل مصروع فجعلت أؤذن فى أذنه فنادانى الشيطان من جوفه دعنى اقتله فانه يقول بخلق القرآن *(عمرو بن دينار) أدركت سبعة من الصحابة يقولون من قال القرآن مخلوق فهو كافر قلت قال مالك يستتاب *(ومنه) كان عضد الدولة يحب العلم والعلماء فكان مجلسه يحتوى على عدد منهم أكثرهم الفقهاء والمتكلمون وكان يعقد لهم مجالس للمناظرة فقال لقاضيه بشر بن الحسن ان مجلسنا خال عن عاقل من اهل الاثبات ينصر مذهبه فقال اعلم عامة يرون الخير وضده ويعتقدونهما جميعا وانما أراد ذم القوم ثم اقبل يمدح المعتزلة فقال عضد الدولة محال ان يخلو مذهب طبق الارض من ناصر فانظر قال بلغنى ان بالبصرة شيخا يعرف بابى الحسن الباهلى وفى رواية بابى بكر بن مجاهد وشابا بابن الباقلانى فكتب اليهما فلما وصل

مات فيه فنزل منزلا من المنازل فبعث الى وهو فى قبة ووجهه الى الحائط فقال لى ألم أنهك أن تدع العامة يدخلون هذه المنازل فيكتبوا فيها ما لا خير فيه قلت وما هو يا أمير المؤمنين قال أما ترى على الحائط مكتوبا

أبا جعفر حانت وفاتك وانقضت
سنوك وأمر الله لابد نازل

أبا جعفر هل كاهن أو منجم
يرد قضاء الله أم أنت جاهل

قال فقلت والله ما أرى على الحائط شيأ وانه لنقى أبيض قال الله قلت الله قال انها والله اذا نفسى نعيت الى الرحيل بادرنى الى حرم ربى وأمنه هاربا من ذنوبى واسرافى على نفسى فرحلنا وقد ثقل حتى اذا بلغنا بئر ميمون قلت له هذه بئر ميمون وقد دخلت الحرم فتوفى بها وكان من الحزم وصواب الرأى وحسن السياسة على ما تجاوز كل وصف وكان يعطى الجزيل والخطير ما كان اعطاؤه حزما ويمنع الحقير اليسير ما كان اعطاؤه تضييعا وكان كما قال زياد لو أن عندى ألف بعير وعندى بعير أجرب اقمت عليه قيام من لا يملك غيره وخلف ستمائة ألف ألف درهم وأربعة عشر ألف ألف دينار وكان مع هذا يضن بماله وينظر فيما لا ينظر

مقابحة على أن له الرؤس والاكارع والجلود وعليه الحطب والتوابل ومن فيه العوام ووافق صاحب

الكتاب قال الشيخ قوم كفرة لان الديلم كانوا روافض لايحل لنا ان نطأ بساطهم فقال الشاب كذا قال ابن كلاب والمحاسبي ومن فى عصرهم ان المامون فاسق لايحضر مجلسه حتى ساق احمد بن حنبل الى طرسوس وجرى عليه ماعرف ولو ناظروه لكفوه عن هذا الامر وتبين له ماهم عليه بالحجة وانت أيضا ايها الشيخ تسلك سبيلهم حتى يجرى على الفقهاء ماجرى على احمد ويقولون بخلق القرآن ونفى الرؤية وها انا خارج ان لم تخرج قال الشيخ ان شرح الله صدرك لهذا فاخرج فرد الله به الكرة *حفظ من كلام النبى صلى الله عليه وسلم المنتقى والمرسل امثال امثال المنزل ثم انتقى من ذلك صحة وفصاحة ما يبلغ حجم المصحف أو يربى عليه فهل وجدت فيه ما يشبهه او ينزع اليه اشهد أنه من عند الله تنزيل من لدنه *اول اعجاز القرآن الجهل بنوعه من جنس الكلام فانه لايدخل فى مضمار الشعر ولا ينخرط فى سلك الخطب ولا المواعظ والمقامات والكتب ولا فى شئ مما يؤلف التخاطب به وتعرف فيه طبقات أهل مذهبه فان لم يتبين ما رسمت لك فاعرض كلامك فى كل صنف من هذه الاصناف تجد لنفسك مع خمول حالة القصور أو المماثلة أو الزيادة ولا تجد لكلامك نسبة الى القرآن بل لاتدرى ما تقول ان طلب منك البيان الا أن تسلب العقل كمسيلمة وأمثاله ممن ابتلى بالهذيان وقد تفطن الدلالة كافر اغليت عليه الجهالة انظر السيرة *(الزمخشرى) ما اعجب شان الضلال لم يرضوا للنبوة ببشر وقد رضوا للالهية بحجر *سال القاضى أبا بكر ملك الروم حين وجهه عضد الدولة اليه عن انشقاق القمر كيف لم يره جميع الناس فقال لانهم لم يكونوا على أهبة ووعد قال فما النسبة التى بينكم وبين القمر حتى لم يره غيركم من الروم وغيرهم قال النسبة التى بينكم وبين المائدة حتى رأيتموها دون اليهود والمجوس فدعا القسيس فأقر للقاضى فقال له القاضى أتقول ان الكسوف يراه جميع أهل الارض أم أهل الاقليم الذى فى محاذاته قال لايراه الا من فى محاذاته قال فاتنكر من لايرى انشقاق القمر الا فى تلك الناحية ممن تأهب لذلك قال هذا صحيح الا أن الشأن فى مثله أن لا ينقل آحادا لكن تواترا بحيث يصل العلم الضرورى به الينا والى غيرنا وانتفاء ذلك يدل على افتعال الخبر فقال الملك للقاضى الجواب فقال يلزمه فى نزول المائدة ما لزمنا فى انشقاق القمر فبهت الذى كفر قال ملك الروم للقاضى ابن الطيب فى هذه الرسالة ما تقول فى المسيح قال روح الله وكلمته وعبده قال تقولون المسيح عبد قال بذلك ندين قال ولا تقولون انه ابن الله قال ما اتخذ الله من ولد قال العبد يخلق و يحيي و يبرئ قال ما فعل المسيح ذلك قط قال هذا مشهور فى الخلق قال لا قال ما قال أحد من أهل المعرفة ان الانبياء يفعلون المعجزات لكن الله تعالى يفعلها على أيديهم تصديقا لهم قال ان ذلك فى كتابكم قال فى كتابنا ان ذلك كله باذن الله تعالى ولو جاز أن يكون ذلك فعل المسيح لجاز أن يقال ان موسى قلب العصا وأخرج يده بيضاء وفلق البحر قال ان الانبياء من لدن آدم كانوا يتضرعون للمسيح حتى يفعل ما يطلبون قال أفى لسان اليهود عظم لا يقولون معه ان المسيح كان يتضرع لموسى و كذلك أمة كل نبى لافرق بين الموضعين فى الدعوى *(الجوزى) فى قوله عليه السلام يوشك أن ينزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم انما كان الامام منا لئلا يتدنس بغبار الشبهة وجه لانبى بعدى * كان بالبصرة يهودى يقرر

كرمه أنه وصل عمومته وهم عشرة فى يوم واحد بعشرة آلاف درهم وأسماؤهم عبد الله بن على وعبد الصمد بن على واسمعيل بن على وعيسى بن على وداود بن على وصالح ابن على وسليمان بن على واسحق بن على ومحمد بن على ويحيى بن على وكان يعمل فى بناء مدينة بغداد التى بناها وعرفت به فى كل يوم خمسون ألف رجل وكان له من الولد المهدى وجعفر وأمهما أم موسى الحميرية وتوفى جعفر فى حياة أبيه المنصور وسليمان وعيسى و يعقوب وجعفر الاصغر من كردية وصالح الملقب بالمسكين و بنت تسمى عالية (قال المسعودى) وللمنصور أخبار حسان مع الربيع وعبد الله بن عياش وجعفر بن محمد وعمرو ابن عبيد وغيرهم وله خطب ومواعظ وسير وسياسات فى الملك قد أتينا على أكثرها فى كتابنا أخبار الزمان وانما نذكر فى هذا الكتاب لمعا تدلك على ما سبق فى كتبنا والله سبحانه وتعالى اعلم

(ذكر خلافة المهدى محمد بن عبد الله بن على بن عبد الله بن العباس) ويكنى أبا عبد الله وأمه أم موسى بنت منصور بن عبد الله بن سهم بن أبى سرح من ولد المتكلمين

المتكلمين على نبوة موسى فاذا أقر واجحد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقال نحن على ما اتفقنا عليه الى أن نتفق على غيره فسأل أبا الهذيل عن ذلك فقال ان كان موسى هذا الذى أخبر بمحمد صلى الله عليه وسلم وأقر بشرفه وأمر باتباعه فانا أقر بنبوته وان كان غيره فانا لا أعرفه فتحير اليهودى ثم سأله عن التوراة فقال ان كانت التى نزلت على موسى المذكور فهى حق والا فهى عندى باطل *(ومنه) قيل للحسن الملائكة أفضل أم الانبياء فقال أين أنت من هذه الآية ولا أقول انى ملك *(ومنه) وعن عمر وعلى رضى الله عنهما ان الخضر لقيهما وعلمهما هذا الدعاء وذكر فيه خيرا كثيرا لمن قاله فى اثر كل صلاة يا من لا يشغله سمع عن سمع ويا من لا تغلطه المسائل ويا من لا يتبرم على الحاح الملحين أذقنى برد عفوك وحلاوة مغفرتك *(ومنه) سمع اياس يهوديا يقول ما أحمق المسلمين يزعمون أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون فقال أوكل ما تأكله تحدثه قال لا لان الله تعالى يجعل أكثره غذاء قال فما تنكر أن يجعل جميع ما يأكل أهل الجنة غذاء *الرزية كل الرزية تضييع أمر المرأة الرندية وذلك انه وردت على تلمسان فى العشرة الخامسة من المائة الثامنة امرأة من رندة لا تأكل ولا تشرب ولا تبول ولا تتغوط وتحيض فلما اشتهر هذا من أمرها أنكره الفقيه أبو موسى بن الامام وتلا كانا يأكلان الطعام فاخذ الناس يبثون ثقات نسائهم ودهاتهن اليها فكشفوا عنها بكل وجه يمكنهن فلم يقفن على غير ما ذكر وسئلت هل تشتهين الطعام فقالت هل تشتهون التبن بين يدى الدواب وسئلت هل يأتيها شئ فاخبرت أنها صامت ذات يوم فأدركها الجوع والعطش فنامت فأتاها آت فى النوم بطعام وشراب فأكلت وشربت فلما أفاقت وجدت نفسها قد استغنت فهى على تلك الحال تؤتى فى المنام بالطعام والشراب الى الآن ولقد جعلها السلطان فى موضع قصره وحفظها بالعدول ومن يكشف عما عسى تجىء امها به اذا أتت اليها أربعين يوما فلم يوقف لها على أمر بيد أنى أردت أن يزاد فى عدد العدول ويجمع اليهم الاطباء ومن يخوض فى المعقولات من علماء الملل المسلمين وغيرهم ويوكل من نساء الفرق من يبالغ فى كشف من يدخل اليها ولا يترك أحد يخلو بها وبالجملة يبالغ فى ذلك ويستدام رعيها عليه سنة لاحتمال أن يغلب عليها طبع فتستغنى فى فصل دون فصل ثم يكتب هذا فى العقود ويشاع أمره فى العالم وذلك لانه يهدم حكم الطبيعة الذى هو أضر الاحكام على الشريعة ويبين كيفية غذاء أهل الجنة وأن الحيض ليس من فضلات الغذاء ويبطل التأثير والتولد ويوجب ان الاقترانات بالعادات لا باللزوم وعند الاسباب لا بها الى غير ذلك الا أنى لما اشرت بهذا انقسم من اشرت عليه بتبليغه الى من لم يفهم ما قلت ومن لم يرفع به رأسا لايثار الدنيا على الدين فانا لله وانا اليه راجعون وقد ذكر ان امرأة أخرى كانت معها على تلك الحالة وحدثنى غير واحد من الثقات ممن أدرك عائشة الجزيرية أنها كانت كذلك وان عائشة بنت أبى يحيى اختبرتها أربعين يوما أيضا وكم من آية أضيعت وحجة نسيت هذا مما لم يعرف مثله قبل المائة الثامنة وكذلك الوباء العام القريب فرطه يوشك أن يطول أمره فينسى ذكره ويكذب المحدث به اذا انقضى عصره وكم فيه أيضا من أدلة على أصول الملة *(ومنه) قال شيخ من صالحى الفقهاء فى عصرنا بفاس

السبت لست خلون من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة وأتاه ببيعته منارة مولاه فاقام يومين بعد ذلك ثم خطب الناس وبويع بيعة العامة وكان مولده سنة سبع وعشرين ومائة وخرج من مدينة السلام فى سنة سبع وستين ومائة يريد بلاد قرماسين من بلاد الدينور وقد وصف له طيب ماسبذان وادبوجان فعدل الى الموضع المعروف باودالدان مات بقرية يقال لها رزين ليلة الخميس لسبع بقين من المحرم سنة سبع وستين ومائة فكانت خلافته عشر سنين وشهرا وخمسة عشر يوما وقبض وله ثلاث وأربعون سنة وصلى عليه هرون الرشيد وكان موسى الهادى غائبا بجرجان وقيل انه مات مسموما فى قطائف أكلها ولبست حسنة وغيرها من حشمه المسوح والسواد جزعا عليه فقال فى ذلك أبو العتاهية

رحن فى الوشى فأصبحـ
ـن عليهن المسوح
كل نطاح وان عا
ش له يوما نطوح
لست بالباقى ولو عمـ
ـرت ما عمر نوح
فعلى نفسك نح * ان كنت لابد تنوح

(ونذكر جملا من أخباره ولمعا مما كان فى أيامه)

أبوزرهون عبد العزيز بن محمد القيرواني رحمه الله تعالى مات فقبر عندنا بالمذنة فوجدوا عنده ربطة من دراهم فوضعوها عند المؤذن فلما نزل اللحد سقطت من جيبه في القبر ولم يشعر حتى واراه فكشف عنه فاذا الدراهم قد لصقت بيدنه درهما الى درهم كالنجوم فحاول قلع واحد منها فقامت معه قطعة من لحمه وتبعها من ذلك المحل ريح منتنة قال الشيخ فاطلعت على ذلك وشاهدته ثم ردوا التراب عليه وانصرفوا * قال عبد الله بن ادريس لغيلان المرور متى تقوم الساعة قال ما المسؤل عنها باعلم من السائل غير أنه من مات فقد قامت قيامته قال فالمصلوب يعذب عذاب القبر قال ان حقت عليه الكلمة وماتدرى لعل جسده فى عذاب لا تدركه أبصارنا ولا أسماعنا فان لله لطفا لا يدرك وانظر الحديث فلولا أن لاتدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم ما أسمع من عذاب القبر *(ومنه) المازرى مسئلة التكفير بالمآل مشكلة وقد اضطرب فيها قول مالك وهو امام الفقهاء والقاضى أبى بكر وهو امام المتكلمين (الغزالى) لا يقطع بتكفير الفلاسفة الا فى ثلاث مسائل قدم العالم ونفى العلم بالجزئيات وانكار المعاد البدنى وتوابعه القطعية أصل الفلاسفة اعتقاد المحسوسات معقولات والمعتزلة اعتقاد المشهورات قطعيات ومن ثم قيل لهم مخنثة الفلاسفة لا يكفى التقليد فى عقائد التوحيد لا فرق بين انسان ينقاد وبهيمة تقاد *(ومنه) كان أبو هاشم من أفسق الناس فجلس ذات يوم يعيب الارجاء وكان فى المجلس مرجئ فأنشد

يعيب القول بالارجاء حتى * يرى بعض الرجاء من الجرائر
وأعظم من ذوى الارجاء ذنبا * وعيدى يصر على الكبائر

كان مالك ينشد كثيرا

وخير أمور الدين ما كان سنة * وشر الامور المحدثات البدائع

(ابن عقيل) يشبه أن يكون واضع الارجاء زنديقا فان صلاح العالم فى اثبات الوعيد واعتقاد الجزاء فلما لم يمكن هذا المائن جحد الصانع لمخالفة العقل أسقط فائدة الاثبات وهى الخشية والمراقبة وهدم سياسة الشريعة فهم شر طائفة على الاسلام * سئل مالك عن أشر الطوائف فقال الروافض * بينا ابن المعلم شيخ الرافضة فى بعض مجالس المناظرة مع أصحابه أقبل ابن الطيب فقال جاءكم الشيطان فسمعه على بعد فلما جلس اليهم تلا عليهم ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا (مالك) أهل السنة من لا لقب له لا خارجى ولا قدرى ولا رافضى (البديع)

يقولون لى ماتحب الوصى * فقلت الثرى بفم الكاذب
أحب النبى وآل النبى * وأختص آل أبى طالب
وأعطى الصحابة حق الولاء * وأجرى على السنن الواجب
فان كان نصبا ولاء الجميع * فانى كما زعموا ناصبى
وان كان رفضا ولاء الجميع * فلا برح الرفض من جانبى
أحب النبى وأصحابه * فما المرء الا مع الصاحب
أيرجو الشفاعة من سبهم * بل المثل السوء للضارب

ذكر الفضل بن الربيع

قال دخل شريك على المهدى يوما فقال له لابد أن تجيبنى الى خصلة من ثلاث قال وماهن يا أمير المؤمنين قال اما أن تلى القضاء أو تحدث ولدى وتعلمهم أو تأكل أكلة ففكر ثم قال الاكلة أخفهن على نفسى فاحتبسه وقدم الى الطباخ أن تصلح له ألوانا من المخ المعقود بالسكر الطبرزذ والعسل فلما فرغ من غدائه قال له القيم على المطبخ يا أمير المؤمنين ليس يفلح الشيخ بعد هذه الاكلة أبدا قال الفضل بن الربيع فحدثهم والله شريك بعد ذلك وعلم أولادهم وولى القضاء لهم ولقد كتب بارزاقه الى الجهبذ فضايقه فى النقص فقال له الجهبذ انك لم تبع برا قال له شريك بلى والله لقد بعت أكبر من البر لقد بعت دينى وقال الفضل ابن الربيع خرج المهدى متنزها ومعه عمرو بن ربيع مولاه وكان شاعرا فانقطع عن العسكر والناس فى الصيد وأصاب المهدى جوع شديد فقال لعمرو ويحك الا انسانا عنده مانأكل فما زال عمرو يطوف الى أن وجد صاحب مبقلة والى جانبها كوخ له فقعد اليه فقال له هل عندك شئ يؤكل قال نعم رقاق من خبز شعير وزبيب وهذا البقل والكراث فقال له المهدى ان كان

يوق

يوقى المكاره قاب الجبان * وفى الشبهات يد الحاطب

أخذا البيت الخامس من قول الشافعى

ان كان رفضا حب آل محمد * فليشهد الثقلان أنى رافضى

*(ومنه) أبو حنيفة لقيت عطاء فقال لى ممن أنت فقلت من أهل الكوفة فقال من اهل القرية الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعا قلت نعم قال فمن أى أنت منهم فقلت ممن يؤمن بالقدر ولا يسب السلف ولا يكفر بالذنب قال عرفت فالزم *(ومنه) الارادة تطلق على المحبة وعلى قصد أحد الجائزين بالتخصيص وكل واحد من المعنيين يوجد بدون الآخر أما الاول فكقوله *تريد النفس أن تعطى مناها* وهو ظاهر وأما الثانى فكقصد المتوعد بالاهلاك الى أمر عبده الذى أمره بأمر لينظر امتثاله ولدقة الفرق بينهما ضل المعتزلة فى أمرهما فقالوا ان الله عز وجل لا يريد المعاصى لانه لا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر

قال عمار بن ياسر يوم صفين

صدق الله وهو للصدق أهل * وتعالى ربى وكان جليلا

رب عجل شهادة لى بقتل * فى الذى قد أحب قتلا جميلا

*(ومنه) العبدرى قتل الحسين دعا الى حرب وأخذ بثاره كذاب ثقيف ونوّه باسمه اعداؤه لجده بنو عبيد ليقتص من قضية مثلها فيقرأ الفهم سورة تلك الصورة ويتهجى اللبيب حروف تلك الحروب فيعلم أن الكل آلات مستعملات حسبما اقتضاه العلم القديم *(ومنه)* أبو العباس الابيانى ثلاث لو كتبت على ظفر لوسعهن وفيهن خير الدنيا والآخرة اتبع لا تبتدع اتضع لا ترتفع اورع لا تتسع *(ومنه) كانت سكينة بنى اسرائيل فى التابوت فغلبوا عليها وسكينة هذه الامة فى القلوب فغلبوا بها استحفظوا كتابهم فحرفوا من أحكامه ووصفه وحفظ كتابنا فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه *(ومنه) فى الصحيح كان أبو ذر يقسم قسما أن هذان خصمان اختصموا فى ربهم نزلت فى الذين برزوا يوم بدر حمزة وعلى وعبيدة وعتبة وشيبة والوليد قلت ففى الآية شهادة من الله تعالى لعلى بالجنة والشهادة أما الجنة فبنصها وأما الشهادة فلانه وصاحبيه استشهدوا وخصمهم قتلوا فهى رادة على الخوارج قطعا *(ومنه) جاز أبو بكر بن نافع بالكرخ أيام الديلم وقوة الرفض فقالت له امرأة يا سيدى أبو بكر فقال لبيك يا عائشة فقالت له متى كان اسمى عائشة فقال أيقتلونى وتخلصين وفى آخر هذا الكتاب ما صورته فهذه جملة تراجم وفيها مقنع لمن أراد المحاضرة أو تنميق مجالس المناظرة وكان الفراغ من جمعها فى آخر يوم من شعبان المكرم من عام سبعة وخمسين وسبعمائة انتهى ما تعلق به الغرض من بعض كلام مولاى الجد رحمه الله تعالى فى كتابه المحاضرات *(ولنرجع الى سرد بقية تواليفه رحمه الله تعالى فنقول)* ومنها شرح لغة قصائد المغربى الخطيب ومقالة فى الطاعة المملكة وشرح التسهيل والنظائر وكتاب المحرك لدعاوى الشر من أبى عنان واقامة المريد ورحلة المتبتل وحاشية بديعة جدا على مختصر ابن الحاجب الفقهى فيها أبحاث وتدقيقات لا توجد فى غيرها وقد وقفت عليها بالمغرب ومن اشهر كتبه فى التصوف كتاب الحقائق والرقائق وهو من الحسن

عندك قرى فقد أكلت قال نعم عندى فضلة منه فقدم اليهما ذلك فأكلا اكلا كثيرا وأمعن المهدى حتى لم يبق فيه فضل فقال اعمرو قل شعرا اوصف ما نحن فيه فقال عمرو

ان من يطعم الزبيب بالزيـ ـت وخبز الشعير بالكراث
لحقيق بصفعة أو بثنتيـ ـن لسوء الصنيع او بثلاث

فقال المهدى بئس والله ما قلت ولكن أحسن من ذلك

لحقيق ببدرة أو بثنتيـ ـن لحسن الصنيع أو بثلاث

ووافى العسكر وحقته الخزائن والخدم والموكب فامر لصاحب البغلة بثلاث بدر دراهم قال وعاربه فرسه مرة أخرى وقد خرج للصيد فدفع الى خباء اعرابى وهو جائع فقال يا اعرابى هل عندك قرى فانى ضيفك قال أراك جسيما عميما فان احتملت قرى بذلك ما يحضرنا قال هات ما عندك فاخرج له فضلة نبيذ فى ركوة فشرب الاعرابى واحدا وسقاه فلما شرب قال له المهدى أتدرى من أنا قال لا والله قال أنا من خدم الخاصة قال بارك الله فى موضعك وحياك من كنت ثم شرب الاعرابى قدحا وسقاه فلما شرب قال يا اعرابى أتدرى من أنا قال نعم ذكرت انك من خدم الخاصة قال لست كذلك قال فمن أنت قال أنا أحد قواد المهدى قال رحب

بمكان لا يلحق وقد شرحه الشيخ الصالح شيخ شيوخ شيوخنا سيدي أحمد زروق رضي الله عنه ونفعنا به وسنح لي أن أسرد هنا شيأ من هذا الكتاب الفذ في بابه فنقول * قال فيه مولاي الجد رحمه الله تعالى هذا كتاب شفعت فيه الحقائق بالرقائق ومزجت المعنى الفائق باللفظ الرائق فهو زبدة التذكير وخلاصة المعرفة وصفوة العلم ونقاوة العمل فاحتفظ بما نوحيه اليك فهو الدليل وعلى الله قصد السبيل (حقيقة) عمل قوم على السوابق وقوم على اللواحق والصوفي من لا ماضي له ولا مستقبل فان كان زجاجيا فيمزج (رقيقة) من لم يجد ألم البعد لم يجد لذة القرب فان اللذة هي التخلص من الالم (حقيقة) لما انطبعت الصور في مرآة الخيال قال العقل انا الملك المكوكب فقالت الرياضة الزمني وتعرف قدرك فاذا العقل عقال (رقيقة) من ضحك في نوم الغفلة بكى عند الانتباه فان لا ضغاث أضداد (حقيقة) أثر الزهد عقل دون سقراط على سراج غوطة أبي نصر نقيل فاين اعتبار أفلا ينظرون فقال وفي أنفسكم أفلا تبصرون (رقيقة) طالب الدنيا يخاف الفوت وصاحبها يترقب الزوال ولو بالموت فاذا حمي الوطيس وحج الرئيس انشأ الزاهد بينهما ينشد

عزيز النفس لا ولد يموت * ولا انس يحاذره يفوت

(حقيقة) العابد طالب رياسة وجوده والزاهد صاحب نفاسة وهمه والمعنى للعارف يعادي في الله تعالى ويوالي ويرضى الله ولا يبالي (رقيقة) من سابق سبق ومن رافق ارتفق ومن لاحق ألحق والعجز والكسل مقدمتا الخيبه

وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم * (حقيقة) العمل دواء القلب واذا كان الدواء لا يصلح الا اذا كان على حمية البدن فكذلك العمل لا ينجع الا بعدم وم النفس فارق نفسك وتعال (رقيقة) مثل دواعي الخير والشر في الانسان كمثل الخلط الفاعل والقوة الدافعة في العليل تغلب القوة فيسكن الخلط فيجد الراحة وعن قليل يتحرك فيجد الالم (حقيقة) العمل على السلامة مسالمة وعلى الغنيمة تجارة وعلى الامر قرض فيضاعف له أضعافا كثيرة (رقيقة) تطهر من ادناس هواك وتزين بلباس تقواك وقم لمسجد انقطاعك على قدم شكواك وأحرم بتوجيه قلبك الى قبلة نجواك تجد الحق عندك وليس سواك (حقيقة) وجد العارف خاذ بنفسه فوجد الله عنده وتواجد المريد فخاكي ومن لم يبك تباكى (رقيقة) زك نفسك لقلبك تزك عند ربك بعها منه رخيصه فهي على ثمن الذي حريصه ان الله اشترى (حقيقة) الزوال وقت المناجات فطهر قلبك قبله من الحاجات واياك والحظ فذهاب نقطته اسرع من اللحظ (رقيقة) الزاد لك وهو مكتوب والزائد عليك وهو مسلوب فأجمل في طلب المضمون ولا تلزم نفسك صفقة المغبون (حقيقة) أمر بالتوكل لتقصر الطرف عليه واذن في التسبب لتنصرف منه اليه فذلك مخبر بحقيقة التفرد وهذا مظهر لحكمة التعبد (رقيقة) الملك أبو الدنيا وهو مع ذلك محبوس فيها تهم عليه الابواب ويستدعي الحراس والحجاب فاذا خرج حدقت اليه الالحاظ وأحدقت بجهاته الحفاظ أي حظ حظ من فقد نعمة فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه (حقيقة) قال صاحب الزهر الانيق علامات المحبة أربع الافلاس والاستئناس والانفاس والوسواس قلت

دارك وطاب مزارك ثم شرب الاعرابي قدحا وسقاه فلما شرب الثالث قال يا اعرابي أتدري من أنا قال نعم زعمت انك أحد قواد المهدي قال فلست كذلك قال فمن أنت قال انا أمير المؤمنين فاخذ الاعرابي ركوته فوكاها فقال له المهدي اسقنا قال لا والله لا تشرب منها جرعة فما فوقها قال ولم قال سقيتك قدحا فزعمت انك من خدم الخاصة فاحتملناها لك ثم سقيناك آخر فزعمت انك أحد قواد المهدي ثم سقيناك الثالث فزعمت انك أمير المؤمنين ولا والله ما آمن ان أسقيك الرابع فتقول انك رسول الله فضحك المهدي وأحاطت به الخيل فنزل اليه أبناء الملوك والاشراف فطار قلب الاعرابي فلم يكن له همة الا النجاء فقال له المهدي لا بأس عليك وأمر له بصلة وكسوة وبزة وآلة فقال أشهد أنك صادق ولو ادعيت الرابعة والخامسة لخرجت منها فضحك المهدي منه حتى كاد أن يقع عن فرسه حين ذكر الرابعة والخامسة وجعل له رزقا وألحقه بخواصه وكان وزيره أبو عبد الله معاوية بن عبد الله الاشعري وهو جد محمد بن عبد الوهاب وكان كاتبه قبل الخلافة فقتل المهدي ابنا لابي عبد الله على الزندقة فاستوحش كل واحد منهما من صاحبه وعاش أبو عبد الله الى سنة سبعين ومائة

الافلاس التجرد الاعنه كالخليل والاستئناس التوحش الامنه كالكليم والاناس والوسواس صلة الاسم وعائده (رقيقة) ذكر رمذ كرب القة فقام الخطيب الشيخ الولى أبو عبد الله الساحلى بهذا البيت

ليت شعرى أفى زمام رضاكم * كتب اسمى أم فى زمام الهوان

وكنت يوما مع السلطان والجند يعرضون عليه وكان يسقط ويثبت وأنا أتفكر فى البيت حتى خلت أن افتضح فقلت واهماه من هذا الابهام ثم كدت اخلد بقبح العمل الى الارض فينشلنى حسن الظن بالله عزوجل فانهض

ان المقادر اذا ساعدت * ألحقت العاجز بالقادر

(حقيقة) اذا قابل ابرة القلب مغناطيس الحسن صبا فانجذب فاذا اتصل عشق فانقطع فاذا انجذب فنى فبقى حاشا الصوفى أن يموت (رقيقة) افتخر الغراب باقامة قرآن الفجر فقيل حتى تغسل بول الشيطان من اذنك فطرب الديك فرحا بالفوز وندب العصفور ترحا على الفوت (حقيقة) الخلوة بيت الاعتبار وفى بيته يؤتى الحكم وباب هذا البيت العلم وائتوا البيوت من أبوابها (رقيقة) واقع فقير هناة ثم دخل خلوته فبدت له نفسه بوجه مومسة فقال ما أنت قالت أم الحياة فقال ما أجمل أن تبدل هاؤك همزة فقالت اذن لم تصنع ما شئت فانتبه لقرع العتاب فتاب (حقيقة) القلب ايوان الملك ويسعى وعز الملك يانف عن ذل المزاحمة اما أغنى الثمر كاعن الشرك (رقيقة) لما وضع البسطامى أوزار حوبه فك طابع الصحيفة عن قلبه فلم يجد بها غير الظفرى فصاح بنفسه لك البشرى انزل طيفور عما تريد ليس فى الدار أبو يزيد (حقيقة) قال شيخنا أبو هادى يوما لاصحابه عماذا يرتقى العبد عن مقامه الى مقام أعلى منه قالوا بفضل الله ورحمته فقال انما سألتكم عن السبب الخاص بهذا الامر قالوا من عند الشيخ قال يخلق الله له همة فيرتقى بها الى رتبة اسمى من رتبته * ومن هذا الكتاب (حقيقة) التفت الى مواهب الملوك تجدهم انما يوسعون فيما قد يسترجعون فاما العلماء وكل من يعطى بحق فانما يعطون بقصد ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم واصبر نفسك دونهم فعن قريب تنصرف عنهم (رقيقة) قلت لقلبى كيف تجدك فقال أما من أمارتك ففى عناء الجهاد وأما من لوامتك فعلى جمر الصبر قلت ففى الراحة قال اذا اطمأنت النفس فاضمحل الوهم وغاب الحس (حقيقة) قطع السوى طهارة المنيب ولا يقبل الله صلاة بغير طهور وكتابه النجيب والمكاتب عبد ما بقى عليه وبابه الدخول على الحبيب نظر رجل الى امرأة عفيفة فقالت يا هذا غض بصرك عما ليس لك تنفتح بصيرتك فترى ما هو لك (رقيقة) لما حنكت الطينة بتمر الجنة وغذيت بلبانها فطرت على محبتها انظروا الى حب الانصار التمر فلم تطق الفطام عنها * وتأبى الطباع على الناقل * فذلك ما تجد من الحنين الى التلاق والانين على الفراق والشغف بمدح العابر وذم الغابر وفى ذلك

كم أردناذاك الزمان بمدح * فشغلنا بذم هذا الزمان

وان لم تعرف عصرا خاليا ولا خلا نائيا لم يعز عليك عما تشتهيه أطيب مما أنت فيه

ان أمير المؤمنين قد آخاه وكان يصل اليه فى كل وقت دون الناس كلهم ثم اتهمه بشئ من أمر الطالبيين فهم بقتله ثم حبسه الى أيام الرشيد فاطلقه الرشيد وقد قيل فى أمره انه كان يرى الامامة فى الاكبر من ولد العباس وأن غير المهدى من عمومته كان أحق بها منه وكان المهدى محببا الى الخاص والعام لانه افتتح أمره بالنظر فى المظالم والكف عن القتل وأمن الخائف وانصاف المظلوم وبسط يده فى الاعطاء فاذهب جميع ما خلفه المنصور وهو ستمائة ألف ألف درهم وأربعة عشر ألف ألف دينار سوى ما جباه فى أيامه فلما فرغت بيوت الاموال أتى أبو حارثة النهدى خازن بيوت أمواله فرمى بالمفاتيح بين يديه وقال ما معنى مفاتيح لبيوت فرغ ففرق المهدى عشر بن خادما فى جباية الاموال فوردت الاموال بعد أيام قلائل فتشاغل أبو حارثة عن الدخول على المهدى ثلاثة أيام فلما دخل عليه قال ما أخرك فقال الشغل بتصحيح الاموال فقال أنت اعرابى أحمق كنت تظن أن الاموال لا تأتينا اذا احتجنا اليها قال أبو حارثة ان الحادثة اذا حدثت لم تنتظرك حتى

كم منزل في الارض يألفه الفتى * وحنينه أبدا لأول منزل

(ومنه) (حقيقة) قيل عرّض الكليم بطلب القوت في رحلة الهجرة اني لما أنزلت الي من خير فقير فحمل على كاهل ان أبي يدعوك وصرح في سفر التأديب لو شئت لاتخذت عليه أجرا فحمل على كاهل هذا فراق بيني وبينك قلت لما تمحض الطلب له اكتفى فلما تعلق حق الغير به وفى ولذلك قضى ابعد الأجلين (رقيقة) كان خرق السفينة اراءة الكرامة فاقذفيه في اليم في مرآة وكان وراءهم ملك ووعاء صحت الاجسام بالعلل * وقتل الغلام اشارة الى اشتمال قتله وقضى عليه على رحمة فنجيناك من الغم فخشينا أن يرهقهما والمحن الصم حبائل المنح واقامة الجدار اشارة لفترة فسقى لهما ليخفض له جناح اني لما أنزلت الي من خير فقير فيستظل من حر لو شئت لاتخذت عليه في نية هذا فراق بيني وبينك (حقيقة) قيل لمحمد بن الحسن الزبيدي التونسي وأنا عنده بها كيف لم يصبر الكليم وقد ناط الصبر بالمشيئة ستجدني ان شاء الله صابرا وقد جاء في الصحيح في قصة سليمان عليه السلام لو قال ان شاء الله لكان كما قال والمقام الموسوي أجل واصطنعتك لنفسي وطه لأنه أفضل ما جميع أعمال البر والجهاد في طلب العلم الا كبصقة في بحر فقال كان موسى على علم من علم الله وهو علم المعاملة لا يعلمه الخضر وكان الخضر على علم من علم الله لا يعلمه موسى فلم يظن ان أن ما لم يحط به خبرا اباه حكم الظاهر والا كيف يلتزم الصبر عليه وقد أمر بصرف الانكار اليه ما منعك اذ رأيتهم ضلوا بل لم يعتد مثله من ملاقاة المشاق فيما كان عليه الخضر من اختراق الآفاق وركوب الطباق فعلقه بقوله فقد صدقه بفعله وما لم يستطع عليه صبرا فلم يدخل في التزامه اعتقادا ولا ذكرا (رقيقة) قال لي عبد الرحمن بن يعقوب المكتب كان عندنا بالساحل سائح هجيراه الهي بسطت لي أملي وأحصيت على عملي وغيبت عني أجلي ولا أدري الى أي الدارين يذهب بي لقد أوقفتني موقف المحزونين ما أبقيتني (حقيقة) تنازع القلب والنفس الخلق فقسمها بينهما قاضي العقل فمن باع منهما حظه فلا شفعة لصاحبه عليه *(ومنه)* (حقيقة) الحجب ثلاثة فحجاب الغيرة منع وحجاب الحيرة دفع وحجاب الغفلة قطع أولئك كالانعام بل هم أضل (رقيقة) اللهم أيام التشريق مكروه وكل لذة عند أرباب الدنيا كاللعم عندك أيام الاضحى فلا تريك الغفلة عن سرك زيادة النعمة عندك (حقيقة) الفقر الى الله الاستغناء به عما سواه وهو به الرضا بالله أن لا يخطر بالبال الا *(ومنه)* (حقيقة) التلوّن مجون تارة طربا وطورا شجون والتمكن معرفة وأين الحال من الصفة (رقيقة) قال لي محمد بن عبد الواحد الرباطي قال لي محمد بن عبد السيد الطرابلسي دخلت على أبي الحسن الحراني فقلت له كيف أصبحت فأنشد

أصبحت ألطف من مر النسيم سرى * على الرياض يكاد الوهم يؤلمني
من كل معنى لطيف احتسي قدحا * وكل ناطقة في الكون تطربني

(حقيقة) قال الطالب الوقت سيف وقال الواصل بل مقت فتلا العارف قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون (رقيقة) لصاحب الوقت يومان

يوم بأرواح يباع ويشترى * وأخوه ليس يسام فيه بدرهم

توجه في استخراج الاموال وحلها وقيل انه فرق في عشرة أيام من صلب ماله عشرة آلاف درهم فعند ذلك قام شبة بن عقال على رأسه خطيبا فقال وللمهدي اشباه فمنها القمر الزاهر والربيع الباكر والاسد الخادر والبحر الزاخر فاما القمر الزاهر فاشبه منه حسنه وبهاه وأما الربيع الباكر فاشبه منه طيبه وهواه وأما الاسد الخادر فاشبه منه عزمه ومضاه وأما البحر الزاخر فاشبه منه جوده وسخاه وكانت الخيزران أم الهادي والرشيد في دارها المعروفة باساس وعندها امهات أولاد الخلفاء وغيرهن من بنات بني هاشم وهي على بساط ارمني وهن على نمارق أرمنية وزينب بنت سليمان بن علي أعلاهن مرتبة فبيناهي كذلك اذ دخل خادم لها فقال بالباب امرأة ذات حسن وجمال في اطمار رثة تأبى أن تخبر باسمها وشأنها غيركم وتروم الدخول عليكم وقد كان المهدي تقدم الى الخيزران بأن تلزم زينب بنت سليمان ابن علي وقال لها اقتبسي من آدابها وخذي من أخلاقها فانها عجوزنا قد أدركت أوائلنا فقالت الخيزران للخادم ائذن لها فدخلت امرأة ذات بهاء وجمال في أطمار رثة فتكلمت فأوضحت عن بيان على لسان فقالوا لها من انت قالت أنا مزينة امرأة مروان

وفصل

وفصل الفضل بينهما

وما تفضل الايام اخرى بذاتها * ولكن أيام الملاح ملاح

(ومنه) (حقيقة) قال لي الشيخ أبو عبد الله محمد بن مرزوق العجيسي بعباد تلمسان قال لي أبو عبد الله بن حيون انه وجد على ظهر كتاب بخط عتيق قال أبو يزيد البسطامي يظهر في آخر الزمان رجل يسمى شعيبا لا تدرك له نهاية قالا وهو أبو مدين قلت وقف بظاهره مع الشريعة وذهب بباطنه مع الحقيقة فما انقطع لصحة البداية ولا رجع لعدم الغاية (رقيقة) فت بعض الاسحار على قدم الاستغفار وقد استشعرت الصبابة واستدثرت الكآبة فاملى الجنان على اللسان بما نفثت في روعه روح الاحسان

منكسر القلب بالخطايا * يدعوك يا مانح العطايا
اقعده الذنب عن رفيق * حثوا لرضوانك المطايا

(ومنه) أثر (حقيقة) في شان الحلاج ما نصه ثم قلت

ولرب داع للعمال أطعته * وأبى الجلال على أن أتقدما
فاطعت بالعصيان أمرهما معا * وجنحت للتسليم كما أسلما

(ومنه) (حقيقة) قلت للسر مالك تحس من خلف الموانع فقال خرق شعاعي سور العوائق ثم انعكس الي بصور الحقائق فأصبحت كما قيل

كأن مرآة عين الدهر في يده * يرى بها غائب الاشياء لم يغب

(رقيقة) الليل رداء الرهبة تهاب الجبان أسد الابطال وتتقي الحواس دونه الخيال ان ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا (حقيقة) النهار معاش النفس فهو استعداد ان لك في النهار سبحا طويلا والليل رياش الانس فهو معاد واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا فهذا جمع وذاك فرق والحال أسرع ذهابا من البرق *(ومنه)* (حقيقة) ان أكبرت النفس حالها فذكرها أصلها وما لها فانها تصغر عند ذلك وتستقيم بك على أرض المسالك احثوا التراب في وجوه المداحين منها خلقناكم وفيها نعيدكم (رقيقة) انما يتعاظم من يجد الحقارة من نفسه ويتوهم المهانة عند أبناء جنسه فلذلك تراه مغمزا للعيون مهمزا للظنون من أسر سريرة حسنة كساه الله رداءها (رقيقة) رأيت الملوك لا يستمون ولا يدعى لهم الا بما يتعلق بأغراض الدنيا وأكثر ذلك مما تحيل عقوده العوائد فعلمت أن الدنيا ضد الآخرة (حقيقة) من لم يغفر خور وذلك الجبس من خاف ادلج ورجا من لم يبكر تمن وتلك الزمانة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما (رقيقة) سمعت ابا محمد المجاصي يقول رويت بالسند الصحيح ان عابدا رابط ببعض الثغور مدة فكان كلما طلع الفجر يسمع من ينشد دون ان يرى شيأ

لولا رجال لهم سرد يصومونا * وآخرون لهم ورد يقومونا
لزلزلت ارضكم من تحتكم غضبا * فانكم قوم سوء لا تبالونا

(حقيقة) ما حمد الله حق حمده الا من عرفه حق معرفته وذلك مما لا ينبغي لغيره لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك (رقيقة) قلت

ابن محمد وقد أصارني الدهر الى ما ترين والله ما الاطمار الرثة التي على الاعارية وانكم لما غلبتمونا على هذا الامر وصار لكم دوننا لم نامن مخالطة العامة على ما نحس فيه من الضرر على بادرة البنات يسل موضع الشرف فقصدناكم لنسكون في حجابكم على أية حالة كانت حتى تاتي دعوة من له الدعوة فاغرورقت عينا الخيزران ونظرت اليها زينب بنت سليمان ابن علي فقالت لا خفف الله عنك يا مزنة أتذكرين وقد دخلت اليك بحران وأنت على هذا البساط بعينه فكلمتك في جثة ابراهيم الامام فانتهرتني وأمرت باخراجي وقلت ما للنساء والدخول على الرجال في آرائهم فوالله لقد كان مروان أرعى للحق منك لقد دخلت اليه فحلف أنه ما قتله وهو كاذب وخيرني بين أن يدفنه أو يدفع الي جثته وعرض على مالا فلم أقبله فقالت مزنة والله ما أظن هذه الحالة ادتني الى ما ترينه الا بالفعال الذي كان مني وكانك استحسنتيه فحرضت الخيزران على فعل مثله انما كان يجب أن تحضيها على فعل الخير وترك المقابلة بالشر لتحرز بذلك نعيمها وتصون بها دينها ثم قالت لزينب يا بنت عم كيف رأيت صنيع الله بنا في العقوق فاحببت التأسي بنا ثم ولت باكية فغمزت

أشيم البرق من بين الثنايا * وأشتم العبير من الثناء
وأبدو تارة وأغيب أخرى * مثار الشوق مثنى الحشاء

(حقيقة) تحقق الحامد بكمال الذات فغاب عن حسه فى بحار العظمة وتعلق الشاكر بجمال الفعل فوقف مع نفسه بسوق النعمة فهذا تاجر لئن شكرتم لأزيدنكم وذاك ذاكر وما بكم من *(ومنه)*(حقيقة) الصبر مطية المريد والرضا سجية المراد فهذا يقوم للامر وذاك يسعى للاجر (رقيقة) الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف والصبر بغير حساب والرضا بالرضا وذلك سدرة المنتهى (حقيقة) النفس الامارة آبدة لا تملك الا بلطائف الحيل والمطمئنة ذلول لا تنفلت الا من غفل وأخاف أن يأكله الذئب (رقيقة) الدنيا معشوق الطالب عاشق الهارب هذا يستخدمها وذاك يخدمها يبنى الخادم المجد ليقال ويعمره المخدوم لينال فعل الخادم السعى من غير جدوى *وليس لرحل حطه الله حامل *وللمخدوم الجدوى بغير سعى *وليس لما تبنى يد الله هادم *ان السعادة أصلها التخصيص *(حقيقة) الجمال رياش والحسن صورة والملاحة روح فذلك ستره عليك وهذا سره فيك فاذا سويته ونفخت فيه من روحى (رقيقة) أعطى يوسف شطر الحسن يعنى حسن آدم لانه ان لم يكن فى الامكان أبدع مما كان فقد خلقه الحق بيده فى أحسن تقويم ثم نفخ فيه من روحه لتتم علة الامر بسجود التحية والتكريم فكان كما قال من أنزل عليه الفرقان خلق الله آدم على صورة الرحمن فآدم اذا كمال الحسن والا فهو المراد لان الشطر يقتضى الحصر والنصف ينزع عن الوصف وأعطى محمد صلى الله عليه وسلم كمال الجمال فما أبصره أحد الا هابه وتمام الملاحة فما عرفه شخص الا أحبه مع انباء نوره فى الآباء بأن ابوة المعنى لسيد نجباء الابنا كما قال العارف عمر

وانى وان كنت ابن آدم صورة * فلى فيه معنى شاهد بأبوتى

(حقيقة) لا يثنينك الخوف عن قرع الباب فتيأس فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ولا يدنينك الرجاء من الفترة فتأمن فانه لا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون فان لم تستطع بعد الحرص أن تعدل فلا تمل كل الميل مع النفس ان النفس لامارة بالسوء (رقيقة) ارفع قصتك فى رقعة الاقبال على كف الرجاء خافضا من طرف الحياء وصوت الادلال عا كما فى زاوية الانكماش من وراء ستر الخوف يخرج عليك حاجب القدر من باب الكرم بتوقيع فاستجبنا له *(ومنه)*(حقيقة) صدق مجاهدة الفاروق أيقظ الوسنان وطرد الشيطان وأرضى الرحمن ففاز بسلامة ما سلكت فجا الا سلك الشيطان فجا غير فجك وحقق مشاهدة الصديق أسمع من ناجى فحاز غنيمة لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا (رقيقة) ذهب أبو بكر فى السابقين ولحق عمر باهل اليقين فما أدرك الصديق اداء التصلية حتى استدرك الفاروق قضاء التقفية

ولو كنت فى أهل اليمين منعما * بكيت على ما فات من زمن الصبا

(حقيقة) النص سلاح والنظر مطية والاتباع جنة والورع نجاة والخلاف فتنة والبدع مهالك وخير الامور أوساطها *(ومنه)* (حقيقة) تخير المساعد واختبر

المساعد

الخيزران بعض جواريها فعدلت بها الى بعض المقاصير وأمرت بتغيير حالها والاحسان اليها فلما دخل المهدى عليها وقد انصرفت زينب وكان من شانه الاجتماع مع خواص حرمه فى كل عشية قصت الخيزران عليه قصتها وما أمرت به من تغيير حالها فدعا بالجارية التى ردتها فقال لها لما رددتيها الى المقصورة ما الذى سمعتيها تقول قالت لحقتها فى الممر الملانى وهى تبكى فى خر وجها مؤتسية وهى تقرأ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ثم قال للخيزران والله لو لم تفعلى بها ما فعلت ما كلمتك أبدا وبكى بكاء كثيرا وقال اللهم انى أعوذ بك من زوال النعمة وأنكر فعل زينب وقال لولا أنها أكبر نسائنا لحلفت أن لا أكلمها ثم بعث اليها بعض الجوارى الى مقصورتها التى أخليت لها وقال للجارية اقرئى عليها السلام وقولى لها يا بنت عم ان أخواتك قد اجتمعن عندى ولولا أنى ابن عمك لجئناك فلما سمعت الرسالة علمت مراد المهدى وقد حضرت زينب بنت سليمان فجاءت مزينة تسحب أذيالها فأقامها بالجلوس ورحب بها ورفع منزلتها

المصاعد وليكن همك فى سفرك منك معرفتك كيف ترجع اليك فلن يحقق صفة الربوبية من لم يحقق نعت العبودية (رقيقة) حدثت أن سيدى أبا الحسن الشاذلى لما أزمع على التحول من طيبة على من بها الصلاة والسلام أوقف فعله على اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم له فرآه فى منامه فقال توحشنا يا على فاخذ يعتل فأذن له وقال اذا جئت مصر فاقرأ عز الدين بن عبد السلام منى السلام قال فلما التقينا بلغته المألكة سرا فلم تظهر نفسه لذلك فلما قام المزمزم قال

صدق المحدث والحديث كما جرى * وحديث أهل الحب ما لا يفترى

فاستغفر الشيخ ثم كذب نفسه ثم حط للتسليم رأسه (حقيقة) الوهم شيطان القلب يأتيه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وسائر الجهات لمراقبة قل هو القادر فن ثم كان أشد تقلبا من المرجل على النار فاذا ذكر الله سكن ألا بذكر الله تطمئن القلوب (رقيقة) فرق القلب من ذكر الله خوف وجلت قلوبهم ثم سكن لذكره رجاء وتطمئن قلوبهم فعاد داء تقشعر منه دواء ثم تلين فنعق بلائمة دع عنك لومى فان اللوم اغراء ثم هتف بنادمه وداونى بالتى كانت هى الداء (حقيقة) العبودية صفة نفسك لانها حال أحد العبيد والعبودة صفة قلبك لانها ملكة واحد العباد والعبادة قصد وجهك لانها نعت الفردوس من العباد *(ومنه)* (حقيقة) انما تزيد فى الدنيا بقدر ما تنقص من الآخرة فان تشييد الجدار على قدر انتقاص الجبل (رقيقة) من جر لنفسه جار على قلبه فلا تجوز شهادته عند ربه لان العدل ترك العدول والمين (رقيقة) لا تقدم من الابدليل واذن واحذر ما لا ينفع ما استطعت فقد تم انظر فلا حرج ان جهلت ما لم تكلف علمه وأخاف عليك سوء عاقبة الهجوم (رقيقة) اذا اهتز العرش بالسحر لدعاء أهل تتجافى جنوبهم انبعث من نسيمه ما أغشاهم طيبه الراحة امنة منه وأهب المستغفر من نومه لادراك فضل رضى الله عنهم ورضوا عنه (حقيقة) دع الغريب وما يريب واركب الجادة ولا تسلك بنيات الطريق فتفرق بكم عن سبيله *(ومنه)* (حقيقة) سفر المريد تجارة وسفر العارف عمارة فهذا يرحل للاقامة عند الحقيقة وذلك يطلب الاستقامة على الطريقة (رقيقة) اياك أيها المصلى لنا أن تلتفت الى غيرنا وأقبل علينا بصدق نيتك وناجنا بخلوص سريرتك فقد قدنا بينك وبين قبلتك وناجيناك بلسان تلاوتك فان غبت عنا فلست منا (حقيقة) الشطح كناية والكرامة عناية والاعتراض جناية فاياك ولم فان عرفت فاتبع وان جهلت فسلم (رقيقة) الليل معاد الانس ان ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا والنهار معاش النفس ان لك فى النهار سبحا طويلا فهذا نشاط رغبة يتسع فى مناكبه المجال وتعثر على مراكبه الاحوال وذلك هباب رهبة تهوى اليه الاوجال وتجتمع فيه هموم الرجال الا ترى كيف تهاب الجبان دونه الابطال وتتقى الحواس خلفه الخيال كما قال

نهارى نهار الناس حتى اذا دجا * لى الليل هزتنى اليك المضاجع
أقضى نهارى بالحديث وبالمنى * ويجمعنى والهم بالليل جامع

(حقيقة) حجب الطالب اربعة فحجاب الغيرة قاذع قيل لبعضهم اتحب ان تراه فقال لا قيل

فوق منزلة زينب بنت سليمان بن على ثم تفاوضوا أخبار أسلافهم وأيام الناس والدولة وتنقلها فاتركت لاحد فى المجلس كلاما فقال لها المهدى يابنت عم والله لولا أنى لا أحب أن أجعل لقوم أنت منهم فى أمرنا شيئا لتزوجتك ولكن لا شئ أصون لك من حجابى وكونك مع أخواتك فى قصرى لك مالهن وعليك ما عليهن الى أن يأتيك أمر من له الامر فيما حكم به على الخلق ثم أقطعها مثل مالهن من الاقطاع وأخدمها وأجازها فاقامت فى قصره الى أن قضى المهدى وأيام الهادى وصدرا من أيام الرشيد وماتت فى خلافته لا يفرق بينها وبين نساء بنى هاشم فلما قبضت جزع الرشيد والخدم جزعا شديدا وحدثنا الرياشى عن الاصمعى قال دخل عبد الله ابن عمرو بن عتبة على المهدى يعزيه بالمنصور فقال آجر الله أمير المؤمنين على أمير المؤمنين قبله وبارك الله له فيما خلفه فيه ولا مصيبة أعظم من امام والد ولا عقبى أجل من خلافة الله على أولياء الله فاقبل يا أمير المؤمنين العطية واحتسب عند الله أفضل الرزية ولما كثر تشبيب أبى العتاهية بعتبة جارية الخيزران شكت الى مولاتها ما يلحقها من الشناعة ودخل المهدى وهى تبكى بين يدى الخيزران فسألها عن خبرها فاخبرته

ولم قال اجل ذلك عن نظر مثلي وحجاب التيه قامع نزل فقير على ابن عجوز فبينما هي تصلح له الطعام غشي على الفتى فسألها الفقير فقالت له انه يهوى ابنة عم له بتلك الخيمة فخطرت فاشتم غبار ذيلها فذهب الفقير ليقطعها عليه فقالت اذا لم يطق غبار ذيلي فكيف يستطيع ان يشاهدني * وحجاب الحيرة دافع ومن ثم حلا لارباب الغيبة قال بعضهم يا دليل الحائرين زدني تحيرا ومر على اصحاب الرغبة والرهبة كما قال

قد تحيرت فيك خذ بيدي * يا دليلا لمن تحير فيكا

وحجاب الغفلة قاطع كان بعضهم يقول ان عذبتني بشئ فلا تعذبني بذل الحجاب ونظر آخر الى امرأة فوقع عليه سهم فعوره وعليه مكتوب نظرت بعين العورة فرميناك بسهم الادب ولو نظرت بعين الشهوة لرميناك بسهم القطيعة (رقيقة) حدثت ان ابن الفارض دخل على الشيخ عز الدين وقد ذهب به التفكر فيما له عند الله عز وجل فكاشفه بان انشده من قصيدة له

لك البشارة فاخلع ما عليك فقد * ذكرت ثم على ما فيك من عوج

فبدرته البشاشة واظن ان قد خلع قماشه (حقيقة) وقفت ذات يوم بالجبانة واستفهمت اسمي هل عرف منها مكانه فاملى بعد هنيأة من نظمه ما وقفت منه على حقيقة مبلغ علمه

كل ميت رأته عيني فاني * ذلك الميت ان نظرت بقلبي
وجميع القبور قبري لولا * جهل نفسي بما لها عدوني

(رقيقة) اهم ما على السالك مراعاة قلبه ان يتلف في تقلبه فذلك فساد حاله وذهاب رأس ماله تزوج فقير فلبس ثياب العرس فطاب قلبه فلم يجده فصاح خلقاني فاعطوه فاخذها وخرج (حقيقة) حجب المطلوب ثلاثة * فحجاب التيه جمال كما قال العارف عمر

ته دلالا فانت أهل لذاكا * وتحكم فالحسن قد ولاكا

وحجاب العزة جلال

همت باتيانها حتى اذا نظرت * الى المرآة نهاها وجهها الحسن

وحجاب الكبرياء كمال كما أنشدت لرابعة

أحبك حبين حب الهوى * وحبا لانك أهل لذاكا
فاما الذي هو حب الهوى * فشغلي بذكرك عمن سواكا
وأما الذي أنت أهل له * فأن ترفع الحجب حتى أراكا
وما الحمد في ذا ولا ذاك لي * ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

وهذا معنى ما في الصحيح وما بين أهل الجنة وبين أن ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن *(ومنه)* (حقيقة) الآثار منصة التجلي فمن لم يزر مهلب ويتفكرون زار عمير يمرون وبطل رصد الحجاج (رقيقة) من تفكر تذكر ومن تذكر تبصر فان أكمل وقف وان قصر انصرف انا هديناه السبيل (حقيقة) الوحدة فهم والتوحيد علم والاتحاد حكم والاثنينية وهم * ألا كل شئ ما خلا الله باطل *(ومنه)* (حقيقة) أهم ما على السالك مراعاة قلبه ان يتلف في تقلبه فان ذلك فساد حاله وذهاب رأس ماله رؤي فقير

فامر باحضار أبي العتاهية فادخل اليه فلما وقف بين يديه قال انت القائل في عتبة

الله بيني و بين مولاتي
ابدت لي الصد والملامات
ومني وصلتك حتى تشكو
صدها عنك قال يا أمير المؤمنين فانا الذي أقول

يا ناق حثي بنا ولا تني
نفسك فيما ترين راحات
حتى تجيئي بنا الى ملك
توجه الله بالمهابات
يقول للريح كلما عصفت
هل لك يا ريح في مباراتي
عليه تاجان فوق مفرقه
تاج جمال وتاج اخبات

قال فنكس رأسه ونكت بالقضيب ثم رفع رأسه فقال أنت القائل

الا ما لسيدتي ما لها
ادلت بأجل ادلالها
وجارية من جواري الملوك
قد اسكن الحسن سربالها

ثم سأله عن أشياء فافحم أبو العتاهية فأمر المهدي بجلده نحوا من حد واخرج مجلودا فلقيته عتبة وهو على تلك الحال فقال

بخ بخ يا عتب من مثلكم
قد قتل المهدي فيكم قتيلا

فتغرغرت عيناها وفاض دمعها وصادفت المهدي عند الخيزران فقال ما لعتبة تبكي قالوا له رأت أبا العتاهية مجلودا وقال لها كيت وكيت فامر له بخمسين ألف درهم ففرقها أبو العتاهية على من بالباب فكتب صاحب الخبر بذلك فوجه اليه ما حملك ينادي

ينادي في السوق ارحموا صوفيا ذهب رأس ماله فقيل له وهل للصوفي رأس مال فقال نعم كان لي قلب ففقدته *(ومنه)* (حقيقة) تنازع القلب والنفس الخلق فترافعا الى العقل فقسمه بينهما فانفردت النفس بالهوى والقلب بالتقوى فصرفت طرقهما الى الجهتين وقطعت الشفعة فيهما بين القسمين *(ومنه)* عند ختم الكتاب ما نصه (حقيقة) لا يودع السر الا عند أهله ولا يذيعه الا من ضاق ذرعا بحمله فان عدا مودعه الرمز فقد زل وان تعدى مذيعه الغمز فقد ضل (رقيقة) الحسن خلق والجمال خلق وحسن الادب في الظاهر عنوان حسن الادب في الباطن وحيث هو الجمال هو الجميل (حقيقة) تحقق العلماء بالتوحيد فاستشعروا والله خلقكم وما تعملون لكنهم اعتبروا واتخلق السبب والابتلاء به فتصرفوا بدلالة الاذن في مذهبه فاستقاموا على طريقة الادب ولم يفتهم فضل التوكل ولم تتسع معارف الزهاد لما عرفوا السبب بكيفية الانصراف الى السبب منه لدقة الفرق بينه وبين الانصراف عنه فوقفوا مع التوكل للعذر ولم يستعملوا أدب الجريان مع ابتلاء الامر وعكف الغافلون على ظاهر السبب ففاتهم التوكل والادب أولئك كالانعام بل هم أضل (رقيقة) ألفيت لعبد الحق الاشبيلي بيتا هو عندي أفضل من قصيدة وهو

قد يساق المراد وهو بعيد * ويرد المريد وهو قريب

ومن أراد معرفة قدر هذا البيت فليتل الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب (حقيقة) أشرف أسمائك ما أضافك اليه وأكرم صفاتك ما دل فيك عليه

لا تدعني الا بيا عبدها * فانه أشرف أسمائي
ولا تصفني بالهوى عندها * فعندها تحقيق أنبائي

(رقيقة) أعزز بمن سوداء قلبي مغرب * لخياله وسواد عيني مشرق
ان غاب عن سري فعنه لم يغب * أو عن عياني فهو فيه محقق
والعين تعجز أن ترى انسانها * والقلب بالروح اللطيف مصدق

صن عينك عن قلبك لربك وقلبك عن نفسك لحبك ونفسك عن طبعك لوليك وطبعك عن هواك لعدوك وهواك عمن سواك وقد كنت من نسل الجنة وكان بينك وبين البلاء أوقى جنة لطف الله تعالى بي وبكم في مجاري أحكامه ويسرنا أجمعين للعمل بموجبات اكرامه وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وسلم تسليما كثيرا الى يوم لقائه انتهى ما تعلق به الغرض من كتاب الحقائق والرقائق لمولاي الجد الامام سقى الله عهده صوب الغمام وما ذكرته من كلامه غيض من فيض وقل من كثر ويكفي من الحلي ما قل وستر العنق (ولنذكر بعض نظمه رحمه الله تعالى) وقد تقدم بعضه أثناء ما سبق من كلامه رضي الله عنه فراجعه ان شئت ومن بديع نظمه رحمه الله تعالى ما في الاحاطة ونصه نقلت من ذلك قوله هذه لمحة العارض لتكملة ألفية ابن الفارض سلب الدهر من فرائدها مائة وسبعة وسبعين فاستعنت على ردها بحول الله المعين (من فصل الاقبال)

رفضت السوى وهو الطهارة عندما * تلفعت في مرط الهوى وهو زينتي

على أن أكرمتك بكرامة فقسمتها فقال ما كنت لآكل ثمن من أحببت فوجه اليه بخمسين ألفا أخرى وحلف عليه أن لا يفرقها فأخذها وانصرف قال المبرد أهدى أبو العتاهية الى المهدي في يوم نوروز برنية صينية فيها ثوب ممسك فيه سطران مكتوبان عليه بالغالية

نفسي بشيء من الدنيا معلقة * الله والقائم المهدي يكفيها
اني لآيس منها ثم يطمعني * فيها احتقارك للدنيا وما فيها

فهم أن يدفع اليه عتبة فقالت له يا أمير المؤمنين مع حرمتي وخدمتي تدفعني الى بائع جرار يكتسب بالشعر فبعث اليه أما عتبة فلا سبيل لك اليها وقد أمرنا لك بملء البرنية مالا فخرجت عتبة وهو يناظر الكتاب ويقول انما أمر لي بدنانير وهم يقولون بدراهم فقالت أما لو كنت عاشقا لعتبة لما اشتغلت بتمييز العين من الورق وكان أبو العتاهية بائع جرار وكان أقدر الناس على وزن الكلام وكان حلو الالفاظ حتى انه يتكلم بالشعر قد جعله شعرا ونثرا واجتمع أبو نواس وجماعة فدعا أحدهم بماء فشرب ثم قال *عذب الماء وطابا* ثم قال لهم أجيزوا فلم يحضر أحدهم ما يجانسه في سهولته وقرب مأخذه حتى جاء أبو العتاهية فقال فيم أنتم فاعلموه وأنشدوه القسم فقال

وجئت الحمى وهو المصلى ميمما * بوجهة تلي وجهها وهو قبلتي
وقفت وما استقبحت الاذ كرها * وأحرمت احراما لغير محلة
فديني ان لاحت ركوع وان دنت * سجود وان لاهت قيام بحسرة
على أننا في القرب والبعد واحد * تالفنا بالوصل عين التشتت
وكم من هجير خضت ظمآن طاويا * اليها وديجور طويت برحلة
وفيها لقيت الموت أحمر والعدا * بزرقة أسنان الرماح وحدة
وبيني وبين العذل فيها منازل * تنسيك أيام الفجار ومؤتة
ولما اقتسمنا خطتينا فخامل * بخار بلا أجر وحامل برة
خلا مسمعي من ذكرها فاستعدته * فعاد ختام الامر أصل القضية
وكم لي على حكم الهوى من تجلد * دليل على أن الهوى من سجيتي
يقول سميري والاسى الاسي * ولا توضع الاوزار الا بمحنة
لوان مجوسا بت موقد نارها * لما ظل الا منهلا لاذا شربعة
ولو كنت بحر الم يكن فيه نفحة * لعين اذا نار الغرام استحرت
فلا ردم من نقب المعاول آمن * ولا هدم الا لك شيد بقوة
فمن تقول الاسفطسات منك أو * علام مزاج ركبت أو طبيعة
فان قام لم يثبت له منك قاعد * والا فأنت الدهر صاحب قعدة
فما أنت ياهذا الهوى ماء او هوا * أم النار أم دساس عرق الامومة
واني على صبري كما أنا واصف * وحالي أقوى القائمين بحجة
أقل الضنى أن عم من جسمي الضنى * وما شاكه معشار بعض شكيتي
وأيسر شوقي انني ما ذكرتها * ولم انسها الا احترقت بلوعة
وأخفى الجوى قرع الصواعق منك في * جواي وأخفى الوجد صبر المودة
وأسهل ما ألقى من العذل أنني * أحب أقلي ذكرها وفضيحتي
وأوج حظوظي اليوم منها حضيضها * بالامس وسل جوالجفون الغزيرة
وأوجز أمري أن دهري كله * كما شاءت الحسناء يوم الهزيمة
أروح وما يلقى التاسف راحتي * وأغدو وما يعدو التفجع خطتي
وكالبيض بيض الدهر والسمر سوده * مساءتها في طي طيب المسرة
وشان الهوى ما قد عرفت ولا تسل * وحسبك أن لم يخبر الحب رؤيتي
سقام بلا برء ضلال بلا هدى * أوام بلا ري دم لا بقيمة
ولا عتب فالايام ليس لها رضا * وان ترض منها الصبر فهو تعنتي
ألا أيها اللوام عني تقوضوا * ركاب ملامي فهو أول محنتي
ولا تعذلوني في البكاء ولا البكى * وخلوا سبيلي ما استطعتم ولوعتي
فما سلسلت بالدمع عيني ان جنت * ولكن رأت ذاك الجمال فجنت
تجلى وأرجاء الرجاء حوالك * ورشدي غاو والعمايات عمت

هذان أمران فاختاري احبهما اليك اولا فداعي الموت يدعوني
ان شئت موتا فانت الدهر مالكة روحي وان شئت ان احيا فأحييني
يا عتب من انت الا بدعة خلقت من غير طين وخلق الناس من طين
اني لاعجب من حب يقربني ممن يباعدني عنه ويقصيني
لو كان ينصفني مما كلفت به اذا رضيت وكان النصف يرضيني
يا اهل ودي اني قد لطفت بكم في الحب جهدي ولكن لا تبالوني
الحمد لله قد كنا نظنكم من ارحم الناس طرا بالمساكين
اما الكثير فلا ارجوه منك ولو اطمعتني في قليل كان يكفيني
ومن مختار شعره فيها قوله
الا يا عتب يا قمر الرصافه و يا ذات الملاحة والنظافه
رزقت مودتي ورزقت عطفي ولم ارزق فديتك منك رافه
وصرت من الهوى دنفا سقيما صريعا كالصريع من السلافه

اظل اذا رايتك مستكينا * كانك قد بعثت على آفه وحدث المبرد محمد بن يزيد ان ريطة ابنة ابي العباس فلم

فلم يستبن حتى كأني كاسف * وراجعت أبصاري له وبصيرتي

(ومن فصل الاتصال)

وكم موقف لي في الهوى خضت دونه * عباب الردى بين الظبا والاسنة
تجاوزت في حدي مجاهدتي له * مشاهدتي لما سمت بي همتي
وحل جمالي في الجلال فلا أرى * سوى صورة التنزيه في كل صورة
وغبت عن الاغيار في تيه حالتي * فلم أنتبه حتى امتحى اسمي وكنيتي
وكاتبت ناسوتي بأمارة الهوى * وعدت الى اللاهوت بالمطمئنة
وعلم يقيني صار عينا حقيقة * ولم يبق دوني حاجب غير هيبتي
وبدلت بالتلوين تمكين عزة * ومن كل أحوالي مقامات رفعة
وقد غبت بعد الفرق والجمع موقفي * مع المحو والاثبات عند تثبتي
وكم جلت في سم الخياط وضاق بي * لبسطي وقبضي بسط وجه البسيطة
وما اخترت الادنى بقراط زاهدا * وفي ملكوت النفس أكبر عبرة
وفقري مع الصبر اصطفيت على الغنى * مع الشكر اذ لم يحظ فيه مثوبتي
وأكتم حبي ما كنى عنه أهله * ولكني اذا هم صرحوا بالخبية
واني في جنسي ومنه لواحد * كنوع ففصل النوع علة حصتي
تسببت في دعوى التوكل ذاهبا * الى أن أجدى حيلتي ترك حيلتي
وآخر حرف صار مني أولا * مريدا وحرف في مقام العبودة
تعرفت يوم الوقف منزل قومها * فبت بجمع سد خرق التشتت
فأصبحت أقضي النفس منها مني الهوى * وأقضي على قلبي برعي الرعية
فبايعتها بالنفس دارا سكنتها * وبالقلب منه منزلا فيه حلت
فخاص الاستحقاق نفسي من الهوى * وأوجب الاسترقاق تسليم شفعة
فيا نفس لا ترجع تقطع بيننا * ويا قلب لا تجزع ظفرت بوحدة

(ومن فصل الادلال)

تبدت لعيني من جمالك لمحة * ابادت فؤادي من سناها بلفحة
ومرت بسمعي من حديثك ملحة * تبدت لها فيك القران وقرت
ملامي أبن عذري استبن وجدي استعن * سماعي أعن حالي ابن قائلي اصمت
فمن شاهدي سخط ومن قائلي رضا * وتلوين أحوالي وتمكين رتبتي
مرامي اشارات مراعي تفكر * مراقي نهايات مراسي تثبت
وفي موقفي والدار أقوت رسومها * تقرب أشواقي تبعد حسرتي
معاني أمارات مغاني تذكر * مباني بدايات مثاني تلفت
وبث غرام والحبيب بحضرة * ورد سلام والرقيب بغفلة
ومطلع بدر في قضيب على نقا * فويق محل عاطل دون دمية
ومكمن سحر بابلي له بما * حوت اضلعي فعل القنا السمهرية

عتبة وكانت لها ثم صحبت الخيزران بعدها أن تحضر ذلك فانها لجالسة اذ جاء أبو العتاهية في زي متنسك فقال جعلني الله فداك شيخ ضعيف كبير لا يقوى على الخدمة فان رأيت أعزك الله بشراى وعتقي فعلت مأجورة فاقبلت على عبدالله فقالت اني لارى هيئة جميلة وضعفا ظاهرا ولسانا فصيحا ورجلا بليغا فاشتره واعتقه فقال نعم فقال أبو العتاهية أتاذنين لي أصلحك الله في تقبيل يدك فاذنت له فقبل يدها وانصرف فضحك عبدالله ابن مالك وقال أتدرين من هذا قالت لا قال هذا أبو العتاهية وانما احتال عليك حتى قبل يدك فلو لم يكن لابي العتاهية سوى هذه الابيات التي أبان فيها عن صدق الاخاء ومحض الوفاء وهي

ان أخاك الصدق من كان معك
ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك
شتت شمل نفسه كي يجمعك

وهذه الصفة في عصرنا معدومة ومستحيل وجودها ومتعذر كونها (وروى) ابن عياش أن المنصور

٢ ط ث كان قدم الشرقي بن القطامي الى المهدي حين خلفه بالري وأمره أن يأخذ بحفظ أيام العرب ومكارم

ومنبت مسك من شقيق ابن منذر * على سوسن غض بجنة وجنة
و رصف اللآلى فى اليواقيت كلما * تعل بصرف الراح فى كل سحرة
سل السلسبيل العذب عن طعم ريقه * ونكهته يخبرك عن علم خبرة
ورمان كافور عليه طوابع * من الند لم تحمل به بنت مزنة
ولطف هواء بين خفق وبانة * ورقة ماء فى قوارير فضة
لقد عز عنك الصبر حتى كانه * سراقة لحظ منك للمتلفت
وأنت وان لم تبق منى صبابة * منى النفس لم تقصد سواك بوجهة
وكل فصيح منك يسرى لمسمعى * وكل مليح منك يبدو لمقلتى
تهون على النفس فيك وانها * لتكرم أن تغشى سواك بنظرة
فان تنظرينى بالرضا تشف علتى * وان تظفرينى باللقا تطف غلتى
وان تذكرينى والحياة بقيدها * عدلت لأمنى منيتى بعنيتى
وان تذكرينى بعدما أسكن الثرى * تجلت دجاه عند ذاك وولت
صلينى والا جددى الوعد تدركى * صبابة نفس ايقنت بتفلت
فما ام بو هالك بتنوفة * أقيم لها خلف الحلاب فدرت
فلما رأته لاينازع خلفها * اذاهى لم ترسل عليه وضنت
بكت كلما راحت عليه وانها * اذاذكرته آخر الليل حنت
باكثر منى لوعة غير أننى * رأيت وفار الصبر أحسن حلية
فرحت كما اغدو اذا ماذكرتها * اطامن احشائى على ماأجنت
اهون ما ألقاه الامن القلى * هوى ونوى نيل الرضا منك بغيتى
أخوض الصلى اطفى العلا و العلو لا * أصل السلا رعى الحلى بين عبرتى
ألا قاتل الله الحمامة غدوة * لقد أصلت الاحشاء نيران لوعة
وقاتل مغناها وموقف شجوها * على الغصن ماذا هيجت حين غنت
فغنت غناء اعجميا فهيجت * غرامى من ذكرى عهود تولت
فارسلت الاجفان سحبا وأوقدت * جوى الذى كانت ضلوعى أكنت
نظرت بصحراء البر يقين نظرة * وصلت بها قلبى فصل وصلت
فيالهما قلبا شجيا ونظرة * حجازية لوجن طرف لجنت
وواعجبا للقلب كيف اعترافه * و كيف بدت أسراره خلف سترة
و للعين لما سوئلت كيف أخبرت * وللنفس لما وطنت كيف دلت
و كنا سلكنا فى صعود من الهوى * يسامى بأعلام العلا كل رتبة
الى مستوى ما فوقه فيه مستوى * فلما توافينا ثبت و زلت
و كنا عقدنا عقدة الوصل بيننا * على نحر قربان لدى قبر شيبة
مؤكدة بالنذر أيام عهده * فلما تواثقنا اشتددت وحلت

(ومن فصل الاحتفال)

الاخلاق ودراسة الاخبار وقراءة الاشعار فقال له المهدى ذات ليلة يا شرقى أرح قلبى بشئ يلهيه قال نعم أصلح الله الامير ذكروا أنه كان فى ملوك الحيرة ملك يقال كان له نديمان قد نزلا من قلبه منزلة مكينة وكانا لا يفارقانه فى لهوه ومنامه ويقظته وكان لا يقطع أمرا دونهما ولا يصدر الا عن رأيهما فغبر بذلك دهرا طويلا فبينا هو ذات ليلة فى شربه ولهوه اذ غلب عليه الشراب فازال عقله فدعا بسيفه وانتضاه وشد عليهما فقتلهما وغلبته عيناه فنام فلما أصبح سال عنهما فاخبر بما كان منه فاكب على الارض عاضا لها تاسفا عليهما وجزعا لفراقهما وامتنع من الطعام والشراب ثم حلف لا يشرب شرابا يزعج قلبه ما عاش وواراهما و بنى على قبريهما قبة وسماها الغريين وسن أن لا يمر بهما أحد من الملك فن دونه الا سجد لهما وكان اذا سن الملك سنة توارثوها وأحيوا ذكرها ولم يميتوها وجعلوها عليهم حكما واجبا وفرضا لازما وأوصى بها الآباء أعقابهم فغبر الناس بذلك دهرا طويلا لا يمر أحد من صغير ولا كبير الا سجد لهما فصار ذلك سنة لازمة كالشريعة والفريضة وحكم فيمن أبى أن يسجد لهما بالقتل بعد أن يحكم له بخصلتين يجاب اليهما كائنا ما كان

أزو راعتمارا أرضها بتنسك * وأقصد حجا بيتها بتحلة
وفى نشأتى الاخرى ظهرت بماعلت * له نشأتى الاولى على كل فطرة
ولولا خفاء الرمز من لاولن ولم * تجدها الشملى مسلكا بتشتت
ولولم يجدد عهدنا عقد خلة * قضيت ولم يقض المنى صدق توبة
بعثت الى قلبى بشيرا عارأت * على قدم عيناى منه فكفت
فلم يعد أن شام البشارة شام ما * جفا الشام من نور الصفات الكريمة
فيالك من نور لوان التفاتة * تعارض منه بالنفوس النفيسة
تحدث أنفاس الصبا أن طيبها * بما حملته من حراقة حرقة
وتنبئ آصال الربيع عن الربا * وأشجاره أن قد تجلت بخلت
وتخبر أصوات البلابل انها * تغنت بترجيعى على كل ايكة
فهذا جمالى منك فى بعد حسرتى * فكيف به ان قر بتى بخلة
تبدى ومازال الحجاب ولادنا * وغاب ولم يفقده شاهد حضرتى
له كل غير فى تجليه مظهر * ولاغير الامامحت كف غيرة
تجلى دايل واحتجاب تنزه * واثبات عرفان ومحو تثبت
فاشئت من شئ وآليت انه * هو الشئ لم تحمد نجار البى
وفى كل خلق منه كل عجيبة * وفى كل خلق منه كل لطيفة
وفى كل خاف منه مكمن حكمة * وفى كل باد منه مظهر جلوة
أراه بقلب القلب واللغز كامنا * وفى الزجر والفال الصحيح الادلة
وفى طى اوفاق الحساب وسرما * يتم من الاعداد فابدأ بستة
وفى نفثات السحر فى العقد التى * تطوع لها كل الطباع الابية
يصور شكلا مثل شكل و يعتلى * عليه باوهام النفوس الخبيثة
وفى كل تصحيف وعضو بذاته اختلاج وفى التقويم مجلى لرؤية
وفى خضرة الكمون ترجى شرابه * مواعيد عرقوب على اثر صفرة
وفى شجر قد خوفت قطع أصلها * فبان بها حمل لأقرب مدة
وفى النخل فى تلقيحه واعتبر بما * أتى فيه عن خير البرية واسكت
وفى الطابع السبتى فى الاحرف التى * يبين منها النظم كل خفية
وفى صنعة الطلسم والكيمياء والكنوز وتغو برالمياه المعينة
وفى حرز أقسام المؤدب محرز * وحزب أصيل الشاذلى وبكرة
وفى سيمياء الحاتمى ومذهب ابن سبعين اذ يعزى الى شر بدعة
وفى المثل الاولى وفى النحل الأُلى * بها اوهموا الماتساه وابستة
وفى كل مافى الكون من عجب وما * حوى الكون الا ناطقا بعجيبة
فلاسر الا وهو فيه سريرة * ولاجهر الا وهو فيه كحلية
سل الذكر عن انصاف أصناف ماابتنى * عليه الكلام من حروف سلمية

قال فمر يوما قصار معه كارة ثياب وفيها مدقته فقال الموكلون بالعريين للقصار اسجد فابى أن يفعل فقالوا له انك مقتول ان لم تفعل فابى فرفعوه الى الملك وأخبروه بقصته فقال ما منعك أن تسجد قال سجدت ولكن كذبوا على قال الباطل قلت فاحتكم فى خصلتين فانك مجاب اليهما وانى قاتلك قال لابد من قتلى بقول هؤلاء قال لابد من ذلك قال فانى احتكم ان اضرب رقبة الملك بمدقتى هذه قال له الملك ياجاهل لو حكمت على أن أجرى على من تخلف وراءك مايغنيهم كان أصلح لهم قال ما احكم الا بضربة لرقبة الملك فقال الملك لوزرائه ماترون فيما حكم به هذا الجاهل قال نرى ان هذه سنة وأنت أعلم بما فى نقض السنن من العار والنار وعظم الاثم وأيضا انك متى نقضت سنة نقضت أخرى ثم يكون ذلك لمن بعدك كما كان لك فتبطل السنن قال فارغبوا الى القصار أن يحكم بماشاء ويعفينى من هذه فانى أجيبه الى ماشاء ولو بلغ حكمه شطر ملكى فرغبوا اليه فقال ما احكم الا بضربة فى عنق الملك قال فلما رأى الملك ذلك وماعزم عليه القصار قعد له مقعدا عاما وأحضر القصار فابدى مدقته وضرب بها عنق الملك فاوهنه وخر مغشيا عليه فأقام لما به سنة وبلغت به

وعن وضعها فى بعضها وبلوغها * أتت فيه أمضى عدها وتثبت
فلابد من رمز الكنوز لذى الحجا * ولاظلم الاظلم صاحب حكمة
ولولا سلام ساق للامن خيفتى * لعاجل مس البرد خوفى لميتتى
ولولم تداركنى ولكن بعطفها * درجت رجائى ان تعتنى خيبتى
ولولم توانسنى عناقبل لم ولم * قضى العتب منى بغية بعد وحشتى
ونعم أقامت أمر ملكى بشكرها * كما هونت بالصبر كل بلية

(ومن فصل الاعتقال)

سرت بفؤادى اذ سرت فيه نظرتى * وسارت ولم تثن العنان بعطفة
وذلك لما أطلع الشمس فى الدجى * محيا ابنة الحسين فى خير ليلة
يمانية لوانجدت حين انجدت * لما أبصرت عيناك حيا كميت
لا عصمة فى نجعها قدم بنى * لكل نجاشى بها حصن ذمة
ألمت فحطت رحلها ثم لم يكن * سوى وقفة التوديع حتى استقلت
فلوسمحت لى بالتفات وحل من * مهاوى الهوى والهون جد تفلتى
ولكنها همت بنا فتذكرت * قضاء قضاة الحسن قدما فصدت
احلت خيالا اننى لااجله * ولم انتسب منه لغير تعلة
على أننى كلى وبعضى حقيقة * وباطل أوصافى وحق حقيقتى
وجنسى وفصلى والعوارض كلها * ونوعى وشخصى والهواء وصورتى
وجسمى ونفسى والحشا وغرامه * وعقلى وروحانيتى القدسية
وفى كل لفظ عنه ميل لمسمعى * وفى كل معنى منه معنى للوعتى
ودهرى به عيد ليوم عروبة * وأمرى أمرى والورى تحت قبضتى
ووقتى شهود فى فناء شهدته * ولاوقت لى الا مشاهد غيبة
أراه معى حسا ووهما واته * مناط الثريا من مدارك رؤيتى
وأسمعه من غير نطق كأنه * يلقن سمعى ما توسوس مهجتى
ملأت بانوار المحبة باطنى * كانك نور فى سرار سريرتى
وحليت بالاجلال أرجاء ظاهرى * كانك فى أفقى كواكب زينة
فانت الذى أخفيه عند تسترى * وأنت الذى أبديه فى حين شهرتى
فته أحتمل واقطع أصل واعل أستقل * ومر أمتثل واملل أمل وارم أثبت
فقلبى ان عاتبته فيك لم أجد * لعتبى فيه الدهر موقع نكتة
ونفسى تنبو عن سواك نفاسة * فلا تنتمى الا اليك بعنة
تعلقت الآمال منك بفوق ما * أرى دونه مالاينال بحيلة
وحامت حواليها وما وافقت حمى * سحائب يأس أمطرت ماء عبرتى
فلوفاتنى منك الرضا ولحقتنى * بعفو بكيت الدهر فوت فضيلة
ولو كنت فى أهل اليمين منعما * بكيت على ما كان من سبقية

العلة الى ان كان يسقى الماء بالقطن فلما أفاق وتكلم وأكل وشرب واستقل سال عن القصار فقيل انه محبوس فامر باحضاره فحضر فقال لقد بقيت لك خصلة فاحكم بها فانى قاتلك لامحالة اقامة للسنة قال القصار فاذا كان لابد من قتلى فانى أحكم ان اضرب الجانب الآخر من رقبة الملك مرة أخرى فلما سمع الملك ذلك خر على وجهه من الجزع وقال ذهبت والله نفسى اذا ثم قال للقصار ويلك دع عنك مالا ينفعك فانه لم ينفعك منه ما مضى واحكم بغيره وأنفذه لك كائنا ما كان قال ما أرى حتى الا ضربة أخرى فقال الملك لوزرائه ماترون قالوا تمت على السنة قال ويلكم ان ضرب الجانب الآخر ما شربت الماء البارد أبدا لانى أعلم ماقد نالنى قالوا فما عندنا حيلة فلما رأى ماقد أشرف عليه قال للقصار أخبرنى ألم أكن قد سمعتك تقول يوم أتى بك الموكلون بالغريين انك قد سعدت وانهم كذبوا عليك قال قد كنت قلت ذلك فلم أصدق قال فكنت سعدت قال نعم فوثب من مجلسه وقبل رأسه وقال أشهد انك صادق وانهم كذبوا عليك وقد وليتك موضعهم وجعلت اليك باسهم وأمرهم فضحك المهدى حتى فحص برجليه وقال أحسنت وحكم

وكم من مقام قت عنك مسائلا * أرى كل حى كل حى وميت
أتيت بفاراب أبانصرها فلم * أجد عنده علما يبرد غلتى
ولم يدر ماقولى ابن سيناه سائلا * فقل كيف أرجو عنده برء علتى
فهل فى ابن رشد بعد هذين مرتجى * وفى ابن طفيل لاحتثاث مطيتى
لقد ضاع لولا أن تداركنى حى * من الله سعى بينهم طول مدتى
فقيض لى نهجا الى الحق سالكا * وأيقظنى من نوم جهلى وغفلتى
فحصنت أنظارا لجند جنيدها * بترك ولى من رغبة فى رهبة
وكسرت عن رجل ابن أدهم أدهما * وانقذته من أسر حب الاسرة
وعدت على حلاج سكرى بصلبه * وألقيت بلعام التغافى بهوة
فقولى مشكور ورأيى ناجح * وفعلى محمود بكل محلة
رضيت بعرفانى فاعليت للعلا * وأجلسنى بعد الرضا فيه جلتى
فعشت ولاضيرا أخاف ولاقلى * وصرت حبيبا فى ديار أحبتى
فها أنا ذا امسى واصبح بينهم * مبلغ نفسى منهم ماتمنت انتهت

ومن نظمه ايضا ماحكى عنه فى الاحاطة اذ قال وانشدنى قوله فى حال قبض وقيدتها عنه

اليك بسطت الكف استنزل الفضلا * ومنك قبضت الطرف استشعر الذلا
وها انا ذا قد قدمت تقدمنى الرجا * ويحجم بى الخوف الذى خامر العقلا
اقدم رجلا ان يضئ برق مطمع * وتظلم ارجائى فلا انقل الرجلا
ولى عثرات لست آمل ان هوت * بنفسى ان لا استقيل وأن اصلى
فان تدركنى رحمة انتعش بها * وان تكن الاخرى فاولى بى الاولى

وقوله رحمه الله تعالى

وجد تسعره الضلو * ع وماتبرده المدامع
هم تحركه الصبا * به والمهابة لاتطاوع
أمل اذا وصل الرجا * أسبابه فالموت قاطع
بالله ياهذا الهوى * ماأنت بالعشاق صانع

وقال رحمه الله تعالى كما فى الاحاطة ومما كتبت به لمن بلغنى عنه بعض الشئ

نحن ان تسأل بناس معشر * اهل ماء خبرته الهمم
رب من يبضهم أرزاقهم * ومن السمر الطوال الخيم
عرضت أحسابهم أرواحهم * دون نيل العرض وهى الكرم
او رثونا المجد حتى اننا * نرتضى الموت ولا نزدحم
مالنا فى الناس من ذنب سوى * اننا نلوى اذا ما اقتحموا

وقال مما قلته مذيلا به قول القاضى أبى بكر بن العربى

اماوالمسجد الاقصى * وما يتلى به نصا
لقد رقصت بنات الشو * ق بين جوانحى رقصا

أبى حفصة بالباب فقال لا تأذن له فانه منافق كذاب فكلمه الحسن ابن أبى عطية فيه فادخله فقال له المهدى يافاسق ألست القائل فى معن جبل تلوذ به نزار كلها صعب الذرا متمنع الاركان قال بل أنا الذى أقول فيك ياأمير المؤمنين
يا ابن الذى ورث النبى محمدا دون الاقارب من ذوى الارحام
وأنشده الابيات كلها فرضى عنه وأجازه * وقال القعقاع بن الحكيم كنت عند المهدى وأتى بسفيان الثورى فلما دخل عليه سلم تسليم العامة ولم يسلم تسليم الخلافة والربيع قائم على رأسه متكئ على سيفه فاقبل المهدى بوجه طلق وقال له ياسفيان تفر منا ههنا وههنا وتظن انا لو أردناك بسوء لم نقدر عليك فقد قدرنا عليك الآن افما تخشى ان نحكم فيك بهوانا قال سفيان ان تحكم فى يحكم فيك ملك قادر يفرق بين الحق والباطل فقال له الربيع ياأمير المؤمنين ألهذا الجاهل ان يستقبلك بمثل هذا ائذن لى ان اضرب عنقه فقال له اسكت ويلك مايريد هذا

وأمثاله الا ان نقتلهم فنشقى بسعادتهم اكتبوا بعهده على قضاء الكوفة على أن لا يعترض عليه فى

ولى

فأقلع بى اليه هوى * جناحا عزمه قصا
أقل القلب واستعدى * على الجثمان فاستعصى
فقمت أجول بينهما * فلا أدنى ولا أقصى

(قال رحمه الله تعالى) ومما قلته فى التورية بشأن راوى المدونة

لا تعجبن لظبى قد دهاأسدا * فقد دهاأسدا من قبل سحنون

(ومن نظم مولاى الجد) مما لم يذكره فى الاحاطة قوله حسبما ألفى بخطه على ظهر نسخة من تاليفه القواعد

ناديت والقلب بالاشواق محترق * والنفس من حيرة الابعاد فى دهش
يا معطشى من وصال كنت آمله * هل فيك لى فرج ان صحت واعطشى

(ومن نظمه) ما أسنده الوانشريسى اليه

خالف هواك وكن لعقلك طائعا * تجد الحقيقة عند طرف الناظر

(ومنه) مما نسبه له المذكور ورأيت من ينسبهما لغيره

لما رأيناك بعد الشيب يارجل * لا تستقيم وأمر النفس تمتثل
زدنا يقينا بما كنا نصدقه * بعد المشيب يشب الحرص والامل انتهى

(وفى الاحاطة) فى ترجمة شعره ما صورته قال ومما قلته من الشعر وبه نختم الكلام

أنبت عودا بنعماء بدأت بها * فضلا وألبسته بعد اللحى الورقا
فظل مستشعرا مستدثرا ارجا * ريان ذا بهجة يستوقف الحدقا
فلا تشنه بمكروه الجنى فلكم * عوّدته من جميل من لدن خلقا
وانف القذى عنه واثر الدهر منبته * وغذه برجاء واسقه غدقا
واحفظه من حادثات الدهر أجمعها * ما جاء منها على ضوء وما طرقا

انتهى ما قصدته من ترجمة مولاى الجد على ما اقتضاه الوقت ولو أرسلت عنان القلم فى شانه لضاق هذا الديوان عن ذلك و يرحم الله شيخ شيوخ شيوخنا عالم المغرب سيدى أبا العباس الوانشريسى ثم التلمسانى نزيل فاس صاحب المعيار وغيره اذ قال فى تاليفه الذى عرّف فيه بمولاى الجد لما ساله بعضهم فى ذلك وذكر ما حضره مانصه ولقد استوفى شيخ شيوخنا المحقق النظار أبو عبد الله بن مرزوق الحفيد ترجمة المقرى فى كتاب سماه النور البدرى فى التعريف بالفقيه المقرى انتهى وقد تقدمت الاشارة الى أن اسم هذا التاليف مبنى على أن المقرى بفتح الميم وسكون القاف وقد علمت ما فى ذلك مما مضى قلت وقد ملكت بفاس مجلدا ضخما بخط مؤلفه وهو أحد علماء مدينة فاس ألفه برسم مولاى الجد وسماه بالزهر الباسم وأطال فيه فى مدح مولاى الجد والثناء عليه والتنويه بقدره وذكر محاسنه ولم يحضرنى الآن لكونى تركته مع جملة كتبى بالمغرب وقد تعلق بحفظى ما قاله فى أوّله من جملة أبيات

اذا ذكرت مفاخر أهل فاس * ذكرنا من أتى من تلمسان
وقلنا هل رأيتم فى قضاة * شبيها للفقيه العدل ثانى

على بن يقطين كنا مع المهدى بماسبذان فقال لى يوما أصبحت جائعا فائتنى بأرغفة ولحم بارد ففعلت فأكل ثم دخل القصر ونام وكنا نحن فى الرواق فانتبهنا لبكائه فبادرنا اليه مسرعين فقال أما رأيتم ما رأيت قلنا ما رأينا شيأ قال وقف على رجل لو كان فى ألف رجل ما خفى على صوته فقال

كانى بهذا القصر قد باد أهله
وأوحش منه ربعه ومنازله
وصار عميد القوم من بعد بهجة
وملك الى قبر عليه جنادله
فلم يبق الا ذكره وحديثه
تنادى عليه معولات حلائله

قال على فما أتت على المهدى بعد رؤياه الا عشرة أيام حتى توفى (قال المسعودى) وكانت وفاة زفر بن الهذيل الفقيه صاحب أبى حنيفة النعمان ابن ثابت سنة ثمان وخمسين ومائة وفيها كانت بيعة المهدى كما قدمناه ومات سفيان بن سعيد ابن مسروق الثورى بالبصرة وكان من تميم وهو ابن ثلاث وستين سنة و يكنى أبا عبد الله فى أيام المهدى وذلك فى سنة احدى وستين ومائة ومات ابن أبى ذئب وهو محمد بن عبد الرحمن بن

الى ان قال

ونفس العلم ان شانت لشخص * فـالمقرى فى العلم شانى انتهى

وقد أخذ عنه رحمه الله تعالى جماعة أعلام مشهورون منهم لسان الدين بن الخطيب ذو الوزارتين والوزير أبو عبد الله بن زمرك والاستاذ العلامة أبو عبد الله القيجاطى الآتية فى علم القرا آت والشيخ الفقيه القاضى الرحال الحاج أبو عبد الله محمد بن سعيد بن عثمان بن سعيد الصنهاجى الزمورى الدار المعروف بنقشابو والولى ابن خلدون صاحب التاريخ وفى بعض المواضع يعبر عنه بصاحبنا وفى بعضها بشيخنا والنظار أبو اسحق الشاطبى والعلامة أبو محمد عبد الله بن جزى والحافظ بن علاق وغيرهم ممن يطول تعداده ولاكالشيخ الولى الشهير الكبير العارف بالله سيدى محمد بن عباد الرندى شارح حكم ابن عطاء الله فانه ممن يفتخر مولاى الجد رحمه الله تعالى بكون مثله تلميذا له (ولا باس أن نورد ترجمته) تبركا به فى هذا الكتاب ولو لم تقتضه المناسبة التى راعيناها فى هذا التأليف فكيف وقد اقتضته (فنقول) قال فى حقه صاحبه الشيخ أبو زكريا السراج (ماصورته) هو شيخنا الفقيه الخطيب البليغ الخاشع الخاشى الامام العالم المصنف السالك العارف المحقق الربانى ذو العلوم الباهرة والمحاسن المتظاهرة سليل الخطباء ونتيجة العلماء أبو عبد الله محمد ابن الشيخ الفقيه الواعظ الخطيب البليغ العلم الحظى الوجيه الحسيب الاصيل أبى اسحق ابراهيم بن أبى بكر بن عباد كان حسن السمت طويل الصمت كثير الوقار والحياء جميل اللقاء حسن الخلق والخلق عالى الهمة متواضعا معظما عند الخاصة والعامة نشا ببلده رندة على أكمل طهارة وعفاف وصيانة وحفظ القرآن ابن سبع سنين ثم تشاغل بعد بطلب العلوم النحوية والادبية والاصولية والفروعية حتى رأس فيها وحصل معانيها ثم أخذ فى طريق الصوفية والمباحثة على الاسرار الالهية حتى أشير اليه وتكلم فى علوم الاحوال والمقامات والعلل والآفات وألف فيه تواليف عجيبة وتصانيف بديعة غريبة وله أجوبة كثيرة فى مسائل العلوم نحو مجلدين ودرس كتبا وحفظها أوجلها كشهاب القضاعى والرسالة ومختصرى ابن الحاجب وتسهيل ابن مالك ومقامات الحريرى وفصيح ثعلب وغيرها وقوت القلوب أخذ ببلده رندة عن أبيه القرآن وغيره وعن خاله الشيخ الفقيه القاضى عبد الله الفريسى العربية وغيرها وعن الشيخ الفقيه الخطيب أبى الحسن على بن أبى الحسن الرندى حرف نافع وعرض عليه الرسالة وبتلمسان وفاس عن السيد الشريف الامام العالم العلامه المحقق أبى عبد الله التلمسانى الحسنى جمل الخونجى تفهما وغيره وعن الشيخ الفقيه القاضى العالم أبى عبد الله المقرى كثيرا من المختصر الفرعى لابن الحاجب وفصيح ثعلب وبعض صحيح مسلم كلها تفقها وعن الشيخ الفقيه العالم أبى محمد عبد النور العمرانى الموطأ والعربية وعن الامام العالم أبى عبد الله الابلى الارشاد لابى المعالى وجميع كتاب ابن الحاجب الاصلى وعقيدة ابن الحاجب تفقها وعن الشيخ الفقيه الحافظ أبى الحسن الصرصرى بعض التهذيب تفقها وعن الشيخ الاستاذ المقرى الصالح احمد بن عبد الرحمن المجاصى شهر بالمكناسى كثيرا من جمل الزجاج وتسهيل ابن مالك وعن

المغيرة ويكنى أبا الحرث بالكوفة سنة تسع وخمسين ومائة وذلك فى أيام المهدى * وفى سنة ستين ومائة مات شعبة بن الحجاج ويكنى أبا بسطام وهو مولى لبنى شقرة من الازد وفيها توفى عبد الرحمن بن عبد الله المسعودى وفى سنة ست وستين ومائة مات حماد بن سلمة فى أيام المهدى (قال المسعودى) وللمهدى أخبار حسان لما كان فى أيامه من الكوائن والحروب وغيرها قد أتينا على مبسوطه فى الكتاب الاوسط وكذلك من مات فى سلطانه من الفقهاء وأصحاب الحديث وغيرهم وبالله التوفيق

(ذكر خلافة موسى الهادى)

وبويع موسى بن محمد الهادى لسبع بقين من المحرم وهو ابن أربع وعشرين سنة وثلاثة أشهر صبيحة الثلاثاء التى كانت فيها وفاة والده المهدى وذلك فى سنة تسع وستين ومائة وتوفى بعيساباذ نحو مدينة السلام سنة سبعين ومائة لاثنتى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاول من هذه السنة وكانت خلافته سنة وثلاثة أشهر وكان يكنى أبا جعفر وأمه الخيزران بنت عطاء أم ولد جرشية وهى أم الرشيد وأتته البيعة وهو ببلاد طبرستان وجرجان فى حرب كانت هنالك فركب البريد وقد أخذ له

الشيخ الفقيه الصالح ابي مهدي عيسى المصمودي جميع كتاب ابن الحاجب والحاجبية له ايضا تفقها وتفقه على الفقيه العالم ابي محمد الواتعلي في كتاب ابن الحاجب الفقهي وأخذ عنه حرف نافع وعن الشيخ الفقيه الصالح المدرس بالحلفاويين أبي محمد عبدالله القستالي كثيرا من التهذيب وعن قاضي الجماعة وخطيب الحضرة أبي عبدالله محمد بن أحمد القستالي كثيرا من التهذيب تفقها وكذا عن غيرهم ولقي بسلا الشيخ الحاج الصالح السني الزاهد الورع أحمد ابن عمر بن محمد بن عاشر وأقام معه ومع أصحابه سنين عديدة قال قصدتهم لوجدان السلامة معهم ثم رحل لطنجة فلقي بها الشيخ الصوفي أبا مروان عبد الملك لازمته كثيرا وقرأت عليه وسمعت منه وأنشدني من شعره وشعر غيره وترددت بيني و بينه مسائل في اقامته بسلا وانتفعت به عظيما في التصوف وغيره وأجازني اجازة عامة مولده برندة عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة وتوفي بعد العصر يوم الجمعة ثالث رجب عام اثنين وتسعين وسبعمائة وحضر جنازته الامير فمن بعده وهمت العامة بكسر نعشه تبركا به ولم أر جنازة أحفل ولا أكثر خلقا منها ورثاه الناس بقصائد كثيرة انتهى كلام السراج *وقال غيره في حقه محمد بن ابراهيم بن عبدالله من مالك بن ابراهيم بن محمد بن مالك بن ابراهيم بن يحيى بن عباد النفزي نسبا الرندي بلدا الشهير بابن عباد الفقيه الصوفي الزاهد الولي العارف بالله تعالى *وقال في حقه الشيخ ابن الخطيب القسطيني في كتابه انس الفقير وعز الحقير هو الخطيب الشهير الصالح الكبير وكان والده من الخطباء الفصحاء العياء ولابي عبدالله هذا اعقل وسكون وزهد بالصلاح مقرون وكان يحضر معنا مجلس شيخنا الفقيه أبي عمران العبدوسي رحمه الله تعالى وهو من أكابر أصحاب ابن عاشر ومن خيار تلامذته وأخذ عنه وله كلام عجيب في التصوف وصنف فيه كما هو الآن يقرأ على الناس مع كتب التذكير وله في ذلك قلم انفرد به وسلم له فيه بسببه ومن تصانيفه شرح كتاب الحكم لابن عطاء الله في سفر رأيته وعلى ظهر نسخة منه مكتوب

لايبلغ المرء في أوطانه شرفا * حتى يكيل تراب الارض بالقدم

ومن كلامه فيه الاستئناس بالناس من علامات الافلاس وفتح باب الانس بالله تعالى الاستيحاش من الناس ومن كلامه فيه من لازم الكون وبقي معه وقصر همته عليه ولم تنفتح له طريق الغيوب الملكوتية ولا خلص له بسره الى فضاء شهادة الوحدانية فهو مسجون بمحيطاته ومحصور في هيكل ذاته الى غير ذلك من كلامه وكان يحضر السماع ليلة المولد عند السلطان وهو لا يريد ذلك وما رأيته قط في غير مجلس جالسا مع أحد واغا حظ من يراه الوقوف معه خاصة وكنت اذا طلبته في الدعاء احمر وجهه واستحيا كثيرا ثم يدعو لي وأكثر تمتعه من الدنيا بالطيب والبخور الكثير و يتولى أمر خدمته بنفسه ولم يتزوج ولم يملك أمة ولباسه في داره مرقعة فاذا خرج سترها بثوب اخضر أو ابيض وله تلامذة كلهم أخيار مباركون و بلغني عن بعضهم انه تصدق حين تاب على يده بعشرة آلاف دينار ذهبا وهو الآن امام جامع القرويين بفاس وخطيبه وأكثر قراءته في صلاة الجمعة اذا جاء نصر الله وأكثر خطبته وعظ ومثله من يعظ الناس لانه اتعظ في نفسه وقد أوحى الله تعالى الى عيسى عليه الصلاة والسلام

أخوه هرون البيعة وفي ذلك يقول بعض الشعراء لما أتت خير بني هاشم * خلافة الله بجرجان شمر للحرب سرابيله برأي لا غمر ولا واني

(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه)

كان موسى قاسي القلب شرس الاخلاق صعب المرام كثير الادب محباله وكان شديدا شجاعا جوادا سخيا (حدث) يوسف بن ابراهيم الكاتب وكان صاحب المهدي عن ابراهيم أنه كان واقفا بين يديه وهو على حمار له ببستانه المعروف ببغداد اذ قيل له قد ظفر برجل من الخوارج فأمر بادخاله فلما قرب منه الخارجي أخذ سيفا من بعض الحرس فاقبل يريد موسى فتنحيت وكل من معي عنه وانه لواقف على حماره ما يتحلحل فلما أن قرب منه الخارجي صاح موسى اضربا عنقه وليس وراءه أحد فاوهمه فالتفت الخارجي لينظر وجمع موسى نفسه ثم ظهر عليه فصرعه فاخذ السيف من يده فضرب عنقه قال فكان خوفنا منه أكثر من الخارجي فوالله ما أنكر علينا تنحينا ولا عذلنا على ذلك ولم يركب حمارا بعد ذلك اليوم ولا فارقه سيفه وكان عيسى بن داب يجالسه وكان من أهل الحجاز

والسلام ياعيسى عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحى منى ذكره الغزالى وعهدى
به انه على صفة البدلاء الصادقين النبلاء كثر الله مثله فى الاسلام انتهى قلت وقد زرت قبره
مرارا بفاس ودعوت الله تعالى عنده وهو عند اهل فاس بمثابة الشافعى عند اهل مصر ومن
منن الله سبحانه على انى سكنت محله لما توليت الخطابة والامامة بجامع القرويين من فاس
المحروسة مضافين الى الفتوى والدار المعلومة للخطيب بالجامع المذكور الى الآن تعرف
بدار الشيخ ابن عباد واقمت على ذلك خمس سنين واشهرا ثم قوضت الرحال للمشرق وها أنا
الى الآن فيها والله ييسر الخير حيث كان *وقال الشيخ سيدى أحمد زروق فى شان الشيخ ابن
عباد انه ولد برندة وبها نشأ فى عفاف وصون ثم رحل لفاس وتلمسان فقرأ بهما الفقه
والاصول والعربية ثم عاد فصحب بمدينة سلا أفضل أهل زمانه علما وعملا سيدى أحمد بن
عاشر نفعنا الله به فاظهر الله تعالى عليه من بركاته مالا يخفى على متأمل ثم نقل بعد وفاة الشيخ
فجعل خطيبا بجامع القرويين من مدينة فاس وبقى بها خمس عشرة سنة خطيبا فتوفاه الله
تعالى بها بعد صلاة العصر من يوم الجمعة رابع رجب سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة ودفن
بكدية البراطل من داخل باب الفتوح وكان رضى الله عنه داصمت وسمت وتحمل وزهد
معظما عند الكافة معوّلا فى حل المشكلات على فتح الفتاح العليم

ومن علمه أن ليس يدعى بعالم * ومن فقره أن لا يرى يشتكى الفقرا
ومن حاله ان غاب شاهد حاله * فلا يدعى وصلا ولا يشتكى هجرا

كذا رأيت بخط من أثق به فى تعريفه مختصرا مع زيادة ما تحققت وكتبه شاهدة بكماله
علما وعملا فهى كافية فى تعريفه وكان الذى طلبه فى وضع الشرح على الحكم سيدى
أبو زكريا السراج الذى أكثر رسائله له وسيدى أبو الربيع سليمان بن عمر انتهى
*وقال فى موضع آخر سيدنا العارف المحقق الخطيب البليغ نسيج وحده ومقدم من أتى من
بعده أبو عبد الله قرأ بفاس وتلمسان العربية والاصول والفقه ككتاب الارشاد ومختصر ابن
الحاجب الفقهى والاصلى وتسهيل ابن مالك وتوفى بفاس وقبره بها مشهور ومزيته
معروفة شرقا وغربا وقد كتب مسائل معروفة أكثرها للسيدى يحيى السراج وله كتب
الشرح مع سيدى سليمان بن عمر الذى قال فى حقه انه ولى بلا شك بطلبهما لذلك ورأيت كتابا
فى الامامة وسماه تحقيق العلامة فى احكام الامامة فذكرته لشيخنا القورى رحمه الله
تعالى وكان معتنيا بكتبه معوّلا عليها فى حاله فقال اظنه لوالده سيدى ابراهيم وقد كان خطيبا
بالقصبة اذ كانت عامرة وله خطب عظيمة الفصاحة حسنة الموقع انتهى *وقال الشيخ أبو
يحيى بن السكاك أما شيخى وبركتى أبو عبد الله بن عباد رضى الله عنه فانه شرح الحكم وعقد
درر منثورها فى نظم بديع وجمعت من انشائه مسائل مدارها على الارشاد الى البراءة من
الحول والقوة فيها نبذ كانفاس الاكابر مع حسن التصرف فى طريق الشاذلى وجودة تنزيل
على الصور الجزئية وبسط التعبير مع انهاء البيان الى أقصى غاياته والتفنن فى تقريب
الغامض الى الاذهان بالامثلة الوضعية فقرب بها حقائق الشاذلية تقريبا لم يسبق اليه كما
قرب الامام ابن رشد مذهب مالك تقريبا لم يسبق اليه وكان مع ذلك آية فى التحقيق

وكان أكثر أهل عصره أدبا وعلما ومعرفة بأخبار الناس وأيامهم وكان الهادى يدعو له متكئا ولم يكن غيره يطمع منه فى ذلك وكان يقول له ياعيسى ما استبطأتك يوما ولا ليلة ولا غبت عنى الا ظننت أنى لا أرى غيرك (وذكر) عيسى بن داب أنه رفع الى الهادى ان رجلا من بلاد المنصورة من بلاد السند من أشرافهم وأهل الرياسة فيهم من آل المهلب بن أبى صفرة ربى غلاما سنديا أو هنديا وان الغلام هوى مولاته فراودها عن نفسها فاجابته فدخل مولاه فوجدها معه فجب ذكر الغلام وخصاه ثم عالجه الى ان برئ فأقام مدة وكان لمولاه ابنان أحدهما طفل والآخر يافع فغاب الرجل عن منزله وقد أخذ السندى الصبيين فصعد بهما الى أعالى سور الدار الى ان دخل مولاه فاذا هو بابنيه مع الغلام على السور فقال يافلان عرضت ابنى للهلاك فقال دع ذا عنك والله لو لم تجب نفسك بحضرتى لارمين بهما فقال له الله الله فى وفى ابنى قال دع عنك هذا فوالله ماهى الا نفسى وانى لاسمح بها من شربة ماء واهوى ليرمى بهما فاسرع مولاه فاخذ مدية فجب نفسه فلما رأى الغلام انه قد فعل رمى بالصبيين فتقطعا وقال ذلك الذى فعلت لفعلك بى وقتل هذين زيادة فأمر

بالعبودية والبراءة من الحول والقوة وعدم المبالاة بالمدح والذم بل له مقاصد نفيسة في الاعراض عن الخلق وعدم المبالاة بهم واعظم اخلاقه التي لا يصبر عنها ويضطرب لها غاية الاضطراب ان يحضر حيث ينسى الحق لا سيما ان كان نسيان الحق بالنسبة اليه فهو الذي يقلقه ويضيق صدره على اتساعه ووفور انشراحه عن ذلك ولقد ذكر بعض من كان من أخص الناس به ومنقطعا اليه احوال رجال الرسالة القشيرية والحلية وما منحوا من المواهب قال فلما مات الشيخ واستبصرت ما أشاهده منه من أفعال تدل على القطع بصديقيته لاح لي ان تلك الصفات التي يذكر مشخصة فيه نشاهدها عيانا ولولم أر الشيخ لقلت انى لم أر كاملا وعلى الجملة فهو واحد عصره بالمغرب ذكر لي عن قطب المعقول بالمغرب والمشرق الابلي انه كان يشير اليه في حال قراءته عليه اعني الشيخ ابن عباد ويقول ان هنالك علما جما الا يوجد عند مشاهير اهل ذلك الوقت الا انه كان لا يتكلم رضي الله عنه وشهد له القطوع بولايتهم بالتقدم واقروا له بالشيخوخة وتبركوا به كسيدي سليمان البازغي وسيدي محمد المصمودي وسيدي سليمان بن يوسف بن عمر الانفاسي وامثالهم وكان شيخه الحجة الورع احمد بن عاشر يشيد بذكره ويقدمه على سائر اصحابه ويأمرهم بالاخذ عنه والانتفاع به والتسليم له ويقول ابن عباد امة وحده ولا شك انه كذلك كان اعني غريبا فان العارف غريب الهمة بعيد القصد لا يجد مساعدا على قصده وكان الغالب عليه الحياء من الله تعالى والتنزل بين يدي عظمته وتنزيله نفسه منزلة اقل الحشرات لا يرى لنفسه مزية على مخلوق لما غلب عليه من هيبة الجلال وعظمة المالك وشهود المنة ناظرا الى جميع عباد الله تعالى بعين الرحمة والشفقة والنصيحة العامة مع توفية المراتب حقها والوقوف مع الحدود الشرعية واعتبارهم من حيث مراد الله تعالى بهم هذا دأبه مع الطائع والعاصي مالم يظهر له من احد مخايل حب التعظيم والمدح والتجبر على المساكين ورؤية الحق اذ هي دعوى لا تليق بالعبد ومن كانت هذه صفته فقد وصل حد الخذلان بل هي علامة تقارب القطع على انه شقي مسلم الى غضب الله تعالى ومقته اعاذنا الله تعالى منه وكان من حال هذا السيد تألف قلوب الاولاد الصغار فهم يحبونه محبة تفرق محبتهم لآبائهم وامهاتهم فينتظرون خروجه للصلاة وهم عدد كثير يأتون من كل اوب ومن المكاتب البعيدة فاذا رأوه ازدحموا على تقبيل يده وكذا كان ملوك زمانه يزدحمون عليه ويتذللون بين يديه فلا يحفل بذلك وذكر لي بعض تلامذته ان اقواله لا تشبه افعاله لما منحه الله تعالى من فنون الاستقامة مع ما في كلامه من النور والحلاوة التي استفزت ألباب المشارقة بحيث صار لهم بحث عريض على تواليفه انتهى كلام ابن السكاك وله من التواليف الرسائل الكبرى والصغرى وشرح الحكم ونظمها في ثمانمائة بيت من الرجز (وحدث) الشيخ أبو مسعود الهراس قال كنت أقرأ في صحن جامع القرويين والمؤذنون يؤذنون بالليل فاذا أبو عبد الله بن عباد قد خرج من باب داره وجاء يطير في الصحن كأنه جالس متربع حتى دخل في البلاط الذي حول الصومعة ثم مشيت فوجدته يصلي حول المحراب وسأله السراج عن أبي حامد الغزالي فقال هو فوق الفقهاء وأقل من الصوفية ومما نقل من خطه رحمه الله تعالى ولا يدري هل هي له أم لا

فرخص السند في أيامه حتى كانوا يتداولون بالثمن اليسير وكان الهادي قد استوزر الربيع وضم اليه ما كان لعمر بن بزيع من الزمام ثم ولي عمر بن بزيع الوزارة وديوان الرسائل وأفرد الربيع بالزمام فمات الربيع في هذه السنة وقيل ان الهادي سقاه شربة لاجل جارية كان قد وهبها له المهدي كانت قبل ذلك للربيع وقيل غير ذلك *وظهر في أيامه الحسين ابن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وهو المقتول بفخ وذلك على ستة أميال من مكة يوم التروية وكان على الجيش الذي حاربه جماعة من بني هاشم منهم سليمان بن أبي جعفر ومحمد بن سليمان ابن علي وموسى بن علي والعباس بن محمد بن علي في أربعة آلاف فارس فقتل الحسين وأكثر من كان معه وأقاموا ثلاثة أيام لم يواروا حتى أكلتهم السباع والطير وكان معه سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي فاسر في هذا اليوم وضربت رقبته بمكة صبرا وقتل معه عبد الله بن اسحق بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي وأسر الحسن

الحزم قبل العزم فاحزم واعزم * واذا استبان لك الصواب فصمم
واستعمل الرفق الذي هو مكسب * ذكر القلوب وجد وأجمل واحلم
واحرس وسر واشجع وصل وامنن وصل * واعدل وأنصف وارع واحفظ وارحم
واذا وعدت فعدها تقوى على * انجازه واذا اصطنعت فتمم

وذكر الشيخ الفقيه الخطيب القاضي الحاج أبو سعيد بن أبي سعيد السلوي أنه رأى في حائط جامع القرويين أبياتا مكتوبة بفحم بخط الشيخ أبي عبد الله بن عباد وهي

أيتها النفس اليه اذهبي * فحبه المشهور من مذهبي
مفضض الثغر له نقطة * من عنبر في خده المذهب
أيأسني التوبة من حبه * طلوعه شمسا من المغرب

قال الشيخ أبو سعيد فاستشكلت هذه الابيات لما اشتملت عليه من التغزل وذكر الخال والخد والثغر ومقام الشيخ ابن عباد يجل عن الاشتغال بمثل هذا فلقيت يوما أبا القاسم الصيرفي فذاكرته بالقصة ووجه الاشكال فيها فقال لي مقامك عندي أعلى من أن تستشكل مثل هذا هذه أوصاف ولي الله القائم بأمر الله المهدي فشكرته على ذلك انتهى قلت رأيت بخط الوانشريسي اثر هذه الحكاية ما نصه قلت في صحة هذه الحكاية عن الشيخ نظر لما احتوت عليه من تعبير الحسن وقدر الشيخ وورعه أعلى من هذا فهذان اشكالان والله أعلم (وحكي) أن الشيخ ابن عباد رحمه الله تعالى لما احتضر جعل رأسه في حجر أبي القاسم هذا وأخذ في قراءة آية الكرسي الى قوله الحي القيوم ثم يقول يا الله يا حي يا قيوم فلقنه من حضر لا تأخذه سنة ولا نوم فيمتنع الشيخ من قراءتها ويقول يا الله يا حي يا قيوم فلما قربت وفاته سمع منه هذا البيت وكان آخر ما تكلم به

ما عوّدوني أحبائي مقاطعة * بل عوّدوني اذا قاطعتهم وصلوا

ولما توفي الشيخ ابن عباد رضي الله عنه في التاريخ المتقدم حضر جنازته السلطان أمير المسلمين أبو العباس أحمد ابن السلطان أبي سالم وأهل البلدتين يعني فاسا الجديد التي هي مسكن السلطان وخواص أتباعه وفاسا العتيق التي هي محل الاعلام والخاص والعام من الناس في ذلك القطر اذ هي اذ ذاك حضرة الخلافة وقبة الاسلام في المغرب وتقدم بعده للامامة والخطبة بجامع القرويين نائبه أيام مرضه الشيخ الصالح الورع أبو زيد عبد الرحمن الزرهوني حسبما قاله الجادري رحمه الله تعالى (وحكي) الوانشريسي رحمه الله تعالى أن الشيخ ابن عباد كلم ابن دريدة الوالي في مظلمة فلم يقبل فلما كان يوم الجمعة ونزل السلطان أبو العباس للصلاة بجامع القرويين وراء الشيخ ابن عباد قال الشيخ في أثناء خطبته من الامور المستحسنة أن لا يبقى الوالي سنة انتهى وللشيخ ابن عباد خطب مدونة بالمغرب مشهورة بأيدي الناس ويقرؤن منها ما يتعلق بالمولد النبوي الشريف بين يدي السلطان تبركا بها وكذا يقرؤنها في المجتمعات في المواسم كأول رجب وشعبان ونصفهما والسابع والعشرين منهما كرمضان وقد حضرت بمراكش المحروسة سنة عشر وألف قراءة كراسة الشيخ في المولد النبوي على صاحبه الصلاة والسلام بين يدي مولانا السلطان المرحوم أحمد المنصور بالله الشريف

ابن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي وضرب عنقه صبرا وأخذ لعبد الله ابن الحسن بن علي وللحسين ابن علي الامان يحيى عند جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك وقتلا بعد ذلك فسخط الهادي على موسى بن عيسى لقتل الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن وترك المصير به اليه ليحكم فيه بما يرى وقبض أموال موسى وأظهر الذين أتوا بالرأس الاستبشار فبكى الهادي وزجرهم وقال أتيتموني مستبشرين كأنكم أتيتموني برأس رجل من الترك أو الديلم انه رأس رجل من عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا ان أقل جزائكم عندي لا أثيبكم شيأ وفي الحسين ابن علي صاحب فخ يقول بعض شعراء ذلك العصر من أبيات

فلأبكين على الحسين بعولة وعلى الحسن
وعلى ابن عاتكة الذي أثووه ليس له كفن
تركوا بفخ عدوة في غير منزلة الوطن
كانوا كراما قتلوا لا طائشين ولا جبن
غسلوا المذلة عنهم غسل الثياب من الدرن
هدي العباد بجدهم فلهم على الناس المنن

وكان الهادي كثير الطاعة لامه الخيزران يجيبها فيما تسئل من الحوائج للناس فكانت المواكب لا تخلو من بابها ففي ذلك يقول أبو المعافي

الحسنى رحمه الله وقد احتفل لذلك المولد بأمور يستغرب وقوعها جازاه الله تعالى عن نيته خيرا وقد أشرت الى ذلك فى كتابى الموسوم بروضة الآس العاطرة الانفاس فى ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس وسردت جملة من القصائد والموشحات فى وصف ذلك الصنيع ورحمة الله وراء الجميع (ولنرجع) الى مشايخ لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى فنقول (ومنهم) الشيخ الفقيه القاضى بمكناسة الزيتون أبو محمد عبد الحق بن سعيد ابن محمد ذكره فى نفاضة الجراب وقال انه لقيه بمكناسة الزيتون سنة احدى وستين وسبعمائة وكان من أهل المعرفة والحصافة قائما على كتاب أبى عمرو بن الحاجب فى مذهب مالك وكان ممتازا به فيما دون تلمسان قرأه على الشيخين علمى الافق المغربى أبى موسى وأبى زيد ابنى الامام عالمى تلمسان والمغرب جميعا قال لسان الدين فى النفاضة وتصدر المذكور لاقرائه الآن فما شئت من اضطلاع ومعرفة واطلاع وقيد جزأ نبيلا على فتوى الامام القاضى أبى بكر بن العربى المسماة بالحاكمة وسماه بالجازمة على الرسالة الحاكمة أجاد فيه وأحسن وقرأت عليه بعضه واذن لى فى تحمله انتهى (ومن اشياخ لسان الدين الذين لقيهم بمكناسة الزيتون) الفقيه الفاضل الخير يونس بن عطية الوانشريسى له عناية بفروع الفقه وولى القضاء بقصر كتامة (ومنهم) الفقيه الفاضل الخير ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابى عفيف المتصدر لقراءة كتاب الشفاء النبوى لديه جملة حسنة من أصول الفقه أشف بها على كثير من نظرائه قراءة منه اياها على أبى عبد الله محمد بن أبى الفضل الصباغ وشاركه فى قراءتها على الامام أبى عبد الله الابلى (ومنهم) الفقيه المدرك الاستاذ فى فن العربية أبو على عمر بن عثمان الوانشريسى قال لسان الدين حضرت مذاكرته فى مسئلة اعوزت عليه وطال عنها سؤاله وهى قول الشاعر

الناس أكيس من أن يمدحوا رجلا * مالم يروا عنده آثار احسان

وصورة السؤال كيف وقوع أفعل بين شيئين لا اشتراك بينهما فى الوصف اذ أوقع الشاعر أكيس بين الناس و بين أن يمدحوا وهو مؤوّل بالمصدر وهو المدح ولا يوصف بذلك انتهى قلت الاشكال مشهور والجواب عنه بضرب من المجاز ظاهر وقد أشار اليه أبو حيان فى الارتشاف وجماعة آخرون فى قول بعض المؤلفين كصاحب التلخيص أكثر من أن تحصى ولولا السآمة لذكرت ماقيل فى ذلك وخلاصة ماقالوه أن فى الكلام تقديرا والله أعلم (وممن لقيه) لسان الدين بمكناسة الزيتون الفقيه العدل الاخبارى الاديب المشارك أبو جعفر أحمد بن محمد بن ابراهيم الاوسى الجنان من أهل الظرف والانطباع والفضيلة وهو كاتب عاقد للشروط ناظم ناثر مشارك فى فنون من العلم مؤلف وقد ذكرنا فى غير هذا المحل مادار بينه و بين لسان الدين من المحاورة والمراجعة فليراجع قال لسان الدين رحمه الله تعالى ناولنى المذكور تأليفه الحسن الذى سماه المنهل المورود فى شرح المقصد المحمود شرح فيه وثائق الجزيرى فاربى بيانا وافادة واجادة وأذن لى فى حمله عنه وهو فى ثلاث مجلدات وأنشدنى كثيرا من شعره (ومنهم) القاضى بها أبو عبد الله بن أبى رمانة قال لسان الدين لقيته بمكناسة وكان من أهل الحياء والحشمة وذوى السذاجة والعفة ثم ذكر ماداعبه به حين

ياخيزران هنالك ثم هنالك * ان العباد يسوسهم ابناك فكلمته ذات يوم فى أمر فلم يجد الى اجابتها فيه سبيلا فاعتل عليها بعلة فقالت لابد من اجابتى قال لا افعل قالت فانى قد ضمنت هذه الحاجة لعبد الله بن مالك فغضب المهدى وقال ويل لابن الفاعلة قد علمت أنه صاحبها لاقضيتها لك قالت اذا والله لا أسألك حاجة أبدا قال اذا والله لا ابالى وقامت مغضبة فقال مكانك فاستوعبى كلامى والله والا نفيت من قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن بلغنى انه وقف ببابك أحد من قوادى أو من خاصتى أو من خدمى لاضربن عنقه ولاقبضن ماله فمن شاء فليلزم ذلك ماهذه المواكب التى تغدو الى بابك كل يوم أما لك مغزل يشغلك أو مصحف يذكرك أو بيت يصونك اياك ثم اياك ان تفتحى فاك فى حاجة لمسلم ولاذمى فانصرفت وما تعقل ماتطأ فلم تنطق بحلو ولامر بعدها (وذكر ابن دأب) قال دعانى المهدى فى وقت من الليل لم تجر العادة انه يدعونى فى مثله فدخلت اليه فاذا هو جالس فى بيت صغير شتوى وقدامه جزء صغير ينظر فيه فقال لى ياعيسى قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال انى أرقت فى هذه الليلة وتداعت الى الخواطر واشتملت على الهموم

تأخر عن لقائه وقد ذكرنا ذلك في غير هذا الموضع (وممن لقيه لسان الدين بمكناسة) الفقيه العدل أبو علي الحسن بن عثمان بن عطية الونشريسي قال وكان فقيها عدلا من أهل الحساب والقيام على الفرائض والعناية بفروع الفقه ومن ذوي السذاجة والفضل ويقرض الشعر وله أرجوزة في الفرائض مبسوطة العبارة مستوفية المعنى انتهى وقال ابن الاحمر في حقه هو شيخنا الفقيه المفتي المدرس القاضي الفرضي الاديب الحاج أبو علي ابن الفقيه الصالح أبي سعيد عثمان التجاني المنعوت بالونشريسي أجازني عامة أخذ عن الفقيه المفتي الاديب الخطيب المعمر القاضي المحدث الراوية خاتمة المحدثين بالمغرب أبي البركات ابن الحاج البلفيقي انتهى ومولده في حدود أربع وعشرين وسبعمائة ٭ وذكر صاحب المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى افريقية والاندلس والمغرب جملة من فتاويه وقال في وثائقه وقد أجرى ذكره ما صورته ان بلدينا الشيخ القاضي العلامة أبا علي الحسن وقعت له قضية مع عدول مكناسة وذلك أن السلطان أبا عنان فارسا كان أمر بالاقتصار على عشرة من الشهود بمدينة مكناسة وكتب اسم الشيخ أبي علي هذا في العشرة فشق ذلك على بعض شيوخ العدول المؤخرين لحداثة سن أبي علي فلما علم تشغيبهم صنع رجزا ورفعه الى مقام المتوكل على الله أبي عنان (نصه)

نبدأ أولا بحمد الله ٭ ونستعينه على الدواهي
ثم نوالي بالصلاة والسلام ٭ على نبي دونه كل الانام
وبعد ذا نسأل رب العالمين ٭ أن يهب النصر أمير المؤمنين
خليفة الله أبا عنان ٭ لازال في خير وفي أمان
ملكه الله من البلاد ٭ من سوس الاقصى الى بغداد
ويسر الحجاز والجهادا ٭ وجعل الكل له مهادا
يا أيها الخليفة المظفر ٭ دونك أمري انه مفسر
عبدكم نجل عطية الحسن ٭ قد قيل لا يشهد الا ان أسن
وهو في أمركم المعهود ٭ من جملة العشرة الشهود
نص عليه أمركم تعيينا ٭ وسنه قارب أربعينا
مع الذي ينتسب العبد اليه ٭ من طلب العلم وبحثه عليه
على الفرائض له أرجوزه ٭ أبرز في نظامها ابريزه
ومجلس له على الرساله ٭ فكيف يرجو حاسد زواله
حاشا أمير المؤمنين ذاكا ٭ وعدله قد بلغ السماكا
وعلمه قد طبق الآفاقا ٭ وحلمه قد جاوز العراقا
وجوده مشتهر في كل حي ٭ قصر عن ادراكه حاتم طي انتهى

(وحكى) بعض الحفاظ أنه لما بلغت الابيات السلطان أمر باقراره على ذلك وقد وقفت على رجزه المذكور وله شرح عليه لم أره والظاهر انه ممن اندرج معه لسان الدين رحم الله الجميع وهو معدود في جملة من لقيه (ومن مشايخ لسان الدين رحمه الله) ذو الكرامات الكثيرة

ابن علي قد قتل منهم على نهر أبي فطرس فلانا وفلانا حتى انبت على تسعة من قتل منهم وهذا عبد الصمد بن علي قد قتل منهم بالحجاز في وقت واحد نحو ما قتل عبد الله بن علي وهو القائل لسفك دمائهم

ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها
أخذي بثاري من بني مروان
ومن الحرب ليت شيخي شاهد
سفكي دماء بني أبي سفيان

قال ابن دأب فسر والله الهادي وظهرت منه أريحية فقال يا عيسى داود بن علي هو القائل ماذكرت بالحجاز ولقد أذكرتنيهما حتى كأني ما سمعتهما قلت يا أمير المؤمنين وقد قيل انهما لعبد الله بن علي قالهما على نهر أبي فطرس قال قد قيل ذلك قال ابن دأب ثم تغلغل بنا الكلام والحديث الى أخبار مصر وعيوبها وفضائلها وأخبار نيلها فقال لي الهادي فضائلها أكثر قلت يا أمير المؤمنين هذه دعوى المصريين لها بغير برهان أوردوه والبينة على الدعوى وأهل العراق يأبون هذه الدعوى ويذكرون ان عيوبها أكثر من فضائلها قال مثل ماذا قلت يا أمير المؤمنين من عيوبها انها لا تمطر واذا مطرت كرهوا وابتهلوا الى الله بالدعاء قال الله عز وجل

والمقامات الكبيرة سيدى الحاج أبو العباس أحمد بن عاشر الصالح المشهور كان لسان الدين رحمه الله تعالى حريصا على لقائه بسلا أيام كان بها وقد لقيه ولم يتمل منه لشدة نفوره من الناس خصوصا أصحاب الرياسة ولذا قال لسان الدين لما ذكر أنه لقيه في نفاضة الجراب ما صورته يسر الله لقاءه على تعسره انتهى (وسنترجم) الولى المذكور في نظم لسان الدين حيث وصفه بقوله بولى الله فابدأ وابتدر وقبره الآن بسلا محط رجاء الطالبين وكعبة قصد الراغبين تلوح عليه أنوار العناية وتستمد منه أنواء الهداية وهو على ساحل البحر المحيط بخارج مدينة سلا المحروسة وقد زرته ولله الحمد عند توجهى الى حضرة مراكش سنة ألف وتسعة والناس يشدون الرحال اليه من أقطار المغرب نفعنا الله تعالى به وأعاد علينا من بركاته بجاه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (رجع) الى مشايخ لسان الدين الوزير ابن الخطيب رحمه الله تعالى (ومنهم) الاستاذ المحقق العلامة الكبير النحوى الشهير أبو عبد الله محمد بن على الفخار البيرى رحمه الله تعالى كان شيخ النحاة بالاندلس غير مدافع وأخذ عنه خلق كثيرون كالشاطبي أبى اسحق صاحب شرح الالفية والوزير ابن زمرك وغيرهما وقد حكى عنه مسائل غريبة تلميذه الشاطبي وقال لسان الدين في الاحاطة في ترجمة مشيخته ما صورته ولازمت قراءة العربية والفقه والتفسير والمعتمد عليه العربية على الشيخ الاستاذ الخطيب أبى عبد الله بن الفخار البيرى الامام المجمع على امامته في فن العربية المفتوح عليه من الله تعالى فيها حفظا واطلاعا واضطلاعا ونقلا وتوجيها بما لا مطمع فيه لسواه انتهى ولنورد بعض فوائد ابن الفخار فنقول ومن فوائد ابن الفخار المذكور التى حكاها عنه الشاطبي قوله حدثني ان بعض الشيوخ كان اذا أتى باجازة يشهد فيها سأل الطالب المجاز عن لفظ اجازة ما وزنه وما تصريفه ثم قال الشاطبي ولما حدثنا بذلك سألناه عنها فاملى علينا ما نصه وزن اجازة في الاصل افعالة وأصلها اجوازة فأعلت بنقل حركة الواو الى الجيم حملا على الفعل الماضى استثقالا فتحركت الواو في الاصل وانفتح ما قبلها في اللفظ فانقلبت ألفا فصارت اجاازة بالفين فحذفت الالف الثانية عند سيبويه لانها زائدة والزائد أولى بالحذف من الاصلى وحذفت الاولى عند الاخفش لانها لا تدل على معنى وهو المد وقول سيبويه أولى لانه قد ثبت عوض التاء من المحذوف في نحو زنادقة والتاء زائدة وتعويض الزائد من الزائد أولى من تعويض الزائد من الاصلى للتناسب ووزنها في اللفظ عند سيبويه افعلة وعند الاخفش افالة لان العين عنده محذوفة انتهى وقال الشاطبي رحمه الله تعالى لما توفى شيخنا الاستاذ الكبير العلم الخطير أبو عبد الله بن الفخار سألت الله عز وجل ان يرينيه في المنام فيوصينى بوصية انتفع بها في الحالة التى أنا عليها من طلب العلم فلما نمت في تلك الليلة رأيت كأنى أدخل عليه في داره التى كان يسكن بها فقلت له يا سيدى اوصنى فقال لى لا تعترض على أحد ثم سألنى بعد ذلك في مسئلة من مسائل العربية كالمؤنس لى فاجبته عنها ولا اذكرها الآن انتهى وقال الشاطبي أيضا ما صورته حدثنا الاستاذ الكبير الشهير أبو عبد الله محمد بن الفخار شيخنا رحمه الله تعالى قال حدثنى بسبتة بعض المذاكرين ان ابن خميس لما ورد عليها بقصد الاقراء بها اجتمع اليه عيون طلبتها فالقوا عليه مسائل

بشرا بين يدى رحمته فهذه رحمة مجللة لهذا الخلق وهم لها كارهون وهى لهم ضارة غير موافقة لا يزكو عليها زرعهم ولا تخصب عليها ارضهم ومن عيوبها الريح التى يسمونها المريسية وذلك ان أهل مصر يسمون أعالى الصعيد الى بلاد النوبة مريس فاذا هبت الريح المريسية وهى الجنوبية ثلاثة عشر يوما اشترى اهل مصر الاكفان والحنوط وأيقنوا بالوباء القاتل والبلاء الشامل ثم من عيوبها اختلاف هوائها لانهم في يوم واحد يغيرون ملابسهم مرارا كثيرة فيلبسون القمص مرة والمبطنات اخرى والحشو مرة وذلك لاختلاف جواهر الساعات بها ولتباين هبوب الهواء فيها في سائر فصول السنة من الليل والنهار وهى غير ولا غثار فاذا أجدبوا هلكوا وأما نيلها فكفاك الذى هو عليه من الخلاف لجميع الانهار من الصغار والكبار وليس بالفرات ولا الدجلة ولا نهر بلخ ولا سيحان ولا جيحان شئ من التماسيح وهى في نيل مصر ضارة بلا منفعة ومفسدة غير مصلحة وفى ذلك يقول الشاعر

أضمرت للنيل هجرانا ومقلية * اذ قيل لى انما التمساح في النيل

من غوامض الاشتغال ففادعن الجواب عنها بان قال لهم أنتم عندى كرجل واحد يعنى أن ما ألقوا عليه من المسائل انما تلقوها من رجل واحد وهو ابن أبى الربيع فكانه انما يخاطب رجلا واحدا ازدراء بهم فاستقبله أصغر القوم سنا وعلما بان قال له ان كنت بالمكان الذى تزعم فاجبنى عن هذه المسائل من باب معرفة علامات الاعراب التى أذكرها لك فان أجبت فيها بالصواب لم تحط بذلك فى نفوسنا لصغرها بالنظر الى تعاميك عن الادراك والتحصيل وان أخطأت فيها لم يسعك هذا البلد وهى عشرة الاولى أنتم يازيدون تغزون والثانية أنتن ياهندات تغزون والثالثة أنتم يازيدون وياهندات تغزون والرابعة انتن ياهندات تخشين والخامسة أنت ياهند تخشين والسادسة أنت ياهند ترمين والسابعة أنتن ياهندات ترمين والثامنة انتن ياهندات تعفون أوتعفين كيف تقول والتاسعة أنت ياهند تعفين أوتعفون كيف تقول والعاشرة أنتما تعفوان أوتعفيان كيف تقول وهل هذه الافعال كلها مبنية أومعربة أو بعضها مبنى و بعضها معرب وهل هى كلها على وزن واحد أوعلى أوزان مختلفة علينا السؤال وعليك التمييز لنعلم الجواب فبهت الشيخ وشغل المحل بان قال انما يسال عن هذا اصغار الولدان قال له الفتى فانت دونهما ان لم تجب فانزعج الشيخ وقال هذا سوء أدب ونهض منصرفا ولم يصح الاعالقة متوجها الى غرناطة حرسها الله تعالى ولم يزل بها مع الوزير ابن الحكيم الى أن مات رحمة الله تعالى عليه انتهى ثم قال الشاطبى والجواب عن هذه المسائل مايذكر أما الجواب عن تغزون الاولى فانه معرب ووزنه أصلا تفعلون ولفظا تفعون وعن الثانية فمبنى للحاق نون الاناث ووزنه تفعلن وعن الثالثة على التغليب فعلى رده للاول يلحق بالاول وللثانى كالثانى وأما تخشين من الرابعة فمبنى للنون ووزنه تفعلن وعن الخامسة فمعرب ووزنه أصلا تفعلين ولفظا تفعين وأما ترمين من السادسة فمعرب ووزنه أصلا تفعلين ولفظا تفعين ومن السابعة مبنى للنون ووزنه تفعلن وأما تعفون وتعفين من الثامنة فهما لغتان وهما مبنيان للنون والتاسعة لايقال الاتعفين بالياء خاصة لتتفق اللغتان ووزنها تفعين كتخشين وأما تعفيان من العاشرة فعلى لغة الياء لا اشكال وعلى الواو فيظهر من كلام النحويين انه لايجوز الابالواو انتهى وقد أورد هذه الحكاية عالم الدنيا سيدى أبو عبد الله محمد بن مرزوق رحمه الله تعالى فى شرحه الواسع العجيب المسمى بتمهيد المسالك الى شرح ألفية ابن مالك ونص محل الحاجة منه وقد حكى أن بعض طلبة سبتة أورد على ابى عبد الله بن خميس عشر مسائل من هذا النوع وهى أنتم يازيدون تغزون وأنتن ياهندات تغزون وانتم يازيدون وياهندات تغزون وأنتن ياهندات تخشين وأنت ياهند تخشين وانت ياهند ترمين وانتن ياهندات ترمين وأنتن ياهندات تعفون اوتعفين كيف تقول وأنت ياهند تعفون أوتعفين كيف تقول وانتما تعفوان اوتعفيان على لغة من قال عفوت كيف تقول وهل هذه الامثلة كلها مبنية أومعربة أومختلفة وهل وزنها واحد أو مختلف قالوا ولم يجب بشئ قلت فله له استسهل أمرها فاما المثال الاول فمعرب ووزنه تفعلون كتنظرون اذ أصله تغزوون فاستثقلت ضمة الواو التى هى لام فحذفت ثم حذفت الواو أيضا لالتقائها ساكنة مع واو الضمير وكانت أولى بالحذف لان واو الضمير فاعل ولغير ذلك

فمن رأى النيل رأى العين من كثب * فما أرى النيل الا فى البواقيل

قال ويحك ما البواقيل التى ترى النيل فيها قلت القلال والكيزان يسمونها بهذا الاسم قال وما مراد الشاعر فيما وصف قال لانه لايتمتع بالماء الا فى الآنية لخوف مباشرة الماء فى النيل من التمساح لانه يختطف الناس وسائر الحيوان قال ان هذا النهر قد منع هذا النوع من الحيوان مصالح الناس منه ولقد كنت متشوقا الى النظر اليها فلقد زهدتنى بوصفك لها قال ابن دأب ثم سألنى الهادى عن مدينة دنقلة وهى دار مملكة النوبة كم المسافة بينها وبين اسوان قلت قد قيل أربعون يوما على شاطئ النيل عمائر متصلة قال ابن دأب ثم قال الهادى ايها يا ابن دأب دع عنك ذكر المغرب وأخباره وهلم بنا الى ذكر فضائل البصرة والكوفة وما زادت به كل واحدة منهما على الاخرى قال قلت ذكر عن عبد الملك بن عمير أنه قال قدم علينا الاحنف بن قيس الكوفة مع مصعب ابن الزبير فما رأيت شيئا قبيحا الا و رأيت فى وجه الاحنف منه شبها كان صعل الرأس أجحى العين أغصف الاذن باخق العين نائئ الوجه مائل الشدق متراكب الاسنان خفيف العارضين أحنف

مما تقدم بعضه وأما الثاني فبني ووزنه تفعلن كتفرحن وأما الثالث فكالاول اعرابا ووزنا لان فيه تغليب المذكر على المؤنث وأما الرابع فبني ووزنه تفعلن مثل تفرحن لانه لما احتيج الى تسكين آخر الفعل لاسناده الى نون جماعة النسوة ردت الياء الى أصلها لانها انما قلبت ألفا لتحركها وانفتاح ماقبلها والآن ذهبت حركتها لاستحقاقها السكون واما الخامس فعرب ووزنه تفعلين كتفرحين وأصله تخشيين فقلبت الياء الفا لتحركها وانفتاح ماقبلها ثم حذفت لالتقائها ساكنة مع ياء الضمير وترك فتحة الشين دالة على الالف واما السادس فعرب ووزنه تفعلين كتضربين وأصله ترميين حذفت كسرة الياء لاستثقالها ثم حذفت الياء لاجتماعها ساكنة مع ياء الضمير وأما السابع فبني ووزنه تفعلن كتضربن وأما الثامن والتاسع فضارع محى وردبالاوزان الثلاثة فن قال يمحو قال في المضارع من جماعة النسوة يمحون مثله من غزا بناء ووزنا ومن قال يمحى قال فيه يمحين كترمين بناء ووزنا ومن قال يمحى قال فيه يمحين كتخشين بناء ووزنا ويقال في المضارع للواحدة على اللغة الاولى تمحين كتدعين اعرابا ووزنا وتصريفا وقد تقدم في كلام المصنف وعلى الثانية كما يقال لها من رمى اعرابا ووزنا وتصريفا وعلى الثالثة كما يقال لها من تخشى أيضا وقد تقدما وليس ماوقع في السؤال كما نقل من خط بعض الشارحين انه يقال فيها تمحون كتفرحن بشئ وأمر التثنية ظاهر انتهى بحروفه وماقاله رحمه الله تعالى في الاعتذار عن ابن خميس هو اللائق بمقامه فان مكان ابن خميس من العلوم غير منكر وقد مدحه ابن خطاب بقوله

رقت حواشي طبعك ابن خميس ✽ فهفا قريضك لي وهاج رسيسي
ولمثله يصبو الحليم ويمترى ✽ ماء الشؤون به وسير العيس
لك في البلاغة والبلاغة بعض ما ✽ تحويه من أثر جليل رسيس
نظم ونثر لاتبارى فيهما ✽ عززت ذاك وذا بعلم الطوسي

يعني أبا حامد الغزالي وقال لسان الدين بن الخطيب في عائد الصلة في حق أبي عبد الله محمد ابن خميس التلمساني المذكور ما صورته كان رحمه الله تعالى نسيج وحده زهدا وانقباضا وأدبا وهمة حسن الشيبة جميل الهيئة سليم الصدر قليل التصنع بعيدا عن الرياء عاملا على السياحة والعزلة عارفا بالمعارف القديمة مضطلعا بتفاريق النحل قائما على العربية والاصلين طبقة الوقت في الشعر وفحل الاوان في المطول أقدر الناس على اجتلاب الغريب ثم ذكر من أحواله جملة الى أن قال وبلغ الوزير أبا عبد الله بن الحكيم انه يروم السفر فشق ذلك عليه وكلفه تحريك الحديث بحضرته وجرى ذلك فقال الشيخ انا كالدم اتحرك في كل ربيع انتهى وقال ابن خاتمة في مزية المرية على غيرها من البلاد الاندلسية انه نظم في الوزير ابن الحكيم القصائد التي حليت بها لبات الآفاق وتنفست عنها صدور الرفاق وكان من فحول الشعراء وأعلام البلغاء يرتكب مستصعبات القوافي ويطير في القريض مطار ذي القوادم الباسقة والخوافي حافظا لاشعار العرب وأخبارها وله مشاركة في العقليات واستشراف على الطلب وقعد لاقراء العربية بحضرة غرناطة ومال بآخرة الى التصوف والتجوال والتحلي بحسن السمت وعدم الاسترسال بعد طي بساط ما فرط له في بلده من

الرجل ولكنه كان اذا الكوفة أغذى وأمرأ وأفسح وأطيب فقال له رجل والله ما أشبه الكوفة الا بشابة صبيحة الوجه كريمة الحسب ولا مال لها فاذا ذكرت حاجتها فكف عنها طالبها وما أشبه البصرة الا بعجوز ذات عوارض موسرة فاذا ذكرت ذكرت يسارها وذكرت عوارضها فكف عنها طالبها فقال الاحنف أما البصرة فان أسفلها قصب وأوسطها خشب وأعلاها رطب نحن أكثر ساجا وعاجا وديباجا ونحن أكثر قندا ونقدا والله ما آتي البصرة الا طائعا ولا أخرج منها الا كارها قال فقام اليه شاب من بكر بن وائل فقال يا أبا بحر بم بلغت في الناس ما بلغت فوالله ما أنت بأجملهم ولا بأشرفهم ولا بأشجعهم قال يا ابن أخي بخلاف ما أنت فيه قال وماذاك قال بتركي ما لا يعنيني كما عناك من أمري ما لا ينبغي أن يعنيك (قال المسعودي) ولابن دأب مع الهادي أخبار حسان يطول ذكرها ويتسع علينا شرحها ولا يتأتى لنا ايراد ذلك في هذا الكتاب لاشتراطنا فيه على أنفسنا الاختصار والايجاز بحذف الاسانيد وترك اعادة الالفاظ ولاهل البصرة وأهل الكوفة

الاحوال وكان صنع اليدين حدثني بعض من لقيت من الشيوخ انه صنع قدحا من الشمع
على أبدع ما يكون في شكله ولطافة جوهره واتقان صنعته وكتب بدائر شفته

وما كنت الا زهرة في حديقة * تبسم عن ضاحكات الكمائم
فقبلت من طور لطور فها أنا * أقبل أفواه الملوك الاعاظم

وأهداه خدمة للوزير أبي عبد الله بن الحكيم وأنشدنا شيخنا القاضي أبو البركات بن الحاج
وحكى لنا قال أنشدني أبو عبد الله بن خميس وحكى لي قال لما وقفت على الجزء الذي ألفه
ابن سبعين وسماه بالفقيرية كتبت على ظهره

الفقر عندي لفظ دق معناه * من رامه من ذوي الغايات عناه
كم من غبي بعيد عن تصوره * أراد كشف معماه فعماه

وأنشدنا شيخنا الاستاذ أبو عثمان بن ليون غير مرة قال سمعت أبا عبد الله بن خميس ينشد
وكان يحسب أنهما له ويقال انهما لابن الرومي

رب قوم في منازلهم * غرر صاروا بها غررا
ستر الاحسان ما بهم * ستري لو زال ما سترا

ثم قال ابن خاتمة وقد جمع شعره ودوّنه صاحبنا القاضي أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الحضرمي
في جزء سماه الدر النفيس في شعر ابن خميس وعرّف به صدره وقدم ابن خميس المرية
سنة ست وسبعمائة فنزل بها في كنف القائد أبي الحسن بن كماشة من خدام الوزير ابن الحكيم
فوسعه في الايثار والمبرة وبسط له وجه الكرامة طلق الاسرة وبها قال في مدح الوزير
المذكور قصيدته التي أولها

العشى تعيا والنوابغ * عن شكر أنعمك السوابغ

ووجهها اليه وهي طويلة ومنها

ورسائغ ابن كماشة * مع كل نازغة ونازغ
تأتي بما تهوى النغا * نغ من شهيات اللغالغ

ومنها

ما ذاق طعم بلاغة * من ليس للعوشي ماضغ

ويقال ان الوزير اقترح عليه أن ينظم قصيدة هائية فابتدأ منها مطلعها وهو قوله

لمن المنازل لا يجيب صداها * محيت معالمها وصم صداها

وذلك آخر شهر رمضان من سنة ثمان وسبعمائة ثم لم يزد على ذلك الى أن توفي رحمه الله تعالى
فكان آخر ما صدر عنه من الشعر وقد أشار معناه الى معناه وآذن أولاه بحضور أخراه
وكانت وفاته بحضرة غرناطة قتيلا ضحوة يوم الفطر مستهل شوال سنة ثمان وسبعمائة وهو
ابن نيف وستين سنة وذلك يوم مقتل مخدومه الوزير ابن الحكيم أصابه قاتله بحقده على
مخدومه وكان آخر ما سمع منه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله واستفاض من حال القاتل
أنه هلك قبل أن يكمل سنة من حين قتله من فالج شديد أصابه فكان يصيح ويستغيث ابن
خميس يطلبني ابن خميس يضربني ابن خميس يقتلني وما زال الامر يشتد به حتى قضى نحبه
على تلك الحال نعوذ بالله من الورطات ومواقعات العثرات انتهى ملخصا (وحكى) غيره

ومن شرب من دجلة مناظرات كثيرة في مياههم ومنافعها ومضارها منها ما عاب به
أهل الكوفة أهل البصرة
فقالوا ماؤكم كدر زهك
ذفر فقال لهم أهل البصرة
من أين يأتي ماءنا الكدر
وماء البحر صاف وماء البطيحة
طاف وهما يمتزجان وسط
بلادنا فقال الكوفيون من
طباع الماء العذب الصافي
اذا خالط ماء البحر صارا
جميعا الى الكدورة وقد يروق
الانسان ماء اربعين ليلة
فان جعل منه شيئا في
قارورة أو بدو تكدر وقد
افتخر أهل الكوفة
بمائهم الذي هو الفرات
على ماء دجلة وهو ماء
البصرة فقالوا ماؤنا أعذب
المياه وأغذاها وهو أصح
للاجسام من ماء دجلة
والفرات خير من النيل فاما
دجلة فان ماءها يقطع شهوة
الرجال ويذهب بصهيل
الخيل ولا يذهب بصهيلها
الا مع ذهاب نشاطها
ونقصان قواها وان لم يتدسم
النازلون عليها أصابهم
قحول في عظامهم ويبس في
جلودهم وسائر من نزل
من العرب على دجلة
لا يكادون يسقون خيولهم
منها ويسقونها من الآبار
والركايا لاختلاف مياهها
واختلاف أنواعها ليست
بماء واحد لصب الانهار
كالزابين وغيرهما وسيل
المشروب غير المأكول لان اختلاف المأكل غير ضار واختلاف الاشربة كالخمر والنبيذ وغيره من

أن بعضهم كتب بعد قوله لمن المنازل لا يجيب صداها مانصه لابن الحكيم ومن بديع نظم ابن خميس قوله

تراجع من دنياك ما أنت تارك * وتسألها العتبى وها هى فارك
تؤمل بعد الترك رجع ودادها * وشر وداد ما تود الترائك
حلالك منها ما حلالك فى الصبا * فأنت على حلوائه متهالك
تظاهر بالسلوان عنها تجملا * فقلبك محزون وثغرك ضاحك
تنزهت عنها نخوة لا زهادة * وشعر عذارى أسود اللون حالك

وهى طويلة طنانة وفى آخرها يقول

فلا تدعون غيرى لدفع ملمة * اذا ما دهى من حادث الدهر داعك
فما ان لذاك الصوت غيرى سامع * وما ان لبيت المجد بعدى سامك
يغص ويشجى نهشل ومجاشع * بما أو رثتنى حمير والسكاسك
تفارقنى الروح التى لست غيرها * وطيب ثنائى لاصق بى صائك
وماذا عسى ترجو لداتى وأرتجى * وقد شمطت منى اللحى والافائك
يعود لنا شرخ الشباب الذى مضى * اذا عاد للدنيا عقيل ومالك

ومما اشتهر من نظمه قوله

أرق عينى بارق من أثال * كأنه فى جنح ليلى ذبال
أثار شوقا فى ضمير الحشا * وعبرتى فى صحن خدى أسال
حكى فؤادى قلقا واشتعال * وجفن عينى أرقا وانهمال
جوانح تلفح نيرانها * وأدمع تهمل مثل العزال
قولوا وشاة الحب ما شئتم * ما لذة الحب سوى أن يقال
عذرا للوامى ولا عذر لى * فزلة العالم ما ان تقال
قم نطرد الهم بمشمولة * تقصر الليل اذا الليل طال
وعاطها صفراء ذمية * تمنعها الذمة من أن تنال
كالمسك ريحا واللمى مطعما * والتبر لونا والهوا فى اعتدال
عتقها فى الدن خمارها * والبكر لا تعرف غير الحجال
لا تثقب المصباح لا واسقنى * على سنى البرق وضوء الهلال
فالعيش نوم والردى يقظة * والمرء ما بينهما كالخيال
خذها على تنغيم مسطارها * بين خوابيها وبين الدوال
فى روضة با كورسميها * انهل دارين وأنسى اوال
كأن فأر المسك مفتوتة * فيها اذا هبت صبا أو شمال
من كف ساجى الطرف الحاظه * مفوقات أبدا للنضال
من عاذرى والكل لى عاذر * من حسن الوجه قبيح الفعال
من خلبى الوعد كذابه * ليان لا يعرف غير المطال

وهو يختلط بماء البحر ومن الماء المستنقع فى أصول القصب والبردى وقد قال الله هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج والفرات أعذب المياه عذوبة وانما اشتق الفرات لكل ماء عذب من ماء الكوفة وقد طعن أيضا أهل الكوفة على أهل البصرة فقالوا البصرة أسرع الأرض خرابا وأخبثها ترابا وأبعدها من السماء وأسرعها غرقا وقد أجاب أهل البصرة أهل الكوفة عما سألوا عنه وعابوهم به وكذلك من شرب من دجلة وعابوا أهل الكوفة وذكروا عيوبها وما يؤثر عن سكانها من الشح على المأكول والمشروب والغدر وقلة الوفاء وقد أتينا على وصف ذلك فى كتابنا أخبار الزمان وكذلك أتينا على خواص الارض والمياه وفصول السنة وانقسام الاقاليم وما لحق بهذه المعانى فيما سلف من كتبنا على الشرح والايضاح وذكرنا فى هذا الكتاب من جميع ذلك لمعا فلنرجع الآن الى أخبار الهادى ونذل على هذا السانح وقد كان الهادى أراد أن يخلع أخاه الرشيد من ولاية العهد ويجعلها لابنه جعفر بن موسى وحبس يحيى بن خالد كاتبه

كانه الدهر وأي امرئ * يبقى على الدهر اذا الدهر حال
أما تراني آخذا ناقضا * عليه ماسوّفني من محال
ولم أكن قطاه عائبا * كمثل ما عابته قبلي رجال
يأبى ثراء المال عامي وهل * يجتمع الضدان علم ومال
وتأنف الارض مقامي بها * حتى تهاداني ظهور الرجال
لولا بنو زيان ما الذلى العيش ولا هانت على الليال
هم خوّفوا الدهر وهم خففوا * على بني الدنيا خطاه الثقال
لقيت من عامرهم سيدا * غمر رداء الحمد جم النوال
وكعبة للعسود منصوبة * يسعى اليها الناس من كل بال
خذها أبا زيان من شاعر * مستملح النزعة عذب المقال
يلتقط الالفاظ لقط النوى * وينظم الآلاء نظم اللآل
مجار يا مهيار في قوله * ما كنت لولا طمعي في الخيال

وقصيدة مهيار مطلعها

ما كنت لولا طمعي في الخيال * أنشد ليلى بين طول الليال

ومن نظم ابن خميس قوله

نظرت اليك بمثل عيني جؤذر * وتبسمت عن مثل سمطي جوهر
عن ناصع كالدر أو كالبرق أو * كالطلع أو كالاقحوان مؤشر
تجرى عليه من لماها نطفة * بل خمرة لكنها لم تعصر
لولم يكن خمرا سلافا ريقها * تزرى وتلعب بالنهى لم تخطر
وكذاك ساجي جفنها لولم يكن * فيه مهند لحظها لم يحذر
لو عجت طرفك في حديقة خدها * وأمنت سطوة صدغها المتنمر
لرتعت من ذاك الحمى في جنة * وكرعت من ذاك اللمى في كوثر
طرقتك وهنا والنجوم كانها * حصباء در في بساط أخضر
والركب بين مصعد ومصوب * والنوم بين مسكن ومنفر
بيضا اذا اعتكرت ذوائب شعرها * سفرت فازرت بالصباح المسفر
سرحت غلائلها فقلت سبيكة * من فضة أو دمية من مرمر
منعتك مامنعتك يقظانا فلم * تخلف مواعدها ولم تتغير
وكأنما خافت بغاة وشاتها * فأتتك من اردافها في عسكر
وبجزع ذاك المنحنى ادمانة * تعطو فتسطو بالهزبر القسور
وتحية جاءتك في طي الصبا * أذكى وأعطر من شميم العنبر
جرت على واديك فضل ردائها * فعرفت فيها عرف ذاك الاذخر
هاجت بلابل نازح عن الفه * متشوق ذاكي الحشى متسعر
واذا نسيت ليالي العهد التي * سلفت لنا فتذكريها تذكرى

ان يعيذنا منه وان لا يبلغناه وينسأ في أجل أمير المؤمنين ايظن أن الناس يسلمون لجعفر ابن أمير المؤمنين الامر ولم يبلغ الحنث ويرضون به لصلاتهم وحجهم وغزوهم قال ما أظن ذلك قال فتأمن ان يسموا اليها جلة أهل بيتك فتخرج من ولد أبيك الى غيرهم فتكون قد حملت الناس على النكث وهونت عليهم أيمانهم ولو تركت بيعة أخيك على حالها وبويع لجعفر بعده كان آكد فاذا بلغ مبلغ الرجال سألت أخاك أن ان يقدمه على نفسه قال نبهتني والله على امر لم أكن انتبهت له ثم عزم بعد ذلك على خلعه رضي أم كره وامر بالتضييق عليه في الاكثر من اموره فاشار عليه يحيى ان يستأذنه في الخروج الى الصيد وان يطيل التشاغل بذلك فان مدة موسى قصيرة على ما أوجبته قضية المولد واستأذنه الرشيد فاذن له فسار الى شاطئ الفرات من بلاد الانبار وهيت وتوسط البر مما يلي السماوة وكتب الهادي اليه يامره بالقدوم فاكثر الرشيد التعلل وبسط الهادي لسانه في شتمه

وسنح للهادي الخروج نحو بلاد الحديثة فرض هناك وانصرف وقد ثقل في العلة فلم يجسر أحد من

رحنا تغنينا ونرشف ثغرها * والشمس تنظر مثل عين الاخزر
والروض بين مفضض ومعسجد * والجو بين ممسك ومعصفر

وكان السلطان أمير المؤمنين أبو عنان المريني رحمه الله تعالى كثير العناية بنظام ابن خميس وروايته قال رحمه الله تعالى أنشدنا القاضي خطيب حضرتنا العلية أبو عبد الله محمد بن عبد الرزاق بقصر المصارة عمره الله قال أنشدنا بلفظه شيخ الادباء فحل الشعراء أبو عبد الله ابن خميس لنفسه

أبيت ولكن بعد طول عتاب * وفرط لجاج ضاع فيه شبابي
ومازلت والعلياء تعني غريمها * اعلل نفسي دائما بمتاب
وهيهات من بعد الشباب وشرخه * يلذ طعامي أو يسوغ شرابي
خدعت بهذا العيش قبل بلائه * كما يخدع الصادي بلمع سراب
تقول هو الشهد المشور جهالة * وماهو الا السم شيب بصاب
وماصحب الدنيا كبكر وتغلب * ولا ككليب ربي فحل ضراب
اذا كعت الابطال عنها تقدموا * اعاريب غرا في متون عراب
وان ناب خطب أو تفاقم معضل * تلقاه منهم كل أصيد ناب
تراءت لجساس مخيلة فرصة * تأتت له في جيأة وذهاب
فجاء بها شوهاء تنذر قومها * بتشييد أرجام وهدم قباب
وكان رغاء السقب في قوم صالح * حديثا فأنساه رغاء سراب
فما تسمع الآذان في عرصاتهم * سوى نوح ثكلى أو نعيب غراب
وسل عروة الرحال عن صدق بأسه * وعن بيته في جعفر بن كلاب
وكانت على الاملاك منه وفادة * اذا آب منها آب خير مآب
يجير على الحيين قيس وخندف * بفضل يسار أو بفصل خطاب
زعامة مرجو النوال مؤمل * وعزمة مسموع الدعاء مجاب
فمر يزجيها حواسر ظلعها * بما حملوها من منى ورغاب
الى فدك والموت أقرب غاية * وهذا المنى يأتي بكل عجاب
تبرض صفو العيش حتى استشفه * فداف له البراض قشف حباب
فاصبح في تلك المعاطف نهزة * لنهب ضباع أو لنهش ذئاب
وماسهمه عند النضال بأهزع * ولا سيفه عند المصاع بناب
ولكنها الدنيا تكر على الفتى * وان كان منها في أعز نصاب
وعادتها أن لا توسط عندها * فاما سماء أو تخوم تراب
فلا ترج من دنياك ودا وان يكن * فما هو الا مثل ظل سحاب
وما الحزم كل الحزم الا اجتنابها * فأشقى الورى من تصطفي وتحابي
أبيت لها مادام شخصي ان ترى * تمر ببابي أو تطور جنابي
فكم عطلت من أربع وملاعب * وكم فرقت من أسرة وصحاب

لها أنا هالك في هذه الليلة وفيها إلى أخي هرون وأنت تعلمين ما قضي فيه أصل مولدي بالري وقد كنت أمرتك باشياء ونهيتك عن أخرى مما أوجبته سياسة الملك لا موجبات الشرع من برك ولم أكن بك عاقا بل كنت لك صائنا وبرا واصلا ثم قضى قابضا على يدها واضعا لها على صدره وكان مولده بالري وكذلك مولد الرشيد فكانت تلك الليلة فيها وفاة الهادي وولاية الرشيد ومولد المامون ويقال ان الهادي أوقف بين يديه رجلا من أولياء الدولة ذا أجرام كثيرة فجعل الهادي يذكره ذنوبه فقال له الرجل يا أمير المؤمنين اعتذاري مما تقرعني به رد عليك واقراري بما ذكرت يوجب ذنبا ولكني أقول

فان كنت ترجو في العقوبة راحة
فلا تزهدن عند المعافاة في الاجر

فاطلقه ووصله (وحدث) عدة من الاخباريين من ذوي المعرفة باخبار الدولة ان موسى قال لهرون أخيه كأني بك تحدث نفسك بتمام الرؤيا وتؤمل ما أنت عنه بعيد ومن دون ذلك خرط القتاد فقال له هرون يا أمير المؤمنين من تكبر

وكم

و كم عفرت من حاسر ومدجج * و كم اشكلت من معصرو كعاب
اليكم بنى الدنيا نصيحة مشفق * عليكم بصير بالامور تقاب
طويل مراس الدهر جذل مماحك * عريض مجال الهم حلس ركاب
تأتت له الاهوال أدهم سابقا * وغصت به الايام أشهب كابى
ولاتحسبوا أنى على الدهر عاتب * فاعظم مابى منه ايسر مابى
وما اسفى الاشباب خلعته * وشيب أبى الا نصول خضاب
وعمر مضى لم احل منه بطائل * سوى ماخلا من لوعة وتصابى
ليالى شيطانى على الغى قادر * وأعذب ماعندى أليم عذاب
عكسنا قضايانا على حكم عادنا * وماعكسها عند النهى بصواب
على المصطفى المختار أزكى تحية * فتلك التى أعتد يوم حساب
فتلك عتادى اوثناء اصوغه * كدر سحاب اوكدر سخاب

ومن مشهور نظم ابن خميس قوله

عجبا لها أيذوق طعم وصالها * من ليس يامل ان يمر ببالها
وأنا الفقير الى تعلة ساعة * منها وتمنعنى زكاة جمالها
كم ذاوعن عينى الكرى متانف * يبدو ويخفى فى خفى مطالها
يسمو لها بدر الدجى متضائلا * كتضاؤل الحسناء فى أسمالها
وابن السبيل يجىء يقبس نارها * ليلا فتمنحه عقيلة مالها
يعتادنى فى النوم طيف خيالها * فتصيبنى ألحاظها بنبالها
كم ليلة جادت به فكانما * زفت على ذكاء وقت زوالها
اسرى فعطلها وعطل شهبها * بأبى شذا المعطار من معطالها
وسواد طرته كجنح ظلامها * وبياض غرته كضوء هلالها
دعنى أشم بالوهم أدنى لمعة * من ثغرها وأشم مسكة خالها
ماراد طرفى فى حديقة خدها * الا لفتنته بحسن دلالها
أنسيب شعرى رق مثل نسيمها * فشمول راحك مثل ريح شمالها
وانقل أحاديث الهوى واشرح غريب لغاتها واذكر ثقات رجالها
واذا امررت برامة فتوق من * أطلائها وتمش فى أطلالها
وانصب لمغزلها حبالة قانص * ودع الكرى شركا لصيد غزالها
وأسل جداولها بفيض دموعها * وانضح جوانحها بفضل سجالها
أنا من بقية معشر عركتهم * هذى النوى عرك الرحى بثفالها
أكرم بها فئة أريق نجيعها * بغيا فراق العين حسن مآلها
حلت مدامة وصلها وحلت لهم * فان انتشوا فحلوها وحلالها
بلغت بهرمس غاية مانالها * أحدوناء لها لبعد منالها
وعدت على سقراط سورة كاسها * فهريق مافى الدن من جريالها

وضع ومن تواضع رفع ومن ظلم خذل وان أوصل الامر الى وصلت من قطعت وبررت من حرمت وصيرت أولادك أعلى من أولادى وزوجتهم بناتى وقضيت بذلك حق الامام المهدى فانجلى عن موسى الغضب وبان السرور فى وجهه وقال ذلك الظن بك يا أباجعفر ادن منى فقام هرون فقبل يده ثم ذهب ليعود الى مجلسه فقال موسى والشيخ الجليل والملك النبيل لاجلست الامعى فى صدر المجلس ثم قال ياخزانى احمل اليه الساعة ألف ألف دينار فاذا فتح الخراج فاحمل اليه نصفه فلما أراد هرون الانصراف قدمت دابته الى البساط قال عمرو الرومى فسألت الرشيد عن الرؤيا فقال قال المهدى رأيت فى منامى كأنى دفعت الى موسى قضيبا والى هرون قضيبا فأما قضيب موسى فأورق أعلاه قليلا وأما قضيب هرون فاورق من أوله الى آخره فقص الرؤيا على الحكيم ابن اسحق الصيمرى وكان يعبرها فقال له يملكان جميعا فاما موسى فتقل أيامه وأما هرون فيبلغ آخر ماعاش خليفة وتكون أيامه أحسن الايام ودهره أحسن الدهور قال عمرو الرومى فلما أفضت الخلافة الى هرون زوج حمدونة ابنته من جعفر بن موسى وفاطمة من اسمعيل ووفى له ماوعده (وحدث)

وسرت الى فاراب منها نفحة * قدسية جاءت بخبئة آلها
ليصوغ من ألحانه في حانها * ما سوّغ القسيس من أرمالها
وتغلغلت في سهرورد فأسهرت * عينا يؤرقها طروق خيالها
خفيا شهاب الدين لما أشرقت * وخوى فلم يثبت لنور جلالها
ماجن مثل جنونه أحد ولا * سمحت يد بيضاء بمثل نوالها
وبدت على الشوذي منها نشوة * مالاح منها غير لمعة آلها
بطلت حقيقته وحالت حاله * فيما يعبر عن حقيقة حالها
هذي صبابتهم ترق صبابة * فيروق شاربها صفاء زلالها

وهي طويلة قال السلطان أبو عنان رحمه الله تعالى أخبرني شيخنا الامام العالم العلامة وحيد زمانه أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الابلي رحمه الله تعالى قال لما توجه الشيخ الصالح الشهير أبو اسحق التنيسي من تلمسان الى بلاد المشرق اجتمع هنالك بقاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد فكان من قوله له كيف حال الشيخ العالم أبي عبد الله بن خميس وجعل يحليه بأحسن الاوصاف ويطنب في ذكر فضله فبقي الشيخ أبو اسحق متعجبا وقال من يكون هذا الذي حليتموه بهذا الحلي ولا أعرفه ببلده فقال له هو القائل

عجبا لها أيذوق طعم وصالها * قال فقلت له ان هذا الرجل ليس عندنا بهذه الحالة التي وصفتم انما هو عندنا شاعر فقط فقال له انكم لم تنصفوه وانه لحقيق بما وصفناه به قال السلطان وأخبرنا شيخنا الابلي المذكور أن قاضي القضاة ابن دقيق العيد كان قد جعل القصيدة المذكورة بخزانة كانت له تعلو موضع جلوسه للمطالعة وكان يخرجها من تلك الخزانة ويكثر تأملها والنظر فيها ولقد تعرفت انه لما وصلت هذه القصيدة الى قاضي القضاة تقي الدين المذكور لم يقرأها حتى قام اجلالا لها انتهى وكان ابن خميس رحمه الله تعالى بعد مفارقة بلده تلمسان سقى الله أرجاءها أنواء نيسان كثيرا ما يتشوق لمشاهدها ويتأوه عند تذكره لمعاهدها وينشد القصائد الطنانة في ذلك سالكا من الحنين اليها المسالك فمن ذلك قوله

تلمسان لو أن الزمان بها يسخو * منى النفس لا دار السلام ولا الكرخ
وداري بها الاولى التي حيل دونها * مثار الاسى لو أمكن الحنق اللبخ
وعهدي بها والعمر في عنفوانه * وماء شبابي لا أجين ولا مطخ
قرارة تهيام ومغنى صبابة * ومعهد أنس لا يلذ به لطخ
اذا الدهر مني العنان منهنه * ولا ردع يثني من عناني ولا ردخ
ليالي لا أصغي الى عذل عاذل * كأن وقوع العذل في أذني صمخ
معاهد انس عطلت فكأنها * ظواهر ألفاظ تعمدها النسخ
وأربع ألاف عفا بعض آيها * كما كان يعرو بعض ألواحنا اللطخ
فان يك سكرانا من الوجد مرة * فاني منه طول دهري ملتخ
ومن يقتدح زند المودة جذوة * فزند اشتياقي لا عفار ولا مرخ
أأنسى وقوفي لاهيا في عراصها * ولا شاغل الا التودع والسبخ

فدعا به موسى بعدما ولي الخلافة فوضعه بين يديه ودعا بمكتل وقال لحاجبه ائذن للشعراء فلما دخلوا أمرهم أن يقولوا في السيف فبدأهم ابن يامين البصري فقال

حاز صمصامة الزبيدي عمرو * من جميع الانام موسى الامين
سيف عمرو وكان فيما سمعنا * خير ما أغمدت عليه الجفون
أوقدت فوقه الصواعق نارا * ثم شابت فيه الذعاف المنون
واذا ما شهرته بهر الشمس ضياء فلم تكد تستبين
وكأن الفرند والجوهر الجاري في صفحتيه ماء معين
ما يبالي اذا الضريبة خانت * أشمال نيطت به أم يمين

وهي أبيات كثيرة فقال له الهادي لك السيف والمكتل فخذهما ففرق المكتل على الشعراء وقال دخلتم معي وحرمتم من أجلي وفي السيف عوض ثم بعث اليه الهادي فاشترى منه السيف بخمسين ألفا وللهادي أخبار حسان وان كانت أيامه قصرت وقد أتينا على ذكرها في كتابينا أخبار الزمان والاوسط وبالله التأييد

* (ذكر خلافة هرون الرشيد) *

والا اختيالى ماشيا فى سماطها * رخيا كما يمشى بطرته الرخ
والا فعدوى مثل ما ينفر الطلا * وليدا وجلى مثل ما ينهض الفرخ
كانى فيها أردشير بن بابك * ولا ملك لى الا الشبيبة والشرخ
واخوان صدق من لداتى كأنهم * جاآذر رمل لا عجاف ولا برخ
وعاة لما يلقى اليهم من الهدى * وعن كل فحشاء ومنكرة صلخ
هم القوم كل القوم سيان فى العلا * شبابهم الفرغان والشيخة السلخ
مضوا ومضى ذاك الزمان وأنسه * ومر الصبا والمال والاهل والبذخ
كأن لم يكن يوما لا قلامهم بها * صرير ولم يسمع لا كعبهم جبخ
ولم يك فى أرواحها من ثنائهم * شميم ولا فى القضب من لينهم ماخ
ولا فى محيا الشمس من هديهم سنى * ولا فى جبين البدر من طيبهم ضمخ
سعيتم بنى عمور فى شت شملنا * فما تجركم ربح ولا عيشنا رخ
دعيتم الى ما يرتجى من صلاحكم * فردكم عنه التعجرف والجمخ
تعاليتمو عما فطمتم عليكم * عبابه فى رأس عليائكم جلخ
وأوغلتمو فى العجب حتى هلكتم * جماح غواة ماينهنهم فقخ
كفا كم بها سحقا لكم ولا وان يكن * هلاك لكم فيها فهى لكم فخ
فكم فئة مناظفرتم بنيلها * بابشارها من حين اطفالكم برخ
كانكمو من خلفها وأمامها * اسود غياض وهى ما بينكم أرخ
فللسوق منها القيدان هى أغربت * وللهام ان لم تعط ما رعت النقخ
كأن تحتها من شدة القلق القطا * ومن فوقها من شدة الحذر الفخ
وأقرب ما تهذى به الهلك والتوى * وأيسر ما تشكو به الذل والفنخ
فما ذا عسى نرجوه من لم شملها * وقد حز منها الفرع واقتلع الشامخ
وما يطمع الراجون من حفظ آيها * وقد عصفت فيها رياح هم النسخ
زعانف أنكاد لئام عنا كل * متى قبضوا كفا على اثره طخوا
ولما استقلوا من مهاوى ضلالهم * وأوموا الى اعلام رشدهم زخوا
دعاهم أبو يعقوب للشرف الذى * يذل له رضوى ويعنو له دمخ
فلم يستعيبوه فذاقوا وبالهم * وما لامرئ عن أمر خالقه نخ
ومازلت أدعو للعروج عليهم * وقد يسمع الصم الدعاء اذا اصخوا
وأبذل فى استئصالهم جهد طاقتى * وما الطنابيب ابن ساحة فقخ
تركت لمينا سنة كل نجعة * كما تركت للعنز أهضامها شمخ
وآليت أن لا أرتوى غير مائها * ولو حل لى فى غيره المن والمذخ
وأن لا احط الدهر الا بعقرها * ولو بوأتنى دارام تهابلخ
فكم نقعت من غلة تلكم الاضى * وكم برأت من علة تلكم اللابخ
وحسبى منها عدلها واعتدالها * وأبحرها العظمى وارياقها النفخ

بمدينة السلام وذلك لاثنتى عشرة ليلة بقيت من ربيع الاول سنة سبعين ومائة ومات بطوس بقرية يقال لها ساباذ يوم السبت لاربع ليال خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة فكانت ولايته ثلاثا وعشرين سنة وستة أشهر وقيل ثلاثا وعشرين سنة وشهرين وولى الخلافة وهو ابن احدى وعشرين سنة ومات وهو ابن أربع وأربعين سنة وأربعة أشهر

(ذكر جمل من أخباره وسيره)

ولما أفضت الخلافة الى الرشيد دعا بيحيى بن خالد فقال له يا أبت أنت أجلستنى فى هذا المجلس ببركتك ويمنك وحسن تدبيرك وقد قلدتك الامر ودفع خاتمه اليه ففى ذلك يقول الموصلى

ألم تر أن الشمس كانت سقيمة * فلما ولى هرون أشرق نورها
بيمن أمين الله هرون ذى الندى * فهرون واليها ويحيى وزيرها

وماتت ريطة بنت أبى العباس السفاح لشهور خلت من أيام الرشيد وقيل فى آخر أيام الهادى وماتت الخيزران أم الهادى والرشيد فى سنة ثلاث وسبعين ومائة ومشى الرشيد أمام جنازتها وكانت غلة الخيزران مائة ألف

وأملاكها الصيد المقاولة الالى * لعزهم تعنوا الطراخنة البلخ
كواكب هدى فى سماء رياسة * تضىء فما يدجو ضلال ولا يطغو
ثواقب أنوار ترى كل غامض * اذا الناس فى ظلماء غيهم التخوا
ور وضات آداب اذاما تارجت * تضاءل فى أفيائه أفنانها الرمخ
مجامر ندّ فى حدائق نرجس * تنم ولالفح يصيب ولا دخ
وأبحر علم لاحياض رواية * فيكبر منها النضح أو يعظم النضخ
بنوا الغرفيين الالى من صدورهم * وأيديهم ملا القراطيس والطرخ
اذاما فتى منهم تصدى لغاية * تأخر من يحدو وأقصر من يخدو
رياسة أخيار وملك أفاضل * كرام لهم فى كل صالحة رضخ
اذا ما بدا منا جفاء تعطفوا * علينا وان حلت بنا شدة رخوا
نزورهم حذا تحافا فننثنى * وآمالنا دلح وأيدانا دلخ
يربوننا بالعلم والحلم والنهى * فأخرجنا بر ولاحدنا برخ
وما الزهد فى املاك لحم ولا التقى * ببدع وللدنيا الزوق عن يرخو
والاوفى رب الخورنق غنية * فأوهمه سر ولا صيته رضخ
تطالع يوما والسرير أمامه * وقد نال منه العجب ماشاء والجفخ
وعن له من شيمة الحق قائم * بحجة صدق لاعبام ولا وشخ
فاصبح يجتاب المسوح زهادة * وقد كان يؤذى بطن أخمصه النخ
وفى واحد الدنيا أبى حاتم لنا * دواء ولكن مالأدوائنا نخ
تخلى عن الدنيا تخلى عارف * يرى انها فى ثوب نخوته لطخ
وأعرض عنها مستهينا لقدرها * فلم يثنه عنها اجتذاب ولا مصخ
فكان له من قلبها الحب والهوى * وكان لها من كفه الطرح والطخ
وما معرض عنها وهى فى طلابه * كمن فى يديه من معاناتها نبخ
ولامدرك ماشاء من شهواتها * كمن حظه منها التمجج والنجخ
ولكننا نعمى مراعن الهدى * ونصلج حتى مالآذاننا صمخ
وما لامرئ عما قضى الله مرحل * ولا لقضاء الله نقض ولا فسخ
أبا طالب لم تبق شيمة سودد * يسادبها الا وأنت لها سنخ
تسوغت أبناء الزمان اياديا * لدرتها فى كل سامعة شخ
وأجريتها فيهم عوائد سودد * فمالهم كسب سواها ولانخ
غذتهم غواديها فهى فى عروقهم * دماء وفى أعماق أعظمهم مخ
وعمتهم حزنا وسهلا فأصبحوا * ومرعاهم ورخ ومرعيهم وخ
بنى الغرفيين ابلغوا ما أردتم * فمادون ما تبغون وحل ولا زخ
ولا تقعدوا عمن أراد سجالكم * فما غر بكم جف ولا غرفكم وضخ
وخلوا وراء كل طالب غاية * وتيهوا على من رام شأوكم انخوا

فكان مبلغها نيفا وخمسين ألف ألف درهم سوى الضياع والدور والمستغلات وكان محمد بن سليمان يغل كل يوم مائة ألف درهم (وحكى) ان محمد بن سليمان ركب يوما بالبصرة وسوار القاضى يسايره فى جنازة ابنة عم له فاعترضه مجنون كان بالبصرة يعرف برأس النعجة فقال له يا محمد أمن العدل ان تكون غلتك فى كل يوم مائة ألف درهم وأنا أطلب نصف درهم فلا أقدر عليه ثم التفت الى سوار فقال ان كان هذا عدلا فانا أكفر به فاسرع اليه غلمان محمد فكفهم عنه وأمر له بمائة درهم فلما انصرف محمد وسوار معه اعترضه رأس النعجة فقال لقد كرم الله منصبك وشرف أبوتك وحسن وجهك وعظم قدرك وأرجو أن يكون ذلك لخير يريده الله بك ولا أن يجمع الله لك الدارين فدنا منه سوار فقال ياخبيث ما كان هذا قولك فى البداءة فقال له سالتك بحق الله وبحق الامير الا ما أخبرتنى فى أى سورة هذه الآية فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون قال فى براءة قال صدقت فبرئ الله ورسوله منك فضحك محمد بن سليمان

ولا

ولاتذروا الجوزاء تعلوعليكم * فنى رأسها من وطء أسلافكم شدخ
لأفواه اعدائى واعين حسدى * اذاجليت خائبتى الغض والفضخ
دعوها تهادى فى ملاءة حسنها * فنى نفسها من مدح أملاكها مدخ
يمانية زارت يمانين فانثنت * وقدجد فيها الزهو واستحكم الزمخ

وقد بسط فى الاحاطة ترجمة ابن خميس المذكور ومما أنشد له قوله

سل الريح ان لم تسعد السفن أنواء * فعند صباها من تلمسان أنباء
وفى خفقان البرق منها اشارة * اليك بما تنمى اليها وايماء
تمر الليالى ليلة بعد ليلة * وللاذن اصغاء وللعين اكلاء
وانى لاصبو للصبا كلما سرت * وللنجم مهما كان للنجم اصباء
وأهدى اليها كل يوم تحية * وفى رد اهداء التحية اهداء
وأستجلب النوم الغرار ومضجعى * قتاد كما شاءت نواها وسلاء
لعل خيالا من لدنها يمر بى * ففى مره بى من جوى الشوق ابراء
وكيف خلوص الطيف منها ودونها * عيون لها فى كل طالعة راء
وانى لمشتاق اليها ومنبئ * ببعض اشتياقى لو تمكن انباء
وكم قائل تفنى غراما بحبها * وقد أخلقت منها ملاء وأملاء
لعشرة أعوام عليها تجرمت * اذا ما مضى قيظ بها جاء اهراء
يطنب فيها عائثون وخرب * ويرحل عنها قاطنون وأحياء
كأن رماح الناهبين لملكها * قداح وأموال المنازل أبداء
فلا تبغين فيها مناخا لراكب * فقد قلصت منها ظلال وأفياء
ومن عجب أن طال سقمى ونزعها * وقسم اضناء علينا واطناء
وكم أرجفوا غيظا بها ثم أرجئوا * فيكذب ارجاف ويصدق ارجاء
يرددها عيا بها الدهر مثل ما * يردد حرف الفاء فى النطق فأفاء
فيا منزلا نال الردى منه ما اشتهى * ترى هل لعمر الانس بعدك انساء
وهل للظى الحرب التى فيك تلتظى * اذا ما انقضت أيام بؤسك اطفاء
وهل لى زمان أرتجى فيه عودة * اليك ووجه البشر أزهر وضاء

ومنها

أحن لها ما اطت النيب حولها * وما عاقها عن موردالماء اظماء
فما فاتها منى نزاع على النوى * ولا فاتنى منها على القرب اجشاء
كذلك جدى فى صحابى وأسرتى * ومن لى به فى أهل ودى ان فاؤا
ولولا جوار ابن الحكيم محمد * لما فات نفسى من بنى الدهر اقماء
حمانى فلم تنتب محلى نوائب * بسوء ولم ترز فؤادى أرزاء
واكفاء بيتى فى كفالة جاهه * فصاروا عبيدالى وهم لى أكفاء
يؤمون قصدى طاعة ومحبة * فما عقته عافوا وما شئته شاؤا

حتى كاد يسقط عن دابته ولما بنى محمد بن سليمان قصره بالبصرة على بعض الانهار دخل اليه عبد الصمد ابن شبيب بن شبة فقال له محمد كيف ترى بنائى قال بنيت أجل بناء باطيب فناء وأوسع فضاء وأرق هواء على أحسن ماء بين صرارى وحيتان وظباء فقال محمد بناء كلامك أحسن من بنائنا وقيل ان صاحب الكلام والبانى للقصر هو عيسى بن جعفر على ما حدث به محمد بن زكريا الغلابى عن الفضل ابن عبد الرحمن بن شبيب ابن شبة وفى هذا القصر يقول ابن أبى عتبة

زر وادى القصر نعم القصر والوادى
لابد من زورة من غير ميعاد
زره فليس له شبه يقاربه
من منزل حاضر ان شئت أو بادى
ترقى قراقيره والعيس واقفة
والضب والنون والملاح والحادى

وفى سنة خمس وسبعين ومائة مات الليث بن سعد المصرى الفهمى ويكنى أبا الحرث وهو ابن اثنتين وثمانين سنة وكان قد حج سنة ثلاث عشرة ومائة وسمع من نافع * وفى سنة خمس وسبعين ومائة مات شريك ابن عبد الله بن سنان النخعى القاضى وكان يكنى أبا عبد الله وهو ابن اثنتين وثمانين سنة وكان مولده ببخارى وليس بشريك بن عبد الله بن أبى انمر الليثى لان ابن

دعانى الى المجد الذى كنت آملا * فلم يك لى عن دعوة المجد ابطاء
و بوأنى من هضبة العز تلعة * يناجى السها منها صعود وطأطاء
يشيعنى منها اذا سرت حافظ * و يكلؤنى منها اذا غبت كلاء
ولا مثل نومى فى كفالة غيره * وللذئب المام وللصل الماء
بغيضة ليث أو بعر قب خالب * تبز كساء فيه وتقطع اكساء
اذا كان لى من نائب الملك كافل * ففى حيثما هومت كن وادفاء
واخوان صدق من صنائع جاهه * يبادرنى منهم قيام وايلاء
سراع لما يرجى من الخير عندهم * ومن كل ما يخشى من الشر ابراء
اليك أبا عبد الاله صنعتها * لزومية فيها لوجدى افشاء
مبرأة مما يعيب لزومها * اذا عاب اكفاء سواها وايطاء
أذعت بها السر الذى كان قبلها * عليه لاحناء الجوانح اضناء
وان لم يكن كل الذى كنت آملا * وأعوزا كلاء فما عاز اكلاء
ومن يتكاف مقعما شكر منة * فمالى الى ذاك التكلف الجاء
اذا منشد لم يكن عندك ومنشئ * فلا كان انشاد ولا كان انشاء

(رجع الى ترجمة ابن الفخار وفوائده) قال الشاطبى حدثنا الاستاذ الكبير أبو عبد الله بن الفخار قال جلس بعض الطلبة الى بعض الشيوخ المقرئين فأتى المقرئ بمسئلة الزوائد الاربع فى أول الفعل المضارع وقال يجمعها قولك نأيت فقال له ذلك الطالب لو جمعتها بقولك أنيت لكان أملح ليكون كل حرف تضعيف ما قبله فالهمزة لواحد وهو المتكلم والنون لاثنين وهما الواحد ومعه غيره والواحد المعظم نفسه والياء لاربعة للواحد الغائب وللغائبين وللغائبين وللغائبات والتاء لثمانية للمخاطب وللمخاطبين وللمخاطبين والمخاطبة والمخاطبتين والمخاطبات وللغائبة وللغائبتين فاستحسن الشيخ ذلك منه (وحكى) الشاطبى أيضا أن شيخه ابن الفخار أورد عليهم سؤالا وهو كيف يجمع بين مسئلة رجل أوقع الصلاة بثوب حرير اختيارا و بين قوله *جرى الدميان بالخبر اليقين* فلم يتقدح لنا شئ فقال الجواب ان الاول ممنوع عند الفقهاء شرعا ورد اللام فى دم فى التثنية ممنوع عند النحاة قياسا وكلاهما فى حكم المعدوم حسا واذا كان كذلك كان الاول بمنزلة من صلى بادى العورة اختيارا فتلزمه الاعادة وكان الثانى بمنزلة ما باشر فيه عين دم على التثنية تلزمه الفتحة وان كان أصلها السكون قال وهذه المسئلة تشبه مسئلة ابن جنى فى الخصائص قال ألقيت يوما على بعض من كان يعتادنى مسئلة فقلت له كيف تجمع بين قوله

لدن بهز الكف يعسل متنه * فيه كما عسل الطريق الثعلب

و بين قوله اختصم زيد وعمرو فلم يتقدح له فيها شئ وعاد مستفهما فقال له اجتماعهما أن الواو اقتصر به على بعض ما وضع له من الصلاحية اللازمة مطلقا والطريق اقتصر به على بعض ما كان يصلح له (قال الشاطبى) وحدثنى أيضا قال كان لقاضى القضاة علما وجزالة أبى جعفر ولد يقرأ على عبالقة وكان ابنا نبيها فهما ونبلا فسأل منى يوما مسئلة يذكرها لاقرانه وكان

اغرمات فى سنة أربعين وثلاثون سنة وكان شريك ابن عبد الله النخعى تولى القضاء بالكوفة أيام المهدى ثم عزله موسى الهادى وكان شريك مع فهمه وعلمه ذكيا فطنا وكان جرى بينه وبين مصعب ابن عبد الله كلام بحضرة المهدى فقال له مصعب أنت تنتقص أبا بكر وعمر فقال والله ما أنتقص جدك وهو دونهما وذكر معاوية عند شريك بالحلم فقال ليس بحليم من سفه الحق وقاتل على بن أبى طالب وشم من شريك رائحة النبيذ فقال له أصحاب الحديث لو كانت هذه الرائحة منا لاستحيينا فقال لانكم أهل الريبة *ومات فى أيام الرشيد أبو عبد الله مالك بن أنس بن أبى عامر الاصبحى وهو ابن تسعين سنة وحمل به ثلاث سنين وذلك فى ربيع الاول وقيل انه صلى عليه ابن ابى ذئب على ما ذكر من التنازع فى وفاة ابن أبى ذئب وذكر الواقدى ان مالكا كان يأتى المسجد ويشهد الصلوات و الجمع والجنائز و يعود المرضى و يقضى الحقوق ثم ترك ذلك كله ثم قيل له فيه فقال ليس كل انسان يقدر أن يتكلم بعذره وسعى به الى جعفر بن سليمان وقيل له انه لا يرى

معجبا بالغرائب فجرى على لساني أن قلت له بين على زيد فعل أمر وفاعل والاصل ابا بين على زيد ثم سهل بالنقل والحذف على قياس التسهيل فصار بين كما ترى فأعجب بالمسئلة حتى ناظر فيها ليلة أباه وكان أنحى نحاة أهل عصره فأعجب مما رأى من ابنه من النبل والتحصيل فبلغت المسئلة الشيخ الاستاذ أبا بكر بن الفخار رحمه الله تعالى فاعتنى بها وحاول في استخراج وجه من وجوه الاعتراض على عادة المصلحين من طلبة العلم فوجد في مختصر العين أن الكلمة من ذوات الواو ولم يذكر صاحب المختصر غير ذلك ولم يكن رحمه الله تعالى رأى قول أبي الحسن اللحياني في نوادره أنه مما يتعاقب على لامه الواو والياء فيقال بأى يبأى بأوا وبأيا كما يقال شأى يشأى شأوا وشأيا فلم يقدم شيئا على أن اجتمع بالقاضي المذكور فقال له ألم تسمع ما قال فلان بين على زيد وإنما هو بون على زيد لانه من ذوات الواو ونص على ذلك صاحب المختصر وحمله على أن يرسل الى ويردني عن ذلك الذي قلته في المسئلة واجتمعت أنا معه وحدثني بما جرى له مع الاستاذ ابن الفخار فذكرت له ما حكاه أبو الحسن اللحياني في نوادره وما قاله ابن جني في سر الصناعة فسر بذلك وارسل بعد الى الاستاذ ابن الفخار وذكر له نص اللحياني وقول ابن جني وجمع القاضي بيننا وعقد في قلوبنا مودة فكان الاستاذ ابن الفخار يومئذ يقصدني في منزلي وفي المواسم ويستشيرني في أموره على سبيل التأنيس رحمة الله عليه فاواه على فقد امثاله (وقال الشاطبي أيضا) أنشدني الفقيه الاستاذ الكبير أبو عبد الله بن الفخار رحمه الله تعالى وقال لي في سري بيت لم أسمعه قط في السادس عشر من شهر رجب عام ستة وخمسين وسبعمائة

لتكن راجيا كما أنت ترجو * ولا ترى من الذي أنت راجي

قال الشاطبي وقرر لنا الاستاذ ابن الفخار المذكور يوما توجيه قول ابي الحسن الاخفش في كسرة الذال من نحو يومئذ انها اعرابية لا بنائية اذ لم يذكر احد وجه هذا المذهب قبل قال ابن جني ان الفارسي اعتذر له بما يكاد يكون عذرا فلما تم التوجيه قلت له وانا حينئذ صغير السن هب ان الامر على ما قاله الاخفش من ان الكسرة اعرابية فما يصنع ببناء الزمان المضاف الى اذ في احد الوجهين والاضافة الى المفرد المعرب تقتضي الاعراب دون البناء فتعجب من صدور هذا السؤال مني اصغر سني واجاب عنه بانه قد يذهب السبب ويبقى حكمه كما قاله ابن جني في اسم الاشارة في ترجمة سيبويه به هذا علم ما الكلم من العربية على أن يكون سيبويه وضعه غير مشير به وتركه مبنيا وأزال سبب البناء ونظر ذلك بباب التسوية على ما هو مقرر في موضعه قال ونظير ذلك ما قرر من اضافة حيث الى المفرد مع بقاء البناء فيما ذكره الزمخشري وذلك قوله * اما ترى حيث سهيل طالعا * وقوله أنشدنا ابن الاعرابي لبعض المحدثين

ونحن سعينا بالبلايا لمعقل * وقد كان منكم حيث لي العمائم

وقد كان حقها أن تعرب لزوال سبب البناء وهو الاضافة الى جملة وحصول سبب الاعراب وهو الاضافة الى المفرد ولكنه لم يعتبر النادر وأبقى الحكم الشائع (وقال الشاطبي أيضا) كان شيخنا ابن الفخار يأمرنا بالوقف على قوله تعالى في سورة البقرة قالوا الآن ونبتدئ جئت

أيمان يمينكم شيأ فضربه بالسياط ومد لذلك حتى انخلع كتفاه وفي السنة التي مات فيها مالك كانت وفاة حماد بن زيد وهي سنة تسع وسبعين ومائة وفي سنة احدى وستين ومائة مات عبد الله بن المبارك المروزي الفقيه بهيت بعد منصرفه من طرسوس وفي سنة اثنتين وثمانين ومائة مات أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم القاضي وهو ابن تسع وستين سنة وهو رجل من الانصار وولي القضاء سنة ست وستين ومائة في أيام خروج الهادي الى جرجان واقام على القضاء الى أن مات خمس عشرة سنة (قال المسعودي) وقد كانت أم جعفر كتبت مسئلة الى أبي يوسف تستفتيه فيها فافتاها بما وافق مرادها على حسب ما أوجبته الشريعة عنده وأداه اجتهاده اليه فبعثت اليه بحق فضة فيه حقاق في كل حق لون من الطيب وجام ذهب فيه دراهم وجام فضة فيه دنانير وغلمان وتخوت من ثياب وحمار وبغل فقال له بعض من حضره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهديت له هدية فجلساؤه شركاؤه فيها فقال أبو يوسف تأولت الخبر على ظاهره والاستحسان قد منع من امضائه ذلك اذ كان هدايا الناس التمر واللبن لا في هذا الوقت وهدايا الناس اليوم العين الورق وغيره وذلك فضل الله يؤتيه من

بالحق وكان يفسر لنا معنى ذلك قولهم الآن أى فهمنا وحصل البيان ثم تبين جئت بالحق يعنى في كل مرة وعلى كل حال وكان رحمه الله تعالى يرى هذا الوجه أولى من تفسير ابن عصفور له من انه على حذف الصفة أى بالحق البين وكان يحافظ عليه (وقال الشاطبي) أنشدنى صاحبنا الفقيه الاجل الاديب البارع أبو محمد بن حذلم لنفسه أبياتا أنشدنيها يوم عيد على قبر سيدنا الامام الاستاذ الكبير الشهير أبى عبد الله بن الفخار يرثيه بها

أياجدثا قد أحرز الشرف المحضا * بان صار مثوى السيد العالم الارضى
عجبت لما أحرزته من معارف * وشتى معال لم تزل تعمر الارضا
طويت عليه وهو عين زمانه * فياجفن عين الدهر كم تؤثر الغمضا
حيا الله من صوب الحيا كل ديمة * تديم له في الجنة الرفع والخفضا
فها نحن في عيد الاسى حول قبره * وقوفا نقضى من عيادته الفرضا
كمثل الذى كنا وقوفا ببابه * بعيد الامانى زائرين له أيضا
ومنا سلام لا يزال يخصه * يذكره من بعض أشواقنا البعضا

قلت وابن حذلم المذكور له باع مديد في العلم والادب وهو أبو محمد عبد الله بن عبد الله بن حذلم ومن نظمه قوله

أبت المعارف أن تنال براحة * الا براحة ساعد الجد
فاذا ظفرت بها فلست بمدرك * أربا بغير مساعد الجد

وقوله رحمه الله

كم من صديق حال في وده * ولم أزل أرويه عن محضه
حضوره عين على وده * وغيبه عين على بغضه
ولم أكن أجهل هذا ولا * عجزت أن أجرى على قرضه
لكن من قد سرنى بعضه * احب ان أصفح عن بعضه

وقوله رحمه الله يوم عيد وهو مما ألهج به أنا كثيرا

يقولون لى حل عنك الاسى * ولذ بالسرور وهذا يوم عيد
فقلت لهم والاسى غالب * ووجدى يحيى وشوقى يزيد
توعدنى مالكى بالفراق * فكيف اسر وعيدى وعيد

وقوله رحمه الله

حبيب زارنى في الليل سرا * فأحيا نفس مشتاق اليه
وعللنى بنشر المسك منه * وحيانى بصفحة وجنتيه
وعانقنى عناق الودصفعا * وفارقنى فيالهفى عليه

(رجع) وتوفى الاستاذ سيبويه زمانه أبو عبد الله محمد بن على بن الفخار أستاذ الجماعة بغرناطة ليلة الاثنين ثانى عشر رجب عام أربعة وخمسين وسبعمائة رحمه الله (رجع) الى مشايخ لسان الدين رحمه الله تعالى * (ومنهم الاستاذ ابن العواد) قال في الاحاطة قرأت كتاب الله عز وجل على المكتب نسيج وحده في تحمل المنزل حق حمله تقوى وصلاحا وخصوصية واتقانا

عبد الله بن الزبير فقال ان موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على قد أرادنى على البيعة له فجمع الرشيد بينهما فقال الزبيرى لموسى سعيتم علينا وأردتم نقض دولتنا فالتفت اليه موسى فقال ومن أنتم فغلب الرشيد الضحك حتى رفع رأسه الى السقف حتى لا يظهر منه ثم قال موسى يا أمير المؤمنين هذا الذى ترى المشنع على خرج والله مع أخى محمد بن عبد الله ابن الحسن بن على على جدك المنصور وهو القائل من أبيات

قوموا ببيعتكم ننهض بطاعتنا
ان الخلافة فيكم يا بنى حسن

فى شعر طويل وليس سعايته يا أمير المؤمنين حبالك ولا مراعاة لدولتك ولكن بغضا لنا جميعا أهل البيت ولو وجد من ينتصر به علينا جميعا لكان معه وقد قال باطلا وأنا مستحلفه فان حلف أنى قلت ذلك فدمى لامير المؤمنين حلال فقال الرشيد احلف له يا عبد الله فلما أراده موسى على اليمين تلكأ وامتنع فقال له الفضل لم تمتنع وقد

زعمت آنفا انه قال للشماذكرته قال عبد الله فانى احلف له قال موسى قل تقلدت الحول والقوة

ونعمة

ونغمة وعناية وحفظا وتبحرا في هذا الفن واضطلاعا بغرائبه واستيعابا بالسقطات الاعلام الاستاذ الصالح أبي عبد الله بن عبد الولي العواد تكتيبا ثم حفظا ثم تجويدا على مقرا أبي عمرو ثم نقلني الى استاذ الجماعة ومطية الفنون ومفيد الطلبة الشيخ الخطيب المتفنن أبي الحسن علي القيجاطي فقرأت عليه القرآن والعربية وهو أول من انتفعت به انتهى * (ومن أشياخه رحمه الله الشيخ العلامة أبو عبد الله بن بيبش) وله رحمه الله تعالى نظم جيد فمنه قوله ملغزا في مسطرة الكتابة

ومقصورة خلف الحجاب وسرها * مضاع فما يلقاك من دونها ستر
لها جثة بيضاء أسبل فوقها * ذوائب زانتها وليس لها شعر
اذا ألبست مثل الصباح وبرقعت * رأيت سواد الليل لم يمحه الفجر
عقيلة صون لا يفرق شملها * سوى من اهمته الخطابة والشعر

وقوله في ترتيب حروف الصحاح

اساجعة بالواديين تبوّئي * ثمارا جنتها حاليات خواضب
دعي ذكر وصّ زاره سقي شربه * صباح ضحى طير ظماء عواصب
غرام فؤادي قاذف كل ليلة * متى ما نأى وهنا هداه يراقب

وله جواب عن البيتين المشهورين

يا راكبا قلبي المعنى * وليس فيه سواك ثاني
لاي معنى كسرت قلبي * وما التقى فيه ساكنان

فقال

نحلتني طائعا فؤادا * فصار اذ حزته مكاني
لا غرو اذ كان لي مضافا * أني على الكسر فيه باني

وقد ذكرت ذلك في غير هذا الموضع مع زيادة بلفظ لسان الدين فليراجع في الباب الخامس من هذا الكتاب * (ومن أشياخ لسان الدين رحمه الله تعالى) قاضي الجماعة الصدر المتفنن أبو عبد الله بن بكر قال في الاحاطة وقرأت على قاضي الجماعة أبي عبد الله بن بكر رحمه الله تعالى انتهى وقاضي الجماعة عند المغاربة هو بمعنى قاضي القضاة عند المشارقة فليعلم ذلك * وابن بكر المذكور هو محمد بن يحيى بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن سعيد الاشعري المالقي من ذرية أبي موسى الاشعري كان من صدور العلماء وأعلام الفضلاء سداجة ونزاهة ومعرفة وتفننا فسيح الدرس أصيل النظر واضح المذهب مؤثرا للانصاف عارفا بالاحكام والقراءة مبرزا في الحديث تاريخا واسنادا وتعديلا وجرحا حافظا للانساب والاسماء والكنى قائما على العربية مشاركا في الاصول والفروع واللغة والعروض والفرائض والحساب مخفوض الجناح حسن الخلق عطوفا على الطلبة محبا في العلم والعلماء مطرحا للتصنع عديم المبالاة بالملبس بادي الظاهر عزيز النفس نافذ الحكم تقدم ببلده مالقة ناظرا في امور العقد والحل ومصالح الكافة ثم ولي القضاء بها فأعز الخطة وترك الشوائب وأنفذ الحق ملازما للقراءة والاقراء محافظا للاوقات حريصا على الافادة ثم ولي القضاء بغرناطة المحروسة سنة ٧٣٧ فقام

حدثني أبي عن جدي عن أبيه عن جده علي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما حلف أحد بهذه اليمين وهو كاذب الا عجل الله له العقوبة قبل ثلاث والله ما كذبت ولا كذبت وها أنا يا أمير المؤمنين بين يديك وفي قبضتك فتقدم بالتوكيل فان مضت ثلاثة أيام ولم يحدث على عبد الله بن مصعب حادث فدمي لامير المؤمنين حلال فقال الرشيد للفضل خذ بيد موسى فليكن عندك حتى انظر في أمره قال الفضل فوالله ما صليت العصر من ذلك اليوم حتى سمعت الصراخ من دار عبد الله بن مصعب فامرت من يتعرف خبره فعرفت أنه أصابه الجذام وانه قد تورم واسود فصرت اليه فوالله ما كدت أعرفه لانه قد صار كالزق العظيم ثم اسود حتى صار كالفحم فصرت الى الرشيد فعرفته خبره فما انقضى كلامي حتى أتى خبر وفاته فبادرت بالخروج وأمرت بتعجيل أمره والفراغ منه وتوليت الصلاة عليه فلما دلوه في حفرته لم يستقر فيها حتى انخسفت به وخرجت منه رائحة مفرطة النتن فرأيت أحمال شوك تمر في الطريق فقلت علي بالواح ساج فطرحت على موضع قبره

بالوظائف وصدع بالحق وبهرج الشهود فزيف منهم ما ينيف على سبعين واستهدف بذلك الى معاداة ومناضلة خاض ثبجها وصادم تيارها غير مبال بالمغبة ولا حافل بالتبعة فناله لذلك من المشقة والكيد العظيم ما نال مثله حتى كان لا يمشي الى الصلاة ليلا ولا يطمئن على حالة وجرت له في ذلك حكايات الى أن عزم عليه الامير أن يرد للعدالة بعض من أخره فلم يجد في قناته مغمزا ولا في عوده معجما وتصدر لبث العلم بالحضرة يقرئ فنونا جمة فنفع وخرج واقرأ القرآن ودرس الفقه والاصول والعربية والفرائض والحساب وعقد مجالس الحديث شرحا وسماعا على انشراح صدر وحفظ تحمل وخفض جناح قال القاضي ابن الحسن انه كان صاحب عزم ومضاء وحكم صادع وقضاء احرق قلوب الحسدة واعز الخطة بازالة الشوائب وذهب وفضض الحق بمعارفه ونفذ في المشكلات وثبت في المعضلات واحتج وبكت وتفقه ونكت ❊وحدثنا صاحبنا أبو جعفر الشقوري قال كنت جالسا بمجلس حكمه فرفعت اليه امرأة رقعة مضمنها أنها محبسة في مطلقها وتبتغي الشفاعة لها في ردها فتناول الرقعة ووقع على ظهرها بلا مهلة الحمد لله من وقف على ما بالقلوب فليصخ لسماعه اصاخة معيث وليشفع للمرأة عند زوجها تأسيا بشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لبريرة في مغيث والله يسلم لنا العقل والدين ويسلك بنا سبيل المهتدين والسلام من كاتبه قال الشقوري قال لي بعض الاصحاب هلا كان هو الشفيع لها فقلت الصحيح ان الحاكم لا ينبغي ان يباشر ذلك بنفسه على المنصوص ❊قرأ ابن بكر المذكور على الاستاذ ابن أبي السداد الباهلي القرآن جمعا وافرادا والعربية والحديث ولازمه وتأدب به وعلى الشيخ الصالح أبي عبد الله بن عياش كثيرا من كتب الحديث وسمع عليه جميع صحيح مسلم الا دولة واحدة وأخذ عن الاستاذ ابي جعفر بن الزبير والخطيب بن رشيد والولي الصالح ابي الحسين بن فضيلة والاستاذ ابي عبد الله بن الكماد واجازه العدل الرواية ابو فارس عبد العزيز بن الهواري وابو اسحق التلمساني ❊(ومن أهل افريقية) المعمر أبو محمد بن هرون ومحمد بن سيد الناس ❊(ومن أهل مصر) الشرف الدمياطي وجماعة من أهل الشام والحجاز فقد رحمه الله تعالى في المصاف يوم المناجزة بطريف زعموا أنه وقع عن بغلة ركبها وأشار عليه بعض المنهزمين بالركوب فلم يقدر وقال له انصرف هذا يوم الفرح اشارة لقوله تعالى فرحين بما آتاهم الله من فضله وذلك ضحى يوم الاثنين ٧ جمادى الاولى سنة ٧٤١ رحمه الله تعالى ❊(ومن أشياخ لسان الدين ابن الخطيب رحمه الله تعالى الشيخ أبو اسحق بن أبي يحيى الشهير الذكر في المغرب) وقد عرف به في الاحاطة في اسم ابراهيم من ترجمة الغرباء بما نصه ابراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر التسولي من أهل تازي يكنى أبا سالم ويعرف بابن أبي يحيى (حاله من الكتاب المؤتمن) كان هذا الرجل قيما على التهذيب ورسالة ابن أبي زيد حسن الاقراء لهما وله عليهما تقييدان نبيلان قيدهما أيام قراءته اياهما على أبي الحسن الصغير حضرت مجالسه بمدرسة عدوة الاندلس من فاس ولم أر في متصدري بلده أحسن تدريسا منه كان فصيح اللسان سهل الالفاظ موفيا حقوقها وذلك لمشاركته الحضر فيما بايديهم من الادوات وكان مجلسه وقفا على التهذيب والرسالة وكان مع ذلك سمحا فاضلا حسن اللقاء على خلق باثقة على اخلاق

ثم طرح التراب عليها وانصرفت الى الرشيد فعرفته الخبر فاكثر التعجب من ذلك وأمرني بتخلية موسى بن عبد الله رضي الله عنه وان أعطيه ألف دينار وأحضر الرشيد موسى فقال له لم عدلت عن اليمين المتعارفة بين الناس قال لانا روينا عن جدنا علي رضي الله عنه أنه قال من حلف بيمين مجد الله فيها استحيا الله من تعجيل عقوبته ومامن أحد حلف بيمين كاذبة نازع الله فيها حوله وقوته الا عجل الله له العقوبة قبل ثلاث وقيل ان صاحب هذا الخبر هو يحيى بن عبد الله بن الحسن ابن الحسن بن علي أخو موسى بن عبد الله رضوان الله عليهم وكان يحيى قد سار الى الديلم مستجيرا فباعه صاحب الديلم من عامل الرشيد بمائة ألف درهم فقتل اه وقد روى من وجه آخر على وجه حسب تباين النسخ وطرق الرواية في ذلك في كتب الانساب والتواريخ أن يحيى ألقي في بركة فيها سباع قد جوعت فأمسكت عن أكله ولاذت بناحيته وهابت الدنو منه فبني عليه ركن بالجص والحجر وهو حي وقد كان محمد بن جعفر بن يحيى بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن علي كرم الله وجهه سار الى مصر فطلب فدخل المغرب واتصل ببلاد

أهل مصره امتحن بصحبة السلطان فصار يستعمله فى الرسائل فى ذلك حظ كبير من عمره ضائعا لافى راحة دنيا ولا فى نصب آخرة ثم قال وهذه سنة الله فيمن خدم الملوك ملتفتا الى ما يعطونه لا الى ما يأخذون من عمره و راحته أن يبوء بالصفقة الخاسرة لطف الله بمن ابتلى بذلك وخلصنا خلاصا جميلا *(ومن كتاب عائد الصلة) الشيخ الفقيه الحافظ القاضى من صدور العلماء له مشاركة فى العلم وتبحر فى الفقه كان وجيها عند الملوك صحبهم وحضر مجالسهم واستعمل فى السفارة فلقيناه بغرناطة وأخذنا بها عنه تام السراوة حسن العهد مليح المجالس أنيق المحاضرة كريم الطبع صحيح المذهب (تصانيفه) قيد على المدونة بمجلس شيخه أبى الحسن كتابا مفيدا وضم أجوبته على المسائل فى سفر وشرح كتاب الرسالة شرحا عظيم الافادة (مشيخته) لازم أبا الحسن الصغير وهو كان قارئ كتب الفقه عليه وجل انتفاعه فى التفقه به وروى عن أبى زكريا بن بس قرأ عليه كتاب الموطأ الا كتاب المكاتب وكتاب المدبر فانه سمعه بقراءة الغير وعن أبى عبد الله بن رشيد قرأ عليه الموطأ وشفاء عياض وعن أبى الحسن بن عبد الجليل السدوانى قرأ عليه الاحكام الصغرى لعبد الحق وأبى الحسن بن سليمان قرأ عليه رسالة ابن أبى زيد وعن غيرهم (وفاته) فلج بآخرة فالتزم منزله بفاس يزوره السلطان ومن دونه وتوفى بعد عام ثمانية وأربعين وسبعمائة انتهى وقال ابن الخطيب القسنطينى ان ابن أبى يحيى المذكور توفى سنة تسع وأربعين وسبعمائة انتهى *(ومن أشياخ لسان الدين الطنجالى الهاشمى وهو محمد بن أحمد) قال فى عائد الصلة كان على سنن سلفه كثرة حياء وسمة صلاح وشدة انقباض وافراط ووقار وحشمة بذالكهولة على حداثة سنه فى باب الورع والدين والاغراق فى الصلاح والخير وتقدم خطيبا ثم قاضيا ببلده فاظهر من النزاهة والعدالة ما يناسب منصبه ففزع الناس اليه فى كائنة الوباء العظيم باموالهم وقلدوه عهود صدقاتهم فاستقر فى يده من المال الصامت والحلى والذخيرة والعدة ما تضيق بيوت أموال الملك عنه وصرف ذلك مصارفه ووضعه وفق عهوده فلم يتلبس منه بنقير ولا قطمير وكان مدركا أصيل الرأى قائما على الفرائض والحساب ثم تحرج وطلب الاعفاء فاسعف به على حال ضنانة وفى ذلك يقول قريبه صاحبنا الفقيه القاضى أبو الحسن بن الحسن يخاطبه

لك الله يا بدر السماحة والبشر * رفعت باعلى رتبة راية الفخر
ولاسيما لما وليت أمورها * فرويتها من عذب نائلك الغمر
ودارت قضاياها عليك باسرها * على حين لا يرعين على بر
فقمت بها خير القيام مصمما * على الحق تصميم المهندة البتر
فسر بك الاسلام يا ابن حمامة * وأمست بك الايام باسمة الثغر
تعيد عليك الحمد ألسن حالها * وتتلو لما رضيت من سور الشكر
لذلك أمير المسلمين بعدله * أقامك تقضى فى الزمان على جبر
فاحييت رسم العلم بعد مماته * وغادرت وجه الحكم اسنى من البدر
ولكنك استعفيت عنه تورعا * وتلك سبيل الصالحين كما تدرى

فمات هنالك مسموما وقد أتينا على كيفية خبره وما كان من أمره فى كتاب حدائق الاذهان فى أخبار أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم وتفرقهم فى البلدان وفى سنة ثمانين ومائة حج الرشيد وهى آخر حجة حجها فذكر عن أبى بكر بن عياش وكان من علية أهل العلم انه قال وقد اجتاز الرشيد بالكوفة فى حال منصرفه من هذه الحجة لا يعود الى هذه الطريق ولا خليفة من بنى العباس بعده أبدا فقيل له أضرب من الغيب قال نعم قيل بوحى قال نعم قيل اليك قال لا الى محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك خبر عنه عليه السلام المقتول فى هذا الموضع وأشار الى الموضع الذى قتل فيه بالكوفة رضى الله عنه وفى سنة تسع وثمانين ومائة وذلك فى أيام الرشيد مات على بن حمزة الكسائى صاحب القراآت ويكنى أبا الحسن وكان قد شخص مع الرشيد الى الرى فمات بها وكذلك مات محمد بن الحسن الشيبانى القاضى ويكنى أبا عبد الله ودفن بالرى وهو مع الرشيد وتطير من وفاة محمد بن الحسن لرؤيا كان رآها فى نومه اه وفى هذه السنة كانت وفاة يحيى بن برمك بن خالد وفى

فكم من ولى فر عنه لعلمه * به كأبى الحجاج جدك من ذخر
فزاد اتصالا عزه باجتنابه * له وسما قدرا على قنة النسر
جريت على نهج السلامة فى الذى * تبعت له فابشر بامنك فى الحشر
وأرضاك مولاك الامام بفضله * وأعفاك اعفاء الكرامة والبر
فانت على الحالين أفضل من قضى * وأشرف من يقفى الى آخر الدهر
لما حزت من شتى المعالى التى بها * تحليت عن أسلافك السادة الغر
صدور مقامات المعارف كلها * بحور النوال الجم فى اليسر والعسر
هم النفر الاعلون من آل هاشم * وناهيك من مجد أثيل ومن فخر

وهى طويلة انتهى *(ومن أشياخ لسان الدين رحمه الله تعالى الشيخ الامام الخطيب الرئيس سيدى ابو عبد الله بن مرزوق) ولنلخص ترجمته من الاحاطة وغيرها فنقول هو محمد ابن أحمد بن محمد بن محمد بن أبى بكر بن مرزوق العجيسى التلمسانى يكنى أبا عبد الله ويلقب من الالقاب المشرقية بشمس الدين قال أبو الحسن على بن لسان الدين بن الخطيب فى حقه سيدى وسند أبى فخر المغرب وبركة الدول وعلم الاعلام ومستخدم السيوف والاقلام وولى أهل المغرب على الاطلاق أبقاه الله تعالى وأمتع بحياته واعانى على ما يجب فى حقه قاله تربيته وولده على ابن المؤلف انتهى يعنى ابن الخطيب وقال لسان الدين هذا الرجل من طرف دهره ظرفا وخصوصية ولطافة مليح التوسل حسن اللقاء مبذول البشر كثير التودد نظيف البزة لطيف التأتى خير البيت طلق الوجه خلوب اللسان طيب الحديث مقدر الالفاظ عارف بالابواب درب على صحبة الملوك والاشراف متقاض لايثار السلاطين والامراء يسحرهم بخلابة لفظه ويفتلهم فى الذروة والغارب بتنزله ويهتدى الى اغراضهم الكمينة بحذقه ويصطنع غاشيتهم بتلطفه ممزوج الدعابة بالوقار والفكاهة بالنسك والحشمة بالبسط عظيم المشاركة لاهل وده والتعصب لاخوانه الف مألوف كثير الاتباع والعلق مسخر الرقاع فى سبيل الوساطة مجدى الجاه غاص المنزل بالطلبة منقاد للدعوة بارع الخط انيقه عذب التلاوة متسع الرواية مشارك فى فنون من أصول وفروع وتفسير يكتب ويشعر ويقيد ويؤلف فلا يعدو السداد فى ذلك فارس منبر غير جزوع ولا هياب رحل الى المشرق فى كنف حشمة من جناب والده رحمه الله تعالى فحج وجاور ولقى الجلة ثم فارقه وقد عرف بالمشرق حقه وصرف وجهه الى المغرب فاشتمل عليه السلطان أبو الحسن أميره اشتمالا خلطه بنفسه وجعله مفضى سره وامام جمعته وخطيب منبره وأمين رسالته فقدم فى غرضها على الاندلس أواخر عام ثمانية وأربعين وسبعمائة ولما حالت بالامير المذكور الحال استقر بالاندلس مفلتا من النكبة فى وسط عام اثنين وخمسين وسبعمائة وكان قد أقعده للاقراء بالمدرسة من حضرته وفى اخريات عام أربعة وخمسين صرف عنه وجه بره فى أسلوب طماح ودالة وسبيل هوى وقحة فاغتنم الفترة وانتهز الفرصة وأنفذ فى الرحيل العزمة وانصرف عزيز الرحلة مغبوط المنقلب فاستقر بباب ملك المغرب أمير المؤمنين أبى عنان فارس فى محل تجلة وبساط قرب مشرك الجاه مجدى التوسط ناجح الشفاعة والله يتولاه ويزيده من

سنة ثمان وثمانين ومائة

كان سخط الرشيد على عبد الملك بن صالح بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب فحدث غوث بن المدوع عن الرياشى قال سمعت الاصمعى يقول كنت عند الرشيد وأتى بعبد الملك بن صالح يرسف فى قيوده فلما نظر اليه قال هيه يا عبد الله كانى انظر اليك وشؤبوبها قد همع وعارضها قد لمع وكانى بالوعيد قد أقلع عن براجم بلا معاصم ورؤس بلا غلاصم مهلا بنى هاشم والله سهل لكم الوعر وصفا لكم الكدر وألقت اليكم الامور أزمتها فخذوا حذركم منى قبل حلول داهية خبوط باليد والرجل فقال له عبد الملك أفذا أتكلم أو توأما فقال بل توأما قال فاتق الله يا أمير المؤمنين فيما ولاك وراقبه فى رعاياك التى استرعاك فقد سهلت لك والله الوعور وجمعت على خوفك ورجائك الصدور وكنت كما قال أخو كعب بن كلاب

ومقام ضيق فرجته * بلسان أو بيان أو جدل
لو يقوم الفيل أو فياله * زل عن مثل مقامى أو زحل

قال فأراد يحيى بن خالد البرمكى ان يضع من مقام عبد الملك عند الرشيد فقال له يا عبد الملك بلغنى أنك حقود فقال أصلح الله الوزير ان يكن الحقد هو بقاء الخير والشر عندى انهما الباقيان

فضله

فضله*(مشيخته) من كتابه المسمى بحالة المستوفز المستجاز فى ذكر من سمع من المشايخ دون
من أجاز من أئمة المغرب والشام والحجاز*(فمن لقيه بالمدينة المشرفة على ساكنها الصلاة
والسلام الامام العالم العلامة عز الدين محمد أبو الحسن بن على بن اسمعيل الواسطى)
صاحب خطتي الامامة والخطابة بالمسجد الكريم النبوي وأفرد جزأ فى مناقبه*(ومنهم الشيخ
الامام جمال الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف بن عيسى الخزرجي السعدي العبادي)
تحمل عن عفيف الدين أبي محمد عبد السلام بن مزروع وأبي اليمن وغيره*والشيخ الامام
خادم الوقت بالمسجد الكريم ونائب الامامة والخطابة به ومنشد الامداح النبوية هنالك
*والشيخ الصالح الثقة المعمر محيي الدين أبو زكريا يحيى بن محمد المغراوي التونسي سمع ابن
حامل والتوزري*والشيخ نور الدين أبو الحسن على بن محمد الحجار الفراش بحرم رسول الله
والوقاد به وكان مقصودا من كل قطر*والشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد الصنعاني نائب
القضاء بالمدينة*والشيخ الامام قاضي القضاة بالمدينة شرف الدين بن محرز الاخميمي بن
الاسيوطي*والشيخ الصالح عز الدين خالد بن عبد الله الطواشي*والشيخ شهاب الدين أحمد
ابن عبد الله المعيني سمع ابن مزروع البصري وغيره*والشيخ بهاء الدين موسى بن سلامة
الشافعي المصري الخطيب بالمسجد الكريم بها*والشيخ الخطيب أبو طلحة الزبير بن أبي
صعصعة الاسواني*والشيخ عفيف الدين المطري*والشيخ الاديب أبو البركات أيمن بن
محمد بن محمد الى أربعة عشر ابن أيمن التونسي المجاور*والشيخ أبو محمد عبد الله بن محمد بن
فرحون اليعمري التونسي المجاور*والشيخ أبو فارس عبد العزيز بن عبد الواحد بن أبي
ركين التونسي وقرأ بها على أبيه القرآن العظيم قال وكانت قراءتي عليه بالمدينة عند قبره
عليه الصلاة والسلام*(وبمكة شرفها الله تعالى) الشيخ المعمر الثقة شرف الدين أبو عبد الله
عيسى بن عبد الله الحجبي المكي المتوفى وقد قارب المائة*والشيخ زين الدين أحمد بن محمد بن
أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر الطبري المكي*والشيخ الصالح شرف الدين خضر بن
عبد الرحمن العجمي*وشيخ شيوخ رباط الاعاجم حيدر بن عبد الله المقري*والشيخ مقرى
الحرم برهان الدين ابراهيم بن مسعود بن ابراهيم الايلي المصري*والشيخ مصلح الدين
الحسن بن عبد الله العجمي*والامام الصالح أبو الصفاء خليل بن عبد الله القسطلاني
التوزري*والشيخ الامام الصالح أبو محمد عبد الله بن اسعد الشافعي الحجة انتهت اليه الرياسة
العلمية والخطط الشرعية بالحرم*والشيخ فخر الدين عثمان بن أبي بكر النويري المالكي
*والشيخ الامام المدرس بالحرم شهاب الدين أحمد بن الحرازي اليمني*والشيخ قاضي القضاة
نجم الدين محمد بن جمال الدين بن عبد الله بن المحب الطبري*والشيخ جلال الدين أبو عبد الله
محمد بن أحمد بن براجين القشيري التلمساني وقرأ بها على أبيه والبسه بها الخرقة*والشيخ
الملاك شرف الدين عيسى بن محمد بن ابي بكر بن ايوب*والشيخة فاطمة بنت محمد بن محمد
ابن أبي بكر بن أيوب*والشيخة فاطمة بنت محمد بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن ابراهيم الطبري
المكية*والشيخ أبو الربيع سليمان بن يحيى بن سلمان المراكشي السفاح*والشيخ قاضي
القضاة وخطيب الخطباء عز الدين أبو عمر عبد العزيز بن محمد بن جماعة الكناني قاضي

الملك ثم أمر به فرد الى محبسه
ثم التفت الى الاصمعي فقال
والله يا أصمعي لقد نظرت
الى موضع السيف من عنقه
مرارا يمنعني من ذلك ابقائي
على قومي فى مثله (حدث)
يوسف بن ابراهيم بن المهدي
قال حدثني سليمان الخادم
الخراساني مولى الرشيد
انه كان واقفا على رأس الرشيد
بالحيرة وهو يتغدى اذ
دخل عليه عون العبادي
وكان صاحب الحيرة وفى
يده صحفة فيها سمكة منعوتة
السمن فوضعها بين يديه
ومعه محشى قد اتخذ لها
فحاول الرشيد أكل شئ
منها فمنعه جبريل بن بختيشوع
وأشار جبريل الى صاحب
المائدة ان يشيلها عن
المائدة ويعزلها له ففطن
له الرشيد فلما رفعت المائدة
وغسل الرشيد يده وخرج
جبريل أمرني الرشيد
باتباعه وان أكتمه فى
منزله وهو يأكل فارجع
اليه بخبره ففعلت ما أمرني
وأحسب ان أمري لم يخف
على جبريل فيما تبينت
من تحرزه وانه صار الى
موضع من دار عون ودعا
بالطعام فاحضر له وفيه
السمكة فدعا باقداح ثلاث
فجعل فى واحد منها قطعة
من السمك وصب عليها من خرطبر بان (وهي قرية بين الكوفة والقادسية ذات كروم

القضاة بالديار المصرية *(وبمصر)* الشيخ علاء الدين القونوى* والتقى السعدى* وقاضى
القضاة القزوينى وهو شهير الذكر رفيع القدر* وقاضى القضاة البرهان الحنفى* والشرف
أقضى القضاة الاخميمى* والشيخ المحدث المسند البدر محمد بن محمد الفارقى* والقطب الحافظ
أبو محمد بن منير* والشهاب أحمد الجوهرى الحلبى* والمعمر الشرف يحيى المقدسى بن المصرى
والشيخ محسن القرشى* والشهاب الحنبلى* وفتح الدين محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن
محمد بن يحيى بن سيد الناس اليعمرى* والشيخ المسند شمس الدين أبو بكر بن سيد الناس
أخوه* والامام أبو حيان* والمؤرخ النسابة شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبى بكر بن على
ابن حاتم بن خليش الزبيرى المصرى يبلغ شيوخه نحوا من ألفى شيخ* والشيخ الشمس بن
عدلان والشهاب البوشى المالكى* والشيخ المتصوف تاج الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن
ثعلب المصرى مدرس المالكية* والشمس بن كتنغرى الخطابى الصيرفى* والعماد بن المنجم
الدمياطى* والتاج الاشعرى* والتقى الثعلبى* والفتح بن عبد القوى* والشمس الورجى
والتقى الاشمونى* والعلامة التقى السبكى* والمعروف بن بنت الشاذلى* وأبو الحسن
التميمى* والبرهان الحيمى* والشمس الاسوانى* والبرهان الحكرى* والشمس بن جابر
الوادى آشى* وأبو محمد عبد الكريم الطوسى* وأبو فارس الزروالى التونسى* وصالح بن عبد
العظيم بن يونس* وأبو عبد الله بن القماح* والتاج التبريزى* والشيخ محمود الاصبهانى
والشرف المقيلى* والبرهان السفاقسى* (ومن النساء)* الشيخة المسندة ست الفقهاء
فاطمة بنت محمد الفيومى البكرى* (وبلبيس) اسد الدين يوسف بن داود الايوبى من أبناء
الملوك* (ومن الشاميين بالقدس)* علاء الدين أبو الحسن على بن أيوب وخطيب
القدس النور بن الصائغ المقدسى ومحمد بن على بن مثبت الاندلسى والبرهان الجعبرى
امام الخليل* (ومن أهل دمشق) البرهان بن الفركاح والشمس بن مسلم قاضى الحنابلة
*(وبالاسكندرية) أحمد المرادى بن العشاب وأبو القاسم بن على بن البراء والناصر بن المنير
(وبطرابلس) الخطيب أبو محمد جابر بن عبد الغفار (وبتونس) الزبيدى والقاضى
ابن عبد الرفيع والقاضى بن عبد السلام وابن راشد وأبو موسى والمحدث أبو عبد الله
التلمسانى والحافظ أبو زكريا يحيى بن عصفور التلمسانى نزيل تونس وأبو محمد بن
سعد الله بن أبى القاسم بن البراء (وبلاد الجريد) الشيخ الخطيب أبو عبد الملك بن حيون
(وبالزاب) ابن أبى والشيخ أبو محمد بن راشد (وببجاية) الامام النظار المجتهد أبو على ناصر
الدين المشذالى والحافظ فقيه زمانه أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن بالبخت الزواوى والشيخ
الفقيه أبو عبد الله الخطيب المسفر وغيرهم (وبتلمسان) الشيخان الامامان ابنا الامام وقاضى
القضاة بها أبو عبد الله بن هدية والخطيب أبو محمد المجاصى والشريف أبو على حسن بن
يوسف بن يحيى الحسنى والشيخ أبو عثمان سعيد بن ابراهيم بن على المعروف بابن اسحق
الخياط وغيرهم* (محنته)* اقتضى الخوض الواقع بين يدى تأميل الامير أبى الحسن رحمه
الله تعالى عودة الامر اليه وقد ألقاه اليم الى الساحل بمدينة الجزائر أن قبض عليه بتلمسان
أمراؤها المتوثبون عليها فى هذه الفترة من بنى زيان ارضاء لقبيلهم المتهم بعد اخافته وقد رحل

عنهم

وأشجار ونخل ورياض تخرقها الانهار من كل البقاع من الفرات شرابها موصوف بالجودة كوصف
القطر بلى) فصبه على السمكة وقال هذا أكل جبريل وجعل فى قدح آخر قطعة منها وصب عليها ماء بثلج شديد البرودة وقال هذا أكل أمير المؤمنين أعزه الله ان لم يخلط السمك بغيره وجعل فى القدح الثالث قطعا من اللحم من ألوان مختلفة من شواء ومن حلوى ومن بوارد وبقول ومن سائر ما قدم اليه من الالوان من كل واحد منها جزأ يسيرا مثل اللقمة واللقمتين وصب عليها ماء بثلج وقال هذا أكل أمير المؤمنين ان خلط السمك بغيره ودفع الثلاثة الاقداح الى صاحب المائدة وقال احتفظ بها الى أن ينتبه أمير المؤمنين أعزه الله ثم أقبل جبريل على السمكة فأكل منها حتى تضلع وكان كلما عطش دعا بقدح من الخمر الصرف فشرب به ثم قام فلما انتبه الرشيد من نومه سألنى عما عندى من خبر جبريل وهل أكل من السمكة شيأ أم لم يأكل فأخبرته بالخبر فأمر باحضار الاقداح الثلاثة فوجد ما فى القدح الاول وهو الذى ذكر جبريل انه أكله وصب عليه الخمر الصرف قد تفتت واماع واختلط ووجد ما فى القدح الثانى الذى قال

عنهم دسيسا من أميرهم عثمان بن يحيى فصرف مأخوذا عليه طريقه منتهبا رحله منتهكة حرمته وأسكن قرارة مطبق عميق القعر مقفل المسالك حريز القفل ثاني اثنين انتهى ملخصا (ورأيت) بخط ابن مرزوق على قوله وقد رحل عنهم دسيسا الى آخره مانصه لم أرحل عنهم الا باذنهم واقتراحهم على في الاصلاح بينهم لكنهم غدر وانقية على أنفسهم قاله ابن مرزوق انتهى وكتب تحته ولد ابن الخطيب ماصورته نعم ماتوا * وعند الله تجتمع الخصوم * انتهى (رجع) الى كلام لسان الدين في حقه قال بعد الكلام السابق مالخصه ولايام قتل ثانيه ذبحا كان يقربه من شفا تلك الركية وانقطع أثره وأيقن الناس بفوات الامر فيه ولزمان من محنته ظهرت عليه بركة سلفه في خبر يتظر بطرفه الى الكرامة فنجا ولا تسل كيف وخلصه الله خلاصا جميلا وقدم على الاندلس والله ينفعه بنيته انتهى (وكتب) ابن مرزوق على هذا المحل مانصه لم يكن المقتول حين قتل معي ولا قتل ذبحا قاله ابن مرزوق انتهى وكتب بعض علماء مصر تحته مانصه هذه دعوى والمؤرخ أعرف انتهى فكتب آخر بعد هذا مانصه أتخبرني عني انتهى (رجع) ثم قال لسان الدين في ترجمة شعره ماصورته ركب مع السلطان بخارج الحمراء أيام ضربت اللوز قبابها البيض وزينت الفحص العريض والروض الاريض فارتجل في ذلك

انظر الى النوار في أغصانه * يحكي النجوم اذا تبدت في الحلك
حيا أمير المسلمين وقال قد * عميت بصيرة من بغيرك مثلك
يا يوسفا حزت الجمال بأسره * فمحاسن الايام تومي هيت لك
أنت الذي صعدت به أوصافه * فيقال فيه ذا مليك أو ملك

الى أن قال ومن الشعر المنسوب الى محاسنه ما أنشده عنه وبين يديه ليلة الميلاد المعظم عام ثلاثة وستين وسبعمائة

قل للنسيم السحر * لله بلغ خبري
ان أنت يوما بالحمى * جررت فضل المئزر
ثم حثثت الخطو من * فوق الكثيب الاعفر
مستقريا في عشبه * مخفي وطء المطر
تروي عن الضحاك في الروض حديث الزهر
مخلق الاذيال بالعبير أو بالعنبر
وصف لجيران الحمى * وجدي بهم وسهري
وحقهم ماغيرت * ودي صروف الغير
لله عهد فيه قضيت حميد الاثر
أيامه هي التي * أحسبها من عمري
وبالليل فيه ما * عيب بغير القصر
العمر فينان وجه الدهر طلق الغرر
والشمل بالاحباب منظوم كنظم الدرر

جبريل انه أكل أمير المؤمنين وصب عليه الماء المثلج قدر باوصار على النصف مما كان ونظر الى القدح الثالث الذي قال جبريل وهذا أكل أمير المؤمنين ان خلط السمك بغيره قد تغيرت رائحته وحدثت له سهوكة كاد الرشيد أن يتقايأ حين قرب منه فأمر بحمل خمسة آلاف دينار الى جبريل وقال من يلومني على محبة هذا الرجل الذي يدبرني بهذا التدبير فأوصلت اليه المال (وذكر) عبد الله ابن مالك الخزاعي وكان على دار الرشيد وشرطته قال أتاني رسول الرشيد في وقت ماجاءني فيه قط فانتزعني من موضعي ومنعني من تغيير ثيابي فراعني ذلك فلما صرت الى الدار سبقني الخادم فعرف الرشيد خبري فأذن لي في الدخول فدخلت فوجدته قاعدا على فراشه فسلمت فسكت ساعة فطار عقلي وتضاعف الجزع ثم قال لي يا عبد الله أتدري لم طلبتك في هذا الوقت قلت لا والله يا أمير المؤمنين قال اني رأيت الساعة في منامي كأن حبشيا قد أتاني ومعه حربة فقال ان لم تخل عن موسى بن جعفر الساعة والا نحرتك بهذه الحربة فاذهب فخل عنه فقلت يا أمير المؤمنين أطلق موسى بن جعفر ثلاثا قال نعم امض الساعة حتى تطلق موسى بن جعفر وأعطه ثلاثين

أحببت المقام قبلنا فلك عندي ما تحب وان أحببت المضي الى المدينة فالاذن

صفو من العيش بلا ✻ شائبة من كدر
ما بين أهل تعطف الانس جنى الثمر
وبين آمال تبيح القرب صافي الغدر
بالشجرات الحى حيالك الحيا من شجر
اذا أجال الشوق في ✻ تلك المغاني فكري
خرجت من خدي حديث الدمع فوق الطرر
وقلت يا خدار ومن ✻ دمعي صحاح الجوهري
عهدي بحادي الركب كالسور رقاء عند السحر
والعيس تجتاب الفلا ✻ والعملات تنبري
تخبط بالاخفاف مظلوم البرى وهو برى
قد عطفت عن ميد ✻ والتفتت عن حور
فمى سير ما سوى العزم لها من وتر
حتى اذا الاعلام حلت لحق البشر
واستبشر النازح بالقرب ونيل الوطر
وعين الميقات للسفر نجاح السفر
فالناس بين محرم ✻ بالحج أو معتمر
لبيك لبيك اله الخلق باري الصور
ولاحت الكعبة بيت الله ذات الاثر
مقام ابراهيم والسامي عند الذعر
واغتنم القوم طوا ✻ ف القادم المبتدر
وأعقبوا ركعتي السعي استلام الحجر
وعرفوا في عرفا ✻ ت كل عرف أذفر
ثم أفاض الناس سعيا في غد للمشعر
فوقفوا وكبروا ✻ قبل الصباح المسفر
وفي منى نالوا المنى ✻ وأيقنوا بالظفر
وبعد رمي الجمرا ✻ ت كان حلق الشعر
أكرم بذلك السفر والله وذاك السفر
يا فوزه من موقف ✻ يا ربحه من متجر
حتى اذا كان الودا ✻ ع وطواف الصدر
فأي صبر لم يخن ✻ أو جلد لم يغدر
وأي وجد لم يصل ✻ وسلوة لم تهجر
ما أفجع البين لقلب الواله المستعبر
ثم ثنوا نحو رسو ✻ ل الله سير الضمر

ألف درهم وقيل له ان في ذلك اليك قال فمضت الى الحبس لاخرجه فلما رآني موسى وثب الى قائما وظن أني قد أمرت فيه بمكروه فقلت لا تخف قد أمرني أمير المؤمنين باطلاقك وان أدفع اليك ثلاثين ألف درهم وهو يقول لك ان أحببت المقام قبلنا فلك ما تحب وان أحببت الانصراف فالامر في ذلك مطلق اليك وأعطيته الثلاثين ألف درهم وخليت سبيله وقلت له لقد رأيت من أمرك عجبا قال فاني أخبرك بينما أنا نائم اذ أتاني النبي صلى الله عليه وسلم فقال موسى حبست مظلوما فقل هذه الكلمات فانك لا تبيت هذه الليلة في الحبس فقلت بأبي وأمي ما أقول فقال قل يا سامع كل صوت ويا سابق الفوت ويا كاسي العظام لحما ومنشرها بعد الموت أسألك بأسمائك الحسنى وباسمك الاعظم الاكبر المخزون المكنون الذي لم يطلع عليه أحد من المخلوقين يا حليما ذا اناة لا يقوى على أناته يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبدا ولا يحصى عددا فرج عني فكان ما ترى (وذكر) حماد بن اسحق بن ابراهيم الموصلي قال قال ابراهيم بن المهدي حججت مع الرشيد فبينا نحن في

فعاينوا

فعاينوا في طيبة * لألاء نور نير
زاروا رسول الله واستشفوا بلثم الجدر
نالوا به ما أملوا * وعرجوا الى الاثر
على الضجيعين أبي * بكر الرضا وعمر
زيارة الهادي الشفيع جنة في المحشر
فاحسن الله عزا * ء قاصد لم يزر
ربع ترى مستنزل الآي به والسور
وملتقى جبريل بالهادي الزكي العنصر
ورو ضة الجنة بين روضة ومنبر
منتخب الله ومختار الورى من مضر
والمنتقى والكون من * ملابس الخلق عرى
اذ لم يكن في أفق * من زحل ومشترى
ذو المعجزات الغر أمثال النجوم الزهر
يشهد بالصدق له * منها انشقاق القمر
والضب والظبي الى * نطق الحصى والشجر
من أطعم الالف بصا * ع في صحيح الخبر
والجيش روّاه بما * ء الراحة المنهمر
يا نكتة الكون التي * فاتت منال الفكر
يا حجة الله على الرائح والمبتكر
يا أكرم الرسل على الله وخير البشر
يا من له التقدم السابق على التأخر
يا من لدى مولده المقدس المطهر
ايوان كسرى ارتج اذ * ضاءت قصور قيصر
وموقد النار طفي * كأنه لم يسعر
يا عمدتي يا ملجئي * يا مفزعي يا وزري
يا من له اللواء والحوض وورد الكوثر
يا منقذ الغرقى وهم * رهن العذاب الاكبر
ان لم تحقق أملي * بؤت بسعي الخسر
صلى عليك الله يا * ثمال كل معسر
صلى عليك الله يا * نور الدجى المعتكر
ياويح نفسي كم أرى * في غفلة من عمري
واحسرتي من قلة الزاد وبعد السفر
يحجني والله بالبرهان وعظ المنبر

فانتبهت وأنا على غير الجادة فاشتد بي الحر فعطشت عطشا شديدا فارتفع لي خباء فقصدته فاذا بقبة وبجنبها بئر ماء بقرب مزرعة وذلك بين مكة والمدينة ولم أر بها انسيا فاطلعت في القبة فاذا أنا باسود نائم فاحس بي ففتح عينيه كأنهما اجانتا دم فاستوى جالسا واذا هو عظيم الصورة فقلت يا اسود اسقني من هذا الماء فقال يا اسود اسقني من هذا الماء محاكيا لي وقال ان كنت عطشانا فانزل واشرب وكان تحتي برذون خبيث نفور فخشيت ان انزل عنه فينفر فضربت راس البرذون وما نفعني الغناء قط الا في ذلك اليوم وذلك اني رفعت عقيرتي وانا اغني

كفنوني ان مت في درع اروى
واستقوا لي من بئر عروة ماء

فلهام بجنب اجاج ومصيف بالقصر قصر قباء

فرفع الاسود راسه الي وقال ايما احب اليك أن اسقيك ماء وحده او ماء وسويقا قلت الماء والسويق فأخرج قعبا فصب السويق في القدح فسقاني واقبل يضرب بيده على راسه وصدره ويقول واحرصدراه وانارات الالهب في فؤادي يا مولاي زدني وانا ازيدك وشربت

ياحسنها من خطب * لو حركت من نظري
ياحسنها من شجر * لو أورقت من ثمر
أؤمل الاوبة والامر بكف القدر
أسوف العزم به * من شهر لشهر
من صفر لرجب * من رجب لصفر
ضيعت في الكبرة ما * أعددته في صغري
وليس مامر من الايام بالمنتظر
وقلما ان جدت * سلامة في غرر
ولي غريم لا ينى * في طلب المنكسر
يانفس جدي قد بدا الصبح ألا فاعتبري
واتعظي بمن مضى وارتدعي وازدجري
مابعد شيب الفود من * مرتقب فشمري
أنت وان طال المدى * في قلعة وسفر
وليس من عذر يقيم حجة المعتذر
ياليت شعري والمنى * تسرق طيب العمر
هل أرتجي من عودة * أو رجعة أو صدر
فأبرد الغلة من * ذاك الزلال الخصر
مقتديا بمن مضى * من سلف ومعشر
نالوا جوار الله وهو الفخر للمفتخر
أرجو بابراهيم مو * لانا بلوغ الوطر
فوعده لا يمترى * في الصدق منه ممترى
وهو الامام المرتضى * والخير ابن الخير
أكرم من نال العلا * بالمرهفات البتر
ممهد الملك وسيف الحق والليث الجرى
خليفة الله الذي * فاق بحسن السير
وكان منه الخبر في العلياء وفق الخبر
فصدق التصديق من * مرآه للتصور
ومستعين الله في * ورده وصدر
فاق الملوك الصيد بالسعد الرفيع الخطر
فأصبحت ألقابهم * منسية لم تذكر
وحازمنه أوحد * وصف العديد الاكثر
برأيه المأمون أو * عسكره المظفر
بسيفه السفاح أو * بعزمه المقتدر

ان بينك وبين الطريق أميالا ولست آمن انك تعطش لكن أملأ قربتي

السويق ثم قال لي يامولاي هذه وأجملها قدامك فقلت افعل قال فلا قربته وسار قدامي وهو يحجل في مشيته غير خارج عن الايقاع فاذا امسكت لاستريح أقبل علي فقال يامولاي عطشت فاغنيه النصب الى أن أوقفني على الجادة ثم قال لي سر رعاك الله ولا سلبك ما كساك من هذه النعم بكلام عجمي معناه هذا الدعاء فلحقت بالقافلة والرشيد قد فقدني وقد بث البخت والخيل في البر يطلبوني فسر بي حين رآني فأتيته فقصصت عليه الامر فقال علي بالاسود فما كان الا هنيهة حتى مثل بين يديه فقال له ويلك ما حر صدرك فقال يامولاي ميمونة قال ومن ميمونة قال حبشية قال ومن حبشية قال بنت بلال يامولاي فامر من يستفهمه فاذا الاسود عبد لبني جعفر الطيار واذا السوداء التي يهواها القوم من ولد الحسن ابن علي فأمر الرشيد بابتياعها له فأبى مواليها أن يقبلوا لها ثمنا ووهبوها للرشيد فاشترى الاسود وأعتقه وزوجه منها ووهب له من مال بالمدينة حديقتين وثلثمائة دينار (ودخل) ابن السماك على الرشيد وبين يديه حمامة تلتقط

بالعلم

حيافقال له صفها وأوجز فقال كأنما تنظر من ياقوتتين وتلتقط بدرتين وتطأ على عقيقتين وأنشدونا لبعضهم

بالعلم المنصور رأو * بالذابل المنتصر
يا ابن الإمام الطاهر الـ ـبر الزكي السير
مدحك قد علم نظـ ـم الشعر من لم يشعر
جهد المقل اليوم من * مثلي كوسع المكثر
فإن يقصر ظاهري * فلم يقصر مضمري   انتهى

قلت قول لسان الدين في حق هذه القصيدة إنها من الشعر المنسوب إلى محاسنه تعريض خفي بأن هذه القصيدة يحتمل أن تكون قيلت على لسانه حسبما جرت بذلك عادة الأكابر والرؤساء أن ينسب إليهم ما ليس من كلامهم في نفس الأمر وليس الواقع عندي كذلك لأن باع ابن مرزوق في النظم والنثر مديد فأنى يقصر عن هذا القصيد ومن يصدر منه على البديهة قوله * انظر إلى النوار في أغصانه * الأبيات السابقة في اللوز لا يستغرب منه مثل هذا ولذا كتب ابن لسان الدين على قول والده من الشعر المنسوب إلى محاسنه ما صورته حضرت إنشاءها وإنشادها ليلة الميلاد الشريف في التاريخ المذكور واستحسنها شعراء العدوتين وهي مما لا ينكر على مدارك سيدي أبي عبد الله ورسوخه في علم النظم والنثر قاله علي بن الخطيب اه وكتب بعضهم على قوله في هذه القصيدة
أيامه هي التي * أعدها من عمري ما نصه * قلت والله انتهى فكتب ابن مرزوق بعده ما نصه لكنها أبيات تحير منها والحمد لله وحصلت الخاتمة ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما انتهى * وكتب ابن لسان الدين على قوله وقلما إن جددت * سلامة في غرر ما نصه كذلك كان وليت والدي رحمه الله تعالى كذلك انتهى * وكتب على قوله برأيه المأمون الخ ما نصه لو كان له رأي مأمون ما نزل على قلعة الملك لسكنى القصبة بدخيله طلب الراحة فضربت عنقه وكانت الراحة منه انتهى * وكتب بعض إثر هذا ما صورته القدر لا يغالب الحذر ينفع ما لم يأت القدر فإذا أتى القدر لم ينفع حذر انتهى وكتب ابن لسان الدين على قوله فلم يقصر مضمري ما صورته صدق والله انتهى * ثم قال لسان الدين وورد باب السلطان الكبير أبي عنان فبلوت من مشاركته وحميد سعيه ما يليق بمثله ولما نكبه لم أقصر عن ممكن حيلة في أمره فلما هلك السلطان أبو عنان وصار الأمر لأخيه المتلاحق من الأندلس أبي سالم بعد الولد المسمى بالسعيد كان ممن دمث له الطاعة وأناخ راحلة الملك وحلب ضرع الدولة وخطب عروس الموهبة فانشب ظفره في مناب معقود من لدن الأب مشدود من لدن التقرب فاستحكم عن قرب واستغلظ عن كثب فاستولى على أمره وخلطه بنفسه ولم يستأثر عنه بنيه ولا انفرد بما سوى بضع أهله بحيث لا يقطع في شيء إلا عن رأيه ولا يعدو ويثبت إلا واقفا عند حده فغشيت بابه الوفود وصرفت إليه الوجوه ووقفت عليه الآمال وخدمته الأشراف وجلبت إلى سدته بضائع العقول والأموال وهادته الملوك فلا تحدو الحداة إلا إليه ولا تحط الرحال إلا لديه إن حضر أجرى الرسم وأنفذ الأمر والنهي لحظا أو سرارا أو مكاتبة وإن غاب ترددت الرقاع واختلفت الرسل ثم انفرد أخيرا ببيت الخلوة ومنتبذ المناجاة من دونه مصطف الوزراء وغايات الحجاب فإذا انصرف تبعته الدنيا وسارت

هتفت هاتفة آذ ـنها إلف بين
ذات طوق مثل عطف النـ ـون أقنى الطرفين
وتراها ناظرة نحـ ـوك من ياقوتتين
ترجع الأنفاس من ثقـ ـبين كاللؤلؤتين
وترى مثل البساتيـ ـن لها قادمتين
ولها لحيان كالصد غين من عرعرتين
ولها ساقان حمرا وان مثل الوردتين
نسجت فوق جناحيـ ـها طنافس رنوستين
وهي طاووسية اللو ن بين المنكبين
تحت ظل من ظلال الـ ـأيك صافي الكتفين
فقدت إلفا فناحت من تباريح وبين
فهي تبكيه بلا دمـ ـع بجود المقلتين
وهي لا تصبغ عينا ها كما تصبغ عيني

(ودخل) معن بن زائدة على الرشيد وقد كان وجد عليه في شيء فقارب الخطو فقال له هرون كبرت والله يا معن قال في طاعتك يا أمير المؤمنين قال وإن فيك على ذلك لبقية قال هي لك يا أمير المؤمنين قال وإنك لجلد قال على أعدائك يا أمير المؤمنين فرضي عنه وولاه قال وعرض كلامه هذا على عبد الرحمن بن زيد زاهد

بين يديه الوزراء ووقفت ببابه الامراء قد وسع الكل لحظه وشملهم بحسب الرتب
والاحوال رعيه ووسم افذاذهم تسويده وعقدت ببنان عليتهم بنانه لكن رضا الناس
الغاية التي لا تدرك والحسد بين بني آدم قديم وقبيل الملك مباين لمثله فطويت الجوانح
على سل وحنيت الضلوع على بث وأغمضت الجفون على قذى الى أن كان من نكبته
الثالثة ما هو معروف جعلها الله طهورا ولما جرت الحادثة على الدولة بالاندلس وكان
لحاق جميعنا بالمغرب جنيت ثمرة ما أسلفته من وده فوفى الكيل واشرك في الجاه وأدر
الرزق ورفع المجالس بعد التسبب في الخلاص والسعي في الجبر جبره الله تعالى وكان له
أحوج ما يكون الى ذلك يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم انتهى *وكتب
ابن لسان الدين على هذا المحل ما صورته هذا لسان أبي عليه في الغيبة والحضور انتهى
(ومما خاطبه به لسان الدين) مهنئا من طريق القدوم على الابواب المرينية مفلتا من البلية
بشفاعته ما نصه سيدي الذي اليه انقطاعي وانحياشي وملجئي الذي به خلاصي ونشي
انتياشي ومنعمي الذي جبر جناحي وأنبت رياشي ومولى هذا الصنف العلمي ولا أحاشي
كتبه صنيع نعمتكم الخالصة الحرة ومسترق فضلكم الذي تألقت منه في ليل الخطوب
الغرة ابن الخطيب لطف الله به من كذا وقد شد الى ابلاغ النفس عذرها في مباشرة
تقبيل اليد التي لها اليد العظمى والسجية الرحمى فلكم طوقت من نعمى وجبال النعم
قد أثقلت الظهر واستغرقت السر والجهر فبأي لسان أو بأي بنان ولا أثر بعد عيان
تقابل نعم تداركت الرمق ونفست الشفق وأبقت الدماء والشروق في استئصالها الا بخفي
فيالك من فرد هزم ألفا ووعد نصر لم يعرف خلفا ونعم تعاضت تنتمي الى الله زلفى
لتدع بها مولاي غريبة في الزمن بالعاحسن صنيعها اصطناع المن مترفعة عن
الثمن وان لم يتم بها مثله فلهن سيدي ما ذاع لجده بها من فخر وما قدم يوم تزل
الاقدام من ذخر وما جلب للمقام المولوي الابراهيمي من طيب ذكر واستفاضة حمد
وشكر لقد ارتهن دعاء الحافي والناعل والدال على الخير شريك الفاعل والذي أحيا
النفس جدير بجدتها والجاز عدتها وانا قد قويت بجاهكم وان كنت ضعيفا
واستشعرت سعدا جديدا وقدرا منيفا وأيقنت أن الله عز وجل كان بي لطيفا اذ هيأ لي
من وجهة ذلك المقام المولوي على يدكم نصرا عزيزا وبوأني من جاهه حرزا حريزا وقد
استأسدت الاعداء وأعضل الداء واعمل الاعتداء وعز الفداء فانفرج الضيق
وتيسرت للعير الطريق وساغ الريق ونجا الغريق غريبة لا تمثل الا في الحلم ولطيفة
فيها اعتبار لاولي العلم اللهم جاز سيدي في نفسه وولده وحاله وبلده ومعاده بعد طول
عمره وانفساح أمده وكن له نصيرا أحوج ما يكون الى نصر واجعل له سعة من كل حصر
واقصر عليه جاه كل قصر كما جعلت ذاته فوق كل ذات وعصره فوق كل عصر وليعلم سيدي
أن من أراد بي منافسة وحسدا وزأر على اسدا لما استقل على الكرسي جسدا من غير
ذنب تبين ولا حد تعين أصابه من خلاصي المقيم المقعد ووعد النفس بامل أخلف منه
الموعد لما استنقذني الله برحمته من بين ظفره ونابه وغطاني بستر جنابه وكثرني

أهل البصرة قال ويح هذا ما ترك لربه شيئا وقال الرشيد يوما لمعن بن زائدة اني قد أعددتك لامر كبير فقال يا أمير
المؤمنين ان الله قد أعد لك
مني قلبا معقودا بنصيحتك
ويدا مبسوطة بطاعتك
وسيفا مشحوذا على عدوك
فان شئت فقل وقيل ان
هذا الجواب من كلام
يزيد بن مزيد (وقال الكسائي)
دخلت على الرشيد فلما
قضيت حق التسليم والدعاء
وثبت للقيام فقال اقعد
فلم أزل عنده حتى خف
عامة من كان في مجلسه ولم
يبق الا خاصته فقال لي
يا علي ألا تحب أن ترى محمدا
وعبد الله قلت ما أشوقني
اليهما يا أمير المؤمنين
وأسرني بمعاينة نعمة الله
على أمير المؤمنين فيهما فأمر
باحضارهما فلم ألبث أن
أقبلا ككوكبي أفق
يزينهما هدوء ووقار وقد
غضا أبصارهما وقاربا
خطوهما حتى وقفا على
باب المجلس فسلما على
أبيهما بالخلافة ودعوا له
بأحسن الدعاء فأمرهما
بالدنو منه فصير محمدا عن
يمينه وعبد الله عن يساره
ثم أمرني ان استقرئهما
وأسالهما ففعلت فما سالتهما
عن شيء الا احسنا الجواب
فيه والخروج منه فسر
بذلك الرشيد حتى تبينته
فيه ثم قال لي يا علي كيف
ترى مذهبهما وجوابهما فقلت يا أمير المؤمنين كما قال الشاعر

فى العيون على قله وأعزنى بعز نصره على حال ذله لم يدع حيلة الا نصبها أمامى ليحبط ذلك المقام الكريم ذمامى ويكدر جمامى ويستدرك حمامى وزعم أن بيده على البعد زمامى ويأبى ذلك رأى يفرق بين الحق وضده وعدل لايخرج الشئ عن حده فبهت سيدى خوفا أن تتجه حيله أو تفسد وسيله وأنا قادم بالاهل والولد ليعمل فى رب الصنيعة على شاكلة المجد الذى هو له أهل فما بابتدائه جهل ولا يختلف فى عظم ما أسداه غرو ولا كهل ولا ينبه مثله على تتميم واجزال فضل عميم ومؤانسة غريب وصلة نصر عزيز وفتح قريب بحول الله تعالى*(وقال) لسان الدين بعد ماسبق نقله عنه فى حق ابن مرزوق ولما انقضى أمر سلطانه رحمه الله تعالى متجنى عليه بسببه مجرولا عليه من أجله تقبض عليه وأجمع الملأ على قتله وشد اعتقاله وطلب بالمال العريض وانتهبت أمواله واعتقلت رباعه وجنبت مراكبه واصطفيت أمهات أولاده وتمادى به الاعتقال والشده الى أن عادته عوائد الله فى الخلاص من الشده والانتياش عن الورطة ظاهرة عليه بركة سلفه قائمة له حجة الكرامة فى أمره (حكى) أمير المسلمين سلطاننا أعزه الله قال عرض لى والدى رحمه الله تعالى فى النوم فقال ياولدى اشفع فى الفقيه ابن مرزوق فقبلت يده واقتضيت حظه وحكيت داعيته وعينت للوجهة فى ذلك قاضى الحضرة فكان ذلك ابتداء الفرج (وحدثنى) الثقة من خدام السلطان أبى عنان عنه مخبرا عن نفسه لما فمس عنه من نكبته وأجاره من سخطته قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرنى بذلك وكفى بها جاها وحرمة قلت فترك سبيله وأتيح له ركوب البحر الى البلاد المشرقية باهله وولده فسار فى كنف الستر وتحت جناح الوقاية فى وسط رجب من عام أربعة وستين وسبعمائة من ساحل باديس صحب الله وجهته وختم عصمته انتهى ما لخصته من كلام لسان الدين بلفظه (ورأيت) على هامش هذا المحل من الاحاطة بخط المذكور ماصورته أقول وأنا ابن مرزوق المسمى فيه انى قد وصلت الى تونس المحروسة فى شهر رمضان من سنة خمس وستين ولقيت بها من المبرة والكرامة والوجاهة فوق ما يعهده أمثالى ووليت خطابة جامع ملكها وتدريس أم المدارس فيها وهى المعروفة بمدرسة الشماعين كل ذلك تحت رعاية وعناية وملازمة لمجلس ملكها الى أن توفى سنة احدى وسبعين ثم مع ولده وابن أخيه الى أن رحلت فى البحر فى شهر ربيع الاول سنة ثلاث وسبعين فحللت فى الديار المصرية ولقيت من ملكها الذى لم أرفى الملوك مثله حلما وفضلا وحياء وجودا وتلطفا ورحما السلطان المالك الملك الاشرف ناصر الدين والدنيا شعبان ابن حسين فاحسن لى وأجرى على وعلى أولادى ماقام به الحال وقلدنى دروسا ومدارس وأهلنى للمثول بين يديه والحال مستمر على ذلك حتى الآن وذلك من فضل الله ومعهود احسانه والمرجو من الله حسن العاقبة وكتب فى رمضان سنة خمس وسبعين انتهى *وكتب بعده أبو الحسن على بن لسان الدين رحمهما الله تعالى ماصورته صدق وهو فوق ذلك كله فقدره معروف ولطالما كان ملك المغرب يفتخر به فصار يفتخر بتقليد الدروس والدهر لايبقى على حالة* انتهى (قال فى الاحاطة) ولما شرح كتاب الشفاء للقاضى عياض رحمه الله تعالى واستبحر فيه وأكثر النقل وبذل الجهد طالب أهل العدوتين نظم مقطوعات تتضمن

أرى قرى مجد وفرعى خلافة* يزينهما عرف كريم ومحتد يا أمير المؤمنين هما فرع زكا أصله وطاب مغرسه وتمكنت فى الثرى عروقه وعذبت مشاربه أبوهما أغر نافذ الامر واسع العلم عظيم الحلم يحكمان بحكمه ويستضيئان بنوره وينطقان بلسانه ويتقلبان فى سعادته فامتع الله أمير المؤمنين بهما وآنس جميع الامة ببقائه وبقائهما فما رأيت أحدا من أولاد الخلفاء وأغصان هذه الشجرة المباركة اذرب السنا ولا أحسن ألفاظا ولا أشد اقتدارا على تأدية ماحفظا منهما ودعوت لهما دعاء كثيرا وأمن الرشيد على دعائى ثم ضمهما اليه وجمع يده عليهما فلم يبسطها حتى رأيت الدموع تنحدر على صدره ثم أمرهما بالخروج فلما خرجا أقبل على فقال كانك بهما وقد حم القضاء ونزلت مقادير السماء وبلغ الكتاب أجله قد تشتتت كلمتهما واختلف أمرهما وظهر تعاديهما ثم لم يبرح ذلك بهما حتى يسفك الدماء وتقتل القتلى وتهتك ستور النساء ويتمنى كثير من الاحياء أنهم فى عداد الموتى قلت أيكون ذلك يا أمير المؤمنين لامر روى فى أصل مولدهما أو لاثر وقع لامير المؤمنين فى مولدهما فقال لا والله الا باثر واجب حملته العلماء عن الاوصياء عن الانبياء وقال الاحمر النحوى بعث

الثناء على الكتاب المذكور واطراء مؤلفه فانثال عليه من ذلك الطم والرم بما تعدى الرتب الاوراق واختلفت فى الاجادة وغيرها الارزاق ايثارا للغرضه ومبادرة من كل الناس لاسعاف أربه وطلب منى أن ألم فى ذلك بشئ فكتبت له فى ذلك

شفاء عياض للصدور شفاء * فليس بفضل قد حواه خفاء
هدية برلم يكن لمديلها * سوى الأجر والذكر الجميل كفاء
وفى لنبى الله حق وفائه * وأكرم أوصاف الكرام وفاء
وجاء به بحرا يقول بفضله * على البحر طعم طيب وصفاء
وحق رسول الله بعد وفاته * رعاه واغفال الحقوق جفاء
هو الذخر يغنى فى الحياة عتاده * ويترك منه للبنين رفاء
هو الاثر المحمود ليس يناله * دثور ولا يخشى عليه عفاء
حرصت على الاطناب فى نشر فضله * وتمجيده لو ساعدتنى فاء

واستزاد من هذا الغرض الذى لم يقنع فيه بالقليل فبعثت اليه من محل انتقالى من مدينة سلا حرسها الله تعالى

أأزاهير رياض * أم شفاء لعياض
جدل الباطل للحق باسياف مواض
وجلا الانواء برهانا * نا بحق وافتراض
وشفى من يشتكى الغلة فى زرق الحياض
أى بنيان مقال * آمن خوف انقضاض
أى عهد ليس يرمى * بانتكاث وانتقاض
ومعان فى سطور * كأسود فى غياض
وشفاء لصدور * من ضنى الجهل مراض
حرر القصد فما شين بنقد واعتراض
يا أبا الفضل ادر أن الله عن سعيك راض
فازعبد أقرض الله برجحان القراض
وجبت غر المزايا * من طوال أوعراض
لك يا أصدق راو * لك يا أعدل قاض
لرسول الله وفيت بجهد وانتهاض
خير خلق الله فى حا * ل وفى آت وماض
سدد الله ابن مرزو * ق الى تلك المراضى
زبدة العرفان معنى * كل نسك وارتياض
فتولى بسط ما أجملت من غير انقباض
ساهر الجد فى استخلاصه طعم اغتماض
ان يكن دينا على الايام قد حان التقاضى

وثمرة قلبه فصير يدك عليه مبسوطة وطاعتك عليه واجبة فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين أقرئه القرآن وعرفه الآثار وروه الاشعار وعلمه السنن وبصره مواقع الكلام وبدئه وامنعه الضحك الا فى أوقاته وخذه بتعظيم مشايخ بنى هاشم اذا دخلوا اليه ورفع مجالس القواد اذا حضروا مجلسه ولا تمرن بك ساعة الا وأنت مغتنم فيها فائدة تفيده اياها من غير أن تخرق به فتميت ذهنه ولا تمعن فى مسامحته فيستحلى الفراغ ويألفه وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة فان أباهما فعليك بالشدة والغلظة (ويقال) ان العمانى الشاعر قام بحضرة الرشيد فلم يزل يحرض محمدا ويحضه على تجديد العهد له فلما فرغ من كلامه قال له أبشر يا عمانى بولاية العهد له فقال اى والله يا أمير المؤمنين سرور العشب بالغيث والمرأة النزور بالولد والمريض المدنف بالبرء لانه نسيج وحده وحامى مجده وشبيه جده قال فما تقول فى عبد الله قال مرعى ولا كالسعدان فتبسم الرشيد

وقال قاتله الله ما أعرفه بمواضع الرعية أما والله انى لاتعرف فى عبد الله حزم المنصور ونسك المهدى

[Right margin continuation of main text:] بجوامع ... وكان ... وأدر ... كان له ... كتب ... انتهى ... ن البلية ... مسنى

نفس الهادي والله لو شاء الله ان أنسبه الى الرابعة لنسبته اليها

دام في علو ومن عا * داه يهوى في انخفاض
ماوشى الصبح الدياجي * بسواد في بياض

نظمت له أيضا في الغرض المذكور والاكثار من هذا النمط في هذا الموضع ليس على سبيل التبجح باجادته وغرابته ولكن على سبيل الاشارة بالشرح المشار اليه فهو بالغ حد الاستبحار

حييت يامختط ستت ابن نوح * بكل مزن يغتدي أو يروح
وحمل الريحان ريح الصبا * أمانة فيك الى كل روح
دار أبي الفضل عياض الذي * أضحت برياه رياضا تفوح
ياناقل الآثار يعنى بها * وواصلا في العلم جري الجموح
طرفك في الفضل بعيد المدى * طرفك للمجد شديد الطموح
كفاك اعجازا كتاب الشفا * والصبح لاينكر عند الوضوح
لله ما أجزلت فينا به * من منحة تقصر عنها المنوح
روض من العلم همى فوقه * من صيب الفكر الغمام السفوح
فمن بيان الحق زهر بدا * ومن لسان الصدق طير صدوح
تأرج العرف وطاب الجنى * وكيف لايثمر أولا يفوح
وحلة من طيب خير الورى * في الجيب والاعطاف منها نضوح
ومعلم للدين شيدته * فهذه الاعلام منها تلوح
فقل لهامان كذا أوفلا * يامن أضل الرشد تبني الصروح
في أحسن التقويم أنشأته * خلقا جديدا بين جسم وروح
فعمره المكتوب لاينقضي * اذا تقضى عمر سام ونوح
كأنه في الحفل ريح الصبا * وكل عطف فهو غصن مروح
ماعذر مشغوف بخير الورى * ان هاج منه الذكر أن لايبوح
عجبت من أكباد أهل الهوى * وقد سطا البعد وطال النزوح
ان ذكر المحبوب سالت دما * ماهن أكباد ولكن جروح
ياسيد الاوضاع يامن له * بسيد الارسال فضل الرجوح
يامن له الفضل على غيره * والشمس تخفى عند اشراق يوح
ياخير مشروح وفي واكتفى * من ابن مرزوق بخير الشروح
فتح من الله حباه به * ومن جناب الله تأتي الفتوح

ثم قال وعلى الجملة والتفصيل فهذا الرجل نسيج وحده شهرة وجلالة وخصال وأبوة صالحة تولاه الله وكان له وانصرف بجملته الى بلاد المشرق عام أربعة وستين وسبعمائة تولاه الله تعالى وأسعد منقلبه ومولده بتلمسان عام احدعشر وسبعمائة انتهى كلام لسان الدين ولنزد في هذه الترجمة على ماذكره فنقول (قال) ابن خلدون صاحبنا الخطيب أبو عبد الله ابن مرزوق من أهل تلمسان كان سلفه نزلاء الشيخ أبي مدين بالعباد ومتوارثين تربته من

(قال الاصمعي) بينما انا أساير الرشيد ذات ليلة اذ رأيته قد قلق قلقا شديدا فكان يقعد مرة ويضطجع مرة ويبكي ثم أنشأ يقول

قلد أمور عباد الله ذا ثقة * موحد الراي لانكس ولا برم
واترك مقالة أقوام ذوي خطل * لايفهمون اذا ما معشر فهموا

فلما سمعت منه ذلك علمت انه يريد امرا عظيما ثم قال لمروان الخادم على بيحيي فما لبث ان اتاه فقال يا أبا الفضل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات في غير وصية والاسلام جذع والايمان جديد وكلمة العرب مجتمعة قد آمنها الله تعالى بعد الخوف واعزها بعد الذل فما لبث أن ارتد عامة العرب على ابي بكر وكان من خبره ماقد علمت وان ابا بكر صير الامر الى عمر فسلمت الامة له ورضيت بخلافته ثم صيرها عمر شورى فكان بعده ماقد بلغك من الفتن حتى صارت الى غير اهلها وقد عنيت بتصحيح هذا العهد وتصييره الى من ارضى سيرته وأحمد طريقته واثق بحسن سياسته وآمن ضعفه ووهنه وهو عبد الله وبنو هاشم مائلون الى محمد باهوائهم وفيه مافيه من الانقياد لهواه والتصرف مع طويته والتبذير لماحوته يده ومشاركة النساء والاماء

لدن جدهم خادمه فى حياته وكان جده الخامس أو السادس أبو بكر بن مرزوق معروفا بالولاية فيهم ونشأ محمد هذا بتلمسان ومولده فيما أخبرنى عام عشرة وسبعمائة انتهى وهو مخالف لما ذكره لسان الدين فيما مر عنه ثم قال ابن خلدون وارتحل مع والده الى المشرق سنة ثلاث عشرة وسمع ببجاية على الشيخ ناصر الدين ولما جاور أبوه بالحرمين رجع الى القاهرة فاقام وبرع فى الطلب والرواية وكان يجيد الخطين ورجع سنة ثلاث وثلاثين الى المغرب ولقى السلطان أبا الحسن محاصر التلمسان وقد شيد بالعباد مسجدا عظيما وكان عمه محمد بن مرزوق خطيبا به على عادتهم فى العباد وتوفى فولاه السلطان خطابة ذلك المسجد مكان عمه وسمعه يخطب على المنبر ويشيد بذكره ويثنى عليه فحلى بعينه فقربه وهو مع ذلك يلازم ابنى الامام ويأخذ نفسه بلقاء الافاضل والاكابر والاخذ عنهم وحضر مع السلطان وقعة طريف ثم استعمله فى الرسالة الى الاندلس ثم الى ملك قشتالة فى تقرير الصلح واستنقاذ ولده الماسور يوم طريف ورجع بعد وقعة القيروان مع زعماء النصارى فرجع الى المغرب ووفد على السلطان أبى عنان بفاس مع أمه حظية أبى الحسن ثم رجع الى تلمسان وأقام بالعباد وعلى تلمسان يومئذ أبو سعيد عثمان بن عبد الرحمن وأخوه أبو ثابت والسلطان أبو الحسن بالجزائر وقد حشد هنالك فارسل أبو سعيد ابن مرزوق المذكور اليه سرا فى الصلح فلما اطلع أخوه أبو ثابت على الخبر أنكره على أخيه فبعثوا من حبس ابن مرزوق ثم أجازوه البحر الى الاندلس فنزل على أبى الحجاج سلطانها بغرناطة فقربه واستعمله على الخطبة بجامع الحمراء فلم يزل خطيبه الى أن استدعاه أبو عنان سنة أربع وخمسين بعد مهلك أبيه واستيلائه على تلمسان وأعمالها فقدم عليه ورعى له وسائله ونظمه فى أكابر أهل مجلسه ثم بعثه لتونس عام ملكها سنة ثمان وخمسين ليخطب له ابنة السلطان أبى يحيى فردت الخطبة واختفت بتونس ووشى الى السلطان أبى عنان انه كان مطلعا على مكانها فسخطه لذلك وأمر بسجنه فسجن مدة ثم أطلقه قبل موته * ولما استولى أبو سالم على السلطنة آثره وجعل زمام الامور بيده فوطئ الناس عقبه وغشى أشراف الدولة بابه وصرفوا اليه الوجوه فلما واثب عمر بن عبد الله بالسلطان آخر عام اثنين وستين حبس ابن مرزوق ثم أطلقه بعد أن رام كثير من أهل الدولة قتله فمنعه منهم ثم لحق بتونس سنة أربع وستين ونزل على السلطان أبى اسحق وصاحب دولته أبى محمد بن تافراكين فاكرموه وولوه الخطابة بجامع الموحدين وأقام بها الى أن هلك السلطان أبو يحيى سنة سبعين وولى ابنه خالد ثم لما قتل السلطان أبو العباس خالدا واستولى على السلطنة وكان بينه وبين ابن مرزوق شئ لميله مع ابن عمه محمد صاحب بجاية عزله عن الخطبة فوجم لها فاجمع الرحلة الى المشرق وسرحه السلطان فركب السفينة ونزل بالاسكندرية ثم ارتحل الى القاهرة ولقى اهل العلم وأمراء الدولة ونفقت بضائعه عندهم وأوصلوه الى السلطان الاشرف فولاه الوظائف العلمية فلم يزل بها موفر الرتبة معروف الفضيلة مرشحا القضاء المالكية ملازما للتدريس الى أن هلك سنة احدى وثمانين انتهى ملخصا * (وقال الحافظ ابن حجر) انه لما وصل تونس أكرم اكراما عظيما وفوضت اليه الخطابة بجامع السلطان وتدريس أكبر المدارس ثم قدم القاهرة فأكرمه الاشرف شعبان

ودرس

بنى هاشم وان افردت محمدا بالامر لم آمن تخليطه على الرعية فاشر على فى هذا الامر برايك مشورة يعم فضلها ونفعها فقال له محمد الله مبارك الرأى لطيف النظر فقال يا أمير المؤمنين ان كل زلة مستقالة وكل رأى يتلافى خلا هذا العهد فان الخطأ فيه غير مأمون والزلة فيه لا تستدرك وللنظر فيه مجلس غير هذا فعلم الرشيد أنه يريد الخلوة فامرنى بالتنحى فقمت وقعدت ناحية بحيث أسمع كلامهما فما زالا فى مناجاة ومناظرة طويلة حتى مضى الليل وافترقا على أن عقد الامر لعبد الله بعد محمد (ودخلت) أم جعفر على الرشيد فقالت ما انصفت ابنك محمدا حيث وليته العراق وأعريته من العدد والقوّاد وصيرت ذلك الى عبد الله دونه فقال لها وما أنت وتمييز الاعمال وأخبار الرجال انى وليت ابنك السلم وعبد الله الحرب وصاحب الحرب أحوج الى الرجال من المسالم ومع هذا فانا نتخوف ابنك على عبد الله ولا نتخوف عبد الله على ابنك ان بويع وفى سنة ست وثمانين ومائة خرج الرشيد حاجا ومعه ولياعهده الامين والمامون وكتب الشرطين بينهما

ودرس بالشيخونية والصرغتمشية والقمحية وكان حسن الشكل جليل القدر مات في ربيع الاول سنة احدى وثمانين انتهى * وقال ابن الخطيب القسمطيني هو شيخنا الفقيه الجليل الخطيب توفي بالقاهرة ودفن بها بين ابن القاسم وأشهب وله طريق واضح في الحديث ولقي أعلاما وسمعنا منه البخاري وغيره في مجالس ولمجلسه لباقة وجمال وله شرح جليل على العمدة في الحديث انتهى (وكتب) بخطه بلدينا أبو عبد الله بن العباس التلمساني ما نصه نقلت من خط بعض السادات كتبه للامام زعيم العلماء الحفيد ابن مرزوق انه وجد بخط جده الخطيب ابن مرزوق لما ثقفه عمر بن عبد الله على يد الشيخ أبي يعقوب كتب ما نصه الحمد لله على كل حال خرج الطبري في منسكه وابو حفص الملاى في سيرته عن عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهم قالا وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على الثنية التي باعلى مكة وليس بها يومئذ مقبور فقال يبعث الله من ههنا سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب وجوههم كالقمر ليلة البدر فقال أبو بكر من هم يا رسول الله قال هم الغرباء من أمتي الذين يدفنون ههنا ففي هذا الموضع دفن والدي رحمه الله تعالى وبعد سماعه لهذا الحديث بسبعة أيام دفن فيه اقتراه لا يشفع فيمن أقال عثرة ولده أفما يشترى هذا باموال الارض افلا يرعى لي ثمانية واربعين منبرا في الاسلام شرقا وغربا واندلسا أفلا يرعى لي انه ليس اليوم يوجد من يسند أحاديث الصحاح سماعا من باب اسكندرية الى البر والى الاندلس غيري ونحو من مائتين وخمسين شيخا والله تعالى اعلم لكن حرمني الله تعالى لذة الاشتغال به وآثرت اتباع الهوى والدنيا فهويت اللهم غفرانك أفلا يرعى لي مجاورة نحو اثني عشر عاما وختم القرآن في داخل الكعبة والاحياء في محراب النبي صلى الله عليه وسلم والاقراء بمكة ولا أعلم من له هذه الوسيلة غيري افلا يرعى لي الصلاة بمكة سنين وغربتي بينكم ومحنتي في بلدي على محبتكم وخدمتكم من ذا الذي خدمكم من الناس يخرج على هذا الوجه أستغفر الله أستغفر الله أستغفر الله من ذنوبي وذنوبي أعظم وربي أعلم رب ارحم والسلام انتهى ففي هذا دليل على عظم قدره ومكانته في الدين والدنيا قلت ولقد رأيت مصحفه بتلمسان عند أحفاده وعليه خطه الرائق الذي اعرفه وهو يقول قرأت في هذا المصحف تجاه الكعبة المشرفة اثنى عشر الف ختمة انتهى ومع هذا فقد نسى في المصحف المذكور لفظة اليك من قوله تعالى ينقلب اليك البصر حتى كتبه بخطه فوق السطر حفيده العلامة سيدي ابو عبد الله محمد بن مرزوق رحمة الله على الجميع وقال الخطيب المذكور رحمه الله تعالى في بعض تعاليقه ما صورته ومن اشياخ والدي سيدي محمد المرشدي لقيه في ارتحالنا الى الشرق وحين حملني اليه وانا ابن تسع عشرة سنة نزلنا عنده ووافقنا صلاة الجمعة ومن عادته ان لا يتخذ للمسجد اماما وحضر يومئذ من اعلام الفقهاء من لا يمكن اجتماع مثلهم في غير ذلك المشهد قال فقرب وقت الصلاة فتشوف من حضر من الفقهاء والخطباء الى التقديم فاذا الشيخ قد خرج فنظر يمينا وشمالا وانا خلف والدي فوقع بصره على فقال لي يا محمد تعال قال فقمت معه حتى دخلت معه في موضع خلوة فباحثني في الفروض والشروط والسنن قال فتوضأت واخلصت النية فاعجبه وضوئي ودخل معي

وعلقهما في الكعبة (وحكى) عن ابراهيم الحجبي ان الكتاب لما رفع ليعلق بالكعبة وقع فقلت في نفسي وقع قبل أن يرتفع ان هذا الامر سريع انتقاضه قبل تمامه (وحكى) عن سعيد بن عامر البصري قال حججت في هذه السنة وقد استعظم الناس أمر الشرط والايمان في الكعبة فرأيت رجلا من هذيل يقود بعيره وهو يقول

وبيعة قد نكثت أيمانها
وفتنة قد سعرت نيرانها

فقلت له ويحك ما تقول قال أقول ان السيوف ستسل والفتنة ستقع والتنازع في الملك سيظهر قلت وكيف ترى ذلك قال أما ترى البعير واقفا والرجلان يتنازعان والغرابان قد وقعا على الدم والتطخا به والله لا يكون آخر هذا الامر الا محاربة وشر (ويروى) ان الامين لما حلف للرشيد بما حلف له به وأراد الخروج من الكعبة رده جعفر بن يحيى وقال له فان غدرت باخيك خذلك الله حتى فعل ذلك ثلاثا كلها يحلف له وبهذا السبب اضطغنت أم جعفر على جعفر بن يحيى فكانت أحد من حرض الرشيد على امره وبعثته على ما نزل به (قال المسعودي) وفي سنة سبع وثمانين ومائة بايع الرشيد لابنه القاسم بولاية العهد بعد المامون فاذا افضت الخلافة الى المامون كان

المسجد وقادنى الى المنبر وقال لى يا محمد ارق المنبر فقلت له يا سيدى والله لا أدرى ما أقول فقال لى ارق وناولنى السيف الذى يتوكأ عليه الخطيب عندهم وأنا جالس مفكر فيما أقول اذا فرغ المؤذنون فلما فرغوا نادانى بصوته وقال لى يا محمد قم وقل بسم الله قال فقمت وانطلق لسانى بما لا أدرى ما هو الا انى كنت أنظر الى الناس ينظرون الى ويخشعون من موعظتى فاكملت الخطبة فلما نزلت قال لى أحسنت يا محمد قرالك عندنا أن نوليك الخطابة وأن لا تخطب بخطبة غيرك ماوليت وحييت ثم سافرنا فحججنا وأراد والدى الجوار وأمرنى بالرجوع لاونس عمى وقرابتى بتلمسان وأمرنى بالوقوف على سيدى المرشدى هنالك فوقفت عليه وسألنى عن والدى فقلت له يقبل أيديكم ويسلم عليكم فقال لى تقدم يا محمد واستند الى هذه النخلة فان شعيبا يعنى أبا مدين عبد الله عندها ثلاث سنين ثم دخل خلوته زمانا ثم خرج فامرنى بالجلوس بين يديه ثم قال لى يا محمد أبوك من أحبابنا واخواننا الا أنك يا محمد الا أنك يا محمد فكانت هذه اشارة الى ما امتحنت به من مخالطتى أهل الدنيا والتخليط ثم قال لى يا محمد أنت مشوش من جهة أبيك تتوهم أنه مريض ومن بلدك أما أبوك فبخير وعافية وهو الآن عن يمين منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن يمينه خليل المالكى وعن يساره أحمد قاضى مكة وأما بلدك فسمى الله فخط دائرة فى الارض ثم قام فقبض احدى يديه على الاخرى وجعلهما خلف ظهره وجعل يطوف بتلك الدائرة ويقول تلمسان تلمسان حتى طاف بتلك الدائرة مرات ثم قال لى يا محمد قد قضى الله الحاجة فيها فقلت له كيف يا سيدى فقال ستر الله ان شاء الله على من فيها من الذرارى والحريم وعلكها هذا الذى حصرها يعنى السلطان أبا الحسن وهو خير لهم ثم جلس وجلست بين يديه فقال لى يا خطيب فقلت يا سيدى عبدك ومملوكك فقال لى كن خطيبا أنت الخطيب واخبرنى بامور وقال لى لا بد أن تخطب بالجامع الغربى وهو الجامع الاعظم بالاسكندرية ثم أعطانى شيأ من كعيكات صغار وزودنى بها وأمرنى بالرحيل وأما خبر تلمسان فدخلها المرينى كما ذكر وستر الله من فيها من الذرارى والحريم وكان هذا المرشدى يتصرف فى الولاية كتصرف سيدى أبى العباس السبتى نفعنا الله بهما * وللخطيب ابن مرزوق المذكور تآليف منها شرحه الجليل على العمدة فى خمسة أسفار جمع فيه بين ابن دقيق العيد والفاكهانى مع زوائد وشرحه النفيس على الشفاء ولم يكمل وشرحه على الاحكام الصغرى لعبد الحق وشرحه على ابن الحاجب الفرعى سماه ازالة الحاجب عن فروع ابن الحاجب وله غيرها وديوان خطب بالغرب مشهور كقصيدته التى قالها فى نكبته بتلمسان وأولها

رفعت أمورى لبارى النسم * وموجدنا بعد سبق العدم

ومن نظمه عند وداعه أهل تونس

أودعكم وأثنى ثم أثنى * على ملك تطاول بالجميل

وأسأل رغبة منكم لربى * بتيسير المقاصد والسبيل

سلام الله يشملنا جميعا * فقد عزم الغريب على الرحيل

ومن نظم أبى المكارم بن آجروم يسلى المذكور عندما امتحن بعد قتل السلطان أبى سالم

ومائة توفى الفضيل بن عياض ويكنى اباعلى وكان مولده بخراسان وقدم الكوفة وسمع من المنصور بن المعتمر وغيره ثم تعبد وانتقل الى مكة فاقام بها الى أن مات (حدث) سفيان بن عيينة قال دعانا الرشيد فدخلنا عليه ودخل الفضيل آخرنا مقنعا رأسه برداثه فقال لى يا سفيان أيهم أمير المؤمنين فقلت هذا وأومأت الى الرشيد فقال أنت يا حسن الوجه الذى أمر هذه الامة فى يدك وعنقك لقد تقلدت أمرا عظيما فبكى الرشيد ثم أتى كل رجل منا ببدرة فكل قبلها الا الفضيل فقال له الرشيد يا أبا على ان لم تستحلها فأعطها ذا دين واشبع بها جائعا واكس بها عريانا فاستعفاه منها فلما خرجنا قلت له يا أبا على اخطأت ألا أخذتها وصرفتها فى أبواب البر فاخذ بلحيتى ثم قال يا أبا محمد أنت فقيه البلد وتغلط مثل هذا الغلط لو طابت لاولئك لطابت لى (وقبض موسى) بن جعفر بن محمد ابن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ببغداد

يا شمس علم افلت بعدما * اضاءت المشرق والمغربا
حجبت قسرا عن عيون الورى * والشمس لا ينكر أن تحجبا

وبيتهم بيت علم وولاية وصلاح كعمه وجده وأبيه وجد أبيه وكولديه محمد وأحمد وحفيده عالم الدنيا البحر أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق وولد حفيده المعروف بالكفيف وحفيد حفيده المعروف بالخطيب وهو آخر المذكورين منهم فيما نعلم قلت كان مرادي أن أعرّف بجميعهم ولكني خشيت الطول فلنلم بذكر الحفيد عالم الدنيا وابنه العلامة المشهور بالكفيف لأنه أعني الكفيف والد جدي أحمد لأني أحمد بن محمد بن أحمد فوالدة الجد أحمد بنت الكفيف المذكور وهو أعني الكفيف محمد بن محمد بن أحمد بن الخطيب الرئيس أبي عبد الله بن مرزوق المتقدم الذكر وكان الكفيف إماما عالما علامة ووصفه ابن داود البلوي بأنه الشيخ الإمام علم الأعلام فخر خطباء الإسلام سلالة الأولياء وخلف الأتقياء الأرضياء المسند الراوية المحدث العلامة المتفنن القدوة الحافل الكامل وأخذ العلم عن جماعة منهم عالم الدنيا أبوه قرأ عليه الصحيحين والموطأ وغيرهما كتابا من تآليفه وغيرها وتفقه وأجازه عموما وعن عالمي تلمسان أبوي الفضل ابن الإمام والعقباني وغيرهما كالبجائي والثعالبي والنظار أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم المشذالي وقاضي الجماعة ابن عقاب وحافظ الإسلام ابن حجر العسقلاني وكل هؤلاء أجازوه وقرأ عليهم مشافهة إلا ابن حجر فكتابة ومولده غرة ذي القعدة عام أربعة وعشرين وثمانمائة نصف ليلة الثلاثاء ومن شيوخه العلامة ابن العباس التلمساني وغيره (وقال) السخاوي قدم الكفيف مكة سنة احدى وستين وثمانمائة وسمعت سنة احدى وسبعين وثمانمائة أنه في الأحياء انتهى وأخذ عنه جماعة أئمة كالسنوسي صاحب العقائد الشهيرة وغيرها والونشريسي صاحب المعيار والعلامة أبي عبد الله بن العباس وحلاه بشيخنا ومفيدنا علم الأعلام وحجة الإسلام آخر حفاظ المغرب وقال قرأت عليه الصحيحين وبعض مختصري ابن الحاجب الفرعي والأصلي وحضرت عليه جملة من التهذيب وبعض الخونجي وغيرها وأخذ عنه بالإجازة عالم فاس ابن غازي حسبما ذكره في كتابه المسمى بالتعلل برسوم الإسناد بعد انتقال الساكن والناد وقال بعض الحفاظ إن وفاته عام أحد وتسعمائة بتلمسان وزرت قبره مرارا رحمه الله تعالى ونقل عنه المازوني في نوازله المسماة بالدرة المكنونة في نوازل مازونة (وأما) والده عالم الدنيا أبو عبد الله محمد بن مرزوق الشهير بالحفيد فهو البحر الإمام المشهور الحجة الحافظ العلامة المحقق الكبير النظار المطلع المصنف المنصف التقي الصالح الناصح الزاهد العابد الورع البركة الخاشع الخاشي النبيه القدوة المجتهد الأبرع الفقيه الأصولي المفسر المحدث الحافظ المسند الراوية الأستاذ المقرئ المجوّد النحوي اللغوي البياني العروضي الصوفي الأوّاب الولي الصالح العارف بالله الآخذ من كل فن بأوفر نصيب الراعي في كل علم مرعاه الخصيب حجة الله على خلقه المفتي الشهير الرحلة الحاج فارس الكراسي والمنابر سليل الأكابر سيد العلماء الأخيار وإمام الأئمة وآخر الشيوخ ذوي الرسوخ بدر التمام الجامع بين المعقول والمنقول والحقيقة والشريعة بأجل محصول آخر النظار الفحول

وقد ذكرنا في رسالة بيان أسماء الأئمة القطعية من الشيعة أسماءهم وأسماء أمهاتهم ومواضع قبورهم ومقادير أعمارهم وكم عاش كل واحد منهم مع أبيه ومن أدرك أجداده عليهم السلام ولكلثوم العتابي في الرشيد من أبيات

إمام له كف يضم بنانها * عصا الدين ممنوع من البر عودها
وعين محيط بالبرية طرفها * سواء عليه قربها وبعيدها
وأسمع يقظانا يبيت مناجيا * له في الحشا مستودعات يكيدها

(حدث) غوث بن المزرع قال حدثني خالد عن عمرو بن بحر الجاحظ قال كان كلثوم العتابي يضع من قدر أبي نواس فقال له راوية أبي نواس يوما كيف تضع من قدر أبي نواس وهو الذي يقول

إذا نحن أثنينا عليك بصالح * فأنت الذي نثني وفوق الذي نثني
وإن جرت الألفاظ منا بمدحة * لغيرك إنسانا فأنت الذي نعني

قال العتابي هذا سرقه قال ممن قال من أبي الهذيل الجمحي حيث يقول

وإذا يقال لبعضهم نعم الفتى * فابن المغيرة ذلك النعم
عقم النساء فلا يجئن بمثله * ان النساء بمثله عقم

قال لقد أحسن في قوله

شيخ المشايخ صاحب التحقيقات البديعه والاختراعات الانيقه والابحاث الغريبه والفوائد الغزيره المتفق على علمه وصلاحه وهديه الذكي الفهامة القدوة الذي لا يسمح الزمان بمثله أبدا أوحد الافراد في جميع الفنون الشرعية ذو المناقب العديده والاحوال السديده شيخ الاسلام وامام المسلمين ومفتي الانام الذي له القدم الراسخ في كل مقام ضيق والرحب الواسع في حل كل مشكل مقفل صاحب الكرامات والاستقامات السني السني الحريص على تحصيل السنة ومجانبة البدعة السيف المسلول على أهل البدع والاهواء الزائغة الذي أفاض الله تعالى على خلقه به بركته ورفع بين البرية محله ودرجته ووسع على خليقته به نحلته معدن العلم وشعلة الفهم وكيمياء السعادة وكنز الافادة ابن الشيخ الفقيه العالم أبي العباس أحمد ابن الامام العلامة الرئيس الكبير الخطيب الحافظ الرحلة الفقيه المحدث الشهير شمس الدين محمد ابن الشيخ العالم الصالح الولي المجاور أبي العباس أحمد ابن الفقيه الولي الصالح الخاشع محمد ابن الولي الكبير ذي الكرامات والاحوال الصالحة محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي التلمساني كان رحمه الله تعالى آية الله في تحقيق العلوم والاطلاع المفرط على النقول والقيام التام على الفنون باسرها (أما) الفقه فهو فيه مالك ولأزمة فروعه حائز ومالك فلو رآه الامام لقال له تقدم فلك العهد والولاية فتكلم فمنك يسمع فقهي وفروعي ومثلك من راعى ما ينبغي فروعي أو ابن القاسم لقر به عينا وقال له طالما دفعت عن المذهب عيبا وشينا أو المازري لعلم انه عناظرته حري أو الحافظ ابن رشد لقال هلم يا حافظ الرشد أو اللخمي لابصر منه محاسن التبصره أو القرطبي لنال منه التذكره أو القرافي لاستفاد منه قواعده المقرره أو ابن الحاجب لاستند الى بابه في كشف الاشكالات المحرره الى ما انضم الى ذلك من معرفة التفسير ودرره والاضطلاع بحقائق التأويل وغرره فلو رآه مجاهد لعلم أنه في التحقيق خير جاهد أو مقاتل لقال مثلك طبق من الفهوم الكلى وأصاب المقاتل أو الزمخشري لعلم انه كشاف الخفيات على الحقيقه وقال لكتابه تنح لهذا الحبر عن سلوك الطريقه أو ابن عطيه لركب في الرحلة الى الاستفادة منه المطيه أو أبو حيان لغرق في نهره ولم تسل له نقطة من بحره الى الاحاطة بالحديث وفنونه والاطلاع على أسانيده ومتونه ومعرفة منكره ومعروفه ونظم أنواعه ورصف صنوفه اذ له الرحلة انتهت في رواياته ودراياته وعليه المعول في حل مشكلاته وفتح مقفلاته (وأما) الاصول فالعضد ينقطع عند مناظرته ساعده والسيف يكل عند بحثه حده حتى يترك ما عنده ويساعده والبرهان لا يهتدي معه لحجه والمقترح لا يركب في بحره لجه (وأما) النحو فلو رآه محمود لتلجلج في قراءة المفصل واستقل ما عنده من القدر المحصل أو الرماني لاشتاق الى مفاكهته وارتاح واستجدى من ثمار فوائده وامتاح او الزجاج لعلم ان زجاجه لا يقوم بجواهره وانه لا يجري معه في هذا العلم الا في ظواهره بل لو رآه الخليل لقال هذا هو المقصد الجليل واثنى عليه بكل جميل وقال لفرسان النحو مالكم الى لحوق عربيته من سبيل (واما) البيان فالمصباح لا يظهر له نور عند هذا الصبح وصاحب المفتاح لا يهتدي معه الى الفتح والقزويني يلقي علومه

فتمشت في مفاصلهم* حيث يقول
اذا ما سقيم حل عنها وكاءها
تصعد فيه برؤها وتصوبا
وان خالطت منه الحشا خلت أنه
على سالف الايام لم يبق موهبا
قال فقد أحسن في قوله
وما خلقت الا لبذل أكفهم
واقدامهم الا لأعواد منبر
قال وقد سرقه أيضا قال عمن قال من مروان بن أبي حفصة حيث يقول
وما خلقت الا لبذل أكفهم
والسهم الا لتحبير منطق
فيوما يبارون الرياح سماحة
ويوما لبذل الخاطب المتشدق
قال فسكت الراويه ولو أتى بشعره كله لقال له سرقه
(وحدث) أبو العباس أحمد ابن يحيي ثعلب قال كان أبو العتاهية قد أكثر مسئلة الرشيد في عتبة فوعده بتزويجها وأنه يسألها في ذلك فان أجابت جهزها وأعطاه مالا عظيما ثم ان الرشيد سنح له شغل استمر به فحجب أبو العتاهية عن الوصول اليه فدفع الى مسرور الكبير ثلاث مراوح فدخل بها على الرشيد وهو يتبسم وكانت مجتمعة فقرأ على واحدة منهن مكتوبا
واقد تنسمت الرياح لحاجتي* فاذا لها من راحتيه شميم فقال أحسن الخبيث واذا على الثانية

لإيضاح المعاني والسعد يرقى بفهومه في مطالع المثاني وكم له من مناقب تحط عن
منازلها الثواقب ومواهب تجلو بأنوارها الغياهب (وأما) زهده وصلاحه فقد سارت به
الركبان واتفق عليه الثقلان فمن وصفه بالبحر فقليل دون علمه البحر أو البدر فما
يصل لخلقه البدر أو الدر فأنى يشبه منطقه الدر وبالجملة فالوصف يتقاصر عن صفاته
وفضلاء عصره لا يرتقون إلى صفاته فهو شيخ العلماء في أوانه وإمام الأئمة في عصره وزمانه
شهد بنشر علومه العاكف والبادي وارتوى من بحار تحقيقاته الظمآن والصادي

حلف الزمان ليأتين بمثله * حنثت يمينك يا زمان فكفر

هكذا وصفه بعض العلماء وهو فوق ذلك كله (وقال في حقه) بلديّنا الشيخ أبو الفرج
ابن أبي يحيى الشريف التلمساني رحمه الله تعالى هو شيخنا الإمام العالم العلم جامع أشتات
العلوم الشرعية والعقلية حفظا وفهما وتحقيقا راسخ القدم رافع لواء الإمامة بين الأمم
ناصر الدين بيده ولسانه وبنانه وبالقلم محيي السنة بالفعال والمقال والشيم قطب الوقت
في الحال والمقام والنهج الواضح والسبيل الأمم مستمر على الإرشاد والهداية والتبليغ
والإفادة ذو الرواية والدراية والعناية ملازم الكتاب والسنة على نهج الأئمة
المحفوظين من البدع في زمن لا عاصم فيه من أمر الله إلا من رحم وهمة عليه ورتبة سنيه
وأخلاق مرضيه وفضل وكرم إمام الأئمة وعالم الأمة الناطق بالحكم ومنير الظلم
سليل الصالحين وخلاصة مجد التقى والدين نتيجة مقدمات المهتدين حجة الله على العالم
والقائم جامع بين الشريعة والحقيقة على أصح طريقة متمسك بالكتاب لا يفارق فريقه
الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد اتصلت به فأويت منه إلى ربوة ذات قرار ومعين وقصرت
توجهي عليه ومثلت بين يديه فأنزلني أعلى الله قدره منزلة ولده رعاية للذمم وحفظا
على الود الموروث من القدم فأفادني من بحار علمه ما تقصر عنه العبارة ويكل دونه القلم
فقرأت عليه جملة من تفسير القرآن ومن الحديث صحيح البخاري بقراءتي وقراءة غيري مرارا
وصحيح مسلم كذلك وسنن الترمذي وأبي داود بقراءتي والموطأ سماعا وتفقها والعمدة ومن
علم الحديث أرجوزة الحديقة وبعض الكبرى وهي الروضة تفقها ومن العربية نصف
المغرب تفقها وجميع كتاب سيبويه كذلك وألفية ابن مالك وأوائل شرح الإيضاح لابن
أبي الربيع وبعض المغني لابن هشام ومن الفقه التهذيب كله تفقها وابن الحاجب
الفرعي وبعض مختصر خليل والتلقين وثاني الجلاب وجملة من المتيطية والبيان لابن
رشد وبعض الرسالة وكل ذلك قراءة تفقه وتفقهت عليه من كتب الشافعية في تنبيه
الشيرازي ووجيز الغزالي من أوله إلى كتاب الإقرار ومن كتب الحنفية مختصر
القدوري تفقها ومن كتب الحنابلة مختصر الخرقي تفقها ومن أصول الفقه المحصول
ومختصر ابن الحاجب والتنقيح وكتاب المفتاح للجدي وقواعد عز الدين وكتاب
المصالح والمفاسد له وقواعد القرافي وجملة من النظائر والأشباه للعلائي وإرشاد العميدي
ومن أصول الدين المحصل والإرشاد تفقها وفي القراآت قصيدة الشاطبي تفقها وابن
البري ومن البيان التلخيص والإيضاح والمصابيح وكلها تفقها ومن التصوف

أعلقت نفسي من رجائك ماله * عنق يحث إليك بي ورسيم فقال قد أجاد وإذا على الثالثة
ولربما استأسيت ثم أقول لا
ان الذي ضمن النجاح كريم
فقال قاتله الله ما أحسن
ما قال ثم دعا به وقال ضمنت
لك يا أبا العتاهية وفي غد
نقضي حاجتك إن شاء الله
وبعث إلى عتبة أن لي إليك
حاجة فانتظريني الليلة في
منزلك فأكبرت ذلك
وأعظمته وصارت إليه
تستعفيه فحلف أن لا يذكر
لها حاجته إلا في منزلها فلما
كان الليل سار إليها ومعه
جماعة من خواص خدمه
فقال لها لست أذكر حاجتي
أو تضمنين قضاءها قالت
أنا أمتك وأمرك نافذ في
ما خلا أمر أبي العتاهية
فإني حلفت لأبيك رضي
الله عنه بكل يمين يحلف
بها بر وفاجر وبالمشي إلى
بيت الله الحرام حافية كلما
انقضت عني حجة وجبت
علي أخرى لا أقتصر على
الكفارة وكلما أفدت شيئا
تصدقت به إلا ما أصلي فيه
وبكت بين يديه فرق لها
ورحمها وانصرف عنها
وغدا عليه أبو العتاهية
فقال له الرشيد والله
ما قصرت في أمرك ومسرور
وحسين ورشيد وغيرهم
شهود لي بذلك وشرح له
الخبر قال أبو العتاهية فلما
أخبرني بذلك مكثت مليا
لا أدري أين أنا قائم أو قاعد وقالت الآن يئست منها إذ ردتك وعلمت أنها لا تجيب أحدا بعدك فلبس أبو

الاحياء للسعد الى سوى الربيع الاخير منه وألبسني خرقة التصوف كما ألبسه أبوه وعمه
وهما ألبسهما أبوهما جده انتهى ملخصا * وكتب المذكور تحت هذا ما نصه صدق السيد
ابن السيد ابن السيد أبو الفرج المذكور فيما ذكر من القراءة والسماع والتفقه وبر وقد
أجزته في ذلك كله فهو حقيق بجامع الانصاف وصدق النظر جعلني الله واياه ممن علم وعمل
لآخرته واعتبر قاله محمد بن مرزوق انتهى وقال تلميذه الولي أبو زيد سيدي عبد الرحمن
الثعالبي قدم علينا بتونس شيخنا أبو عبد الله بن مرزوق فأقام بها فأخذت عنه كثيرا وسمعت
عليه جميع الموطا بقراءة صاحبنا أبي حفص عمر ابن شيخنا محمد القلشاني وختمت عليه
أربعينيات النووي قرأتها عليه في منزله قراءة تفهم فكان كلما قرأت عليه حديثا يعلوه
خشوع وخضوع ثم يأخذ في البكاء فلم أزل أقرأ وهو يبكي الى أن ختمت الكتاب وكان
من أولياء الله الذين اذا رؤوا ذكر الله وأجمع الناس على فضله من المغرب الى الديار المصرية
واشتهر ذكره في البلاد فكان بذكره تطرز المجالس وجعل الله تعالى حبه في قلوب العامة
والخاصة فلا يذكر في مجلس الا والنفوس مشتوقة الى ما يحكى عنه وكان في التواضع
والانصاف والاعتراف بالحق في الغاية وفوق النهاية لا أعلم له نظيرا في ذلك في وقته ثم ذكر
كثيرا جدا من الكتب مما سمعه عليه وأطال في ذلك وقال في موضع آخر هو سيدي الشيخ
الامام والحبر الهمام حجة أهل الفضل في وقته وخاتمتهم ورحلة النقاد وخلاصتهم
ورئيس المحققين وقادتهم السيد الكبير والذهب الابريز والعلم الذي نصبه التمييز ابن
البيت الكبير والفلك الاثير ومعدن الفضل الكثير سيدي أبو عبد الله محمد ابن الامام
الجليل الاوحد الاصيل جمال الفضلاء سلسل الاولياء أبي العباس أحمد ابن العالم
الكبير العلم الشهير تاج المحدثين وقدوة المحققين أبي عبد الله محمد بن مرزوق * وقال
أيضا في موضع آخر هو شيخي الامام العلم الصدر الكبير المحدث الثقة المحقق بقية المحدثين
وامام الحفظة الاقدمين والمحدثين سيد وقته وامام عصره وورع زمانه وفاضل
أقرانه أعجوبة أوانه وفاروق زمانه ذو الاخلاق المرضيه والاحوال الصالحة السنيه
والاعمال الفاضلة الزكيه أبو عبد الله * وقال في حقه المازوني في أول نوازله شيخنا الامام
الحافظ بقية النظار والمجتهدين ذو التواليف العجيبه والفوائد الغريبه مستوفي
المطالب والحقوق أبو عبد الله بن مرزوق * وقال تلميذه الحافظ العلامة أبو عبد الله التنسي
عند ذكره ان امامنا مالكا سئل عن أربعين مسئلة فقال في ست وثلاثين لا أدري وجنة العالم
لا أدري ما نصه ولم نر فيمن أدركنا من شيوخنا من تمرن على هذه الخصلة الشريفة
ويكثر استعمالها غير شيخنا العالم العلامة رئيس علماء المغرب على الاطلاق أبي عبد الله
محمد بن أحمد بن مرزوق * وقال الشيخ أبو الحسن القلصادي في رحلته أدركت بتلمسان
كثيرا من العلماء والعباد والزهاد والصلحاء أولاهم في الذكر والتقديم الشيخ الفقيه الامام
العلامة الكبير الشهير شيخنا وبركتنا أبو عبد الله بن مرزوق حل كنف العلم والعلا
وجل قدره في الجلة والفضلا قطع الليالي ساهرا وقطف من العلم أزاهرا فأثمر وأورق
وغرب وشرق حتى توغل في فنون العلم واستغرق الى أن أطلع للابصار هلالا لأن الغرب

العتاهية الصوف وقال في ذلك من أبيات قطعت منها حبائل الآمال * وحططت عن ظهر المطي رحالي
ووجدت برد الياس بين جوانحي
فغنيت عن حل وعن ترحال
(وذكر) أنه لما اتصل بالرشيد قول أبي العتاهية
ألا ان ظبيا للخليفة صادني
ومالي عن ظبي الخليفة من عذر
غضب الرشيد وقال أسخر منا فبعث وأمر بحبسه فدفعه الى تجاب صاحب عقوبته وكان فظا غليظا فقال أبو العتاهية
تجاب لا تعجل علي
فليس ذا من رائه
ما خلت هذا في مخا
يل ضوء برق سمائه
وكان من أشعاره في الحبس بعدما طال مكثه
انما أنت رحمة وسلامه
زادك الله غبطة وكرامه
قيل لي قد رضيت عني فمن لي
أن أرى لي على رضاك علامه
فقال الرشيد لله أبوه لو رأيته ما حبسته وانما سجنت نفسي بحبسه لانه كان غائبا عني وأمر باطلاقه وأبو العتاهية الذي يقول
نراع لذكر الموت ساعة وقته
ونغتر بالدنيا فنلهو ونلعب
ونحن بنو الدنيا خلقنا لغيرها * وما كنت فيه فهو شيء محبب وهو الذي يقول أيضا

مطلعه

مطالعه وسما في النفوس موضعه وموقعه فلا ترى أحسن من لقائه ولا أسهل من القائه لقي الشيوخ الأكابر وبقي جده مغترفا من بطون الكتب وألسنة الأقلام وأفواه المحابر وكان رضي الله عنه من رجال الدنيا والآخرة وكانت أوقاته كلها معمورة بالطاعات ليلا ونهارا من صلاة وقراءة قرآن وتدريس علم وفتيا وتصنيف وكانت له أوراد معلومة وأوقات مشهوده وكانت له بالعلم عنايه تكشف بها العمايه ودرايه تعضدها الروايه ونباهه تكسب النزاهه فقرأت عليه رضي الله عنه بعض كتابه في الفرائض وأواخر ايضاح الفارسي وشيأ من شرح التسهيل وعرضت عليه اعراب القرآن وصحيح البخاري والشاطبيتين وأكثر ابن الحاجب الفرعي والتلقين وتسهيل ابن مالك والالفية والكافية وابن الصلاح في علم الحديث ومنهاج الغزالي وبعض الرسالة وغيرها ثم توفي يوم الخميس عصر رابع عشر شعبان عام اثنين وأربعين وثمانمائة وصلى عليه بالجامع الازهر بعد صلاة الجمعة وحضر جنازته السلطان فمن دونه ولم أر مثلها قبل وأسف الناس لفقده وآخر بيت سمع منه قبل موته

ان كان سفك دمي أقصى مرادكم * فما غلت نظرة منكم بسفك دمي

انتهى ملخصا * (وفي فهرست ابن غازي في ترجمة شيخه أبي محمد الورياطي ما صورته) وممن لقي من شيوخ تلمسان المحروسة الامام العلم العلامة الصدر الاوحد المحقق النظار الحجة العالم الرباني أبو عبد الله بن مرزوق وقد حدثني بكثير من مناقبه وصفة اقرائه وقوة اجتهاده وتواضعه لطلبة العلم وشدته على أهل البدع وما اتفق له مع بعضهم الى غيرها من شيمه الكريمه ومحاسنه العظيمه انتهى * وقال بعضهم في حقه انه كان يسير سيرة سلفه في العلم والتخلق والحلم والشفقة وحب المساكين آية الله في الفهم والذكاء والصدق والعدالة والنزاهة واتباع السنة في الاقوال والافعال ومحبة أهلها في جميع الاحوال مبغضا لاهل البدع ومحبا سد الذرائع له كرامات انتهى * وأما شيوخه فمنهم العلامة السيد عبد الله الشريف التلمساني وعالم المغرب القاضي سيدي سعيد العقباني التلمساني والولي العابد الصالح أبو اسحق سيدي ابراهيم المصمودي وأفرد ترجمته بتآليف وعن أبيه وعمه ويروي عن جده بالاجازة وابن عرفة وأبي العباس القصار التونسي وبفاس عن النحوي أبي حيان وأبي زيد المكودي وجماعة غيرهما وبمصر عن السراج البلقيني والزين الحافظ العراقي والشمس الغماري والسراج بن الملقن وصاحب القاموس والمحب بن هشام صاحب المغني والنور النويري والولي بن خلدون والقاضي التنيسي وغيرهم وأخذ عنه جماعة كالثعالبي والقاضي عمر القلشاني وابن العباس نصر الزواوي والولي سيدي الحسن بن كان وابنه وأبي البركات الغماري وأبي الفضل المشدالي وقاضي غرناطة أبي العباس بن أبي يحيى الشريف وابراهيم بن قائد وأبي العباس الندرومي وابنه الكفيف وسيدي علي بن ثابت والشهاب ابن كحيل التجاني والعلامة أحمد بن يونس القسمطيني والعلامة يحيى بن بيدير وأبي الحسن القلصادي والشيخ عيسى بن سلامة البكري وغيرهم كالحافظ التنيسي التلمساني * قلت وسندي اليه عن عمي الامام سيدي سعيد المقري عن الشيخ أبي عبد الله التنيسي عن

عجبا لمنتبه يضيع ما
يحتاج فيه ليوم رقدته

وقال

لا تأمن الدنيا على غدرها
كم غدرت قبل بأمثالكا
أجمع الناس على ذمها
وما أرى منهم لها تاركا

وقال

انما أنت مستعير ماسوى
بردين والمعار يرد
كيف يهوى امرؤ لذاذة أيا
م عليه الانفاس فيها تعد

وقال

حياتك أنفاس تعد فكلما
مضى نفس منها نقصت به جزأ

وقال

ألا يا موت لم أر منك بدا
أتيت بما يحيف ولا تحابي
كأنك قد هجمت على مشيبي
كما هجم المشيب على شبابي

وقال

نسيت الموت فيما قد نسيت
كأني لم أرى أحدا يموت
أليس الموت غاية كل حي
فمالي لا أبادر ما يفوت

وقال

وعظتك أحداث صمت
ونعتك ألسنة خفت
وتكلمت عن أعظم
تبلى وعن صور سبت
وأرتك قبرك في القبو
ر وأنت حي لم تمت

وقال

والده الحافظ أبي عبد الله محمد التنيسي المذكور عن ابن مرزوق المذكور بكل مروياته وتآليفه وقال السخاوي في حقه هو أبو عبد الله يعرف بحفيد ابن مرزوق وقد يختص بابن مرزوق وقد تلا لنافع على أبي عثمان الزروالي وانتفع في الفقه بأبي عبد الله بن عرفة وأجازه أبو القاسم محمد بن الخشاب ومحمد بن علي الحفار الانصاري ومحمد القيجاطي وحج قديما سنة تسعين وسبعمائة رفيقا لابن عرفة وسمع من البهاء الدماميني والنور العقيلي بمكة وفيها قرأ البخاري على ابن صديق ولازم المحب بن هشام في العربية وكذا حج سنة تسع عشرة وثمانمائة ولقيه الزين رضوان بمكة وكذا لقيه ابن حجر انتهى * وأما تواليفه فكثيرة منها شروحه الثلاثة على البردة وسمى الاكبر اظهار صدق المودة في شرح البردة واستوفى فيه غاية الاستيفاء وضمنه سبعة فنون في كل بيت والاوسط والاصغر المسمى بالاستيعاب لما فيها من البيان والاعراب ومنها المفاتيح القرطاسيه في شرح الشقراطيسيه والمفاتيح المرزوقية في استخراج رجز الخزرجيه ورجز في علوم الحديث سماه الروضة ومختصره في رجز سماه الحديقة ورجز في الميقات سماه المقنع الشافي مشتمل على ألف وسبعمائة بيت ونهاية الامل في شرح الجمل أي جمل الخونجي واغتنام الفرصه في محادثة عالم قفصه وهو أجوبة عن مسائل في فنون العلم وردت عليه من علامة قفصة أبي يحيى بن عقبة فاجابه عنها والمعراج الى استمطار فوائد الاستاذ ابن سراج في كراسة ونصف أجاب به أبا القاسم بن سراج الغرناطي عن مسائل نحوية ومنطقية وأنوار اليقين في شرح حديث أولياء الله المتقين وهو حديث أول حلية أبي نعيم في شان البدلاء وغيرهم والدليل المومى في ترجيح طهارة الكاغد الرومي والنصح الخالص في الرد على مدعي رتبة الكامل الناقص في سبعة كراريس رد به على عصريه الامام أبي الفضل قاسم العقباني في فتواه في مسئلة الفقراء الصوفية لما صوب العقباني صنيعهم وخالفه هو ومختصر الحاوي في الفتاوى لابن عبد النور والروض البهيج في مسائل الخليج وأنوار الدراري في مكررات البخاري ورجز تلخيص ابن البناء ورجز تلخيص المفتاح نظمه في حال صغره ورجز حرز الاماني ورجز جمل الخونجي ورجز اختصار ألفية ابن مالك وتأليفه في مناقب شيخه المصمودي وتفسير سورة الاخلاص على طريقة الحكماء وهذه كلها تامة * وأما ما لم يكمل من تآليفه فالمتجر الربيح والسعي الرجيح والمرحب الفسيح في شرح الجامع الصحيح وروضة الاريب في شرح التهذيب والمنزع النبيل في شرح مختصر خليل شرح منه كتاب الطهارة في مجلدين ومن الاقضية الى آخره في سفرين وايضاح السالك على ألفية ابن مالك الى اسم الاشارة أو الموصول مجلد كبير في قدر شرح المرادي وشرح شواهد شراح الالفية الى باب كان مجلد وله خطب عجيبة * وأما أجوبته وفتاويه على المسائل المنوعة فقد سارت بها الركبان شرقا وغربا بدوا وحضرا وقد نقل المازوني والونشريسي منها جملة وافرة ومن تآليفه أيضا عقيدته المسماة عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمة التقليد والآيات الواضحات في وجه دلالة المعجزات والدليل الواضح المعلوم في طهارة كاغد الروم واسماع الصم في اثبات الشرف من قبل الام وذكر السخاوي أن من تواليفه شرح ابن الحاجب الفرعي وشرح

من حجري وجلست مكاني فاذا شاب حسن القد عليه مقطعات خز وهيئة جميلة فدخل وسلم وجلس فجعلت أعجب من دخوله في ذلك الوقت الى ذلك الموضع بغير استئذان ثم قلت في نفسي عسى بعض ولد الرشيد ممن لا نعرفه ولم نره فضرب بيده على العود فاخذه ووضعه في حجره وجسه فرأيت أنه جس أحسن خلق الله ثم أصلحه اصلاحا ما أدري ما هو ثم ضرب ضربا فاسمعت اذني صوتا اجود منه ثم اندفع يغني

الا عللاني قبل أن نتفرقا
وهات اسقني صرفا شرابا مروقا
فقد كاد ضوء الصبح أن يفضح الدجا
وكاد قميص الليل أن يتمزقا

ثم وضع العود من حجره وقال يا عاض بظر أمه اذا غنيت فغن هكذا ثم خرج فقمت على اثره فقلت للحاجب من الفتى الذي خرج الساعة فقال ما دخل هنا أحد ولا خرج فقمت متعجبا ورجعت الى مجلسي وانتبه الرشيد فقال ما شانك فحدثته بالقضية فبقي متعجبا وقال لقد صادفت شيطانا ثم قال أعد علي الصوت فاعدته فطرب طربا شديدا وأمر لي بجائزة وانصرفت (وحدث) ابراهيم الموصلي

التسهيل انتهى * ومولده كما ذكره في شرحه على البردة ليلة الاثنين رابع عشرى ربيع الاول عام ستة وستين وسبعمائة قال حدثتني أمي عائشة بنت الفقيه الصالح القاضي أحمد ابن الحسن المديوني وكانت من الصالحات ألفت مجموعا على أدعية اختارتها وكانت لها قوة على تعبير الرؤيا اكتسبتها من كثرة مطالعتها لكتب الفن انه أصابني مرض شديد أشفيت منه على الموت ومن شأنها وأبيها انهما لا يعيش لهما ولد الا نادرا وكانوا سموني أبا الفضل اول الامر فدخل عليها أبوها أحمد المذكور فلما رأى مرضي وما بلغ بي غضب وقال ألم أقل لكم لا تسموه أبا الفضل ما الذي رأيتم له من الفضل حتى تسموه أبا الفضل سموه محمدا الأسمع أحدا يناديه بغيره الا فعلت به وفعلت يتوعد بالادب قالت فسميناك محمدا ففرج الله عنك انتهى * (ومن فوائده ما حكى في بعض فتاويه) * قال حضرت مجلس شيخنا العلامة نخبة الزمان ابن عرفة رحمه الله تعالى أول مجلس حضرته فقرأ ومن يعش عن ذكر الرحمن فجرى بيننا مذاكرات رائقة وابحاث حسنة فائقة منها انه قال قرئ يعشو بالرفع ونقيض بالجزم ووجهها أبو حيان بكلام ما فهمته وذكر أن في النسخة خللا وذكر بعض ذلك الكلام فاهتديت الى تمامه فقلت يا سيدي معنى ما ذكره أن جزم نقيض بمن الموصولة لشبهها بالشرطية لما تضمنت من معنى الشرط واذا كانوا يعاملون الموصول الذي لا يشبه لفظه لفظ الشرط بذلك فما يشبه لفظ الشرط أولى بتلك المعاملة فوافق رحمه الله تعالى وفرح لما أن الانصاف كان طبعه وعند ذلك أنكر علي جماعة من أهل المجلس وطالبوني باثبات معاملة الموصول معاملة الشرط فقلت نصهم على دخول الفاء في خبر الموصول في نحو الذي يأتيني فله درهم من ذلك فنازعوني في ذلك وكنت حديث عهد بحفظ التسهيل فقلت قال ابن مالك فيما يشبه المسئلة وقد يجزم متسبب عن صلة الذي تشبيها بجواب الشرط وأنشدت من شواهد المسئلة قول الشاعر

كذاك الذي يبغي على الناس ظالما * تصبه على رغم عواقب ما صنع

فجاء الشاهد موافقا للعال انتهى بنقل تلميذه المازوني وقد ذكر الشيخ ابن غازي الحكاية في فهرسته في ترجمة شيخه الاستاذ الصغير وفيها بعض مخالفة لما تقدم فلنسقه قال حدثني أنه بلغه عن ابن عرفة انه كان يدرس من صلاة الغداة الى الزوال يقرأ فنونا ويبتدئ بالتفسير وأن الامام ابن مرزوق أول ما دخل عليه وجده يفسر هذه الآية ومن يعش عن ذكر الرحمن فكان أول ما فاتحه أن قال له هل يصح كون من هنا موصولة فقال ابن عرفة كيف وقد جزمت فقال له تشبيها لها بالشرط فقال ابن عرفة انما يقدم على هذا بنص من امام أو شاهد من كلام العرب فقال أما النص فقول التسهيل كذا وأما الشاهد فقول الشاعر

فلا تحفرن بئرا تريد أخا بها * فانك فيها أنت من دونه تقع

كذاك الذي يبغي على الناس ظالما * تصبه على رغم عواقب ما صنع

فقال ابن عرفة فأنت اذا ابن مرزوق قال نعم فرحب به انتهى وهو خلاف ما تقدم والاول أصوب لنقل غير واحد أن جزم الموصولات انما يكون في الجواب لا في الشرط والله تعالى أعلم وفي بعض المجاميع أن ابن عرفة اشتغل بضيافته لما انفصل المجلس * ومن

قال جمع الرشيد ذات يوم المغنين فلم يبق أحد من الرؤساء الاحضر وكنت فيهم وحضر معنا مسكين المدني ويعرف بأبي صدقة وكان يوقع بالقضيب مطبوعا حاذقا طيب العشرة مليح البادرة فاقترح الرشيد وقد عمل فيه النبيذ صوتا فأمر صاحب الستارة ابن جامع ان يغنيه ففعل فلم يطرب عليه ثم فعل مثل ذلك بجماعة ممن حضر فلم يحرك منه أحد فقال صاحب الستارة لمسكين المدني يأمرك أمير المؤمنين ان كنت تحسن هذا الصوت فغنه قال ابراهيم فاندفع فغناه فامسكنا جميعا متعجبين من جراءة مثله على الغناء بحضرتنا في صوت قد قصرنا فيه عن مراد الخليفة قال ابراهيم فلما فرغ منه سمعت الرشيد يقول يا مسكين أعده فاعاده بقوة ونشاط فقال أحسنت وأجدت ورفعت الستارة بيننا وبينه قال مسكين يا أمير المؤمنين ان لهذا الصوت خبرا قال وما هو قال كنت عبدا خياطا لبعض آل الزبير وكان لمولاي على ضريبة ادفع اليه كل يوم درهمين فاذا دفعت ضريبتي تصرفت في حوائجي فخطت يوما قميصا لبعض الطالبيين فدفع الي درهمين وتغديت وسقاني اقداحا فخرجت وأنا جذلان فلقيتني سوداء على رقبتها جرة وهي تغني هذا الصوت فاذهلني عن كل مهم وأنساني كل حاجة

فوائده انه كان صرف لفظ هريرة من أبي هريرة بناء على أن جزء العلم غير علم وخالفه أهل
فاس في ذلك لما بلغهم وسال الاستاذ ابن غير والحافظ القوري الى منع الصرف لوجوه ليس
هذا موضعها ومنها قول ابن مالك * ولاضطرار كبنات الاوبر * فانه مؤذن بأن جزء العلم علم
وقد ألف في المسئلة أبو العباس تأليفا سماه الاعتراف في ذكر ما في لفظ أبي هريرة من
الانصراف انتهى ومن نظمه

بلد الجدار ما أمر نواها * كلف الفؤاد بحبها وهواها
ياعاذلي كن عاذري في حبها * يكفيك منها ماؤها وهواها

ويعني ببلد الجدار تلمسان ولذلك قال في رجز في علم الحديث ما صورته

وأهلها اهل ذكاء وفطن * في رابع من الاقاليم قطن
يكفيك ان الداودي بها دفن * مع صحيحه ابن غزلون الفطن

قلت وحدثني عمي الامام سيدي سعيد المقري رحمه الله تعالى ان العلامة ابن مرزوق لما
قدم تونس في بعض الرسائل السلطانية طلب منه اهل تونس ان يقرأ لهم في التفسير بحضرة
السلطان فاجابهم الى ذلك وعينوا له محل البدء فطالع فيه فلما حضروا وقرأ القارئ غير ذلك
وهو قوله تعالى فمثله كمثل الكلب الآية وأرادوا بذلك افحام الشيخ والتعريض به فوجم
هنيهة ثم تفجر بينابيع العلم الى أن أجرى ذكر ما في الكلب من الخصال المحمودة وساقها
أحسن مساق وأنشد عليها الشواهد وجلب الحكايات حتى عد من ذلك جملة ثم قال في آخرها
فهذا ما حضر من محمود أفعال الكلب وخصاله غير أن فيه خصلة ذميمة وهي انكاره للضيف
ثم افترق المجلس وأخبرني انه أطال في ذلك المجلس من الصبح الى قرب الظهر وقد طال
عهدي بالحكاية وانما نقلتها بمعناها من حفظي وهي من الغرائب ولولا الاطالة لذكرت
ما وقع له مع بعض علماء برصة في الحجاز حسبما ذكره في مناقب شيخه المصمودي رحم الله
الجميع (رجع) الى ذكر مشايخ لسان الدين فنقول * ومن مشايخ لسان الدين الرئيس أبو
الحسن علي بن الجياب وهو كافي الاحاطة علي بن محمد بن سليمان بن علي بن سليمان بن الحسن
الانصاري الغرناطي أبو الحسن قال وهو شيخنا ورئيسنا العلامة البليغ * ومن مشايخه
أبو جعفر أحمد بن ابراهيم بن الزبير الثقفي وخلق قال وقد دونت شعره فمن معشراته قوله
في حرف الجيم

جريا على الزلات غير مفكر * جبانا على الطاعات غير معرج
جمعت لما يفني اغترارا بجمعه * وضيعت ما يبقى بحجة أهوج
جنونا بدار لا يدوم سرورها * فدعها سدى ليست بعشك فادرجي
جدالك في شأو الضلال سوابق * تفوت مدى سن الوجيه وأعوج
جهلت سبيل الرشد فاقصد دليله * تجد دار سعد بابها غير مرتج
جناب رسول ساد أولاد آدم * وقرب في السبع الطباق بمعرج
جمال أنار الارض شرقا ومغربا * فكل سني من سنى نوره المتبلج
جلا صدأ المرتاب أن سبح الحصى * لديه بنطق ليس بالمتلجلج

فقلت بصاحب هذا القبر والمنبر لا القيته عليك الا بدرهمين فاخرجت الدرهمين فدفعتهما اليها فانزلت الجرة عن عاتقها واندفعت فما زالت تردده حتى كأنه مكتوب في صدري ثم انصرفت الى مولاي فقال لي هلم خراجك فقلت كان وكان فقال يا ابن اللخناء وبطحني وضربني وحلق لحيتي ورأسي فبت يا أمير المؤمنين من أسوأ خلق الله حالا وأنسيت الصوت مما نالني فلما أصبحت غدوت نحو الموضع الذي لقيتها فيه وبقيت متحيرا لا أعرف اسمها ولا منزلها اذ نظرت بها مقبلة فانسيت كل ما نالني وملت اليها فقالت أنسيت الصوت ورب الكعبة فقلت الامر كما ذكرت وعرفتها ما مر بي من حلق الرأس واللحية فقالت وحق القبر ومن فيه لا فعلت الا بدرهمين فاخرجت جلمي ورهنته على درهمين فدفعتهما اليها فانزلت الجرة عن رأسها واندفعت فغنت فيه ثم قالت كأني بك مكان الاربعة دراهم أربعة آلاف دينار ثم انصرفت الى مولاي وجلا فقال هلم
خراجك فلويت لساني فقال يا ابن اللخناء ألم يكفك ما مر عليك بالامس فقلت اني اعرفك اني اشتريت

جعلت امتداحى والصلاة عليه لى * وسـائـل تخطيـنى بها أنام تجى
وقال من الاغراض الصوفية السلطانية

هات اسقنى صرفا بغير مزاج * راحى التى هى راحتى وعلاجى
ان صب منها فى الزجاجة قطرة * شف الزجاج عن السنى الوهاج
واذا الخليع أصاب منها شربة * حاجاه بالسر المصون محاجى
واذا المريد أصاب منها جرعة * ناجاه بالحق المبين مناجى
تاهت به فى مهمه لايهتدى * فيـه لتأويب ولاادلاج
يرتاح من طرب بها فكانما * غنته بالارمال والاهـزاج
هبت عليه نفحة قدسية * فى قىء باب دائم الارتاج
فاذا انتشى يوما وفيه بقية * سارت به قصدا على المنهاج
واذا تمكن منه سكر معربد * فليصبرن لمصرع الحلاج
قصرت عبارة فيه عن وجدانه * فغدا يفيض بنطق لجلاج
اعشاه نور للحقيقة باهـر * فتراه يخبط فى الظلام الداجى
رام الصعود بها لمركز أصله * فرمت به فى بحرها المواج
فلئن امد برحمة وسعادة * فليخلصن من بعد طول هياج
وليرجعن بغنيمه موفورة * ماشيب عذب شرابها باجاج
ولئن تخطاه القبول لما جنى * فليرجعن نكسا على الادراج
ماأنت الادرة مكنونة * قد أودعت فى نطفة أمشاج
فاجهد على تخليصها من طبعها * تعرج بها فى أرفع المعراج
واشدد يديك معا على حبل التقى * فان اعتصمت به فانت الناجى
ولدى العزبرا بسط بساط تذلل * والى الغنى امدد يد المحتاج
هذا الطريق له مقدمتان ما * دقتان أنجتا أصح نتاج
فاجنح الى ترك الهوى حل الاذى * واقنع من الاسهاب بالادماج
حرفان قد جمعا الذى قد سطروا * من بسط أقوال وطول حجاج
والمشرب الاصفى الذى من ذاقه * فقد اهتدى منه بنور سراج
أن لاترى الا الحقيقة وحدها * والكل مضطر اليها لاجى
هذى بدائع حكمة أنشاتها * باشارة المولى أبى الحجاج
وسع الانام بفضله وبعدله * وبحلمه وبجوده الثجاج
من آل نصر نخبة الملك الرضا * امن المروع هم وغيث الراجى
من آل قيلة ناصرى خير الورى * والخلق بين تخاذل وتحاج
ماذا أقول وكل قول قاصر * فى وصف بحر زاخر الامواج
منه لباغى العرف در فاخر * ولمن يعادى الدين هول فاجى
دامت سعودك فى مزيد والمنى * تاتيك أفواجا على أفواج

هـذا الصوت ولم يعلمنى امرأته طالق لو كنت قلته امس لاعتقتك فضحك الرشيد وقال ويلك ماأدرى اى الحسن حديثك ام غناؤك وقد امرت لك بما ذكرته السوداء فقبضه وانصرف والشعر
قف بالمنازل ساعة فتامل
فلسوف احمل للبلى فى محمل
(واجرى) الرشيد الخيل يوما بالرقة فلما أرسلت صار الى مجلسه فى صدر الميدان حيث توافى اليه الخيل فوقف على فرسه وكان فى أوائلها سوابق من خيله يقدمها فرسان فى عنان واحد لايتقدم أحدهما صاحبه فتاملها فقال فرسى والله ثم تامل الاخرة فقال فرس ابنى المامون قال فجا آ يجنكان أمام الخيل وكان فرسه السابق وفرس المامون ثانية فسر بذلك ثم جاء الخيل بعد ذلك فلما انقضى المجلس وهم بالانصراف قال الاصمعى وكان حاضرا للفضل ابن الربيع ياأبا العباس هذا يوم من الايام فاحب ان توصلنى الى أمير المؤمنين وقام الفضل فقال ياأمير المؤمنين هـذا الاصمعى يذكر شيأ من أمر الفرسين يزيد الله به أمير المؤمنين سرورا قال هاته فلما دنا قال ماعندك ياأصمعى قال ياأمير المؤمنين كنت وابنك اليوم والفرسين كما قالت الخنساء

تجاري أباه فاقبلا وهما * يتنازعان كتنازف الحصر وهما كأنهما وقد برزا * صقران قد حطا على وكر

(وقال من المطولات)

لمن المطايا في السراب سوابحا * تفلي الفلاة غواديا وروائحا
عوج كأمثال القسي ضوامر * يرمين في الآفاق مرمى نازحا

وقال يمدح و يصف مصنعا سلطانيا

زارت تجرر نحوه أذيالها * هيفاء تخلط بالنفار دلالها
فالشمس من حسد لها مصفرة * اذ قصرت عن أن تكون مثالها
وافتك عن زج لينها بقساوة * قد أدرجت طي العتاب نوالها
كم رمت كتم مزارها الكنه * صحت دلائل لم تطق اعلالها
تركت على الارجاء عند مسيرها * أرجا كأن المسك فت خلالها
ما واصلتك محبة وتفضلا * لو كان ذاك لواصلت افضالها
لكن توقعت السلو فجددت * لك لوعة لا تتقي ترحالها
فوجها قسما يحق بروره * لتجشمنك في الهوى أهوالها
حسنت نظام الشعر في أوصافها * اذ قبحت لك في الهوى أفعالها
يا حسن ليلة وصلها ماضرها * لو أتبعت من بعدها أمثالها
لما سكرت بريقها وجفونها * أهملت كاسك لم ترد اعمالها
هذا الربيع أتاك ينشر حسنه * فافسح لنفسك في مداه مجالها
واخلع عذارك في البطالة جامحا * واقرن بأسحار الهنا آصالها
في جنة تجلو محاسنها كما * تجلو العروس لدى الزفاف جمالها
شكرت أيادي للحيا شكر الورى * شرف الملوك همامها مفضالها
وصميمها أصلا وفرع فخيرها * ذاتا وخلقا سمحها بذالها
الطاهر الاعلى الامين المرتضى * بحر المكارم غيثها سلسالها
حاز المعالي كابرا عن كابر * وجرى لغايات الكرام فنالها
ان تلقه في يوم بذل هباته * تلق الغمائم أرسلت هطالها
أو تلقه في يوم حرب عداته * تلق الضراغم فارقت أشبالها
ملك اذا ما صال يوما صولة * خلت البسيطة زلزلت زلزالها
فبسيبه وبسيفه نالت المنى * واستعجلت أعداؤه آجالها
الواهب الآلاف قبل سؤالها * فكفى العفاة سؤالها ومطالها
القاتل الآلاف قبل قراعها * فكفى العداة قراعها ونزالها
ان قلت بحر كفه قصرت اذ * شبهت بالملح الاجاج نوالها
ملأ البسيطة عدله وأمانه * فالوحش لا تعدو على من غالها
وسقى البرية فيض كفيه فقد * عم البلاد سهولها وجبالها
جمع العلوم عناية بعيونها * آدابها وحسابها وجدالها
منقولها معقولها وأصولها * وفروعها تفصيلها اجمالها

برزت صفيحة وجه والده ومضى على غلوائه يجري أولى فأولى أن يقاربه لولا جلال السن والكبر

(حدث) ابراهيم بن المهدي قال استزرت الرشيد بالرقة فزارني وكان يأكل الطعام الحار قبل البارد فلما وضعت البوارد رأى فيما قرب اليه منها جام قريض سمك فاستصغر القطع وقال لم صغر طباخك تقطيع السمك فقلت يا أمير المؤمنين هذه ألسنة السمك قال فيشبه ان يكون في هذا الجام مائة لسان فقال مراقب خادمه يا أمير المؤمنين فيها أكثر من مائة وخمسين فاستحلفه عن مبلغ ثمن السمك فاخبره انه قام بأكثر من ألف درهم فرفع الرشيد يده وحلف ان لا يطعم شيئا دون أن يحضره مراقب ألف درهم فلما حضر المال أمر أن يتصدق به وقال أرجو أن يكون كفارة لسرفك في انفاقك على جام سمك ألف درهم ثم ناول الجام بعض خدمه وقال أول سائل تراه فادفعه اليه قال ابراهيم وكان شراء الجام على الرشيد بمائتين وسبعين دينارا فغمزت بعض خدمي للخروج مع الخادم ليبتاع الجام ممن يصير اليه وفطن الرشيد فقال له يا غلام اذا دفعته

فاذا

فاذا عفا تك عاينوك تهللوا * لما رأوا من كفك استهلالها
واذا عداتك أبصروك تيقنوا * أن المنية سلطت رئبالها
بددت شملهم ببيض صوارم * روّيت من علق الكماة نصالها
وأبحت أرضهم فاصبح أهلها * خورا تغادر نهبة أموالها
فتحت امارتك السعيدة للورى * أبواب بشرى واصلت اقبالها
وبنت مصانع رائقات ذكرت * دار النعيم جنانها وظلالها
وأجلها قدرا وأرفعها مدى * هذا الذى سام النجوم وطالها
هو جنة فيها الامير مخلد * بلغت امارته بها آمالها
ولارض أندلس مفاخر أنتم * أربابها أضفيتم سربالها
فحميتمو أرجاءها وكفيتمو * أعداءها وهديتمو ضلالها
فبآل نصر فاخرت لا غيرهم * لم تعتمد من قبلهم أقيالها
بمحمد ومحمد ومحمد * قصرت على الخصم الالد نضالها
فهم الالى ركبوا لكل عظيمة * جردا كسين من النجيع جلالها
وهم الالى فتحوا لكل ملمة * بابا أزاح بفتحه اشكالها
متقلدون من السيوف عضابها * متأبطون من الرماح طوالها
الراكبون من الجياد عرابها * والضاربون من العدا أبطالها
أولى عهد المسلمين ونخبة الاملاك صفوة محضها وزلالها
ان العباد مع البلاد مقرة * بفضائل لك مهدت أحوالها
فتفك عانيها وتحمى سربها * وتفيد حلما داعما جهالها

وقال يرثى ولده أبا القاسم رحمهما الله تعالى

هو البين حتما لا لعل ولا عسى * فما بال نفسى لم تفض عنده أسى
وما لفؤادى لم يذب منه حسرة * فتبا لهذا القلب سرعان ما قسا
وما لجفونى لا تفيض مرددا * من الدمع يهمى تارة ومورسا
وما للسانى مفصحا بخطابه * وما كان لو أوفى بعهد لينبسا
أمن بعدما أودعت روحى فى الثرى * ووسدت منى فلذة القلب مرمسا
وبعد فراق ابنى أبى القاسم الذى * كسانى ثوب الثكل لا كان ملبسا
أؤمل فى الدنيا حياة وأرتضى * مقيلا لدى أبنائها ومعرسا
فآها وللفعوع فيها استراحة * ولا بد للصدور أن يتنفسا
على عمر أفنيت فيه بضاعتى * فاسلمنى للقبر حيران مفلسا
ظللت به فى غفلة وجهالة * الى أن رمى سهم الفراق فقرطسا
الى الله أشكو برح حزنى فانه * تلبس منه القلب ما قد تلبسا
وهدّة خطب نازلتنى عشية * فما أغنت الشكوى ولا نفع الاسا
فقد صدّعت شملى وأصمت مقاتلى * وقد هدّمت ركنى الوثيق المؤسسا

الى سائل فقل له يقول لك أمير المؤمنين احذر أن تبيعه باقل من مائتى دينار فانه خير منها ففعل الخادم ذلك فوالله ما أمكن الخادم ان يخلصه من السائل الا بمائتى دينار * وقال ابراهيم ابن المهدى كنت أنا والرشيد على ظهر حراقة وهو يريد نحو الموصل والمدادون يمدون والشطرنج بين أيدينا فلما فرغنا قال لى الرشيد يا ابراهيم ما أحسن الاسماء قلت اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما الثانى بعده قلت اسم هرون اسم أمير المؤمنين قال فما أسمجها قلت ابراهيم فزأرنى وقال ويلك ابراهيم خليل الرحمن جل وعز قلت بشؤم هذا الاسم لقى مالقى من نمروذ قال وابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لاجرم لما سمى بهذا الاسم لم يعش قال فابراهيم الامام قلت بحرفة اسمه قتله مروان الجعدى فى جراب النورة وأزيدك يا أمير المؤمنين ابراهيم بن الوليد خلع وابراهيم بن عبد الله ابن الحسن قتل ولم أجد أحدا سمى بهذا الاسم الا رأيته مقتولا أو مضروبا أو مطرودا فما انقضى كلامى حتى سمعت ملاحا على بعض الحراقات يهتف باعلى صوته يا ابراهيم ياعاض كذا وكذا من أمه مد فالتفت الى الرشيد فضحك حتى فحص برجله قال

ثبت لها صبر الشدة وقعها * فما زلزلت صبري الجميل وقدرسا
وأطمع أن يلقى برحمته الرضا * وأجزع أن يشقى بذنب فينكسا
أبا القاسم اسمع شكو والدك الذى * حسا من كؤس البين أفظع ما حسا
وقفت فؤادى مذ رحلت على الاسى * فأشهد لا ينفك وقفا محبسا
وقطعت آمالى من الناس كلهم * فلست أبالى أحسن المرء أم أسا
تواريت يا شمسى وبدرى وناظرى * فصار وجودى مذ تواريت حندسا
وخلفت لى عبأ من الثكل فادحا * فأتعب الثكلان نفسا وأتعسا
احقا توى ذاك الشباب فلا أرى * له بعد هذا اليوم حولى مجلسا
فيا غصنا نضرا ثوى عندما استوى * فأوحشنى أضعاف ما كان آنسا
ويا نعمة لما تبلغتها انقضت * فأنعم أحوالى بها صار أبأسا
لودعته والدمع تهمى سحابه * كما اسلم السلك الفريد المخمسا
وقبلت فى ذاك الجبين مودعا * لأكرم من نفسى على وانفسا
وحققت من وجدى به قرب رحلتى * وماذا عسى ان ينظر الدهر من عسا
فيا رحمة للشيب يبكى شبيبة * قياس لعمرى عكسه كان اقيسا
فلو أن هذا الموت يقبل فدية * حبوناه اموالا كراما وانفسا
ولكنه حكم من الله واجب * يسلم فيه من بخير الورى ائتسى
تغمدك الرحمن بالعفو والرضا * وكرم مثواك الجديد وقدسا
وألف منا الشمل فى جنة العلا * فنشرب تسنيما ونلبس سندسا

وكتب الى القاضى الشريف وهو بوادى آش

اهزلا وقد جدت بك اللمة الشمطا * وأمنا وقد ساورت ياحية رقطا
اغرك طول العمر فى غير طائل * وسرك أن الموت فى سيره ابطا
رويدا فان الموت أسرع وافد * على عمرك الفانى ركائبه حطا
فاذ ذاك لا تسطيع ادراك ما مضى * بحال ولا قبضا تطيق ولا بسطا
نأهب فقد وافى مشيبك منذرا * وها هو فى فوديك احرفه خطا
فرافقت منه كاتب السر واشيا * له القلم الاعلى يخط به وخطا
معمى كتاب فكه احذر فهذه * سفينة هذا العمر قاربت الشطا
وان طالما خاضت به اللجج التى * خبطت بها فى كل مهلكة خبطا
ومازلت فى امواجها متقلبا * فآونة رفعا وآونة حطا
فقد أوشكت تلقيك فى قعر حفرة * تشد عليك الجانبين بها ضغطا
ولست على علم بما أنت بعدها * ملاق أرضوانا من الله أم سخطا
وأعجب شئ منك دعواك فى النهى * وهذا الهوى المردى على العقل قد غطى
قسطت عن الحق المبين جهالة * وقد خالفتك النفس فادعت القسطا
وطاوعت شيطانا تجيب اذا دعا * وتقبل ان أغوى وتأخذ ان اعطى

رسول عبد الله معه أطباق خيزران عليها مناديل ومعها كتاب بفعل الرش

جاري أباه فاقبلا وهما عنده فاذا
زت صفيحة وجه ثياب وبقول بره
الله وفضله ثم قال هذا
عبد الله بن صالح ثم كشف
المنديل فاذا بعضها فوق
بعض فى أحدها فستق وفى
الآخر بندق الى غير ذلك
من الفاكهة فقلت يا أمير
المؤمنين ما فى هذا البر
ما يستحق به هذا الدعاء
الا أن يكون فى الكتاب
شئ قد خفى على فنبذه الى
فاذا فيه دخلت يا أمير
المؤمنين بستانا لى فى
دارى عمرته بنعمتك وقد
أينعت فواكهه فأخذت
من كل شئ وصيرته فى
أطباق قضبان ووجهته
الى أمير المؤمنين ليصل
الى من بركة دعائه ما وصل
الى من نوافل بره قلت
ولا والله ما فى هذا أيضا
ما يستحق به هذا فقال
يا غبى أما ترى كيف كنى
بالقضبان عن الخيزران
اعظاما لأمنا رحمها الله
تعالى * ووقف رجل من
بنى أمية فى طريق الرشيد
ومعه كتاب فيه
يا أمين الله انى قائل
قول ذى لب وصدق
وحسب
لكم الفضل علينا ولنا
بكم الفضل على كل العرب
عبد شمس كان يتلو هاشما * وهما بعد لأم ولأب
فصل الارحام منا انما * عبد شمس عم عبد المطلب

ثانى

تناءى عن الاخرى وقد قربت مدى * تدانى من الدنيا وقد أزمعت شحطا
وتمنحها حبا وفرط صــــبابة * ومامنحت الا القتادة والخرطا
فها أنت تهوى وصلها وهى فارك * وتأمـل قربا من جماها وقد شطا
سراط هدى نكبت عنه عمـاية * ودار ردى أودعت فى سجنها سرطا
فـمالك الا السيد الشـافع الذى * له فضـل جاه كل ما يرتجى يعطى
دليـل الى الرحمن فانهج سـبيله * فمن حاد عن نهج الدليل فقد أخطا
محبتـه شرط القبول فمن خلت * صحيفتـه منها فقد فقد الشرطا
وما قبلت منـه لدى الله قربة * ولا زكت الاعمال بل حبطت حبطا
به الحق وضـاح به الافك زاهق * به الفوز مرجو به الذنب قد حطا
هو الملجأ الاحمى هو الموئل الذى * به فى غـد يستشفع المذنب الخطا
لقد مازجت روحى محبتـه التى * بقلبى خطت قبل أن أعرف الخطا
اليك ابن خير الخلق بنت بديهـة * تقبـل تبجيلا أناملك السبطا
وحيدة هذا العصر وافت وحيدة * لتبسط من شتى بدائعهـا بسطا
وتتلو آيات التشــــــيع انها * لموثقـة عهـدا ومحكمـة ربطا
لك الشرف المأثور يا ابن محمـــد * وحسبك أن تنمى الى سبطه سبطا
الى شرفى دين وعلم تظـاهرا * تبارك من أعطى وبورك فى المعطى
ورهطك أهل البيت بيت محمـد * فأعظـم به بيتا وأكرم به رهطا
بعثت به عقـدا من الدر فاخرا * وذكر رسول الله درته الوسطى
وأهـديت منهـا للسـيادة غادة * نظمت من الدر الثمين بهـا سمطا
وحاشيتهـا من كل ما شانهـا فان * تجد حوشى تجـد لفظها سبطا
وفى الطيبين الطاهرين نظمتها * فساعدها من أجل ذلك حرف الطا
عليـك سـلام الله ما ذر شـارق * وما رددت ورقاء فى غصنهـا الغطا

وقال
لله عصر الشباب عصرا * فـتح للخـير كل باب
حفظت ما شئت فيه حفظا * كنت أراه بـلا ذهاب
حتى اذا ما المشيب وافى * ند ولكــن بلا اياب
لا تعتنوا بعـدها بحفظ * وقيدوا العلم بالـكتاب

وقال
يا أيها الممسك البخيل * الملك المنفق الـكفيل
أنفق وثق بالاله ترجح * فان احسـانه جزيل
وقدم الاقربين واذكر * ما روى ابدا أبمن تعول

وقال
وقائـلة لم عراك المشيب * ومال بعهد الصبا من قدم
فقلت لهـا لم أشب كـبرة * ولـكنه الهـم نصف الهرم

وقال
أيعتادنى سقم وأنت طبيب * وتبعد آمالى وأنت قريب
يقينى أن الله جـل جـلاله * يقينى فراجى الله ليس يخيب

فامر له لكل بيت بالف دينار وقال لو زدتنا لزدناك (ودخل) عبد الملك بن صالح على الرشيد فقال له الحاجب ان أمـير المؤمـنين قـد اصيب فى هذه الليلة بولد وولد له ولد فعز وهن فلما مثل قال يا أمـير المؤمنين سرك الله فيما ساءك وجعل هذه لهذه ثوابا للصابر وجزاء للشاكر * ولما اشتدت علته وصار الى طوس سنة ثلاث وتسعين ومائة هون عليه الاطباء علتـه فارسل الى طبيب فارسى كان هنالك فاراه ماءه مع قوارير شتى فلما انتهى الى قارورته قال عرفوا صاحب هذا المـاء انه هالك فليوص فانه لا برء له من هـذه العـلة فبـكى الرشيد وجعل يردد هـذين البيتين
ان الطبيب بطبه ودوائه * لا يستطيع دفاع محذور أتى
ما للطبيب يموت بالداء الذى * قد كان يبرئ مثله فيما مضى
واشتد ضعفه وارجف الناس بموته فـدعا بحمار ليركبه فلما صار عليه سقطت فخذاه فـلم يثبت عـلى السرج فقال أنزلونى صدق المرجفون ثم دعا باكفان فاختار منها ما أراد وأمر بحفر قـبر فلما اطلع فيه قال ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه ثم دعا باخى رافـع فقـال أزعجتمونى حتى تجشمت هذه الاسفار مع علتى وضعفى وكان رافع ممن خرج عليه قال لا قتلنك قتلة ما قتـل مثلها احـد قبلك ثم أمر ففصـل عضوا عضوا

وقال
هى النفس ان أنت سامحتها * رمت بك أقصى مهاوى الخديعه
وان أنت جشمتها خطة * تنافى رضاها تجدها مطيعه
فان شئت فوزا فناقض هواها * وان واصلتك أجزها القطيعه
ولا تحسبأن بميعادها * فميعادها كسراب بقيعه

وقال
من أنت يا مولى الورى مقصوده * طوبى له قد ساعدته سعوده
فليشهدنك له فؤاد صادق * وشهوده قامت عليه شهوده
وليفنين عن نفسه ورسومه * طرا وفى ذاك الفناء وجوده
وليدهنه بارق يرقى به * فى أشرف المعراج ثم يعيده
حتى يظل وليس يدرى دهشة * تقريبه المقصود أم تبعيده
لكنه ألقى السلاح مسلما * فمراده ما أنت منه تريده
فلقد تساوى عنده اكرامه * وهوانه ومفيده ومبيده

وقال ملغزا فى جبل
حاجيت كل فطن لبيب * ما اسم لانثى من بنى يعقوب
ذات كرامات فزرها قربة * فزورها أحق بالتقريب
تشركها فى الاسم انثى لم تزل * حافظة لسرها المحجوب
وقد جرى فى خاتم الوحى الرضى * لها حديث ليس بالمكذوب
وهو اذا ما الهاء منه صحفت * صبغ الحياء لا الحيا المسكوب
فها كها واضحة أسرارها * فامها أقرب من قريب

وقال أيضا فى آب
حاجيتكم ما اسم علم * ذو نسبة الى العجم
يخبر بالرجعة وهو راجع كما زعم
وصف الحبيب هو بالتصحيف أو بدء قسم
دونكه أوضح من * نار على رأس علم

وقال فى كانون
وما اسم لسميين * ولم يجمعهما جنس
فهذا كلما يأتى * فبالآخر لى انس
وهذا ماله شخص * وهذا ماله حس
وهذا ماله سوم * وذا قيمته فلس
وهذا أصله الارض * وهذا أصله الشمس
وهذا واحد من سبعة تحيا بها النفس
فمن محموله الجن * ومن موضوعه الانس
فقد بان الذى الغز * ت ما فى أمره لبس

وقال فى سلم

بنى هاشم فقال ان كل مخلوق ميت وكل جديد بال وقد نزل بى ما ترون وأنا أوصيكم بثلاث الحفظ لامانتكم والنصيحة لائمتكم واجتماع كلمتكم وانظروا محمدا وعبد الله فمن بغى منهما على صاحبه فردوه عن بغيه وقبحوا له بغيه ونكثه وأقطع فى ذلك اليوم أموالا وضياعا (قال) الرياشى قال الاصمعى دخلت على الرشيد وهو ينظر فى كتاب ودموعه تنحدر على خديه فظللت قائما حتى سكن وحانت منه التفاتة فقال اجلس يا أصمعى أرأيت ما كان قلت نعم يا أمير المؤمنين قال أما والله لو كان لامر الدنيا ما رأيت هذا ورمى بقرطاس فاذا فيه شعر لابى العتاهية بخط جليل وهو

هل أنت معتبر بمن خليت
منه غداة مضى دساكره
وبمن أذل الموت مصرعه
فتبرأت منه عشائره
وبمن خلت منه أسرته
وبمن خلت منه منابره
أين الملوك وأين غيرهم
صاروا مصيرا أنت صائره
يا مؤثر الدنيا بلذته
والمستعد لمن يفاخره
نل ما بدا لك أن تنال من الدنيا فان الموت آخره ثم قال الرشيد كانى والله أخاطب بذلك دون الناس فلم يلبث بعد ذلك الا يسيرا

ما اسم مركب مفيد الوضع * مستعمل فى الوصل لا فى القطع
ينصب لكن اكثر استعمال من * يعنى به فى الخفض أو فى الرفع
هو اذا خففته مغيرا * تراه شملا لم يزل ذا صدع
فالاسم ان طلبته تجده فى * خامسة من الطوال السبع
وهو اذا صحفته يعرب عن * مكسر فى غير باب الجمع
له أخ أفضل منه لم تزل * آثاره محمودة فى الشرع
هما جميعا من بنى النجار والافضل أصل فى حنين الجذع
فها كه قد سطعت أنواره * لا سيما لكل ذاكى الطبع

وقال فى مائدة

حاجيت كل فطن نظار * ما اسم لانثى من بنى النجار
وفى كتاب الله جاء ذكرها * فقلما يغفل عنها القارى
فى خبر المهدى فاطلبها تجد * ان كنت من مطالعى الاخبار
ماهى الا العبد عيد رحمة * ونعمة ساطعة الانوار
يشركها فى الاسم وصف حسن * من وصف قضب الروضة المعطار
فها كه كالشمس فى وقت الضحى * فدشق منها حجب الاستار

(ثم قال لسان الدين) وأما نثره فمطولات عرفت بما تحلاها من الاحوال متونها وقلت لمكان البديهة والاستعجال عيونها وقد اقتنصت جزأ منها سميته نافعة من جم ونقطة من يم وولد بغرناطة فى جمادى الاولى عام ثلاثة وسبعين وستمائة وتوفى ليلة الاربعاء الثالث والعشرين من شوال عام سبعة وأربعين وسبعمائة وأنشدت من نظمى فى رثائه خامس يوم دفنه على قبره هذه القصيدة

ما للبراع خواضع الاعناق * طرق النعى فهن فى اطراق
وكأنما صبغ الشحوب وجوهها * والسقم من جزع ومن اشفاق
ما للصحائف صوحت روضاتها * أسفا وكن نضيرة الاوراق
ما للبيان كؤسه مهجورة * غفل المدير لها ونام الساقى
مالى عدمت تجلدى وتصبرى * والصبر فى الازمات من أخلاقى
خطب أصاب بنى البلاغة والحجا * شب الزفير به عن الاطواق
أما وقد أودى أبو الحسن الرضا * فالفضل قد أودى على الاطلاق
كنز المعارف لا تبيد نقوده * يوما ولا تفنى على الانفاق
من للبدائع أصبحت سمر السرى * ما بين شام للورى وعراق
من لليراع يجيل من خطيها * سم العدا ومفاتح الارزاق
قضب ذوابل مثمرات بالمنى * وأراقم ينفثن بالترياق
من للرقاع الحمر يجمع حسنها * خجل الخدود وصبغة الاحداق
تغتال احشاء العدو كأنها * صفحات دامية الغرار رقاق

(فلنذكر الآن جملا من أخبار البرامكة) لم يبلغ مبلغ خالد بن برمك أحد من ولده فى جودة رأيه وبأسه وجميع خلاله لا يحيى فى رأيه ولا الفضل فى جوده ولا جعفر بن يحيى فى كتابته وفصاحته ولا محمد ابن يحيى فى رأيه وهمته ولا موسى بن يحيى فى شجاعته وفيمن ذكرنا يقول الشاعر

أولاد يحيى بن خالد وهم * أربعة سيد ومتبوع
الخير فيهم اذا سألت بهم * مفرق فيهم ومجموع

ولما أفضت الخلافة الى الرشيد استوزر البرامكة فاحتازوا الاموال دونه حتى كان يحتاج الى اليسير من المال فلا يقدر عليه وكان ايقاعه بهم فى سنة سبع وثمانين ومائة واختلف فى سبب ذلك فقيل احتياز الاموال وأنهم أطلقوا رجلا من آل أبى طالب كان فى أيديهم وقيل غير ذلك والله أعلم (ويحكى) أنه ورد على الرشيد يوما كتاب صاحب البريد بخراسان ويحيى بن خالد بين يديه يذكر فيه أن الفضل بن يحيى تشاغل بالصيد واللذات عن النظر فى أمور الرعية فلما قرأه الرشيد رمى به ليحيى وقال له يا أبت اقرأ هذا الكتاب واكتب اليه كتابا يردعه عن مثل هذا فمد يده الى دواة الرشيد وكتب الى الفضل على ظهر كتاب الرشيد

وتهـــز أعطاف الولى كأنها ❊ راح مشعشعة براحـــة ساقى
من للفنون يجيـل فى ميدانها ❊ خيـل البيان كريمة الأعـراق
من للحقائق أبهمت أبوابها ❊ للناس يفتحها على استغلاق
من للمساعى الغر تقصـد جاهـه ❊ حرمانه نصرها عـلى الاخفاق
كم شـد من عقد وثيق حكمه ❊ فى الله أو أفـتى بحـل وثاق
رحب الذراع بكل خطب فادح ❊ أعيت رياضته على الحذاق
صعب المقادة فى الهوادة والهوى ❊ سهل على العافين والطراق
ركب الطريق الى الجنان وحورها ❊ يلقينـــه بتصافح وعناق
فاعجب لانس فى مظنـــة وحشـة ❊ ومقام وصـل فى مقام فـراق
أمطيا بمعـامـد العـمل الرضى ❊ ومكفنـا بمكارم الاخـلاق
ماكنت أحسب قبل نعشك أن أرى ❊ رضوى نسير به عـلى الاعناق
ماكنت أحسب قبل دفنك فى الثرى ❊ ان اللحود خزائن الأعـــلاق
يا كوكب الهدى الذى من بعده ❊ ركد الظلام بهـــذه الآفاق
ياواحـــدا مهما جرى فى حلبة ❊ جـــلى بغرة سابق السباق
ياثاويا بطن الضريح وذكره ❊ أبدا رفيـــق ركائب ورفاق
ياغوث من وصل الصريخ فلم يجد ❊ فى الارض من وزر ولا من واقى
ماكنت الا ديمـــة منشـــورة ❊ من غـــيرار عاد ولا ابراق
ماكنت الا روضـــة ممطورة ❊ ماشئت من ثمر ومن أوراق
ياظاعنا عنا العشى ركابه ❊ هـلا ثويت ولو بقـدر فواق
رفقا ابانا جـــل ماحملتنا ❊ لا تنس فينا عادة الاشـفاق
واسمع ولو بمزار فى الكرى ❊ تبـــقى بها منا على الارماق
واذا اللقـاء تصرمت اسـبابه ❊ كان الخيال تعلة المشـــتاق
عجبا لنفس ودعتـــك وايقنت ❊ أن ليس بعـد نوالك يوم تلاقى
ماعـذرها ان لم تقاسمك الردى ❊ فى فضل كأس قد شربت دهاق
ان قصرت اجفاننا عن أن ترى ❊ تبكى النجيع عليـك باستحقاق
واستوقفت دهشا فان قلوبنا ❊ نهضت بكل وظيفة الآماق
ثق بالوفاء عـلى المدى من فتيـة ❊ بك تقتـدى فى العهد والميثاق
سجعت بما طوقتها من منـــة ❊ حتى زرت بحمائم الاطواق
تبكى فراقك خـــلوة عمـرتها ❊ بالذكر فى طفـــل وفى اشراق
أما الثناء عـــلى علاك فذائع ❊ قد صح بالاجماع والاصـفاق
والله قد قـرن الثناء بارضـــه ❊ بثنائه من فوق سبع طباق
جادت ضريحـــك ديمـة هطالة ❊ تبكى عليـــه بواكف رقراق
وتغـمدتك من الاله ســـعادة ❊ تسمو بروحـــك للمحل الراقى

حفظك الله يابنى وأمتع بك قد انتهى الى أمير المؤمنين ما أنت عليه من التشاغل بالصيد ومداومة اللذات
عن النظر فى أمور الرعية
ماأنكره فعاود ماهو
أزين بك فانه من عاد الى
مايزينه لم يعرفه أهل دهره
الا به والسلام وكتب فى
أسفله هـذه الابيات
انصب نهارا فى طلاب العلا
واصبر على فقد لقاء الحبيب
حتى اذا الليل بدا مقبلا
واستترت فيه وجوه العيوب
فبادر الليل بما تشتهى
فانما الليل نهار الاريب
كم من فتى تحسبه ناسكا
يستقبل الليل بامر عجيب
ألقى عليه الليل أستاره
فبات فى لهو وعيش خصيب
ولذة الاحمق مكشوفة
يسعى بها كل عدو رقيب
والرشيد ينظر الى ما يكتب
فلما فرغ قال أبلغت ياأبت
فلما ورد الكتاب على
الفضل لم يفارق المسجد نهارا
الى أن انصرف عن عمله
(قال) اسحق كنت عند
الرشيد يوما وأحضر البرامكة
الشراب وأحضر يحيى بن
خالد جارية فغنت
أرقت حتى كأنى أعشق
الارقا
وذبت حتى كأن السقم لى
خلقا
وفاض دمعى على قلبى
فاغرقه
يامن رأى غرقا فى الماء
محترقا
فقال الرشيد لمن هذا فقيل لخالد بن يزيد الكاتب قال خالد فاحضرت وقيل للجارية أعيدى فاعادت فقال لمن

صبرا بني الجياب ان فقيدكم * سيسر مقدمه بما هو لاقي
واذا الاسى لفح القلوب أواره * فالصبر والتسليم أى رواق

انشد في هذا الغرض الفقيه أبو عبد الله بن جزى

ألم تر أن المجد أقوت معالمه * فاطنابه قد قوضت ودعائمه
هوى من سماء المعلوات شهابها * وخانت جواد المكرمات قوائمه
وثلت من الفخر المشيد عروشه * وفلت من العز المنيع صوارمه
وعطل من حلى البلاغة قسها * وعرى من جود الانامل حاتمه
أجل انه الخطب الذي جل وقعه * وثلم غرب الدين والعلم حاهمه
والافا للنوم طار مطاره * وما للريم الحزن قصت قوادمه
وما للصباح الانس أظلم نوره * وما لمحيا الدهر قطب باسمه
وما للدموع العين فضت كانها * فواقع زهر والجفون كمائمه
قضى الله في قطب الرياسة أن قضى * فشتت ذاك الشمل من هو ناظمه
ومن قارع الايام سبعين حجة * ستنبو عراراه وينـدق قائمه
وفي مثلها أعيا النطاسى طبه * وضل طريق الحزم في الرأى حازمه
تساوى جواد في رداه وباخل * فلا الجود واقيه ولا البخل عاصمه
وما نفعت رب الجياد كرامه * ولا منعت منه الغنى كرائمه
وكل تلاق فالفراق أمامه * وكل طلوع فالغروب ملازمه
وكيف مجال العقل في غير منفذ * اذا كان باني مصنع هو هادمه
ليبك عليا مستجير بعدله * يصاخ لشكواه ويجمع ظالمه
ليبك عليا ماخ بحر علمه * يروى بانواع المعارف هائمه
ليبك عليا مظهر فضل نجحه * يجلا عن ورد الماء ثم حائمه
ليبك عليا معتف جود كفه * يواسيه في أمواله ويقاسمه
ليبك عليا ليله وهو قائم * يكابده أو يومه وهو صائمه
ليبك عليا فصل كل بلاغة * يخلده في صفحة الطرس راقمه
وشخص ضئيل الجسم يرهب نفثه * ليوث الشرى في خيسها وضراغمه
تكفل بالرزق المقدر للورى * اذا الله أعطى فهو في الناس قاسمه
يسدده سهما وينضوه صارما * ويشرعه رمحا فكل يلائمه
اذا سال من شقيه سائل حبره * تحاشاه منه سائل فهو عالمه
ليبك عليه اليوم من كان باكيا * فتلك مغانيه خلت ومعالمه
تقلد منه الملك عضب بلاغة * يقد السلوقى المضاعف صارمه
وقلده مثنى الوزارة فاكتفى * بها المعى حازم الرأى عازمه
ففي يده وهو الزعيم بحقها * براعته والمشرفى وخاتمه
سخى على العافين سهل قياده * أبى على العادين صعب شكائمه

سرورك المال عن موعدى
فصيرت تفاحتي تذكره
فاخذ الرشيد تفاحة وكتب
عليها بغالية
تقاضيت وعدى ولم أنسه
فتفاحتي هذه معذره
ثم قال يا خالد قل في هذا شيأ
فقال
تفاحة خرجت بالدر من
فيها
أشهى الى من الدنيا وما فيها
بيضاء من حمرة غلت بغالية
كانما قطفت من خد مهديها
(حدث الجاحظ) عن
أنس بن أبي شيخ قال ركب
جعفر بن يحيى ذات يوم
وأمر خادما له أن يحمل
ألف دينار وقال سأجعل
طريقي على الاصمعي فاذا
حدثني فرأيتني ضحكت
فاجعلها بين يديه ونزل جعفر
عند الاصمعي فجعل يحدثه
بكل أعجوبة ونادرة تطرب
وتضحك فلم يضحك وخرج
من عنده فقال له أنس رأيت
منك عجبا أمرت بالف دينار
للاصمعي وقد حركك بكل
مضحكة وليس من عادتك
ان ترد الى بيت مالك ما قد
خرج عنه فقال له ويحك انه
قد وصل اليه من أموالنا
مائة ألف درهم قبل هذه
المرة فرأيت في داره حباء
مكسورا وعليه دراعة خلق
ومقعدا وسخا وكل شئ عنده رثا وأنا أرى ان لسان النعمة انطق من لسانه وأن ظهور الصنيعة أمدح

اذا اضلت الآراء في ليل حادث * رآها برأي يصدع الخطب ناجمه
وقام بأمر الدين والملك حاميا * فذل معاديه وضل مراغمه
وقد كان نيط العلم والحلم والتقى * به وهو ما نيطت عليه تمائمه
ودوخ أعناق الليالي بهمة * يبيت ونجم الافق فيها يزاحمه
وزاد على بعد المنال تواضعا * أبى الله الا أن تتم مكارمه
سقيت الغوادي أي علم وحكمة * ودين متين ذلك القبر كاتمه
ومازال يستسقى بدعوتك الحيا * وها هو يستسقي لقبرك ساجمه
بكت فقدك الكتاب اذ كان شملهم * يؤلفه من دوح فضلك ناعمه
وطوقتهم بالبر ثم سقيتهم * نداك فكمت الروض ناحت حمائمه
ويبكيك مني ذاهب الصبر موجع * توقد في جنبيه للحزن جاحمه
فتى نال منه الدهر الا وفاءه * فما وهنت في حفظ عهد عزائمه
عليل الذي زرت عليه جيوبه * قريح الذي شدت عليه حزائمه
لقد كنت ألقى الخطب منه بجنة * تعارض دوني بأسه وتصادمه
سأصبر مضطرا وان عظم الاسى * أحارب حزني مرة وأسالمه
وأهديك اذ عز اللقاء تحية * وطيب ثناء كالعبير نواسمه

وأنشد الفقيه القاضي أبو جعفر بن جزي قصيدة أولها

أبثكما والصبر للعهد ناكث * حديثا املته على الحوادث

وأنشد القاضي أبو بكر بن علي القرشي قصيدة أولها

هي الآمال غايتها نفاد * وفي الغايات تمتاز الجياد

وأنشد الفقيه الكاتب القاضي أبو القاسم بن الحكم قصيدة أولها

لينع الحجا والحلم من كان ناعيا * ويرع العلا والعلم من كان راعيا

وهذه ثلاث قصائد مطولات يخرج استقصاؤها عن الغرض فكان هذا التأبين غريبا لم يتقدم به عهد بالحضرة لكونها دار ملك والتجلة في مثل هذا مقصورة على أولي الامر انتهى ما لخصته من ترجمته في الاحاطة ولنزد فنقول ومن ألغازه في الدرهم

ما بغيض الى الكرام خصوصا * وحبيب الى الانام عموما
فاعجبوا منه كيف يحمي ويحمى * ويكف العدا ويغني العديما
ان تغير شطريه فالاول اسم * يألف الضرع والغمام السجوما
ويكون الثاني كبير أناس * حطمته حياته تحطيما
فاذا ما قلبت أول شطر * رد منطوق لغزه مفهوما
واذا ما قلبت ثاني شطر * كان كفا وليس كفا رقيما
قلبه بعد حذفك الفاء منه * هو شيء يحلل التحريما
أو صغير مستحسن لم يؤدب * ان تعلمه يقبل التعليما
فلتبين ما قلته ولتعين * وبه فلتقم مقاما كريما

فعلى أي وجه أعطيه اذا كانت الصنيعة لم تظهر عنده ولم تنطق النعمة بالشكر وأهجى من مدحه وهجائه عنه وفي الرشيد وجعفر يقول الشاعر

أضاف الى بيعته بيعة * فقام بها جعفر وحده
بنو برمك أسسوا ملكه * وشدوا الوارثه عقده

وكان يحيي بن خالد ذا بحث ونظر وله مجلس يجتمع فيه أهل الكلام من أهل الاسلام وغيرهم من أهل النحل فقال لهم يحيي وقد اجتمعوا عنده قد أكثرتم الكلام في الكون والظهور والقدم والحدوث والاثبات والنفي والحركة والسكون والمماسة والمباينة والوجود والعدم والجر والطفرة والاجسام والاعراض والتعديل والتجرير والكمية والكيفية والمضاف والامامة أنص هي أم اختيار وسائر ما توردونه من الكلام في الاصول والفروع فقولوا الآن في العشق على غير منازعة وليورد كل واحد منكم ما سنح له فيه وخطر بباله فقال علي بن هيثم أيها الوزير العشق ثمر المشاكلة وهو دليل على تمازج الروحين وهو من بحر اللطافة ورقة الصنيعة وصفاء الجوهر والزيادة فيه نقصان من الجسد وقال أبو مالك الحضرمي وهو خارجي المذهب أيها الوزير العشق نفث السحر

وقال فى المسك

ما ظاهر طيب ولكن * ما أصله من ذوى الطهاره
من الظباء الحسان لكن * اذا تأملته فأره
نص حديث الرسول فيه * شهادة تقتضى بشاره
تصحيفه بعد حذف حرف * منزلك الآهل العماره يعنى مبنى

وقال فى فلك

ما اسم لشئ مرتقى * فى مغرب ومشرق
اذا حذفت فاءه * كان لك الذى بقى

وقال أيضا فى الفنار

ما اسم اذا حذفت منه فاءه المنوعه
فاءه ابنة الزنا * مضافة لاربعه يعنى ابنة الزناد وهى النار

وقال فى النوم

ما اسم مسماه به * يسقط حكم التكليف
وان دخلت البيت بالتصحيف حق التعنيف
وان أردت شبهه * فقلبه بالتصحيف
بينه فهو فى كتا * ب الله بادى التعريف

وقال فى غزال

حاجيتكم ما اسم شئ * يروق فى الوصف حسنا
له محاسن شتى * منها فرادى ومثنى
٣ * له بل الشعر أثنى
مهما تناله بحذف * أتاك حرف المعنى
ان زال أول حرف * زال الذى منه يعنى
أو زال ثانيه منه * فالقتل أدهى وأفنى
أو زال ثالثه فهو لغوصب معنى
أو زال رابعه فالجهاد فيه تسنى
فأوضح القصد يامن * قد فاق عقلا وذهنا

وقال فى النمل

ما حيوان اسمه * قد جاء فى الذكر الحكيم
وهو اذا قلبته * لمن به انت عليم
وان تصحف اسمه * فبعض اوصاف اللئيم

وقال فى دواة

وما انثى بهارعى الرعايا * وامضاء المنايا والقضايا
وتقصدها بنوها من رضاع * اذا انبعثوا لابرام القضايا

صيب المزن فى خلال الرمل تنقاد له العقول وتستكين له الآراء وقال أبو الهذيل وهو مغربى أيها الوزير العشق يختم على النواظر ويطبع على الافئدة مرتعى فى الاجساد ومسرعة فى الاكباد وصاحبه منصرف الظنون متغير الاوهام لا يصفو له موجود ولا يسلم له موعود تسرع اليه النوائب وهو جرعة من نقيع الموت وبقية من حياض الثكل غير أنه من أريحية تكون فى الطبع وطلاوة توجد فى الشمائل وصاحبه جواد لا يصغو الى داعية المنع ولا يسنح به نازع العذل وقال النظام ابراهيم بن يسار المعتزلى العشق أرق من الشراب وأدب من الشباب وهو من طينة عطرة عجنت فى اناء الحلى حلو المجتنى ما اقتصد فاذا أفرط عاد أصلا قاتلا وفسادا معضلا لا يطمع فى اصلاحه له سحابة غزيرة على القلوب فتعشب شغفا وتثمر كلفا وصريعه دائم اللوعة ضيق المتنفس مشارف الزمن طويل الفكر اذا جنه الليل أرق واذا وضحه

٣ ط ث ٣ هكذا بياض بالاصل ولعله (المشرفية تثناء) تأمل اه من هامش الاصل المطبوع

ومن يليهم حتى طال الكلام فى العشق بالفاظ مختلفة ومعان تتقارب وتتناسب وفيما مر دليل عليه (قال المسعودى) تنازع الناس فى ابتداء وقوع الهوى وكيفيته وهل ذلك من نظر وسماع واختيار واضطرار وما علة وقوعه بعد أن لم يكن وزواله بعد كونه وهل ذلك فعل النفس الناطقة أو الجسم وطباعه فقال بقراطه وامتزاج النفسين كما لو امتزج الماء بماء مثله عسر تخليصه بحيلة من الاحتيال والنفس ألطف من الماء وأرق مسلكا فمن أجل ذلك لا تزيله الليالى ولا تخلقه الدهور دق عن الاوهام مسلكه وخفى عن الابصار موضعه غير أن ابتداء حركته من القلب ثم تسير الى سائر الاعضاء فتظهر الرعدة فى الاطراف والصفرة فى الالوان واللجلجة فى الكلام والضعف فى الرأى حتى ينسب صاحبه الى النقص وذهب بعض الاطباء الى ان العشق طمع يتولد فى القلب وتجتمع اليه مواد الحكمة فاذا اقوى زاد بصاحبه الاهتياج واللجاج والفكر والامانى ويبس الدماغ وذلك أن التمادى فى الطمع للدم محرق فاذا احترق استحال الى السوداء فاذا

لها اسم ان أزلت النقط منه * فعذ بالله من شر البلايا
وان أبدلت آخره بهمز * فقد أبرأت نازلة الشكايا
وان بدلت أوله بنون * أتيت ببعض أرزاق المطايا
فأوضح ما رمزناه بفكر * سديد القصد مبد للخفايا

وقال فى سفينة

ماذات نفع وغناء عظيم * لها حديث فى الزمان القديم
أوحى بها الله الى عبده * فخذ افعل الرسول الكريم
دعا بها فيما مضى صالح * حسبك ما نص الكتاب الحكيم
وفى كتاب الله تردادها * فاقرأ تجده فى قضايا الكليم
ان أنت صحفت اسمها تلقه * محل انس أو بلاء مقيم
أو هو فعل لك فيما مضى * لكن اذا ابرأت داء السقيم
فهاكه قد لاح برهانه * مبينا الكل فكر سليم

وقال فى المسك ايضا

كتمتم كثيرا ولم تكتبوا * كهذا الذى سبله واضحه
هما اسم جرى ذكره فى الكتاب * فان شئته فاقرأ الفاتحه
ففيها مصحف مقلوبه * يعبر عن حالة صالحه
ولست بغادية فاعلموا * ولكنها ابدا رائحه

ويعنى بقوله فى الفاتحة قوله اول الابيات كتمتم فافهم

وقال فى صقر

حاجيتكم ما اسم لبعض السباع * تصحيفه ما لك فيه انتفاع
وعكسه ان شئت عكسا له * يوجد لكن عند دور السماع
وان تصحف بعد قلب له * فمذهب يعزى لاهل النزاع
فبين الالغاز وارفع لنا * بنور فكر منك عنه القناع

وقال فى الحوت

ماحيوان فى اسمه * ان اعتبرته فنون
أحرفه ثلاثة * والكل منها هو نون
ان انت صحفت اسمه * فاجناه المذنبون
أو ابيض أو أسود * او صفة النفس الحزون
قلب اسمه مصحفا * عليه دارت السنون
كانت به فيما مضى * عبرة قوم يعقلون
اودع فيه زمنا * سر من السر المصون
فهاكه كالنار فى الزند له فيها كمون

وقال فى لبن

أفديك ما اسم اذا ما * صحفته فهو سبع
وان تصحف بعكس * ففيه للقبط شرع
والاسم يعرب عما * لديه ري وشبع
في النحل يأتي ولكن * لا يتقي فيه لسع
فليس للنحل أصلا * ولا لها فيه فرع
فها كه قد تبدى * بجيبه عنه رفع

وقال في القلم

ومأموم به عرف الامام * كما باهت بصحبته الكرام
له اذ يرتوي طيشان صاد * ويسكن حين يعروه الاوام
ويذري حين يستسقي دموعا * يرقن كما يروق الابتسام

وله رحمه الله تعالى كثير من هذا ولم أر أحدا أحكم الالغاز مثل ما أحكمه ابن الجياب المذكور ولولا الاطالة لذكرت منها ما يستدل به على صحة الدعوى وفيما ذكرنا كفاية *(ومن نظم الرئيس ابن الجياب المذكور) في رثاء عمر بن علي بن عتيق القرشي الهاشمي الغرناطي قوله

قضى الامر فيا نفس اصبري * صبر تسليم لحكم القدر
وعزاء يا فؤادي انه * حكم ملك قاهر مقتدر
حكمة أحكمها تدبيره * نحن منها في سبيل السفر
أجل مقدر ليس بمستقدم يوما ولا مستأخر
أحسن الله عزاء كل ذي * خشية لربه في عمر
في امامنا التقي الخاشع الطاهر الذات الزكي النير
قرشي هاشمي منتقى * من صميم الشرف المطهر
يشهد الليل عليه أنه * دائم الذكر طويل السهر
في صلاة بعثت وفودها * زمر المصطفى من مذمر
قائما وراكعا وساجدا * لطلوع فجره المنفجر
جمع الرحمن شملنا غدا * بحبيب الله خير البشر
وتلقته وفود رحمة الله تأتي بالرضا والبشر انتهى

قلت هذا النظم وان ورد بما فيه من الزحاف فله من الوعظ وذكر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم خير لحاف *قال لسان الدين ولما نظم القاضي أبو بكر بن شبرين بيت الكتابة وما ألف الجملة هذين البيتين

ألا يا محب المصطفى زد صبابة * وضمخ لسان الذكر منك بطيبه
ولا تعبأن بالمبطلين فانما * علامة حب الله حب حبيبه

وأخذ الاصحاب في تذييل ذلك قال الشيخ الرئيس أبو الحسن بن الجياب رحمه الله تعالى ورضي عنه

طباع السوداء فتختلط الكيموسات فحينئذ يشتد ما به فيموت أو يقتل نفسه وربما شهق فتخفى روحه أربعا وعشرين ساعة فيظن انه مات فيصير حيا وربما تنفس الصعداء فتخفى روحه في تامور قلبه وينضم القلب ولا ينفرج حتى يموت وربما ارتاح وتشوق ونظر الى من يحب فجأة وقد يرى العاشق اذا سمع ذكر من يحب كيف يموت دمه ويحول لونه وقال بعضهم ان الله خلق كل روح مدورة على هيئة الكرة وجزأها انصافا وجعل لكل نصف جسدا فكل جسد لقي قسيمه وهو ذلك النصف من الكرة كان بينهما عشق المناسبة القديمة وقال نبينا صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وذهب ما قوم الى تعتقده العرب في ذلك ومنه قول جميل في بثينة

تعلق روحي روحها قبل خلقها
ومن قبل ما كنا نطافا وفي المهد
فزاد كما زدنا فأصبح ناميا
وليس وان متنا بمنتقض العهد
ولكنه باق على كل حالة * وزائرنا في ظلمة القبر واللحد

وقال جالينوس المحبة تقع بين العاقلين لتشابه كلهما

فمن يعمر الاوقات طرا بذكره * فليس نصيب في الهدى كنصيبه
ومن كان عنه معرضا طول عمره * فكيف يرجيه شفيع ذنوبه

وقال أبو القاسم بن أبي العافية

أليس الذي جلى دجى الجهل هديه * بنور أقنا بعد منهتدي به
ومن لم يكن من ذاته شكر منعم * فشهده في الناس مثل مغيبه

وقال ابو بكر بن ارقم

نبي هدانا من ضلال وحيرة * الى مرتقى سامي المحل خصيبه
فهل ينكر الملهوف فضل مجيره * و يغمط شاكي الداء شكر طبيبه

فانتهى القول الى الخطيب ابي محمد بن ابي الجد فقال

ومن قال مغرور احبابك ذكره * فذلك مغمور طريد عيوبه
وذكر رسول الله فرض مؤكد * وكل محق قائل بوجوبه

وقال يوما الشيخ ابو الحسن بن الجياب تجربة للخاطر على العادة

جاهد النفس جاهدا فاذاما * فنيت منك فهو عين الوجود
وليكن حكمها المسدد فيها * حكم سعد في قتله لليهود

فاجابه ابو محمد بن ابي الجد بقوله

ايها العارف المعبر ذوقا * عن معان عزيزة في الوجود
ان حال الفناء عن كل غير * كمقام المراد غير المريد
كيف لي بالجهاد غير معان * وعدوي مظاهر بجنود
ولواني حكمت فيمن ذكرتم * حكم سعد لكنت جد سعيد
فاراها حيا تهى فتونا * واراني في حبها كيزيد
كيف اسلو بحكم عن هواها * ولو ابدت فعل المحب الودود
ليس شيء سوى الهلك يبقى * واعتبر صدق ذا بقول لبيد

انتهى

وابن أبي الجد المذكور هو عبد الله بن عبد البر بن علي بن سليمان بن محمد بن محمد بن اشعث الرعيني من ارجدونة من كورة رية يكنى ابا محمد و يعرف بابن ابي الجد كان من اعلام الكورة سلفا وصلاحا ونية في الصالحين كثير الايثار عاتبسم ملايح التخلق حسن السمت طيب النفس حسن الظن له حظ من الادب والفقه والقراآت والفرائض وخوض في التصوف قطع عمره خطيبا وقاضيا ببلده وو زيرا قرأ على الاستاذ ابي جعفر بن الزبير وابن ابي فضيلة المعافري وابن رشيد واجازه طائفة كبيرة توفي ليلة النصف من شعبان عام تسعة وثلاثين وسبعمائة رحمه الله تعالى (رجع) ومن نظم ابن الجياب ما كتب على باب المدرسة العلمية بغرناطة

ياطالب العلم هذا بابه فتحا * فادخل تشاهد سناه لاح شمس ضحى
واشكر مجيرك من حل ومرتحل * اذ قرب الله من مرماك مانزحا
وشرفت حضرة الاسلام مدرسة * بها سبيل الهدى والعلم قد وضحا

فيه على طريق واحدة والاحمق لايجري على ترتيب ولايجوز أن يتفق فيه اثنان ولايختلفان وقسم بعض العرب الهوى فقال

ثلاثة أحباب فحب علاقة
وحب لتملاق وحب هو القتل

وقال الصوفية بغداد ان الله عز وجل انما امتحن الناس بالهوى لياخذوا أنفسهم بطاعة من يهوونه ليشق عليهم سخطه ويسرهم رضاه فيستدلوا بذلك على قدر طاعة الله اذ كان لامثل له ولانظير فاذا أوجبوا على أنفسهم طاعة سواه كان تعالى أحرى أن يتبع رضاه وللباطنية المتصوفة في هذا كلام كثير وقال افلاطون ما ادري ما الهوى غير أنه جنون والهوى لامحمود ولامذموم *وكتب بعض الكتاب الى أخ له اني صادفت منك جوهر نفسي فأنا غير محمود على الانقياد اليك لان النفس يتبع بعضها بعضا وللناس ممن خلف وسلف من الفلاسفة والفلكيين والاسلاميين وغيرهم كلام كثير في العشق قد أتينا على ذلك في كتابنا أخبار الزمان من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الداثرة وانما خرجنا عما كنافيه آنفا من أخبار البرامكة

أعمال يوسف مولانا ونيته * قد طرزت صحفا ميزانها رجحا

ومنه قوله

أبى الله الا أن تكون اليد العليا * لاندلس من غير شرط ولا ثنيا

وان هى عضتها بنوب نوائب * فصيرت الشهد المشور بها شريا

فما عدمت أهل البلاغة والحجا * يقيمون فيها الرسم للدين والدنيا

اذا خطبوا قاموا بكل بليغة * تحلى القلوب الغلف والأعين العميا

وان شعروا جاؤا بكل غريبة * تخال النجوم النيرات لها حليا

فأسأل فى الدنيا من الله ستره * علينا وفى الأخرى اذا حانت اللقيا

وقال أبو الحسن بن الجياب

أرى الدهر فى أطواره متقلبا * فلا تأمنن الدهر يوما فقد خدعا

فما هو الا مثل ما قال قائل * مكر مفر مقبل مدبر معا

(وحكى) أنه أهدى له الفقيه ابن قطبة رمانا ثم دخل عليه عائدا فلما رآه قال له يا فقيه نعم بالمدينة رمانك أراد نعمت الهدية رمانك وكان هذا قبل موته من مرضه بيسير وهو مما يدل على ثبوت ذهنه حتى قرب الموت سامحه الله تعالى *(ومن نثر ابن الجياب رحمه الله تعالى) ما كتبه عن سلطانه الى بعض سلاطين وقته وهو السلطان أبو سعيد المرينى صاحب فاس ونصه المقام لدى الملك المنصور الاعلام والفضل الثابت الاحكام والمجد الذى أشرقت به وجوه الايام والفخر الذى تتدارس أخباره بين الركن والمقام والعز الذى تعلو به كلمة الاسلام مقام محل الاب الواجب الاكبار والاعظام السلطان الكذا أبقاه الله فى ملك منيع الذمار وسعد باهر الانوار ومجد رفيع المقدار وسلطان عزيز الانصار كريم المآثر والآثار كفيل بالاعلاء لدين الله والاظهار معظم مقامه وموقره ومجل سلطانه ومكبره المثنى على فضله الذى أربى على ظاهره مضمره الشاكر لمجده الذى كرم أثره المعتد بأبوته العلية فى كل ما يقدمه ويؤخره ويورده ويصدره الداعى الى الله تعالى بطول بقائه فى سعد سام مظاهره حام عساكره فلان سلام كريم طيب برعميم يخص مقامكم الاعلى ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله الذى أولاكم ملكا منصورا وفخرا مشهورا وأحيا بدولتكم العلية لمكارم الاخلاق ذكرا منشورا والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله الذى اختاره بشيرا ونذيرا وشرح بهدايته صدورا وجعل الملأ الاعلى له ظهيرا والرضا عن آله وصحبه الذين ظاهروه فى حياته وخلفوه فى أمته بعد وفاته فنالوا فى الحالين فضلا مسطورا وأجرا موفورا والدعاء لمقامكم الاعلى أسماه الله تعالى بنصر لا يزال به الاسلام محبوا محبورا وسعد يملأ أرجاء البسيطة نورا فكتبته كتب الله لكم عوائد السعاده وحباكم من آلائه بالحسنى والزياده من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى وليس بفضل الله سبحانه ثم ببركة مقامكم أيد الله تعالى سلطانه الا الخير الاكمل والبر الاشمل والحمد لله كثيرا كما هو أهله فلا فضل الا فضله وأما الذى عندنا معظم أمركم من الاعظام لمقامكم والاكبار والثناء المردد المجدد على توالى الاعصار والشكر الذى تتلى سوره آناء الليل والنهار والعلم عالكم

عند ذكرنا العشق فتغلغل بنا الكلام الى ايراد جمع مما قيل فى ذلك فلنرجع الآن الى ما كنا فيه من أخبارهم واتساق أيامهم وانتظامها لهم بالسعود ثم انعكاسها الى النحوس ذكر ذو معرفة بأخبار البرامكة أنه لما بلغ جعفر ابن يحيى بن خالد بن برمك ويحيى بن خالد والفضل وغيرهم من آل برمك ما بلغوا فى الملك وتناهوا فى الرياسة واستقامت لهم الامور حتى قيل ان أيامهم عروس وسرور دائم لا يزول قال الرشيد لجعفر بن يحيى ويحك يا جعفر ليس فى الارض طلعة أنا بها آنس ولا اليها أميل وأنا بها أشد استمتاعا وأنسا منى برؤيتك وان للعباسة أختى منى موقعا ليس بدون ذلك وقد نظرت فى أمرى معكما فوجدتنى لا أصبر عنك ولا عنها ورأيتنى ناقص الحظ والسرور منك يوم أكون معها وكذلك حكمى فى يوم كونى معك دونها وقد رأيت شيأ يجتمع لى به السرور وتتكاثف لى به اللذة والانس فقال وفقك الله يا أمير المؤمنين وعزم لك على الرشد فى أمورك كلها قال له الرشيد قد زوجتكها تزويجا تملك به مجالستها والنظر اليها والاجتماع بها فى مجلس أنا معكما فيه فزوجه الرشيد بعد امتناع كان من جعفر اليه فى ذلك وأتى فأشهد له من حضره من خدمه وخاصة مواليه وأخذ

من المكارم التي سار ذكرها في الأقطار أشهر من المثل السيار والاعتداد بسلطانكم العلي في الإعلان والإسرار والاستناد إلى جنابكم الكريم في الأقوال والأفعال والأخبار فذلك لا يزال بحمد الله تعالى محفوظا ملحوظا بعين الاستبصار والله ولي العون على ذلك بفضله وطوله وإلى هذا أيد الله تعالى سلطانكم ومهد أوطانكم فقد تقدمت مطالعة مقامكم أسماه الله أن ملك قشتالة دس من يتحدث في عقد صلح يعود بالهدنة على البلاد ويرتفع به عنها مكابدته من جهة الأعادي وقدرنا أولا أن ذلك ليس على ظاهر الحال فيه وأنه يبدي به غير ما يخفيه ولكن جرينا معه في ذلك المضمار قصدا للتشوف على الأخبار فلما دار الحديث في هذا الحكم ظهر منه أنه قد جنح للسلم وكان خديمنا ثقرون زعيم الاتفاق قد ورد أشبيلية لبعض أشغاله فاستحضره وأخذ معه في أمر الصلح وشرح أحواله وأعاده إلى معظمكم ليستفهم ما عنده ويعلم مذهبه وقصده فأعيد إليه بأنه إن أراد المصالحة على صلح والده مع هذه الدار النصرية من غير زيادة على شروط تلك القضية ولا يعرض لاسترجاع معقل من المعاقل التي أخلصت من يد النصرانية وأن يكون عقده على الجزيرة الخضراء ورندة وغيرهما من البلاد الأندلسية فلا بد من مطالعة محل والدنا السلطان أمير المسلمين أبي سعيد أيده الله واستطلاع ما يراه وحينئذ نعمل بحسب نظره الجميل ومقتضاه وأكد على ثقرون في أنه إن انقاد لهذا الأمر فليعقد معه هدنة لا بد من الدهر بقدر ما يتسع لتعريفكم بهذه الحال وإعلامكم ويستطلع فيها نظر مقامكم فما هو إلا أن عاد يوم تاريخ هذا الكتاب ملك قشتالة وقد أجاب إلى الصلح وانقاد إليه على حسب ما شرط عليه وأعطى مهادنة مدة شهر قمير ليعرف فيها مقامكم ويعلم ما لديه ووافق ذلك وصول الشيخ الفقيه الأجل أبي عبد الله بن حبيشة أعزه الله من بابكم الكريم أسماه الله فأخذ معه في هذا القصد واستفهم عما لديه من مقامكم في ذلك من الإمضاء أو الرد فذكر أنكم قد أذنتم لمعظمكم في عقد السلم على ما يراه من الأحكام إذ ظهر فيها المصلحة لأهل الإسلام فلما عرف مذهبكم الصالح وقصدكم الناجح رأى أن يتوجه إلى ملك النصارى من يخلص معه حال الصلح على ما يعود إن شاء الله تعالى على المسلمين بالنجح وقدم تعريفكم بما دار من الحديث بين يدي جوابكم الوافد من مقامكم صحبة الفقيه أبي عبد الله أعزه الله تعالى ولا يخفى على مقامكم حاجة هذه البلاد في الوقت إلى هدنة يستدرك بها رمقها وما عاقبته من جهد الحرب وما حل بها في هذه السنين من القحط والجدب فالصلاح بحمد الله في هذه الحال بادي الظهور وإلى الله عاقبة الأمور هذا ما تزيد لدى معظم مقامكم وما يتزيد بعد فليس إلا المبادرة إلى مطالعتكم وإعلامكم وما كان إمساك الفقيه أبي عبد الله بن حبيشة في هذه الأيام إلا لانتظار خبر الصلح حتى يأتيكم به مستوفى الشرح وها هو قد أخذ في الرجوع إلى بابكم الأسمى والقدوم إلى حضرتكم العظمى والله يصل سعودكم ويحرس وجودكم ويبلغكم أملكم ومقصودكم والسلام * (ومن إنشاء ابن الجياب رحمه الله تعالى) في العزاء بالسلطان أبي الحسن المريني ماصورته بعد الصدر أما بعد حمد الله الواحد القهار الحي القيوم حياة لا تتقيد بالأعصار القادر الذي كل شيء في قبضة قدرته محصور بحكم الاضطرار الغني في ملكوته فلا

الرشيد عليه عهد الله ومواثيقه وغليظ أيمانه أنه لا يخلو بها ولا يجالس معها ولا يظله وإياها سقف بيت إلا وأمير المؤمنين الرشيد ثالثهما فحلف له جعفر على ذلك ورضي به وألزمه نفسه وكانوا يجتمعون على هذه الحالة التي وصفنا وجعفر في ذلك صارف بصره عنها مزور بوجهه هيبة لأمير المؤمنين ووفاء بعهده وأيمانه ومواثيقه على ما وافقه الرشيد عليه وعلقته العباسة وأضمرت الاحتيال عليه وكتبت إليه رقعة فأزال رسومها وتهددها وعادت فعاد بمثل ذلك فلما استحكم اليأس عليها قصدت لأمه ولم تكن بالحازمة فاستمالتها بالهدايا من نفيس الجواهر والألطاف وما أشبه ذلك من كثرة المال وألطاف الملوك حتى إذا ظنت أنها لها في الطاعة كالأمة وفي النصيحة والإشفاق كالوالدة ألقت إليها طرفا من الأمر الذي تريده وأعلمتها ما لها في ذلك من جزيل العاقبة وما لها من الفخر والشرف بمصاهرة أمير المؤمنين وأوهمتها أن هذا الأمر إذا وقع كان به أمان لها ولولدها من زوال النعمة وسقوط مرتبته فاستجابت لها أم جعفر ووعدتها أعمال الحيلة في ذلك وأنها تلطف لها حتى تجمع بينهما فأقبلت على جعفر يوما فقالت له يا بني قد وصفت

ـقـه لاحق الافتقار المريد الذى بارادته تصريف الاقدار وتقدير الآجال والاعمار
ـالم الذى لاتعزب عن علمه خفايا الاسرار وخبايا الافكار مالك الملك وأهله ومدبر
ـمور بحكمته وعدله تذكرة لاولى الالباب عبرة لاولى الابصار خالق الموت والحياة
ـقلنا من دار الفناء الى دار القرار والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله المصطفى
المختار الذى نهتدى بهديه الكريم فى الايراد والاصدار والاحلاء والامرار فى الشدة
والرخاء والسراء والضراء بسيره الكريمة الآثار ونتعزى بالمصيبة به عما دهم من
المصائب الكبار ونقدم منه الى ربنا شفيعا ماحيا للاوزار وآخذا بالحجز عن النار ونعلم
أننا باتباع سبيله نسعد سعادة الابرار وباقامة ملته وحماية شرعه ننال مرضاة الملك الغفار
والرضا عن آله وصحبه وأوليائه وحزبه الذين ظاهروه فى حياته على اقامة الحق الساطع
الانوار وخلفوه فى أمته قائمين بالعدل حامين للذمار والدعاء لمحل أبينا والدكم المقدس
قدس الله روحه وبرد ضريحه بالرحمة التى تتعهد روضته التى هى أذكى من الروض المعطار
والرضوان الذى يتبوّأ به متبوّأ صدق فى الملوك المجاهدين الاخيار ولمقامكم الاعلى بسعادة
المقدار وتمهيد السلطان وبلوغ الاوطار فانا كتبناه كتب الله لكم عوائد النصر وربط
على قلبكم بالصبر من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى عند ما تحقق لدينا النبأ الذى فت فى
الاعضاد وشب نار الاكباد والحادث الذى هدّ أعظم الاطواد وزلزل الارض الراسية
الاوتاد والواقع الذى لولا وجود كم لمحا رسم الاجواد وعطل رسوم الجهاد وكسا الآفاق
ثوب الحداد والخطب الذى ضاقت له الارض بما رحبت وأمرت الدنيا بما عذبت من
وفاة محل أبينا أكرم ملوك المسلمين المجاهد فى سبيل رب العالمين والدكم أتحفه الله تعالى
برود رضاه وجعل جنته نزله ومثواه ونفعه بما أسلف من الاعمال الكريمه وما خلده من الآثار
العظيمه فانا لله وانا اليه راجعون تسليما لما قضاه ورضا بما أنفذه وأمضاه وعند الله
نحتسبه منه والدا شفيقا حانيا رفيقا لم يزل يولى الجميل قوله وفعله ويصل لنا من أسباب
عنايته ما اقتضاه فضله وما هو أحق به وأهله وكنا طول حياته لم نجد أثر الفقد الوالد
لما أولانا من جميل العوائد وكرم المقاصد جزاه الله أحسن جزائه وأعاننا على توفية حقه
وأدائه ولمثل هذه المصيبة ولا مثل لها تظلم الارجاء ويضيق الفضاء وتبكيه مسوّمة
الجياد ومعالم الجهاد والسيوف فى الاغماد وشتى العباد والبلاد فلا تسألوا كيف
هو عندنا موقع هذا الخطب العظيم والحادث المقعد المقيم والرزية التى لا رزية مثلها
والحادثة التى أصيبت بها الملة وأهلها فوجدنا الفقد يتضاعف مع الآناء ويتجدد
تذكار ما أسلف من أعمال الملوك الفضلاء ولكنه أمر حتم وقضاء من الله جزم وسبيل
يسلك عليها الاول والآخر والآتى والغابر وليس الا التسليم لما حكم به الحكيم العليم
ولما انتهى الينا هذا النبأ الذى ملأ القلب حسره والعين عبره وتواترت شتى الانباء
وغلب اليأس فيها على الرجاء وجدناه ما يوجد لفقد الاب الذى ابتدأ بالاحسان والاجمال
وأولى عوارف القبول والاقبال ولكنه ما أطفأ نار ذلك الوجد وجبر كسر ذلك الفقد
الا ما من الله به علينا وعلى المسلمين من تقلدكم ذلك الملك الذى بكم سمت معالمه وقامت

وصيفة فى بعض القصور من تربية الملوك قد بلغت فى الادب والمعرفة والظرف
والحلاوة مع الجمال الرائع والقد البارع والخصال المحمودة ما لم ير مثله وقد عزمت على اشترائها لك وقد قرب الامر بينى وبين مالكها فاستقبل كلامها بالقبول وعلقت قلبه وتطلعت اليها نفسه وجعلت تمطله حتى اشتد شوقه وقويت شهوته وهو فى ذلك يلح عليها فلما علمت أنه قد عجز عن الصبر واشتد به القلق قالت له أنا مهديتها اليك ليلة كذا وكذا وبعثت الى العباسة فأعلمتها بذلك فتأهبت وسارت اليها تلك الليلة وانصرف جعفر من عند الرشيد وقد بقى فى نفسه من الشراب فضلة لما عزم عليه فدخل منزله وسأل عن الجارية فخبر بمكانها فأدخلت على فتى سكران لم يكن بصورتها عالما ولا على خلقها واقفا فقام اليها فواقعها فلما قضى اليها حاجته قالت له كيف رأيت حيل بنات الملوك قال وأى بنات الملوك تعنين وهو يرى أنها من بعض بنات الملوك فقالت أنا مولاتك العباسة بنت المهدى فوثب فزعا قد زال عنه سكره وفارقه عقله فاقبل عليها وقال لقد بعتنى بالثمن
الرخيص وحملتنى على المركب الوعر وانظرى ما يؤل اليه حالى وانصرفت مشتملة منه على

مراسمه وعليكم انعقد الاجماع وبولايتكم استبشرت الاصقاع وكيف لا تستبشر بولاية الملك الصالح الخاشع الاوّاب صاحب الحرب والمحراب عدة الاسلام وعلم الاعلام من ثبتت فضائله أوضح من محيا النهار وسارت مكارمه في الآفاق أشهر من المثل السيار وقد كان محل أبينا والدكم رضي الله عنه لما علم من فضائلكم الكريمة الآثار وما قمتم به من حقه الذي وفيتموه توفية الصلحاء الابرار ألقى اليكم مقاليد سلطانه وآثر اليكم أثر قبوله ورضوانه حتى انفصل عن الدنيا وقد ألبسكم من أثواب رضاه ما تنالون به قرة العين وعز الدارين والظفر بكلتا الحسنيين فتلك المملكة بحمد الله تعالى قد قام بها حامي ذمارها وابن خيارها ومطلع أنوارها الملك الرضي العدل الطاهر قوّام الدياجي وصوّام الهواجر حسنة هذا الزمان ونخبة ذلك البيت المؤسس على التقوى والرضوان فالحمد لله على أن جبر بكم صدع الايمان وانتضى منكم سيفا مسلولا على عبدة الصلبان وأقرّ بكم ملك آبائكم الملوك الاعاظم وتدارك بولايتكم أمر هذا الرزء المتفاقم فان فقدنا أعظم مفقود فقد ظفرنا بأكرم مقصود وما مات من أبقى منكم سلالة طاهرة تحيي سنن المعالي والمكارم وتعمل على شاكلة أسلافها الاكارم فتلك المملكة قد أصبحت بحمد الله ونور سعدكم في أرجائها طالع وسيف بأسكم في أعدائها قاطع وعزمكم الامضى لامرها جامع مانع قد أوت منكم الى الملجا الاحمى واستمسكت بآياتكم العظمى وعرفت انكم ستبدون فيها من آثار دينكم المتين وفضلكم المبين ومعاليكم القاطعة البراهين ما يملؤها عدلا واحسانا وتبلغ به آمالها أمنا ووجدانا فهنيئا لها ولنا أن صارت في ملككم وأن تشرفت بملككم وألقت مقاليدها الى من يحمي حماها ويدفع عداها وليهن ذلك المقام الاعلى ما أولاه من العز المكين وما قلده من الملك الذي هو نظام الدنيا والدين وأن أعطاه راية الجهاد فتلقاها باليمين لينصر بها ملة الرسول الصادق الامين فله الفخر بذلك على جميع السلاطين وأما هذه البلاد الاندلسية حماها الله فهي وان فقدت من السلطان الاعلى أبي سعيد أكرم ظهير ووقع مصابه منها بمحل كبير فقد لجأت منكم الى من يحميها ويكف بأس أعاديها ويبتغي مرضاة خالقها فيها فملككم بحمد الله تعالى مقتبل الشباب جديد الاثواب عريق الانساب أصيل الاحساب ومجدكم جار على أعراقه جري الجياد العراب وانا لما ورد علينا هذا النبأ معقبا بهذه البشرى ووفد علينا ذلك الخبر مردفا بهذه المسرة الكبرى علمنا أن الله سبحانه قد رأب ذلك الصدع بهذا الصنع الجميل وتلافى ذلك الخطب بذلك الخير الجزيل فأخذنا من مساهمتكم في الامور النصيب الوافر ورأينا أن آمالنا منكم قد جلت عن محياها السافر وعينا للوفادة على بابكم لينوب عنا في العزاء والهناء عين الاعيان الفضلاء ووجه القوّاد والكرماء * ولنقتصر على هذا المقدار من كلام الرئيس ابن الجياب رحمه الله تعالى ويظهر لي أن نظمه أعلى طبقة من نثره وعلى كل حال فهو لا يتكلف نظما ولا نثرا رحمه الله تعالى ورضي عنه وعامله بمحض فضله * (ومن أشياخ لسان الدين رحمه الله تعالى) الفقيه الكاتب البارع العلامة النحوي اللغوي صاحب العلامة بالمغرب الشهير الرئيس أبو محمد عبد المهيمن الحضرمي قال في الاحاطة فيه ما ملخصه

حمل ثم ولدت غلاما فوكلت به خادما من خدمها يقال له رياش وحاضنة تسمى برة فلما خافت ظهور الخبر وانتشاره وجهت الصبي والخادم والحاضنة الى مكة وأمرتها بتربيته وطالت مدة جعفر وغلب هو وأبوه واخوته على أمر المملكة وكانت زبيدة من الرشيد بالمنزلة التي لا يتقدمها أحد من نظرائها وكان يحيى بن خالد لا يزال يتفقد أمر حرم الرشيد ويمنعهن من خدمة الخدم فشكت زبيدة الى الرشيد فقال ليحيى بن خالد يا أبت ما بال أم جعفر تشكوك فقال يا أمير المؤمنين أمتهم أنا في حرمك وتدبير منزلك عندك فقال لا والله فقال لا تقبل قولها قال الرشيد فلست أعاودك فازداد يحيى لها منعا وعليها في ذلك غلظة وكان يأمر بقفل أبواب الحرم بالليل ويمضي بالمفاتيح الى منزله فبلغ ذلك من أم جعفر كل مبلغ فدخلت ذات يوم على الرشيد فقالت يا أمير المؤمنين ما يحمل يحيى على ما لا يزال تفعل من منعه اياي من خدمي ووضعه اياي في غير موضعي فقال لها الرشيد يحيى عندي غير متهم في حرمي فقالت ان كان كذلك ليحفظ ابنه مما ارتكبه فقال وما ذاك فخبرته وقصت عليه قصة العباسة مع جعفر فسقط في يده وقال لها هل لك على ذلك من دليل وشاهد

عبد

ـد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن بن محمـد بن على بن محمد بن عبد الله بن محمد الحضرمى أبو
ـشيخنا الرئيس صاحب القلم الاعلى بالمغرب من الاكايل تاج المفرق وفخر المغرب على
ـرق أطلع منـه نورا أضاءت له الآفاق وأثر منـه بذخـيرة حملت أحاديثها الرفاق
ـثت من مجد سامى المصاعـد والمراقب عزيز عن لحاق النجم الثاقب وسلف زينت
ـوه بنجوم المناقب نشأ بسبتة بلده بين علم يفيده وفخر يشيده وطهارة يتحف مطارفها
ورياسة يتفيأ وارفها وأبوه رحمه الله تعالى قطب مـدارها ومقام حجها واعتمارها فـلك
الوعور من المعارف والسهول وبذ على حداثة سنة الكهول فلما تحـلى من الفوائد
العلميـة بما تحـلى واشتهر اشتهار الصـباح اذا تجـلى تنافست فيه همم الملوك الاخاير
واستأثرت به الدول على عادتها فى الاستئثار بالذخائر فاستقلت بالسياسة ذراعه وأخدم
الذوابل والسـيوف يراعـه وكان عـين الملك التى بها يبصر ولسانه الذى يسهب به أو
يختصر وقد تقـدمت له الى هـذه البلاد الوفادة وجلت به عليها الافاده وكتب عن بعض
ملوكها وانتظم فى عقودها الرفيعة وسلوكها وله فى الآداب الراية الخافقه والعقود
المتناسقه ومشيخته حافلة تزيد عن الاحصاء وشعره منحط عن محله من العلم والشهرة وان
كان داخلا تحت طور الاجادة فمن ذلك قوله

تراءى سحيرا والنسيم عليـل * وللنجم طرف بالصباح كليل
وللفجر نهر خاضـه الليـل فاعتلت * شوى ادهم الظلماء منه حجول
بريق باعـلى الرقمتين كأنه * طلائع شهب فى السماء تجول
فمزق ساجى الليـل منه شرارة * وخرق ستر الغيم منـه نصول
تبسم ثغر الروض عنـد ابتسامـه * وفاضت عيون للغمام همول
ومالت غصون البان نشوى كأنها * يدار عليها من صباه شمول
وغنت عـلى تلك الغصون حمائم * لهن حفيف فوقها وهـديل
اذا سجعت فى لحنها ثم قرقرت * يطيح خفيف دونها وثقيل
سـقى الله ربعا لا يزال يشـوقنى * اليـه رسوم دونها وطلول
وجاد رباه كلما ذر شارق * من الودق هتان اجش هطول
ومالى استسـقى الغمام ومدمـعى * سفوح على تلك العراص همول
وعاذلة باتت تلوم عـلى السرى * وتـكثر من تعذالها وتطيل
تقول الى كم ذا فـراق وغـربة * ونأى عـلى ما خيلت ورحيـل
ذرينى أسعى للتى تكسب العـلا * سناء وتبقى الذكر وهو جميـل
فما ترينى من ممارسـة الهـوى * نحيلا لخـد المشرفى نحيـل
وفـوق أنابيب اليراعـة صـعوة * تزين وفى قـد القناة ذبول
ولولا السرى لم يجتـل البـدر كاملا * ولا بات منـه للسعود نزيل
ولولا اغـتراب المرء فى طلب العـلا * لما كان نحو المجد منـه وصول
ولولا نوال ابن الحكيم محمـد * لاصبح ربع المجـد وهو محيل

ت وأى دليل أدل من الولد قالت وقد كان ههنا فلما خافت ظهور أمره وجهته
الى مكة فقال لها فهل علم
هـذا أحد غيرك قالت
ما فى قصرك جارية الا وقد
علمت به فأمسك عـلى
ذلك وطوى عليـه كشحا
وأظهر أنه يريد الحج فخرج
هو وجعفر بن يحيى وكتبت
العباسـة الى الخـادم
والحاضنة أن يخرجا بالصبى
الى اليمن فلما صار الرشيد
الى مكة وكل من يثق به
بالفحص والبحث عن أمره
فوجد الامر صحيحا فلما قضى
حجه ورجع اضمر فى البرامكه
عـلى ازالة نعمهم فأقام
ببغـداد مـدة ثم خرج
الى الانبار فلما كان فى اليوم
الذى عزم فيه على قتـل
جعـفر دعا بالسـندى بن
شاهـك فأمره بالمضى الى
مدينة السلام والتوكيـل
بدور البرامكة ودور كتابهم
وقراباتهم وان يجعل ذلك
سرا من حيث لا يكلم أحدا
حتى يصـل الى بغـداد ثم
يفضى بذلك لمن يثق به من
أهـله وأعوانه فامتثـل
السندى ذلك وقعد الرشيد
وجعفر عنده فى موضع يعرف
فى الانبـار بالقـمر فاقاما
يومهما باحسن هيئة وأطيب
عيش فلما انصرف جعـفر
من عنده خرج الرشيد حتى
ركب مشـيعا له ثم رجع
فمضى جعفر الى منزله وفيه

فضـلة الشراب ودعا بأبى بكار الاعمـى الطنبورى وابن أبى نجيح كاتبه ومدت ستارة وجلس جواريه

وزير سما فوق السماك جلالة * وليس له الا النجوم قبيل
من القوم أمافى الندى فانهم * هضاب وأمافى الندى فسيول
حووا شرف العلياء ارثا ومكسبا * وطابت فروع منهم وأصول
وماجونة هطالة ذات هيدب * مرتها شمال مرجف وقبول
لها زجل من رعدها ولوامع * من البرق عنها للعيون كلول
كما هدرت وسط القلاص وأرسلت * شقاشقها عند الهياج فحول
بأجود من كف الوزير محمد * اذا ما توالت للسنين محول
ولا روضة بالحسن طيبة الشذا * ينم عليها اذخر وجليل
وقد أذكيت للزهر فيها مجامر * تعطر منها للنسيم ذيول
وفى مقل النوار للطل عبرة * ترددها أجفانها وتحيل
بأطيب من أخلاقه الغر كلما * تفاقم خطب للزمان يهول
حويت أبا عبد الاله مناقبا * تفوت يدا من رامها وتطول
فغرناطة مصر وأنت خصيبها * ونائل يمناك الكريمة نيل
فداك رجال حاولوا درك العلا * ببخل وهل نال العلاء بخيل
تخيرك المولى وزيرا وناصحا * فكان له مما أراد حصول
وألقى مقاليد الامور مفوضا * اليك فلم يعدم يمينك سول
وقام بحفظ الملك منك مؤيد * نهوض بما أعياسواك كفيل
وساس الرعايا منك أشوس باسل * مبيد العدا للمعتفين منيل
وأبلج وقاد الجبين كأنما * على وجنتيه للنضار مسيل
تهيم به العلياء حتى كأنها * بثينته فى الحب وهو جميل
له عزمات لو أعير مضاءها * حسام لما نالت ظباه فلول
سرى ذكره فى الخافقين فاصبحت * اليه قلوب العالمين تميل
وأعدى قريضى جوده وثناؤه * فاصبح فى أقصى البلاد يجول
اليك أبا عبد الوزارة ارقلت * برحلى هوجاء النجاء ذلول
فليت الى لقياك ناصية الفلا * بأيدى ركاب سيرهن ذميل
تسددنى سهما لكل ثنية * ضوامر أشباه القسى نحول
وقد لفظتنى الارض حتى رمت الى * ذراك برحلى هوجل وهجول
فقيدت أفراسى به وركائبى * ولذ مقام لى به وحلول
وقد كنت ذا نفس عزوف وهمة * عليها لاحداث الزمان دحول
وتهوى العلا حظى وتغرى بضده * لذاك اعترته رقة ونحول
وتأبى لى الايام الا اذالة * فصونك لى ان الزمان مديل
فكل خضوع فى جنابك عزة * وكل اعتزاز قد عداك خمول

وقال

أبت همتى أن يرانى امرؤ * على الدهر يوما له ذا خضوع

وما

خلفها يضربن ويغنين وابن بكار يغنيه ماتريد الناس منا * ماتنام الناس عنا

انما همتهم أن يظهروا ماقد دفنا

وأمر الرشيد من ساعته ياسرا خادمه المعروف بوخلة فقال له انى أندبك لامر لم أر محمدا ولا القاسم له أهلا ولا موضعا ورأيتك به مستقلا ناهضا فحقق ظنى واحذر أن تخالفنى فقال يا أمير المؤمنين لو أمرتنى أن أدخل السيف فى بطنى وأخرجه من ظهرى بين يديك لفعلت فمر بأمرك فانى والله مسرع فقال ألست تعرف جعفر بن يحيى البرمكى قال يا أمير المؤمنين وهل أعرف سواه أو ينكر مثل جعفر قال ألم تر تشييعى اياه عند خروجه قال بلى قال فامض الساعة اليه فأتنى برأسه على أى حالة تجده عليها فأرتج على ياسر الكلام وأخذته رعدة ووقف لا يحير جوابا فقال يا ياسر ألم أتقدم اليك بترك الخلاف على قال بلى يا أمير المؤمنين ولكن الخطب أجل من ذلك والامر الذى ندبنى اليه أمير المؤمنين وددت لو أنى كنت مت قبل أن يجرى على يدى منه شئ فقال دع عنك هذا وامض لما قد أمرتك فمضى ياسر حتى دخل على جعفر وهو على حال لهوه فقال له ان أمير المؤمنين قد أمرنى فيك بكيت وكيت فقال جعفر

وماذاك الالانى اتقيت * بعز القناعة ذل الخشوع

ه بسبتة عام ستة وسبعين وستمائة وتوفى بتونس ثانى عشر شوال عام تسعة بعين وسبعمائة فى الطاعون وكانت جنازته مشهورة رحمه الله تعالى انتهى (وحكى) ان السلطان أبا الحسن المرينى سب الشيخ عبد المهيمن الحضرمى بمجلس كتابه فاخذ عبد المهيمن القلم وكسره وقال هذا هو الجامع بينى و بينك ثم ان السلطان أبا الحسن ندم وأفضل عليه وجعل مماصدرمنه وكان عبد المهيمن ينطق بالكلام معربا ويرتفع نسبه الى العلاء بن الحضرمى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصل سلفه من اليمن وكان جدهم الاعلى عبدون لحقه الضيم ببلده فارتحل الى المغرب فنزل سبتة ولعبد المهيمن الحضرمى شيوخ أجلاء كابن الربيع النحوى وابن الشاط وابن مسعود وغيرهم وكان ذاسعد وسودد حسن الخط رأيت خطه باجازته لابى عبد الله بن مرزوق وغيره وكان عالى الهمة سريا أعطى المنصب حقه وكان لايحتمل الضيم واحتقار العلم وكان سريع الجواب حكى أن القاضى المليلى وأبا محمد عبد المهيمن الحضرمى المذكور صاحب العلامة للسلطان أبى الحسن حضرا مجلس السلطان فجرى ذكر الفقيه ابن عبد الرزاق فقال المليلى جمع من الفنون كذا حتى وضع يده على أبى محمد عبد المهيمن وقال مخاطبا السلطان ويكتب لك أحسن من ذا فوضع عبد المهيمن يده على المليلى وقال نعم يامولاى ويقضى لك أحسن من ذا (وقال) ابن الخطيب القسمطينى الشهير بابن قنفذ فى وفياته مانصه وفى سنة تسع وأربعين وسبعمائة توفى الشيخ الراوية المحدث الكاتب أبو محمد عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن بن محمد بن على بن محمد الحضرمى السبتى ومن أشياخه الاستاذ ابن أبى الربيع وابن الغماز وابن صالح الكنانى وغيرهم من الاعلام انتهى وقال غيره ان والد عبد المهيمن توفى غرة صفر سنة اثنتى عشرة وسبعمائة رحمه الله تعالى (وحكى) أن الشيخ أبا محمد عبد المهيمن ذكر يوما بنى العزفى فاثنى عليهم فقال له أحد الحسينيين وكان بينهم شئ انهم كانوا يحبون أهل البيت فكيف حبك أنت لهم يعنى لاهل البيت فقال أحبهم حب التشرع لاحب التشيع انتهى قيل يعنى بالعزفيين أهل الدولة الثانية وأما أهل الاولى فكانوا من المختصين بمحبة الآل وهم احدثوا بالمغرب تعظيم ليلة الميلاد النبوى على صاحبه الصلاة والسلام ومن أغرب ماوقع للرئيس عبد المهيمن الحضرمى من التشبيه قوله

لقد راقنى مرأى سجلماسة الذى * يقرله فى حسنه كل منصف

كأن رؤس النخل فى عرصاتها * فواتح سورات بآخر مصحف

وهذا من التشبيه العقيم الذى لم يسبق اليه فيما أظن وكان سبب قوله ذلك أن السلطان أمير المسلمين أبا الحسن المرينى لما تحرك لقتال أخيه السلطان أبى على عمر بسجلماسة وظفر به استمطر أنواء أفكار الكتاب وغيرهم فى تشبيه النخل فقال عبد المهيمن مامر فلم يترك مقالا لقائل وقد أنشد الحافظ ابن مرزوق الحفيد قال أنشدنى شيخنا ولى الدين الرئيس أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون الحضرمى لشيخه الرئيس أبى محمد عبد المهيمن الحضرمى السبتى رحمه الله تعالى قوله

أمير المؤمنين يمازحنى بأصناف من المزاح فاحسب ان هذا جنس منه فقال والله ماافتقدت من عقله شيئا ولاظننته شرب خمرا فى يومه مع مارأيت من عبارته قال له فان لى عليك حقا فلم تجد لها مكافاة وقتا من الاوقات الاهذا الوقت قال تجدنى الى ذلك سريعا الافيما خالف أمير المؤمنين قال فارجع اليه فأعلمه انك قد نفذت ما امرك به فان اصبح نادما كانت حياتى على يديك جارية وكانت لك عندى نعمة مجددة وان اصبح على مثل هذا الراى نفذت ماامرت به فى غد قال ليس الى ذلك سبيل قال فأصير معك الى مضرب امير المؤمنين حتى اقف بحيث اسمع كلامه ومراجعته اياك فاذا ابديت عذرا ولم يقنع الابمصيرك اليه برأسى خرجت فاخذت رأسى من قرب قال له أما هذا فنعم فمضيا جميعا الى مضرب الرشيد فدخل اليه ياسر فقال قد أخذت راسه ياامير المؤمنين وهاهو ذا بالحضرة فقال له ائتنى به والاوالله قتلتك قبله فخرج فقال اسمعت الكلام قال نعم فشانك وماامرت به فأخرج جعفر من كمه منديلا صغيرا فعصب به عينيه ومد رقبته فضربها وادخل راسه الى الرشيد فلما راى الراس بين يديه اقبل عليه وجعل يذكره بذنوبه ثم قال يا ياسر ائتنى بفلان

يجفى الفقير ويغشى الناس قاطبة * باب الغنى كذا حكم المقادير
واعما الناس أمثال الفراش فهم * يلفون حيث مصابيح الدنانير

قلت ورأيت هذين البيتين فى كتاب دوح الشجر وروح الشعر للعالم الكاتب ابن الجياب منسوبين لابى المتوكل الهيثم بن أحمد السكونى الاشبيلى قال أنشدنى أبو الحجاج الحافظ قال أنشدنى الهيثم فذكر البيتين وكان تاريخ وفاته قبل أن يخلق عبد المهيمن فتعين أن البيتين ليسا من نظمه وانما تمثل بهما ونسبتهما له وهم لا محالة والله أعلم وانما اشتهر على الالسنة بالمغرب من أن أباحيان مدح عبد المهيمن بقوله

ليس فى الغرب عالم * مثل عبد المهيمن
نحن فى العلم اسوة * أنا منه وهو منى

فقد نسبه ابن غازى الى أبى حيان كما اشتهر لكن تاريخ مرور أبى حيان بالمغرب كان قبل ظهور عبد المهيمن بلا خفاء وهو عندى محمول على أحد أمرين أن المراد عبد المهيمن جد عبد المهيمن المذكور أو أن أباحيان كتب بالبيتين من مصر بعدما ظهر عبد المهيمن وصارت له الرياسة بالمغرب اذ أبو حيان عاش الى ذلك الزمان بلا ريب ولذا لما ذكر لسان الدين بن الخطيب فى كتابه الكتيبة الكامنة فى أبناء أهل المائة الثامنة الشيخ أباحيان قال وهذا الرجل طالت حياته حتى أجاز ولدى * ولعبد المهيمن المذكور أخبار غير ما قدمناه منع منها الاختصار وقد ألف الخطيب ابن مرزوق باسم ولد ولده فهرسته المشهورة وحلاه فى صدرها أحسن حلية وهو أهل لذلك وقد ذكره مولاى الجد فى شيوخه كما تقدم وقال فيه انه امام الحديث والعربية وكاتب الدولة العثمانية والعلوية فلتراجع ذلك فيما سبق فى ترجمة الجد وأبو سعيد بن عبد المهيمن كان عالى الهمة كأبيه ولما بويع السلطان أبو عنان طلب منه أن يكون مرتسما فى جملة كتاب بابه فامتنع وقال لا أكون تحت حكم غيرى وعنى بذلك أن أباه كان رئيس الكتاب فكيف يكون هو مرؤسا بغيره فلم ترض همته رحمه الله تعالى الا رتبة أبيه أو الترك وارتحل أبو سعيد محمد المذكور وكان فقيها عالما من فاس لسبتة الى أن توفى بها سنة ٧٨٧ وكان قليل الكلام جميل الرواء حسن الهيئة والبزة والشكل روى عن والده وعن الجد وكتب له سنة ٧٢٤ وروى عن الفقيه أبى الحسن بن سليمان والرحالة ابن جابر الوادى آشى وابن رشيد وغيرهم وابن أبى سعيد هذا اسمه عبد المهيمن كجده وكان صاحب القلم الاعلى روى عن أبيه وجده وغيرهما رحم الله الجميع *(ومن أشياخ لسان الدين رحمه الله تعالى)* الامام العلامة قاضى الجماعة أبو البركات ابن الحاج البلفيقى نادرة الزمان وشاعر ذلك الاوان وهو محمد بن محمد بن ابراهيم بن محمد ابن الشيخ الولى أبى اسحق بن الحاج البلفيقى وكان أبو البركات أحد رجال الكمال علما ومجدا وسوددا موروثا ومكتسبا وقد عرف به فى الاحاطة بترجمة مدفيها النفس وكتب ابنه على أول الترجمة ماصورته رحمك الله تعالى يا فقيه الاندلس وحسيبها وصدرها وشيخها وبرد ضريحك فلله ما أفدت من نادرة وأكسبت من فائدة انتهى (وحكى) فى الاحاطة أنه لما استسقى وحصلت

الى الرشيد فى تلك الليلة فلما ادخلت اليه قال يا أصمعى قد قلت شعرا فاسمعه قلت نعم يا أمير المؤمنين فانشد

لو أن جعفر هاب أسباب الردى
لنجابه من مهجة طمرة لجم
ولكان من حذر المنون بحيث لا
يسمو اليه به الغراب القشعم
لكنه لما تقرب وقته
لم يدفع الحدثان عنه منجم

قال الاصمعى ورجعت الى منزلى فلم أصر اليه حتى تحدث الناس بقتل جعفر وأصيب على باب قصر على بن عيسى ابن ماهان بخراسان فى صبيحة الليلة التى قتل فيها جعفر وأوقع بالبرامكة مكتوب بقلم جليل

ان المساكين بنو برمك
صبت عليهم غير الدهر
ان لنا فى أمرهم عبرة
فليعتبر ساكن ذا القصر

(قال المسعودى) وكان مدة دولة البرامكة وسلطانهم وأيامهم النضرة الحسنة من استخلاف هرون الرشيد الى أن قتل جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك سبع عشرة سنة وسبعة أشهر وخمسة عشر يوما وقد رثتهم الشعراء فمن ذلك قول على بن أبى معاذ

يا أيها المغتر بالدهر * والدهر ذو صرف وذو غدر

الاجابة أنشده لسان الدين

ظمئت الى السقيا الاباطح والربا * حتى دعونا العام عاما مجدبا
والغيث مسدول الحجاب وانما * علم الغمام قدومكم فتأدبا

ثم ذكر في الاحاطة تأليف أبي البركات وشعره الى أن قال حاكيا عن أبي البركات ما صورته ومما نظمته وقد أكثروا من التعجب للازمتي البناء وحفر الآبار

في احتفار الاساس والآبار * وانتقال التراب والاحجار
وقعودي ما بين رمل وآجر وجص والطوب والاحجار
وامتهاني بردي بالطين والما * ء ورأسي ولحيتي بالغبار
نشوة لم تمر قط على قلب خليع وما لها من خمار
من غريب البناء أن بنيه * متعبون يرون طول النهار
يبتغون الوصال من صانعيه * والبدار اليه كل البدار
فاذا حل في ذراهم تراهم * يشتهون منه بعيد المزار
من عذيري من لائم في بنائي * وهو لي الترجمان عن أخباري
ليس يدري معناه من ليس يدري * أن ما عنده على مقدار
أقتدي بالذي يقول بناها * ذلك الخالق الحكيم الباري
وبمن يرفع القواعد من بيت عتيق للحج والزوار
وبمن كان ذا جدار وقد كا * ن أبوه من صالحي الابرار
وبما قد أقامه الخضر المخصوص علما بباطن الاسرار
كان تحت الجدار كنز وما أد * راك ما كان تحت كنز الجدار
وبمن قد مضى من ابائي الغر الالى شيدوا رفيع المنار
فالذي قد بنوه نبني له مثلا ونجري له على مضمار
قد بنينا من المساجد دهرا * ثم نبني لجارها خير جار
مثل ما قد بنيت للعد أمثا * ل مبانيهم بكل اعتبار
فالمباني لسان حالي ولي فيها لعمري ذكر من الاذكار
روح أعمالنا المقاصد لكن * حيث تخفى تخفى مع الاعذار
فعسى من قضى ببنيان هذي الدار يقضي لنا بعقبى الدار

ثم قال في الاحاطة بعد كلام ومن نظمه في الانحاء على نفسه واستبعاد وجود المطالب في جنسه قال مما نظمته يوم عرفة عام خمسين وسبعمائة وأنا متنزه في غار ببعض جبال المرية

زعموا أن في الجبال رجالا * صالحين قالوا من الابدال
وادعوا ان كل من ساح فيها * فسيلقاهم على كل حال
فاخترقنا تلك الجبال مرارا * بنعال طورا وطورا دون نعال
ما رأينا بها خلاف الافاعي * وشبا عقرب كمثل النبال
وسباع يجرون بالليل عدوا * لا تسلني عنهم بتلك الليالي

فانظر الى المصلوب بالجسر
فان فيه عبرة فاعتبر
يا ذا الحجا والعقل والفكر
وخذ من الدنيا صفا عيشها
واجر مع الدهر كما يجري
كان وزير القاسم المرتضى
وذا الحجا والفضل والذكر
وكانت الدنيا بأقطارها
اليه في البر وفي البحر
يشيد الملك بآرائه
وكان فيه نافذ الامر
فبينما جعفر في ملكه
عشية الجمعة بالقصر
يطير في الدنيا بأجناحه
بأهل طول الخلد والعمر
اذ عثر الدهر به عثرة
يا ويلنا من عثرة الدهر
وزلت النعل به زلة
كانت له قاصمة الظهر
فغودر البائس في ليلة السـ
ـبت قتيلا مطلع الفجر
وأصبح الفضل بن يحيى وقد
أحيط بالشيخ وما يدري
وجيء بالشيخ وأولاده
يحيى معا في الغل والاسر
والبرمكيين وأتباعهم
من كان في الآفاق والمصر
كأنما كانوا على موعد
كوعد الناس الى الحشر
وأصبحوا للناس أحدوثة
سبحان ذي السلطان والامر
وقال
الى ان أرحنا واستراحت
ركابنا
وأمسك من يجدي ومن
كان يجتدي

فقل للمطايا قد أمنت من السرى * وطي الفيافي فدفدا بعد فدفد
ودونك سيفا برمكيا مهندا * أصيب بسيف هاشمي مهند

ولوانا كنا الذى العدوة الاخرى رأينا تواجذ الريال

واذا أظلم الدجا جاء ابليس الينا بزور طيف خيال

هو كان الأنيس فيها ولولا * ه أصيبت عقولنا بالخبال

خل عنك المحال يامن تعنى * ليس يلقى الرجال غير الرجال انتهى

وجمع شعره وسماه العذب والاجاج من كلام أبى البركات بن الحاج وسمى أبو القاسم الشريف ما استخرجه منه باللؤلؤ والمرجان من بحر أبى البركات بن الحاج يستخرجان ومن نظم الشيخ أبى البركات بن الحاج قوله رحمه الله تعالى

ألاليت شعرى هل لما أنا أرتجى * من الله فى يوم الجزاء بلاغ

وكيف لمثلى أن ينال وسيلة * لها فى سبيل الصالحين مراغ

وكم رمت دهرى فتح باب عبادة * يكون بها فى الفائزين مساغ

فكدت ولم أفعل وكيف وليس لى الـ * ـمعينان فيها صحة وفراغ

لاصبحت من قوم دعاهم الى الرضا * منادى الهدى فاستنكروه فراغوا

اباغ ترى أخراه من يزدهيه من * زخارف دنياه الدنية باغ

ويضرب صفحا عن حقيقة ما طوت * فيلهيه زور قد أتته مصاغ

اذا ما بدا للرشد نهج بيانه * يراع به من وحشة فيراغ

فيارب برد العفو هب لى اذا غلت * من الحر فى يوم الحساب دماغ

فمن حرق للنفس فيه لواعج * ومن خجل للوجد فيه صباغ

وعظتك نفسى لو أنبت وفى الذى * وعظت به لو ترعوين بلاغ

وأنشد القاضى أبو البركات فى هذا الروى قول شيخه الاستاذ أبى على بن سليمان القرطبى

ألاهل الى ما أبتغيه بلاغ * وكيف يرى يوما اليه فراغ

وقد قطعت دونى قواطع جمة * أراع لها مهما جرت وأراع

ومالى الا عفو رب وفضله * ففيه الى ما أرتجيه بلاغ

وكان القاضى أبو البركات من بيت كبير ولما وصل الا حاوز هذا وجده الامام الولى العارف سيدى أبو اسحق بن الحاج أشهر من نار على علم وقبره مشهور بمراكش وقد زرته بها وله كرامات مشهورة (وحكى) فى مزية المرية من كراماته جملة قال حفيده الشيخ أبو البركات دخلت على الشيخ الصالح العابد المجتهد الحاج أبى عبد الله محمد بن على البكرى المعروف بابن الحاج فى منزله بالمرية عائدا قال أظنه فى مرضه الذى مات فيه فقال له حين ساله عن حاله ادع لى فقلت له ياسيدى بل أنت تدعو لى فقال لى شرح الله صدرك ونور قلبك بنور معرفته فمن عرف الله لم يذكر غيره فقد حكى سيدى أبو جعفر بن مكنون عن جدك قال كنت مع سيدى أبى اسحق بن الحاج بمراكش فقال لى هل ترى فى المنام شيأ فقلت نعم أرى كانى فى المرية أمشى من الدار الى المسجد ومن كذا الى كذا فاعرض عنى وقال ألا ترى الا الله قال ثم مر به فى أثناء كلامه ابنه محمد فقال لى رأيت هذا والله ما أدرى أن لى ابنا حتى يمر بى ولا اذكره اذا غاب عنى ولا ارى الا الله انتهى * ومن تاليف ابى البركات رحمه الله تعالى كتاب ذكر فيه اخبار سلفه رضى الله عنهم وذكر جملة من كرامات جده سيدى ابى اسحق المذكور نفعنا الله به ومن شعر جده المذكور

وقال فيهم سلم الخاسر

خوت أنجم الجدوى وشلت يد الندى * وغاضت بحار الجود بعد البرامك

هوت أنجم كانت لابناء برمك * بها يعرف الهادى طويل المسالك

وقال فيهم صالح الاعرابى

لقد خان هذا الدهر أبناء برمك * وأى ملوك لم تخنها دهورها

ألم يك يحيى والى الارض كلها * فأضحى كمن وارته منها قبورها

وقال فيهم أبو حزة الاعرابى وقيل أبو نواس

مارمى الدهر آل برمك لما * أن رمى ملكهم بامر بديع

ان دهرا لم يرع حقا ليحيى * غير راع حقا لآل الربيع

وقال

يا بنى برمك واها لكم * ولايامكم المقتبله

وقال اشجع فيهم

ولى عن الدنيا بنو برمك * فلو توالى الناس ما زادا

كانما أيامهم كلها * كانت لأهل الارض اعيادا

وقال منصور اليمنى

أبدت بنى برمك لدينا * تبكى عليهم بكل وادى

كانت بهم برهة عروسا * فاضحت الارض فى حداد

وقال دعبل

ألم تر صرف الدهر فى آل برمك * وفى ابن نهيك والقرون التى تخلو

وقال أشجع فيهم أيضا

قد سار دهر ببنى برمك * ولم يدع فيهم لنا القيا

المذكور قوله

الا كرم الله البلاد بخطبة * هم وحسنات الدهر لا نابهم خطب
رعايتهم فرض على كل مسلم * وحبهم وحقا قد اوجبه الرب
اذا ما سألت الله شيأ فسل بهم * فتعظيمهم قرب وغيبتهم حوب

وقوله

شكا فشكا قلبي خبالا مبرحا * على غير علم كان مني شكواه
وما التقت الاسرار الا بجامع * من النعت سلطان الحقيقة سواه
فيا فرحة المجهود ان بات سره * وسر الذي يهواه مأواه ماواه
ومن أجله قد كان بالبعد راضيا * فكيف ترى مغناه والقلب مثواه
بدا فبدت أعلام ضدين في الهوى * هما عجب لولا الدليل وفحواه
برؤيته فارقت موتى لبعده * ومت بها من أجل علمي بيلواه
فها أنا حي ميت بلقائه * ولم ينج من لم يسعد الفهم نجواه
اذا لم تكن أنت الحبيب بعينه * رضا وعتابا ضل من قال يهواه
وأكذب ما يأتي الفتى وهو صادق * اذا لم يحقق بالافاعيل دعواه

وقوله رضي الله تعالى عنه

الحب في الله نور يستضاء به * والعجز في ذاته نور على نور
جنب أخا حدث في الدين ذا غير * ان المغير في نكس وتغيير
حاشى الديانة أن تبنى على خبل * سبحان خالقنا من قول مثبور
ان الحقائق لا تبدو لمبتدع * كذا المعارف لا تهدي لمغرور
تالله لو أبصرت عيناه أو ظفرت * يمناه ما طل في ظن وتقدير
حقق ترى عجبا ان كنت ذا أدب * ولا يغرنك الجهال بالزور
ان الطريقة في التنزيل واضحة * وما تواتر من وحي ومشهور
فافهم هديت هدى الرحمن واهديه * هدى يفيدك يوم النفخ في الصور

وقوله صدر رسالة وجهها الى ابنه محمد أيام قراءته باشبيلية

اذا شئت ان تحظى بوصلي وقربتي * فجنب قرين السوء واصرم حباله
وسابق الى الخيرات واسلك سبيلها * وحصل علوم الدين واعرف رجاله

وكان رحمه الله تعالى كثيرا ما يتمثل ببيتي مهيار الديلمي وهما

ومن عجب أني احن اليهم * وأسأل شوقا عنهم وهم معي
وتبكيهم عيني وهم في سوادها * ويشكو النوى قلبي وهم بين أضلعي

وحدث القاضي أبو البركات حفيده عن ابن خميس التلمساني المتقدم الذكر قال سمعت بعض الاشياخ يقول كان الشيخ أبو اسحق البلفيقي الكبير يقول اجتمع لنا في الله أربعون ألف صاحب (وحكى) الشيخ أبو البركات المذكور عن الشيخ الصالح الحاج الصوفي أبي الاصبغ ابن عزرة قال هذه صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أخذتها عن رابك الشيخ الصالح الحاج أبي عبد الله محمد بن علي بن الحاج مشافهة وقال لي انها صلاة أبي اسحق بن الحاج جدك وهي

الى الله فيما نابنا نرفع الشكوى
ففي يده كشف المضرة والبلوى
خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها
فلا نحن في الاموات فيها ولا الاحيا
اذا جاءنا السجان يوما لحاجة
عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

وكان الرشيد كثيرا ما ينشد بعد نكبة البرامكة

ان سهامنا اذا وقعت
لبقدر ما تعلو بها رتبه
واذا ابدت للنمل اجنحة
حتى يطير فقد دنا عطبه

وقال محمد بن عبد الرحمن الهاشمي دخلت على والدتي يوم نحر فوجدتها وعندها برزة متكلمة فقالت لي اتعرف هذه قلت لا قالت هذه عبادة أم جعفر بن يحيى فاقبلت عليها أوجهي أحدثها واعظمها ثم قلت لها يا أماه ما أعجب ما رأيت فقالت يا بني لقد أتى على عيد مثل هذا وأنا على رأسي أربعمائة وصيفة واني أعد ابني عاقا ولقد أتى على هذا العيد وما أتمنى سوى جلد شاتين أفترش أحدهما وألتحف الآخر قال فدفعت اليها خمسمائة درهم فكادت تموت فرحا بها ولم تزل تختلف الينا حتى فرق الموت بيننا (وحكى) عن بعض عمومة الرشيد أنه صار الى يحيى عند تغير الرشيد له قبل الايقاع بهم

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلاة دائمة مستمرة تدوم بدوامك وتبقى ببقائك وتخلد بخلودك ولاغاية لها دون مرضاتك ولاجزاء لقائلها ومصليها غير جنتك والنظر الى وجهك الكريم (ونقل) أبو البركات المذكور عن جده أنه كان يستفتح مجلسه بالمرية بهذا الدعاء اللهم اجعلنا في عياذ منك منيع وحصن حصين وولاية جميلة حتى تبلغنا آجالنا مستورين محفوظين مبشرين برضوانك يوم لقائك قال وفي وسط الدعاء وآخره وا كفنا عدونا ابليس وأعداءنا من الجن والانس بعافيتنا وسلامتنا * وكان الشيخ رضي الله عنه يواصل أربعين يوما * ومن مآثره انه بني ثمانية عشر جبا في مواضع متفرقة ونحو عشرين مسجدا وبني أكثر سور حصن بلفيق كل ذلك من ماله * وقال رضي الله عنه في بعض رسائله الصوفي عبارة عن رجل عدل تقي صالح زاهد غير منتسب لسبب من الاسباب ولا مخل بأدب من الآداب قد عرف شانه وزمانه وملكت مكارم الاخلاق عنانه لا ينتصر لنفسه ولا يتفكر في غده وأمسه العلم خليله والقرآن دليله والحق حفيظه ووكيله نظره الى الخلق بالرحمه ونظره الى نفسه بالحذر والتهمه انتهى وأحوال هذا الشيخ عجيبة وكراماته شهيرة وانما ذكرنا هذا النزر اليسير تبركا بذكره رضي الله عنه في هذا الكتاب وتطفلا على رب الارباب أن ينفعنا بامثاله ويحقق لنا النجاة والمتاب انه على ذلك قدير (رجع الى أخبار أبي البركات) ولما وقع بينه وبين ابن صفوان ما يقع بين المتعاصرين رد عليه ابن صفوان فانتصر لابي البركات بعض طلبته بتاليف سماه شواظ من نار ونحاس يرسل على من لم يعرف قدره وقدر غيره من الناس وهو قدر رسالة الشيخ أو أطول وألفى على ظهره بخط الشيخ أبي البركات ماصورته

قد شبع الكلب كما يبغي * من حجر صلد ومن مقرع
فان يعد من بعد ذا للذي * قد كان منه فهو من نعي

ومن بديع نظم الشيخ أبي البركات رحمه الله تعالى قوله

يلومونني بعد العذار على الهوى * ومثلي في وجدي له لا يفند
يقولون أمسك عنه قد ذهب الصبا * وكيف أرى الامساك والخيط أسود

وقوله في المجبنات

ومصفرة الخدين مطوية الحشى * على الجبن والمصفر يؤذن بالخوف
لها بهجة كالشمس عند طلوعها * ولكنها في الحين تغرب في الجوف

وفي هذين البيتين تورية متعددة (وحدث) القاضي أبو البركات انه لما أراد الانصراف عن سبتة قال له السيد الشريف أبو العباس رحمه الله متى عزمت على الرحيل فانشد أبو البركات

أما الرحيل فدون بعد غد * فمتى تقول الدار تجمعنا

فانشد الشريف رحمه الله تعالى

لا مرحبا بغد ولا أهلا به * ان كان تفريق الاحبة في غد

(وحكى) أن السيد أبا العباس الشريف المذكور ساير القاضي أبا البركات في بعض أسفاره

فقال له ان أمير المؤمنين قد أحب جمع الاموال وقد كثر ولده عليك وعلى اصحابك فلو نظرت الى ضياعهم وأموالهم فجعلتها لامير المؤمنين وتقربت بها رجوت أن يكون لك السلامة وان يرجع لك أمير المؤمنين فقال له يحيي والله لان تزول النعمة عني أحب الي من أن ازيلها عن قوم كنت سببها اليهم (وذكر) الخليل بن الهيثم وكان قد وكله الرشيد بيحيي والفضل في الحبس قال أتاني مسرور الخادم ومعه جماعة من الخدم ومع خادم منهم منديل ملفوف فسبق الى نفسي ان الرشيد قد تعطف عليهم فوجه اليهم بلطف فقال لي مسرور أخرج الفضل بن يحيي فلما مثل بين يديه قال ان أمير المؤمنين يقول لك اني قد أمرتك ان تصدقني عن أموالكم فزعمت انك قد فعلت وقد صح عندي أنك أبقيت لك اموالا وقد أمرت مسرورا ان لم تطلعه عليها أن يضربك مائتي سوط فقال له الفضل فعلت والله يا أبا هاشم فقال له مسرور يا أبا العباس اري لك ان لا تؤثر مالك على مهجتك فاني لا آمن أن انفذ ما أمرت به فيك ان آتي على نفسك فرفع الفضل رأسه الى السماء وقال له يا أبا هاشم ما كذبت أمير المؤمنين ولو كانت الدنيا لي وخيرت بين الخروج

زمن الشباب ببر الاندلس أعاده الله تعالى فلما انتهيا الى قرية ترليانة وأدركهما النصب واشتد عليهما حر الهجير نزلا وأكلا من باكر التين الذى هنالك وشربا من ذلك الماء العذب واستلقى أبو البركات على ظهره تحت شجرة مستظلا بظلها ثم التفت الى السيد أبى العباس وقال

ماذا تقول فدتك النفس فى حالى * يفنى زمانى فى حل وترحال

وأرتج عليه فقال لابى العباس أجز فقال بديها

كذا النفوس اللواتى العز يصحبها * لاترتضى بمقام دون آمال
دعها تسر فى الفيافى والقفار الى * أن تبلغ السؤل أوموتا بتجوال
الموت أهون من عيش لدى زمن * يعلى اللئيم ويدنى الاشرف العالى

ولما أوقع الشيخ أبو البركات على زوجه الحرة العربية أم العباس عائشة بنت الوزير المرحوم أبى عبد الله محمد بن ابراهيم الكنانى ثم المغيلى طلقة كتب بخطه ما نصه بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آل محمد يقول عبد الله الراجى رحمته محمد المدعو بابى البركات بن الحاج خار الله له ولطف به ان الله جلت قدرته لما أنشأ خلقه على طبائع مختلفة وغرائز شتى ففيهم السخى والبخيل والشجاع والجبان والغبى والفطن والكيس والعاجز والمسامح والمناقش والمتكبر والمتواضع الى غير ذلك من الصفات المعروفة من الخلق كانت العشرة لاتستمر بينهم الا بأحد أمرين اما بالاشتراك فى الصفات او فى بعضها واما بصبر أحدهما على صاحبه اذا عدم الاشتراك ولما علم الشارع أن بنى آدم على هذا الوضع شرع لهم الطلاق ليستريح اليه من عيل صبره على صاحبه توسعة عليهم واحسانا منه اليهم فلاجل العمل على هذا طلق كاتب هذا عبد الله محمد المذكور زوجه الحرة العربية المصونة عائشة ابنة الشيخ الوزير الحسيب النزيه الاصيل الصالح الفاضل الطاهر المقدس المرحوم أبى عبد الله محمد المغيلى طلقة واحدة ملكت بها أمر نفسها دونه عارفا قدره قصد بذلك اراحتها من عشرته طالبا من الله أن يغنى كلا من سعته مشهدا بذلك على نفسه فى صحته وجواز أمره يوم الثلاثاء أول يوم من شهر ربيع الثانى عام أحد وخمسين وسبعمائة انتهى * (ومن نوادره رحمه الله تعالى) انه لما استناب بعض قضاة المرية الفقيه أبا جعفر المعروف بالقرعة فى القضاء من عمله بخارج المرية فاتفق أن جاء بعض الجنانين بفحص المرية يشتكى من جائحة أو اذاية أصابت جنانه ففسدت غلته لذلك فاخذ ذلك الجنان قرعة وأشار اليها متشكيا وقال هذه القرعة تشهد بما أصاب جنانى فقال الشيخ أبو البركات عند ذلك غريبتان فى عام واحد القرعة تقضى والقرعة تشهد وكان له رحمه الله تعالى من هذا النمط كثير * وقال رحمه الله تعالى نظمت صبيحة يوم السبت السابع والعشرين لرجب عام خمسة وأربعين وسبعمائة وقد رأيت فى النوم كأنى أريد اتيان امرأة لاتحل لى فأتى رقيب فيحول بينى وبين ذلك المرة بعد المرة قولى

ألا كرم الله الرقيب فانه * كفانى أمورا لايحل ارتكابها
وبالغ فى سد الذريعة فاغتدى * يلاحظنى نوما ليغلق بابها

منها وبين ان أقرع مقرعة لاخترت الخروج منها وأمير المؤمنين يعلم وأنت تعلم انا كنا نصون اعراضنا بأموالنا وكيف صرنا اليوم نصون أموالنا منكم بانفسنا فان كنت أمرت بشئ فامض له فامر بالمنديل فنفض فسقط منه اسواط باثمارها فضرب مائتى سوط وتولى ضربه أولئك الخدم فضربوه اشد الضرب الذى يكون بغير معرفة فكادوا يأتون على نفسه فخفنا عليه الموت فقال الخليل بن الهيثم لوكيله المعروف بابن يحيى ان هنا رجلا قد كان فى الحبس وهو بصير بالعلاج لمثل هذا أوشبهه فسر اليه واسأله ان يعالجه قال فانهيت اليه ذلك قال لعلك تريد ان تعالج الفضل بن يحيى فقد بلغنى ما صنع به فقلت اياه أريد قال فامض بنا اليه حتى أعالجه فلما رآه قال أحسبه ضربه خمسين سوطا قال انه ضرب مائتى سوط قال ما أظن الا أن هذا أثر خمسين سوطا ولكن يحتاج أن ينام على بارية وادوس صدره ساعة فاخذ بيده فجذبه حتى أقامه وقد خرج الفضل ثم جاء به فالقاه على البارية وجعل يدوس صدره ثم جذبه حتى أقامه على البارية فتعلق بها من لحم ظهره شئ كثير ثم جعل يختلف اليه ويعالجه الى أن نظر يوما اليه فخر ساجدا فقلت مالك فقال يا أبا يحيى قد

وقال رحمه الله أنشدنى شيخى أبو عبد الله بن رشيد عند قراءتى عليه شرحه لقوافى أبى الحسن حازم وقد باحثته يوما مناقشة فى بعض ألفاظه من الشرح المذكور

تسامح ولا تستوف حقك كله * وأغض فلم يستوف قط كريم

ومن نظام الشيخ أبى البركات قوله

ألا حل دمع العين يهمى بمقلتى * لفرقة عين الدمع وقف على الدم
فللماء فيه رنة مذهبية * كرنة مسلوب الفؤاد متيم
وللطير فيه نغمة موصلية * تذكرنى عهد الصبا المتقدم
وللحسن أقمار به يوسفية * تردالى دين الهوى كل مسلم

وله رحمه الله تعالى

ما كل من شد على رأسه * عمامة يحظى بسمت الوقار
ماقيمة المرء بأثوابه * السر فى السكان لا فى الديار

وله سامحه الله تعالى

اذا ما كتمت السر عمن أوده * توهم أن الود غير حقيقى
ولم أخف عنه السر من ضنة به * ولكننى أخشى صديق صديقى

وله وقد جلس فى حلقة بعض المشايخ واستدبر بعض الفضلاء ولم يره بسببه

ان كنت أبصرتك لا أبصرت * بصيرتى فى الحق برهانها
لا غرو وأنى لم أشاهدكم * فالعين لا تبصر انسانها

ومما يجيبه رحمه الله من قوله قال فى الاحاطة ويحق أن يعجبه

تطالبنى نفسى بما ليس لى به * يدان فأعطيها الامان فتقبل
عجبت لخصم لج فى طلباته * يصالح عنها بالمحال فيفصل

ومما أورده له فى الاحاطة وذكر أنه لو رحل راحل الى خراسان لما أتى بهما

رعى الله اخوان الخيانة انهم * كفونا مؤنات البقاء على العهد
فلو قد وفوا كانوا أسارى حقوقهم * نراوح ما بين النسيئة والنقد

وقد تمثل القاضى أبو البركات فى مخاطبة له للسان الدين بقول القائل

أيتها النفس اليه اذهبى * فحبه المشهور من مذهبى
أيأسنى التوبة من حبه * طلوعه شمسا من المغرب

(وحكى) غير واحد منهم ابن داود البلوى أن القاضى أبا البركات لما عزم على الرحلة الى المشرق كتب اليه ابن خاتمة بما صورته

أشمس الغرب حقا ما سمعنا * بأنك قد سئمت من الاقامه
وانك قد عزمت على طلوع * الى شرق سموت به علامه
لقد زلزلت منا كل قلب * بحق الله لا تقم القيامه

قال الحاكى فخالف أبو البركات أن لا يرحل من اقليم فيه من يقول مثل هذا انتهى يشير بقوله لقد زلزلت الخ الى طلوع الشمس من مغربها (قلت) ولما عزمت على هذه الرحلة

برئ أبو العباس ادن منى خمسين سوطا قلت نعم قال والله لو ضربت ألف سوط ما كان أثرها باشد من ذلك الاثر وانما قلت ذلك لكى تقوى نفسه فيعيننى على علاجه فلما خرج الرجل قال لى الفضل يا أبا يحيى قد احتجت عشرة آلاف درهم فسر الى المعروف بالسنانى وأعلمه حاجتى اليها قال فاتيته بالرسالة فأمر بحملها اليه فقال يا أبا يحيى أحب أن تمضى بها الى هذا الرجل وتعتذر اليه وتسأله قبول ما وجهت به قال فمضيت اليه فوجدته قاعدا على حصير وطنبور له معلق ودساتيج فيها نبيذ وأداة رثة فقال ما حاجتك يا أبا يحيى فاقبلت أعتذر من الفضل وأذكر ضيق الامر عليه وأعلمه بما وجه به اليه فامتعض من ذلك حتى أفزعنى وقال عشرة آلاف درهم فجهدت كل الجهد أن يقبلها فأبى فصرت الى الفضل فاعلمته فقال لى استقلها والله ثم قال لى الفضل أحب أن تعود الى السنانى ثانية وتعلمه انى احتجت الى عشرة آلاف درهم أخرى فاذا دفعها اليك فسر بالكل الى الرجل قال فقبضت من السنانى عشرة آلاف أخرى ورجعت الى الرجل ومعى المال وعرفته الخبر فابى أن يقبل شيأ منه فقال

كتب الى بعض أصحابنا المغاربة بالابيات المذكورة متمثلا ولم أرجع عن العزم والله غالب على أمره * قال الوزير لسان الدين رحمه الله تعالى وما أحسن قول شيخنا أبي البركات معتذرا عن زرقة عينيه

حزنت عليك العين يامغني الهوى * فالدمع منها بعد بعدك مارقا
ولذاك ماظهرت بلون أزرق * أوماترى ثوب المآتم أزرقا

قال رحمه الله تعالى وهو من الغريب * وقال بعض الشيوخ كنت أقرأ على الشيخ أبي البركات التفسير فنسيت ذات ليلة السفر الذي كنت أقرأ فيه بمنزلي فاتفق أن حضر الجامع الصحيح للبخاري فقال الشيخ بعد أن اردت القراءة عليه من أوله افتح في أثناء الاوراق ولا تعين وماخرج لك من ترجمة لجهة اليمين فاقرأها ففعلت فاذا غزوة احد فقرأت الحديث الاول من الباب وهو عن عقبة بن عامر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى على قتلى أحد بعد ثمان سنين كالمودع للاحياء والاموات ثم طلع المنبر فقال اني بين ايديكم فرط وأنا شهيد عليكم وان موعدكم الحوض واني لأنظر اليه من مقامي هذا واني لست اخشى عليكم أن تشركوا ولكني اخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها قال فكانت آخر نظرة نظرتها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الشيخ قوله صلى على قتلى احد لفظ الصلاة يطلق لغة على الدعاء وشرعا على الافعال المخصوصة المعلومة واذا دار اللفظ بين الشرعي واللغوي فحمله على الشرعي أولى حتى يدل الدليل على خلافه فقوله صلى على قتلى أحد يحتمل الصلاة الشرعية ويكون ذلك منسوخا اذ قد تقرر أنه لا يصلى على شهيد المعترك ولا على من قد صلى عليه ولمن يعارضه أن يقول ان قتلى أحد متفرقون في أماكن فلا تتأتى الصلاة الشرعية عليهم اذ الصلاة الشرعية انما تتأتى لو كانوا مجتمعين والجواب أنهم وان كانوا متفرقين تجمعهم جهة واحدة وليس بعدما بينهم بحيث لا تتأتى معه الصلاة عليهم هذا وان احتمل حمله على الصلاة اللغوية وقوله كالمودع للاحياء والاموات أما وداعه للاحياء فلا اشكال فيه وأما الاموات فمعنى وداعه لهم وداع الدعاء لهم لانه اذا مات فقد حيل بينه وبين الدعاء لهم فلا جرم ودعهم بالدعاء لهم قبل أن يحال بينه وبين ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم اني بين أيديكم أي أتقدم قبلكم وقوله صلى الله عليه وسلم بين أيديكم فرط أي متقدم وبين اذا أضيفت الى الايدي تستعمل فيما قبل زمانك وفيما بعده والمعنى هنا في قوله بين أيديكم أي أتقدم قبلكم قوله صلى الله عليه وسلم وأنا شهيد عليكم فيه وجهان أحدهما أن يخلق الله في قلبه علما ضروريا يميز به بين البر والفاجر فيشهد بما خلق الله في قلبه من ذلك اذ لا تكون الشهادة الا على أمر شاهد ومعلوم انه لم يشاهد مافعل بعده من أمته فيخلق الله له علما بذلك الوجه الثاني أن يخبره الله تعالى بذلك كما في حديث الحوض وليذادن عنه أقوام كما يذاد البعير الضال فأقول الا هلم الا هلم فيقال انهم قد غيروا بعدك فأقول فسحقا فسحقا فسحقا فيشهد بما أخبره الله تعالى به وهو نظير ما روى في تفسير قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا من أن قوم نوح يقولون كيف تشهدون علينا وزمانكم متأخر عن زماننا فيقولون لان الله تعالى قص علينا أخباركم في كتابه فقال انا أرسلنا نوحا

أنا أعالج فتى من الابناء بعد اذهب عني فوالله لو كانت عشرون ألف دينار ماقبلتها فرجعت الى الفضل وأخبرته الخبر فقال لي يا أبا يحيى حدثني باحسن ما رأيت أو بلغك من أفعالنا قال فجعلت أحدثه فقال لي دع عنك هذا فوالله ان مافعله هذا الرجل أحسن من كل مافعلناه في أيامنا كلها * وقتل جعفر بن يحيى وهو ابن خمس واربعين سنة ومات يحيى بالرقة في سنة تسع وثمانين ومائة على ماقدمنا (قال المسعودي) وللبرامكة أخبار حسان وسير وقد قدمنا ذكرها فيما سلف من كتبنا في ذكر أخبار ملوك الروم بعد ظهور الاسلام وما كان بينه وبين يعفور فيما تقدم من هذا الكتاب وللبرامكة أخبار حسان وما كان منهم من الافضال بالمعروف واصطناع المكارم وغير ذلك من عجائب أخبارهم وسيرهم وما مدحتهم الشعراء به ومراثيهم وقد أتينا على جميع ذلك في كتابنا أخبار الزمان والكتاب الاوسط وانما نورد في هذا الكتاب لمعا من الاخبار لم يتقدم لها ايراد في غيره من كتبنا وكذلك ذكر بدء أخبارهم قبل ظهور الاسلام وكونهم على بيت النوبهار وهو بيت النار ببلخ المقدم ذكرها فيما سلف من هذا الكتاب وعلة تسمية برمك وخبر برمك الاكبر مع ملوك

الى قومه الى آخره وقوله صلى الله عليه وسلم وان موعـدكم الحوض وانى لانظر اليه من مقامى هذا نظره صلى الله عليه وسلم الى الحوض فيه وجهان أحدهما أن يكون نظره اليه بقلبه اذ كان قد أطلعه الله عليه ليلة الاسراء فصار مرتسما فى قلبه فيكون نظره اليه بعين قلبه كما يرتسم فى قلب أحدنا شكل بيته وما فيه من المتاع والثياب وغير ذلك الثانى أن يكون الله تعالى قد كشف له عنه فيكون نظره اليه بعينه مشاهدة وقوله صلى الله عليه وسلم وانى لست أخشى عليكم أن تشركوا ان قيـل كيف قال ذلك وقد ارتد عن الاسـلام من ارتد من العرب بعده فالجواب انه انما خاطب بذلك من لم يشرك من أصحابه ومن بعدهم من التابعين وغيرهم من أمته ولم يراع رعاع العرب وجهالهم اذ لا اعتبار بهم لاحتقارهـم وقوله عليه الصلاة والسلام ولكنى أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها قد وقع ما خشى منـه عليه الصلاة والسلام من المنافسة فى الدنيا فكان كما ذكر صلى الله عليه وسـلم انتهـى (وحـدث) الشيخ أبو البركات قال كنت بجاية بمجلس الامام ناصر الدين المشذالى أيام قراءتى عليه وقد أفاض طلبة مجلسه بين يديه هل الملائكة أفضل أم الانبياء فقلت الدليـل لان الملائكة أفضل أن الله أمرهم بالسجود لآدم قال فجعل الطلبة ينظر بعضهم الى بعض حتى قال لى بعضهم استند يا سـيدنا كأنه يقول استند الى حائط ليزول هوس رأسـك وكانت عبارتهم فى ذلك وكل منهم يقول لى نحو ذلك ازراء وقال لى الامام ناصر الدين أبصر فانهم يقولون لك الحق وكانت لغته أن يقول ابصر قال فقلت أتقولون ان أمر الله للملائكة بالسجود لآدم أمر ابتـلاء واختبـار قالوا نعم قلت أفيعتبر العبد بتقبيل يد سيده ليرى تواضعـه قالوا لا فان ذلك من شان العبد دون أن يؤمر بل السيد يختبر تواضعه بان يؤمر بالسجود للعبد قلت فكذا الملائكة لو أمرت بالسجود لأفضل منها لكان بمنزلة أمر العبد بالسجود لسيده قال فكأنما ألقمتهم حجرا قال الشيخ أبو البركات وهذه حكاية أبى بكر بن الطيب مع بعض رؤساء المعتزلة وذلك انه اجتمع معه فى مجلس الخليفـة فناظره فى مسئلة رؤية البارى فقال له رئيسهم ما الدليل أيها القاضى على جواز رؤية الله تعالى قال قوله تعالى لا تدركه الابصار فنظر بعض المعتزلة الى بعض وقالوا جن القاضى وذلك أن هذه الآية هى معظم ما احتجوا به على مـذهبهم وهو ساكت ثم قال لهم أتقولون ان من لسان العرب قولك الحائط لا يبصر قالوا لا قال أتقولون ان من لسان العرب الحجر لا ياكل قالوا لا قال فلا يصح اذا نفى الصفة الا عما من شانه صحة اثباتها له قالوا نعم قال فكذلك قوله تعالى لا تدركه الابصار لولا جواز ادراك الابصار له لم يصح نفيه عنـه فاذعنوا للمقال واستحسنوه *وقال الشيخ أبو البركات كنت بجاية وقدم علينا رجل من فاس برسم الحج يعرف بابن الحداد فركب الناس فى الاخذ عنه والرواية لما يحمله كل صعب وذلول مع انه لم تكن منزلته هنالك فى العـلم فعجبت لذلك حتى قلت لبعض الطلبة لقد أخذتموه بكلتا اليدين ولم أركم مع من هو أعلى قدرا منه كذلك فقال الوالى لانه قدم علينا ونحن لا نعرفه وهو فى زى حسن بخادم يخدمه يظن من يراه أن أباه من أعيان أهل بلده فسألناه أخى أبوه أم لا قال بل حى قلنا أهو من أهل العلم قال لا هو دلال فى سوق الخدم فلذلك آثرناه على من هو فوقه فى العـلم قال فقلت لهم حق له ان ترتفـع منزلته ويعلو صيته لتخلقه وفضـله وفوائد ابى البركات كثـيرة *ومن تآليفه

منهـم فى أيام المنصور وا كتفينا بما ذكرناه فى هذا الـكتاب من التلويحات من أخبارهـم واللمع من آثارهم

(ذكر خلافة محمد الامين)

بويع محمد بن هرون فى اليوم الذى مات فيـه هـرون الرشيـد وهو يوم السبت لاربع ليال خـلون من جمادى الاولى بطوس سنة ثلاث وتسعين ومائة وتقدم ببيعته رجاء الخادم وكان القيم ببيعته الفضل ابن الربيـع وكان محمـد يكنى بابى موسى وأمه زبيدة ابنـة جعفـر بن أبى جعفر وكان مولده بالرصافـة وقتـل وهو ابن ثـلاث وثلاثين سنة وثلاثة عشر يوما ودفنت جثته ببغداد وحمل رأسـه الى خراسان وكانت خلافتـه أربـع سنـين وستة أشـهر وكان أصغـر من المأمون بستة أشهر وكانت أيامه من خلعه الى مقتـله سـنة ونصفا وثـلاثة عشر يوما حبس فيها يومين

(وذكر جملا من أخباره وسـيره ولمعا مما كان فى أيامه)

قبض الرشـيد والمأمون بمرو وبعث صالح بن الرشيد رجاء الخادم مولى محمد الامين الى محمد فاتاه بالخبر فى اثنى عشر يوما الى مدينة المؤتمن

المؤتمن على أبناء أبناء الزمن كتاب مفيد جدا وهو رضي الله عنه من ذرية العباس بن مرداس السلمي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين * وقال الشيخ ابو البركات ذكر لي ان الشيخ الفقيه الكاتب اباالحسن بن الحباب يحدث عني ولا اذكر الآن اني قلت ذلك ولكنني لما سمعته علمت انه مما من شاني ان اقوله وهو اني قلت مثل العالم مثل رجل يصب ماء في قفة ان واظب على صب الماء بقيت القفة ملأى وان ترك صب الماء بقيت القفة لا شئ فيها من الماء كذلك العالم ان واظب على طلب العلم بقي العلم لم ينقص منه شئ وان ترك الطلب ذهب علمه انتهى * ونقلت ممن راى كلام ابن الصباغ في ترجمة ابي البركات ما نصه لما ورد مدينة فاس في غرض الهناء والعزاء على امير المسلمين ابي بكر السعيد ابن امير المؤمنين ابي عنان وابصر الدار غاصة بارباب الدولة الفاسية ولم يعدم منها عدا شخصه والولد على اريكة أبيه انشد

لما تبدلت المجالس اوجها * غير الذين عهدت من جلسائها
ورأيتها محفوفة بسوى الالى * كانوا حماة صدورها وفنائها
انشدت بيتا سائرا متقدما * والعين قد شرقت بجارى مائها
أما القباب فانها كقبابهم * وأرى نساء الحي غير نسائها

انتهى وأظن أنه تمثل بالابيات في سره والا فيبعد أن يقولها في ذلك المحفل لما في ذلك من التعرض للهلاك والله سبحانه أعلم * وحكى بعضهم انه كان جالسا في دهليز بيته مع بعض الاصحاب فدخلت زوجته من الحمام وهي بغير سراويل لقرب الحمام من البيت فانكشف ساقها فدخل خلفها مسرعا وغاب ساعة ثم خرج وأنشد

كشفت على ساق لها فرأيته * متلألئا كالجوهر البراق
لا تعجبوا ان قام منه قيامتي * ان القيامة يوم كشف الساق

وله في خديم اسمه يحيى احتجم محجمة واحدة

أراني يحيى صنعة في قفائه * مهذبة لما تبادر للباب
أرى الخمس فيها لا تفارق ساعة * فصور بالموسى بها شكل محراب

وتوفي الشيخ القاضي أبو البركات المذكور بشوال سنة ٧٧١ رحمه الله تعالى (ومن أشياخ لسان الدين رحمه الله تعالى) الشيخ الحكيم العلامة التعالمي الشاعر البليغ أعجوبة زمانه في الاطلاع على علوم الاوائل أبو زكريا يحيى بن هذيل وقد قال في الاحاطة في حقه ما ملخصه يحيى بن أحمد بن هذيل التجيبي أبو زكريا شيخنا جرى ذكره في التاج المحلى بما نصه درة بين الناس مغفلة وخزانة على كل فائدة مقفلة وهدية من الدهر الضنين لبنيه محتفله أبدع من رتب التعاليم وعلمها وركض في الالواح قلمها وأتقن من صور الهيأة ومثلها وأسس قواعد البراهين وأثلها وأعرف من زاول شكاية ودفع عن جسم نكاية الى غير ذلك من المشاركة في العلوم والوصول من المجهول الى المعلوم والمحاضرة المستفزة للعلوم والدعابة التي ما خالع العذار فيها بالملوم فما شئت من نفس عذبة الشيم وأخلاق كالزهر من بعد الديم ومحاضرة تذهب المجالس والمحاضر وهذا كره يروق في

في المنام ليلة علقت بمحمد كأن ثلاث نسوة دخلن عليها وهي بمجلس فقعدت اثنتان عن يمينها وواحدة عن يسارها فدنت احداهن فجعلت يدها على بطن أم جعفر ثم قالت ملك عظيم البذل ثقيل الحمل نكد الامر ثم فعلت الثانية كما فعلت الاولى وقالت ملك ناقص الجد مفلول الحد مذوق الود تجور أحكامه وتخونه أيامه ثم فعلت الثالثة كما فعلت الثانية وقالت قصاف عظيم الاتلاف كثير الخلاف قليل الانصاف قالت فاستيقظت وأنا فزعة فلما كان في الليلة التي وضعت فيها محمد ادخلن علي وأنا نائمة كما كن دخلن فقعدن عند رأسي ونظرن في وجهي ثم قالت احداهن شجرة نضرة وريحانة حسنة وروضة زاهرة ثم قالت الثانية عين غدقة قليل لبثها سريع فناؤها عجل ذهابها وقالت الثالثة عدو لنفسه ضعيف في بطشه سريع الى غشه مزال عن عرشه فاستيقظت وأنا فزعة بذلك وأخبرت بذلك بعض قهارمتي فقالت بعض ما يطرق النائم وعبث من عبث التوابع فلما تم فصاله أخذت مرقدي ومحمد أمامي في مهده اذ بهن قد وقفن على رأسي وأقبلن على ولدي محمد فقالت احداهن

النواظر زهرها الناضر وله ادب ذهب في الاجادة كل مذهب وارتدى من البلاغة بكل رداء مذهب والادب نقطة من حوضه وزهرة من زهرات روضه وسمرله في هذا الديوان مايبهر العقول ويحاسن برواثة ورائق بهائه الفرند المصقول فمن ذلك ما خرجته من ديوانه المسمى بالسليمانيات والعرفيات قوله

ألا أستودع الرحمن بدرا مكملا * بفاس من الدرب الطويل مطالعه
ففي فلك الأزرار يطلع سعده * وفي أفق الأكباد تلفى مواقعه
يصير مرآه منجم مقلتي * فتصدق في قطع الرجاء قواطعه
تجسم من ماء الملاحة خده * وماء الحيا فيه ترجرج مائعه
تلون كالحرباء في خجلاته * فيحمر قانيه ويبيض ناصعه
اذا اهتز غني حليه فوق نحره * كغصن النقا غنت عليه سواجعه
يذكر حتف الصب عامل قده * وتعطف من واو العذار توابعه
أعد الورى سيفا كسيف لحاظه * فهذا هو الماضي وذلك يضارعه

وقال
وصالك هذا أم تحية بارق * وهجرك أم ليل السليم لتائق
أباديك والاشواق تركض جرها * بصفحة خدي من دموع سوابق
أبارق ثغر من عذيب رضابه * قضت مهجتي بين العذيب وبارق

ومنها
فلا تتعبن ريح الصبا في رسالة * ولا تحمل الطيف الذي كان طارقي
متى طعمت عيني الكرى بعد بعدكم * فاني في دعوى الهوى غير صادق

وقال
بدا بدر تم فوقه الليل عسعسا * وجنة أنس في صباح تنفسا
حوى النجم قرطا والدراري مقلدا * وأسبل من مسك الذوائب حندسا
كأن سنى الاصباح رام يزورنا * وخاف العيون الرامقات فغلسا
أتى يحمل التوراة ظبيا مزنرا * لطيف التثني اشنب الثغر ألعسا
وقابل أحبار اليهود بوجهه * فبارك مولانا عليه وقدسا
فصير دمعي أعينا شرب سبطه * وعمري تيها والجوانح مقدسا

وقال منها
رويت ولوعي عن ضلوعي مسلسلا * فاصبحت في علم الغرام مدرسا
نفى النوم عني كي أكون مسهدا * فاصبحت في صيد الخيال مهندسا
غزال من الفردوس تسقيه أدمعي * ويأوي الى قلبي مقيلا ومكنسا
طغى ورد خديه بجنات صدغه * فاضعفه بالآس نبتا ومأسا

وهذا البيت محال على معنى فلاحي قال أهل الفلاحة ان الآس اذا اغترس بين شجر الورد اضعفه بالخاصية * وقال رحمه الله تعالى ورضي عنه

نام طفل النبت في حجر النعامى * لاهتزاز الطل في مهد الخزامى
وسقى الوسمي أغصان النقا * فهوت تلثم أفواه الندامى
كحل الفجر لهم جفن الدجى * وغدا في وجنة الصبح لثاما

تحسب

ملك جبار متلاف مهذار بعيد الآثار سريع العثار ثم قالت الثانية ناطق مخصوم ومحارب مهزوم وراغب محروم وشقي مهموم وقالت الثالثة احفروا قبره ثم شقوا لحده وقدموا أكفانه وأعدوا جهازه فان موته خير من حياته قالت فاستيقظت وأنا مضطربة وجلة وسألت مفسري الاحلام والمنجمين فكل يخبرني بسعادته وحياته وطول عمره وقلبي يأبى ذلك ثم زجرت نفسي وقلت وهل يدفع القدر أو يقدر أحد أن يدفع عن أحبابه الاجل (ومات أبو بكر بن عياش) الكوفي وهو ابن ثمان وتسعين سنة بعد موت الرشيد بثماني عشرة ليلة ولما هم محمد بخلع المأمون شاور عبد الله بن حازم فقال له أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن لا تكون أول الخلفاء نكث عهده ونقض ميثاقه واستخف بيمينه فقال اسكت لله أبوك فعبد الملك بن صالح كان أفضل منك رأيا حيث يقول لا يجتمع فحلان في أجمة وجمع القواد وشاورهم فاتبعوه في مراده الى أن بلغ الى هرثمة بن حازم فقال يا أمير المؤمنين لن ينصحك من كذبك ولن يغشك من صدقك ولا تجرئ القواد على الخلع فيخلعوك ولا تحملهم على نكث العهد فينكثوا عهدك وبيعتك فان الغادر

تحسب البدر محيا ثملٍ * قد سقته راحة الصبح مداما
حوله الزهر كؤوس قد غدت * مسكة الليل عليهن ختاما
يا عليل الريح رفقا علني * أشف بالسقم الذي حزت سقاما
أبلغن شوقي عريبا بالاوى * همت في أرض بها حلوا غراما
فرشوا فيها من الدر حصى * ضربوا فيها من المسك خياما
كنت أشفي غلة من صدكم * لو أذنتم لجفوني أن تناما
واستفدت الروح من ريح الصبا * لو أتت تحمل من سلمى سلاما

وقال منها أيضا

نشأت للصب منها زفرة * تسكب الدمع على الربع سجاما
طرب البرق مع القلب بها * وبها الانات طارحن الحماما
طال لا تشتفي الاذن به * وهو للعينين قد ألقى كلاما
ترك الساكن لي من وصله * ضمة الجدران لثما والتزاما
نزعات من سليمان بها * فهم القلب معانيها فهاما
شادن يرعى حشاشات الحشى * حسب حظي منه ان أرعى الذماما

وقال

أأرجو أماما منك والالحظ غادر * ويثبت عقلي فيك والطرف ساحر

ومنها

أعيذ سليمان أليم عذابه * لطائر قلبي فهو للبين صائر
أشاهد منه الحسن في كل نظرة * وناظر أفكاري بمغناه ناظر
دعت للهوى أنصار سحر جفونه * فقلبي له عن طيب نفس مهاجر
اذا شق عن بدر الدجى أفق زره * فاني بتمويه العواذل كافر
وفي حرم السلوان طابت خواطري * وقلبي لماقي وجنتيه مجاور
وقد ينزع القلب المبتلي لسلوة * كما اهتز من قطر الغمامة طائر
يقابل أغراضي بضد مرادها * ولم يدر أن الضد للضد قاهر
ونار اشتياقي صعدت من أدمعي * فضمر سري فوق خدي ظاهر
وقد كنت باكي العين والبين غائب * فقل لي كيف الدمع والبين حاضر
وليس النوى بالطبع مراً وانما * لكثرة ما شقت عليه المرائر

وقال

يا بارقا قاد الخيال فاومضا * اقصد بطيفك مدنفا قد غمضا
ذاك الذي قد كنت تعهد نائما * بالسهد من بعد الاحبة عوضا
لا تحسبني معرضا عن طيفه * لكن منامي عن جفوني أعرضا

ومنها

عجب الوشاة لمهجتي أن لم تذب * يوم النوى وتشككت فيما مضى
خفيت لهم من سر صبري آية * ما فهمت الا سليمان الرضا
لله درك ناهجا سبل الهوى * فلمثله أمر الهوى قد فوضا
أمنت غلا فوق خدك سارحا * وسللت سيفا من جفونك منتضى

وقال في المدح

شيخ هذه الدعوة وباب هذه الدولة لا يخالف امامه ولا يوهن طاعته ثم رفعه الى موضع ما رفعه اليه فيما مضى وكان على بن عيسى أول من أجاب الى خلع المأمون فسيره في جيش عظيم نحو المأمون فلما قرب من الري قيل له ان طاهر بن الحسين مقيم بها وقد كان يظن ان طاهرا لا يثبت له فقال ما طاهر الا شوكة من أغصاني وشرارة من ناري وما مثل طاهر يؤمر على جيش وما بينه وبين الامين الا أن تقع عينه على سواد كم فان السخال لا تقوى على نطاح الكباش والثعالب لا تقوى على لقاء الاسد فقال له ابنه ابعث طلائع وارتد موضعا العسكرك فقال ليس طاهر يستعد له بالمكايد والتحفظ ان حال طاهر يؤدي الى أمرين اما أن يتحصن بالري فيثب به أهلها ويكفونا مؤنته أو يخليها ويدبر راجعا لو قد قربت حيواناتنا منه فقال له ابنه ان الشرارة ربما صارت ضراما فقال ان طاهرا ليس قرنا في هذا الموضع وانما تحترس الرجال من أقرانها وسار على بن عيسى وبث عساكره من الري وتبين ما عليه طاهر من الجد وأهبة الحرب وضم الاطراف فعدل الى رستاق من رساتيق الري متياسرا

على بن عيسى وتبين كثرتها وعدة مافيها فعلم أن لا طاقة له بذلك الجيش فقال لخواصه ومن معه نجعلها خارجية وكردس خيله كراديس وصمد في القلب في نحو سبعمائة من الخوارزمية نحو عشرهم من فرسان خراسان وخرج اليه من القلب العباس بن الليث مولى المهدي وكان فارسا فقصده طاهر وضم يديه على سيفه فاتى عليه وكان على على برذون كميت أرجل وعالا على رأسه الرجال وتنازعوا في خاتمه وسود رأسه فذبحه رجل يعرف بطاهر بن الراجي وقبض آخر على خصلة من شعر لحيته وآخر على خاتمه وكان سبب هزيمة الجيش ضربة طاهر بيديه جميعا للعباس ابن الليث وبذلك سمى طاهر ذا اليمينين لجمعه يديه على السيف (وذكر) أحمد ابن هشام وكان من وجوه القواد قال جئت الى مضرب طاهر وقد توهم أني قتلت في المعركة ومعي رأس على فقال البشرى هذه خصلة من رأس على مع غلامي في المخلاة فطرحه قدامه ثم أتى بجثته وقد شدت يداه ورجلاه كما يفعل بالدواب اذا ماتت فامر به طاهر فألقى في بئر وكتب الى ذي الرياستين فكان في الكتاب أطال الله بقاءك

حريص على جر الذوائب والقنا * اذا كمت الابطال والجو عابس
وتعتنق الابطال لولا سقوطها * اقلت لتوديع أتته الفوارس
اذا اختطفتهم كفه فسروجهم * مجال وهم في راحتيه فرائس

وقال يمدح السلطان أبا الوليد بن نصر عند قدومه من فتح اشكو

بجيش البنود الحمر والاسد الورد * كتائب سكان السماء لها جند
وتحت لواء النصر ملك هو الورى * تضيق به الدنيا اذا راح أو يغدو
تأمنت الارواح في ظل بنده * كأن جناح الروح من فوقه بند
فلو رام ادراك النجوم لنالها * ولو هم لانقادت له السند والهند

ومنها

يعيني بحر النقع تحت أسنة * تنمنمه وهنا كما نمنم البرد
سماء عجاج والاسنة شهبها * ووقع القنا رعد اذا برق الهند
وظنوا بان الرعد والصعق في السما * تحاق به من ايده النعي والرعد
عجائب أشكال سما هرمس بها * مهندسة تأتي الجبال فتنهد
ألا انها الدنيا تريك عجائبا * وما في القوى منها فلا بد أن يبدو

وقال وهو معتقل

تساعد عني منزل وحبيب * وهاج اشتياقي والمزار قريب
واني على قرب الحبيب مع النوى * يكاد اذا اشتد الانين يجيب
لقد بعدت عني ديار قريبة * عجبت لجار الجنب وهو غريب
أعاشر أقواما تقر نفوسهم * فللهم فيها عند ذاك ضروب
اذا شعروا من جارهم بتأوه * أجابته منهم زفرة ونحيب
فلا ذاك تشكوهم هذا تأسفا * لكل امرئ مما دهاه نصيب
كأني في غاب الليوث مسالم * يروعني منه الغداة وثوب
يحكم فيها الدهر والعقل حاضر * بكل قياس والاديب اديب
ولو مال بالجهال ميلته بنا * لجاء بعذران ذا لعجيب
رفيقي بمن لا ينثني عن جريمة * يطوش بمن ماأو بقته ذنوب
ويطمعنا منه بوارق خلب * تقول عساه يرعوي فيئوب
اذا ما تشبثنا باذيال برده * دهتنا اذا جر الخطوب خطوب
أدار علينا صولجانا ولم يكن * سوى أنه بالحادثات لعوب

ومنها

أيا دهر اني قد سئمت تهددي * أجرني فان السهم منك مصيب
اذا خفق البرق الطروق أجابه * فؤادي ودمع المقلتين سكوب
وان طلع الكف الخضيب سحيرة * فدمعي بحناء الدماء خضيب
تذكرني الاسحار دارا ألفتها * فيشتد حزني والحمام طروب
اذا علقت نفسي بليت وربما * تكاد تفيض أو تكاد تذوب
دعوتك ربي والدعاء ضراعة * وأنت تناجي بالدعا فتجيب

لئن

لئن كان عقبى الصبر فوزا وغبطة * فاني على الصبر الجميل دروب
ل وبعثت اليه هدية من البادية فقال يصف منهاديكا

أيا صديقا جعلته سندا * فراح فيما أحبه وغدا
طلبت منكم سريد كاخنشار * وجئتم لى مكانه لبدا
صير منى مؤرخا ولكم * ظلات فى علمه من البلدا
قلت له آدم أتعرفه * قال حفيدى بعصرنا ولدا
نوح وطوفانه رأيتهما * قال علونا بفيضه أحدا
فقلت هل لى بجرهم خبر * فقال قومى وجيرتى السعدا
فقلت قحطان هل مررت به * قال نقشنا ببرده العقدا
فقلت صف لى سباوسا كنها * فعند هذا تنفس الصعدا
فقال كم لى بدجنهم سحرا * من صرخة لى وللنوم هدا
فقلت هاروت هل سمعت به * فقال ريشى اسهمه نهدا
فقلت كسرى وآل شرعته * فقال كنا بجيشه وفدا
ولواوصار رواوها أنا لبد * فهل رأيتم من فوقهم احدا
ديك اذا ما انثنى لفكرته * رأى وجودا طرائقا قددا
يرفل فى طيلسانه ولها * قد صير الدهر لونه كمدا
اذا دجا الليل غاب هيكله * كأن حبرا عليه قد جمدا
كأنما جلنار لحيته * برجان جازامن الهواء مدى
كأن حصناء لابهامته * أعده للقتال فيه عدا
يرنو بياقوتى لواحظه * كأنما اللحظ منه قد رمدا
كأن تجالى ذوائبه * قوس سماء من أصله بعدا
وعوسج مدمس مخالبه * طغى بها فى نقاره وعدا
فذاك ديك جلت محاسنه * ل صراخ بين الديوك بدا
يطلبنى بالذى فعلت به * وكم قلنا بليته مدى
وجهته محنة لا ٢ ـــ له * والله ما كان ذاك منك سدى

ولم نزل بعد نستعدى عليه باقراره بقتله ونطلبه بالقود عند تصرفه بالعمل فيوجه الدية لنا فى ذلك رسائل وقال فى غرض أبى نواس

طرقنا ديور القوم وهنا وتغليسا * وقد شرفوا الناسوت اذ عبدوا عيسى
وقد رفعوا الانجيل فوق رؤسهم * وقد قدسوا الروح المقدس تقديسا
فاستيقظوا الاصكة بابهم * فادهش رهبانا وروع قسيسا
وقام بها البطريق يسعى ملبيا * وقد لين الناقوس رفعا وتانيسا
فقلنا له أمنا فانا عصابة * أتينا التثليث وان شئت تسديسا
وماقصدنا الا الكؤس وانما * نحاله فى القول خبثا وتدليسا

بت أعداك كتابى اليك ورأس على بن عيسى بين يدى وخاتمه فى اصبعى والحمد لله رب العالمين فسر المامون بذلك ونسلم عليه فى ذلك الوقت بالخلافة وقد كانت أم جعفر لا تعلق من الرشيد فشاور بعض مجالسيه من الحكماء وشكا ذلك اليه فاشار عليه بان يغيرها فان ابراهيم الخليل عليه السلام كانت عنده سارة فلم تكن تعلق منه فلما وهبت له هاجر علقت منه باسمعيل فغارت سارة عند ذلك فعلقت باسحق فاشترى الرشيد أم المامون فاستخلاها فعلقت بالمامون فغارت أم جعفر عند ذلك فعلقت بمحمد وقد قدمنا التنازع فى ذلك أعنى قصص ابراهيم واسمعيل واسحق وقول من ذهب الى أن اسحق هو المأمور بذبحه ومن قال بل اسمعيل وما ذكر كل فريق منهم وقد تناظر فى ذلك السلف والخلف فمن ذلك ما جرى بين عبد الله بن عباس وبين مولاه عكرمة وقد قال عكرمة من المأمور بذبحه فقال اسمعيل واحتج بقول الله عزوجل ومن وراء اسحق يعقوب الا ترى أنه بشر ابراهيم بولادة اسحق فكيف يامره بذبحه فقال له عكرمة أنا أوأخذك أن الذبيح

اسحق من القرآن واحتج بقول الله عزوجل وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث ويتم

ففتحت الابواب بالرحب منهم * وعرس طلاب المدامة تعريسا

فلما رأى رقى أمامى ومزهرى * دعانى أتأنيسا لحنت وتلبيسا

وقام الى دن يفض ختامه * فكبس اجرام الغياهب تكبيسا

وطاف بها رطب البنان مزنر * فابصرت عبدا صير الحر مرؤسا

سلافا حواها القار لما نخلتها * مثالا من الياقوت فى الحبر مغموسا

ومنها

الى أن سطا بالقوم سلطان نومهم * ورأس قبيل الشمع نكس تنكيسا

وثبت اليه بالعناق فقال لى * بحق الهوى هب لى من الضم تنفيسا

كتبت بدمع العين صفحة خده * فطلس حبر الشعر كتبى تطليسا

فبئس الذى احتلناه كدنا عليهم * و بئس الذى قد أضمروا قبل ذا بيسا

فبتنا يرانا الله شر عصابة * تطيع بعصيان الشريعة ابليسا

وقال بديهة فى غزالة من النحاس ترمى الماء على بركة

عنت لنا من وحش وجرة ظبية * جاءت لورد الماء مل ء عنانها

وأظنها اذ حددت آذانها * ريعت بنا فتوقفت بمكانها

حيث بقرنى رأسها اذ لم تجد * يوم اللقاء تحية ببنانها

حنت على الندمان من افلاسهم * فرمت قضيب لجينها لحنانها

لله در غزالة أبدت لنا * در الحباب تصوغه بلسانها

(قال لسان الدين) وفلج المذكور فلزم منزلى لمكان فضله ووجوب حقه وقد كانت زوجه توفيت وصحبه عليها وجد فلما ثقل وقربت وفاته استدعانى وكاد لسانه لا يبين فاوصانى وقال

اذا مت فادفنى حذاء حليلتى * يخالط عظمى فى التراب عظامها

ولا تدفننى فى البقيع فاننى * أريد الى يوم الحساب التزامها

ورتب ضريحى كيفما شاءه الهوى * تكون أمامى أو أكون أمامها

لعل اله العرش يجبر صدعتى * فيعلى مقامى عنده ومقامها

ومات رحمه الله تعالى فى الخامس والعشرين لذى قعدة عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة ودفن بحذاء زوجه كما عهد رحمه الله تعالى انتهى ومن نظم ابن هذيل

وظبى زارنى والليل طفل * الى أن لاح لى منها اكتهال

وألقى الشك من وصل فقلنا * بليل الشك يرتقب الهلال

(ومن أشياخ لسان الدين) الشيخ أبو بكر بن ذى الوزارتين وهو أعنى أبا بكر الوزير الكاتب الاديب الفاضل المشارك المتفنن المتبحر فى الفنون أبو بكر محمد ابن الشيخ الشهير ذى الوزارتين ابى عبد الله الحكيم الرندى ومن نظمه قوله

تصبر اذا ما ادركتك ملمة * فصنع اله العالمين عجيب

وما يلحق الانسان عار بنكبة * ينكب فيها صاحب وحبيب

ففيمن مضى للمرء ذى العقل اسوة * وعيش كرام الناس ليس يطيب

نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحق فنعمته على ابراهيم أن نجاه من النار ونعمته على اسحق أن فداه بالذبح وكانت وفاة عكرمة مولى ابن عباس سنة خمس ومائة ويكنى أبا عبد الله مات فى اليوم الذى مات فيه كثير عزة فقال الناس مات عظيم الفقهاء وكبير الشعراء وفيها كانت وفاة الشعبى (وحدث) ابراهيم بن المهدى قال بعث الى الامين وهو محاصر فصرت اليه فاذا هو جالس فى طارمة خشبها من عود وصندل عشرة فى عشرة واذا سليمان بن أبى جعفر المنصور معه فى الطارمة وهى قبة كان اتخذها فراشا مبطنا بانواع الحرير والديباج المنسوج بالذهب الاحمر وغير ذلك من أنواع الابريسم فسلمت فاذا قدامه قدح بلور مخروز فيه شراب ينفذ مقداره خمسة أرطال وبين يدى سليمان قدح مثله فجلست بازاء سليمان فاتيت بقدح كالاول والثانى قال فقال انما بعثت اليكما لما بلغنى قدوم طاهر بن الحسين الى النهروان وما قد صنع فى أمرنا من المكروه وقابلنا به من الاساءة فدعوتكما لافرح بكما وبحديثكما فاقبلنا نحدثه ونؤنسه حتى سلا عما كان يجده وفرح ودعا بجارية من خواص

ويوشك

ويوشك ان تهمي سحائب نعمة * فيخصب ربع للسرور جديب

الهك يا هذا قريب لمن دعا * وكل الذي عند القريب قريب

قال ابن خاتمة وانشدني الوزير ابو بكر مقدمه على المرية غازيا مع الجيش المنصور قال أنشدني أبي

ولما رأيت الشيب حل بمفرقي * نذيرا بترحال الشباب المفارق

رجعت الى نفسي فقلت لها انظري * الى ما أرى هذا ابتداء الحقائق

و بيتهم بيت كبير واخذ عن غير واحد وعن والده وهو ذو الوزارتين ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن يحيى اللخمي الرندي الكاتب البليغ الاديب الشهير الذكر بالاندلس واصل سلفه من اشبيلية من أعيانها ثم انتقلوا الى رندة في دولة بني عباد و يحيى جد والده هو المعروف بالحكيم لطبه وقدم ذو الوزارتين على حضرة غرناطة امام السلطان أبي عبد الله محمد بن محمد بن نصر اثر قفوله من الحج في رحلته التي رافق فيها العلامة اباعبد الله ابن رشيد الفهري فالحقه السلطان بكتابه واقام يكتب له في دوان الانشاء الى ان توفي هذا السلطان وتقلد الملك بعده ولي عهده ابو عبد الله المخلوع فقلده الوزارة والكتابة واشرك معه في الوزارة اباسلطان عبد العزيز بن سلطان الداني فلما توفي ابو سلطان افرده السلطان بالوزارة ولقبه ذا الوزارتين وصار صاحب أمره الى ان توفي بحضرة غرناطة قتيلا نفعه الله تعالى غدوة يوم الفطر مستهل شوال سنة ثمان وسبعمائة وذلك لتاريخ خلع سلطانه وخلافة أخيه أمير المسلمين أبي الجيوش مكانه ومولده برندة سنة ستين وستمائة وكان رحمه الله تعالى علما في الفضيلة والسراوة ومكارم الاخلاق كريم النفس واسع الايثار متين الحرمة عالي الهمة كاتبا بليغا أديبا شاعرا حسن الخط يكتب خطوطا على أنواع كلها جميلة الانطباع خطيبا فصيح القلم زاكي الشيم مؤثرا لاهل العلم والادب برا باهل الفضل والحسب نفقت عدته للفضائل أسواق وأشرقت بامداده للافاضل آفاق ورحل للشرق كما سبق فكانت اجازته البحر من المرية فقضى فريضة الحج وأخذ عمن لقي هنالك من الشيوخ فشيخته متوافرة وكان رفيقه كما مر الخطيب أبا عبد الله بن رشيد الفهري فتعاونا على هذا الغرض وقضيا منه كل نفل ومفترض واشتركا فيمن أخذا عنه من الاعلام في كل مقام وكانت له عناية بالرواية وولوع بالادب وصبابة باقتناء الكتب جمع من أماتها العتيقة وأصولها الرائقة الانيقة مالم يجمعه في تلك الاعصر أحد سواه ولا ظفرت به يداه أخذ عنه الخطيب الصالح أبو اسحق بن أبي العاصي وتدبج معه رفيقه أبو عبد الله بن رشيد وغير واحد وكان ممدحا وممن مدحه الرئيس أبو محمد عبد المهيمن الحضرمي والرئيس أبو الحسن بن الجياب وناهيك بهما * ومن بديع مدح ابن الجياب له قصيدة رائية رائقة يهنيه فيها بعيد الفطر منها في أولها

يا قادما عمت الدنيا بشائره * أهلا بمقدمك الميمون طائره

ومرحبا بك من عيد تحف به * من السعادة أجناد تظافره

قدمت فالخلق في نعمى وفي جذل * أبدى بك البشر باديه وحاضره

جواريه تسمى ضعفا قال فتطيرت من اسمها ونحن على تلك الحال فقال لها غنينا فوضعت العود في حجرها وغنت

كليب لعمري كان أكثر ناصرا * وأكثر جرما منك ضرج بالدم

فتطير من قولها ثم قال لها اسكتي قبحك الله ثم عاد الى ما كان عليه من الغم والاقطاب فاقبلنا نحادثه ونبسطه الى أن سلا وضحك ثم أقبل عليها وقال هات ما عندك فغنت

هم قتلوه كي يكونوا مكانه * كما غدرت يوما بكسرى مرازبه

فاسكتها وزأرها وعاد الى الحالة الاولى فسليناه حتى عاد الى الضحك فاقبل عليها الثالثة فقال غني فغنت

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا * صروف الليالي والجدود العواثر

وقيل بل انها غنت

أما ورب السكون والحرك * ان المنايا كثيرة الشرك

فقال لها قومي غني فعل الله بك وصنع بك فقامت فعثرت بالقدح الذي كان بين يديه فكسرته فانهرق الشراب وكانت ليلة قمراء ونحن على شاطئ دجلة في قصره المعروف بالخلد فسمعنا قائلا يقول قضي الامر الذي فيه تستفتيان قال ابن المهدي فقمت

قد جاء أمر فادح

فيه لذي عجب عجب

قال فما قمنا معه بعدها الى ان قتل وكان الامين مولعا بام ولده فطم وهي أم موسى الذي كان سماه الناطق بالحق وأراد خلع المامون والعقد له من بعده فهلكت أم موسى فطم فجزع عليها جزعا شديدا فلما اتصل الخبر بام جعفر زبيدة قالت احملوني الى أمير المؤمنين فحملت اليه فاستقبلها وقال ياسيدتي ماتت فطم فقالت

نفسي فداؤك لا يذهب بك اللهف

ففي بقائك مما قد مضى خلف

عوضت موسى فهانت كل مرزية

ما بعد موسى على مفقودة أسف

(وذكر) ابراهيم بن المهدي قال استاذنت على الامين يوما وقد اشتد الحصار عليه من كل وجه فابوا ان ياذنوا لى بالدخول عليه الى ان كاثرت ودخلت فاذا هو قد تطلع الى دجلة بالشباك وكان في وسط قصره بركة عظيمة لها مخترق الى الماء في دجلة وفي المخترق شباك حديد

والارض قد لبست أثواب سندسها * والروض قد بسمت منه أزاهره

حاكت يد الغيث في ساحاته حللا * لما سقاها دراكا منه باكره

فلاح فيها من الانوار باهرها * وفاح فيها من النوّار عاطره

وقام فيها خطيب الطير مجتلا * والزهر قد رصعت منه منابره

موشي ثوب طواه الدهر آونة * فها هو اليوم للابصار ناشره

فالغصن من نشوة يثني معاطفه * والطير من طرب تشدو مزاهره

وللكمام انشقاق عن أزاهرها * كما بدت لك من خل ضمائره

لله يومك ما أذكى فضائله * قامت لدين الهدى فيه شعائره

فكم سريرة فضل فيك قد خبئت * وكم جمال بدا للناس ظاهره

فافخر بحق على الايام قاطبة * فما لفضلك من ند يظاهره

فانت في عصرنا كابن الحكيم اذا * قيست بفخر أولي العليا مفاخره

يلتاح منه بافق الملك نور هدى * تضاءل الشمس مهما لاح زاهره

مجد صميم على عرش السماك سما * طالت مبانيه واستعلت مظاهره

وزارة الدين والعلم الذي رفعت * أعلامه والندى الفياض زاخره

وليس هذا ببدع من مكارمه * ساوت أوائله فيه أواخره

يلتقي الامور بصدر منه منشرح * بحر وآراؤه العظمى جواهره

راعي أمور الرعايا معملا نظرا * كمثل علياه معدوما نظائره

والملك سير في تدبيره حكما * تنال ما عجزت عنه عساكره

سياسة الحلم لا بطش يكدرها * فهو المهيب وما تخشى بوادره

لا يصدر الملك الا عن اشارته * فالرشد لا تتعداه مصايره

تجري الامور على أقصى ارادته * كأنما دهره فيه يشاوره

وكم مقام له في كل مكرمة * أنست موارده فيها مصادره

ففضلها طبق الآفاق أجمعها * كأنه مثل قد سار سائره

فليس يجحده الا أخو حسد * يرى الصباح فيعشى منه ناظره

لا ملك أكبر من ملك يدبره * لا ملك أسعد من ملك يوازره

يا عز أمر به اشتدت مضاربه * يا حسن ملك به ازدانت محاضره

تثني البلاد وأهلوها عا عرفوا * ويشهد الدهر آتيه وغابره

بشرى لآمله الموصول مأمله * تعسا لحاسده المقطوع دابره

فالعلم قد أشرقت نوارا مطالعه * والجود قد أسبلت سحا مواطره

والناس في بشر والملك في ظفر * عال على كل عالي القدر قاهره

والارض قد ملئت أمنا جوانبها * بيمن من خلصت فيها سرائره

والى أياديه من مثنى وموحدة * تساجل البحران فاضت زواخره

فكل يوم تلقاناء وارفه * كساه امواله الطولى دفاتره

فسلمت عليه وهو مقبل على الماء والخدم والغلمان قد انتشروا الى تفتيش الماء وهو كالواله فقال لي

خذ

فمن يؤدي لما أولاه من نعم * شكرا ولو أن سحبانا يظاهره
يا أيها العيد بادر اثم راحته * فانما هو خير مأمول تبادره
والخبر بان قد لقيت ابن الحكيم على * عصر يباريك أو دهر تفاخره
وللصيام وقد عظمت حرمته * فاجره لك وافيه ووافره
وأقبل العيد فاستقبل به جذلا * واهنأ به قادما عمت بشائره

(ومن نثر ذي الوزارتين آخر اجازة ما صورته) وها أنا أجري معه على حسن معتقده وأكله في هذا الغرض الى ما رآه بمقتضى تودده وأجيز له ولولديه أقر الله بهما عينه وجمع بينهما وبينه رواية جميع ما نقلته وحملته وحسن اطلاعه يفصل من ذلك ما أجملته فقد أطلقت لهم الاذن في جميعه وأبحت لهم الحمل عني ولهم الاختيار في تنويعه والله سبحانه يخلص أعمالنا لذاته ويجعلها في ابتغاء مرضاته قال هذا محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم حامدا الله عز وجل ومصليا ومسلما * ومن شعر ذي الوزارتين بن الحكيم قوله

ما أحسن العقل وآثاره * لو لازم الانسان ايثاره
يصون بالعقل الفتى نفسه * كما يصون الحر أسراره
لاسيما ان كان في غربة * يحتاج أن يعرف مقداره

وقوله رحمه الله

اني لاعسر أحيانا فيلحقني * يسر من الله ان العسر قد زالا
يقول خير الورى في سنة ثبتت * أنفق ولا تخش من ذي العرش اقلالا

وهو من أحسن ما قال رحمه الله * ومن شعر ذي الوزارتين المذكور قوله

فقدت حياتي بالعراق ومن غدا * بحال نوى عمن يحب فقد فقد
ومن أجل بعدي عن ديار ألفتها * جحيم فؤادي قد تلظى وقد وقد

وقد سبقه الى هذا القائل

أواري أواري بالدموع تجلدا * وكم رمت اطفاء اللهيب وقد وقد
فلا تعذلوا من غاب عنه حبيبه * فمن فقد المحبوب مثلي فقد فقد

كذا رواه ابن خاتمة ورواه غيره هكذا * أواري أواري والدموع تبينه * وهو الصواب قال ابن خاتمة وأنشدني رئيس الكتاب الصدر البليغ الفاضل أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان البخاري قال أنشدني رئيس الكتاب الجليل أبو محمد عبد المهيمن بن محمد الحضرمي قال أنشدني رئيس الكتاب ذو الوزارتين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم رحمه الله

صح الكتاب وعنه * واختم على مكتتمه
واحذر عليه من خيا * نة الرقيب بجفنه
واجعل لسانك سجنه * كيلا ترى في سجنه

قال ابن خاتمة وفي سند هذه القطعة نوع غريب من التسلسل (وحكي) ان ذا الوزارتين المذكور لما اجتمع مع الجليل الفقيه الكاتب بن أبي مدين أنشده ابن أبي مدين

عشقتكم بالسمع قبل لقاكم * وسمع الفتى يهوى لعمري كطرفه

وقد ثنيت بالسلام وكررت لاتؤذوني فقرطاي قد ذهبت في البركة الى دجلة والقرطة سمكة كانت قد صيدت له وهي صغيرة فقرطها حلقتين من ذهب فيهما حبتا در قال فخرجت وأنا مؤيس من فلاحه وقلت لو ارتدع من وقت لكان هذا الوقت وكان محمد في نهاية الشدة والقوة والبطش والبهاء والجمال الا انه كان عاجز الرأي ضعيف التدبير غير مفكر في أمره (وحكي) انه اصطبح يوما وقد كان خرج أصحاب اللبابيد والحراب على البغال وهم الذين كانوا يصطادون السباع الى سبع كان بلغهم خبره بناحية كوثى والقصر فاحتالوا في السبع الى أن أتوا به في قفص من خشب على جمل بختي فحطوا بباب القصر وأدخل فترك في صحن القصر والامين مصطبح فقال خلوا عنه وشيلوا باب القفص فقيل له يا أمير المؤمنين انه سبع هائل اسود وحش فقال خلوا عنه فشالوا باب القفص فخرج سبع أسود له شعر عظيم مثل الثور فزأر وضرب بذنبه الى الارض فتهارب الناس وغلقت الابواب في وجهه وبقي الامين وحده جالسا موضعه غير مكترث بالاسد فقصد الاسد حتى دنا منه فضرب الامين بيده الى مرفقة ارمنية فامتنع منه بها ومد السبع يده اليه

وحبني ذكر الجليس اليكمو* فلما التقينا كنتمو فوق وصفه
فانشده ذو الوزارتين بن الحكيم

مازلت أسمع عن علياك كل سنى * أبهى من الشمس أو أجلى من القمر
حتى رأى بصري فوق الذي سمعت * اذني فوفق بين السمع والبصر

ويعجبني في قريب من هذا المعنى قول الحاج الكاتب أبي اسحق الحساوي رحمه الله

سحر البيان بناني صار يعقده * والنفث في عقده من منطق الحسن
لا أنشد المرء يلقاني ويبصرني * أنا المعيدي فاسمع بي ولا ترني

(رجع) وقال لسان الدين في عائد الصلة في حق ذي الوزارتين بن الحكيم ما صورته كان رحمه الله فريد دهره سماحة وبشاشة ولوذعية وانطباعا رقيق الحاشية نافذ العزمة مهتزا للمديح طلقا للآمل كهفا للغريب برمكي المائدة مهلبي الحلوى ريان من الادب مضطلعا بالرواية مستكثرا من الفائدة يقوم على المسائل الفقهية ويتقدم الناس في باب التحسين والتقبيح ورفع راية الحديث والتحديث نفق بضاعة الطالب واحيا معالم الادب واكرم العلم والعلماء ولم تشغله السياسة عن النظر ولا عاقه تدبير الملك عن المطالعة والسماع وأفرط في اقتناء الكتب حتى ضاقت قصوره عن خزائنها وأثرت أنديته من ذخائرها قام له الدهر على رجل وأخدمه صدور البيوتات وأعلام الرياسات وخوطب من البلاد النازحه وأمل في الآفاق النائيه انتهى المقصود منه ومن أحسن مارثي به الوزير ابن الحكيم رحمه الله قول بعضهم

قتلوك ظلماً واعتدوا * في فعلهم حد الوجوب
ورموك أشلاء وذا * أمر قضته لك الغيوب
ان لم يكن لك سيدي * قبر فقبرك في القلوب

(وقال لسان الدين في الاحاطة في حق رحلة ذي الوزارتين بن الحكيم ما صورته) رحل الى الحجاز الشريف من بلده على فتاء سنه اول عام ثلاثة وثمانين وستمائة فحج وزار وتجوّل في بلاد المشرق منتجعا عوالي الرواية في مظانها ومنفرا عما اعتد مني شيوخها وقيد الاناشيد الغريبة والابيات المرقصة وأقام بمكة شرفها الله من شهر رمضان الى انقضاء الموسم فاخذ بها عن جماعة وانصرف الى المدينة المشرفة ثم قفل مع الركب الشامي الى دمشق ثم كر الى المغرب لا يمر بمجلس علم أو تعلم الا روى أو روّى واحتل رندة حرسها الله أواخر عام خمسة وثمانين وستمائة فأقام بها عينا في قرابته وعلما في أهله معظما لديهم الى أن اوقع السلطان بالوزراء من بني حبيب الوقيعة البرمكية وورد رندة في اثر ذلك فتعرض اليه وهنأه بقصيدة طويلة من اوليات شعره أولها

هل الى ردعشيات الوصال * سبب أم ذاك من ضرب المحال

فلما أنشدها اياه أعجب به وبحسن خطه ونصاعة ظرفه فأثنى عليه واستدعاه الى الوفادة على حضرته فوفد آخر عام ستة وثمانين فاثبته في خواص دولته وأحظاه لديه الى أن رقاه الى كتابة الانشاء ببابه واستمرت حاله معظم القدر مخصوصا بالمزية الى أن توفي السلطان ثاني

يجذبها الامين وقبض على وتبادر الناس الامين فاذا أصابعه ومفاصل يديه قد زالت عن مواضعها فاتى بجبر فردعظام أصابعه الى مواضعها وجلس كانه لم يعمل شيئا فشقوا بطن الاسد فاذا مرارته انشقت عن كبده (وحكي) أن المنصور جلس ذات يوم ودخل اليه بنوهاشم من أهله فقال لهم وهو مستبشر أما علمتم ان محمدا المهدي ولد البارحة له ولد ذكر وقد سميناه موسى فلما سمع القوم ذلك وجموا وكانما فقئ في وجوههم الرماد ولم يحيروا جوابا فنظر اليهم المنصور فقال لهم هذا موضع دعاء وتهنئة واراكم قد سكتم ثم استرجع فقال كاني بكم لما أخبرتكم بتسميتي اياه موسى اغتممتم به لان المولود المسمى بموسى بن محمد هو الذي على رأسه تختلف الكلمة وتنتهب الخزائن ويضطرب الملك ويقتل أبوه وهو المخلوع من الخلافة ليس هو ذاك ولا هذا زمانه والله ان جد هذا المولود يعني هرون الرشيد لم يولد بعد قال فدعوا له وهنوه وهنوا المهدي وكان هذا موسى الهادي أخا الرشيد وكان العهد الذي كتبه الرشيد بين الامين والمامون وأودعه الكعبة ان الغادر

الملوك من بنى نصر وتقلد الملك بعده ولى عهده أبو عبد الله فزاد فى احظائه وتقريبه وجمع له بين الكتابة والوزارة ولقبه بذى الوزارتين واعطاه العلامة وقلده الامر فبعد الصيت وطاب الذكر الى أن كان من أمره ما كان انتهى ملخصا * وقال فى الاحاطة بعد كلام طويل فى ترجمته قال شيخنا الوزير أبو بكر بن الحكيم ولده وجدت بخطه رحمه الله تعالى رسالة خاطب بها أخاه الاكبر أبا اسحق ابراهيم افتتحها بقصيدة أوّلها

ذكر اللوى شوقا الى أقماره * فقضى أسى او كاد من تذكاره
وعلا زفير حريق نار ضلوعه * فرمى على وجناته بشراره

وقد ذكرناها فى غير هذا المحل ومن نظمه مما يكتب على قوس

انا عدّة للدين فى يد من غدا * لله منتصرا على اعدائه
أحكى الهلال وأسهمى فى رجمها * لمن اعتدى تحكى نجوم سمائه
قد جاء فى القرآن أنى عدّة * اذ نص خير الخلق محكم آيه
واذا العدو أصابه سهمى فقد * سبق القضاء بهلكه وفنائه

(قال لسان الدين) ومن توقيعه ما نقلته من خط ولده يعنى أبا بكر فى كتابه المسمى بالموارد المستعذبة وكان بوادى آش الفقيه الظريف فكتب الى خاصة والدى أبى جعفر بن داود قصيدة على روى السين يشتكى فيها من مشرف بلدهم اذ ذاك أبى القاسم بن حسان منها

فيا صفى أبى العباس كيف ترى * وأنت أكيس من فيها من اكياس
ولو ان كان ممن ترتضون به * فقد دنا الفتح للاشراف فى فاس

ومنها يستطرد ذكر ذى الوزارتين

للشرق فضل بهنه أشرقت شهب * من نورهم أقبسونا كل مقباس

فوقع عليها رحمه الله تعالى

ان أفرطت بابن حسان عوائله * فالامر يكسوه ثوب الذكر والباس
وان ترل به فى جرره قدم * كان الجزاء له ضربا على الراس
فقد أقامنى المولى بنعمته * لبث أحكامه بالعدل فى الناس

(ثم أطال فى أمره الى أن قال فى ترجمة قتله ماصورته) واستولت يد الغوغاء على منازله شغلهم بها مدبر الفتنة خيفة من أن يعاجلوه قبل تمام أمره فضاع بها مال لا يكتب وعروض لا يعلم لها قيمة من الكتب والذخيرة والفرش والآنية والسلاح والمتاع والخرثى وأخفرت ذمته وتعدى به عدوّه القتل الى المثلة وقانا الله مصارع السوء فطيف بشلوه وانتهب فضاع ولم يقبر وجرت فيه شناعة كبيرة رحمه الله تعالى انتهى المقصود منه *(رجع) ومن مشايخ لسان الدين الاستاذ أبو الحسن على القيجاطى وقال فى حقه فى الاحاطة ما محصله على بن عمر بن ابراهيم بن عبد الله الكنانى القيجاطى أبو الحسن أوحد زمانه علما وتخلقا وتواضعا وتفننا ورد على غرناطة مستدعى عام اثنى عشر وسبعمائة وقعد بمسجدها الاعظم يقرئ فنونا من العلم من قرا آت وفقه وعربية وأدب وولى الخطابة وناب عن بعض القضاة بالحضرة مشكور المآخذ حسن السيرة عظيم النفع وقصده الناس وأخذوا عنه وكان أديبا وذعيا

(وذكر ياسر) انه لما احيط بمحمد دخلت أم جعفر باكية فقال لها مأمه انه ليس بجزع النساء وهلعن عقدت التيجان والخلافة سياسة لا تسعها صدور المراضع وراءك وراءك ويقال ان محمدا قصف عند طاهر فبينا طاهر فى بستانه اذ ورد كتاب من محمد بخطه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم اعلم انه ما قام لنا مذ قمنا قائم بحقنا وكان جزاؤه الا السيف فانظر لنفسك أودع قال فلم يزل والله يتبين موقع الكتاب من طاهر فلما رجع الى خراسان أخرجه الى خاصته وقال لهم والله ما هذا كتاب مضعوف ولكنه كتاب مخذول ولم يكن فيمن سلف من الخلفاء الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة من أبوه وأمه بنى هاشم الا على بن أبى طالب كرم الله وجهه ومحمد بن زبيدة وفى محمد بن زبيدة يقول أبو الهذيل

ملك أبوه وأمه من نبعة
منها سراج الامة الوهاج
شربت بمكة من ذرا بطحائها
ماء النبوّة ليس فيه مزاج

وفى سنة سبع وتسعين ومائة كان ابتداؤه بالغدر بالمامون وفى سنة سبع وتسعين ومائة مات بالرقة عبد الملك بن صالح بن على فى أيام الامين وكان عبد

فكلها حلو وهو أول أستاذ قرأت عليه القرآن والعربية والادب اثر قراءة المكتب وله تآليف في فنون وشعر ونثر فمن شعره قوله

روض المشيب تفتحت أزهاره * حتى استبان ثغامه وبهاره
ودجى الشباب قد استبان صباحه * وظلامه قد لاح فيه نهاره
فاتى حمام لا يعاف وقوعه * ومضى غراب لا يخاف مطاره
والعمر مثل البدر يبدو حسنه * حينا ويعقب بعد ذاك سراره
ما للاخاء تقلصت أفياؤه * ما للصفاء تكدرت آثاره
والحر يصفح ان أخل خليله * والبر يسمح ان تجر أجاره
فتراه يدفع ان تمكن جاهه * وتراه ينفع ان علا مقداره
ولانت تعلم أنني زمن الصبا * مازلت زندا والحياء سواره
ولانت تعلم انني زمن الصبا * مازلت ممن عف فيه ازاره
والهجر ما بين الاحبة لم يزل * ترك الكلام أو السلام مثاره
ولكم تجافى عن جفاء خليله * فطن وقد ظفرت به اظفاره
ولكم أصر على التدابر مدبر * افضى الى ندم به اصراره
فاقام كالكسعي بان نهاره * أوكالفرزدق فارقته نوار
انكرتم من حق معترف لكم * بالحق مالا ينبغي انكاره
والشرع قد منع التقاطع نصه * قطعا وقد وردت به اخباره
والسن سن تورع وتبرع * وتسرع لتشرع تختاره
ما يومنا من أمسنا متدارك * ذهب الشباب فكيف يبقى عاره
هل لاحظرتم أو حذرتم منه ما * حق عليكم حظره وحذاره
عجبا لمن يجري هواه لغاية * محدودة اضماره مضماره
يأتي ضحى ما كان ياتيه دجى * فكانه ما شاب منه عذاره
فيعد ما تفنى به حسناته * ويعد ما تبقى به اوزاره
فالنفس قد أجرته مل عنانها * يشتد في مضمارها احضاره
والمرء من اخوانه في جنة * بل جنة تجري بها أنهاره
واليمن قد مدت اليه يمينه * واليسر قد شدت عليه يساره
شعر به أشعرت بالنصح الذي * يهديه من اشعاره أشعاره
ولو اختبرتم نقده بمحكه * لامتاز بهرجه ولاح نضاره
هذا هدى فيه اقتده تنل المنى * أو أنت في هذا وما تختاره
وعليكم مني سلام مثل ما * أرجت بروض يانع أزهاره

وقال من قصيدة رثائية

حمام حمام فوق أيك الاسى تشدو * تهيج من الاشجان ما أوجد الوجد
وذلك شجو في حناجرنا شجي * وذلك هزل في ضمائرنا جد

الملك أفصح ولد العباس في عصره يقال ان الرشيد لما اجتاز ببلاد منبج من أرض الشام نظر الى قصر مشيد وبستان معتم بالاشجار كثير الثمار فقال لمن هذا القصر قال لك ولي بك يا أمير المؤمنين قال فكيف بناء القصر قال دون منازلك وفوق منازل الناس قال فكيف مدينتك قال عذبة الماء باردة الهواء صلبة الموطا قليلة الادواء قال كيف ليلها قال سحر كله وقال له يا أبا عبد الرحمن ما أحسن بلادكم قال فكيف لا تكون كذلك وهي تربة حمراء وسنبلة صفراء وشجرة خضراء فيافي فسيح وجبال وصيح بين قيصوم وشيح فالتفت الرشيد الى الفضل بن الربيع فقال ضرب السياط أهون على من هذا الكلام ولما سمى محمدا ابنه الناطق بالحق وأخذ له العهد على الناس الفضل بن الربيع وزفر وموسى يومئذ لا ينطق بأمر ولا يعرف حسنا ولا يعقل قبيحا ولا يخلو من الحاجة الى من يخدمه في ليله ونهاره ويقظته وقيامه وقعوده واحضنه علي بن عيسى بن ماهان قال في ذلك رجل أعمى من أهل بغداد يعرف بعلي بن أبي طالب

اضاع الخلافة غش الوزير * وفعل الامام ورأي المشير
وماذاك الا طريقا غرور * وشر المسالك طرق الغرور

أرى

أرى أرجل الأرزاء تشتد نحونا * وأيديها تسعى الينا فتمتد
ونحن أولو سهو عن الامر ماأنا * سوى أمل انجابنا عنده جد
فان خطرت للمرء ذكرى بخاطر * فتسبيحة الساهي اذا سمع الرعد
مصاب به قدت قلوب وأنفس * لدينا اذا في غيره قطعت برد
أبن له الصم الصلاب وتنهمي * عيون ويبكي عنده الحجر الصلد
أفلا مقلة ترنو ولا اذن تعي * ولا راحة تعطو ولا قدم تعدو
وقد كان يبدو الصبر منا تجلدا * وهذا مصاب صبرنا فيه ما يبدو

مولده عام خمسين وستمائة وتوفي بغرناطة ضحى السبت في السابع والعشرين لذي حجة عام ثلاثين وسبعمائة وحضره السلطان فن دونه رحمه الله تعالى انتهى * (ومنهم العلامة شيخ الشيوخ أبو سعيد فرج بن لب) قال في الاحاطة في حقه ما محصله فرج بن قاسم بن أحمد بن لب قال ابن الصباغ من شعر ابن لب يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم

اذا القلب ثار أثار ادكارا * لقلبي فاذكى عليه أوارا
تروم جفوني لنار الهوى * خمودا فتهمي دموعا غزارا
فماء جفوني يسح انهمالا * ونار فؤادي تهيج استعارا
أطيل العويل صباحا مساء * كئيبا ولست أطيق اصطبارا
رقيت مراقي للعب شتى * فافنى مرارا وأحيا مرارا
أحن اشتياقا اذا ريح سرت * وأبدى هيامااذا برق أنارا

فعال الخليفة أعجوبة * وأعجب منه فعال الوزير وأعجب من ذا وذا أننا * نبايع للطفل فينا الصغير ومن ليس يحسن مسح انفه * ولم يخل من متنه حجر ظير وماذاك الا باغ وغاو * يريدان نقض الكتاب المنير وهذان لولا انقلاب الزما * ن في العير هذان أم في النفير ولكنها فتن كالجبال * ترفع فيها بضع الحقير ولما قتل طاهر بن الحسين على بن عيسى بن ماهان سار فنزل حلوان وذلك على خمسة أيام من مدينة السلام فتعجب الناس من أمره وادبار أصحاب الامين وهزيمتهم في كل حال وأيقنوا بقتله وظهور المأمون واسقط في يدي الفضل بن الربيع وأصحابه فقال الشاعر عجبت لمعشر يرجون نجحا * لأمر ماتتم به الامور وكيف يتم ما عقدوا وراموا * وأس بنائهم منه الفجور أهاب الى الضلال بهم غوى * وشيطان مواعده غرور يصيب بهم ويلعب كل لعب * كما لعبت بشاربها الخمور وكادوا الحق والمأمون غدرا * وليس بمفلح أبدا غدور هو العدل النجيب البر فينا * تضمن حبه منا الصدور وعاقبة الامور له يقينا * به شهد الشريعة والزبور فملك أربعين لها وفاء * يتم به الاهلة والشهور فكيدوا أجمعين بكل كيد * وكيد كم له فيه السرور وبلغ محمدا الخمع قواده عند ما ظهر من ٢٦٥ أمر طاهر وشاورهم وقال أحضروا الى غناء كم كما أحضرت خراسان لعبد الله غناءها وكانت كما قال أعشى ربيعة ثم ماهابوا ولكن قدموا كبش غارات اذا لاقى نطح أما والله لقد حدثت بحديث الامم السالفة وقرأت كتب حروبها وقصص من أقام دولها فما رأيت في حديثهم حديثا لرجل منهم وأتى كهذا الرجل في اقدامه وسياسته وقد قصدني واجترأ علي وعلى الهامة العظيمة من الجند ومجمع القواد وساسة الحروب فهاتوا ما عندكم قالوا يبقي الله أمير المؤمنين ويكفيه كما كفى الخلفاء قبله بغي من بغى عليهم ولما انهزم جيش محمد بين يدي طاهر ولم يقم له قائمة منهم قال سليمان بن أبي جعفر لعن الله الغدار ماذا جلب على الامة بغدره وسوء رأيه وأبعد الله نسبه أهل الفضل لأسرع ما انتصر الله للمأمون بكبش المشرق وفي ذلك يقول الشاعر
تبا لدى الايام والمتزندق * ماذا دعاه الى العظيم الموثق والغدر بالبر الزكي أخي التقى * والسائس المأمون غير الاخرق زين الخلافة والامامة والنهى * أهل السماحة والندى المتدفق ان تغدروا جهلا بوارث أحمد * ووصى كل مسدد وموفق فالله للمأمون خير موازر * والماجد القمقام كبش المشرق ولما أحيط بمحمد من الجانب الشرقي والغربي وكان هرثمة ابن أعين نازلا مما يلي النهروان بالقرب من باب خراسان وثلاثة أبواب وطاهر من الجانب الغربي مما يلي الناشرية وباب المحول والكناس جمع قواده فقال الحمد لله الذي يضع من يشاء بقدرته ويرفع والحمد لله الذي يعطي بقدرته من يشاء ويمنع الحمد لله الذي يقبض ويبسط واليه المصير أحمده على نوائب الزمان وخذلان الاعوان وتشتت الحال وكسوف البال وصلى

الله على رسوله وآله وسلم وقال انى لافارقكم بقلب موجع ونفس حزينة وحسرة عظيمة انى محتال لنفسى فاسأل الله أن
يلطف بى بعونته ثم كتب الى طاهر أما بعد فانك نصحت فنصحت وحاربت فنصرت وقد يغلب الغالب ويخذل المفلح
وقد رأيت الصلاح فى معاونة أخى والخروج اليه من هذا السلطان اذ كان أولى به وأحق فاعطنى الامان على نفسى وولدى
وأمى وجدتى وحاشيتى وأنصارى واخوانى أخرج اليه وهذا الامر الى أخى فان رأى الوفاء لى بامانك والا كان أولى وأحق
قال فلما قرأ طاهر الكتاب قال الآن ضيق خناقه وهيض جناحه وانهزم فساقه لا والذى نفسى بيده حتى يضع يده فى
يدى وينزل على حكمى فعند ذلك كتب الى هرثمة يسأله النزول على حكم أمانه وقد كان المخلوع جهز جماعة من رجاله
من الابناء وغيرهم ممن استأمن اليه لدفع المامونية عنده فالوا نحو هرثمة وكان طاهر يمد هرثمة بالرجال ولم يلق هرثمة مع
ذلك كثير كيد فلما مال من ذكرنا الى حرب هرثمة وعلى الجيش بشر و بشر الازدمان ٣ انفض الجمع وكان طاهر قد نزل فى
البستان المعروف بباب الكناس بالطاهرى ففى ذلك يقول بعض العيارين من أهل بغداد ومن أهل السجون

لنا من طاهر يوم * عظيم الشان والخطب علينا فيه بالانحا * دعن هرثمة الكلب
ومنا لابى الطيب يوم صادق الكرب أتاه كل كرار * ولص كان ذا نقب وعريان على جنبيه آثار من الضرب

اذا ما حل من شرق
أتيناه من الغرب
وضاق الامر بمحمد الامين
ففرق فى قواده المحدثين
دون غيرهم خمسمائة ألف
درهم وقارورة غاليه ولم
يعط قدماء أصحابه شيأ
فانت طاهرا عيونه
وجواسيسه بذلك فراسلهم
وكاتبهم ووعدهم ومناهم
وأغرى الاصاغر بالقادة
حتى غضبوا لذلك وسعوا
على الامين وقال بعضهم
قل لامين الناس فى نفسه
ماشتت الجند سوى الغاليه
وطاهر نفسى فدا طاهر
برسله والعدة الكافيه
أضحى زمام الملك فى كفه * مقابلا للفئة الباغيه قد جاءك الليث بسيدانه مستكلبا فى أسد ضاريه طريق
فاهرب فلا مهرب من مثله * حقا الى النار أو الهاويه وانتقل طاهر من الناشرية فنزل بباب الانبار وحاصر أهل
بغداد وغادى القتال وراوحه حتى تواكل الفريقان وخربت الديار وعفت الآثار وغلت الاسعار وذلك فى سنة ست
وتسعين ومائة وقاتل الاخ أخاه والابن أباه هؤلاء محمدية وهؤلاء مامونية وهدمت المنازل وأحرقت الديار وانتهبت
الاموال فقال الاعمى فى ذلك تقطعت الارحام بين العشائر * وأسلمهم أهل التقى والبصائر فذاك انتقام الله من خلقه بهم
لما اجترموه من ركوب الكبائر فلا نحن اظهرنا من الذنب توبة * ولا نحن اصلحنا فساد السرائر ولا نستمع من واعظ ومذكر
فينجع فينا وعظ ناه وآمر فأبك على الاسلام لما تقطعت * رجاه ورجى خيرها كل كافر فاصبح بعض الناس يقتل بعضهم
فمن بين مقهور وعز بز وقاهر وصار رئيس القوم يحمل نفسه * وصار رئيسا فيهم كل شاطر

حننا وشوقا الى معلم * حوى شرفا خالدا لايجارى
به أسكن الله أسمى الورى * نبيا كريما وصحبا خيارا
هو المصطفى المنتقى المجتبى * أرى معجزات وآيا كبارا
يحق علينا ركوب البحار * وجوب القفار اليه ابتدارا
فيا فوز من فاز فى طيبة * بلثم المغانى جدارا جدارا
وألصق خدا على تربها * وأكمل حجا بها واعتمارا
وأهدى السلام لخير الانام * على حين وافى عليه مرارا
فيا هادى الخلق دار نعيم * تناهت جمالا وطابت قرارا
لانت الوسيلة والمرتجى * ليوم يرى الناس فيه سكارى
وماهم سكارى ولكنهم * دهتهم دواه فهاموا حيارى
ترى المرء للهول من أمه * ومن أقربيه يطيل الفرارا
وكل يخاف على نفسه * فيكسوه خوف الاله انكسارا
فصلى الاله رسول الهدى * عليك وأبقى هداك منارا
وقدس ربى ثرى روضة * يعم الجهات سناها انتشارا
أعير شذا المسك منها الثرى * بل المسك منه شذاه استعارا
هنيأ لمن بهداك اهتدى * ومغناك وافى واياك زارا
وقصد رحمه الله تعالى بهذه القصيدة معارضة قصيدة الشهاب محمود التى نظمها بالحجاز فى

ومنها

فلا فاجر للبر يحفظ حرمة * ولا يستطيع البر دفع الفاجر تراهم كأمثال الذئاب رأت دما * فأمته لا تلوى على زجر زاجر
وأصبح فساق القبائل بينهم * تسل على أقرانها بالخناجر فأبك لقتلى من صديق ومن أخ * كريم ومن جار شفيق مجاور
ووالدة تبكى بحزن على ابنها * فيبكى لها من رحمة كل طائر * وذات حليل أصبحت وهى أيم
وتبكى عليه بالدموع البوادر * تقول له قد كنت عزا وناصرا * فغيب عنى اليوم عزى وناصرى
وأبك لاحراق وهدم منازل * وقتل وانهاب اللهى والذخائر * وابراز ربات الخدور حواسرا
خرجن بلا خمر ولا بمآزر * تراها حيارى ليس تعرف مذهبا * نوافر أمثال الظباء النوافر
كأن لم تكن بغداد أحسن منظرا * وملهى رأته عين لاه وناظر * بلى هكذا كانت فأذهب حسنها
وبدد منها الشمل حكم المقادر * وحل بهم ما حل بالناس قبلهم * فاضحوا أحاديثا لباد وحاضر
أبغداد يا دار الملوك ومجتنى * صروف المنايا مستقر المنابر * ويا جنة الدنيا ويا مطلب الغنى
ومستنبط الاموال عند الضرائر * أبينى لنا أين الذين عهدتهم يحلون فى روض من العيش زاهر
وأين ملوك فى المواكب تغتدى
تشبه حسنا بالنجوم الزواهر
وأين القضاة الحاكمون برأيهم
لورد أمور مشكلات الاوامر
أو القائلون الناطقون بحكمة
ورصف كلام من خطيب وسائر
وأين مراح للملوك عهدتها
مزخرفة فيها صنوف الجواهر
ترش بماء المسك والورد أرضها
يفوح بها من بعد ريح المجامر
وروح الندامى فيه كل عشية
الى كل فياض كريم العناصر
ولهو قيان تستجيب لنغمها
اذا هو لباها حنين المزامر
فما الملوك العز من آل هاشم
وأشياعهم فيها اكتفوا بالمغادر
يروحون فى سلطانهم وكأنهم * يروحون فى سلطان بعض العشائر * يجادل عما لهم كبراؤهم
فنالتهم وبالكره أيدى الاصاغر * فاقسم لو أن الملوك تناصروا * لزالت لها خوفا رقاب الجبابر

وبعث هرثمة بن أعين بن زهير بن المسيب الضبى من الجانب الشرقى فنزل الماطر مما يلى كلواذا وغشى ما فى السفن من أموال التجار الواردة من البصرة وواسط ونصب على بغداد المجنيقات ونزل فى رقة كلواذا والجزيرة فتأذى الناس به وصمد نحوه خلق من العيارين وأهل السجون وكانوا يقاتلون عراة فى أوساطهم التبابين والمياز ر وقد اتخذوا الرؤسهم دواخل من الخوص وسموها الخود ودرقا من الخوص والبوارى قد قيرت وحشيت بالحصى والرمل على كل عشرة عريف وعلى كل عشرة عرفاء نقيب وعلى كل عشرة نقباء قائد وعلى كل عشرة قواد أمير ولكل ذى مرتبة من المركوب على مقدار ما تحت يده فالعريف له أناس مركبهم غير ماذكرنا من المقاتلة وكذلك النقيب والقائد والامير وناس عراة قد جعل فى أعناقهم الجلاجل والصوف

طريق المدينة المشرفة على ساكنها الصلاة والسلام وهى طويلة ومطلعها

وصلنا السرى وهجرنا الديارا * وجئناك نطوى اليك القفارا

وقد تبارى الشعراء فى هذا الوزن وهذا الروى ومنه القصيدة المشهورة

أقول وآنست بالحى نارا * ولابن لب رحمه الله تعالى الفتاوى المشهورة وقال فى الاحاطة فى حقه ما محصله فرج بن قاسم بن أحمد بن لب التغلبى غرناطى أبو سعيد من أهل الخير والطهارة والذكاء والديانة وحسن الخلق رأس بنفسه وبرز بزيادة ادراكه وحفظه فأصبح حامل لواء التحصيل وعليه مدار الشورى واليه مرجع الفتوى لقيامه على الفقه وغزارة علمه وحفظه الى المعرفة بالعربية واللغة ومعرفة التوثيق والقيام على القرا آت والتبريز فى التفسير والمشاركة فى الاصلين والفرائض والادب وجودة الحفظ وأقرأ بالمدرسة النصرية فى الثامن والعشرين لرجب عام أربعة وخمسين وسبعمائة معظما عند الخاصة والعامة مقرونا اسمه بالتنويه فقعد للتدريس ببلده على وفور الشيوخ وولى الخطابة بالجامع معظما عند الخاصة والعامة قرأ على القيجاطى والعربية على ابن الفخار وأخذ عن ابن جابر الوادى آشى فمن شعره فى النسيب

خذوا للهوى من قلبى اليوم ما أبقى * فما زال قلبى كله للهوى رقا
دعوا القلب يصلى فى لظى الوجد ناره * فنار الهوى الكبرى وقلبى هو الاشقى
سلوا اليوم أهل الوجد ماذا به لقوا * فكل الذى يلقون بعض الذى ألقى
فان كان عبد يسأل العتق سيدا * فلا أبتغى من مالكى فى الهوى عتقا

الاحمر والاصفر ومقاود قد اتخذت ولجم من مكاس ومذاب فيأتى العريف وقد أركب واحدا وقدامه عشرة من المقاتلة على ر ؤسهم خود ودرق البوارى ويأتى النقيب والقائد والامير كذلك فتقف النظارة ينظرون الى حربهم مع أصحاب الخيول المعدة والجواشن والدروع والتجافيف والرماح والدرق التبتية فهؤلاء عراة وهؤلاء على ماذكرناه كانت للعراة على زهير وأتاه المدد من هرثمة فانهزمت العراة ورمت بهم خيولهم وتحاصروا جميعا وأخذهم السيف فقتل منهم خلق وقتل من النظارة خلق فقال فى ذلك بعضهم وذكر رمى زهير بالمنجنيق

لاتقرب المنجنيق والحجرا * وقد رأيت القتيل اذ قبرا

باكر كيلا يفوته خال * ولاقتيل وخلف الخبرا

ياصاحب المنجنيق مافعلت * كفاك لم تبقيا ولم تذرا

هيهات أن يغلب الهوى القدرا * كأن داره سوى الذى أمرا

فلما ضاق الامر بالامين فى ارزاق الجند ضرب آنية الذهب والفضة سرا وأعطى رجاله وتحيز الى طاهر أهل الارباضيات مما يلى باب الانبار وباب حرب وباب قطربل فصارت الحرب فى وسط الجانب الغربى وعملت المنجنيقات بين الفريقين وكثر الحرق والهدم ببغداد فى الكرخ وغيره من الجانبين حتى درست محاسنها واشتد الامر وتنقل الناس من موضع الى موضع وعم الخوف فقال الشاعر

من ذا أصابك يابغداد بالعين
ألم تكونى زمانا قرة العين
ألم يكن فيك قوم كان قربهم
وكان مسكنهم زينا من الزين
صاح الزمان بهم بالبين فانقرضوا
ماذا لقيت بهم من لوعة البين
أستودع الله قوما ماذكرتهم
الا تحدر ماء الدمع من عينى
كانوا ففرقهم دهر وصدعهم
والبين يصدع ما بين الفريقين

ولم تزل الحرب بين الفريقين أربعة عشر شهرا وضاقت بغداد باهلها وتعطلت المساجد وتركت الصلاة ونزل بها مالم ينزل بها قط مثله مذ بناها المنصور وقد كان لاهل بغداد فى أيام حرب المستعين والمعتز حرب نحو هذا من حروب العيارين ويسير الى الحرب فى خمسين ألف عراة ولم ينزل باهل بغداد شر من هذا الحرب حرب المأمون والمخلوع وقد استعظم أهل بغداد ما نزل بهم فى هذا الوقت فى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة من خروج أبى اسحق المتقى عنهم وما كان قبل الوقت من البزيديين وبورون التركى وما دفعوا اليه من الوحشة بخروج أبى محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان الملقب بناصر الدولة وأخيه على بن عبد الله عليهم لبعد العهد مما حل بالمنازل بها وطول السنين وغيبة ذلك عنهم وبعدهم وتقدم مثل أولئك العيارين الذين كانوا فى ذلك العصر واشتد الامر بين المأمونية والعراة وغيرهم من أصحاب المخلوع وحصر محمد فى قصره من الجانب الغربى فكان بينهم فى بعض الايام موقعة تفانى فيها خلق كثير من الفريقين فقال فى ذلك حسين الخليع

أمين الله ثق بالله * تعط الصبر والنصره
كل الامر الى الله * كلاك الله ذو القدره
رأيت الحرب أحيانا * علينا ولنا مره

وكانت وقعة أخرى عظيمة بشارع دار الرقيق هلك فيها خلق كثير وكثر القتل

بدعوى الهوى يدعو أناس وكلهم * اذا سئلوا طرق الهوى جهلوا الطرقا
فطرق الهوى شتى ولكن أهله * يحوزون فى يوم السباق بها السبقا
وكم جمعت طرق الهوى بين أهلها * وكم أظهرت عند السوى بينهم فرقا
بسيما الهوى تسمو معارف أهله * فحيث ترى سيما الهوى فاعرف الصدقا
فمن زفرة تزجى سحائب عبرة * اذا زفرة ترقا فلا عبرة ترقا
اذا سكتوا عن وجدهم أعربت به * بواطن أحوال وما عرفت نطقا

وقال فى وداع شهر رمضان

أأزمعت ياشهر الصيام رحيلا * وقاربت يابدر الزمان افولا
أجدك قد جدت بك الآن رحلة * رويدك أمسك للوداع قليلا
نزلت فأزمعت الرحيل كأنما * نويت رحيلا اذ نويت نزولا
وماذاك الا أن أهلك قد مضوا * تفانوا فأبصرت الديار طلولا
تفكرت فى الاوقات ناشئة التقى * أشد به وطأ وأقوم قيلا

وهى طويلة وكان موجودا عند تأليف الاحاطة رحمه الله تعالى اه بالمعنى * وقال الحافظ ابن حجر انه صنف كتابا فى الباء الموحدة وأخذ عنه شيخنا بالاجازة قاسم بن على المالقى ومات سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة انتهى * وقال تلميذه المنتورى مانصه ومن شيوخى الشيخ الاستاذ الخطيب المقرى المتفنن المفتى أبو سعيد بن لب مولده سنة احدى وسبعمائة وتوفى ليلة السبت لسبع عشرة ليلة مضت من ذى الحجة عام اثنين وثمانين انتهى وهو مخالف لما

فى الطرق والشوارع ينادى هذا يا المأمون والآخر يا المخلوع ويقتل بعضهم بعضا وانتهب الدار فكان الفوز لمن نجا بنفسه من رجل وامرأة وانما يسلم معه الى عسكر طاهر فيأمن على نفسه وفى ذلك يقول الشاعر

بكت عينى على بغداد لما * فقدت غضاضة العيش الانيق
تبدلنا هموما من سرور * ومن سعة تبدلنا بضيق
أصابتنا من الحساد عين * فافنت أهلها بالمنجنيق
فقوم أحرقوا بالنار قسرا * ونائحة تنوح على غريق
وصائحة تنادى يا صباحى * وقائلة تنادى يا شقيقى
وحوراء المدامع ذات دل * مضمخة المجاسد بالخلوق
تنادى بالشفيق فلا شفيق * وقد فقد الشفيق مع الرفيق
وقوم أخرجوا من ظل دنيا * متاعهم يباع بكل سوق
ومغترب بعيد الدار ملقى * بلا رأس بقارعة الطريق
توسط من قتالهم جميعا * فما يدرون من اى الفريق
فلا ولد يقيم على أبيه * وقد هرب الصديق عن الصديق
ومهما أنس من شئ تولى * فانى ذاكر دار الرقيق

وسال قائد من قواد خراسان طاهرا أن يجعل له الحرب فى يوم ماله فيه ففعل طاهر له ذلك فخرج القائد وقد حقرهم وقال يبلغ من كيد هؤلاء ولا سلاح معهم مع ذوى الباس والنجدة والسلاح والعدة فبصر به بعض ٢٦٩ العراة وقدراماه مدة طويلة حتى فنيت سهام القائد وظن أن العريان فنيت حجارته فرماه بحجر بيت فى المخلاة وقد حمل عليه القائد فأخطأ عينه ورماه بحجر آخر فكاد يصرع القائد عن فرسه ووقعت البيضة عن رأسه فكر راجعا وهو يقول يا أبا طاهر ليس هؤلاء بناس هؤلاء شياطين ففى ذلك يقول أبو يعقوب الخزيمى

الكرخ أسواقه معطلة * يستن عيارها وعايرها
خرجت الحرب بين أسواقهم * أسود غيل علت قساورها

وقال على الاعمى

خرجت هذه الحروب رجالا * لا لقحطان لا ولا لنزار
معشر فى جواشن الحصر يعدو * ن الى الحرب كالليوث الضوارى
ليس يدرون ما الفرار اذا الابـ * ـطال عاذوا من القنا بالفرار
واحدهم يشد على ألـ * ـفين عريان ماله من ازار
ويقول الفتى اذا طعن الطعـ * ـنة خذها من الفتى العيار

وتوالت الحرب وطاهر فى قوة واقبال وأصحاب المخلوع فى نقص وادبار وأصحاب طاهر يهدمون و يأخذون بعض الدور و ينهبون المتاع فقال رجل من الحمدية

لنا كل يوم ثلمة لا نسدها * يزيدون فيما يطلبون وننقص
اذا هدموا دارا أخذنا سقوفها * ونحن لاخرى مثلها نتربص
يثيرون بالطبل القنيص وان بدا * لهم وجه صيد من قريب تقنصوا
وقد أفسدوا شرق البلاد وغربها * علينا فما ندرى الى اين نشخص
اذا حضروا قالوا بما يبصرونه * وان لم يروا شيئا قبيحا تخرصوا
قد رخصت قرآؤنا فى قتالهم * وما قتل المقتول الا المرخص

ولما نظر طاهر الى صبر أصحاب المخلوع على هذه الحال الصعبة قطع عنهم مواد الاقوات وغيرها من البصرة وواسط وغيرهما من الطرق فكان الخبز فى حد المامونيه عشرين رطلا

سبق عن ابن حجر لكن صاحب البيت أدرى اذ المنتورى تلميذه ونحوه للشيخ أبى زكريا السراج فى فهرسته اذ قال شيخنا الفقيه الخطيب الاستاذ المقرى العالم العلم الصدر الاوحد الشهير كان شيخ الشيوخ وأستاذ الاساتذة بالاندلس اليه انتهت فيها رياسة الفتوى فى العلوم كان أهل زمانه يقفون عندما يشير اليه قرأ على أبى على القيجاطى بالسبع وتفقه عليه كثيرا فى أنواع العلوم ولازمه الى أن مات وأجازه عامة وعليه اعتمد وأخذ عن أبى جعفر ابن الزيات وأبى اسحق بن أبى العاصى وابن جابر الوادى آشى وقاضى الجماعة أبى بكر سمع عليه البخارى وتفقه عليه وقرأ عليه أكثر عقيدة المقترح تفهما وبعض الارشاد وبعض التهذيب وعن أبى محمد بن سلمون والبركة أبى عبد الله الطنجالى الهاشمى وأجازه انتهى بمعناه و بالجملة فهو من أكابر علماء المالكية بالمغرب حتى قال المواق فيه شيخ الشيوخ أبو سعيد بن لب الذى يحن على فتاويه فى الحلال والحرام انتهى وقل من لم يأخذ عنه فى الاندلس فى وقته فممن أخذ عنه الشاطبى وابن علاق وأبو محمد بن جزى والاستاذ القيجاطى والاستاذ الحفار والشيخ الوزير ابن الخطيب السلمانى والكاتب ابن زمرك فى خلق كثير من طبقتهم ثم من الطبقة الثانية أبو يحيى بن عاصم وأخوه القاضى أبو بكر بن عاصم والشيخ ابو القاسم بن سراج والمنتورى فى خلق لا يحصون * وله تواليف منها شرح جمل الزجاجى وشرح تصريف التسهيل و كتاب ينبوع عين الثرة فى تفريع مسألة الامامة بالاجرة وله فتاوى مدونة بايدى الناس وممن جمعها الشيخ ابن تركاط الاندلسى وله كتابة فى مسالة الادعية اثر الصلوات على الهيئة المعروفة وقد رد عليه فى هذا التاليف تلميذه أبو

بدرهم وفى حد المحمدية رطل بدرهم وضاقت النفوس وأيسوا من الفرج واشتد الجوع وسر من سار الى حيز طاهر وأسف من بقي مع المخلوع وتقدم طاهر في سائر أصحابه من مواضع كثيرة وقصد باب الكناس فاشتد القتال وتبادرت الرؤس وعمل السيف والنار وصبر الفريقان وكان القتل في أصحاب طاهر وفى من العراة خلق وكان ذلك فى يوم الاحد ففى ذلك يقول الاعمى

وقعة يوم الاحد * كانت حديث الابد كم جسد أبصرته * ملقى وكم من جسد
وناظر كانت له * منية بالرصد أتاه سهم عائر * فشق جوف الكبد
وآخر ملتهب * مثل التهاب الاسد وقائل قد قتلوا * ألفا ولما يزد
وقائل أكثر بل * ما لهم من عدد قلت لمطعون وفيه * طعنة لم تشد
من أنت ياويلك يا * مسكين من محمد فقال لا من نسب * دان ولا من بلد
ولا أنا الصديق * ولا للرشد ولا لشئ عاجل * يصير منه في يدى

ولما ضاق بمحمد الحال ٢٧٠ واشتد الحصار أمر قائدا من قواده يقال له ذريح ان يتبع أصحاب الاموال والودائع والذخائر من أهل الملة وغيرهم وقرن معه آخر يعرف بالهرش فكانا يهجمان على الناس ويأخذان بالظنة فاجتبى بذلك السبب أموالا كثيرة فهرب الناس بعلة الحج وفر الاغنياء من ذريح والهرش ففى ذلك يقول على الاعمى

أظهروا الحج وما يبغونه
بل من الهرش يريدون الهرب
كم أناس أصبحوا فى غبطة
ركض الليل عليهم بالعطب

من شعر له طويل ولما عم البلاء أهل الستر اجتمع التجار بالكرخ على مكاتبة طاهر انهم ممنوعون منه ومن الخروج اليه ومغلوب على أموالهم وان العراة والباعة هم الآفة فى فقال بعضهم ان كاتبتم طاهرا لم تأمنوا صولة المخلوع بذلك فدعوهم فان الله مهلكهم وقال قائلهم

دعوا أهل الطريق فعن قريب * تنالهم مخاليب الهصور فتهتك حجبا كبادا شداد * وشيكا ما تصير الى القبور
فان الله مهلكهم جميعا * لاسباب التمرد والفجور

وثارت العراة ذات يوم فى نحو مائة ألف بالرماح والقصب والطرادات والقراطيس على رؤسها ونفخوا فى القصب وقرون البقر وغيرهم من المحمدية وزحفوا من مواضع كثيرة نحو المامونية فبعث اليهم طاهر بعدة قواد وأمراء من وجوه كثيرة واشتد الجلاد وكثر القتل وكانت للعراة على المامونية الى الظهر وكان يوم الاثنين ثم ثارت المامونية على العراة من أصحاب محمد فغرق منهم وقتل وأحرق نحو عشرة آلاف ففى ذلك يقول الاعمى

م بالامير الطاهر بن الحسين * صبحونا صبيحة الاثنين جمعوا جمعهم فثار اليهم * كل صلب القناة والساعدين
يا قتيل العراة ملقى على الشط * تطاه الخيول فى الجانبين ما الذى كان فى يديك اذا ما * اصطلح الناس أية الخلتين

يحيى بن عاصم الشهيد فى تاليف نيل انتصار الشيخ ابى اسحق الشاطبي رحمهم الله تعالى الجميع * (ومن أشياخ لسان الدين بن الخطيب) أبو القاسم بن جزى ففى الاحاطة ما ملخصه محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جزى الكلبي أبو القاسم من أهل غرناطة وذوى الاصالة والنباهة فيها شيخنا وأصل سلفه من بولية من حصن البراجلة نزل بها أولهم عند الفتح صحبة قريبهم أبى الخطار حسام بن ضرار الكلبي وعند خلع دولة المرابطين كان لجدهم يحيى رياسة وانفراد بالتدبير وكان رحمه الله تعالى على طريقة مثلى من العكوف على العلم والاقتصار على الاقتيات من حر النشب والاشتغال بالنظر والتقييد والتدوين فقيها حافظا قائما على التدريس مشاركا فى فنون من عربية وفقه وأصول وقراآت وأدب وحديث حفظة للتفسير مستوعبا للاقوال جماعة للكتب ملوكى الخزانة حسن المجلس ممتع المحاضرة قريب الغور صحيح الباطن تقدم خطيبا بالمسجد الاعظم من بلده على حداثة سنه فاتفق على فضله وجرى على سنن اصالته قرأ على الاستاذ أبى جعفر بن جعفر ابن الزبير العربية والفقه والحديث والقرآن وعلى ابن الكماد ولازم الخطيب أبا عبد الله بن رشيد وطبقتهم كالحضرمي وابن أبى الاحوص وابن برطال وأبى عامر بن ربيع الاشعرى والولى أبى عبد الله الطنجالى وابن الشاط * وله تواليف منها وسيلة المسلم فى تهذيب صحيح مسلم والانوار السنيه فى الكلمات السنيه والدعوات والاذكار المخرجة من صحيح الاخبار والقوانين الفقهيه فى تلخيص مذهب المالكيه والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبليه وكتاب تقريب الوصول الى علم الاصول وكتاب النور المبين

أوزيرا من قائد بل بعيد * أنت من ذين موضع الفرقدين كم بصير غدا بعينين كي ينـ ـظر ما حالهم فراح بعين

واشتد الامر بمحمد المخلوع فباع ما في خزائنه سرا وفرق ذلك أرزاقا فيمن معه ولم يبق معه ما يعطيهم عند مطالبتهم اياه وضيق عليه طاهر وكان نازلا بباب الانبار في بستان هنالك فقال محمد وددت ان الله قتل الفريقين جميعا فما منهم الا عدو من معي ومن علي أما هؤلاء فيريدون مالي وأما أولئك فيريدون نفسي وقال

تفرقوا أودعوني * يا معشر الاعوان
فكلكم ذو وجوه * كثيرة الالوان
وما أرى غير أفك * وترهات الاماني
ولست أملك شيئا * فسائلوا اخواني
فالويل فيما دهاني * من نازل البستان

يعني طاهر بن الحسين ولما اشتد الامر عليه ونزل هرثمة بن أعين بالجانب الشرقي وطاهر بالجانب الغربي وبقي محمد في مدينة أبي جعفر شاور من حضر من خواصه في النجاة بنفسه فكل أدلى برأي وأشار بوجه فقال قائل منهم تكاتب ابن الحسين وتحلف له انك مفوض أمرك اليه لعله أن يجيبك الى ما تريد منه فقال ثكلتك أمك لقد أخطأت الرأي في طلبي المشورة منك أما رأيت آثار رجل لا يؤول الى عذر وهل كان المأمون لو اجتهد لنفسه وتولى الامر برأيه بالغا عشر ما بلغه له طاهر ولقد دسست وفحصت عن رأيه فما رأيته يطلب تأثيل المكارم وبعد الصيت والوفاء فكيف أطمع في استدلاله بالاموال وفي غدره والاعتماد في عقله ولو قد أجاب الى طاعتي وانصرف الي ثم ناصبني جميع الترك والديلم ما اهتممت بمناصبتهم ولكنت كما قال أبو الاسود الدؤلي في الازد عند اجارتها زياد ابن أبيه

فلما رآهم يطلبون وزيره وساروا اليه بعد طول تمادي
أتى الازد اذ خاف الذي لا بقاء لها عليه وكان الرأي رأي زياد
فقالوا له أهلا وسهلا ومرحبا * أصبت فكاشف من أردت وعاد
فاصبح لا يخشى من الناس كلهم * عدوا ولو مالوا بقوة عاد

والله لوددت انه أجاب الى ذلك فابحته خزائني وفوضت اليه ملكي ورضيت بالمعاش تحت يديه ولا أظنني معلته ولو كانت ألف نفس فقال السندي صدقت يا أمير المؤمنين ولو أنك أبوه الحسين بن مصعب ما استقال فقال محمد وكيف لنا بالخلاص الى هرثمة ولات حين مناص وراسل هرثمة ومال الى جنبته فوعده هرثمة بكل ما أحب وانه يمنعه ممن يريد قتله وبلغ ذلك طاهرا فاشتد عليه وزاد غيظه وحنقه ووعده هرثمة ان يأتيه في حراقة الى مشرعة باب خراسان فيصير به الى عسكره ومن أحب فلما هم محمد بالخروج في تلك الليلة وهي ليلة الخميس لخمس ليال بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة دخل اليه الصعاليك من أصحابه وهم فتيان الابناء والجند فقالوا له يا أمير المؤمنين ليس معك من ينصحك ونحن سبعة آلاف رجل مقاتلة وفي اصطبلك سبعة آلاف فرس ونفتح بعض أبواب المدينة ونخرج في هذه الليلة فما يقدم علينا أحد الى ان نصير الى بلد الجزيرة وديار ربيعة فنجبي الاموال ونجمع الرجال ونتوسط الشام وندخل مصر ويكثر الجيش والمال وتعود الدولة مقبلة جديدة فقال هذا والله

في قواعد عقائد الدين وكتاب المختصر البارع في قراءة نافع وكتاب أصول القراء الستة غير نافع وكتاب الفوائد العامة في لحن العامة الى غير ذلك مما قيده في التفسير والقراآت وغير ذلك وله فهرسة كبيرة اشتهرت واشتملت على جملة كبيرة من علماء المشرق والمغرب * وله شعر فمن شعره قوله في الابيات العينية ذاهبا مذهب المعري وابن الظفر والسلفي وأبي الحجاج بن الشيخ وأبي الربيع بن سالم وابن أبي الاحوص وغيرهم

لكل بني الدنيا مراد ومقصد * وان مرادي صحة وفراغ
لابلغ من علم الشريعة مبلغا * يكون به لي للجنان بلاغ
ففي مثل هذا فليتنافس أولو النهى * وحسبي من دار الغرور بلاغ
فما الفوز الا في نعيم مؤبد * به العيش رغد والشراب يساغ

وقال

أروم امتداح المصطفى فيردني * قصوري عن ادراك تلك المناقب
ومن لي بحصر البحر والبحر زاخر * ومن لي باحصاء الحصى والكواكب
ولو أن أعضائي غدت ألسنا اذا * لما بلغت في المدح بعض مآربي
ولو أن كل العالمين تسابقوا * الى مدحه لم يبلغوا بعض واجب
فأمسكت عنه هيبة وتأدبا * وعجزا واعظاما لارفع جانب
ورب سكوت كان فيه بلاغة * ورب كلام فيه عتب لعاتب

وقال

يا رب ان ذنوبي اليوم قد كثرت * فما أطيق لها حصرا ولا عددا
وليس لي بعذاب النار من قبل * ولا أطيق لها صبرا ولا جلدا

الرأي فعزم على ذلك وهم به وجنح اليه وكان لطاهر في جوف دار الامين غلمان وخدم من خاصة الامين يبعثون اليه بالاخبار
ساعة فساعة فخرج الخبر الى طاهر من وقته فخاف طاهر وعلم أنه الرأي ان فعله فبعث الى سليمان بن أبي جعفر والى ابن نهيك
والسندي بن شاهك وكانوا مع الامين ان لم تزيلوه عن هذا الرأي لاخربن ضياعكم وازيل نعمكم وأتلف نفوسكم فدخلوا على
الامين في ليلتهم فازالوه عن ذلك الرأي وأتاه هرثمة في الحراقة الى باب خراسان ودعا الامين بفرس يقال له الزهيري أغر محجل
أدهم محذوف ودعا الامين بابنيه موسى وعبد الله فعانقهما وشمهما وبكى وقال الله خليفتي عليكما فلست أدري ألتقي معكما
بعدها أولا وعليه ثياب بيض وطيلسان أسود وقدامه شمعة حتى أتى باب خراسان الى المشرعة والحراقة قائمة فنزل ودخل الحراقة
فقبل هرثمة بين عينيه وقد كان طاهر عنى اليه خروجه فبعث بالرجال من الهروية وغيرهم والملاحين في الزوارق وعلى الشط
فدفعت الحراقة ولم يكن مع هرثمة عدة من رجاله فاتى أصحاب طاهر عراة فغاصوا تحت الحراقة فانقلبت بمن فيها فلم يكن
لهرثمة شاغل الا التشاغل بنفسه فتعلق بزورق وصعدوا اليه من الماء ومضى الى عسكره الى الجانب الشرقي وشق محمد ثيابه عن
نفسه وسبح فوقع نحو العراة الى عسكر قرين الدير الى غلام طاهر فاخذه بعض السواس حين شم منه رائحة
المسك والطيب فاستأذن
فيه طاهرا فاتاه الاذن في
الطريق وقد حمل الى
طاهر فقتل في الطريق
وهو يصيح انا لله وانا اليه
راجعون أنا ابن عم رسول
الله صلى الله عليه وسلم
وأخو المامون والسيوف
تأخذه حتى بردوا أخذوا
رأسه وكانت ليلة الاحد
لخمس بقين من المحرم سنة
ثمان وتسعين ومائة
(وذكر) أحمد بن سلام
وقد كان مع الامين في
الحراقة حين أصيب فسبح
فقبض عليه بعض أصحاب
طاهر وأراد قتله فارغبه
في عشرة آلاف درهم وانه
يحملها اليه في صبيحة تلك الليلة قال فادخلت بيتا فلما فبينا أنا كذلك اذ دخل علي رجل عريان عليه سراويل بين
وعمامة متلثما بها وعلى كتفه خرقة فجعلوه معي وتقدموا الى من في حفظنا فلما استقر في البيت حسر العمامة عن وجهه فاذا
هو محمد فاستعبرت واسترجعت فيما بيني وبين نفسي وجعل ينظر الي ثم قال أيهم أنت قلت أنا مولاك يا سيدي فقال وأي
الموالي أنت قلت أحمد بن سلام قال وأعرفك بغير هذا كنت تاتيني بالرقة قلت نعم ثم قال يا أحمد قلت لبيك يا سيدي قال ادن مني
وضمني اليك فاني أجد وحشة شديدة قال فضممته الي فاذا قلبه يخفق خفقانا شديدا ثم قال أخبرني عن أخي المامون أحي
هو قلت له فهذا القتال عمن اذن قال قبحهم الله ثم قال ذكروا انه مات قلت قبح الله وزراءك فهم أوردوك هذا المورد
فقال لي يا أحمد ليس هذا موضع عتاب فلا تقل في وزرائي الا خيرا فما لهم ذنب ولست باول من طلب أمرا فلم يقدر عليه قلت
البس ازارك هذا وارم بهذه الخرقة التي عليك فقال يا أحمد من كان حاله مثل حالي فهذه له كثير ثم قال لي يا أحمد ما أشك
انهم سيحملوني الى أخي أفترى أخي قاتلي قلت كلا ان الرحم ستعطفه عليك فقال لي هيهات الملك عقيم لا رحم له فقلت

فانظر الهي الى ضعفي ومسكنتي * ولا تذيقني حر الجحيم غدا

وقال

وكم من صفحة كالشمس تبدو * فيسلي حسنها قلب الحزين
غضضت الطرف عن نظري اليها * محافظة على عرضي وديني

مولده يوم الخميس تاسع ربيع الثاني عام ثلاثة وتسعين وستمائة وفقد وهو يحرض الناس يوم الكائنة بطريف ضحوة يوم الاثنين تاسع جمادى الاولى عام احد وأربعين وسبعمائة وعقبه طاهر بين القضاء والكتابة انتهى وأذكرني روي الغين الصعب قول الشيخ أبي عبد الله محمد بن علي بن يوسف السكوني الاندلسي المعروف بابن لؤلؤة رحمه الله ورضي عنه

أمن بعد ما لاح المشيب بمفرقي * أميل لزور بالغرور يصاغ
وأرتاح للذات والشيب منذر * بما ليس عنه للانام مراغ
ومن لم يمت قبل الممات فانه * يراع بهول بعده ويراع
فيارب وفقني الى ما يكون لي * به للذي أرجوك منه بلاغ

توفي المذكور بالطاعون سنة ٧٥٠ وكان خطيبا بحصن قمارش رحمه الله تعالى
ومن نظم ابن جزي المذكور قوله

ايا من كففت النفس عنه تعففا * وفي النفس من شوقي اليه لهيب * غرام
الا انما صبري كصبر وانما * على النفس من تقوى الاله رقيب * لجام

وهما من التخيير المعلوم في فن البديع وقول لسان الدين رحمه الله تعالى وله عقب طاهر

له ان أمان هرثمة أمان أخيك قال فلقنته الاستغفار وذكر الله فبينا نحن كذلك اذ فتح باب البيت فدخل علينا رجل عليه سلاح فاطلع في وجه محمد مستثبتاله فلما أثبته معرفة خرج وأغلق الباب واذا هو محمد الطاهري قال فعلمت ان الرجل مقتول وقد كان بقي علي من صلاتي الوتر فخفت أن أقتل معه ولم أوتر فقمت لاوتر فقال لي يا أحمد لا تبعد مني وصل بقربي فاني أجد وحشة شديدة فدنوت منه فقل ما لبثنا حتى سمعنا حركة الخيل ودق باب الدار ففتح الباب فاذا قوم من العجم بايديهم السيوف مصلتة فلما أحس بهم محمد قام قائما وقال انا لله وانا اليه راجعون ذهبت والله نفسي في سبيل الله أما من حيلة أما من مغيث وجاؤا حتى قاموا على باب البيت الذي نحن فيه وجعل بعضهم يقول تقدم ويدفع بعضهم بعضا فاخذ محمد بيده وسادة وجعل يقول أنا ابن عم رسول الله أنا ابن هرون الرشيد أنا أخو المامون الله الله في دمي فدخل عليه رجل منهم مولى لطاهر فضربه ضربة في مقدم رأسه وضرب محمد وجهه بالوسادة التي كانت في يده واتكأ عليه ليأخذ السيف من يده فصاح بالفارسية قتلني الرجل فدخل منهم جماعة فنخسه أحدهم بسيفه في خاصرته وكبوه فذبحوه من قفاه وأخذوا رأسه ومضوا به الى طاهر وقد قيل في كيفية قتله غير هذا وقد أتينا على التنازع في ذلك في الكتاب الاوسط وأتي بخادمه كوثر ٢٧٣ فنصب على باب من أبواب بغداد

بين القضاء والكتابة بريد به بديه البارع أبا بكر والعلامة أبا عبد الله والقاضي أبا محمد عبد الله * ولنذكرهم فنقول (أما) أبو بكر أحمد فهو الذي ألف أبوه الانوار السنية وهو من أهل الفضل والنزاهة وحسن السمت والهمة واستقامة الطريقة غروب في الوقار ومال الى الانقباض وله مشاركة حسنة في فنون من فقه وعربية وأدب وخط ورواية وشعر تسمو ببعضه الاجادة الى غاية بعيدة وقرأ على والده ولازمه واستظهر ببعض تآليفه وتفقه وتادب به وقرأ على بعض معاصري أبيه ثم ارتسم في الكتابة السلطانية لاول دولة السلطان أبي الحجاج بن نصر وولي القضاء ببرجة وباندرش ثم بوادي آش مشكور السيرة معروف النزاهة ومن شعره

أرى الناس يولون الغني كرامة * وان لم يكن أهلا لرفعة مقدار
ويلوون عن وجه الفقير وجوههم * وان كان أهلا أن يلاقي باكبار
بنو الدهر جاءتهم أحاديث جمة * فما صححوا الا حديث ابن دينار

ومن بديع نظمه الصادر عنه تصديره أعجاز قصيدة امرئ القيس بن حجر الكندي بقوله

أقول لعزمي أو لصالح أعمالي * ألا عم صباحا أيها الطلل البالي
أما واعظي شيب سما فوق لمتي * سمو حباب الماء حالا على حال
انار به ليل الشباب كأنه * مصابيح رهبان تشب لقفال
نهاني عن غي وقال منبها * ألست ترى السمار والناس أحوالي
يقولون غيره لتنعم برهة * وهل يعمن من كان في العصر الخالي

يعرف بباب الحديد نحو قطربل في الجانب الغربي الى الظهر ودفنت جثته في بعض تلك البساتين ولما وضع رأس الامين بين يدي طاهر قال اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شئ قدير وحمل الرأس الى خراسان الى المامون في منديل والقطن عليه والاطلية فاسترجع المامون وبكى واشتد تاسفه عليه فقال له الفضل بن سهل الحمد لله يا أمير المؤمنين على هذه النعمة الجليلة فان محمدا كان يتمنى ان يراك بحيث رأيته فامر المامون بنصب الرأس في صحن الدار على خشبة وأعطى الجند وامر كل من قبض رزقه ان يلعنه فكان الرجل يقبض ويلعن الرأس فقبض بعض العجم عطاءه فقيل له العن هذا الرأس فقال لعن الله هذا ولعن والديه وادخلهم في كذا وكذا من امهاتهم فقيل له لعنت امير المؤمنين وذلك بحيث يسمعه المامون منه وتغافل وامر بحط الرأس وترك ذلك الخلوع وطيب الرأس وجعله في سفط ورده الى العراق مع جثته ورحم الله اهل بغداد وخلصهم مما كانوا فيه من الحصار والجزع والقتل ورثاه الشعراء وقالت زبيدة ام جعفر

اودى بالفين من لم يترك الناسا * فامنع فؤادك عن مقتولك الباسا
لما رأيت المنايا قد قصدن له * اصبن منه سواد القلب والراسا
فبت متكئا ارعى النجوم له * اخال سنته في الليل قرطاسا
والموت كان به والهم قارنه * حتى سقاه التي اودى بها الكاسا
رزئته حين باهيت الرجال به * وقد بنيت به للدهر آساسا
فليس من مات مردودا لنا ابدا * حتى يرد علينا قبله ناسا

ورثته زوجته لبابة ابنة على بن المهدى ولم يكن دخل بها فقالت
ابكيك لا للنعيم والانس * بل للمعالى والسيف والترس
ابكى على سيد فجعت به * ارملنى قبل ليلة العرس
يا مالكا بالعراق مطرحا * خانته اشراطه مع الحرس

ولما قتل محمد دخل الى زبيدة بعض خدمها فقال ما يجلسك وقد قتل امير المؤمنين محمد فقالت ويلك وما اصنع فقال تخرجين فتطلبين بثاره كما خرجت عائشة تطلب بدم عثمان فقالت اخسأ لا ام لك ما للنساء وطلب الثار ومنازلة الابطال ثم امرت بثيابها فسودت ولبست مسحا من شعر ودعت بدواة وقرطاس وكتبت الى المامون

لخير امام قام من خير عنصر * وافضل راق فوق اعواد منبر
ووارث علم الاولين وفخرهم * وللملك المامون من ام جعفر
كتبت وعينى تستهل دموعها * اليك ابن عمى مع جفونى ومحجرى
اصبت بادنى الناس منك قرابة * ومن زال عن كبدى فقل تصبرى
اتى طاهر لا طهر الله طاهرا * وما طاهر فى فعله بمطهر
فابرزنى مكشوفة الوجه حاسرا * وانهب اموالى واخرب ادؤرى
يعز على هرون ما قد لقيته ٢٧٤ * وما نالنى من ناقص الخلق اعور
فان كان ما اسدى لامر امرته * صبرت لامر من قدير مقدر

فلما قرأ المامون شعرها بكى ثم قال اللهم انى اقول كما قال امير المؤمنين على بن ابى طالب كرم الله وجهه لما بلغه قتل عثمان والله ما امرت ولا رضيت اللهم جلل قلب طاهر حزنا (قال المسعودى) وللمخلوع اخبار وسير غير ما ذكرنا قد اتينا عليها فى كتابنا اخبار الزمان وفى الكتاب الاوسط والله سبحانه ولى التوفيق

(ذكر خلافة المامون)

وبويع المامون عبد الله بن هرون وكنيته ابو جعفر وامه باذغيسية واسمها مراجل وقيل كنيته ابو العباس وهو ابن ثمان وعشرين سنة وشهرين وتوفى بالبديدون على عين القشيرة وهى عين يخرج منها النهر المعروف بالبديدون وقيل ان اسمها بالرومية رقة وحمل الى طرسوس فدفن بها على يسار المسجد سنة ثمانى عشرة ومائتين وهو ابن تسع واربعين سنة فكانت خلافته احدى وعشرين سنة منها اربعة عشر شهرا كان يحارب اخاه محمد بن زبيدة على ما ذكرنا وقيل سنتان وخمسة اشهر وكان اهل خراسان فى تلك الحروب يسلمون عليه بالخلافة ويدعى له على المنابر فى الامصار والحرمين والكور والسهل والجبل مما حواه طاهر وغلب عليه ويسلم على محمد بالخلافة من كان ببغداد خاصة لا غيرها *(ذكر جمل من اخباره وسيره ولمع مما كان فى ايامه)* وغلب على المامون الفضل بن سهل حتى ضايقه فى جارية اراد شراءها فقتله وادعى قوم ان المامون دس عليه من قتله ثم سلم عليه الوزراء بعد ذلك منهم احمد بن خالد الاحول وعمرو بن مسعدة وابو عبادة وكل هؤلاء سلم عليهم برسم الوزارة ومات عمرو بن مسعدة سنة سبع عشرة ومائتين فعرض لماله ولم يعرض لمال وزير غيره وغلب على المامون آخرا الفضل بن مروان ومحمد بن يزداذ وفى خلافته قبض

أغالط دهرى وهو يعلم أننى * كبرت وأن لا يحسن اللهو أمثالى
ومؤنس نار الشيب يقبح لهوه * بآنسة كأنها خط تمثال
اشيخا وتأتى فعل من كان عمره * ثلاثين شهرا فى ثلاثة أحوال
وتشغفك الدنيا وما إن شغفتها * كما شغف المهنوءة الرجل الطالى
ألا انها الدنيا اذا ما اعتبرتها * ديار لسلمى عافيات بذى خال
فاين الذين استأثروا واقبلنا بها * لناموا فما ان من حديث ولا صال
ذهلت بها غيا فكيف الخلاص من * لعوب تنسينى اذا قمت سربالى
وقد علمت منى مواعد توبتى * بان الفتى يهذى وليس بفعال
ومذ وثقت نفسى بحب محمد * هصرت بغصن ذى شماريخ ميال
وأصبح شيطان الغواية خاسئا * عليه قتام سىء الظن والبال
ألا ليت شعرى هل تقول عزائمى * لخيلى كرى كرة بعد اجفال
فانزل دارا للرسول نزيلها * قليل هموم ما يبيت باوجال
فطوبى لنفس جاورت خير مرسل * بيثرب أدنى دارها نظر عالى
ومن ذكره عند القبول تعطرت * صبا وشمال فى منازل قفال
جوار رسول الله مجد مؤثل * وقد يدرك المجد المؤثل امثالى
ومن ذا الذى يثنى عنان السرى وقد * كفانى ولم أطلب قليل من المال
ألم تر أن الظبية استشفعت به * تميل عليه هونة غير مجفال

وقال

على بن موسى الرضا مسموما بطوس ودفن هنالك وهجا المامون ابراهيم بن المهدى المعروف بابن شكلة عمه وكان المامون يظهر التشيع وابن شكلة التسنن فقال المامون

اذا المرجى سرك ان تراه * يموت لحينه من قبل موته
فجدد عنده ذكرى على * وصل على النبي وآل بيته

فاجابه ابراهيم رادا عليه

اذا الشيعى جمجم فى مقال * فسرك ان يبوح بذات نفسه
فصل على النبي وصاحبيه * وزيريه وجاريه برمسه

ولابراهيم بن المهدى مع المأمون اخبار حسان هى موجودة فى كتاب الاخبار لابراهيم بن المهدى (ودخل) ابودلف القاسم ابن عيسى العجلى على المامون فقال له يا قاسم ما احسن ابياتك فى صفة الحرب ولذاذتك بها وزهدك فى المغنيات قال يا امير المؤمنين اى ابيات هى قال قولك

لسل السيوف وشق الصفوف * ونقض التراب وضرب القلل
ولبس العجاجة والخافقات * تريك المنايا برؤس القلل

قال ثم ماذا يا قاسم قال

وقد كشفت عن سناها هنالك * كأن عليهم شروق الطفل
خروس نطوق اذا استنطقت * جهول يطيش على من جهل
اذا خطبت اخذت مهرها * وزير السعافظ بين القلل
ألذ وأشهى من المسمعات * وشرب المدامة فى يوم طل
أبا ابن الحمام وترب الصفاح * ٢٧٥ وقرب المنون وترب الاجل

ثم قال يا امير المؤمنين هذه لذتى مع اعدائك وقوتى مع اوليائك ويدى معك ولئن استلذ مستلذ شيأ من يد المعاقرة ملت الى المقادمة والمحاربة قال يا قاسم اذا كان هذا النمط من الاشعار شانك واللذة لذتك فماذا تركت للوسنان مما خلفت واظهرت له من قليل ما سترت قال يا امير المؤمنين وأى اشعارى قال حيث تقول

أيها الراقد المؤرق عينى * ثم هنيأ لك الرقاد اللذيذ
علم الله ان قلبى مما * قد جنت وجنتاك فيه وقيذ

قال يا امير المؤمنين سهرة بعد سهرة غلبت وذلك متقدم وهذا طن متاخر قال يا قاسم ما احسن ما قال صاحب هذين البيتين

أذم لك الايام فى ذات بيننا * وما الليالى فى الذى بيننا عذر
اذا لم يكن بين المحبين زورة * سوى ذكر شئ قد مضى درس الفكر

فقال ابو دلف ما احسن ما قال يا امير المؤمنين هذا السيد الهاشمى والملك العباسى قال وكيف ادتك الفطنة ولم تداخلك الظنة حتى تحققت انى صاحبهما ولم يداخلك الشك فيهما قال يا امير المؤمنين انما الشعر بساط صوف فمن خلط الشعر بنقى الصوف ظهر رونقه عند التصنيف ونار ضوءه عند التاليف وكان المامون يقول يغتفر كل شئ الا القدح فى الملك وافشاء السر والتعريض للحرم وقال المامون أخر الحرب ما استطعت فان لم تجد منها بدا فاجعلها فى آخر النهار وذكر انه من كلام أنوشروان وكان المامون يقول اعيت الحيلة فى الامر اذا أقبل ان يدبر واذا أدبر ان يقبل ولما اتى الملك للمامون قال هذا جسيم لولا انه عديم وهذا ملك لولا ان بعده هلك وهذا سرور لولا انه غرور وهذا يوم لو كان يوثق بعده وكان المامون يقول البشر منظر مونق وخلق مشرق وزراع للقلوب ومحل مالوف وفضل منتشر وثناء بسط وتحف الاحرار وذرع رحيب وأول الحسنات وذريعة الى

وقال لها عودى فقالت له نعم * ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى
فعادت اليه والهوى قائل لها * وكان عداء الوحش منى على بال
رثى لبعير قال أزمع مالكى * ليقتلنى والمرء ليس بفعال
وثور ذبيح بالرسالة شاهد * طويل القرا والروق اخنس ذيال
وحن اليه الجذع حنة عاطش * لغيث من الوسمى رائده خالى
وأن لين من نخل قد التأماله * فما احتبسا من لين مس وتسهال
وقبضة ترب منه دلت لها الظبا * ومسنونة زرق كانياب أغوال
وأضحى ابن جحش بالعسيب مقاتلا * وليس بذى رمح وليس بنبال
وحسبك من سوط الطفيل اضاءة * كمصباح زيت فى قناديل ذبال
وبدت به العجفاء كل مطهم * له جبهات مشرفات على القال
ويا خسف أرض تحت باغيه اذ علا * على هيكل نهد الجزارة جوال
وقد اخمدت نار لفارس طالما * أصابت غضى جزلا وكفت باجذال
ابان سبيل الرشد اذ سبل الهدى * يقان لاهل الحلم طلا بتضلال
لاحمد خير العالمين انتقيتها * وريضت فذلت صعبة أى اذلال
وان رجائى أن ألاقيه غدا * ولست بقالى الخلال ولا قالى
فأدرك آمالى وما كل آمل * بمدرك اطراف الخطوب ولا والى

ولا خفاء ببراعة هذا النظم واحكام هذا النسج وشدة هذه العارضة (قلت وقد أذكرنى

الحساه واجد للشيم وباب لرضا العامة ومفتاح لمحبة القلوب وكان المامون يقول سادة الناس فى الدنيا الاسخياء وفى الآخرة الانبياء وان الرزق الواسع لمن لا يسمع منه بمنزلة طعام على هراب النخل لو كان طريقا ما سلكته ولو كان قيصا ما لبسته (وحضر) المامون أملاكا لبعض اهل بيته فساله من حضر أن يخطب فقال الحمد لله المحمود الله والصلاة على المصطفى رسول الله وخير ما عمل به كتاب الله قال الله تعالى وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم ولو لم يكن فى المنا كحة آية محكمة ولا سنة متبعة الا ما جعل الله وذلك من تاليف البعيد والقريب لسارع اليه الموفق المصيب وبادر اليه العاقل اللبيب وفلان من قد عرفتموه فى نسب لم تجهلوه خطب اليكم فتاتكم فلانة وبذل من الصداق كذا وكذا فشفعوا شافعنا وأنكحوا خاطبنا وقولوا خيرا تحمدوا عليه وتوجروا واقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم (وذكر) ثمامة بن أشرس قال كنا يوما عند المامون فدخل يحيى بن أكثم وكان قد ثقل عليه موضعى منه فتذاكرنا شيأ من الفقه فقال يحيى فى مسالة دارت هذا قول عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وابن عمر وجابر قلت أخطؤا كلهم وأغفلوا وجه الدلالة ٢٧٦ فاستعظم منى ذلك واكبره وقال يا أمير المؤمنين ان هذا يخطئ اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم فقال المامون سبحان الله أكذا يا ثمامة قلت يا أمير المؤمنين ان هذا الايه سالى ما قال ولا ما شنع به ثم اقبلت عليه فقلت ألست تزعم أن الحق فى واحد عند الله عز وجل قال نعم قلت فزعمت ان تسعة اخطؤا وأصاب العاشر وقلت انا أخطأ العاشر فما انكرت قال فنظر المامون الى وتبسم وقال لم يعلم ابو محمد انك تجيب هذا الجواب قال يحيى وكيف ذلك قلت ألست تقول ان الحق فى واحد قال بلى قلت فهل يخلى الله عز وجل هذا الحق من قائل يقول به من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا قلت أفليس من خالفه ولم يقل به فقد فصلى اخطا عندك الحق قال نعم قلت وقد دخلت فيما عبت وقلت بما انكرت وبه شنعت وأنا أوضح دلالة منك لانى خطاتهم فى الظاهر وكل مصيب عند الله الحق وانما خطاتهم عند الخلاف وادتنى الدلالة الى قول بعضهم فخطات من خالفنى وانت خطات من خالفك فى الظاهر وعند الله عز وجل (وقدم) وفد الكوفة الى بغداد فوقفوا للمامون فاعرض عنهم فقال شيخ منهم أمير المؤمنين يدك احق يد بتقبيل لعلوها فى المكارم وبعدها من المآثم وأنت يوسفى العفو فى قلة التثريب من أرادك بسوء جعله الله حصيد سيفك وطريد خوفك وذليل دولتك فقال يا عمرو نعم الخطيب خطيبهم اقصدهم وابجهم (وذكر ثمامة) ابن اشرس قال بلغ المامون خبر عشرة من الزنادقة ممن يذهب الى قول مانى ويقول بالنور والظلمة من اهل البصرة فامر بحملهم اليه بعد ان سموا واحدا واحدا فلما جمعوا نظر اليهم طفيلى فقال ما اجتمع هؤلاء الا لصنيع فدخل فى وسطهم ومضى معهم ولا يعلم بشانهم حتى صار بهم الموكلون الى السفينة فقال الطفيلى نزهة لا شك فيها فدخل معهم السفينة فما كان باسرع من ان جى •

هذا التصدير قصيدة الاديب حازم صاحب المقصورة اذ صدر قصيدة امرئ القيس قفا نبك ولنذكرها هنا قال رحمه الله تعالى

لعينيك قل ان زرت أفضل مرسل * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
وفى طيبة فانزل ولا تغش منزلا * بسقط اللوى بين الدخول فحومل
وزر روضة قد طالما طاب نشرها * لما نسجتها من جنوب وشمأل
وأثوابك اخلع محرما ومصدقا * لدى الستر الا لبسة المتفضل
لدى كعبة قد فاض دمعى لبعدها * على النحر حتى بل دمعى محملى
فياحادى الآمال سر بى ولا تقل * عقرت بعيرى يا امرأ القيس فانزل
فقد حلفت نفسى بذلك وأقسمت * على وآلت حلفة لم تحلل
فقلت لها لا شك أنى طائع * وأنك مهما تأمرى القلب يفعل
وكم حملت فى أظهر العزم رحلها * فيا عجبا من رحلها المتحمل
وعاتبت العجز الذى عاق عزمها * فقالت لك الويلات انك مرجلى
نبى هدى قد قال للكفر نوره * ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى
تلا سورا ما قولها بمعارض * اذا هى نصته ولا بمعطل
لقد نزلت فى الارض ملة هديه * نزول اليمانى ذى العياب المحمل
أتت مغربا من مشرق وتعرضت * تعرض أثناء الوشاح المفصل
ففازت بلاد الشرق من زينة بها * بشق وشق عندنا لم يحول

بالقيود فقيد القوم والطفيلي معهم فقال الطفيلي بلغ من تطفيلي الى القيود ثم أقبل على الشيوخ فقال فديتكم ايش أنتم قالوا بل ايش أنت ومن أنت من اخواننا فقال والله ما أدري غير اني رجل طفيلي خرجت في هذا اليوم من منزلي فلقيتكم فرأيت منظرا جميلا وعوارض حسنة وبزة ونعمة فقلت شيوخ وكهول وشباب جمعوا الوليمة فدخلت في وسطكم وحاذيت بعضكم كأني في جملة احدكم فصرتم الى هذا الزورق فرأيته قد فرش بهذا الفرش ومهد ورأيت سفرا مملوءة وجرابا وسلالا فقلت نزهة يمضون اليها الى بعض القصور والبساتين ان هذا اليوم مبارك فابتهجت سرورا اذ جاء هذا الموكل بكم فقيدكم وقيدني معكم فورد على ما قد أزال عقلي فاخبروني ما الخبر فضحكوا منه وتبسموا وفرحوا به وسروا ثم قالوا الآن قد حصلت في الاحصاء وأوثقت في الحديد وأما نحن فمانية تغمز بنا الى المأمون وسندخل اليه ويسائلنا عن أحوالنا ويستكشفنا عن مذهبنا ويدعونا الى التوبة والرجوع عنه بامتحاننا بضروب من المحن منها اظهار صورة ماني لنا ويأمرنا ان نتفل عليها ونتبرأ منها ويأمرنا بذبح طائر ماء وهو الدرج فمن أجابه الى ذلك نجا ومن تخلف عنه قتل فاذا دعيت وامتحنت فاخبر عن نفسك واعتقادك على حسب ما تؤديك الدلالة الى القول به وأنت زعمت انك طفيلي والطفيلي يكون معه مداخلات وأخبار فاقطع سفرنا هذا الى مدينة بغداد بشيء من الحديث وأيام الناس فلما وصلوا الى بغداد وأدخلوا على المأمون جعل يدعو بأسمائهم رجلا رجلا فيسأله عن مذهبه فيخبره بالاسلام فيمتحنه ويدعوه الى البراءة من ماني ويظهر له صورته ويأمره ان يتفل عليها والبراءة منها وغير ذلك فيأبون فيمر بهم على السيف حتى بلغ الى الطفيلي بعد فراغه من العشرة وقد استوعبوا عدة القوم فقال المأمون للموكلين من هذا قالوا والله ما ندري غير انا وجدناه مع القوم فجئنا به فقال له المأمون ما خبرك قال يا أمير المؤمنين امرأتي طالق ان كنت اعرف من أقوالهم شيئا وانما انا رجل طفيلي وقص عليه خبره من أوله الى آخره فضحك المأمون ثم أظهر له الصورة فلعنها وتبرأ منها وقال أعطونيها حتى اسلح عليها والله ما أدري ما ماني ايهوديا كان أم مسلما فقال المأمون يؤدب على فرط تطفله ومخاطرته بنفسه (وكان) ابراهيم بن المهدي قائما بين يدي المأمون فقال يا أمير المؤمنين هب لي ذنبه واحدثك بحديث عجيب في التطفيل عن نفسي قال قل يا ابراهيم قال يا أمير المؤمنين خرجت يوما فمررت في سكك بغداد متطرفا حتى انتهيت الى موضع فشممت رائحة أبازير من جناح في دار عالية وقدور قد فاح قتارها فتاقت نفسي اليها فوقفت على خياط فقلت لمن هذه الدار فقال لرجل من التجار من البزازين قلت ما اسمه قال فلان بن فلان فرفعت طرفي الى الجناح فاذا فيه شباك فنظرت الى كف قد خرج من الشباك ومعصم ما رأيت أحسن منهما قط فشغلني يا أمير المؤمنين حسن الكف والمعصم عن رائحة القدور فبقيت باهتا قد ذهل عقلي ثم قلت للخياط هو ممن يشرب النبيذ قال نعم وأحسب ان عنده اليوم دعوة ولا ينادم الا تجارا مثله فانا كذلك اذ اقبل رجلان نبيلان راكبان من رأس الدرب فقال لي

فصلى عليه الله ما لاح بارق ※ كليع اليدين في حي مكالل
نبي غزا الاعداء بين تلائع ※ وبين اكام بعد ما متأمل
فكم ملك وافاه في زي مجسد ※ يجرد قيد الاوابد هيكل
وكم من يمان واضح جاءه اكتسى ※ بضاف فويق الارض ليس باعزل
ومن ابطحي نيط منه نجاده ※ بجيد معم في العشيرة مخول
ازالوا يد رعن بروجهم العدا ※ كما زلت الصفواء بالمتنزل
وقادوا ظباهم لا بقتك فتى ولا ※ كبير أناس في بجاد مزمل
وفضى جموعا قد فدا جامعا بها ※ لنا بطن حقف ذي ركام عقنقل
وأحموا وطيسا في حنين كأنه ※ اذا جاش فيه حميه غلي مرجل
ونادوا ابنات النبع بالنصر أغري ※ ولا تبعد ينا من جناك المعلل
وكم له سددت سهمين فاضربي ※ بسهميك في أعشار قلب مقتل
فما اغنت الابدان درع بها اكتست ※ ترائبها مصقولة كالسجنجل
وأضحت لواليها وما لكها العدا ※ يقولون لا تهلك اسى وتجمل
وقد فر منصاع كما فر خاضب ※ لدى سمرات الحي ناقف حنظل
وكم قال يا ليل الوغى طلت فانجلي ※ بصبح وما الاصباح منك بامثل
فليت جوادي لم يسر بي الى الوغى ※ وبات بعيني قائما غير مرسل
وكم من تقى اوطاس منهم بعسرج ※ متى ما ترق العين فيه تسهل

الخياط هذان منادماه قلت ما اسماهما وما كناهما فقال فلان وفلان فحركت دابتي حتى دخلت بينهما وقلت جعلت فداكما قد استبطأكما أبو فلان أعزه الله وسايرتهما حتى انتهينا الى الباب فقدماني فدخلت ودخلا فلما رآني صاحب المنزل لم يشك الا أني منهما بسبيل فرحب وأجلسني في أجل موضع فجيء يا أمير المؤمنين بالمائدة وعليها خبز نظيف وأتينا بتلك الالوان فكان طعمها أطيب من رائحتها فقلت في نفسي هذه الالوان قد أكلتها وبقي الكف والمعصم ثم رفع الطعام فغسلنا أيدينا ثم صرنا الى مجلس المنادمة فاذا أنبل مجلس وأجل فرش وجعل صاحب المجلس يلطف بي ويقبل علي بالحديث والرجلان لا يشكان انه مني بسبيل وانما كان ذلك الفعل منه بي لما ظن اني منهما بسبيل حتى اذا شربنا أقداحا خرجت علينا جارية تتثنى كأنها غصن بان فسلمت غير خجلة وهيئت لها وسادة وأتي بعود فوضع في حجرها فجسته فتبينت الحذق في جسها ثم اندفعت تغني

توهمها طرفي فآلم خدها * فصار مكان الوهم من نظري أثر

وصافحها كفي فآلم كفها * فمن لمس كفي في أناملها عقر

ومرت بقلبي خاطرا فجرحتها * ولم أر شيأ قط يجرحه الفكر

فهيجت والله يا أمير المؤمنين علي بلابلي وطربت لحسن غنائها وحذقها ثم اندفعت تغني

أشرت اليها هل علمت مودتي * فردت بطرف العين اني على العهد

فحدت عن الاظهار عمدا لسرها * وحادت عن الاظهار أيضا على عمد

فصحت السلاح وجاءني من الطرب ما لا أملك معه النفس ولا الصبر واندفعت تغني

أليس عجيبا أن بيتا يضمني * واياك لا نخلو ولا نتكلم

سوى أعين تشكو الهوى بجفونها * وترجيع أحشاء على النار تضرم

اشارة أفواه وغمز حواجب * وتكسير اجفان وكف يسلم

فحسدتها والله يا أمير المؤمنين على حذقها ومعرفتها بالغناء وأصابتها معنى الشعر وأنها لم تخرج من الفن الذي ابتدأته فقلت بقي عليك يا جارية شيء فغضبت وضربت بعودها الارض ثم قالت متى كنتم تحضرون مجالسكم البغضاء فندمت على ما كان مني ورأيت القوم قد تغيروا فقلت أليس ثم عود قالوا بلى يا سيدنا فأتيت بعود فأصلحت من شأنه ما أردت واندفعت اغني

ما للمنازل لا يجبن حزينا * أصممن أم بعد المدى فبلينا

راحوا العشية روحة مذكورة * ان متن متن وان حيين حيينا

فما استتممته جيدا حتى خرجت الجارية فأكبت على رجلي تقبلها وهي تقول المعذرة والله لك يا سيدي فما سمعت من يغني هذا الصوت مثلك وقام مولاها وكل من كان عنده فصنعوا كصنعها وطرب القوم واستحثوا الشرب فشربوا بالطاسة ثم اندفعت اغني

أبالله هل تعسين لا تذكرينني * وقد سجمت عيناي من ذكرك الدما

الى الله أشكو بخلها وسماحتي * لها عسل مني وتبذل علقما

فردي مصاب القلب أنت قتلته * ولا تتركيه ذاهل العقل مغرما

الى الله أشكو أنها أجنبية * واني لها بالود ما عشت مكرما

فجاء من طرب القوم يا أمير المؤمنين ما خشيت ان يخرجوا من

وقرطه خرصا كمصباح مسرج * أمال السليط بالذبال المفتل

فيرنو لدفوق هاديه طرفه * بناظرة من وحش وجرة مطفل

ويسمع من كافور تين بجانبي * أثيث كقنو النخلة المتعثكل

ترفع ان يعزى له شدشادن * وارخاء سرحان وتقريب تتفل

ولكنه يمضي كما مر مزبد * يكب على الاذقان دوح الكنهبل

ويغشى العدا كالسهم أو كالشهاب او * كجلمود صخر حطه السيل من عل

جياد أعادت رسم رستم دارسا * وهل عند رسم دارس من معول

وربعت بها خيل القياصر فاختفت * جوارحها في صرة لم تزيل

سبت عربا من نسوة العرب تنثني * اذا ما اسبكرت بين درع ومجول

وكم من سبايا الفرس والصفر أسهرت * نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

وحزن بدورا من ليالي شعورها * تضل العقاص في مثنى ومرسل

وأبقت بأرض الشام هاما كأنها * بأرجائها القصوى انابيش عنصل

وما جف من حب القلوب بغورها * وقيعانها كأنه حب فلفل

لخضراء ما دبت ولا نبتت بها * اسارير ظبي او مساويك اسحل

شذا طيرها في مثمر ذي أرومة * وساق كأنبوب السقي المذلل

فشدت بروض ليس يذبل بعدها * بكل مغار الفتل شدت بيذبل

وكم هجرت في القيظ تحكي ذوارعا * عذارى دوار في ملاء مذيل

عقولهم فامسكت ساعة حتى اذا هدأ القوم اندفعت أغنى الثالثة هذا محبك مطوى على كمده * صب مدامعه تجرى على جسده
له يد تسال الرحمن راحته * مما به ويد أخرى على كبده يامن رأى كلفا مستهترا أسفا * كانت منيته فى عينه ويده
فجعلت الجارية يا أمير المؤمنين تصيح السلاح هذا والله الغناء يا مولاى وسكر القوم وخرجوا من عقولهم وكان صاحب المنزل
جيد الشراب ونديما دونه فامر غلمانه مع غلمانهم بحفظهم وصرفهم الى منازلهم وخلوت معه فشربنا أقداحا ثم قال يا سيدى
ذهب والله ماخلا من أيامى باطلا اذ كنت لا أعرفك فمن أنت يا مولاى ولم يزل يلح على حتى أخبرته فقبل رأسى وقال يا سيدى
وانى أعجب ان يكون هذا الادب الا لمثلك واذا أنا منذ اليوم مع الخلافة ولا أعلم وسالنى عن قصتى وكيف حملت نفسى على
مافعلته فاخبرته خبر الطعام والكف والمعصم فقال يا فلانة لجارية له قولى لفلانة تنزل فجعل ينزل الى جوارية واحدة واحدة
فانظر الى كفها وأقول ليس هى حتى قال والله ما بقى غير أمى وأختى ولابد انزلهما اليك فعجبت من كرمه وسعة صدره فقلت له
جعلت فداك ابدأ بالاخت قبل الام فعسى ان تكون صاحبتى فقال صدقت ففعل فلما رأيت كفها ومعصمها قلت هى
هى جعلت فداك فامر غلمانه من فوره فصاروا الى عشرة مشايخ من جلة جيرانهم فاحضروا ٢٧٩ وجىء ببدرتين
فيهما عشرون ألف درهم
ثم قال هذه أختى فلانة وأنا
أشهدكم انى قد زوجتها
من سيدى ابراهيم ابن
المهدى وأمهرتها عنه عشرين
ألف درهم فرضيت وقبلت
النكاح ودفعت اليها البدرة
الواحدة وفرقت الاخرى
على المشايخ وقلت لهم
اعذروا بهذا الذى حضر فى
الوقت فقبضوها وانصرفوا
ثم قال يا سيدى امهد لك
بعض البيوت تنام مع أهلك
فاحشمنى والله يا أمير المؤمنين
مارأيت من كرمه وسعة
صدره فقلت بل أحضر
عمارية وأحملها الى منزلى
فقال افعل ماشئت فاحضرت
عمارية وحملتها الى منزلى فوحقك يا أمير المؤمنين لقد حمل الى من الجهاز ماضاق عنه بعض دورى فتعجب المامون من كرم
ذلك الرجل واطلق الطفيلى وأجازه بجائزة حسنة وامر ابراهيم باحضار ذلك الرجل فصار بعد من خواص المامون واهل مودته
ولم يزل معه على افضل الاحوال السارة فى المنادمة وغيرها (وذكر) المبرد وثعلب قال كان كلثوم العتابى واقفا بباب المامون
فجاء يحيى بن اكثم فقال له العتابى ان رايت ان تعلم امير المؤمنين بمكانى قال لست بحاجب قال قد علمت ولكنك ذو فضل
وذو الفضل معوان قال سلكت بى غير طريقى قال ان الله قد اتحفك بجاه ونعمة منه فهما مقيمان عليك بالزيادة ان شكرت
وبالتغيير ان كفرت وانا لك اليوم خير منك لنفسك ادعوك لما فيه زيادة نعمتك وأنت تابى ذلك ولكل شئ زكاة وزكاة
الجاه بذله للمستعين فدخل يحيى فأخبر المامون بالخبر فادخل اليه العتابى وفى المجلس اسحق بن ابراهيم الموصلى فامره بالجلوس
واقبل يساله عن أحواله وشانه فيجيبه بلسان ناطق فاستظرفه المامون وأخذ فى مداعبته فظن الشيخ انه قد استخف به فقال
يا أمير المؤمنين الايناس قبل الابساس فاشتبه عليه قوله فنظر الى اسحق ثم قال نعم يا غلام ألف دينار فاتى بها فوضعت بين يدى العتابى

وكم ادلجت والقمر يهفو هزيره * ويلوى باثواب العنيف المثقل
وخضن سيولا خضن بالبيد بعدما * اثرن غبارا بالكديد المركل
وكم ركز وارمحا بدعص كانه * من السيل والغثاء فلكة مغزل
فلم تبن حصنا خوف حصنهم العدا * ولا أطما الا مشيدا بجندل
فهدت بعضب شيب بعد صقاله * بأمراس كتان الى صم جندل
وجيش باقصى الارض ألقى جرانه * وأردف اعجازا وناء بكلكل
يدك الصفاد كاولو بعضه * وأيسره عالى الستار ويذبل
دعا النصر والتاييد راياته اسحى * على أثر ينا ذيل مرط مرحل
لواء منير النصل طاو كانه * منارة ممسى راهب متبتل
كأن دم الاعداء فى عذباته * عصارة حناء بشيب مرجل
صحاب بر واهام العداة وكم قروا * صفيف شواء اوقدير معجل
وكم أكثروا ماطاب من لحم جفرة * وشحم كهداب الدمقس المفتل
وكم جبن من غبراء لم يسق نبتها * دراكا ولم ينضح بماء فيغسل
حكى طيب ذكراهم ومر كفاحهم * مداك عروس اوصلاية حنظل
لامداح خير الخلق قلبى قد صبا * وليس فؤادى عن هواها بمنسل
فدع من لايام صلحن له صبا * ولا سيما يوم بدارة جلجل
واصبح عن أم الحويرث ماسلا * وجارتها أم الرباب بمأسل

ثم دعا الى المفاوضة وأغرى المأمون اسحق بالعبث به فاقبل اسحق يعارضه فى كل باب يذكره ويزيد عليه فعجب منه وهو لا يعلم انه اسحق ثم قال أيأذن أمير المؤمنين فى مسئلة هذا الرجل عن اسمه ونسبه فقال العتابى من أنت وما اسمك قال أنا من الناس واسمى كل بصل فقال له العتابى أما النسبة فقد عرفت وأما الاسم فمنكر وما كل بصل من الاسماء فقال له اسحق ما أقل انصافك وما كلثوم والبصل اطيب من الثوم قال العتابى قاتلك الله ما أحلك ما رأيت كالرجل حلاوة أفيأذن أمير المؤمنين فى صلته بما وصلنى به فقد والله غلبنى فقال له المأمون بل ذلك موفر عليك ونامر له بمثله فانصرف اسحق الى منزله ونادمه بقية يومه وكان العتابى من أرض جند قنسرين والعواصم وسكن الرقة من ديار مضر وكان من العلم والقراءة والادب والمعرفة والترسل وحسن النظم للكلام وكثرة الحفظ وحسن الاشارة وفصاحة اللسان وبراعة البيان وملوكية المجالسة وبراعة المكاتبة وحلاوة المخاطبة وجودة الحفظ وصحة القريحة على ما لم يكن كثير من الناس فى عصره مثله * وذكر انه قال كاتب الرجل لسانه وحاجبه وجهه وجليسه كله ونظم فى ذلك شعرا فقال

لسان الفتى كاتبه * ووجه الفتى حاجبه
وندمائه كله * وكل له واجبه

وذكر عنه انه قال اذا وليت عملا فانظر من كاتبك فانما يعرف مقدارك من بعد عنك بكاتبك واستعقل حاجبك فانما يقضى عليك الوفود قبل الوصول اليك بحاجبك واستكرم واستطرب جليسك ونديمك فانما يؤذن للرجل بمن معه (وقد فاخر) كاتب نديما فقال الكاتب أنا معونة وأنت مؤنة وأنا للجد وأنت للهزل وأنا للشدة وأنت للذة وأنا للحرب وأنت للسلم فقال النديم أنا للنعمة وأنت للخدمة وأنا للحظوة وأنت للمهنة وتقوم وأجلس وتحتشم وأنا مؤنس تدأب لحاجتى وتشقى بما فيه سعادتى وأنا شريك وأنت معين وأنا تابع وأنت قرين وانما سميت نديما للندم على مفارقتى * وللعتابى أخبار حسان وتصنيفات ملاح فى ذكرها خروج عما اليه قصدنا عنى ونحوه يممنا وانما ذكرنا عنه هذه الفصول لتغلغل الكلام بنا اليها وتشعبه نحوها (وحكى) الجوهرى عن العتبى عن عياش الزبيدى قال رفع رجل قصة الى المأمون وسأله أن يأذن له فى الدخول عليه والاستماع منه فاذن له فدخل فسلم فقال له المأمون تكلم بحاجتك قال أخبر أمير المؤمنين ان مصائب الدهر وأعاجيب الايام قصدتنى فاخذت منى ما كانت الدنيا أعطتنى فلم تبق لى ضيعة الا خربت ولا نهر الا أبدى ولا منزل الا تهدم ولا مال الا ذهب وقد أصبحت لا أملك سبدا ولا لبدا وعلى دين كثير ولى عيال أطفال وصبية صغار وأنا شيخ كبير قد قعدت بى المطالب وكبرت عنى المكاسب ولى حاجة الى نظر أمير المؤمنين وعطفه قال فبينما هو فى الكلام اذ ضرط فقال وهذا يا أمير المؤمنين من عجائب الدهر ومحنته ولا والله ما ظهر منى قط الا فى موضعه فقال المأمون لجلسائه ما رأيت قط أقوى قلبا ولا أربط جأشا ولا أشد نفسا من هذا الرجل ثم أمر له بخمسين ألف درهم * قال أبو العتاهية وجه الى المأمون يوما فصرت اليه فالفيته مطرقا مفكرا مغموما

وكن فى مدح المصطفى كمدبج * بقلب كفيه بخيط موصل
وأمل به الاخرى ودنيا الدع وقد * تمتعت من لهو بها غير مجمل
وكن كنديث للفؤاد منابث * تصيح على تعذاله غير موئل
ينادى الهى ان ذنبى قد عدا * على بانواع الهموم ليبتلى
فكن لى مجيرا من شياطين شهوة * على حراص لو يسرون مقتلى
وينشد دنياه اذا ما تدللت * افاطم مهلا بعض هذا التدلل
فان تصلى حبلى بجبر وصلته * وان كنت قد ازمعت صرمى فأجملى
وأحسن بقطع الحبل منك وبته * فسلى ثيابى من ثيابك تنسل
ايا سامعى مدح الرسول تنشقوا * نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل
وروضة حمد للنبى محمد * غذاها نمير الماء غير محلل
ويا من أبى الاصغاء ما أنت مهتد * وما ان ارى عنك الغواية تنجلى
فلو مطفلا انشدتها لفظها ارعوت * فالهيتها عن ذى تمائم محول
ولو سمعته عصم طود أمالها * فانزل منها العصم من كل منزل

انتهت وقد عرفت بحازم هذا فى أزهار الرياض وذكرت جملة من نظمه ومن بارع ما وقع له قوله

أدر المدامة فالنسيم مؤرج * والروض مرقوم البرود مدبج
والارض قد لبست برود جمالها * فكانما هى كاعب تتبرج
والنهر مما ارتاح معطفه الى * لقيا النسيم عبابه متموج

فأحجمت فاطرق مليا ثم رفع رأسه فقال يا اسماعيل شان النفس الملال وحب الاستطراف والانس بالوحدة كما تانس بالالف قلت أجل يا أمير المؤمنين ولي من هذا بيت شعر قال وما هو قلت

لا تصلح النفس اذ كانت مطرفة * الا التنقل من حال الى حال

قال أحسنت زدني فقلت حسنت زدني فقلت لا أقدر على ذلك وانسيته بقية يومه وأمر لي بمال فانصرفت

(ويحكى) أن المامون أمر بعض خواصه من خدمه أن يخرج فلا يرى أحدا في الطريق الا أتى به كائنا من كان من رفيع أو خسيس فاتاه برجل من العامة فدخل وعنده المعتصم أخوه ويحيى بن أكثم ومحمد بن عمر الرومي وقد طبخ كل واحد منهم قدرا فقال محمد بن ابراهيم الطاهري هؤلاء من خواص امير المؤمنين فاجبهم عما يسالون فقال المامون الى أين خرجت في هذا الوقت وقد بقي عليك من الليل ثلاث ساعات فقال غرني القمر وسمعت تكبيرا فلم أشك انه أذان فقال له المامون اجلس فجلس فقال له المامون قد طبخ كل واحد منا قدرا وهذا يقدم اليك من كل واحد منا قدر فاخبر عن فضائلها وما ترى من طبخها فقال هاتوا فقدمت في طبق كبير كلها موضوعة عليه لا يميز بينها ولكل

واحدة من طبخها علامة فبدأ فذاق قدرا طبخها المأمون فقال زهوا كل منها ثلاث لقمات وقال أما هذه فكانها مسكة وطباخها حكيم نظيف ظريف مليح ثم ذاق قدر المعتصم فقال هذه والله فكانها والاولى من يد واحدة خرجتا وبحكمة طبختا ثم ذاق قدر عمر الرومي فقال وهذه قدر طباخ ابن طباخ جاد ما أحكمه ثم ذاق قدر يحيى ابن أكثم فاعرض بوجهه وقال شه هذه والله جعل طباخها فيها مكان بصلها خراة فضحك القوم وذهب بهم الضحك وقعد يحادثهم ويطايبهم ويتلهى وطابوا معه فلما برق الفجر قال المامون لا يخرجن منك ما كنا فيه وعلم انه علم بهم فوصله باربعة آلاف دينار وقسط له على أصحاب القدور وقال اياك ان تعود الى الخروج في مثل هذا الوقت مرة أخرى وقال لا أعدمكم الله الطبخ ولا أعدمني الخروج فسالوه عن تجارته وعرفوا منزله وجعل في خدمة المامون وخدمة الجميع وصار في جملتهم (وحدث) أبو عباد الكاتب وكان خاصا بالمامون قال قال لي المامون ما أعياني الاجواب ثلاثة أنفس صرت الى أم ذي الرياستين أعزيها عنه فقلت لا تاسي عليه ولا تحزني لفقده فان الله قد أخلف عليك مني ولدا يقوم لك مقامه فهما كنت تنبسطين اليه فيه فلا تنقبضين عني منه فبكت ثم قالت يا أمير المؤمنين وكيف لا أحزن على ولد أكسبني ولدا مثلك وأتيت برجل قد تنبأ فقلت له من أنت قال موسى بن عمران عليه السلام فقلت ويحك ان موسى بن عمران عليه السلام كانت له آيات ودلالات بان بها أمره ألقى عصاه فابتلعت كيد السحرة ومنها اخراجه يده من جيبه وهي بيضاء وجعلت أعدد عليه ما أتى به موسى بن عمران عليه السلام من دلائل النبوة وقلت له لو أتيتني بشيء واحد من علاماته أو آية من آياته كنت

يمسي الاصيل بعسجدي شعاعه * ابدا يوشي صفحه ويديج
وتروم ايدي الريح تسلب ما اكتسى * فتزيده حسنا بما هي تنسج
فارج اشرب كؤس راح نورها * بل نارها في مائها تتوهج
واسكر بنشوة لحظ من احببته * أو كأس خمر من لماه تمزج
واسمع الى نغمات عود تصطبي * قلب الخلي الى الهوى وتهيج
بم و زير يسعدان مثانيا * ومثالثا طبقاتها تتدرج
من لم يهج قلبه هذا فما * للقلب منه محرك ومهيج
فاجب فقد نادى بالسن حاله * للانس دهر للهموم مفرج
طربت جمادات وأوضح اعجم * فرحا وأصبح من سرور يهزج
أفمفضل الحي الجماد مسرة * والحي للسراء منه احوج
ما العيش الا ما نعمت به وما * عاطاك فيه الكاس ظبي ادعج
من بر وقك منه ردف مردف * عبل وخصر ذو اختصار مدمج
فاذا نظرت لطرة ولغرة * ولصفحة منه بدت تتأجج
ايقنت ان الانس وما غدا * من تحتها يناد أو يتموج
ليل على صبح على بدر على * غصن تحمله كثيب رجرج
كاس ومحبوب يظل بلحظه * قلب الخلي الى الهوى يستدرج
يا صاح ما قلبي بصاح عن هوى * شيآن بينهما الملى تستنتج

أوّل من آمن بك والا قتلتك فقال صدقت الا انى أتيت بهذه العلامات لما قال فرعون أنا ربكم الاعلى فان قلت أنت كذلك أتيتك من العلامات بمثل ما أتيته به والثالثة ان أهل الكوفة اجتمعوا يشكون عاملا كنت أحمد مذهبه وأرتضى سيرته فوجهت اليهم انى أعلم سيرة هذا الرجل وأنا عازم على القعود لكم فى غداة غد فاختاروا رجلا يتولى المناظرة عنكم فانا أعلم بكثرة كلامكم فقالوا امافينا من نرتضيه لمناظرة أمير المؤمنين الا رجل أطروش فان صبر أمير المؤمنين عليه تفضل بذلك فوعدتهم الصبر عليه وحضروا من الغد فامرت بالرجال فدخلوا الا الاطروش فلما مثل بين يدى أمرته بالجلوس ثم قلت له ما تشكوا من عاملكم فقال يا أمير المؤمنين هو شر عامل فى الارض أما فى أوّل سنة ولينا فانا بعنا أثاثنا وعقارنا وفى السنة الثانية بعنا ضياعنا وذخائرنا وفى السنة الثالثة خرجنا عن بلدنا فاستغثنا بأمير المؤمنين ليرحم شكوانا ويتطول علينا بالامر بصرفه عنا فقلت له كذبت لا أمان لك بل هو رجل أحمدت سيرته ومذهبه وارتضيت دينه وطريقته واخترته لكم لمعرفتى بكثرة سخطكم على عمالكم قال يا أمير المؤمنين صدقت وكذبت أنا ولكن هذا العامل الذى ارتضيت دينه وأمانته وعدله وانصافه كيف خصصتنا به هذه السنين دون البلاد حتى يشملهم من انصافه وعدله مثل الذى شملنا فقلت له قم فى غير حفظ الله فقد عزلته عنكم * وكان يحيى ابن أكثم يقول كان المأمون يجلس للمناظرة فى الفقه يوم الثلاثاء فاذا حضر الفقهاء ومن يناظره من سائر أهل المقالات ادخلوا حجرة مفروشة وقيل لهم انزعوا أخفافكم ثم أحضرت الموائد وقيل لهم أصيبوا من الطعام والشراب وجددوا الوضوء ومن خفه ضيق فلينزعه ومن ثقلت عليه قلنسوته فليضعها فاذا فرغوا أتوا بالمجامر فبخروا وطيبوا ثم خرجوا فاستدناهم حتى يدنون منه ويناظرهم أحسن مناظرة وأنصفها وأبعدها من مناظرة المتجبرين فلا يزالون كذلك الى أن زوال الشمس ثم تنصب الموائد الثانية فيطعمون وينصرفون قال فانه يوما لجالس اذ دخل عليه على بن صالح الحاجب فقال يا أمير المؤمنين رجل واقف بالباب عليه ثياب بيض غلاظ مشمرة ويطلب الدخول للمناظرة فقلت انه بعض الصوفية فاردت بان أشير ان لا يؤذن له فبدأ المأمون فقال ائذن له فدخل عليه رجل عليه ثياب قد شمرها ونعله فى يده فوقف على طرف البساط فقال السلام عليكم ورحمة الله فقال له المأمون وعليك السلام فقال أتأذن فى الدنو منك قال ادن فدنا ثم قال اجلس فجلس ثم قال أتاذن فى كلامك فقال تكلم بما تعلم ان لله فيه رضا قال أخبرنى عن هذا المجلس الذى أنت قد جلسته أباجتماع من المسلمين عليك ورضا منك ام بالمغالبة لهم بالقوّة عليهم بسلطانك قال لم أجلسه باجتماع منهم ولا بمغالبة لهم وانما كان يتولى أمر المسلمين سلطان قبلى أحمده المسلمون اما على رضا واما على كره فعقد لى ولآخر معى ولاية هذا الامر بعده فى أعناق من حضره من المسلمين فأخذ على من حضر بيت الله الحرام من الحاج البيعة لى ولآخر معى فاعطوا ذلك اما طائعين واما كارهين فمضى ولقد

وبهجتى الظبى الذى فى اضلعى * قد حل وهو يشبها ويؤجج
ناديت حادى عيسه يوم النوى * والعيس تحدى والمطايا تحدج
قف ايها الحادى اودع مهجة * قد حازها دون الجوانح هودج
لما تواقفنا وفى أحداجها * قمر منير بالهلال متوّج
ناديتهم قولوا لبدركم الذى * بضيائه تسرى الركاب وتدلج
يحيا العليل بلفظة أو لحظة * تطفى غليلا فى الحشا يتأجج
قالوا اتخاف بزيد ذلك لاعجا * فاجبتهم خلوا اللواعج تلعج
وبكيت واستبكيت حتى ظل من * عبراتنا بحر بحر يمزج
وبقيت أفتح بعدهم باب المنى * ما بيننا طورا وطورا يرتج
وأقول يا نفس اصبرى فعسى النوى * بصباح قرب ليلها يتبلج
فترقب السراء من دهر شجا * والدهر من ضد لضد يخرج
وترج فرجة كل هم طارق * فلكل هم فى الزمان تفرج

وتذكرت هنا جيمية ابن قلاقس وهى

عرضت لمعترض الصباح الابلج * حوراء فى طرف الظلام الادعج
فتمزقت شيم الدجى عن غرتى * شمسين فى أفق وكلة هودج
ووراء أستار الحمول لواحظ * غازلن معتدل الوشيج الاعوج
من كل مبتسم السنان اذا جرى * دمع النجيع من الكمى الاهوج

الذي عقده لي معي على هذا السبيل التي مضى عليها فلما صار الي علمت اني أحتاج الى اجتماع كلمة المسلمين في مشارق الارض
ومغاربها على الرضا ثم نظرت فرأيت اني متى تخليت عن المسلمين اضطرب حبل الاسلام وانتقضت أطرافه وغلب الهرج
والفتنة ووقع التنازع فتعطلت أحكام الله سبحانه وتعالى ولم يحج أحد بيته ولم يجاهد في سبيله ولم يكن له سلطان يجمعهم
ويسوسهم وانقطعت السبل ولم يؤخذ لمظلوم من ظالم فقمت بهذا الامر حياطة للمسلمين ومجاهدا لعدوهم وضابطا لسبلهم
وآخذا على أيديهم الى أن تجتمع المسلمون على رجل تتفق كلمتهم عليه على الرضا به فاسلم الامر اليه وأكون كرجل من المسلمين
وأنت أيها الرجل رسولي الى جماعة المسلمين فمتى اجتمعوا على رجل ورضوا به خرجت اليه من هذا الامر فقال السلام عليكم
ورحمة الله وقام فأمر المأمون علي بن صالح بان ينفذ في طلبه من يعرف مقصده ففعل ذلك ثم رجع وقال وجهت يا أمير المؤمنين
الى مسجد فيه خمسة عشر رجلا فقالوا له لقيت الرجل فقال نعم قالوا فما قال لك قال ما قال لي الا خيرا ذكر أنه ناظر في أمور المسلمين
الى أن تأمن سبلهم ويقوم بالحج والجهاد في سبيل الله ويأخذ للمظلوم من الظالم ولا يعطل الاحكام فاذا رضي المسلمون برجل
سلم الامر اليه وخرج اليه منه قالوا ما نرى بهذا باسا وافترقوا فاقبل المأمون على يحيى فقال كفينا مؤنة هؤلاء

بأيسر الخطب فقلت الحمد لله الذي ألهمك يا أمير المؤمنين الصواب والسداد في القول (قال المسعودي) وكان يحيى قد ولي قضاء البصرة قبل تأكد الحال بينه وبين المأمون فرفع الى المأمون انه أفسد أولادهم بكثرة لواطه فقال المأمون لو طعنوا عليه في أحكامه قبل ذلك منهم قالوا يا أمير المؤمنين قد ظهرت منه الفواحش وارتكاب الكبائر واستفاض ذلك عنه وهو القائل يا أمير المؤمنين في صفة الغلمان وطبقاتهم ومراتبهم في أوصافهم فقال المأمون

وما الذي قال فدفعت اليه القصة فيها جمل مما رمي به وحكي عنه في هذا المعنى وهو قوله

أربعة تفتن ألحاظهم * فعين من يعشقهم ساهره * فواحد دنياه في وجهه
منافق ليست له آخره * وآخر دنياه مقبوحة * من خلفه آخرة وافره
وثالث قد حاز كلتيهما * قد جمع الدنيا مع الآخره * ورابع قد ضاع ما بينهم
ليست له دنيا ولا آخره

فانكر المأمون ذلك في الوقت واستعظمه وقال أيكم سمع هذا منه قالوا هذا مستفاض من قوله فينا يا أمير المؤمنين فأمر باخراجهم عنه وعزل يحيى عنهم وفي يحيى وما كان عليه بالبصرة يقول ابن أبي نعيم

يا ليت يحيى لم يلده أكثمه * ولم تطأ أرض العراق قدمه * ألوط قاض في العراق نعلمه
أي دواة لم يلقها قلمه * وأي شعب لم يلجه أرقمه * وضرب الدهر ضرباته

فاتصل يحيى بالمأمون ونادمه ورخص له في أمور كثيرة فقال له يوما يا أبا محمد من الذي يقول

قاض يرى الحد في الزناء ولا * يرى على من يلوط من باس

قال ذلك ابن أبي نعيم يا أمير

ولقد صحبت الليل قاصر برده * لعباب بحر صباحه المتموج
وكأن منتثر النجوم لآلئ * نظمت على صرح من الفيروزج
وسهرت أرقب من سهيل خافقا * متفردا وكأنه قلب الشجي
واستعبرت مقل السحاب فاضحكت * منها ثغور مفوف ومدبج

ولنعد الى ذكر أبي بكر بن جزي فنقول وله تقييد في الفقه على كتاب والده المسمى بالقوانين الفقهية ورجز في الفرائض واحسانه كثير وتقدم قاضيا بالجماعة بحضرة غرناطة ثامن شوّال عام ستين وسبعمائة ثم صرف عنها ثم لما توفي الاستاذ الخطيب العالم الشهير أبو سعيد فرج بن لب رحمه الله تعالى وكان خطيب الجامع الاعظم بغرناطة ولي موضعه أستاذا وخطيبا عام اثنين وثمانين وسبعمائة فبقي في الخطابة ثلاثة أعوام ثم توفي وأظن وفاته آخر عام خمسة وثمانين وسبعمائة رحمه الله تعالى وأما أخوه أبو عبد الله محمد فهو الكاتب المجيد أعجوبة الزمان وتوفي بفاس رحمه الله تعالى عام ثمانية وخمسين وسبعمائة وقيل وهو الصواب ان وفاته آخر شوّال من السنة قبلها حسبما ألفيته بخط بعض أكابر الثقات بداره من البيضاء وهي فاس الجديدة قرب مغرب يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من شوال من عام سبعة وخمسين وسبعمائة وكان دفنه يوم الاربعاء بعد صلاة العصر وراء الحائط الشرقي الذي بالجامع الاعظم من المدينة البيضاء وكان مولده في شوّال من عام واحد وعشرين وسبعمائة انتهى قال الامير ابن الاحمر في نثير الجمان أدركته ورأيته وهو من أهل بلدنا غرناطة وكان أبوه أبو القاسم محمد أحد المفتين بها عالم الاندلس الطائر فتياه منها الى طرابلس وقتل شهيدا بطريف

المؤمنين وهو القائل

أمـيرنا يرتشي وحاكمنا * يـلوط والرأس شرما راس
قاض يرى الحـد في الزناء ولا * يرى على من يلوط من باس
ما أحسب الجور ينقضي وعلى الـــأمـة وال من آل عبـاس

فاطرق المأمون خجلا ساعة ثم رفع رأسه وقال ينفى ابن أبي نعيم الى السند وكان يحيى اذا ركب مع المأمون في سفر ركب معه بمنطقة وقباء وسيف بمعاليق وساسية واذا كان الشتاء ركب في اقبية الخز وقلانس السمور والسروج المكشوفة وبلغ من اداعته ومجاهرته باللواط ان المأمون أمره ان يفرض لنفسه فرضا يركبون بركوبه ويتصرفون في أموره ففرض أربعمائة غلام مرد اختارهم حسان الوجوه فافتضح بهم وقال في ذلك راشد بن اسحق يذكر ما كان من أمر يحيى في الفرض

خليلي انظرا متعجبين * لاطرف منظر مقلته عيني * لفرض ليس يقبل فيه الا
اسيل الخد حلو المقلتين * والا كل أشقر اكثمي * قليل نبات شعر العارضين * يقدم دون موقف صاحبيه
بقدر جماله ويقيم ذين
يقودهم الى الهيجاء قاض
شديد الطعن بالرمح الرديني
اذا شهد الوغى منهم شجاع
تجدل للجبين ولليدين
يقودهم على علم وحلم
ليوم سلامة لا يوم حين
وصار الشيخ متعتبا عليه
بمصرعه بحو زال كبتين
يغادرهم الى الاذقان صرعى
وكلهم جريح الخصيتين
وفيه يقول راشد أيضا
وكنا نرجى ان نرى العدل ظاهرا
فاعقبنا بعد الرجاء قنوط
متى تصلح الدنيا ويصلح أهلها
وقاضي قضاة المسلمين يلوط

بعد ان ابلى بلاء حسنا وأبو عبد الله ابنه هذا كتب بالاندلس في حضرة ابن عم أبينا أمير المسلمين أبي الحجاج يوسف وله فيه أمداح عجيبة ولم يزل كاتبا في الحضرة الاحمدية النصرية الى أن امتحنه أمير المسلمين أبو الحجاج انتهى ويعني ابن الاحمر بهذا الامتحان أنه ضرب بالسياط من غير ذنب اقترفه بل ظلما ظالما مبينا هكذا ألفيته في بعض المقيدات ثم قال ابن الاحمر فقوض الرحال عن الاندلس واستقر بالعدوة فكتب بالحضرة المرينية لامير المسلمين أبي عنان الى أن توفي بها رحمه الله تعالى وكان رحمه الله تعالى طلع في سماء العلوم بدرا مشرقا وسارت براعته مغربا ومشرقا وسما بشعره فوق الفرقدين كما أربى بنثره على الشعرى والبطين له باع مديد في التاريخ واللغة والحساب والنحو والبيان والآداب بصير بالفروع والاصول والحديث عارف بالماضي من الشعر والحديث ان نظم انساك أبا ذؤيب برقته ونصيبا بمنصبه ونخوته وان كتب أربى على ابن مقلة بخطه وان انشأ رسالة انساك العماد بحسن مساقها وضبطه وهو رب هذا الشان * وفارس هذا الميدان ومع تفننه في الشعر فهو في العلوم قد نبغ وما بلغ أحد من شعراء عصره منه ما بلغ بل سلموا التقدم فيه اليه وألقوا زمام الاعتراف بذلك في يديه ودخلوا تحت راية الادب التي حمل اذ ظهر ساطع براعته ظهور الشمس في الحمل أنشدني لنفسه يمدح أمير المسلمين أبا الحجاج يوسف بن أمير المسلمين أبي الوليد اسمعيل عم أبينا ابن جدنا الرئيس الامير أبي سعيد فرج هذه القصيدة البارعة وحذف منها الراء المهملة

قسما بوضاح السنى الوهاج * من تحت مسدول الذوائب داج

وكان يحيى بن أكثم بن عمر بن أبي رباح من أهل خراسان من مدينة مرو وكان رجلا من بني تميم وسخط عليه المأمون في وبأيلج سنة خمس عشرة ومائتين وذلك بمصر وبعث به الى العراق مغضوبا عليه وله مصنفات في الفقه وفي فروعه وأصوله وكتاب أورده على العراقيين سماه بكتاب التنبيه وبينه وبين أبي سليمان احمد بن أبي داود بن علي مناظرات كثيرة وفي خلافة المأمون كانت وفاة ابي عبد الله محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبد الله بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف الشافعي في رجب ليلة الجمعة وذلك سنة أربع ومائتين ودفن صبيحة الليلة وهو ابن أربع وخمسين سنة وصلى عليه السري بن الحكم امير مصر يومئذ كذلك ذكر عكرمة بن محمد بن بشر عن الربيع بن سليمان المؤذن وذكر أيضا محمد بن سفيان بن سعيد المؤذن وغيرهما عن الربيع بن سليمان مثل ذلك ودفن الشافعي بمصر نحو قبور الشهداء في مقبرة بني عبد الحكم وبين قبورهم وعند رأسه عمود من الحجر كبير وكذلك عند رجليه وعلى العالي الذي عند رأسه حفر قد كتب فيه في ذلك الحجر هذا قبر محمد بن ادريس الشافعي امين الله وما ذكرنا فشهور بمصر والشافعي يتفق نسبه

مع بنى هاشم وبنى أمية فى عبد مناف لانه من ولد المطلب بن عبد مناف وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم نحن وبنو المطلب كهاتين وأشار باصبعيه مضمومتين وقد كانت قريش حاصرت بنى المطلب مع بنى هاشم فى الشعب (وحدثنى فقير بن مسكين عن المزنى بهذا وكان فقير يحدث عن المزنى وكان سماعنا من فقير بن مسكين بمدينة اسوان بصعيد مصر قال قال المزنى دخلت على الشافعى غداة وفاته فقلت له كيف أصبحت يا ابا عبد الله قال اصبحت من الدنيا راحلا ولاخوانى مفارقا وبكاس المنية شاربا ولا أدرى الى الجنة تصير روحى فاهنيها ام الى النار فاعزيها وانشأ يقول

ولما قسا قلبى وضاقت مذاهبى ❊ جعلت الرجامنى لعفوك سلما
تعاظمنى ذنبى فلما قرنته ❊ بعفوك ربى كان عفوك اعظما

وفى هذه السنة التى مات فيها الشافعى وهى سنة أربع ومائتين مات أبو داود سليمان بن داود الطيالسى وهو ابن احدى وتسعين سنة وفيها مات هشام بن محمد الكلبى (وادعى) رجل النبوة بالبصرة أيام المأمون فحمل اليه موثقا بالحديد فمثل بين يديه فقال أنت نبى مرسل قال أما الساعة فانا موثق قال ويلك من غرك قال ابهذا تخاطب الانبياء اما والله لولا انى موثق لامرت جبريل ان يدمدمها عليكم قال له المأمون والموثق لا يجاب له دعوة ٢٨٥ قال الانبياء خاصة اذا قيدت لا يرتفع دعاؤها فضحك المامون وقال من قيدك قال هذا الذى بين يديك قال فنحن نطلقك وتامر جبريل أن يدمدمها فان أطاعك آمنا بك وصدقناك فقال صدق الله اذ يقول فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ان شئت فافعل فامر باطلاقه فلما وجد راحة العافية قال يا جبريل ومد بها صوته ابعثوا من شئتم فليس بينى وبينكم الآن خبر غيرى يملك الاموال وأنا لا شئ معى ما يذهب لكم الا السجان فامر باطلاقه والاحسان اليه (حدث) ثمامة بن أشرس قال شهدت مجلسا للمامون وقد أتى برجل ادعى انه ابراهيم الخليل فقال له المامون ماسمعت باجرأ على الله من هذا قلت ان رأى أمير المؤمنين ان ياذن لى فى كلامه قال شانك واياه قلت ياهذا ان ابراهيم عليه السلام كانت له براهين قال وما براهينه قلت أضرمت له النار والقى فيها فكانت عليه بردا وسلاما فنحن نضرم لك نارا ونطرحك فيها فان كانت عليك بردا وسلاما كما كانت عليه آمنا بك وصدقناك قال هات ماهو الين على من هذا قلت فبراهين موسى عليه السلام قال وماهى قلت ألقى العصا فاذا هى حية تسعى تلقف ما يافكون وضرب بها البحر فانفلق وبياض يده من غير سوء قال هذا أصعب ولكن هات ماهو الين من هذا قلت فبراهين عيسى عليه السلام قال وما براهينه قلت احياء الموتى فقطع الكلام فى براهين عيسى وقال جئت بالطامة الكبرى دعنى من براهين هذا قلت فلا بد من براهين قال مامعى من هذا شئ قلت لجبريل انكم توجهونى الى شياطين فاعطونى حجة اذهب بها والا لم اذهب فغضب جبريل عليه السلام على وقال جئت بالشر من ساعة اذهب أولا فانظر ما يقول لك القوم فضحك المامون وقال هذا من الانبياء التى تصلح للمنادمة وفى سنة ثمان وتسعين ومائة خلع المامون أخاه المعتصم بن

وبابلج بالمسك خطت نونه ❊ من فوق وسنان اللواحظ ساجى
وبحسن خد دبجت صفحاته ❊ فغدت تحاكى مذهب الديباج
وبمبسم كالعقد نظم سلكه ❊ واى حكى الصهباء دون مزاج
وبمنطق تصبو القلوب لحسنه ❊ انسى المسامع نغمة الاهزاج
وبمائس الاعطاف تثنيه الصبا ❊ فيميس كالخطى يوم هياج
ومنعم مثل الكثيب ثقاله ❊ مستضعف يشكو امن الادماج
وبموعد للوصل انجز خلفه ❊ من بعد طول تمنع ولجاج
وبأكؤس أطلعن فى جنح الدجى ❊ شمس السلافة فى سماء زجاج
وحدائق سحب السحاب ذيوله ❊ فيها وبات بها النسيم يناجى
وجداول سلت سيوفا عندما ❊ جئت بجيش للصبا عجاج
وباقحوان قد تضاحك اذ بكت ❊ عين الغمام بمدمع ثجاج
وقدود أغصان بعلن كأنها ❊ تخفى حديثا بينها وتناجى
وحمائم يهتفن شجوا بالضحى ❊ فيهدبلهن لذى الصبابة شاجى
ان المعالى والعوالى والندى ❊ والبأس طوع يدى أبى الحجاج
ملك تتوج بالمهابة عندما ❊ لم يستتر فى الدين لبس التاج
وأفاض حكم العدل فى أيامه ❊ فالحق أبلج واضح المنهاج
هو منقذ العانى ومغنى المعتفى ❊ ومذلل العاتى وغوث اللاجى

الرشيد من ولاية العهد وفى سنة تسع وتسعين ومائة خرج أبو السرايا السرى بن منصور الشيبانى بالعراق واشتد أمره ومعه
محمد بن ابراهيم بن اسمعيل بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب وهو ابن طباطبا ووثب بالمدينة محمد بن سليمان بن داود
ابن الحسن بن الحسن بن على رحمهم الله ووثب بالبصرة على بن محمد بن جعفر بن على بن الحسين عليهم السلام وزيد بن موسى
ابن جعفر فغلبوا على البصرة وفى هذه السنة مات أبو طباطبا الذى كان يدعو اليه أبو السرايا وهو محمد بن ابراهيم المقدم ذكره
وظهر فى هذه السنة باليمن وهى سنة تسع وتسعين ومائة ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد وظهر فى أيام المامون بمكة
ونواحى الحجاز محمد بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين رحمهم الله وذلك فى سنة مائتين ودعا لنفسه واليه دعت السمطية من
فرق الشيعة وقالت بامامته وقد افترقوا فرقا فمنهم من غلا ومنهم من قصر وسلك طريق الامامية وقد ذكرنا فى كتاب المقالات
فى أصول الديانات وفى كتاب أخبار الزمان من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الداثرة فى الفن الثلاثين من أخبار
خلفاء بنى العباس ومن ظهر فى أيامهم من الطالبيين وقيل ان محمد بن جعفر دعا فى بدء أمره وعنفوان شبابه الى محمد بن ابراهيم
ابن طباطبا صاحب أبى السرايا فلما مات ابن طباطبا وهو محمد بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن دعا لنفسه
وتسمى بامير المؤمنين
غير محمد بن جعفر وكان
يسمى بالديباجة لحسنه
وبهائه وما كان عليه من
البهاء والكمال وكان له
بمكة ونواحيها قصص حمل
فيها الى المامون بخراسان
والمامون يومئذ بمرو فامنه
المأمون وحمله معه
الى جرجان مات محمد بن
جعفر بها فدفن بها وقد
أتينا على كيفية وفاته وما
كان من أمره وغيره من آل
أبى طالب فى كتابنا
حدائق الأذهان فى أخبار
آل أبى طالب ومقاتلهم فى
بقاع الارض وظهر فى
أيام المامون أيضا بالمدينة
الحسن بن الحسين بن على
ابن على بن الحسين بن على وهو المعروف بابن الافطس وقيل انه دعا فى بدء أمره الى ابن طباطبا فلما مات ابن
طباطبا دعا الى نفسه والقول بامامته وسار الى مكة فاتى الناس وهم بمنى وعلى الحاج داود بن عيسى بن موسى الهاشمى
فهرب داود ومضى الناس الى عرفة ودفعوا الى مزدلفة بغير انسان عليهم من ولد العباس وقد كان ابن الافطس وافى الموقف
بالليل ثم صار الى المزدلفة والناس بغير امام فصلى بالناس ثم مضى الى منى فنحر ودخل مكة وجرد البيت مما عليه من الكسوة
الا القباطى البيض فقط وفى سنة مائتين ظهر حماد المعروف بالكيدعوس بن السرايا فاتى به الحسن بن سهل فقتله وصلبه
على الجسر ببغداد وقد أتينا فى كتابنا فى أخبار الزمان على خبر أبى السرايا وخروجه وما كان منه فى خروجه وقتله عبدوس
ابن أبى خالد ومن كان معه من قواد الابناء واستباحة عسكره (قال المسعودى) وفى سنة مائتين بعث المامون برجاء بن أبى
الضحاك وياسر الخادم الى على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين الرضا لاشخاصه فحمل اليه مكرما وفيها أمر
المامون باحصاء ولد العباس من رجالهم ونسائهم وصغيرهم وكبيرهم فكان عددهم ثلاثة وثلاثين ألفا ووصل الى المامون

ماضى العزيمة والسيوف كليلة * طلق المحيا والخطوب دواجى
علم الهدى والناس فى عمياء قد * ضلوا لوقع الحادث المهتاج
غيث الندى والسحب تبخل بالحيا * والمحل يبدى فاقة المحتاج
ليث الوغى والخيل ترجى بالقنا * والبيض تنهل فى دم الاوداج
يتقشع الاظلام اذ يبدو له * وجه كمثل الكوكب الوهاج
من آل قيلة من ذؤابة سعدها * أعلى بنى قحطان دون خلاج
حيث العلا ممدودة الاطناب لم * تخلق معالمها يد الانهاج
والاعوجيات السوابق تمتطى * فتطال الا فاق سحب عجاج
والبيض والاسد العوامل تنتضى * مهج الكماة بابلغ الازعاج
مجد ليوسف جمعت أشتاته * أعياسواه بعد طول علاج
مولاى هاك عقيلة تزهو على * اخواتها كالغادة المغناج
انشاء عبد خالص لك حبه * ومن العبيد مداهن ومداجى
آوى الى اكناف نعمالك التى * ليست اليه صلاتها بخداج
سباق ميدان البلاغة والوغى * لشعاب كل منهما ولاج
جانبت أخت الراى منها عامدا * فأتت من الاحسان فى أفواج
فافتح لها باب القبول وأول من * أهدا لها مايبتغى من حاج
ثم قال ابن الاحمر وأنشدنى أيضا لنفسه يمدح امير المؤمنين المتوكل على الله أبا عنان فارس
ملك

علي بن موسى الرضا وهو بمدينة مرو فانزله المأمون أحسن انزال وأمر المأمون بجمع خواص الاولياء واخبرهم انه نظر فى ولد العباس وولد علي رضي الله عنهم فلم يجد فى وقتـه أحـدا أفضل ولا احق بالامر من علي بن موسى الرضا فبايع له بولاية العهد وضرب اسمه على الدنانير والدراهم وزوّج محمد بن علي بن موسى الرضا بابنته أم الفضل وأمر بازالة السواد من اللباس والاعلام ونمى ذلك الى من بالعراق من ولد العباس فاعظموه اذ علموا ان فى ذلك خروج الامر عنهم وحج بالناس ابراهيم بن موسى بن جعفر اخو الرضا بامر المأمون واجتمع من بمدينـة السـلام من ولد العباس على خلع المأمون ومبايعة ابراهيم بن المهدي المعروف بابن شكلة فبويع له يوم الخميس لخمس خلون من المحرم سنة اثنتين ومائتين وقيل ان ذلك فى سنة ثلاث ومائتين وفى سنة اثنتين ومائتين قتل الفضـل بن سـهل فى حمام غيـلة وذلك بمدينة سرخس من بـلاد خراسان وذلك فى دار المأمون فى مسيره الى العراق وقبض علي بن موسى الرضا بطوس لعنب أكله واكثر منه وقيل انه كان مسموما وذلك فى صفر سـنة ثلاث ومائتين وصلى عليه المأمون وهو ابن ثلاث وخمسين سـنة وقيل سبع وأربعين سنة وستة أشهر وكان مولده بالمدينة سـنة ثلاث وخمسين ومائة للهجرة وكان المأمون زوج ابنته أم حبيبة لعلي ٢٨٧ ابن موسى الرضا فكانت احدى الاختين تحت محمـد بن عـلي بن موسى والاخرى تحت أبيـه علي بن موسى واضطربت بغداد فى أيام ابراهيم بن المهدي وثارت الرويضية وسموا أنفسهم المطوعية وهم رؤساء العامة والتوابع وقرب المأمون من مدينـة السـلام صلى ابراهيم بن المهدي بالناس فى يوم النحر واختفى فى يوم الثاني من النحر وذلك فى سنة ثلاث ومائتين فخلعه اهل بغداد وكان دخول المأمون بغداد سنة أربع ومائتين ولباسه الخضرة ثم غير ذلك وعاد الى لباس السواد وذلك حين قدم طاهر بن الحسين من الرقة اليه وفى سنة احدى ومائتين كان القحط العظيم ببلاد المشرق والوباء بخراسان وغيرها وفيها كان خروج بابك الخرمي ببلاد البـدين فى أصحاب جاويذان ابن شهرك وقد قدمنا ذكر بـلاد بابل وهي البـدين من اذربيجان والران والبيلقان فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا لجبل الفتح والباب والابواب ونهر الرأس وجريانه نحو بلاد البـدين وبث المأمون عيونه فى طلب ابراهيم بن المهدي وقد علم باختفائه فيها فظفر به لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة سبع ومائتين فى زي امرأة ومعه امرأتان أخذه حارس بن أسود فى الدرب المعروف بالطويل ببغداد فادخـل الى المأمون فقال هيـه يا ابراهيم فقال يا أمير المؤمنـين ولي الثار محكم فى القصاص والعـفو أقرب للتقوى ومن تناوله الزمان واسـتولى عليه الاغترار بما مد له من أسباب الشقاء أمكن عادية الدهر من نفسه وقد جعلك الله فوق كل ذي عفو كما جعل كل ذي ذنب دوني فان تعاقب فبحقك وان تعف فبفضلك قال بل العفو يا ابراهيم فكبر ثم خر ساجدا فامر المأمون فصيرت التي كانت عليه على صدره ليرى الناس الحال التي أخذ عليها ثم أمر به فصير فى دار الحرس أياما ينظر الناس اليه ثم حول الى احمد بن خالد ثم رضي عنه من

ملك المغرب

ان قلبي لعـهدة الصـبر ناكث * عن غزال فى عقـدة السحر نافث
أضرم النار فى فـؤادي وولى * قائـلا لا تخف فاني عابث
ورماني من مقلتيـه بسـهم * ثم قال اصـطبر لثـان وثالث
كم عـذول أتى بناظريـه * كان تعـذاله عـلى الحب باعث
وعـين آلتها بالتسـلي * فقضى حسـنه بأني حانث
جبر الله صـدع قلب عميـد * صدعت شمله صروف الحوادث
فهو يهفو الى البروق ويروى * عن نسيم الصبا ضعيف الاحادث
سلبته الاشجان الا بقايا * من أماني حبالهـن رثائث
وبكاء عـلى عهـود مـواض * ملأت صدره هموما حـدائث
لست وحدي أشكو بليلة وجدي * ان داء الغـرام ليس بحادث
يا مضـيع العـهود والله يعـفو * عنك اني ارتضيت خطة ناكث
غرني منك والجـمال غـرور * وظبا اللحظ فى القـلوب عوابث
مقـل قسـمن أعشار قلـبي * بالرضا منـي اقتسـام الموارث
كيف غـيرت بانتزاحك حالي * وتغـيرت لي ولست بحارث
فرط حـبي وفرط بخلك آلا * أن عينيـك بالقسو رثوافث
وندى فارس وحسـنك ردا * قول من قال سد باب البواعث

بعد أن كان وكل به فقال ابراهيم فى ذلك من كلمة له ان الذى قسم المكارم حازها * من صلب آدم للامام السابع
جمع القلوب عليك جامع أهلها * وجرى ودادك كل خير جامع فبذلت أعظم مايقوم بحمله * وسع النفوس من الفعال البارع
وعفوت عمن لم يكن عن مثله * عفو ولم يشفع اليك بشافع وانحدر المامون الى فم الصلح فى شعبان سنة تسع ومائتين
وأملك بخديجة ابنة الحسن بن سهل التى تسمى بوران ونثر الحسن فى ذلك من الاموال مالم ينثره ولم يفعله ملك قط فى
جاهلية ولا فى اسلام وذلك انه نثر على الهاشميين والقواد والكتاب بنادق مسك فيها رقاع باسماء ضياع واسماء
جوار وصفات دواب وغير ذلك فكانت البندقة اذا وقعت فى يد الرجل فتحها فقرأ مافيها فيجد على قدر اقباله وسعوده فيها
فيمضى الى الوكيل الذى نصب لذلك فيقول له ضيعة يقال لها فلانة الفلانية من طسوج كذا من رستاق كذا وجارية يقال
لها فلانة الفلانية ودابة صفتها كذا ثم نثر بعد ذلك على سائر الناس الدنانير والدراهم ونوافج المسك وبيض العنبر وأنفق على
المامون وقواده وعلى جميع أصحابه ومن كان معه من جنوده أيام مقامه عنده على المكارين والحمالين والملاحين وكل من ضمه
العسكر من تابع ومتبوع ومرتزق وغيره لم يكن أحد من الناس يشترى شيا فى عسكر المامون مما يطعم ولا مما
تعتلفه البهائم فلما أراد
المامون ان يصعد فى دجلة
الى مدينة السلام قال
للحسن حوائجك يا أبا محمد
قال نعم يا أمير المؤمنين
أسالك ان تحفظ على مكانى
من قلبك فانه لايتهيأ لى
حفظه الا بك وأمر المامون
بحمل خراج فارس وكور
الاهواز اليه سنة فقالت
فى ذلك الشعراء فأكثرت
واطنبت الخطباء فى ذلك
وتكلمت فيما استظرف
مما قيل فى ذلك من الشعر
قول محمد بن حازم الباهلى
بارك الله للحسن
ولبوران فى الختن
يا ابن هرون قد ظفر * ت ولكن ببنت من فلما نمى هذا الشعر
الى المامون قال والله ماندرى خيرا أراد أم شرا ودخل ابراهيم بن المهدى يوما على المامون بعد مدة من الظفر به فقال ان
هذين يحملانى على قتلك يعنى المعتصم أخاه والعباس بن المامون فقال ما أشارا عليك الا بما يشار به على مثلك ولكن تدع
ماتخاف لما ترجو وأنشد
رددت مالى ولم تبخل على به * وقبل ردك مالى قد حقنت دمى
فبوت منها وما كافيتها بيد * هما الحياتان من موت ومن عدم
البر وطا منك العذر عندك لى * فيما أتيت ولم تعذل ولم تلم
وقام عذرك بى فاحتج عندك لى * مقام شاهد عدل غير متهم ولابراهيم اخبار حسان وأشعار ملاح وما كان من أمره فى حال
اختفائه فى سويقة غالب ببغداد وتنقله من موضع الى موضع بها وخبره فى الليلة التى قبض عليه فيها قد أتينا على جميعها
فيما سلف من كتبنا التى كتابنا هذا تال لها وقد صنف يوسف بن ابراهيم الكاتب صاحب ابراهيم بن المهدى كتابا منها
كتابه فى أخبار المتطببين مع الملوك فى المآكل والمشارب والملابس وغير ذلك وكتابه المعروف بكتاب ابراهيم ابن المهدى

ملك البأس والندى فهو بالسيف وبالسيب عائث أو غائث
محرز المجد والثناء فهذا * سائر فى الورى وذلك لابث
أوطأ الشهب رجله وترقى * صاعدا فى سموه غير ماكث
فدراريّ تسرى وما لحقته * ونجوم خلف القصور لوابث
وله المقربات لا بل هى العقبان من فوقها الليوث الدلاهث
مطلعات من كل نعل هلالا * فلهذا تجلو دجى كل حادث
ان ترافعن فالجبال الرواسى * أو تسابقن فالغيوث الحثائث
والمواضى كأنها قد أعيرت * حدة الذهن منه عند المباحث
هى نار محرقات الاعادى * وهى ماء مطهرات الخبائث
فيردن الوغى ذكورا عطاشا * ثم يصدرن ناهلات طوامث
من معانيه قد رأينا عيانا * كل فضل ينصه من يحادث
خلق كالنسيم مر سحيرا * بالازاهير فى البطاح الدمائث
فى سبيل الاله يقصى ويدنى * ويوالى فى ذاته وينابث
شرف الملك منه سام وحام * ففدته سام وحام ويافث
هاكها من بنات فكرى بكرا * ليس يسموها من الناس طامث
ذات لفظ لايعتريه اختلال * ومعان لاتنتحيها المباحث
زعماء القريض أبقوا بقايا * كنت دون الورى لهن الوارث

فى أنواع الاخبار وغير ذلك من كتبه ومن أحسن ما اختير من أخبار ابراهيم فى حال تنقله واختفائه يبغداد خبره مع المزين وهو أن المأمون لما دخل بغداد على ماذكرناه فيما سلف من هذا الكتاب من بثه العيون طلبا لابراهيم بن المهدى وجعل لمن دل عليه جعلا خطيرا من المال قال ابراهيم فخرجت فى يوم صائف فى وقت الظهر لا أدرى أين أتوجه فصرت الى زقاق ولا منفذ له فرأيت أسود على باب دار فصرت اليه وقلت له أعندك موضع أقيم فيه ساعة من نهار فقال نعم وفتح بابه فدخلت الى بيت فيه حصر نظيف ووسادة جلد نظيفة ثم تركنى وأغلق الباب فى وجهى ومضى فتوهمته قد سمع الجعالة فىّ وانه خرج ليدل علىّ فبينا أنا كذلك اذ أقبل ومعه طبق عليه كل ما يحتاج اليه من خبز ولحم وقدر جديد وآلتها وجرة نظيفة وكيزان نظاف كل ذلك جديد وقال لى جعلنى الله فداك انى حجام وانى أعلم أنك تتقذر مما أتولاه فشأنك بما لم تقع عليه يدى وكانت بى حاجة شديدة الى الطعام فقمت فطبخت لنفسى قدرا ما أذكر انى أكلت أطيب منها ثم قال لى بعد ذلك هل لك فى النبيذ فقلت ما أكره ذلك ففعل مثل فعله فى الطعام وأتانى بكل شئ نظيف لم يمس شيأ منه بيده ثم قال لى بعد ذلك أتأذن لى جعلنى الله فداك أن أقعد ناحية منك فآتى بنبيذ فأشرب منه سرورا بك قال فقلت ٢٨٩ افعل ذلك فلما شرب ثلاثا دخل خزانة له وأخرج منها عودا وقال يا سيدى ليس من قدرى أن أسألك أن تغنى ولكن قد وجبت عليك حرمتى فان رأيت أن تشرف عبدك بأن تغنيه قال فقلت وكيف توهمت علىّ أنى أحسن الغناء فقال متعجبا يا سبحان الله أنت أشهر من أن لا أعرفك أنت ابراهيم بن المهدى الذى قد جعل المأمون لمن دل عليك مائة ألف درهم قال فلما قال لى ذلك تناولت العود فلما هممت بالغناء قال يا سيدى أتجعل ما تغنيه ما أقترحه عليك قلت هات فاقترح

٣٧ ط ث

ثلاثة أصوات أتقدم فيها كل من غنى قلت هبك عرفتنى هذه الاصوات من أين لك قال أنا أخدم ابراهيم بن اسحق الموصلى وكثيرا ما كنت اسمعه يذكر المحسنين وما يجيدونه ولم أتوهم أنى أسمع ذلك منك فى منزلى فغنيته وانست به واستظرفته فلما كان الليل خرجت من عنده وقد كنت حملت معى خريطة فيها دنانير فقلت له خذها فاصرفها فى بعض مؤنتك ولك عندنا مزيد ان شاء الله تعالى فقال ما أعجب هذا والله عزمت على أنى أعرض عليك جملة عندى وأسألك ان تتفضل بقبولها ثم اجللتك عن ذلك فامتنع من قبول شئ ومضى حتى دلنى على الموضع الذى احتجت اليه وانصرف وكان آخر العهد به وفى سنة ست ومائتين وذلك فى خلافة المأمون مات يزيد بن هرون بن زاذان الواسطى وله تسع وثمانون سنة وكان مولده سنة سبع عشرة ومائة وهو مولى بنى سليم وكان أبوه يخدم فى مطبخ زياد ابن أبيه وعبيد الله بن زياد ومصعب بن الزبير والحجاج بن يوسف وهذا عمدة أهل الحديث فى علمهم وعظيم من عظمائهم وكانت وفاته بواسط العراق وفيها مات جرير بن حازم وشبة بن سوار المدنى والحجاج بن محمد الاعور الفقيه وعبد الله بن نافع الصائغ المدنى مولى

من أراد انتقادها فهى هذى * عرضة البحث فليكن جد باحث

ورأيت بخط ابن الصباغ العقيلى على هامش قوله وندى فارس وحسبك ردا البيت ما نصه ما أبدع تخلصه للمدح وأطبعه فانه أشار الى قول الشاعر رادا عليه بالتبكيت ومعقباله بالتعنيت

فالوا تركت الشعر قلت ضرورة * باب السماحة والملاحة مغلق
مات الكرام فلا كريم يرتجى * منه النوال ولا مليح يعشق انتهى

وقيل ان السلطان أبا عنان اطل من برج يشاهد الحرب بين الثور والاسد على ما جرت به عادة الملوك فقال ابن جزى المذكور فى وصف الحال

لله يوم بدار الملك مر به * من العجائب ما لم يجر فى خلدى
لاح الخليفة فى برج العلا فرأى * يشاهد الحرب بين الثور والاسد

ومن بارع نظمه رحمه الله تعالى قوله

أبا حسن ان شتت الدهر شملنا * فليس لودى فى الفؤاد شتات
وان حلت عن عهد الاخاء فلم يزل * لمثلى على حفظ العهود ثبات
وهبنى سرت منى اليك اساءة * ألم تتقدم قبلها حسنات

وقوله وهو بحال مرض

ان ينتهذ السقم من جسمى مآخذه * وأصبح القوم من أمرى على خطر
فان قلبى بحمد الله مرتبط * بالصبر والشكر والتسليم للقدر

لبني مخزوم و وهب بن جرير ومؤمل بن اسمعيل و روح بن عبادة وفيها مات الهيثم بن عدي وكان يضمر علية نسبه وله يقول القائل

اذا نسبت عديا في بني ثعل * فقدم الدال قبل العين في النسب

وفي سنة تسع ومائتين مات الواقدي وهو محمد بن عمر بن واقد مولى لبني هاشم وهو صاحب السير والمغازي وقد ضعف في الحديث وذكر ابن أبي الازهر قال حدثني أبو سهل الداري عمن حدثه عن الواقدي قال كان لي صديقان أحدهما هاشمي وكنا كنفس واحدة فنالتني ضيقة شديدة وحضر العيد فقالت امرأتي أما نحن في أنفسنا فنصبر على البؤس والشدة وأما صبياننا هؤلاء فقد قطعوا قلبي رحمة لهم لانهم يرون صبيان الجيران قد تزينوا في عيدهم وأصلحوا ثيابهم وهم على هذه الحال من الثياب الرثة فلو احتلت بشيء تصرفه في كسوتهم قال فكتبت الى صديقي الهاشمي أساله التوسعة على ما حضر فوجه الى كيسا مختوما ذكر أنه فيه ألف درهم فما استقر قراري اذ كتب الى الصديق الآخر يشكو مثل ما شكوت الى صاحبي فوجهت اليه الكيس بحاله وخرجت الى المسجد فأقمت فيه ليلي مستحييا من امرأتي فلما دخلت عليها استحسنت ما كان مني ولم تعنفني عليه فبينا أنا كذلك اذ وافى صديقي الهاشمي ومعه الكيس كهيئته فقال لي اصدقني عما فعلته فيما وجهت اليك فعرفته الخبر على جهته فقال انك وجهت الي وما أملك على الارض الا ما بعثت به اليك وكتبت الى صديقنا أساله المواساة فوجه بكيسي بخاتمي قال فتواسينا الالف أثلاثا ثم انا أخرجنا الى المرأة قبل ذلك مائة درهم ونمى الخبر الى المامون فدعاني فشرحت له الخبر فأمر لنا بسبعة آلاف دينار لكل واحد ألفا دينار وللمرأة ألف دينار وقبض الواقدي وهو ابن سبع وسبعين سنة وفيها كانت وفاة يحيى بن الحسين بن زيد بن علي ابن الحسين بن علي ببغداد وصلى عليه المامون وقد أتينا على خبره فيما سلف من كتبنا وفيها مات أزهر السمان وكان صديقا لابي جعفر المنصور في أيام بني أمية وكانا قد سافرا جميعا وسمعا الحديث وكان المنصور يألفه ويأنس اليه ويكبر عنده فلما أفضت الخلافة اليه أشخص اليه من البصرة فسأله المنصور عن زوجته وبناته وكان يعرفهن بأسمائهن وأظهر بره واكرامه ووصله بأربعة آلاف درهم وأمره ان لا يقدم اليه مستميحا فلما كان بعد حول صار اليه فقال له ألم آمرك ان لا تصير الى مستميحا فقال له ما صرت اليك الا مسلما ومجددا بك عهدا قال ما أرى الامر كما ذكرت فأمر له بأربعة آلاف درهم وأمره أن لا يصير اليه مسلما ولا مستميحا فلما كان بعد سنة صار اليه فقال اني لم أقدم عليك للامرين اللذين نهيتني عنهما وانما بلغني أن علة عرضت لامير المؤمنين فأتيته عائدا فقال ما أظنك أتيت الا مستوصلا فأمر له بأربعة آلاف درهم فلما كان بعد الحول ألح عليه بناته وزوجته وقلن له أمير المؤمنين صديقك فارجع اليه فقال ويحكن ماذا أقول له وقد قلت له أتيتك مستميحا ومسلما وعائدا ماذا أقول في هذه المرة وبم أحتج فأبوا على الشيخ الا الالحاح فخرج فأتى المنصور فقال لم آتك مسترفدا ولا زائرا ولا عائدا وانما جئت لسماع حديث كنا سمعناه جميعا في بلد كذا من فلان عن

فالمرء في قبضة الاقدار مصرفه * للبرء والسقم أو للنفع والضرر

(وحكى) أن الفقيه الرحال أبا اسحق ابراهيم بن الحاج النميري بقي في خلوته جميع شهر رمضان المعظم من عام سبعة وخمسين وسبعمائة فلما خرج في يوم عيد الفطر أنشده صهره أبو عبد الله بن جزي المذكور لنفسه

ماسرار البدور الا ثلاث * فلماذا أرى سرارك شهرا

أتعجلته سرار العام * ثم تبقى في سائر العام بدرا

(وحكى) انه كتب للرئيس صاحب القلم الاعلى والعلامة بماس أبي القاسم بن رضوان يطلب منه شراب سكنجبين وقصد التصحيف بقوله احسن زان بتلك نجيب تسربه برمرضى * تصحيفه * أحب شراب سكنجبين شربه برمرضى قال فجاوبني ابن رضوان بقوله ان برك نفيس * تصحيفه * مقلوبا بشفيك ربنا ومن نظم ابن جزي المذكور قوله

رعى الله عهدا بالمرية ما أرى * به أبدا ما عشت في الناس بالناسي

وكيف ترى بالله صحبة معشر * مجاهد بعض منهم وابن عباس

وقوله في الزاوية التي أنشأها السلطان أبو عنان

هذا محل الفضل والايثار * والرفق بالسكان والزوار

دار على الاحسان شيدت والتقى * فجزاؤها الحسنى وعقبى الدار

هي ملجأ للواردين ومورد * لابن السبيل وكل ركب ساري

آثار مولانا الخليفة فارس * أكرم بها في المجد من آثار

لازال

النبي صلى الله عليه وسلم فيه اسم من اسماء الله تعالى من سأل الله به لم يرده ولم يخيب دعوته فقال له المنصور لا تروه فاني قد جربته فليس هو بمستجاب وذلك اني منذ حججتني أسأل الله به أن لا يردك الي وها أنت ترجع لا تنفك من قولك مسلما أو عائدا أو زائرا ووصله باربعة آلاف درهم وقال له قد أعيتني فيك الحيلة فصر الى متى شئت وفي سنة تسع ومائتين ركب المأمون الى المطبق بالليل حتى قتل ابن عائشة وهو رجل من ولد العباس بن عبد المطلب واسمه ابراهيم بن محمد بن عبد الوهاب ابن ابراهيم الامام أخي أبي العباس والمنصور وقتل معه محمد بن ابراهيم الافريقي وغيره وابن عائشة هذا أول عباسي صلب في الاسلام وتمثل المأمون حين قتله بقول الشاعر اذا النار في أحجارها مستكنة * متى ما يهجها قادح تتضرم وكان رجل من ولد العباس بن علي بن ابي طالب ذو مال وثروة وعز ومنعة وفهم وبلاغة وهو العباس بن العباس العلوي بمدينة السلام وكان المعتصم يشنؤه لحال كانت بينهما فكمن في نفس المأمون أنه شانئ لدولته ماقت لايامه فلما كان في تلك الليلة لحق العباس المأمون على الجسر فقال له المأمون مازلت تنتظرها حتى وقعت فقال أعيذك بالله يا أمير

المؤمنين ولكني ذكرت قول الله عز وجل ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه فحسن موقع ذلك منه ولم يزل يسايره حتى بلغ المطبق فلما قتل ابن عائشة قال يأذن أمير المؤمنين في الكلام قال تكلم قال الله الله في الدماء فان الملك اذا ضري بها لم يصبر عنها ولم يبق على احد قال لو سمعت هذا الكلام منك قبل أن أركب ما ركبت ولا سفكت دما وأمر له بثلثمائة ألف درهم وقد أتينا على خبر ابن عائشة هذا وما أراد من الايقاع بالمأمون وما كان من أمره في كتابنا في أخبار الزمان وفي سنة احدى عشرة ومائتين مات أبو عبيدة العمري معمر بن المثنى وكان يرى رأي الخوارج وبلغ نحوا من مائة سنة ولم يحضر جنازته أحد من الناس بالمصلى حتى اكتري لها من يحملها ولم يكن يسلم عليه شريف ولا وضيع الا تكلم فيه وله مصنفات حسان في أيام العرب وغيرها منها كتاب المثالب يذكر فيه العرب وفسادها ويرميهم بمساوىء الناس ذكره ولا يحسن وصفه وكان أبو نواس كثير العبث به وكان أبو عبيدة يقعد في مسجد البصرة الى سارية من سوار به فكتب أبو نواس عليها في غيبته صلى الاله على لوط وشيعته * أبا عبيدة قل بالله آمينا فلما جاء أبو عبيدة الى تلك السارية رأى ذلك فقال هذا فعل الماجن اللوّاط أبي نواس حكوه وان كان فيه صلاة على نبي وفي هذه السنة وهي سنة احدى عشرة ومائتين مات أبو العتاهية اسمعيل بن القاسم متنسكا لابسا للصوف وكان له مع الرشيد أخبار من ذلك ما قد مناذكره فيما سلف من هذا الكتاب ومنها ان الرشيد أمر ذات يوم بحمله وأمر ان لا يكلم في طريقه ولا يعلم ما يراد منه فلما صار في بعض الطريق كتب بعض من معه في الطريق انما يراد قتلك فقال أبو العتاهية ولعل ما تخشاه ليس بكائن * ولعل ما ترجوه سوف يكون

لازال منصور اللواء مظفرا * ماضي العزائم سامي المقدار
بنيت على يد عبده وخديمها * بهم العلي محمد بن حدار
في عام أربعة وخمسين انقضت * من بعد سبع مئين في الاعصار

ومن نظمه قوله موريا

وما انسى الاحبة يوم بانوا * تخوض مطيهم بحر الدموع
وقالوا اليوم منزلنا الحنايا * فقلت نعم ولكن من ضلوعي

وقوله موريا أيضا

ورب يهودي أتى متطببا * ليأخذ ثارات اليهود من الناس
اذا جس نبض المرء أودى بنفسه * سريعا ألم تسمع بفتكة جساس

وقوله

من أي أشجاني التي جنت النوى * أشكو العذاب وهن في تنويع
من وصلي الموقوف أو من هجري الـ * ـموصول أو من نومي المقطوع
أو من حديث تولهي وتواجعي * خبرا صحيحا ليس بالموضوع
يرويه خدي مسندا عن أدمعي * عن مقلتي عن قلبي المفجوع

وأول هذه القصيدة

ذهبت حشاشة قلبي المصدوع * بين السلام ووقفة التوديع

وقد ضمن شطرها الفقيه عبيد شارح الحلبة اذ قال من قصيدة مطلعها

أهمي دموعك ساعة التوديع * يا مقلتي عز وجد بنجيع

ولعل ماهونت ايس يهن * ولعل ماشددت سوف يهون وحج في بعض الحجج مع الرشيد فنزل الرشيد يوما عن راحلته
ومشى ساعة ثم أعيا فقال هل لك يا أبا العباس أن تستند الى هذا الميل فلما قعد الرشيد قال له يا أبا العتاهية حركنا فقال

ألا يا طالب الدنيا * دع الدنيا لشانيكا * وما تصنع بالدنيا * وظل الميل يكفيكا

ولابي العتاهية أخبار وأشعار كثيرة حسان قد قدمنا فيما سلف من كتبنا جلا مما اختير من شعره ومما انتخب من قوافيه
وكذلك قدمنا من ذلك لمعا فيما سلف من هذا الكتاب في أخبار بني العباس ومما استحسن من ذلك قوله

أحمد قال لي ولم يدر ما بي * أتحب الغداة عتبة حقا فتنفست ثم قلت نعم حبـ
ـا جرى في العروق عرقا فعرقا ليتني مت فاسترحت فاني * أبدا ما حييت منها ملقى
لا أراني أبقى ومن يلق ما لا * قيت من لوعة الهوى ليس يبقى فاحتسب صحبتي وقل رحمة الله
على صاحب لنا مات عشقا أنا عبد لها وان كنت لا أر * زق منها والحمد لله عتقا

ومما استحسن من شعره أيضا قوله ٢٩٢ يا عتب مالي ولك * يا ليتني لم أرك ملكتني فانتهكي * ما شئت ان تنتهكي
أبيت ليلي ساهرا
أرعى نجوم الفلك
مفترشا جمر الغضى
ملتحفا بالحسك
ومن قوافيه الغريبة
وأشعاره المستحسنة قوله
اخلاي بي شجو وليس بكم
شجو
وكل امرئ عن شجو صاحبه
خلو
رأيت الهوى جمر الغضى
غير أنه
على جمره في صدر صاحبه
حلو
أذاب الهوى جسمي
وعظمي وقوتي
فلم يبق الا الروح والبدن
النضو

وما من حبيب نال ممن يحبه * هوى صادقا الا لداخله زهو * واني لناتي الطرف من غير خلتي بالمشرع
ومالي سواها من حديث ولا لهو * لها دون اخواني واهل مودتي * من الود مني فضلة ولها العفو

وممّا انتخب من شعره واستحسنه الناس من قوله قوله يالهف نفسي على الذي اجتنبت * بأي جرم ترونها عتبت
تبارك الله بئس ما صنعت * بي في هواها وبئس ما ارتكبت أتيتها زائرا فانحرفت
على اذ جئتها وما احتسبت * كم من ديون والله يعلمها * لنا عليها لم تقض اذ وجبت
ماوهبت لي من فضلها عدة * الا استردت جميع ما وهبت فاي خير واي منفعة
لذات دل تريق ما حلبت الله بيني وبين ظالمتي * طلبت منها وصالها فابت
ماذا عليها لو انها بعثت * منها رسولا الي أو كتبت رغبت في وصلها وقد زهدت
عتبة في وصلنا وما رغبت وكان ابو العتاهيه قبيح الوجه مليح الحركات حلو الانشاد شديد الطرب ومن مليح شعره

بقوله يوم استقلت عيسهم وترحلوا * ذهبت حشاشة قلبي المصدوع
وقوله خدي وجسمي والفؤاد وأدمعي * شهود بهم دعوى الغرام تصحح
ومن عجب ان رجح الناس نقلهم * وكلهم ذو جرحة فيه تقدح
فجسمي ضعيف والفؤاد مخلط * ودمعي مطروح وخدي مجرح
وقوله يا محيا كتب الحسن به * أحرفا أبدع فيها وبرع
ميم ثغر ثم نون حاجب * ثم عين هي تتميم البدع
أنا لا أطمع في وصلك لي * وعلى وجهك مكتوب منع

ثم قال ابن الاحمر ومن انشائه البارع موريا بالكتب ورفعها لامير المؤمنين المتوكل على الله
أبي عنان فارس رحمه الله تعالى يهنيه بابلال ولده ولي عهده الامير أبي زيان محمد من مرض

ماذا عسى أدب الكتاب يوضح من * خصال مجدك وهو الزاهر الزاهي
وما الفصيح بكلمات موعبها * كاف فيأتي بأنباء وانباه

أبقى الله تعالى مولانا الخليفة ولسعادته القدح المعلى ولزاهر كماله التاج المحلى تجلى من
حلاه نزهة الناظر ويسير بعلاه المثل السائر ويتسق من سناه العقد المنظم ويتضح
بهداه القصد الامم ولا زالت مقدمات النصر له مبسوطه ومعونة السعد باشارته منوطه
وهدايته متكفلة باحياء علوم الدين وايضاح منهاج العابدين وارشاده يتولى تنبيه الغافلين
ويأتي من شفاء الصدور بالنور المبين وميقات الخدمة بما به مطمع الانفس وملخص الجود
من كنهه بغية المتلمس فقد حكم أدب الدين والدنيا بأنك سراج الملوك لما أتت عوارفك

قوله من لم يذق لصبابة طعما * فلقد أحطت بطعمها علما اني منحت مودتي سكنا * فرأيته قد عدها جرما
ياعتب ما ابقيت من جسدي * لحما ولا ابقيت لي عظما ياعتب ما انا من صنيعك بي * اعمى ولكن الهوى أعمى
ان الذي لم يدر ما كلفي * ليرى على وجهي به وسما وله أشعار خرج فيها عن العروض مثل قوله
هم القاضي بيت يطرب * قال القاضي لما عوتب * ما في الدنيا الا مذنب * هذا عذر القاضي واقلب

وزنه فعلن اربع مرات وقد قال قوم ان العرب لم تقل على وزن هذا شعرا ولا ذكره الخليل ولا غيره من العروضيين (قال المسعودي) وقد زاد جماعة من الشعراء على الخليل بن أحمد في العروض من ذلك المديد وهو ثلاثة اعاريض وستة ضروب عند الخليل وفيه عروض رابع وضربان محدثان فالضرب الاول من العروض الرابعة المحدثة قول الشاعر

من لعين لا تنام * دمعها سح سجام والضرب الثاني من العروض الرابعة المحدثة قول الشاعر

يا لبكر لا تنوا * ليس هذا حين وني وغير ذلك مما ذكرناه وتكلموا فيه وذكروا في هذا المعنى من الزيادات مما قد اتينا على وصفه وقدمنا من ذكره ٣٩٢ في كتابنا في أخبار الزمان وقد صنف أبو العباس عبد الله بن محمد الناشي الكاتب الانباري على الخليل بن احمد عن تقليد العرب الى باب التعسف والنظر ونصب العلل عن أوضاع الجدل كان ذلك له لازما وما أورده كاسرا وللناشي اشعار كثيرة حسان منها قصيدة واحدة نحو من أربعة آلاف بيت قافية واحدة نونية منصوبة يذكر فيها اهل الآراء والنحل والمذاهب والملل واشعار كثيرة ومصنفات واسعة في انواع من العلوم فما جورى فيه قوله حين سار من العراق الى مصر وبها كانت وفاته وذلك في سنة ثلاث وتسعين ومائتين على حسب ما قدمنا ذكره

يا ديار الاحباب هل من مجيب * عن كئيب شج غليل نائي المزار ما أجابت ولكن الصمت منها
فيه للسائلين طول اعتبار ان تكن اوحشت فبعد انيس * أوخلت منهم فبعد قرار
قد لهونا بها زمانا وحينا * ووصلنا الاسحار بالاسحار واغتبقنا على صبوح ولهو
وحنين الناايات والاوتار بين ورد ونرجس وخزامى * وبنفسج وسوسن وبهار

واقاح وكل صنف من النو * ر والشهي الجني والجلنار فرمتنا الايام أحسن ما كنا * على حين غفلة واغترار
فافترقنا من بعد طول اجتماع * ونأينا بعد اقتراب الديار وفي سنة اثنتي عشرة ومائتين نادى منادي المامون برئت الذمة من احد من الناس ذكر معاوية بخير أو قدمه على أحد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكلم في أشياء من التلاوة انها مخلوقة وغير ذلك وتنازع الناس في السبب الذي من أجله أمر بالنداء في أمر معاوية فقيل في ذلك أقاويل منها ان

بالمشرع السلسل ومعارفك بنظم السلوك ووضحت معالم مجدك وضوح انوار الفجر وزهت بعدلك المسالك والممالك زهو خريدة القصر فلك في جمهرة الشرف النسب الوسيط ومن جمل المآثر الخلاصة والبسيط وسبل الخيرات لها برعايتك تيسير ومحاسن الشريعة لها بتحصيلك تحبير وانت حجة العلماء الذي تقصر عن تعدي ما ثره فطن الاذكياء ان انبهم التفسير ففي يديك ملاك التاويل اواعتاص تفريع الفقه فعندك فصل البيان له والتحصيل وان تشعب التاريخ فلديك استيعابه اوتطاول الادب ففي ايجاز بيانك قتضابه وان ذكر الكلام ففي انتقائك من برهانه المحصول اوالمنطق ففي موجز ما لك بابه المنخول وليس اساس البلاغة الا ما تأتي به من فصل المقال ولا جامع الخير الا ما حزته من تهذيب الكمال ولذلك صارت خدمتك غاية المطلوب وحبك قوت القلوب ولا غرو أن كنت من العلياء درتها المكنونه فاسلافك الكرام هم جواهرها الثمينه بحماستهم اصيبت مقاتل الفرسان وبجود جودهم تسنى ري الظمآن وبتسهيل عدلهم وضحت شعب الايمان وأنت المنتقى من سمط جمانهم والواسطة في قلائد عقيانهم عنك تؤثر سيرة الاكتفاء وعن فروعك السعداء تروى أخبار نجباء الابناء فهم لمملكتك العلية بهجة مجالسها وأنس مجالسها وقطب سرورها ومطالع نورها وولي عهدك درتهم الخطيره وذخيرتهم الاثيره لازال كامل سعادته بطول مقامك محكما وحرز أمانيه بالجمع بين الصحيحين حبك ورضاك معلما وقد وجبت التهنئة بما كان في حلة برئه من التيسير وما تهيأ في استقامة قانون صحته من نجح التدبير ولم يكن الا أن بعدت به عنك المسالك وا ء وزنو رطرفه تقريب

بعض سماره حدث محدث عن مطرف بن المغيرة بن شعبة الثقفي وقد ذكر هذا الخبر ابن بكار في كتابه في الاخبار المعروفة بالموفقيات التي صنفها للموفق وهو ابن الزبير قال سمعت المدائني يقول قال مطرف بن المغيرة بن شعبة وفدت مع ابي المغيرة الى معاوية فكان أبي يأتيه يتحدث عنده ثم ينصرف الى فيذكر معاوية ويذكر عقله ويعجب مما يرى منه اذ جاء ذات ليلة فامسك عن العشاء فرأيته مغتما فانتظرته ساعة وظننت انه لشئ حدث فينا أو في عملنا فقلت له مالي أراك مغتما منذ الليلة قال يابني اني جئت من عند أخبث الناس قلت له وماذاك قال قلت له وقد خلوت به انك قد بلغت مناك ياأمير المؤمنين فلو أظهرت عدلا وبسطت خيرا فانك قد كبرت ولو نظرت الى اخوتك من بني هاشم فوصلت أرحامهم فوالله ماعندهم اليوم شئ تخافه فقال لي هيهات هيهات ملك أخو تيم فعدل وفعل مافعل فوالله ماعدا أن هلك فهلك ذكره الا ان يقول قائل أبو بكر ثم ملك أخو عدي فاجتهد وشمر عشر سنين فوالله ماعدا أن هلك فهلك ذكره الا ان يقول قائل عمر ثم ملك أخونا عثمان فملك رجل لم يكن احد في مثل نسبه فعمل ماعمل وعمل به فوالله ماعدا ان هلك فهلك ذكره وذكر مافعل وان اخا هاشم يصرخ به في كل يوم خمس مرات أشهد أن ٢٩٤ محمدا رسول الله فاي عمل يبقى مع هذا لا أم لك والله الا دفنا دفنا وان المامون لما سمع هذا الخبر بعثه ذلك على ان أمر بالنداء على حسب ما وصفنا وانشئت الكتب الى الآفاق بلعنه على المنابر فاعظم الناس ذلك واكبروه واضطربت العامة فاشير عليه بترك ذلك فاعرض عما كان هم به وفي خلافة المامون كانت وفاة أبي عاصم النبيل وهو الضحاك ابن مخلد بن سنان الشيباني وذلك في سنة اثنتي عشرة ومائتين وفيها مات محمد ابن يوسف الفاريابي وفي سنة خمس عشرة ومائتين وذلك في خلافة المامون مات هوذة بن خليفة بن عبد الله بن أبي بكر ويكنى بابي الاشهب ببغداد وهو ابن سبعين سنة ودفن بباب البردان في الجانب الشرقي وفيها مات محمد ابن عبد الله بن المثنى بن عبد الله بن أنس بن مالك الانصاري وفيها مات اسحق بن الطباع باذنة من الثغر الشامي ومعاوية ابن عمرو ويكنى بابي عمرو وقبض ابن عقبة ويكنى بابي عامر من بني عامر بن صعصعة وفي سنة سبع عشرة ومائتين دخل المامون مصر وقتل بها عبدوس وكان قد تغلب عليها وفي سنة ثمان عشرة ومائتين غزا المامون أرض الروم وقد كان شرع في بناء الطوانة مدينة من مدنهم على فم الدرب مما يلي طرسوس وعمد الى سائر حصون الروم ودعاهم الى الاسلام وخيرهم بين الاسلام والجزية والسيف وذل النصرانية فاجابه خلق من الروم الى الجزية (قال المسعودي) وأخبرنا القاضي أبو محمد عبد الله بن أحمد بن زبد الدمشقي بدمشق قال لما توجه المامون غازيا ونزل البذندون جاءه رسول ملك الروم فقال له ان الملك يخيرك بين ان يرد عليك نفقتك التي أنفقتها في طريقك من بلدك الى هذا الموضع وبين ان يخرج كل أسير من المسلمين في بلد الروم بغير فداء ولا درهم ولا دينار وبين ان يعمر لك كل بلد للمسلمين مما خربت النصرانية ويرده كما كان وترجع عن

المدارك وتذكر ماعهده من الايناس المواطا جنابه عند أفضل مالك فورى من شوقه سقط الزند والتهب في جوانحه قبس الوجد فامددته من دعائك الصالح بحلية الاولياء فظفر بمشارق الانوار من حضرتك بالشفاء وقد حاز اكمال الاجر بذلك العارض الوجيز وكان له كتشبيب الابريز وهاهو قادم بالطالع السعيد آيب بالمقصد الاسنى من الفتح والتمهيد يطلع بين يديك طلوع الشهاب ويبسم عن مفصل الثناء في الهناء بذلك زهر الآداب فأعد له تحفة القادم من احسانك الكامل واخصصه بالتكملة من ايناسك الشامل فهو الكوكب الدري المستمد من أنوارك السنيه وفي تهذيب شمائله ايضاح للغاق الكريمة الفارسيه لازالت تزدان بصحاح مآثرك عيون الاخبار وتتعطر بنفحة الزهر من شمائلك روضة الازهار وتتلى من محامدك الآيات البينات وتتوالى عليك الالطاف الالهيات عن الله سبحانه وفضله والسلام الكريم يعتمد المقام العلي ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى ﴿ وللمذكور عدة مقطعات يورى فيها باسماء الكتب فمنها قوله

ظبي هو الكامل في حسنه ﴿ وثغره أبهى من العقد
جماله المدهش لكنما ﴿ أخلاقه تحكي صبا نجد

وقوله أيضا

لك الله من خل حباني برقعة ﴿ حبتني من آياتها بالنوادر
رسالة رمز في الجمال نهاية ﴿ ذخيرة نظم أتحفت بالجواهر

وقوله سامحه الله تعالى

قصتي في الهوى المدونة الكبرى وأخبار عشقي المبسوطه

غزاتك فقام المامون ودخل خيمة فصلى ركعتين واستخار الله عز وجل وخرج فقال للرسول قل له أما قولك ترد على
نفقتي فاني سمعت الله تعالى يقول في كتابه حاكيا عن بلقيس واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جاء
سليمان قال أتمدونني بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون وأما قولك انك تخرج كل أسير من
المسلمين في بلد الروم فما في يدك الا احد رجلين اما رجل طلب الله عز وجل والدار الآخرة فقد صار الى ما اراد واما رجل
يطلب الدنيا فلا فك الله أسره وأما قولك انك تعمر كل بلد للمسلمين قد خربته الروم فلو اني قلعت أقصى حجر في بلاد الروم ما
اعتضت بامرأة عثرت عثرة في حال اسرها فقالت وامحمداه وامحمداه عدا الى صاحبك فليس بيني وبينه الا السيف يا غلام اضرب
الطبل فرحل فلم ينثن عن غزاته حتى فتح خمسة عشر حصنا وانصرف من غزاته فنزل على عين البديدون المعروفة بالقشيرة
على حسب ما قدمنا في هذا الكتاب فاقام هنالك حتى ترجع رسله من الحصون فوقف على العين ومنع الماء فاعجبه برد
مائها وصفاؤه وبياضه وطيب حسن الموضع وكثرة الخضرة فامر بقطع خشب طوال وأمر به فبسط على العين كالجسر
وجعل فوقه كالازج من الخشب وورق الشجر وجلس تحت الكنيسة التي

قد عقدت له والماء تحته
وطرح في الماء درهم صحيح
فقرأ كتابته وهو في
قرار الماء لصفاء الماء
ولم يقدر أحد يدخل يده
في الماء من شدة برده فبينا
هو كذلك اذ لاحت سمكة
نحو الذراع كانها سبيكة
فضة فجعل لمن يخرجها
سيفا فبدر بعض الفراشين
فاخذها وصعد فلما صارت
على حرف العين أو على
الخشب الذى عليه المامون
اضطربت وافلتت من يد
الفراش فوقعت في الماء
كالحجر فنضح من الماء على
صدر المامون ونحره
وترقوته فبلت ثوبه ثم
انحدر الفراش ثانية
فاخذها ووضعها بين يدي المامون في منديل تضطرب فقال المامون تقلى الساعة ثم أخذته رعدة من ساعته فلم يقدر يتحرك
من مكانه فغطي باللحف والدواويج وهو يرتعد كالسعفة ويصيح البرد البرد ثم حول الى المغرب ودثر وأوقد النيران حوله وهو
يصيح البرد البرد ثم أتى بالسمكة وقد فرغ من قليها فلم يقدر على الذوق منها وشغله ماهو فيه عن تناول شيء منها ولما اشتد
به الامر سأل المعتصم بختيشوع وابن ماسويه في ذلك الوقت عن المامون وهو في سكرات الموت وما الذي يدل عليه علم الطب
من أمره وهل يمكن برؤه وشفاؤه فتقدم ابن ماسويه فاخذ احدى يديه وبختيشوع الاخرى واخذ المجسة من كلتا يديه فوجدا
نبضه خارجا عن الاعتدال منذرا بالفناء والانحلال والتزقت أيديهما ببشرته لعرق كان يظهر منه من سائر جسده كالزيت
أو كلعاب بعض الافاعي فاخبرا المعتصم بذلك فسالهما عن ذلك فانكرا معرفته وانهما لم يجداه في شيء من الكتب وأنه دال على
انحلال الجسد وأفاق المامون من غشيته وفتح عينيه من رقدته فامر باحضار أناس من الروم فسالهم عن اسم الموضع والعين
فاحضر له عدة من الاسارى والادلة وقيل لهم فسروا هذا الاسم القشيرة فقيل له تفسيره مد رجليك فلما سمعها اضطرب من

حجتي في الغرام واضحة اذ * لم تزل مهجتي بوجد منوطه

وتذكرت بالتورية بأسماء الكتب قول الارجاني

لما تالق بارق من ثغره * جادت دموعي بالسحاب الممطر
فكأن عقد الدر حل قلائد الـ * ـعقيان منه على صحاح الجوهري

وقول لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى

وظبي لأوضاع الجمال مدرس * عليم باسرار المحاسن ماهر
أرى جيده نص المحلى وقررت * ثناياه ما ضمت صحاح الجواهر

وقول ابن خاتمة

ومعطر الانفاس يبسم دائما * عن در ثغر زانه ترتيب
من لم يشاهد منه عقد جواهر * لم يدر ما التنقيح والتهذيب

وقوله أيضا

سفهني عاذلي عليه * وقال لي وده عليل
فقلت معتل او صحيح * يودعه عينه الخليل

وقوله أيضا

حاز الجمال بصورة قمرية * تجلو عليك مشارق الانوار
وحوى الكمال بصورة عمرية * تتلو عليك مناقب الابرار

وقول الرئيس أبي محمد عبد المهيمن الحضرمي

هذا القال وتطير به وقال سلوهم ما اسم الموضع بالعربية فقالوا الرقة وكان فيما عمل من مولد المامون انه يموت بالموضع
المعروف بالرقة وكان المامون كثيرا ما يحيد عن المقام بمدينة الرقة فرقا من الموت فلما سمع هذا من الروم علم انه الموضع
الذي وعد فيه فيما تقدم من مولده وان فيه وفاته وقيل ان اسم البديدون تفسيره مد رجليك والله أعلم بكيفية ذلك فاحضر
المعتصم الاطباء حوله يؤمل خلاصه مما هو فيه فلما ثقل قال أخرجوني أشرف على عسكري وانظر الى رجالي وأتبين ملكي
وذلك في الليل فاخرج فاشرف على الخيم والجيش وانتشاره وكثرته وما قد وقد من النيران فقال يا من لا يزول ملكه ارحم من
قد زال ملكه ثم رد الى مرقده وأجلس المعتصم رجلا يشهده لما ثقل فرفع الرجل صوته ليقولها فقال له ابن ماسويه لا تصح
فوالله ما يفرق بين ربه وبين ماني في هذا الوقت ففتح عينيه من ساعته وبهما من العظم والكبر والاحمرار مالم ير مثله
قط وأقبل يحاول البطش بيده بابن ماسويه ورام مخاطبته فعجز عن ذلك فرمى بطرفه نحو السماء وقد امتلأت عيناه
دموعا فانطلق لسانه من ساعته وقال يا من لا يموت ارحم من يموت وقضى من ساعته وذلك في يوم الخميس لثلاث عشرة
ليلة بقيت من رجب سنة ٢٩٦ ثماني عشرة ومائتين وحمل الى طرسوس فدفن بها على حسب ما قدمنا في أول هذا
الكتاب (قال المسعودي) وللمامون اخبار حسان ومعان وسير ومجالسات وأشعار وأخلاق جميلة قد أتينا على مبسوطها فيما سلف من كتبنا فاغنى ذلك عن ذكرها وفي المامون يقول أبو سعيد المخزومي

هل رأيت النجوم اغنت عن الما * مون شيأ وملكه المأنوس
خلفوه بعرصتي طرسوس * مثل ما خلفوا أباه بطوس

وكان المامون كثيرا ما ينشد هذه الابيات

ومن لا يزل غرضا للمنو * ن يتركنه ذات يوم عميدا
فان هن اخطأنه مرة * فيوشك مخطئها ان يعودا
فبينا تحيد وتخطئنه * قصدن فاعجلنه أن يحيدا

وما

(ذكر خلافة المعتصم)

وبويع المعتصم في اليوم الذي كانت فيه وفاة المامون على عين البديدون وهو يوم الخميس
لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين واسمه محمد بن هرون ويكنى بأبي اسحق وكان بينه وبين العباس
ابن المامون في ذلك الوقت تنازع في المجلس ثم انقاد العباس الى بيعته والمعتصم يومئذ ابن ثمان وثلاثين سنة وشهرين وأمه
م اساحية اسمها مارية بنت شبيب وقيل انه بويع سنة تسع عشرة وتوفي بسر من رأى سنة سبع وعشرين وهو ابن ست وأربعين
سنة وعشرة اشهر فكانت خلافته ثمان سنين وثمانية اشهر وقبره بالجوسق على ما ذكرنا * (ذكر جمل من أخباره وسيره
ولمع مما كان في أيامه) * واستوزر المعتصم محمد بن عبد الملك الى آخر أيامه وغلب عليه ابن ابي دواد ولم يزل محمد بن عبد الملك
في أيام المعتصم والواثق الى ان ولي المتوكل وكان في نفسه عليه شئ فقتله وسنذكر لمعا من مقتله فيما يرد من هذا الكتاب
في أخبار المتوكل وان كنا قد أتينا على ذلك ملخصا في الكتاب الاوسط وكان المعتصم يحب العمارة ويقول ان فيها أمورا

من اغتدى موطئا أكنافه * صح له التمهيد في أحواله
وقابل استذكاره بالمنتقى * من رأيه المختار من أعماله
وأضحت المسالك الحسنى له * تدني تقصيا قصى آماله
وسار من مشارق الانوار في * ادنى المدارك أوالي اكماله

ولما وقف على هذه القطعة الفاضل أبو علي حسين بن صالح بن أبي دلامة عارضها وزاد ذكر القبس والمعلم

قل للموطا للورى أكنافه * بشراه بالتمهيد في الاحوال
واذا اكتفى بالمنتقى استذكاره * وفى له المختار في الاعمال
ومسالك الحسنى تؤديه الى * أقصى التقصي من قصى الآمال
ويلوح من قبس الهداية رشده * من معلم التفصيل والاجمال

(رجع الى ابن جزي) ومن نظمه

يا دوحة الانس من بطحاء واسجة * هل من سبيل الى أيامك الاول
اذ تجتلي أوجه الايناس مسفرة * ونجتني ثمر اللذات والغزل

ومن نظمه رحمه الله تعالى عند خروجه الى بلاد المغرب وورى بكتابي تحفة القادم وزاد المسافر فقال

واني لمن قوم يهون عليهم * ورود المنايا في سبيل المكارم
يطيرون مهما ازور للدهر جانب * باجنحة من ماضيات العزائم

محمودة فاولها عمران الارض التي يحيا بها العالم وعليها يزكو الخراج وتكثر الاموال وتعيش البهائم وترخص الاسعار ويكثر الكسب ويتسع المعاش وكان يقول لوزيره محمد بن عبد الملك اذا وجدت موضعا متى انفقت فيه عشرة دراهم جاءني بعد سنة أحد عشر درهما فلا تؤامرني فيه وكان المعتصم ذا بأس وشدة في قلبه فذكر أحمد بن أبي داود وكان به انسا قال فلما أنكر المعتصم نفسه وقوته دخلت عليه يوما وعنده ابن ماسويه فقام المعتصم فقال لي لا تبرح حتى اخرج اليك فقلت ليحيى بن ماسويه ويحك انى أرى أمير المؤمنين قد حال لونه ونقصت قوته وذهبت سورته فكيف تراه أنت قال هو والله زبرة من زبر الحديد الا ان في يديه فأسا يضرب بها تلك الزبرة فقلت وكيف ذلك قال كان قبل ذلك اذا أكل السمك اتخذ له صباغا من الخل والكراويا والكمون والسذاب والكرفس والخردل فاكله بذلك الصباغ فدفع اذى السمك واضراره بالعصب واذا أكل الرؤس اتخذت له أصباغ تدفع اذاها وتلطفها وكان في أكثر أموره يلطف غذاءه ويكثر مشورتي فصار اليوم اذا أنكرت عليه شيئا خالفني وقال آكل هذا على رغم أنف ابن ماسويه قال وهو خلف الستر يسمع ما نحن فيه فقلت ويحك يا يحيى أدخل أصبعك في عينيه قال جعلت فداك ما أقدر أراده ولا أجترئ عليه في خلاف فلما افرغ من كلامه خرج علينا المعتصم فقال لي ما الذي كنت فيه مع ابن ماسويه قلت ناظرته يا أمير المؤمنين في لونك الذي أراه حائلا وفي قلة طعمك الذي قد هد جوارحي وأنحل جسمي قال فما قال لك قلت شكا انك كنت تقبل ما يشير به عليك وكنت ترى في ذلك على ما تحب وانك الآن تخالفه قال فما قلت له أنت قال فعلت أصرف الكلام قال فضحك وقال هذا بعد ما دخل في عيني أو قبل ذلك قال فارفضضت عرقا وعلمت انه قد سمع ما كنا فيه ورأى ما قد داخلني فقال يغفر الله لك يا أحمد لقد فرحت بما ظننت انه أحزنك اذا سمعته وعلمت أنه نوع من أنواع الانبساط والبسط وكان المعتصم يأنس بعلي بن الجنيد الاسكافي وكان عجيب الصورة عجيب الحديث فيه سلامة أهل السواد فقال المعتصم يوما لمحمد بن حماد اذهب بالغداة الى علي بن الجنيد فقل له يتهيأ حتى يزاملني فاتاه فقال ان أمير المؤمنين يامرك أن تزامله فتهيأ بالشروط مزاملة الخلفاء فقال علي بن الجنيد وكيف أتهيأ اهيئ لي رأسا غير رأسي اشترى لحية غير لحيتي أأزيد في قامتي أنا متهيئ وفضله قال لست تدري بعد ما شروط مزاملة الخلفاء ومعادلتهم فقال علي بن الجنيد وما هي هات يا من تدري قال له ابن حماد وكان أديبا ظريفا وكان يرسم الحجاب شرط المعادلة الامتاع بالحديث والمذاكرة والمناولة وأن لا يبزق ولا يسعل ولا يتنحنح ولا يمخط وأن يتقدم الرئيس في الركوب اشفاقا عليه من الميل وان يتقدمه في النزول فتى لم يفعل المعادل هذا كان سواء والمثقلة الرصاص التي تعدل بها القبة واحدا وليس له أن ينام وان نام الرئيس بل يأخذ نفسه بالتيقظ ومراعاة حال من هو معه وما هو راكبه لانهما اذا ناما جميعا مال جانب لا يشعر به كان في ذلك ما لا خفاء به وعلى

وما كل نفس تحمل الذل انني * رأيت احتمال الذل شان البهائم
اذا أنالم أظفر بزاد مسافر * لديكم فعند الناس تحفة قادم

وزاد المسافر لصفوان والتحفة لابن الابار ومن نظمه قوله

نصب الحبائل للورى بالحسن اذ * رفع اللثام وذيله مجرور
وأماله عني العواذل غيلة * فهو الممال وقلبي المكسور

وقوله أيضا

تلك الذوائب ذبت من شوقي لها * واللحظ يحميها بأي سلاح
يا قلب فاح وما اخالك ناجيا * من فتنة الجعدي والسفاح

وقوله أيضا

وعاشق صلى ومحرابه * وجه غزال ظل يهواه
قالوا تعبدت فقلت لهم * نعبد ابغهم معناه

وقوله رحمه الله تعالى

لا تعدمنيك ان ذهبت لصاحب * تعتده لكن تخير واتق
أو ما ترى الاشجار مهما ركبت * ان خولفت اصنافها لم تعلق

وقوله رحمه الله تعالى

أيتها النفس قفي عندما * ألزمت فعلا كان أو قولا
فمن يكن يرضى بما ساءه * أو سره فهو له الاولى

ابن الجنيد ينظر اليه فلما أكثر عليه في هذا الوصف والشروط قطع عليه كلامه وقال كما يقول أهل السواد آحرها اذهب له فقل
له ما يزاملك الامن أمه زانية وهو كشخان فرجع ابن حماد فقال للمعتصم ما قال فضحك المعتصم وقال جئني به فجاءه فقال يا علي
أبعث اليك تزاملني فلا تفعل فقال ان رسولك هذا الجاهل الازعر جاءني بشروط حسان الشاشي وخالويه المحاكي فقال
لا تبزق ولا تفعل كذا وافعل كذا وجعل يعطط في كلامه ويترفع من صاداته ويشير بيده ولا يسعل ولا يعطس وهذا لا يقوم
لي ولا أقدر عليه فان رضيت ان أزاملك فان جاءني الفساء فسوت عليك وضرطت واذا جاءك أنت فادفس واضرط والا
فليس بيني وبينك عمل فضحك المعتصم حتى فحص برجليه وذهب به الضحك كل مذهب وقال نعم زاملني على هذه الشريطة قال
نعم وكرامة فزامله في قبة على بغل فساراساعة وتوسطا البر فقال علي يا أمير المؤمنين حضر ذلك المتاع فما ترى قال ذلك اليك
اذا اشئت قال تحضر ابن حماد فامر المعتصم باحضاره فقال له علي تعال حتى اسارك فلما دنا منه فسا وناوله كمه وقال احد يبيب
شيء في كمي فانظر ما هو فادخل رأسه فشم رائحة الكنيف فقال ما ارى شيئا ولكني لم اعلم ان في جوف ثيابك كنيفا والمعتصم
قد غطى فمه بكمه وقد ذهب به الضحك كل مذهب ثم جعل يفسو فساء متصلا ثم قال لابن حماد قلت لي لا تسعل
ولا تبزق ولا تعطط فلم افعل
ولكني اخرأ عليك قال
فاتصل فساؤه والمعتصم
يخرج رأسه من العمارية
ثم قال للمعتصم قد نضجت
القدر واريد اخرى فقال
المعتصم ورفع صوته حين
كثر ذلك عليه ويلك يا غلام
الارض الساعة اموت
ودخل علي بن الجنيد
الاسكافي يوما على المعتصم
فقال له بعد أن ضاحكه
وزهاله يا علي مالي لا اراك
ويلك انسيت الصحبة وما
حفظت المودة فقال له حينئذ
بالغ الكلام الذي أريد
أن اقوله قلته أنت ما أنت
الا ابليس فضحك ثم قال
لا تخشى قال اه كم أجيء فلا اصل انت اليوم نبيل فكانك من بني مارية وبنو مارية أناس من أهل السواد يضرب
بهم اهل السواد الامثال لكبرهم في نفوسهم فقال له المعتصم هذا سندان التركي واشار الى غلام على رأسه بيده مذبة وقال له
يا سندان اذا حضر علي فاعلمني وان اعطاك رقعة فاوصلها الي وان حملك رسالة فاخبرني بها قال نعم يا سيدي وانصرف فاقام اياما
ثم جاء يطلب سندان فقالوا هو نائم فانصرف ثم عاد فقالوا هو داخل ولا تصل اليه فانصرف وعاد فقالوا هو عند أمير المؤمنين فاحتال
حتى دخل عند المعتصم من جهة اخرى فضاحكه ساعة وعاتبه وقال له يا علي الك حاجة قال نعم يا أمير المؤمنين ان رأيت سندان
التركي فاقرأه مني السلام فضحك وقال ما حاله قال حاله انك جعلت بيني وبينك انسانا رأيتك قبل ان اراه وقد اشتقت اليه
فاسالك ان تبلغه مني السلام فغلب المعتصم الضحك وجمع بينه وبين سندان واكد عليه في مراعاة امره فكان لا يمنع منه وعبر
المعتصم من سر من راى من الجانب الغربي وذلك في يوم مطير وقد تبع ذلك ليلة مطيرة وانفرد من اصحابه واذا حمار قد زلق
ورمى بما عليه من الشوك وهو الشوك الذي توقد به التنانير بالعراق وصاحبه شيخ ضعيف واقف ينتظر انسانا يمر فيعينه على حمله

لايترك العبد وما شاءه * الا اذا اهمله المولى

وقوله أيضا سامحه الله تعالى

لولاك لاك قد شغفت بحبها * ما عفت في حوض المنية موردي
وهي الرواية للحديث وكتبه * والفقه فيه وذاك حسب المهتدي

وأما اخوهما القاضي أبو محمد عبد الله بن أبي القاسم بن جزي فهو الامام العالم العلامة المعمر رئيس العلوم اللسانية قال في الاحاطة هذا الفاضل قريع بيت نبيه وسلف شهير وأبوة خير وأخوة بليغة وخؤلة أديب حافظ قائم على فن العربيه مشاورك في فنون لسانيه ظرف في الادراك جيد النظم مطواع القريحة باطنه نبل وظاهره غفلة قعد للاقراء ببلده غرناطة معيدا ومستقلا ثم تقدم للقضاء بجهات نبيهة على زمن الحداثة أخذ عن والده الاستاذ الشهير الشهيد أبي القاسم أشياء كثيرة وعن القاضي أبي البركات بن الحاج وقاضي الجماعة الشريف السبتي والاستاذ البياني والاستاذ الاعرف أبي سعيد بن لب والشيخ المقري أبي عبد الله بن بيبش وأجازه رئيس الكتاب أبو الحسن بن الجياب وقاضي الجماعة أبو عبد الله أبو بكر وأبو محمد بن سلمون والقاضي ابن شبرين والشيخ أبو حيان وقاضي الجماعة أبو عبد الله المقري وأبو محمد الحضرمي وجماعة آخرون وشعره نبيل الاغراض حسن المقاصد انتهى المقصود منه وممن أخذ عنه العباس البقني شارح البردة والقاضي أبو بكر ابن عاصم وبالاجازة الامام ابن مرزوق الحفيد وغيرهم وقد عرف ابن فرحون في الديباج المذهب بابيه الشهيد أبي القاسم وأخيه القاضي أبي بكر دونه وعرف ابن الخطيب في

الاحاطة

الاحاطة بابيه وأخويه أبى بكر وأبى عبد الله وفيما ذكرنا من أمرهم كفاية ومما نسبه الوادى آشى لأبى محمد عبد الله بن جزى قوله

يامن أتانى بعده بعدما * عاملته بالبر واللطف
انى تاملت وقد سرنى * بجملة من سورة الكهف

وله أيضا

لقد قطعت قلبى ياخليلى * بهجر طال منك على العليل
ولكن ما عجيب منك هذا * اذا التقطيع من شان الخليل

(رجع) الى مشايخ لسان الدين رحمه الله تعالى (ومنهم القاضى الاديب جملة الظرف أبو بكر ابن شبرين) وقد استوفى ترجمته فى الاحاطة وذكره أيضا فى ترجمة ذى الوزارتين ابن الحكيم بأن قال بعد حكايته قتل ابن الحكيم ما صورته وممن رثاه شيخنا أبو بكر بن شبرين رحمه الله تعالى بقوله

سقى الله اشلاء كرمن على البلا * وما غض من مقدارها حادث البلا
ومما شجانى أن أهين مكانها * وأهمل قدرما عهدناه مهملا
الا اصنع بها يادهر ما أنت صانع * فما كنت الا عبدها المتذللا
سفكت دما كان الرقى نواله * لقد جئتما شنعاء فاضحة الملا
بكفى سبت أزرق العين مطرق * عدا فغدا فى غيه متوغلا
لنعم قتيل القوم فى يوم عيده * قتيل تبكيه المكارم والعلا
الا ان يوم ابن الحكيم لمثكل * فؤادى فما ينفك ماعشت مثكلا

فوقف عليه وقال مالك ياشيخ قال فديتك حمارى وقع عنه هذا الحمل وقد بقيت انظر انسانا يعيننى على حمله فذهب المعتصم ليخرج الحمار من الطين فقال جعلت فداك تفسد ثيابك هذه وطيبك الذى اشمه من اجل حمارى هذا قال لا عليك فنزل واحتمل الحمار بيد واحدة واخرجه من الطين فبهت الشيخ وجعل ينظر اليه ويتعجب ويترك الشغل بحماره ثم شد عنان فرسه فى وسطه واهوى الى الشوك وهو حزمتان فحملهما فوضعهما على الحمار ثم دنا من غدير فغسل يديه واستوى على فرسه فقال الشيخ السوادى رضى الله عنك وقال بالنبطية اسعل قرمى باجوافنا وتفسير ذلك فديتك ياشاب واقبلت الخيول فقال لبعض خاصته أعط هذا الشيخ اربعة آلاف درهم وكن معه حتى تجاوزه أصحاب المسالح وتبلغ به قريته وفى سنة تسع عشرة ومائتين كانت وفاة أبى نعيم الفضل بن دكين مولى طلحة بن عبد الله بالكوفة وبشر بن غياث المريسى وعبد الله بن رجاء العراقى وفيها ضرب المعتصم أحمد بن حنبل ثمانية وثلاثين سوطا ليقول بخلق القرآن وفى هذه السنة وهى سنة تسع عشرة ومائتين قبض محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب وذلك لخمس خلون من ذى الحجة ودفن ببغداد فى الجانب الغربى بمقابر قريش مع جده موسى بن جعفر وصلى عليه الواثق وقبض وهو ابن خمس وعشرين سنة وقبض أبوه على بن موسى الرضا ومحمد ابن سبع سنين وثمانية أشهر وقيل غير ذلك وقيل ان أم الفضل بنت المأمون لما قدمت معه من المدينة الى المعتصم سمته وانما ذكرنا من أمره ما وصفنا لان أهل الامامة اختلفوا فى مقدار سنه عند وفاة ابيه وقد اتينا على ما قيل فى ذلك فى رسالة البيان فى اسماء الائمة وما قالت فى ذلك الشيعة من القطعية وفى هذه السنة وهى سنة تسع عشرة ومائتين انكاف المعتصم محمد بن القاسم ابن على بن عمر بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب رحمهم الله وكان بالكوفة من العبادة والزهد والورع ونهاية الوصف فلما خاف على نفسه هرب فصار الى خراسان فتنقل من مواضع كثيرة من كورها كمرو وسرخس والطالقان ونسا فكانت له هنالك حروب وكوائن وانقاد اليه والى امامته خلق كثير من الناس ثم حمله عبد الله بن طاهر الى المعتصم فحبسه فى ازج اتخذه فى بستان بسر من رأى وقد تنوزع فى محمد بن القاسم فمن قائل يقول انه قتل بالسم ومنهم من يقول ان ناسا من شيعته من الطالقان أتوا ذلك البستان فتأتوا للخدمة فيه من غرس وزراعة واتخذوا سلالم من الحبال واللبود والطالقانية ونقبوا الازج وأخرجوه فذهبوا به فلم يعرف له خبر الى هذه الغاية وقد انقاد الى امامته خلق كثير من الزيدية الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ومنهم خلق كثير يزعمون أن محمدا لم يمت وانه حى يرزق وانه يخرج فيملؤها عدلا كما ملئت جورا وانه مهدى هذه الامة وأكثر هؤلاء بناحية الكوفة وجبال طبرستان والديلم وكثير من كور خراسان وقول هؤلاء فى محمد بن القاسم نحو قول رافضة الكيسانية فى محمد بن الحنفية ونحو من قول الواقفية فى موسى بن جعفر وهم الممطورة وبهذا تعرف هذه

الطائفة من بين فرق الشيعة وقد أتينا على وصف قولهم فى المقالات فى أصول الديانات و وصف قول غلاتهم من العلوية وغيرهم من المحمدية وسائر فرق أهل الباطل ممن قال بتنقل الارواح فى أنواع الاشخاص من بهم الحيوان وغيره فى كتابنا المترجم بكتاب سر الحياة وكان المعتصم يحب جمع الاتراك وشراءهم من أيدى مواليهم فاجتمع له منهم أربعة آلاف فألبسهم أنواع الديباج والمناطق المذهبة والحلية المذهبة وأبانهم بالزى عن سائر جنوده وقد كان اصطنع قوما من حوف مصر ومن حوف اليمن وحوف قيس فسماهم المغاربة واستفذ رجال خراسان من الفراغنة وغيرهم من الاشروسنية فكثر جيشه وكانت الاتراك تؤذى العوام بمدينة السلام بجريها الخيول فى الاسواق وما ينال الضعفاء والصبيان من ذلك فكان أهل بغداد ربما ثاروا ببعضهم فقتلوه عند صدمة لامرأة أو شيخ كبير أو صبى أو ضرير فعزم المعتصم على النقلة منهم وأن ينزل فى فضاء من الارض فنزل البراذان على أربعة فراسخ من بغداد فلم يستطب هواءها ولا اتسع له هواؤها فلم يزل يتنقل ويتقرى المواضع والاماكن الى دجلة وغيرها حتى انتهى الى الموضع المعروف بالقاطول فاستطاب الموضع وكان هنالك قرية يسكنها خلق من الجرامقة وناس من النبط على النهر المعروف بالقاطول آخذا من دجلة فبنى هنالك قصرا وبنى الناس وانتقلوا عن مدينة السلام وخلت من السكان الا اليسير وكان فيما قاله بعض العيارين فى ذلك معيرا المعتصم بانتقاله عنهم

أيا ساكن القاطول بين الجرامقه
تركت ببغداد الكباش البطارقه

ونالت من المعتصم شدة عظيمة لبرد الموضع وصلابة أرضه وتاذوا بالبالى فى ذلك يقول بعض من كان فى الجيش

قالوا لنا ان بالقاطول مشتانا
فنحن نامل صنع الله مولانا
الناس ياتمرون الرأى بينهم
والله فى كل يوم محدث شانا

ولما تاذى المعتصم بالموضع وتعذر البناء فيه خرج يتقرى المواضع فانتهى الى موضع سامرا وكان هنالك للنصارى دير عادى فسال بعض أهل الدير عن اسم الموضع فقال يعرف بسامرا قال له المعتصم وما معنى سامرا قال نجدها فى الكتب السالفة والامم الماضية انها مدينة سام بن نوح قال له المعتصم ومن أى بلاد هى والام تضاف قال من بلاد طيرهان واليها تضاف فنظر المعتصم الى فضاء واسع تسافر فيه الابصار وهواء طيب وأرض صحيحة فاستمرأها واستطاب هواءها وأقام هنالك ثلاثا يتصيد فى كل يوم فوجد نفسه تتوق الى الغذاء وتطلب الزيادة على العادة الجارية فعلم أن ذلك لتاثير الهواء والتربة فلما استطاب الموضع دعا باهل الدير فاشترى منهم أرضهم باربعة آلاف دينار وارتاد لبناء قصره موضعا فيها فاسس بنيانه وهو الموضع المعروف بالوزيرية بسر من رأى واليها يضاف التين الوزيرى وهو أعذب الاتيان وأرقها قشرا وأصغرها حبا لا يبلغه تين الشام ولا تين أهان وحلوان فارتفع البنيان وأحضر له الفعلة والصناع وأهل المهن من سائر الامصار ونقل اليها من سائر البقاع أنواع الغروس والاشجار وجعل للاتراك قطائع متحيزة وجاورهم بالفراغنة والاشروسنية وغيرهم من مدن خراسان

فقدناه فى يوم اغبر محيل * وفى الحشر نلقاه اغر محجلا
سمت نحوه الايام وهو عميدها * فلم تشكر النعمى ولم تحفظ الولا
تعاورت الاسياف منه ممدحا * كريما سما فوق السماكين مرجلا
وخانته رجل فى الطواف به سعت * فناء بصدر للعلوم تحملا
وجدل لم يحضره فى الحى ناصر * فمن مبلغ الاحياء ان مهلهلا
يد الله فى ذاك الاديم ممزقا * تبارك ماهبت جنوبا وشمألا
ومن حزنى أن لست أعرف لحده * له فارى للترب منه مقبلا
رويدك يا من قد غدا شامتا به * فبالامس ما كان العماد المؤملا
وكنا نغادى أو نراوح بابه * وقد حل فى اوج العلا متوقلا
ذكرناه يوما فاستهلت جفوننا * بدمع اذا ما أمحل العام اخضلا
ومازج منه الحزن طول اعتبارنا * ولم ندر ما ذا منهما كان اطولا
وهاج لنا شجوا تذكر مجلس * له كان يهدى الحى والملأ الأولى
به كانت الدنيا تؤخر مدبرا * من الناس حتما أو تقدم مقبلا
لتبك عيون الباكيات على فتى * كريم اذا ما اسبغ العرف اجزلا
على خادم الآثار تتلى صحاحها * على حامل القرآن يتلى مفصلا
على عضد الملك الذى قد تضوعت * مكارمه فى الارض مسكا ومندلا
على قاسم الاموال فينا على الذى * وضعنا لديه كل اصر على تلا

على قدر قربهم منهم في بلادهم وأقطع اشناس التركي وأصحابه من الاتراك الموضع المعروف بكرخ سامرا ومن الفراغنة من أنزلهم الموضع المعروف بالعمري والجسر واختطت الخطط واقتطعت القطائع والشوارع والدروب وأفرد أهل كل صنعة بسوق وكذلك التجار فبنى الناس وارتفع البنيان وشيدت الدور والقصور وكثرت العمارة واستنبطت المياه وجرت من دجلة وغيرها وتسامع الناس أن دار ملك قد اتخذت فقصدوها وجهزوا اليها من أنواع الامتعة وسائر ما ينتفع به الناس وغيرهم من الحيوان وكثر العيش واتسع الرزق وشملهم الاحسان وعمهم العدل وكان بدء ما وصفنا فيما فعله المعتصم سنة احدى وعشرين ومائتين واشتد أمر بابك وسار عساكره نحو تلك الامصار ففدق العساكر وكثر الجيوش فسير اليه المعتصم بالجيوش وعليها الافشين وكثرت حروبه واتصلت وضاق بابك في بلاده حتى انفض جمعه وقتل رجاله وامتنع بالجبل المعروف بالبذ من أرض الران وهي بلاد بابك به يعرف الى هذا الوقت فلما استشعر بابك ما نزل به وأشرف عليه هرب عن موضعه وزال عن مكانه فتنكر هو وأخوه وولده وأهله ومن تبعه من خواصه وقد تزيا بزي السفر وأهل التجارة والقوافل فنزل موضعا من بلاد أرمينية على بعض المياه وبالقرب منهم راعي غنم فابتاعوا منه شاة وساموا شراء شئ من الزاد فمضى من فوره الى سهل بن سنباط فأخبره الخبر وقال هو بابك لا شك فيه وقد كان الافشين لما هرب بابك من موضعه وزال عن جبله خشي أن يعتصم ببعض الجبال المنيعة أو يتحصن ببعض القلاع أو ينضاف الى بعض الامم القاطنة ببعض تلك الديار فيكثر جمعه وينضاف اليه فلال عسكره فيرجع الى ما كان من أمره فأخذ الطرق وكاتب البطارقة في الحصون والمواضع من بلاد أرمينية وأذربيجان والران والبيلقان وضمن في ذلك الرغائب فلما سمع سهل بن سنباط من الراعي ما أخبره به سار من فوره فيمن حضر من عدده وأصحابه حتى أتى الموضع الذي به بابك فترجل له ودنا منه وسلم عليه بالملك وقال له أيها الملك قم الى قصرك الذي فيه وليك وموضع يمنعك فيه الله من عدولك فسار معه الى أن أتى قلعته وأجلسه على سريره ورفع منزلته ووطأ له منزله ومن معه وقدمت المائدة وقعد يأكل معه فقال له بابك بجهله وقلة معرفته بما هو فيه وما دفع اليه أمثلك يأكل معي فقام سهل عن المائدة وقال أخطأت أيها الملك وأنت أحق من احتمل عبده اذ كانت منزلتي ليست بمنزلة من يأكل مع الملوك وجاءه بحداد وقال له مد رجليك أيها الملك وأوثقه بالحديد فقال له بابك أغدرا يا سهل قال يا ابن الخبيثة انما أنت راعي غنم وبقر ما أنت والتدبير للملك ونظم السياسات وقيد من كان معه وأرسل الى الافشين يخبره الخبر وأن الرجل عنده فسرح اليه الافشين أربعة آلاف فارس عليهم الحديد وعليهم خليفة يقال له بومادة فتسلمه ومن معه وأتى به الى الافشين ومعه ابن سنباط فرفع الافشين منزلة سهل وخلع عليه وحمله وتوجه وقاد بين يديه وأسقط عنه الخراج فأطلقه وأطلقت الطيور الى المعتصم وكتب اليه بالفتح فلما وصل اليه ذلك ضج الناس بالتكبير وعمهم الفرح وأظهروا السرور

وأنى لنا من بعده متعلل ٭ وما كان في حاجاتنا متعللا
ألا يا قصير العمر يا كامل العلا ٭ عينا لقد غادرت حزنا مؤثلا
يسوء المصلى أن هلكت ولم تقم ٭ عليك صلاة فيه يشهدها الملا
وذلك لان الامر فيه شهادة ٭ وسنتها محفوظة لن تبدلا
فيا أيها الميت الكريم الذي قضى ٭ سعيدا حميدا فاضلا ومفضلا
لتهنك من رب السماء شهادة ٭ تلاقي ببشرى وجهك المتهللا
رثيتك عن حب ثوى في جوانحي ٭ فاودع القلب العميد وما قلا
ويارب من أوليته منك نعمة ٭ وكنت له ذخرا عتيدا وموئلا
تناساك حتى ما تمر بباله ٭ ولم يذكر ذلك الندى والتفضلا
يرابض في مثواك كل عشية ٭ صفيف شواء أو قديرا معجلا
تحى الله من ينسى الأذمة رافضا ٭ ويذهل مهما أصبح الامر مشكلا
حنانيك يا بدر الهدى فلشدما ٭ تركت بدور الافق بعدك أفلا
وكنت لآمالي حياة هنيئة ٭ فغادرت مني اليوم قلبا مقتلا
فلا وأبيك الخير ما أنا بالذي ٭ على البعد ينسى من ذمامك ما خلا
فأنت الذي آويتني متغربا ٭ وأنت الذي أكرمتني متطفلا
فآليت لا ينفك قلبي مكمدا ٭ عليك ولا ينفك دمعي مسبلا

وكتب ابن لسان الدين على هامش هذه القطعة ما صورته شكر الله وفاءك يا ابن شيرين

وبثت الكتب الى الامصار بالفتح وقد كان أفنى عساكر السلطان فسار الافشين ببابك وتنقل بالعساكر حتى أتى سر من رأى
وذلك سنة ثلاث وعشرين ومائتين وتلقى الافشين هرون بن المعتصم وأهل بيت الخلافة ورجال الدولة ونزل بالموضع المعروف
بالقاطول على خمسة فراسخ من سامرا وبعث اليه بالفيل الاشهب وكان قد حمله بعض ملوك الهند الى المامون وكان فيلا عظيما
قد حلل بالديباج الاحمر والاخضر وأنواع الحرير الملون ومعه ناقة عظيمة نجيبة قد جللت بما وصفنا وحمل الى الافشين دراعة
من الديباج الاحمر منسوجة بالذهب قد رصع صدرها بانواع الياقوت والجوهر ودراعة دونها وقلنسوة عظيمة كالبرنس
ذات سفاسك بألوان مختلفة وقد نظم على القلنسوة كثير من اللؤلؤ والجوهر وألبس بابك الدراعة وألبس أخوه الاخرى
وجعلت القلنسوة على رأس بابك وعلى رأس أخيه نحوها وقدم اليه الفيل والى أخيه الناقة فلما رأى صورة الفيل
استعظمه وقال ما هذه الدابة العظيمة واستحسن الدراعة وقال هذه كرامة ملك عظيم حل الى أسير فقد العز ذليل اخطأته
الاقدار وزالت عنه الجدود وتورطته المحن انها الفرحة تقتضي ترحه وضرب له المصاف صفين في الخيل والرجل والسلاح
والحديد والرايات والبنود من القاطول الى سامرا مددا واحدا متصل غير منفصل وبابك على الفيل وأخوه وراءه
على الناقة والفيل يخطر بين الصفين به وبابك ينظر الى ذات اليمين وذات الشمال ويميز الرجال والعدد ويظهر الاسف والحنين على ما فاته من سفك دمائهم غير مستعظم لما يرى من كثرتهم وذلك يوم الخميس لليلتين خلتا من صفر سنة ثلاث وعشرين ومائتين ولم ير الناس مثل ذلك اليوم ولا مثل تلك الزينة ودخل الافشين على المعتصم فرفع منزلته وأعلى مكانه وأتى ببابك فطوف به بين يديه فقال له المعتصم أنت بابك فلم يجب وكررها عليه مرارا وبابك ساكت فمال اليه
الافشين وقال الويل لك أمير المؤمنين يخاطبك وأنت ساكت فقال نعم أنا بابك فسجد المعتصم عند ذلك وأمر فان
بقطع يديه ورجليه (قال المسعودي) ورأيت في كتاب أخبار بغداد لما وقف بابك بين يديه لم يكلمه طويلا ثم قال له أنت بابك
قال نعم أنا عبدك وغلامك وكان اسم بابك الحسين واسم أخيه عبد الله قال جردوه فسلبه الخدام ما عليه من الزينة وقطعت يمينه
وضرب بها وجهه وفعل مثل ذلك بيساره وثلث برجليه وهو يتمرغ في النطع في دمه وقد كان تكلم بكلام كثير يرغب في أموال
عظيمة قبله فلم يلتفت الى قوله وأقبل يضرب بما بقي من زنديه وجهه وأمر المعتصم السياف أن يدخل السيف بين ضلعين من
اضلاعه أسفل من القلب ليكون أطول لعذابه ففعل ثم أمر بحز لسانه وصلب أطرافه مع جسده ثم حمل الرأس الى مدينة السلام
ونصب على الجسر وحمل الى خراسان بعد ذلك يطاف به كل مدينة من مدنها وكورها لما كان في نفوس الناس من استفحال
أمره وعظم شانه وكثرة جنوده واشرافه على ازالة ملك وقلب ملة وتبديلها وحمل أخوه عبد الله مع الرأس الى مدينة السلام
ففعل به إسحق بن ابراهيم ما فعل باخيه بابك بسامرا وصلب جثة بابك على خشبة طويلة في اقاصي سامرا وموضعه مشهور الى

وقدس لحدك وأين مثلك في الدنيا حسنا ووفاء وعلما الا كما صنع ابن زمرك في ابن الخطيب
مخدومه قاله علي بن الخطيب انتهى (ومن أشياخ لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى)
الشيخ الاستاذ العلامة العلم الاوحد الصدر المصنف المحدث الافضل الاصلح الاورع الاتقى
الاكمل أبو عثمان سعد ابن الشيخ الصالح التقي الفاضل المبرور المرحوم أبي جعفر أحمد
ابن ليون التجيبي رضي الله تعالى عنه وهو من أكابر الائمة الذين أفرغوا جهدهم في الزهد
والعلم والنصح وله تواليف مشهورة منها اختصار بهجة المجالس لابن عبد البر واختصار
المرتبة العليا لابن راشد القفصي وكتاب في الهندسة وكتاب في الفلاحة وكتاب كمال الحافظ
وجمال اللافظ في الحكم والوصايا والمواعظ وكان مولعا باختصار الكتب وتواليفه تزيد
على المائة فيما يذكر وقد وقفت منها بالمغرب على أكثر من عشرين * ومما حكي عن
بعض كبراء المغرب انه رأى رجلا طويلا فقال لمن حضره لو رآه ابن ليون لاختصره اشارة الى
كثرة اختصاره للكتب ومن تواليفه كتاب نفح السحر في اختصار روح السحر وروح
الشعر لابن الجلاب الفهري رحمه الله ومنها كتاب أنداء الديم في الوصايا والمواعظ والحكم
وكتاب الابيات المهذبة في المعاني المقربة وكتاب نصائح الاحباب وصحائح الآداب أورد
فيه مائتي قطعة من شعره تتضمن نصائح متنوعة ولننفع منها بنبذة فنقول منها في التحريض
على العلم قوله رحمه الله تعالى

زاحم أولي العلم حتى * تعتد منهم حقيقه
ولا يردك عجز * عن أخذ أعلى طريقه

هذه الغاية يعرف بكنيسة بابك وان كانت سامرا فى هذا الوقت ممن خلا ساكنها وبان عنها قاطنها الا يسيرا من الناس فى بعض المواضع بها ولما قتل بابك وأخوه وكان من امره ما تقدم ذكره قام فى مجالس المعتصم الخطباء فتكلموا وقالت الشعراء فمن قام فى ذلك اليوم ابراهيم بن المهدى فقال شعرا بدلا من الخطبة وهو

يا أمين الله ان الحمد لله كثيرا * هكذا النصر فلا زا ل لك النصر وزيرا
وعلى الاعداء أعطيت من الله ظهيرا * هنالك الله لك الفتح يسيرا

فهو فتح لم يرالنا * س له فتحا نظيرا * وجزى الافشين عبد الله خيرا وحبورا * ولقد لاقى به بابك يوما قمطريرا
ذاك مولاك الذى الـ * فيته جلدا صبورا * لك حتى ضرج السيـ * ف له خدا نضيرا * ضربة أبقت على الدهـ * ـر له فى الوجه نورا

وتوج الافشين بتاج من الذهب مرصع بالجوهر واكليل ليس فيه من الجوهر الا الياقوت الاحمر والزمرد الاخضر قد شبك بالذهب والبس وشاحين وزوج المعتصم الحسن بن الافشين باترجة بنت اشناس وزفت اليه وأقيم لها عرس يجاوز المقدار فى البهاء والجمال وكانت توصف بالجمال والكمال ولما كان من ليلة الزفاف ماعم سروره خواص الناس وكثيرا من عوامهم قال المعتصم أبياتا يصف حسنهما وجمالهما واجتماعهما وهى زفت عروس الى عروس * ٣٠٣ بنت رئيس الى رئيس
أيهما كان ليت شعرى
أجل فى الصدور والنفوس
أصاحب المذهب المحلى
أم ذو الوشاحين والشموس
وفى هذه السنة وهى سنة ثلاث وعشرين خرج نوفل ملك الروم فى عساكره ومعه ملوك برجان والبرغر والصقالبة وغيرهم ممن جاورهم من ملوك الامم حتى نزل على مدينة زبطرة من الثغر الجورى فافتتحها بالسيف وقتل الصغير والكبير وأغار على بلاد ملطية فضج الناس فى الامصار واستغاثوا فى المساجد والديار فدخل ابراهيم بن المهدى على المعتصم فانشده قائما قصيدة طويلة يذكر فيها ما نزل بمن وصفنا ويحثه على الجهاد فيها

يا غارة الله قد عاينت فانتهكى * هتك النساء وما منهن يرتكب
هب الرجال على أجرامها قتلت * ما بال أطفالها بالذبح تنتهب

وابراهيم بن المهدى أول من قال فى شعره يا غارة الله فخرج المعتصم من فوره نافرا عليه دراعة من الصوف بيضاء وقد تعمم عمامة الغزاة فعسكر غربى دجلة وذلك يوم الاثنين لليلتين خلتا من جمادى الاولى سنة ثلاث وعشرين ومائتين ونصبت الاعلام على الجسر ونودى فى الامصار بالنفير والسير مع أمير المؤمنين فسارت اليه العساكر والمطوعة من سائر الاسلام وجعل على مقدمته اشناس التركى ويتلوه محمد بن ابراهيم وعلى ميمنته جعفر بن دينار وعلى ساقته بغا الكبير وعلى القلب عجيف وسار المعتصم من الثغور الشامية ودخل من درب السلامة ودخل الافشين من درب الحرث ودخل الناس من سائر الدروب فلم يكن يحصى الناس العدد ولا يضبطون كثرة فمن مكثر ومقلل فالمكثر يقول خمسمائة ألف والمقلل مائتى ألف ولقى ملك الروم الافشين فحاربه فهزمه الافشين وقتل أكثر بطارقته وأصحابه وجاءه رجل من المتنصرة يقال له نصير فى خلق من أصحابه

فان من جد يعطى * فيما يحب لحوقه
وقوله
شفاء داء العى حسن السؤال * فاسأل تنل علما وقل لا تبال
واطلب فالاستحياء والكبر من * موانع العلم فأن ينال
وقوله
علمت شيأ وغابت عنك أشياء * فانظر وحقق فما للعلم احصاء
للعلم قسمان ما تدرى وقولك لا * أدرى ومن يدعى الاحصاء هذاء
وقوله
من لم يكن علمه فى صدره نثبت * بداه عند السؤالات التى ترد
العلم ما أنت فى الحمام تحصره * وما سوى ذلك التكليف والكمد
وقوله
الدرس رأس العلم فاحرص عليه * فكل ذى علم فقير اليه
من ضيع الدرس يرى هاذيا * عند اعتبار الناس ما فى يديه
وعزة العالم من حفظه * كعزة المنفق فيما عليه
وقال رحمه الله تعالى فى غير ما سبق
ثلاث مهلكات لا محاله * هوى نفس يقود الى البطاله
وشح لا يزال يطاع دأبا * وعجب ظاهر فى كل حاله
وقال
اللهو منقصة بصاحبه * فاحذر مذلة مؤثر اللهو
واللغو نزه عنه سمعك لا * تجنح له لا خير فى اللغو
وقال
لا تمالئ على صديقك وادرأ * عنه ما اسطعت من اذى واهتضام
ما تناسى الذمام قط كريم * كيف ينسى الكريم رعى الذمام

وقد كان الافشين قصر عن أخذ الملك في ذلك اليوم حين ولي وقال هو ملك والملوك تبقي بعضها على بعض وفتح المعتصم حصونا كثيرة ونزل على مدينة عمورية ففتحها الله على يديه وخرج لاوي البطريق منها وسلمها اليه وأسر البطريق الكبير منها وهو ماطس وقتل منها ثلاثين ألفا وأقام عليها أربعة أيام يهدم ويحرق وأراد المسير الى القسطنطينية والنزول على خليجها والحيلة في فتحها برا وبحرا فأتاه ما أزعجه وأزاله عما كان عزم عليه من أمر العباس بن المأمون وان ناسا قد بايعوه وانه كاتب طاغية الروم فأعجل المعتصم في مسيره وحبس العباس وشيعته وفي هذه السنة مات العباس بن المأمون وفي سنة خمس وعشرين ادخل المازيار بن مازن بن بندار هرمس صاحب جبال طبرستان الى سامرا فأقر على الافشين انه بعثه على الخروج والعصيان لمذهب كانوا اجتمعوا عليه ودين اتفقوا عليه من مذاهب الثنوية والمجوس وقبض على الافشين قبل قدوم المازيار بسامرا بيوم وأقر عليه كاتب يقال له سابور فضرب المازيار بسوط حتى مات بعد أن شهر وصلب الى جانب بابك وقد كان المازيار رغب المعتصم في أموال كثيرة يحملها ان هو من عليه بالبقاء فأبى قبول ذلك وتمثل

ان الاسود أسود الغيل همتها يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

ومالت خشبة مازيار الى خشبة بابك فتدانت أجسامهما وقد كان صلب في ذلك الموضع باطس بطريق عمورية وقد انحنت نحوهما خشبته ففي ذلك يقول أبو الهمام لهما

ولقد شفى الاحشاء من برحائها اذ صار بابك جار مازيار
ثانيه في كبد السماء ولم يكن لاثنين ثان اذ هما في الغار
فكأنما انحنيا لكيما يطويا عن ماطس خبرا من الاخبار

ومات الافشين في الحبس بعد أن جمع بينه وبين مازيار فأقر عليه وأخرج الافشين ميتا فصلب بباب العامة وأحضرت أصنام زعموا انها كانت حملت اليه فألقيت عليه وأضرمت النار فأتت على الجميع وفي سنة ست وعشرين ومائتين مات أبو دلف العجلي وكان سيد أهله ورئيس عشيرته من عجل وغيرها من ربيعة وكان شاعرا مجيدا شجاعا بطلا مغنيا مصيبا وهو القائل

يوما تراني على طمر ترهبني الاجبل الرواسي
ويوم لهو أحث كاسا وخلف أذني قضيب آس

(وذكر) أن أبا دلف طعن فارسا فنفذت الطعنة الى أن وصل السنان آخر كان خلفه فقتلهما ففي ذلك يقول بكر بن النطاح

قالوا وينظم فارسين بطعنة يوم الهياج ولا تراه كليلا
لا تعجبوا فلو ان طول قناته ميل اذا نظم الفوارس ميلا

(وذكر) عيسى بن أبي دلف أن أخاه دلف وكان يكنى أبوه أبا دلف كان ينتقص عليا ويضع منه ومن شيعته وينسبهم الى الجهل وانه قال يوما وهو في مجلس ابيه ولم يكن أبوه حاضرا انهم يزعمون ان لا ينتقص عليا أحد الا كان لغير رشدة وأنتم تعلمون غيرة الامير وأنه لا يتهيأ الطعن على أحد من حرمه وأنا أبغض عليا قال فما كان بأوشك من أن خرج أبو دلف فلما رأيناه قمنا له فقال قد سمعت ما قاله دلف والحديث لا يكذب والخبر الوارد في هذا المعنى لا يختلف هو والله لزنية وحيضة وذلك

تطعم الكلب مرة فيحامي عنك والكلب في عداد اللئام

وقال
احذر مواخاة الدنيء فانها عار يشين ويورث التضريرا
فالماء يخبث طعمه لنجاسة ان خالطته ويسلب التطهيرا

وقال
تحفظ من الناس تسلم ولا تكن في تقربهم ترغب
ولا تترك الحزم في كل ما تريد ولا تبغ ما يصعب

وقال
اخوانك اليوم اخوان الضرورة لا تثق بهم يا أخي في قول أو فعل
لا خير في الاخ الآن يكون اذا عرتك نائبة يقليك أو يسلي

وقال
طلب الانصاف من قلة انصاف فساهل
لا تناقش وتغافل فاللبيب المتغافل
قلما يحظى اخو الانصاف في وقت بطائل

وقال
من خافه الناس عظموه وأظهروا بره وشكره
ومن يكن فاضلا حليما فانما حظه المضره
فامرر وكن صارما مبيرا يهابك من قد تخاف شره

وقال
ان تبغ عدلا فارتضي لنفسك من قول وفعل به اعمل في الورى تسد
وكل ما ليس ترضاه لنفسك لا تفعله مع أحد تكن أخا رشد

وقال
حسبي الله لقد ضلت بنا عن سبيل الرشد اهواء النفوس
عجبا ان الهوى هون وأن نؤثر الهون واذلال الرؤس

وقال

اني كنت عليلا فبعثت الى أختي جارية لها كنت بها معجبا فلم أتمالك أن وقعت عليها وكانت حائضا فعلقت به فلما ظهر حملها وهبتها الى فبلغ من عداوة دلف هذا لابيه ونصبه ومخالفته له لان الغالب على أبيه التشيع والميل الى علي أن شنع عليه بعد وفاته وهو ما حدث به الفرهساني قال حدثنا دلف بن أبي دلف قال رأيت في المنام آتيا أتاني فقال لي أجب الامير فقمت معه فادخلني دارا وحشة وعرة وأصعدني على درج منها ثم أدخلني غرفة في حيطانها أثر الرماد واذا به عريان واضع رأسه بين ركبتيه فقال كالمستفهم دلف قلت دلف فانشأ يقول

فلو أنا اذا متنا تركنا * لكان الموت راحة كل حي
ولكنا اذا متنا بعثنا * ونسأل بعده عن كل شي

ثم قال أفهمت قلت نعم وانتبهت * وفي خلافة المعتصم وذلك سنة أربع وعشرين ومائتين مات جماعة من نقلة الاخبار وعلية أصحاب الحديث منهم عمرو بن مرزوق الباهلي المصري وأبو النعمان حازم ومحمد بن الفضل السدوسي وأبو أيوب سليمان بن حرب الواشحي البصري من الازد وسعد بن الحكم بن أبي مريم البصري وأحمد بن عبد الله العراني وسليمان الشاذكوني وعلي ابن المديني وفي سنة تسع وعشرين ومائتين مات بشر الحافي ببغداد وكان من مرو وأبو الوليد هشام بن عبد الملك الطيالسي بالبصرة وهو ابن ثلاث وتسعين سنة وعبد الله بن عبد الوهاب الجمحي وابراهيم بن يسار الرمادي وقيل ان فيها كانت وفاة محمد بن كثير العبدي والصحيح أن وفاته كانت في سنة ثلاث وعشرين ومائتين (قال المسعودي) وفي سنة سبع وعشرين كانت وفاة المعتصم على دجلة في قصره المعروف بالخاقاني يوم الخميس لثمان عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاول وقيل لساعتين من ليلة الخميس وهو ابن ثمان وأربعين سنة وقيل ست وأربعين سنة على ما قدمنا في انقضاء صدر هذا الباب وكان مولده بالخلد ببغداد سنة ثمان وسبعين ومائة في الشهر الثامن من السنة وهو ثامن الخلفاء والثامن من ولد العباس ومات عن ثمانية بنين وثمان بنات وللمعتصم أخبار حسان وما كان من أمره في فتح عمورية وما كان من حروبه قبل الخلافة في أسفاره نحو الشام ومصر وغير ذلك وما كان منه بعد الخلافة وما حكي عنه من حسن السيرة واستقامة الطريقة ابن أبي دواد القاضي ويعقوب بن الليث الكندي في لمع أوردها في رسالته المترجمة بسبيل الفضائل قد أتينا على جميع ذلك في كتابنا في أخبار الزمان والكتاب الاوسط وقد ذكرنا في هذا الكتاب لمعا منبهة على ما سلف وباعثة على درس ما تقدم * (ذكر خلافة الواثق) * وبويع هرون بن محمد ابن هرون الواثق ويكنى بابي جعفر وأمه أم ولد رومية وتسمى قراطيس وذلك في اليوم الذي كانت فيه وفاة المعتصم وهو يوم الخميس لثماني عشرة ليلة خلت من ربيع الاول سنة سبع وعشرين ومائتين وبويع وهو ابن احدى وثلاثين سنة وتسعة أشهر وكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوما وقيل انه توفي يوم الاربعاء لست بقين من ذي الحجة سنة

وقال
من يخف شره يوف الكرامه * ويوالي الرعاية المستدامه
وأخو الفضل والعفاف غريب * يحمل الذل والجفا والملامه

وقال
دع من يسيء بك الظنون ولا * تحفل به ان كنت ذا همه
من لم يحسن ظنه أبدا * بك فاطرحه تكتفي همه

وقال
نزه لسانك عن قول تعاب به * وارغب بسمعك عن قيل وعن قال
لا تبغ غير الذي يعنيك واطرح الفضول تحيا قرير العين والبال

وقال
كثرة الاصدقاء كثرة غرم * وعتاب يعي وادخالهم
واغن بالبعض قانعا وتغافل * عنهم في قبيح فعل وذم

وقال
ذل المعاصي ميتة بالها * من ميتة لا ينقضي عارها
عز التقى هو الحياة التي * ذوا العقل والهمة يختارها

وقال
لا تسمع يوما صديقك قولا * فيه غض ممن يحب الصديق
ان بر الصديق لا شك منه * لصديق الصديق أيضا فريق

وقال
للعار حق فاعتمد بره * واحمل أذاه مغضيا ساترا
فالله قد وصى به فاغتفر * زلاته الباطن والظاهرا

وقال
سالم الناس ما استطعت وداري * أخسر الناس أحمق لا يداري
ضرك الناس ضر نفسك يجني * لا يقوم الدخان الا لنار

وقال
النصح عند الناس ذنب فدع * نصح الذي تخاف أن يهجرك

اثنتين وثلاثين ومائتين وهو ابن أربع وثلاثين سنة ووزيره محمد بن عبد الملك وعلى حسب ما قدمنا فى أيام المعتصم من هذا الكتاب والتواريخ متباينة فى مقادير أعمارهم وأيامهم فى الزيادة والنقصان (ذكر لمع من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه) كان الواثق كثير الاكل والشرب واسع المعروف متعطفا على أهل بيته متفقد الرعية وسلك فى المذهب مذهب أبيه وعمه من القول بالعدل وغلب عليه أحمد بن أبى دواد ومحمد بن عبد الملك الزيات فكان لا يصدر الا عن رأيهما ولا يعيب عليهما فيما رأيا وقلدهما الأمر وفوض اليهما ملكه (وذكر) أبو تمام حبيب بن أوس الطائى الجاسمى نسبة الى جاسم وهى قرية من أعمال دمشق بين بلاد الاردن ودمشق بموضع يعرف بالجولان ويعرف بجاسم على أميال من الجابية وبلاد براوهى من مراعى أيوب عليه السلام قال خرجت فى أيام الواثق الى سرمن رأى فلما قربت منها لقينى اعرابى فاردت أن أعلم خبر العسكر منه فقلت يا أعرابى ممن أنت قال من بنى عامر قلت كيف علمك بعسكر أمير المؤمنين قال قتل ارضا عالمها قلت ما تقول فى أمير المؤمنين قال وثق بالله فكفاه اشجى القاصية وقصم العادية ورغب عن كل ذى جناية قلت فما تقول فى أحمد بن أبى دواد قال هضبة لاترام وجبل لا يضام تشحذ له المدى وتنصب له الحبائل حتى اذا أقبل كان قد وثب وثبة الذئب ٣٠٦ وختل ختلة الضب قلت فما تقول فى محمد بن عبد الحكم الزيات قال وسع الدانى شره ووصل الى البعيد ضره له فى كل يوم صريع لا يرى فيه أثر ناب ولا مخلب قلت فما تقول فى عمرو بن فرج قال ضخم نهم استعذب الدم ينصبه القوم ترسا للدعاء قلت فما تقول فى الفضل بن مروان قال رجل نبش بعد ما قبر ليس تعد له حياة فى الاحياء وعليه خفة الموتى قلت فما تقول فى الوزير قال تخاله كبش الزنادقة أما تراه اذا أنجله الخليفة سمن وربع واذا هزه أمطر فامرع قلت فما تقول فى أحمد بن الخصيب قال ذاك أكل أكلة نهم فزرق زرقة بشم قلت فما تقول فى ابراهيم أخيه قال أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون قلت فما تقول فى أحمد بن اسرائيل قال لله دره أى فاعل هو وأى صابر هو أعد الصبر دثارا والجود شعارا وأهون عليه بهم قلت فما تقول فى المعلى بن أيوب قال ذاك رجل خبر نصيح السلطان عفيف اللسان سلم من القوم وسلموا منه قلت فما تقول فى ابراهيم بن رباح قال ذاك رجل أوثقه كرمه وأسلمه فضله وله دعاء لا يسلمه ورب لا يخذله وفوقه خليفة لا يظلمه قلت فما تقول فى الحسن ابنه قال ذاك عود نضار غرس فى منابت الكرم حتى اذا اهتز حصدوه قلت فما تقول فى نجاح بن سلمة قال لله دره أى طالب وتر ومدرك ثار يلتهب كانه شعلة نار له من الخليفة فى الاحيان جلسة تزيل نعما وتحل نقما قلت يا أعرابى أين منزلك حتى آتيك قال اللهم غفرا مالى منزل أنا أشتمل النهار وألتحف الليل فحيثما أدركنى الرقاد رقدت قلت فكيف رضاك عن أهل العسكر قال ان أعطونى لم أحمدهم وان منعونى لم أذمهم وانى كما قال هذا الغلام الطائى وما أبالى وخير القول أصدقه * حقنت لى ماء وجهى أوحقنت دمى

	الناس أعداء لناصحهم * فاترك هديت النصح فيمن ترك
وقال	تجرى الامور على الذى قد قدرا * ماحيلة أبدا ترد مقدرا
	فارض الذى يجرى القضاء به ولا * تضجر فمن عدم الرضا أن تضجرا
وقال	أخوك الذى يحميك فى الغيب جاهدا * ويستر ما تأتى من السوء والقبح
	وينشر ما يرضيك فى الناس معلنا * ويغضى ولا يألو من البر والنصح
وقال	لا تصحب الاردى فتردى معه * وربما قد تقتنى منزعه
	فالحبل ان يجرر على صخرة * ابدى بها طريقة مشرعه
وقال	مافات أو كان لا تندم عليه فما * يفيد بعد انقضاء الحادث الندم
	ارجع الى الصبر تغنم أجره وعسى * تسلو به فهو مسلاة ومغتنم
وقال	السخط عند النائبات زيادة * فى الكرب تنسى ما يكون من الفرج
	من لم يكن يرضى بما يقضى فيا * لله ما اشقى وأصعب ما انتهج
وقال	ان تبتغى الاخوان ما ان تجد * أخا سوى الدينار والدرهم
	فلا تهنهما وعززهما * تعش عزيزا غير مستهضم
وقال	من يستعن بصديقه * يعن العدو على أذاته
	بر الصديق مهابة * للمرء تحمل من عداته
	فاحفظ صديقك ولتكن * تبدى المحاسن من صفاته
وقال	نعوذ بالله من شر الانسان كما * نعوذ بالله من شر البريات

قالت فأنا قائل هذا الشعر قال أنت أنت الطائى قلت نعم قال لله أبوك وأنت القائل
ماجود كفك ان جادت وان بخلت * من ماء وجهى وقد أخلقته عوض   قلت نعم قال أنت أشعر أهل زمانك وفى رواية
أخرى ليست فى الكتاب قلت أنشدنى شيأ من شعرك فانشدنى   أقول وجنح الدجا ملبد * والليل من كل فج يد
ونحن ضجيعان فى مجسد * فلله ماضمن المجسد   فيا غد ان كنت بى محسنا * فلا تدن من ليلتى يا غد
ويا ليلة الوصل لاتنفدى * كما ليلة الهجر لاتنفد   فقلت لله أبوك وورددته معى حتى لقيت ابن أبى دواد وحدثته بخبره
فاوصله الى الواثق فامر له بالف دينار وأخذ له من سائر الكتاب وأهل الدولة ما أغناه به وأغنى عقبه بعده وهذا الخبر فخرجه
عن أبى تمام فان كان صادقا فيما قال ولا أراه فقد أحسن الاعرابى فى الوصف وان كان أبو تمام هو الذى صنعه وعزاه الى
هذا الاعرابى فقد قصر فى نظمه اذ كانت منزلته أكبر من هذا * وكانت وفاة أبى تمام بالموصل سنة ثمان وعشرين ومائتين
وكان خليعا ماجنا وربما أداه ذلك الى ترك موجبات فرضه تماجنا لا اعتقادا (وحدث) محمد بن يزيد المبرد عن الحسن بن رجاء
قال صار الى أبو تمام وأنا بفارس فاقام عندى مقاما طويلا فانمى الى من غير ٣٠٧ وجه أنه لا يصلى فوكلت به من
يراعيه ويتفقده أوقات الصلاة فوجدت الامر على ما اتصل بى عنه فعاتبته على فعله ذلك فكان من جوابه أن قال لم أنشط للشخوص اليك من مدينة السلام وأتجشم هذه الطرقات الشاقة وأكسل عن ركعات لا مؤنة على فيها لو كنت أعلم أن لمن صلاها ثوابا أو على من تركها عقابا قال فهممت والله بقتله ثم تخوفت أن يصرف الامر الى غير جهته وهو القائل

وأحق الانام أن يقضى الدين * امرؤ كان للاله غريما

يجنى اللسان على الانسان ميتته * كم للسان من آفات وزلات

وقال

من لم يكن مقصده مدحة * فقد أتى بحبوحة العافيه
مجنبة المدحة رق بلا * عتق وذل ياله داهيه
من لا يبالى الناس مدحا ولا * ذما أصاب العيشة الراضيه

وقال

شر اخوانك من لا * تهتدى فيه سبيلا
يظهر الود ويخفى * مكره داء دخيلا
يتقى منك اتقاء * وهو يوليك الجميلا

وقال

قوام العيش بالتدبير فاجعل * لعيشك منه فى الايام قسطا
وخذ بالصبر نفسك فهو عز * تلوذ به اذا ما الخطب شطا

وقال

العيش ثلث فطنة * والغير منه تغافل
فتغافل ان كنت امرأ * ايثار عيشك تأمل

وقال

سنفذ المقدور حتما لا يرد * فعلام الحرص دابا والكمد
أرح النفس تعش فى غبطة * وكل الامر الى الله فقد

وقال

زر من تحب وزره ثم زره ولا * تمل واجعله دأبا موضع النظر
لولا متابعة الانفاس ما بقيت * روح الحياة ولا دامت مدى العمر

وقال

لا تترك الحزم فى شئ فان به * تمام امرك فى الدنيا وفى الدين
من ضيع الحزم تصحبه الندامة فى * أيامه ويرى ذل المهاوين

وهذا قول مباين لدليل العقل والناس فى أبى تمام فى طرفى نقيض متعصب له يعطيه أكثر من حقه ويتجاوز به فى الوصف
ويرى أن شعره فوق كل شعر ومنحرف له معاند فهو ينفى عنه حسنه ويعيب مختاره ويستقبح المعانى الظريفة التى سبق اليها وتفرد
بها (وذكر) عبد الله بن الحسن بن سعدان عن المبرد قال كنت فى مجلس القاضى أبى اسحق واسمعيل بن اسحق وحضر
جماعة سماهم منهم الحارثى الذى قال فيه على بن الجهم الشامى   لم يطلعا الا لآبدة * الحارثى وكوكب الذنب
فجرى ذلك الشعر وان الكلام تسلسل الى ذكر أبى تمام وشعره وأن الحارثى أنشد لابى تمام معاتبة أحسن فيها وأن
المبرد استحيا أن يستعيد الحارثى الشعر أو يكتبه منه لاجل القاضى قال ابن سعدان فاعلمت المبرد أنى أحفظ الشعر فانشدته
اياه فاستحسنه واستعاده منى مرارا حتى حفظه منى وهو   جعلت فداك عبد الله عندى * بمعقب النأى عنه والبعاد
له لمة من الفتيان بيض * قضوا حق الصداقة والوداد   دعوتهم عليك وكنت ممن * يعينه على الفقر الجياد
قال وسألته عن أبى تمام والبحترى أيهما أشعر قال لابى تمام استخراجات لطيفة ومعان ظريفة وجيده أجود من شعر البحترى

ومن شعر من تقدمه من المحدثين وشعر البحتري أحسن استواء من أبي تمام لان البحتري يقول القصيدة كلها فتكون سليمة من طعن طاعن أو عيب عائب وأبو تمام يقول البيت النادر ويتبعه البيت السخيف وما أشبهه الا بغائص البحر يخرج الدرة والخشلبة في نظام واحد وانما يؤتى هو وكثير من الشعراء من البخل باشعارهم والا فلو أسقط من شعره على كثرة عدده ما أنكر منه لكان أشعر نظرائه فدعاني هذا القول منه الى أن قرأت عليه شعر أبي تمام وأسقطت خواطئه وكل ما ذم من شعره وأفردت جيده ووجدت ما يتمثل به ويجري على ألسنة العامة وكثير من الخاصة مائة وخمسين بيتا ولا أعرف شاعرا جاهليا ولا اسلاميا يتمثل له بهذا المقدار من الشعر ثم قال المبرد وبالبحتري يختم الشعر وأنشدني له بيتين زعم المبرد أنهما لو اضيفا الى شعر زهير لجاز فيه وهما

وما سفه السفيه وان تعدى * بانجح فيك من حلم الحليم   متى احفظت ذا كرم تخطى * اليك ببعض أفعال اللئيم

قال وكان مما ذكرنا من شعر البحتري في هذا المجلس وقدمه محمد بن يزيد على نظرائه قوله في بني صاعد بن مخلد

واذا رأيت مخايل ابني صاعد * ادت اليك مخايل ابني مخلد   كالفرقدين اذا تامل ناظر لم يعل موضع فرقد من فرقد

وقوله

من شاكر عني الخليفة للذي أولاه من برومن احسان حتى لقد أفضلت من افضاله ورأيت نهج الجود حيث يراني أغنت يداه يدي وشرد جوده بخلي فافقرني كما أغناني ووثقت بالخلق الجميل معجلا منه وأعطيت الذي اعطاني

وقوله

وددت بياض السيف يوم لقيتني مكان بياض الشيب كان بمفرقي   وقوله   دنوت تواضعا وعلوت قدرا * فشأناك انحدار وارتفاع   كذاك الشمس تبعد أن تسامى * ويدنو الضوء منها والشعاع   وقوله في الفتح بن خاقان وقد نزل الى أسد فقتله

حملت عليه السيف لا عزمك انثني * ولا يدك ارتدت ولا حده نبا   فاحجم لما لم يجد فيك مطمعا وصمم لما لم يجد منك مهربا   وكنت متى تجمع يمينك والعلا * لدى ضيغم لم تبق للسيف مضربا

وقوله   مازال صرف الدهر يؤيس صفقتي * حتى رهنت على المشيب شبابي   وقوله في المنتصر

وان عليا لأولى بكم * وأزكى يدا عندكم من عمر   وكان له فضله والحجو * ل يوم البراذين قبل الغرر

وقوله   تعيب الغانيات على شيبي * ومن لي أن أمتع بالمشيب   ثم ذكر انتقاض الصلح بين عشيرته فقال

اذا ما الجرح رم على فساد * تبين فيه تفريط الطبيب   وللسهم الشريد أخف عبأ * على الرامي من السهم المصيب

وقوله   ومامنع الفتح بن خاقان نيله * ولكنها الايام تعطي وتحرم   سحاب خطاني جوده وهو مسبل

وقال   كن اذا زرت حاضر القلب واحذر * أن تمل المزور أو أن تطيلا
لا تثقل على جليس وخفف * ان من خف عند شخص انبيلا

وقال   من خلا عن حاسد قد * مات في الاحياء ذكره
انما الحاسد كالنا * ر لعود طاب نشره
لاعدمنا حاسدا في * نعمة ليست تسره

وقال   حبيبك من يغار اذا زللنا * ويغلظ في الكلام متى اسأتا
يسر ان اتصفت بكل فضل * ويحزن ان نقصت أو انتقصتا
ومن لا يكترث بك لا يبالي * أحدت عن الصواب ام اعتدلتا

وقال   ان لمن تخشى اذاه * والقه في باب داره
انما الدنيا مدارا * ة فمن تخشاه داره

وقال   حسد الحاسد رحمه * لا يرى الا انعمه
انما الحاسد يشكو * حر أكباد وغمه
لاعدمنا حاسدا في * نعمة تكثر همه

وقال   تبديل شخص بشخص * خسران الاثنين جمله
فاشدد يدك على من * عرفت وارفع محله
فان قطع خليل * بعد التواصل زله

وقال   انت بخير ما تركت الفهور * والقال والقيل وطرق الشرور

وبحر عدانى فيضه وهو مفعم * أأشكو نداه بعد أن وسع الورى * ومن ذا يذم الغيث الا مذمم

وذكر محمد بن الازهر قال كان ابراهيم بن المدبر مع محله فى العلم والادب والمعرفة يسىء الرأى فى أبى تمام ويحلف أنه لا يحسن شيأ قط فقلت له يوما ما تقول فى قوله   غدا الشيب مختطا بفودى خطة * سبيل الردى منها الى النفس مهيع

هو الزور يجفو والمعاشر يجتوى * وذو الالف يقلى والجديد يرقع   له منظر فى العين أبيض ناصع

ولكنه فى القلب أسود أسفع   ونحن نرجيه على الكره والرضا * وأنف الفتى من وجهه وهو أجدع

وفيمن يقول   فان ترم عن عمر تداعى به المدى * فخانك حتى لم تجد فيه منزعا

فما كنت الا السيف لاقى ضريبة * فقطعها ثم انثنى فتقطعا

وفيمن يقول   شرف على أول الزمان وانما الشرف المناسب ما يكون كريما

وفيمن يقول   اذا أحسن الاقوام أن يتطاولوا * بلا نعمة أحسنت أن تتطولا

وفيمن يقول   مطر لى الحياة والمال لا ألقاك الا مستوهبا أو وهوبا

واذا ما أردت كنت رشاء
واذا ما أردت كنت قليبا
والقائل
خشعوا لصولتك التى
هودتهم
كالموت يأتى ليس فيه عثار
فالمشى همس والنداء
اشارة
خوف انتقامك والحديث
سرار
أيامنا معقودة أطرافها
بك والليالى كلها أسحار
تبدى عقابك للعصاة
وتغتدى
رفقا الى زوارك الزوار
وفيمن يقول
اذا أوهدت أرضا كان فيها
رضاك فلا تحن الى رباها

من خاض بحرا فهو لا بد بلل ومن يجر يصبه العثور

سلامة المرء اشتغاله بما * يهمه لنفسه من أمور

وقال انت حر ما تركت الطمعا * وعزيز ما تبعت الورعا

وكفى بالعز مع حرية * شرفا يختاره من قنعا

وقال خل بنيات الطرق * ووافق الناس تفق

من خالف الناس أتى * أعظم أبواب الحمق

فكن مع الناس فتى * لجملة الناس خرق

وقال لا تضق صدرا بحاسد * فهو فى نار يكابد

من يرى أنك خير * منه تعروه شدائد

انما الحاسد يشقى * وهو لا يحظى بعائد

وقال من يستمع فى صديق قول ذى حسد * لا شك يقصيه فاحذر غيلة الحسد

يا بك الناس ما تدنى الصديق فان * أقصيته زدت للاعداء فى العدد

وقال كم من أخ صحبته * والنفس عنه راغبه

خشيت ان فارقته * بالهجر سوء العاقبه

وقال اذا كانت عيوبك عند نقد * تعد فانت أجدر بالكمال

متى سلمت من النقد البرايا * وحسبك ما تشاهد فى الهلال

وقال اذا انطوت القلوب على فساد * فان الصمت ستر أى ستر

قال فوالله لكأنى أغريت ابن المدبر بأبى تمام حتى سبه ولعنه فقلت اذ فعلت ذلك لقد حدثنى عمر بن أبى الحسن الطوسى الراوية أن أباه وجه به الى ابن الاعرابى يقرأ عليه أشعار هذيل فمرت بنا أراجيز فانشدته أرجوزة لابى تمام لم أنسبها اليه وهى

وعاذل عذلته من عذله * فظن أنى جاهل من جهله   ما غبن المغبون مثل عقله * من لك يوما بأخيك كله

لبست ريعانى فدعنى ابله * وملك فى كبره ونبله   وسوقة فى قوله وفعله * بذلت مدحى فيه باغى بذله

فخر حبل أملى من وصله * من بعد ما استعذبنى بمطله   ثم اعتدى معتديا بجهله * ذا عنق فى الجهل لم يخله

يلحظنى فى جده وهزله * يعجب من تعجبى من بخله   لحظ الاسير حلقات كبله * حتى كأنى جئته بعذله

يا واحدا منفردا بعدله * أكسبته المال فلا تمله   ما يصنع الغمد بغير نصله * والمدح ذم لم يكن فى أهله

فقال لابنه اكتبها فكتبها على ظهر كتاب من كتبه فقلت له جعلت فداك انها لابى تمام فقال خرق خرق وهذا من ابن المدبر

قبيح من عمله لان الواجب أن لا يدفع احسان محسن عدوا كان أو صديقا وأن تؤخذ الفائدة من الوضيع والرفيع فقد روى عن أمير المؤمنين أنه قال الحكمة ضالة المؤمن فخذ ضالتك ولو من أهل الشرك * وقد ذكر عن بزرجمهر وكان من حكماء الفرس وقد قدمنا ذكره فيما سلف من هذا الكتاب في أخبار ملوك ساسان وهم الفرس الثانية أنه قال أخذت من كل شئ أحسن ما فيه حتى من الكلب والهرة والخنزير والغراب قيل ما أخذت من الكلب قال الفه لاهله وذبه عن صاحبه قيل فما أخذت من الغراب قال شدة حذره قيل فمن الخنزير قال بكوره في حوائجه قيل فمن الهرة قال حسن نغمتها وتملقها لاهلها عند المسئلة ومن عاب مثل هذه الاشعار التى ترتاح لها القلوب وتحرك بها النفوس وتصغى اليها الاسماع وتشحذ بها الاذهان ويعلم كل من له قريحة وفضل ومعرفة أن قائلها قد بلغ في الاجادة أبعد غاية وأقصى نهاية فانما غض من نفسه وطعن على معرفته واختياره (وقد روى) عن ابن عباس انه قال الهوى اله معبود واحتج بقوله تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه * ولابى تمام أشعار حسان ومعان لطاف واستخراجات بديعة (وحكى) عن بعض العلماء بالشعر أنه سئل عن أبي تمام فقال كانه جمع شعر العالم فانتخب جوهره وقد كان ٣١٠ أبو تمام ألف كتابا وسماه الحماسة وفي الناس من يسميه كتاب الحبية انتخب فيه شعر الناس ظهر بعد وفاته وقد صنف أبو بكر الصولى كتابا جمع فيه أخبار أبي تمام وشعره وتصرفه في أنواع علومه ومذاهبه واستدل الصولى على ما وصف عن أبي تمام بما يوجد من شعره من ذلك قوله في صفة الخمر جهمية الاوصاف الا انهم قد لقبوها جوهر الاشياء وقد رثته الشعراء بعد وفاته والادباء من اخوانه منهم الحسن بن وهب الكاتب وكان شاعرا ظريفا له حظ في المنثور والمنظوم فقال

سقى بالموصل الجدث الغريبا * سحائب ينتحبن له نحيبا اذا أطللنه أطلان فيه * شعيب المزن يتبعها شعيبا

ولطمت البروق به خدودا * وشققت الخدود لها جيوبا فان تراب ذاك القبر يحوى * حبيبا كان يدعى لى حبيبا وقال

لبيبا شاعرا فطنا أديبا * أصيل الرأى في الجلى أريبا اذا شاهدته روّاك فيما * يسرك رقة منه وطيبا

أبا تمام الطائى ماذا * لقينا بعدك العجب العجيبا فقدنا منك علق الاترانا * نصيب له مدى الدنيا ضريبا

وكنت أخا لنا أبدى الينا * ضمير الود والنسب القريبا فلما بنت كدرت الليالى * قريب الدار والأقصى الغريبا

فأبدى الدهر أقبح صفحتيه * ووجها كالحا جهما قطوبا فأحر بأن يطيب الموت فيه * وأحر بعيشنا أن لا يطيبا

وللحسن أشعار حسان ومعان جياد منها قوله أبت مقلتاك لفرط الحزن * عليك الرقاد وبرد الوسن

وحق لعينيك أن لا تناما * وقلبك مختلس مرتهن وبين الجوانح داء دفين * لعمرك مستتر قد كمن

نجى الهموم وقرن الكلوم * ووهى الحلوم وبعد الوطن شديد النفار كثير العثار * خليع العذار يجر الرسن

فلا تنطق وقلبك فيه شئ * بغير الحق واحذر قول شر

وقال

ان كنت لا تنصر الصديق فدع * سماعك القول فيه واجتنب

سماع عرض الصديق منقصة * لا يرتضيها الكريم ذو الحسب

وقال

أنت في الناس تقاس * بالذى اخترت خليلا

فاصحب الاخيار تعلو * وتنل ذكرا جميلا

صحبة الخامل تكسو * من يواخيه خمولا

وقال

اسمع يزنك السماح * ان السماح رباح

لا تلق الا ببشر * فالبشر فيه النجاح

تقطيبك الوجه جد * أجل منه المزاح

وقال

من كنت تعرفه كن فيه متئدا * يكفيك من خلقه ما أنت تعرفه

لا تبغ من أحد عرفته أبدا * غير الذى كنت منه قبل تألفه

وقال

حاسب حبيبك كالعدو تدم له * منك المحبة فالتناصف روحها

من كان يغمض في حقوق صديقه * نقصت مودته وشيب صريحها

وقال

تغافل في الامور ولا تناقش * فيقطعك القريب وذو الموده

مناقشة الفتى تجنى عليه * وتبدله من الراحات شده

وقال

ان شئت تعرف نعمة الله التى * أولاك فانظر كل من هو دونكا

لا تنظر الاعلى فتنسى ما لديك ومن من الضعفاء يستعدونكا

أفي كل يوم تطيل الوقوف * تناجي الديار وتبكي الدمن وتستخبر الدار عن أهلها * وتذري الدموع على من ظعن
كأنك لم ترفيما مضى * من الدهر ذا صبوة مفتتن عذرتك أيام شرخ الشباب * وفرعك فرع نضير الغصن
فأما وقد زال ظل الشبا * ب عنك وولى كأن لم يكن وألبسك الشيب بعد الشباب * قناع بياض كلون القطن
وصرت قذى في عيون الحسان * يخلن مهداوان لم تخن ويصدفن عنك اذا رمتهن وكنت لهن زمانا سكن
فمالك عذر وأنت امرؤ * بما فيه رشدك طب فطن وفي خلافة الواثق مات على بن الجعد مولى بني مخزوم وكان من
علية أصحاب الحديث وأهل النقل وذلك في سنة ثلاثين ومائتين وفي سنة احدى وثلاثين ومائتين قتل الواثق أحمد بن نصر
الخزاعي في المحنة على القرآن (قال المسعودي) وكان يحضر مجلس الواثق في برسم الندماء يقوم قائما الصغر سنه ولم يكن لذلك
يلحق في الجلوس بمراتب ذوي الاسنان وكان ذكيا أذوناله في الافاضة مع الجلساء في كل ما يعرض لهم الكلام فيه والتكلم
بما يسنح ويختلج في صدره من مثل سائر وبيت نادر وحديث ممتع وجواب مسرع قال وكان الواثق من شدة الشهوة للطعام
والنهمة فيه على الحالة المشهورة المتعالية فقال لهم الواثق يوما ما تختارون من النقل فبعض قال نبات السكر
و بعض قال رمان و بعض قال تفاح و بعض قال قصب السكر ينضح بماء الورد وبعض اخرجته الفلسفة الى النقص فقال ملح يغلى وبعض قال صبر يعين على عذاب النبيذ ويجلى على سورة الشراب ومرارة النقل قال ما صنعتم شيأ ولكن ما تقول أنت يا غلام قال خشكنانج مشبرفوافق ذلك ما في نفس الواثق وقال أصبت وأحسنت بارك الله لك وكان ذلك أول جلوسه وقيل ان أبا جعفر محمد بن على بن موسى الرضا عليهم الرضوان توفي في خلافة الواثق وقد بلغ من السن
ما قدمناه في خلافة المعتصم من هذا الكتاب وقيل انه كتب الى الواثق يا أمير المؤمنين ليس من أحد وان ساعدته المقادير
بمستخلص غضارة عيش الامن خلال مكروه ومن ترك معاجلة الدرك انتظار مؤاجلة الاشياء سلبته الايام فرصته فان شرط
الزمان الآفات وحكم الدهر السلب وفي سنة ثلاثين ومائتين وذلك في خلافة الواثق توفي عبد الله بن طاهر في ربيع الاول من
هذه السنة وفيه يقول الشاعر وقت كون عبد الله بن طاهر بمصر

يقول أناس ان مصر بعيدة * وما بعدت مصر وفيها ابن طاهر * وأبعد من مصر رجال تراهم
بحضرتنا معروفهم غير حاضر * عن الخير موتى ما تبالى أزرتهم * على طمع أم زرت أهل المقابر

وكان الواثق محبا للنظر مكرما لاهله مبغضا للتقليد وأهله محبا للاشراف على علوم الناس وآرائهم ممن تقدم وتأخر من الفلاسفة
والمتطببين يجري بحضرته أنواع من علومهم في الطبيعيات وما بعد ذلك من الالهيات فقال لهم الواثق قد أحببت أن أعلم كيفية
ادراك معرفة الطب ومأخذ أصوله أذلك من الحس أم من القياس والسنة أم يدرك من جهة العقل أم علم ذلك وطريقه

وقال عجبا أن ترى قبيح سواكا * وتعادي الذي يرى منك ذاكا
لو تناصفت كنت تنكر ما فيك وترضى الوصاة ممن نهاكا

وقال جرب الناس ما استطعت تجدهم * لا يرى الشخص منهم غير نفسه
فالسعيد السعيد من أخذ العفو وداري جميع أبناء جنسه

وقال فرط حب الشئ يعمي ويصم * فليكن حبك قصد الايصم
نقص عقل أن يغطي حسك الحب أو يلهيك عن أمر مهم

وقال سلم وغض احتسابا * فذا هو اليوم أسلم
الحقد نار تجلى * في القلب جمرا تضرم
فاطو اعتراضك واغفل * عن عيب غيرك تسلم

وقال عدة الكريم عطية * لا مطل في عدة الكريم
المطل تحريض العدا * ة وذاك من فعل اللئيم
فدع المطال اذا وعدت فانه عمل ذميم

وقال من تناسى ذنوبه قتلته * وابانت عنه الولى الحميما
ذكرك الذنب نفرة عنه تبقى * لك اذكاره فعله مستديما

وقال عجبا المادح نفسه لا يهتدى * لتنقص يبديه فيه مدحها
مدح الفتى عند التحدث نفسه * ذكرى معايبه فيدرى قبحها

وقال من حسنت أخلاقه عاش في * نعمى وفي عز هني وود

يعلم عندكم من جهة السمع كما يذهب اليه جماعة من أهل الشريعة وقد كان ابن بختيشوع وابن ماسويه وميخائيل فيمن حضر وقيل ان حنين بن اسحق وسلمويه فيمن حضر فى هذا المجلس فقال منهم قائل زعم طوائف من الاطباء وكثير من متقدميهم أن الطريق الذى يدرك به الطب هو التجربة فقط وحدوه بان يتكرر الحس على محسوس واحد فى أحوال متغايرة فيوجد بالحس فى آخر الاحوال كما يوجد فى أولها والحافظ لذلك المجرب وزعموا أن التجربة ترجع الى مبادئ أربعة هن لها أوائل ومقدمات وبها علمت وصحت واليها تنقسم التجربة فصارت بذلك أجزاءها فزعموا ان قسما من تلك الاقسام طبيعى وهو ما تفعله الطبيعة فى الصحيح والمريض من الرعاف والعرق والاسهال والقىء التى تعقب فى المشاهدة منفعة أو ضررا وقسما اراديا وهو ما يقع من قبل النفس الناطقة وذلك كمثل منام يراه الانسان وهو أن يرى كأنه عالج مريضا به علة مشاهدة معقولة بشىء من الاشياء معروف فيبرأ ذلك المريض من مرضه أو يخطر مثل ذلك بباله فى حال فكره فيتردد ويغلب ظنه بعطبه فيغرر به بان يفعله كما يرى فى منامه فيعده كما يرى أو يخالف ذلك ويفعله مرارا فيجده كذلك وقسما هو نقل وهو على ثلاثة أقسام اما أن ينقل الدواء الواحد من مرض الى مرض يشبهه وذلك كالنقلة من ورم الحمرة الى الورم المعروف بالنملة واما من عضو الى عضو يشبهه وذلك كالنقلة من السفرجل الى الزعرور فى علاج انطلاق البطن وكل ذلك لا يعمل به عندهم الا بالتجربة وذهب طائفة أخرى منهم الى أن الحيلة فى تقريب أمر صناعة الطب وتسهيلها أن ترد أشخاص من العلل ومولداتها الى الاصول الحاصرة الجامعة لها اذا كان لا غاية لتولدها وأن يستدل على الدواء من نفس الطبيعة والمرض الحاضر الموجود فى الحال والوقت دون الاسباب الفاعلة التى عدمت ودون الازمان والاوقات والاسباب والعادات ومعرفة طبائع الاعضاء وحدودها وألزموا التحفظ بكل ما يكون فى كل علة وجدت أو لم توجد وبرهنوا بان زعموا أن من المعلومات الظاهرة التى لا ريب فيها أن الضدين لا يجوز اجتماعهما فى حال وأن وجود أحدهما ينفى الآخر فى الحال لا محالة قالوا وليس هذا كشىء ظاهر يستدل به على كل شىء خفى والشىء الظاهر يحتمل الوجود فيختلف الاستدلال فيكون القطع على ما يوجبه غير بين وهذا قول جماعة من حذاق المتطببين وأهل التقدم فى اليونانيين مثل ماسوس وساساليس وغيرهما وهم قوم يعرفون بأصحاب الطب الحيلى قال الواثق لهم جميعا فاخبرونى عن جمهورهم الاعظم الام يذهبون فى ذلك فقالوا القياس قال وكيف ذلك قالوا جميعا زعمت هذه الطائفة أن الطريق والقانون الى معرفة الطب مأخوذ من مقدمات أولية فمنها معرفة طبائع الابدان والاعضاء وأفعالها ومنها معرفة الابدان فى الصحة والمرض ومعرفة الاهوية واختلافها والاعمال والصنائع والعادات والاطعمة والاشربة والاسفار ومعرفة قوى الامراض وقالوا ثبت فى الشاهد أن الحيوان يختلف فى صورته وطباعه وكذلك أعضاؤه مختلفة فى طباعها وصورها وأن الاجساد الحيوانية

ومن تسؤ للخلق أخلاقه * يعش حقيرا فى هموم وكد

وقال

من كان يحمى ناسه صارذا * عز وهابته نفوس البشر
ومن يكن يخذل أحبابه * هان ومن هان فلا يعتبر

وقال

قارب وسدد اذا ما كنت فى عمل * ان الزيادة فى الاعمال نقصان
ما خالف القصد فى كل الامور هوى * نفس وكل هوى شؤم وحرمان

وقال

بقدر همته يعلو الفتى أبدا * لا خير فى خامل الهمات ممتهن
هيهات يعلو فتى خمول همته * يقوده لابتذال النفس والمهن

وقال

اصحب ذوى الحدة وارغب عن السـ * ـخيث فاصحبة داداؤها
وانظر الى قول نبى الهدى * خيار أمتى أحداؤها

وقال

ما صديق الانسان فى كل حال * يا أخى غير درهم يقتنيه
لا تعوّل على سواه فتغدو * خائب القصد دون ما تبتغيه

وقال

يستفز الهوى للانسان حتى * لا يرى غير محنة أو ضلال
و يرى الرشد غير رشد و يغدو * يحسب الحق من ضروب المحال

وقال

لا تبالغ فى الشر مهما استطعتا * وتغافل واحلم اذا ما قدرتا
فانقلاب الامور أسرع شىء * وتجازى بضعف ما قد صنعتا

وقال

مثل عواقب ما تاتى وما تذر * واحذر فقد ترتجى أن ينفع الحذر
لا تقدمن على أمر بلا نظر * فان ذلك فعل كله خطر

تتغير بالاهوية المحيطة بها وبالحركة والسكون والاغذية من المأكول والمشروب والنوم واليقظة واستفراغ ما يخرج من الجسد واحتباسه من الاعراض النفسانية من الغم والحزن والغضب والهم قالوا والغرض بالطب هو تدبير الاجسام وحفظ الصحة الموجودة في البدن الصحيح واجتلابها للعليل فالواجب أن يكون حفظ الصحة انما هو بمعرفة الاسباب المصححة فالواجب على الطبيب لا محالة من هذه المقدمات التي قد صحت اذا أراد علاج المريض النظر في طبائع الامراض والابدان والاغذية والعادات والازمان والاوقات الحاضرة والاسباب ليستدل بجميع ذلك وهذا يا أمير المؤمنين قول ابقراط وجالينوس فيمن تقدم وتأخر عنهم قالوا وقد اختلفت هذه الطائفة في كثير من الاغذية والادوية مع اتفاقهم على ما وصفنا وذلك لاختلافهم في كيفية الاستدلال فمنهم من زعم أنه يستدل على طبيعة الشئ من الاغذية والادوية بطعمه أو ريحه أو لونه أو قوامه أو فعله وتأثيره في الجسد وزعموا أن الوثيقة في الاستدلال بالاجزاء اذا كانت الالوان والاراييح وسائر ما ذكرنا من أفعال الطبائع الاربع كالاسخان والتبريد والتليين فعل لها وزعمت طائفة أخرى منهم أن أصح الشهادات وأثبت القضايا في الحكم على طبيعة الدواء والغذاء ما أخذ من فعله في الجسد دون الطعم والرائحة وما سوى ذلك فان الاستدلال بما سوى الفعل والتأثير لا يقطع به ولا يعول على طبيعة الدواء المفرد والمركب قال الواثق لحنين من بين الجماعة ما أول آلات الغذاء من الانسان قال أول آلات الغذاء الفم وفيه الاسنان والاسنان اثنتان وثلاثون سنا منها في اللحي الاعلى ستة عشر سنا وفي اللحي الاسفل كذلك ومن ذلك أربعة في كل واحد من اللحيين عراض محددة الاطراف تسميها الاطباء من اليونانيين القواطع وذلك أن بها يقطع ما يحتاج الى قطعه من الاطعمة اللينة كما يقطع هذا النوع من المأكل بالسكين وهي الثنايا والرباعيات وعن جنبي هذه الاربعة في كل واحد من اللحيين سنان رؤسهما حادة وأصولهما عريضة وهي الانياب وبها يكسر كل ما يحتاج الى تكسيره من الاشياء الصلبة مما يؤكل وعن جنبي النابين في كل واحد من اللحيين خمس اسنان أخر عوارض خشن وهي الاضراس ويسميها اليونانيون الطواحن لانها تطحن ما يحتاج الى طحنه مما يؤكل وكل واحد من الثنايا والرباعيات والانياب له أصل واحد وأما الاضراس فما كان منها في اللحي الاعلى فله ثلاثة أصول خلا الضرسين الاقصيين فانه ربما كان لكل واحد منهما أصول أربعة وما كان من الاضراس في اللحي الاسفل فلكل واحد منها أصلان خلا الضرسين الاقصيين فانه ربما كان لكل واحد منهما أصول ثلاثة وانما احتيج الى كثرة أصول الاضراس دون سائر الاسنان لشدة قوة العمل بها وخصت العليا منها بالزيادة في الاصول لتعلقها بأعلى الفم قال الواثق أحسنت فيما ذكرت من هذه الآلات فصنف لي كتابا تذكر فيه جميع ما يحتاج الى معرفته من ذلك فصنف له كتابا جعله ثلاث مقالات يذكر فيه الفرق بين الغذاء والدواء والمسهل وآلات الجسد (وقد ذكر) أن الواثق سأل حنينا في هذا المجلس وفي غيره عن مسائل كثيرة وأن حنينا أجاب عن ذلك وصنف في كل ذلك كتابا ترجمه بكتاب المسائل الطبيعية يذكر فيه أنواعا من العلوم فكان مما سأل الواثق حنينا من المسائل وقيل بل أحضر له نديما من ندمائه فكان يسأله بحضرته والواثق يسمع ويتعجب مما يورده السائل الى أن قال فما الاشياء المغيرة للهواء قال حنين خمس وهي أوقات السنة وطلوع الكواكب وغروبها والرياح والبلدان والبحار * قال السائل فكم هي أوقات السنة قال أربع الربيع والصيف والخريف والشتاء فمزاج الربيع معتدل في الحرارة والرطوبة ومزاج

	وانظر وفكر لما ترجو توقعه * فعمدة العاقل التفكير والنظر
وقال	حافظ على نفسك من كل ما * يشينها من خلل أو زلل
	واحرص على تخليصها بالذي * تنجو به من قول او عمل
وقال	سكر الولاية ماله صحو * وكلامها وجواكها زهو
	يهذي الفتى أيام عزتها * فاذا انقضت نابه شجو
	فحذار لا تغررك صولتها * وزمانها فثبوتها محو
وقال	دع الجدال ولا تحفل به أبدا * فانه سبب للبغض ما وجدا
	سلم تعش سالما من كل متعبة * قرير عين اذا لم تعترض أحدا
وقال	اذا ترى المبتلى اشكر أن تجوت ولا * تشمت به ولتسل من ربك العافيه
	وخف من أن تبتلى كما ابتلى فترى * كما تراه وما تقيك من واقيه
وقال	العمر ساعات تقضي فلا * تقضها في السهو والغفلة

الصيف حار يابس ومزاج الخريف بارد يابس ومزاج الشتاء بارد رطب * قال السائل أخبرني عن كيفية تغيير الكواكب للهواء قال ان الشمس متى قربت منها أو قربت هي من الشمس كان الهواء أزيد سخونة وخاصة كلما كانت أعظم ومتى بعدت الشمس أو بعدت هي من الشمس كان الهواء أزيد بردا قال أخبرني عن كمية أعداد الرياح قال أربع الشمال والجنوب والصبا والدبور فأما قوة الشمال فباردة يابسة وأما الجنوب فحارة رطبة وأما الصبا والدبور فمعتدلان غير أن الصبا أميل الى الحرارة واليبس والدبور أميل الى البرودة والرطوبة من الصبا * قال فأخبرني عن أحوال البلدان في ذلك قال هي أربعة الأول الارتفاع والثاني الانخفاض والثالث مجاورة الجبال والبحار والرابع طبيعة تربة الارض والنواحي أربع وهي الجنوب والشمال والمشرق والمغرب فناحية الجنوب أسخن وناحية الشمال أبرد وأما ناحيتا المشرق والمغرب فمعتدلتان واختلاف البلدان بارتفاعها يجعلها أبرد وانخفاضها يجعلها أسخن والبلدان تختلف بحسب مجاورة الجبال لها لان الجبل متى كان من البلد في ناحية الجنوب جعل ذلك البلد أزيد بردا لانه يستره من الرياح الجنوبية وانما تهب فيه الريح الشمالية فقط ومتى كان الجبل من البلد في ناحية الشمال جعل ذلك البلد أسخن * قال فاخبرني عن اختلاف البلدان عند مجاورتها البحار كيف اختلفت قال حين ان كان البحر من البلد في ناحية الجنوب فان ذلك البلد يسخن ويرطب وان كان في ناحية الشمال كان ذلك البلد أبرد * قال السائل فاخبرني عن البلدان كيف اختلفت بحسب طبيعة تربتها قال ان كانت أرضها حجرية جعلت ذلك البلد أبرد وأجف وان كانت طينا جعلته أبرد وأرطب * قال فلم اختلف الهواء من قبل البحار قال اذا جاورت نقائع ماء أو جيفا أو بقولا عفنة أو غير ذلك مما يتعفن تغير هواؤها * فلما كثر هذا الكلام من السائل والمجيب أضجر ذلك الواثق فقطع ذلك وأجاز كل واحد ممن حضر * ثم أمرهم أن يخبر كل واحد منهم عما حضره في الزهد في هذا العالم الذي هو عالم الدثور والفناء والغرور فذكر كل واحد منهم ما سنح له من الاخبار عن زهد الفلاسفة من اليونانيين والحكماء المتقدمين كسقراط وابدأ ودوجانس * قال الواثق قد أكثرتم فيما وصفتم وقد أحسنتم الحكاية فيما ذكرتم فليخبرني كل واحد عن أحسن ما سمع من نطق الحكماء الذين حضروا وفاة الاسكندر وقد جعل في التابوت الاحمر فقال بعضهم يا أمير المؤمنين كل ماذكروه حسن وأحسن ما نطق به من حضر ذلك المشهد من الحكماء دوجانس وقد قيل انه لبعض حكماء الهند فقال ان الاسكندر امس انطق منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه امس وأخذ هذا المعنى من قول الحكيم أبو العتاهية حيث قال

كفى حزنا بدفنك ثم أني * نفضت تراب قبرك من يديا
وكانت في حياتك لي عظات * وأنت اليوم أوعظ منك حيا

فاشتد بكاء الواثق وعلا نحيبه وبكى كل من حضر من الناس ثم قام من فوره ذلك وهو يقول

وصروف الدهر في تقديره * خلقت فيها انخفاض وانحدار
بينما المرء على اعلائها * اذ هوى في هوة منها فحار
انما متعة قوم ساعة * وحياة المرء ثوب مستعار

(قال المسعودي) وللواثق أخبار حسان مما كان في أيامه من الاحداث وما كان يجري من المباحثة في مجلسه الذي عقده للنظر بين الفقهاء والمتكلمين في أنواع العلوم من العقليات والسمعيات في جميع الفروع والاصول وقد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب في باب خلافة القاهر بن المعتضد جملا من الاخبار في أخلاق الخلفاء من بني العباس لمعنى أوجب ايرادها في باب خلافة القاهر

واعمل لما أنت له صائر * مادمت من عمرك في مهلة
ولا تكن ناوي لدنيا وقل * لابد لابد من النقلة

وقال
كن رفيقا اذا قدرت حليما * وتغافل تسلك طريقا قويما
لا تظن الزمان يبقى على من * سره أو ينيل عزا سليما
ان للدهر صولة وانقلابا * ولهذا نعيمه ان يدوما

وقال
من لم يكن ينفع في الشده * فلا تكن معتمدا وده
لا تعتمد الا أخا حرمة * ان ناب خطب تلفه عده
وخل من يهزأ في وده * ولا ترى في معضل جده

وقال
أخوك الذي تلفيه في كل معضل * يدافع عنك السوء بالمال والعرض
ويستر ما تأتي من القبح دائما * وينشر ما يرضى وان سؤته يغضي

وقال
لا تنس مما أنت فاعله * وانظر لما تأتيه من ذنب

* واعتل الواثق فصلى بالناس يوم النحر أحمد بن أبي دواد وكان قاضي القضاة فدعا في خطبته للواثق فقال اللهم اشفه مما ابتليته وقد قدمنا فيما سلف من أخباره في هذا الكتاب فأغنى ذلك عن اعادته * (ذكر خلافة المتوكل على الله) * وبويع جعفر بن محمد بن هرون ولقب بالمنتصر بالله فلما كان في اليوم الثاني لقبه أحمد بن أبي دواد المتوكل على الله وذلك في اليوم الذي مات فيه الواثق أخوه وهو يوم الاربعاء لست بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ويكنى بابي الفضل وبويع له وهو ابن سبع وعشرين سنة وأشهر وقتل وهو ابن احدى وأربعين سنة وتسعة أشهر وتسع ليال وأمه أم ولد خوارزمية يقال لها شجاع وقتل ليلة الاربعاء لثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين * (ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه) * ولما افضت الخلافة الى المتوكل أمر بترك النظر والمباحثة في الجدال والترك لما كان عليه الناس في أيام المعتصم والواثق وأمر الناس بالتسليم والتقليد وأمر الشيوخ المحدثين بالتحديث واظهار السنة والجماعة واظهر لباس ثياب الملحم وفضل ذلك على سائر الثياب واتبعه من في داره على لبس ذلك وشمل الناس لبسه وبالغوا في ثمنه اهتماما بعمله واصطناع الجيد منها لمبالغة الناس فيها وميل الراعي والرعية اليها فالباقي في أيدي الناس الى هذه الغاية من تلك الثياب يعرف بالمتوكلية وهي نوع من ثياب الملحم نهاية في الحسن والصبغ وجودة الصنع * وكانت أيام المتوكل أحسن أيام وانضرها من استقامة الملك وشمول الناس بالامن والعدل ولم يكن المتوكل ممن يوصف في عطائه وبذله بالجود ولا بتركه وامساكه بالبخل ولم يكن أحد ممن سلف من خلفاء بني العباس ظهر في مجلسه اللعب والمضاحك والهزل مما قد استفاض في الناس تركه الا المتوكل فانه السابق الى ذلك والمحدث له وأحدث أشياء من نوع ما ذكر فاتبعه فيها الاغلب من خواصه وأكثر رعيته فلم يكن في وزرائه والمتقدمين من كتابه وقواده من يوصف بجود ولا افضال أو يتعالى عن مجون وطرب * وكان الفتح بن خاقان التركي مولاه اغلب الناس عليه وأقربهم منه وأكثرهم تقدما عنده ولم يكن الفتح مع هذه المنزلة من الخلافة ممن يرجى فضله ويخاف شره وكان له نصيب من العلم ومنزلة من الادب وألف كتابا في الادب ترجمة بكتاب البستان * وأحدث المتوكل في أيامه بناء لم يكن الناس يعرفونه وهو المعروف بالحيري والكمين والاروقة وذلك أن بعض سماره حدثه في بعض الليالي أن بعض ملوك الحيرة من النعمانية من بني نصر أحدث بنيانا في دار قراره وهي الحيرة على صورة الحرب وهيئته للهجته بها وميله نحوها لئلا يغيب عنه ذكرها في سائر أحواله فكان الرواق مجلس الملك وهو الصدر والكمان ميمنة وميسرة ويكون في البيتين اللذين هما الكمان من يقرب منه من خواصه وفي اليمين منهما خزانة الكسوة وفي الشمال ما احتيج اليه من الشراب والرواق قد عم فضاؤه الصدر والكمين والابواب الثلاثة على الرواق فسمي هذا البنيان الى هذا الوقت بالحيري والكمين اضافة الى الحيرة واتبع الناس المتوكل في ذلك ائتماما بفعله واشتهر الى هذه الغاية وبايع لبنيه الثلاثة محمد المنتصر بالله وأبي عبد الله المعتز بالله والمستعين بالله وفي ذلك يقول ابن المدبر في ذكره لهذه البيعة

يا بيعة مثل بيعة الشجره * فيها لكل الخلائق الخيرة
أكدها جعفر وصيرها * الى بنيه الثلاثة البررة

وفي ذلك يقول علي بن الجهم

قل للخليفة جعفر ياذا الندى * وابن الخلائف والائمة والهدى
لما أردت صلاح دين محمد * وليت عهد المسلمين محمدا
وثنيت بالمعتز بعد محمد * وجعلت ثالثهم أعز مؤيدا

وكان استخلاف المتوكل على الله بعد أن استخلف أبو العباس

وابدأ بنفسك فانهها فاذا * تقفو الصواب فانت ذو أدب

وقال
ليس الصديق الذي يلقاك مبتسما * ولا الذي في التهاني بالسرور يرى
ان الصديق الذي يولي نصيحته * وان عرت شدة أغنى بما قدرا

وقال
عجبا لمستوف منافع نفسه * ويرى منافع من سواه تصعب
ماذاك الا عدم انصاف ومن * عدم التناصف كيف يرجو يصحب

وقال
من عدم الهمة في راحة * من أمره يكرم أو يهتضم
والعايشق أخو همة * فان الانكاد بقدر الهمم

وقال
قلما تنفع المداراة الا * عند أهل الحفاظ والاحساب
من يداري اللئيم فهو كمن يستعمل الدر في نحور الكلاب

وقال
دنياك هذي عرض زائل * تفتن ذا الغرة والغفله
فاعمل لاخراك وقدم لها * مادمت من عمرك في مهله

السفاح بمائة سنة و بعد موت العباس بن عبد المطلب بمائتي سنة وقد قيل غير ذلك والله أعلم على تفاوت التواريخ في كمية أوقاتهم وعدد سنيهم والزيادة في الايام والشهور والنقصان عن مدة ملكهم وقد كان سخط المتوكل على محمد بن عبد الملك الزيات بعد خلافته باشهر فقبض أمواله وجميع ما كان له وقلد مكانه أبا الوزير وقد كان ابن الزيات اتخذ للصادرين والمغضوب عليهم تنورا من الحديد رؤس مساميره الى داخل قائمة مثل رؤس المسال في أيام وزارته للمعتصم والواثق فكان يعذب الناس فيه فامر المتوكل بادخاله في ذلك التنور فقال محمد بن عبد الملك الزيات للموكل به أن ياذن له في دواة وبطاقة ليكتب فيها ما يريد فاستاذن المتوكل في ذلك فاذن له فكتب هي السبيل فمن يوم الى يوم * كانه ماتريك العين في النوم لاتجزعن رويدا انها دول * دنيا تنقل من قوم الى قوم قال وتشاغل المتوكل في ذلك اليوم فلم تصل الرقعة اليه فلما كان الغد قرأها فامر باخراجه فوجده ميتا وكان حبسه في ذلك التنور الى أن مات أربعين يوما وكان كاتبا بليغا وشاعرا مجيدا وهو القائل في تحريض المامون على ابراهيم بن المهدي حين خرج عليه ألم تر أن الشئ للشئ علة * يكون له كالنار تقدح بالزند كذلك جربنا الامور وانما * يدلك ماقد كان قبل على البعد وظني بابراهيم أن فكاكه * سيبعث يوما مثل أيامه النكد تذكر أمير المؤمنين قيامه * وأيامه في الهزل منه وفي الجد اذا هز أعواد المنابر باسمه * تغنى بليلى أو بمية أو هند في شعر طويل جدا ومن شعره قوله في مرثيه للمعتصم بالله وظل له سيف انني كانما * مدامعه من شدة الحزن تذرف جمائله والبرد تشهد أنه * هو الطيب الاولى الذي كان يعرف ٣١٦ أقول ومن حق الذي قلت أنني أقول وأنني بعد ذاك وأحلف لما هاب أهل الظلم مثلك سائسا ولا أنصف المظلوم مثلك منصف وقد أتينا على أخباره وما استحسن من أشعاره في الكتاب الاوسط فكانت أيام أبي الوزير في الوزارة يسيرة وقد كان اتخذ للوزارة محمد بن الفضل الجرجاني ثم صرفه فاستكتب عبيد الله بن يحيى سنة ست وثلاثين ومائتين الى أن قتل وقد أتينا في الكتاب الاوسط على أخباره

وقال نصيحة الصديق كنز فلا * تردما حييت نصح الصديق
وخذ من الامور ما ينبغي * ودع من الامور ما لا يليق

وقال أحرما لم يقيدك حب * أو تكن في الورى يرى لك ذنب
الهوى كله هوان وشغل * والمعاصي ذل يعاني وكرب

وقال هون عليك الامورا * تعش هنيأ قريرا
واعلم بان الليالي * تبلي جديدا خطيرا
وتستبيح عظيما * ولا تجير حقيرا

وقال

ألف صديق قليل * والود منهم جميل
كما عدو كثير * اذ ضره لايزول
فلا تضيع صديقا * فالنفع فيه جليل

وقال

واتصاله بالمتوكل وأخبار الفتح بن خاقان (وذكر) محمد بن يزيد المبرد قال ذكرت للمتوكل منازعة جرت بينه وبين الفتح بن خاقان في تاويل آية وتنازع الناس في قراءتها فبعث الى محمد بن القاسم بن محمد بن سليمان الهاشمي وكانت اليه البصرة فحملني اليه مكرما فلما اجتزت بناحية النعمانية بين واسط وبغداد ذكر لي أن بدير هرقل جماعة من المجانين يعالجون فلما حاذيته دعتني نفسي الى دخوله فدخلته ومعي شاب ممن يرجع الى دين وادب فاذا أنا بمجنون من المجانين قد دنا الي فقلت ما يقعدك بينهم وانت بائن عنهم فكسر جفنه ورفع عقيرته وانشا يقول ان وصفوني فناحل الجسد * او فتشوني فابيض الكبد
اضعف وجدي وزاد في سقمي * أن لست اشكو الهوى الى احد وضعت كفي على فؤادي من
حر الاسى وانطويت فوق يدي آه من الحب آه من كبدي * ان لم امت في غد فبعد غد
كأن قلبي اذا تذكرهم * فريسة بين ساعدي اسد فقلت احسنت لله درك زدني فانشأ يقول
ما اقتل البين للنفوس وما * اوجع فقد الحبيب للكبد عرضت نفسي من البلاء لما * اسرف في مهجتي وفي جلدي
ياحسرتي أن اموت معتقلا * بين اختلاج الهموم والكمد في كل يوم تفيض معولة * عيني امضو يموت في جسدي
فقلت احسنت لافض فوك زدني فانشأ يقول الله يعلم انني كمد * لا استطيع ابث ما اجد

نفسان لى نفس تضمنها * بلد واخرى حازها باد واری المقيمة ليس ينفعها * صبر وليس يعينها جلد
وأظن غائبتى كشاهدتى * بمكانها تجد الذى أجد فقلت والله أحسنت فاستزدته فقال أراك كلما أنشدتك
استزدتنى وماذاك الا لفرط أدب وقراف شجن فانشدنى أنت أيضا فقلت للذى معى أنشده فانشا يقول

عذل و بين وتوديع ومرتحل * أى العيون على ذا ليس تنهمل * تالله ما جلدى من بعدهم جلد
ولا اختزان دموعى عنهم بخل * بلى وحرمة ما ألقى من خبل * قلبى اليهن مشتاق ومارحلوا
وددت أن البحار السبع لى مدد * وأن جسمى دموع كلها همل * وان لى بدلا من كل جائحة
فى كل جارحة يوم النوى مقل * لا دردر النوى لو صادفت جبلا * لانهد منها وشيكا ذلك الجبل
الهجر والبين والواشون والابل * طلائع يتراءى أنها الاجل فقال المجنون احسنت وقد حضرنى فى معنى
ماانشدت الى شعر أفانشده قلت هات فانشا يقول ترحلوا ثم نيطت دونهم سجف * لو كنت املكهم يوما لما رحلوا
يا حادى العيس مهلا كى نودعها * رفقا قليلا ففى توديعها الاجل * ماراعنى اليوم شئ غير فقدهم
حتى استقلت وسارت بالدمى الابل * انى على العهد لم انقض مودتهم * فليت شعرى وطال الدهر مافعلوا
قال المبرد فقال الفتى الذى معى ماتوا فقال المجنون آه آه ان ماتوا فسوف اموت وسقط ميتا فما برحت حتى غسل وكفن
وصليت عليه ودفنته ووردت سر من رأى فادخلت على المتوكل وقد عمل ٣١٧ فيه الشراب فسئلت عن بعض
ماوردت له فاجبت و بين يدى المتوكل البحترى الشاعر فابتدأ ينشده قصيدة يمدح بها المتوكل وفى المجلس أبو العتاهية الصيمرى فانشد البحترى قصيدته التى أولها
عن أى ثغر تبتسم * وباى طرف تحتكم
حسن يضىء بحسنه * والحسن أشبه بالكرم
قل للخليفة جعفر المتوكل بن المعتصم * المرتضى ابن المجتبى * والمنعم ابن المنتقم
أمّا الرعية فهى من * أمان عدلك فى حرم * يابانى المجد الذى * قد كان قوض فانهدم
اسلم لدين محمد * فاذا سلمت فقد سلم * نلنا الهدى بعد العمى * بك والغنى بعد العدم
فلما انتهى مثنى القهقرى للانصراف فوثب أبو العنبس فقال يا أمير المؤمنين تأمر برده فقد والله عارضته فى قصيدته هذه
فامر برده فاخذ أبو العنبس ينشد شيئا لولا أن فى تركه بتر الخبر لما ذكرناه وهو
من أى سلح تلتقم * وباى كف تلتطم ادخلت رأس البحترى * ابى عبادة فى الرحم
ووصل ذلك بما اشبهه من الشتم فضحك المتوكل حتى استلقى على قفاه وفحص برجله اليسرى وقال يدفع الى ابى العنبس عشرة
آلاف درهم فقال الفتح ياسيدى البحترى الذى هجى واسمع المكروه ينصرف خائبا قال ويدفع الى البحترى عشرة آلاف درهم
قال ياسيدى وهذا البصرى الذى اشخصناه من بلده لايشركهم فيما حصلوه قال و يدفع اليه عشرة آلاف درهم فانصرفنا
كلنا فى شفاعة الهزل ولم ينفع البحترى جده واجتهاده وحزمه ثم قال المتوكل لابى العنبس أخبرنى عن حمارك ووفاته وما كان
من شعره فى الرؤيا التى اريتها قال نعم يا امير المؤمنين كان اعقل من القضاة ولم يكن له جريه ولا زلة فاعتل على غفلة فمات منها
فرأيته فيما يرى النائم فقلت له يا حمارى الم ابرد لك الماء وانق لك الشعير واحسن اليك جهدى فلم مت على غفلة وما خبرك

وقال دع الحسود تعاتبه لظى حسده * حتى تراه لقى يموت من كمده
ما للحسود سوى الاعراض عنه وأن * يبقى الى كربه فى يومه وغده
وقال الناس حيث يكون الجاه والمال * خل عنك ولا تحفل بما قالوا
ودع من يقول العلم قصدهم * أو الصلاح أما تبدو له الحال
انظر لما اذاهم يسعون جهدهم * يبن لك الحق لا يعروه اشكال
وقال توسط فى الامور ولا تجاوز * الى الغايات فالغايات غى
كلا الطرفين مذموم اذا ما * نظرت واخذك المذموم عى
وقال عامل جميع الناس بالحسنى * ان شئت أن تحظى وأن تهنا
لاتسئ يوما الى أحد * وتجمع الراحة والامنا
وقال لا تفكر فللامور مدبر * وارض ما يفعل المهيمن واصبر
أنت عبد وحكم مولاك يجرى * بالذى قد قضى عليك وقدر

قال نعم لما كان في اليوم الذي وقفت على فلان الصيدلاني تكلمه في كذا وكذا مرت بي أتان حسناء فرأيتها فاخذت بمجامع قلبي فعشقتها واشتد وجدي بها فتت كدا متأسفا فقلت له يا حماري فهل قلت في ذلك شعرا قال نعم وأنشدني

هام قلبي بأتان * عند باب الصيدلاني تيمتني يوم رحنا * بثناياها الحسان
وبخدذي دلال * مثل خد الشنفراني فبها مت ولو عشت اذا طال هواني

قال فقلت يا حماري فما الشنفراني فقال هذا من غريب الحمير فطرب المتوكل وامر الملهين والمغنين أن يغنوا ذلك اليوم بشعر الحمار وفرح في ذلك اليوم فرحا وسرورا لم ير مثله وزاد في تكرمة أبي العنبس وجائزته (وحدث) أبو عبد الله محمد بن عرفة النحوي قال حدثنا محمد بن يزيد المبرد قال قال المتوكل لأبي الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهم ما يقول ولد أبيك في العباس بن عبد المطلب قال وما يقول ولد أبي يا أمير المؤمنين في رجل افترض الله طاعة بنيه على خلقه وافترض طاعته على بنيه فامر له بمائة ألف درهم وانما أراد أبو الحسن طاعة الله على بنيه فعرض وقد كان سعي بابي الحسن علي بن محمد الى المتوكل وقيل له ان في منزله سلاحا وكتبا وغيرها من شيعته فوجه اليه ليلا من الاتراك وغيرهم من هجم عليه في منزله على غفلة ممن في داره فوجد في بيت وحده مغلق عليه وعليه مدرعة من شعر ولا بساط في البيت الا الرمل والحصى وعلى رأسه ملحفة من الصوف متوجها الى ربه يترنم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد فاخذ على ما وجد عليه وحمل ٣١٨ الى المتوكل في جوف الليل فمثل بين يديه والمتوكل يشرب وفي يده كاس فلما رآه اعظمه وأجلسه الى جنبه ولم يكن في منزله شيء مما قيل فيه ولا حالة يتعلل عليه بها فناوله المتوكل الكاس الذي في يده فقال يا أمير المؤمنين ما خامر لحمي ودمي قط فاعفني منه فعافاه وقال أنشدني شعرا أستحسنه فقال اني لقليل الرواية للاشعار فقال لا بد أن تنشدني فأنشده

باتوا على قلل الاجبال تحرسهم * غلب الرجال فما أغنتهم القلل يثنى
واستنزلوا بعد عز عن معاقلهم * فاودعوا حفرا يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما قبروا * أين الاسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت منعمة * من دونها تضرب الاستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم * تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طالما أكلوا دهرا وما شربوا * فاصبحوا بعد طول الاكل قد أكلوا
وطالما عمروا دورا لتحصنهم * ففارقوا الدور والاهلين وانتقلوا
وطالما كنزوا الاموال وادخروا * فخلفوها على الاعداء وارتحلوا
أضحت منازلهم قفرا معطلة * وساكنوها الى الاجداث قد رحلوا

قال فاشفق من حضر على علي وظنوا أن بادرة تبدر منه اليه قال والله لقد بكى المتوكل بكاء طويلا حتى بلت دموعه لحيته وبكى من حضره ثم أمر برفع الشراب ثم قال له يا أبا الحسن أعليك دين قال نعم أربعة آلاف دينار فامر بدفعها اليه ورده الى منزله من ساعته مكرما * قال وكانت وفاة محمد بن سماعة القاضي صاحب محمد بن الحسن وصاحب أبي حنيفة في خلافة المتوكل وذلك في سنة ثلاثين ومائتين وهو ابن مائة سنة صحيح الجسم والعقل والحواس يفتض الابكار ويركب الخيل التي تقطف وتعنق لم ينكر من نفسه شيأ وحكى ابنه سماعة بن محمد بن سماعة قال قال لي أبي محمد بن سماعة وجدت في حياة سوار بن عبد الله قاضي المنصور كتابا له بخطه اراه من شعره أو أبيات استحسنها وهي

سلبت عظامي لحمها فتركتها * عواري في اجلادها تتكسر

وقال اذا رأيت القبيحا * فقل كلاما مليحا
وأغض واستر وسلم * وكن حليما صفوحا
تعش هنيأ وتلق * برا وشكرا صريحا

وقال من ينكر الاحسان لا توله * ما عشت احسانا فلا خير فيه
البذر في السباخ ما ان له * نفع فبذره فهو فعل السفيه

وقال من لم يكن ينفع في وده * دعه ولا تقم على عهده
ودبلا نفع عناء فلا * تعن بشيء حاد عن حده

وقال درمع الدهر كيفما * داران شئت تصحبه
ودع الحذق جانبا * ليس بالحذق تغلبه
وحذار انقلابه * فكثير تقلبه

وقال من ليس يغني في مغيب عنك لا * تحفل به فوداده مدخول

واخليت منها مخها فكأنها * قوارير فى اجوافها الريح تصفر * اذا سمعت ذكر الفراق ترعدت
فرائصها من خوف ما تحذر * خذى بيدى ثم ارفعى الثوب وانظرى * ضنى جسدى لكننى اتستر

ولمحمد بن سماعة تصنيفات حسان فى الفقه وروايات عن محمد بن الحسن وغيره منها كتاب نوادر المسائل عن محمد بن الحسن ألوف أوراق * وفى هذه السنة وهى سنة ثلاث وثلاثين ومائتين مات يحيى بن معين * وفى سنة خمس وثلاثين ومائتين مات أبو بكر بن أبى شيبة والقواريرى وكانا من علية أصحاب الحديث وحفاظهم وفيها مات اسحق بن ابراهيم بن مصعب وكان على بغداد وولى مكانه وله أخبار حسان قد أتينا على غررها فى كتابنا أخبار الزمان (ومن طريف) أخباره والمستحسن مما كان فى أيامه وسيره ببغداد ما حدث به عنه موسى بن صالح بن سيح بن عميرة الاسدى أنه رأى فى منامه كأن النبى صلى الله عليه وسلم يقول له أطلق القاتل فارتاع لذلك روعا عظيما ونظر فى الكتب الواردة لاصحاب الحبوس فلم يجد فيها ذكر قاتل فامر باحضار السندى وعباس فسألهما هل رفع اليهما أحد ادعى عليه بالقتل فقال له العباس نعم وقد كتبنا بخبره فاعاد النظر فوجد الكتاب فى أضعاف القراطيس واذا الرجل قد شهد عليه بالقتل وأقر به فامر اسحق باحضاره فلما دخل عليه ورأى ما به من الارتياع قال له ان صدقتنى أطلقتك فابتدأ يخبره بخبره وذكر انه كان هو وعدة من أصحابه يرتكبون كل عظيمة ويستحلون كل محرم وانه كان اجتماعهم فى منزل بمدينة أبى جعفر المنصور يعتكفون فيه على كل بلية فلما كان فى هذا اليوم جاءتهم عجوز كانت تختلف اليهم للفساد ومعها جارية بارعة الجمال فلما توسطت الجارية الدار صرخت صرخة فبادرت اليها من بين أصحابى فأدخلتها بيتا وسكنت روعها وسألتها عن قصتها فقالت الله الله فى فان هذه العجوز خدعتنى وأعلمتنى أن فى خزانتها حقا لم ير مثله فشوقتنى الى النظر الى ما فيه فخرجت معها واثقة بقولها فهجمت بى عليكم وجدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمى فاطمة وأبى الحسن بن على فاحفظوهم فى قال الرجل فضمنت خلاصها وخرجت الى أصحابى فعرفتهم فكأنى أغريتهم بها وقالوا لما قضيت حاجتك منها أردت صرفنا عنها وبادروا اليها ووقفت دونها أمنع عنها فتفاقم الامر بيننا الى أن نالتنى جراح فعمدت الى أشدهم كان فى أمرها وأكلبهم على هتكها فقتلته ولم أزل امنع عنها الى أن خلصتها سالمة وتخلصت الجارية آمنة مما خافته على نفسها فاخرجتها من الدار فسمعتها تقول سترك الله كما سترتنى وكان لك كما كنت لى وسمع الجيران الضجة فتبادروا الينا والسكين فى يدى والرجل يتشحط فى دمه فرفعت على هذه الحالة فقال لى اسحق قد عرفت لك ما كان من حفظك للمرأة ووهبتك لله ورسوله قال وحق من وهبنى له لاعاودت معصية ولادخلت فى ريبة حتى ألقى الله فاخبره اسحق بالرؤيا التى رآها وأن الله لم يضيع له ذلك وعرض عليه برا واسعا فأبى قبول شئ من ذلك * وفى سنة تسع وثلاثين ومائتين رضى المتوكل عن أبى محمد يحيى ابن أكثم الضبعى فاشخص الى سر من رأى وولى قضاء القضاة وسخط على أحمد بن أبى دواد وولده أبى الوليد محمد بن أحمد وكان على القضاء وأخذ من أبى الوليد مائة ألف وعشرين ألف دينار وجوهرا بأربعين ألف دينار وأحدر الى بغداد وقد كان أبو عبد الله أحمد بن أبى دواد فلج بعد موت عدوه ابن الزيات بسبعة وأربعين يوما وذلك فى سنة ثلاث وثلاثين وفى سنة أربعين ومائتين كانت وفاة أبى عبد الله أحمد بن أبى دواد بعد وفاة أبى الوليد محمد بن أحمد بعشرين يوما وكان ممن أدى الله الخير على يديه على ما اشتهر من أمره وسهل الله سبيله اليه وحبب اليه المعروف وفعله (وذكر) ان المعتصم كان بالجوسق يوما مع

يثنى عليك وأنت معه حاضر * فاذا تغيب يكون عنك بمعزل
وقال
دع نصح من يعجبه رأيه * ومن يرى يحجبه سعيه
النصح ارشاد فلا توله * الا فتى يحزنه غيه
لا يقبل النصح سوى مهتد * يقوده لرشده هديه
وقال
البخت أفضل ما يؤتى الفتى فاذا * يفوته البخت لا ينفك يتصنع
يكفيك فى البخت تيسير الامور وأن * يكون ما ليس ترضى عنك يندفع
وقال
افعل الخير ما استطعت ففعل الـ * خير ذكر لفاعليه وذخر
وتواضع تنل علاء وعزا * فاتضاع النفوس عز وفخر
وقال
صديق المرء درهمه * به ما دام يعظمه
فصنه ما استطعت ولا * تكن فى اللهو تعدمه
ففقر المرء ميتته * لذا تغدو فترجمه

ندمائه وقد عزم على الاصطباح وأمر كل واحد منهم ان يطبخ قدرا اذ بصر بسلامة غلام ابن ابى دواد فقال هذا غلام ابن ابى دواد يتعرف خبرنا والساعة يأتى فيقول فلان الهاشمى وفلان القرشى وفلان الانصارى وفلان العربى فيعطلنا بحوائجه عما عزمنا عليه وانا اشهدكم انى لا أقضى اليوم له حاجة فلم يكن بين قوله وبين استئذان الاتباع لابى عبد الله الاهنيهة فقال لجلسائه كيف ترون قولى قالوا ولا تاذن له قال سؤالكم حمى سنة اهون على من ذلك ودخل فما هو الا ان سلم وجلس وتكلم حتى اسفر وجه المعتصم وضحكت اليه جوارحه ثم قال له يا أبا عبد الله قد طبخ كل واحد من هؤلاء قدرا وقد جعلناك حكما فى طبخها قال فلتحضر ثم آكل ثم أحكم بحكم بعلم فحملت اليه القدور ووضعت بين يديه فجعل يأكل من اول قدر أكلا تاما فقال له المعتصم هذا ظلم قال وكيف ذلك قال لانى اراك قد امعنت فى هذا اللون وستحكم لصاحبه قال يا امير المؤمنين على ان آكل من هذه القدور كلها كما اكلته من هذا القدر فتبسم له المعتصم وقال له شأنك اذا فأكل كما قال ثم قال أما هذه فقد احسن طابخها اذ أكثر فلفلها واقل كمونها وأما هذه فقد اجاد طابخها اذ اكثر خلها واقل زيتها واما هذه فقد طيبها طابخها باعتدال توابلها واما هذه فقد حذق من عملها بقلة مائها وكثرة مرقها حتى وصف القدور بصفات سر اهلها بها ثم اكل مع القوم كما اكلوا انظف اكل واحسنه مرة يحدثهم باخبار الاكلة فى صدر الاسلام معاوية بن ابى سفيان وعبيد الله بن زياد والحجاج بن يوسف وسليمان بن عبد الملك ومرة يحدثهم عن اكلة دهره مثل ميسرة التمار ودورق القصاب وحاتم الكيال واسحق الحمامى فلما رفعت الموائد قال له المعتصم ألك حاجة يا أبا عبد الله قال نعم يا أمير المؤمنين قال اذكرها فان أصحابنا يريدون أن يتشاغلوا قال نعم يا أمير المؤمنين رجل من أهلك وطئه الدهر فغير حاله وخشن معيشته قال ومن هو قال سليمان بن عبد الله النوفلى قال قدر له ما يصلحه قال خمسين ألف درهم قال انفذت ذلك له قال وحاجة أخرى قال وما هى قال ضياع ابراهيم بن المعتمر تردها له قال قد فعلت قال وحاجة أخرى قال قد فعلت قال فوالله ماخرج حتى سأل ثلاث عشرة حاجة لا يرده عن شىء منها حتى قام خطيبا فقال يا أمير المؤمنين ربما عمرك الله طويلا فبعمرك تخصب جنات رعيتك ويلين عيشهم وتثمر أموالهم ولا زلت ممتعا بالسلامة محبوا بالكرامة مرفوعا عنك حوادث الأيام وغيرها ثم انصرف فقال المعتصم هذا والله الذى يتزين بمثله ويبتهج بقربه ويعد به ألوف من جنسه أما رأيتم كيف دخل وكيف سلم وكيف تكلم وكيف أكل وكيف وصف القدور ثم انبسط فى الحديث وكيف طاب أكلنا ما يرد هذا عن حاجة الا اللئيم الاصل خبيث الفرع والله لو سألنى فى مجلسى هذا ما قيمته عشرة آلاف ألف درهم ما رددته عنها وأنا أعلم انه يكسبنى فى الدنيا حمدا وفى الآخرة ثوابا * وفى أحمد بن أبى دواد يقول الطائى

لقد أنسى مساوى كل دهر * محاسن أحمد بن أبى دواد * فما سافرت فى الآفاق الا
ومن جدواه راحلتى وزادى * مقيم الظن عندك والامانى * وان قلقت ركابى فى البلاد

(وحكى) عن الفتح بن خاقان قال كنت عند المتوكل وقد عزم على الصبوح بالجعفرى وقد وجه خلف الندماء والمغنين قال فجعلنا نطوف وهو متكئ على وأنا أحادثه حتى وصلنا الى موضع نشرف منه على الخليج فدعا بكرسى فقعد عليه واقبل يحادثنى اذ بصر بسفينة مشدودة بالقرب من شاطئ الخليج وملاح بين يديه قدر كبيرة يطبخ فيها اسكباج من لحم بقر وقد فاحت روائحها فقال يا فتح رائحة قدر سكباج والله ويحك أما ترى ما اطيب رائحتها على بها على حالها فبادر الفراشون

وقال
لاتقرب ما اسطعت خل عدو * فخليل العدو حليف عداوه
وتحفظ منه ودار به وانظر * هل ترى من سيماه الا القساوه

وقال
لا تعتذر كرما مضى فهو أمر * قد تقضى وقد مضى لسبيله
وتكلم فيما تريد من الآتى * ودبر للشىء قبل حلوله

وقال
قساوة المرء من شقائه فاذا * يلين ساد بلا اين ولا نصب
لا يرحم الله الا الراحمين فمن * يرحم ينل رحمة فى كل منقلب

وقال
جئ بالسماح اذا ما جئت فى غرض * ففى العبوس لدى الحاجات تصعيب
سماحة المرء تنبى عن فضيلته * فلا يكن منك مهما اسطعت تقطيب

وقال
لا تسامح يوما دنيا اذا ما * قال فى فاضل كلاما رديا
ان قصد الدنى انزال أهل الفضل حتى يرى عليهم عليا

وقال
خذ من القول بعضه فهو أولى * وتحفظ مما يقول العداة

فانتزعوها من بين يدى الملاحين فلما عاين الملاحون اصحاب السفينة ما فعل بهم ذهبت نفوسهم فرقا وخوفا وجاؤا المتوكل بالقدر تفور كهيئتها فوضعت بين ايدينا فاستطاب ريحها واستحسن لونها ودعا برغيف فكسر منه كسرة ودفعها الى وأخذ هو منه مثلها واكل كل واحد منا ثلاث لقم واقبل الندماء والمغنون فجعل يلقم كل واحد منهم لقمة من القدر واقبل الطعام ووضعت الموائد فلما فرغ من اكله امر بتلك القدر ففرغت وغسلت بين يديه وامر ان تملأ دراهم فجيء ببدرة ففرغت فيها ففضل من الدراهم مقدار ألفى درهم فقال لخادم كان بين يديه خذ هذه القدر فامض بها حتى تدفعها الى من طبخها وما فضل من هذه البدرة من الدراهم هو هبة له على تجويده طبخها قال الفتح فكان المتوكل كثيرا ما يقول اذا ذكر قدر الملاح ما أكلت أحسن من سكباج أصحاب السفينة فى ذلك اليوم ❊ وأخبرنا القاسم بن جعفر بن محمد بن حمدان الموصلى الفقيه بجهينة وكان من حديثه الموصل قال حدثنا أبو الحسن الصالحى قال قال الجاحظ ذكرت لامير المؤمنين المتوكل لتاديب بعض ولده فلما رآنى استشع منظرى فامر لى بعشرة آلاف درهم وصرفنى وخرجت من عنده فلقيت محمد بن ابراهيم وهو يريد الانصراف الى مدينة السلام فعرض على الخروج معه والانحدار فى حراقته فركبنا فيها فلما أتينا فم نهر القاطول وخرجنا من سامرا نصب ستارته وأمر بالغناء فاندفعت عوّادة فغنت

كل يوم قطيعة وعتاب ❊ ينقضى دهرنا ونحن غضاب

ليت شعرى أنا خصصت بهذا ❊ دون ذا الخلق أم كذا الاحباب

وسكتت فامر الطنبورية فغنت

وارحمتا للعاشقينا ❊ ما ان أرى لهم معينا

كم يهجرون ويصرمو ❊ ن ويقطعون فيصبرونا ٣٢١

قال فقالت هذه العوّادة فيصنعون ماذا قالت هكذا يصنعون وضربت بيدها الى الستارة فهتكتها وبرزت كانها فلقة قمر فزجت بنفسها الى الماء وعلى رأس محمد غلام يضاهيها فى الجمال وبيده مذبة فاتى الموضع ونظر اليها وهى تمر بين الماء فانشا يقول

وأنا الذى غرقتنى ❊ بعد القضا لو تعلمينا

٤١ ط ث

فزج بنفسه فى أثرها فادار الملاح الحراقة فاذا بهما معتنقان ثم غاصا فلم يريا فهال ذلك محمدا واستعظمه وقال يا عمرو لتحدثنى حديثا يسلينى عن فقد هذين والا ألحقتك بهما قال فحضرنى حديث يزيد بن عبد الملك وقد قعد للمظالم وعرضت عليه القصص فمرت به قصة فيها ان رأى أمير المؤمنين أعزه الله أن يخرج جاريته فلانة حتى تغنينى ثلاثة أصوات فعل فاغتاظ يزيد وأمر من يخرج اليه ويأتيه برأسه ثم أمر بان يتبع الرسول برسول آخر يامره أن يدخل اليه الرجل فلما وقف بين يديه قال له ما الذى حملك على ما صنعت قال الثقة بحلمك والاتكال على عفوك فامره بالجلوس حتى لم يبق أحد من بنى أمية الا خرج ثم أمر فاخرجت الجارية ومعها عودها فقال لها الفتى غنى

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل ❊ وان كنت قد أزمعت صرمى فاجملى

فغنته فقال له يزيد قل قال غنى

تألق البرق نجديا فقلت له ❊ يا أيها البرق انى عنك مشغول

فغنته فقال قل قال

يكفيك عنى عدوّ ثائر حنق ❊ فى كفه صارم كالملح مسلول

يامر لى برطل خمر فما استتم شرابه حتى وثب وصعد على أعلى قبة ليزيد فرمى بنفسه على دماغه فمات فقال يزيد انا لله وانا اليه راجعون أتراه الاحمق الجاهل ظن انى أخرج اليه جاريتى وأردها الى مالى يا غلمان خذوا بيدها واحملوها الى أهله ان كان له أهل والا فبيعوها وتصدقوا بثمنها عنه فانطلقوا بها الى أهله فلما توسطت الدار نظرت الى حفرة فى دار يزيد قد أعدت للمطر فجذبت نفسها من أيديهم وأنشأت تقول

من مات عشقا فليمت هكذا ❊ لا خير فى عشق بلا موت

ربما تأخذ الكلام بجد ❊ وهو هزل قد دققته عداة

فاحترز من غرور الاقوال واعلم ❊ أن الاقوال بعضها كذبات

وقال

نافس الاخيار كيما ❊ تحرز المجد الاثيلا

لا تكن مثل سراب ❊ رىء لم يشف غليلا

انما أنت حديث ❊ فلتكن ذكرا جميلا

وقال

الصمت عز حاضر ❊ وسلامة من كل شر

فاذا نطقت فلا تكثر واجتنب قول الهذر

وحذار مما يتقى ❊ وحذار من طرق الغرر

وقال

سلامة الانسان فى وحدته ❊ وأنسه فيها وفى حرفته

ما بقى اليوم صديق ولا ❊ من ترتجى النصرة فى صحبته

فقر فى بيتك تسلم ودع ❊ من أبتلى بالناس فى محنته

فزجت بنفسها على دماغها فماتت فسرى عن محمد وأحسن صلاتي وقيل ان هذا الخبر انما كان مع سليمان بن عبد الملك قال
فذكرت هذا الحديث لابي عبد الله محمد بن جعفر الاخباري بالبصرة فقال أنا اخبرك بنحو من هذا الحديث الذي حدثني به
حدثني واثق الخادم وكان مولى لمحمد بن حميد الطوسي أن محمد بن حميد كان جالسا مع ندمائه يوما فغنت جارية من وراء الستارة

ياقمر الغصن متى تطلع * أشقى وغيري بك يستمتع
ان كان ربي قد قضى ما أرى * منك على رأسي فما أصنع

وعلى رأس محمد غلام بيده قدح يسقيه فرمى بالقدح عن يده وقال تصنعين هكذا ورمى بنفسه من الدار الى دجلة فهتكت
الجارية الستارة ثم رمت بنفسها على اثره فنزلت الغلمة خلفهما فلم يجدوا احدا منهما فقطع محمد الشراب وقام عن مجلسه (قال
المسعودي) وفي سنة ثلاث وثلاثين ومائتين سخط المتوكل على عمر بن مصرح الرخجي وكان من علية الكتاب وأخذ منه مالا
وجوهرا نحو مائة ألف وعشرين ألف دينار وأخذ من اخيه نحوا من مائة ألف وخمسين الف دينار ثم صولح محمد على احد
وعشرين ألف ألف درهم على أن يرد اليه ضياعه ثم غضب عليه غضبة ثانية وأمر ان يصفع في كل يوم فاحصى ما صفع فكان
ستة آلاف صفعة وألبسه جبة صوف ثم رضي عنه وسخط عليه ثالثة وأحدر الى بغداد واقام بها حتى مات * وأهدى المؤيد
الى المتوكل قارورة دهن وكتب اليه ان الهدية اذا كانت من الصغير الى الكبير فلطفت ودقت كان ابهى لها وأحسن وان
كانت من الكبير الى الصغير فعظمت كان ارفع لها وأنفع (قال المسعودي) وكانت وفاة احمد بن حنبل

في خلافة المتوكل بمدينة السلام وذلك في شهر ربيع الآخر سنة احدى وأربعين ومائتين ودفن بباب حرب في الجانب الغربي وصلى عليه محمد ابن طاهر وحضر جنازته خلق من الناس لم ير مثل ذلك اليوم والاجتماع في جنازة من سلف قبله وكان للعامة فيه كلام كثير جرى بينهم بالعكس والضد في
الأمور منها ان رجلا منهم كان ينادي العنوا الواقف عند الشبهات وهذا بالضد عما جاء عن صاحب الشريعة وقال
عليه السلام في ذلك وكان عظيم من عظمائهم ومقدم فيهم يقف موقفا بعد موقف أمام الجنازة وينادي باعلى صوته

واظلمت الدنيا لفقد محمد * واظلمت الدنيا لفقد ابن حنبل

يريد بذلك ان الدنيا اظلمت عند وفاة محمد عليه السلام وأنها أظلمت عند موت ابن حنبل كظلمتها عند موت الرسول صلى
الله عليه وسلم * وفي هذه السنة انقضت الكواكب الانقضاض الذي لم ير مثله قط وذلك في ليلة الخميس لست خلون من
جمادى الآخرة وقد كان في سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة انقضاض الكواكب عظيم هائل وهي الليلة التي وقعت فيها
القرامطة بحاج العراق من طريق الكوفة وذلك في ذي القعدة من سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة * وفي السنة التي مات فيها
ابن حنبل كانت وفاة محمد بن عبد الله بن محمد الاسكافي وكان من اهل النظر والبحث وما عليه أهل العدل وكانت وفاة
جعفر بن المبشر سنة اربع وثلاثين ومائتين وكان من كبار اهل العدالة واهل الديانة من البغداديين ومات جعفر بن
حرب سنة ست وثلاثين ومائتين وهو رجل من همدان ووجوه قحطان والى أبيه يضاف شارع باب حرب في الجانب
الغربي من مدينة السلام وهو شيخ البغداديين من المتكلمين ومات عيسى بن طليح سنة خمس وأربعين ومائتين وكان
من حذاقهم وأهل الديانات منهم وذكر أبو الحسن الخياط أن أبا الهذيل محمد بن الهذيل كانت وفاته سنة سبع وعشرين
ومائتين ثم تنازع أصحابه في مولده فقال قوم سنة احدى وثلاثين ومائة وقد كان أبو الهذيل هذا اجتمع مع هشام بن الحكم

وقال
مطاوعة النساء الى الندامه * وتوقع في المهانة والغرامه
فلا تطع الهوى فيهن واعدل * ففي العدل الترضي والسلامه

وقال
كانت مشاورة الاخوان في زمن * قول المشاور فيهم غير متهم
والآن قد يخدع الذي تشاوره * اثماتا وحسدا يلقيك في الندم
فاضرع الى الله فيما أنت تقصده * يهديك للرشد في الافعال والكلم

وقال
عد عمن يراك تصغر عنه * وتحفظ من قدر به وأبنه
ان من لا يراك في الناس خيرا * منه فالخير في التحفظ منه

وقال
رزانة المرء تعلي قدره أبدا * وطيشه مسقط له وان شرفا
فاربأ بنفسك من طيش تعاب به * وان تكن حزت معه العلم والشرفا

وقال
الصدق عز فلا تعدل عن الصدق * واحذر من الكذب المذموم في الخلق
من لازم الصدق هابته الورى وعلا * فالزمه دأبا تفز بالعز والسبق

الكوفى الجرار وكان هشام شيخ المجسمة والرافضة فى وقته ممن وافقه على مذهبه وكان أبو الهذيل يذهب الى نفى التجسيم ورفع التشبيه والى ضد قول هشام فى التوحيد والامامة فقال هشام لابى الهذيل اذا زعمت أن الحركة ترى فلم لا زعمت أنها تلمس قال لانها ليست بجسم فيلمس لان اللمس انما يقع على الاجسام فقال له هشام فقل أيضا انها لا ترى لان الرؤية انما تقع على الاجسام فرجع ابو الهذيل سائلا فقال له من اين قلت ان الصفة ليست الموصوف ولا غيره قال هشام من قبل انه يستحيل أن يكون فعلى أنا ويستحيل أن يكون غيرى لان التغاير انما أوقعه على الاجسام والاعيان القائمة بانفسها فلما لم يكن فعلى قائما بنفسه ولم يجز أن يكون فعلى انا وجب انه لا انا ولا غيرى وعلة أخرى أنت قائل بها زعمت يا أبا الهذيل أن الحركة ليست مماسة ولا مباينة لانها عندك مما لا يجوز عليه المماسة ولا المباينة فلذلك قلت انا ان الصفة ليست انا ولا غيرى وعلتى فى أنها ليست أنا ولا غيرى علتك فى انها لا تماس ولا تباين فانقطع أبو الهذيل ولم يرد جوابا * وكانت وفاة أبى موسى الفراء سنة ست وعشرين ومائتين وكان من شيوخ العدلية وكبار المتكلمين من البغداديين ومات واصل بن عطاء ويكنى بابى خزيمة فى سنة احدى وثلاثين ومائتين وهو شيخ المعتزلة وقديمها وأول من أظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين وهو أن الفاسق من أهل الملة ليس بمؤمن ولا كافر وبه سميت المعتزلة وهو الاعتزال وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب فى أخبار بنى أمية قول المعتزلة فى الاصول الخمسة فأغنى ذلك عن اعادته وكذلك فيما سلف من كتبنا خبر عمرو بن عبيد ووفاته وكان شيخ المعتزلة والمتقدمين فيها وأن وفاته كانت سنة سبع وأربعين ومائة وقد كان عمرو بن عبيد اجتمع

مع هشام بن الحكم وهشام يذهب الى القول بان الامامة نص من الله ورسوله على على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وعلى من يلى عصره من ولده الطاهرين كالحسن والحسين ومن يلى أيامهم وعمرو يذهب الى أن الامامة اختيار من الامة فى سائر الاعصار فقال هشام لعمرو بن عبيد لم خلق الله لك عينين قال لانظر بهما الى ما خلق الله من السموات والارض وغير ذلك فيكون ذلك دليلا لى عليه فقال هشام فلم خلق الله لك سمعا قال لاسمع به التحليل والتحريم والامر والنهى فقال له هشام فلم خلق الله لك قلبا قال عمرو لتكون هذه الحواس مؤدية اليه فيكون مميزا بين منافعها ومضارها قال هشام فكان يجوز أن يخلق الله سائر حواسك ولا يخلق لك قلبا تؤدى هذه الحواس اليه قال عمرو لا فقال هشام ولم قال لان القلب باعث لهذه الحواس على ما يصلح له فلما لم يخلق الله فيها انبعاثا من نفسها استحال أن لا يخلق لها باعثا يبعثها على ما خلقت له الا بخلق القلب فيكون هو الباعث لها على ما تفعله والمميز لها بين مضارها ومنافعها ويكون الامام من الخلق بمنزلة القلب من سائر الحواس اذ كانت الحواس راجعة الى القلب لا الى غيره ويكون سائر الخلق راجعين الى الامام لا الى غيره فلم يأت عمرو بفرق يعرف وهذا الذى حكيناه ذكره أبو عيسى محمد بن هرون الوراق ببغداد فى كتابه المعروف بكتاب المجالس وكانت وفاة أبى عيسى بالرملة سنة سبع وأربعين ومائتين وله تصنيفات كثيرة منها كتابه فى المقالات فى الامامة وغيرها من النظر وكانت وفاة أبى الحسين أحمد بن يحيى بن اسحق الراوندى برحبة مالك بن طوق وقيل ببغداد سنة خمس ومائتين وله نحو من أربعين سنة وله كتب مصنفة مائة كتاب وأربعة عشر كتابا وقد ذكرنا فى كتابنا فى أخبار الزمان وفاة أرباب المقالات وأهل المذاهب والجدل والآراء والنحل واخبارهم ومناظراتهم وتباينهم فى مذاهبهم وكذلك فى الكتاب الأوسط الى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وانما يسنح لنا ذكر بعضهم فى هذا الكتاب

وقال
ليس التفضل يا أخى أن تحسنا * لأخ يجازى بالجميل من الثنا
ان التفضل أن تجازى من أسا * لك بالجميل وأنت عنه فى غنى

وقال
من واصل اللذات لابد أن * تعقبه منها الندامات
فخذ من اللذات واترك ولا * تسرف ففى الاسراف آفات

وقال
دع معجبا بنفسه * فى غيه ولبسه
لا يقبل النصح لما * من نخوة برأسه
خله لكيده * وعجبه بنفسه

وقال
عتب الصديق دلالة * منه على صدق الموده
فاذا يقول فقصده التنزيه عما قام عنده
فاحلم اذا عتب الصديق ولا تخيب فيك قصده

وقال
ترتجى فى النوائب الاخوان * هم لدى كل شدة أعوان

فنذكرهم لما او كذلك لغيرهم من الفقهاء وأصحاب الحديث وفيها مات ابراهيم بن العباس الصولى الكاتب وكان كاتبا بليغا وشاعرا مجيدا لا يعلم فيمن تقدم وتأخر من الكتاب أشعر منه وكان يكتسب فى حداثته بشعره ورحل الى الملوك والامراء ومدحهم طالبا لجدواهم وذكر رجل من الكتاب أن اسحق بن ابراهيم أخا زيد بن ابراهيم حدثه انه كان يتقلد الصيمرة والسيروان وأن ابراهيم بن العباس اجتاز به يريد خراسان والمامون بها وقد بايع بالعهد لعلى بن موسى الرضى وقد امتدحه بشعر يذكر فيه فضل آل على وأنهم أحق بالخلافة من غيرهم قال فاستحسنت القصيدة فسألته أن ينسخها لى ففعل و وهبت له ألف درهم وحملته على دابة وضرب الدهر من ضربه الى أن ولى ديوان الضياع مكان موسى بن عبد الملك وكنت أحد عمال موسى وكان يحب أن يكشف أسباب موسى فعزلنى وأمر أن تعمل مؤامرة فعملت وكثر على فيها وحضرت للمناظرة عنها فجعلت احتج بما لا يدفع فلا يقبله ويحكم لى الكتاب فلا يلتفت الى حكمهم ويسمعنى فى خلال ذلك بدعا من الكلام الى أن أوجب على الكتاب اليمين على باب من الابواب فحلفت عليه فقال ليست يمين السلطان عندك يمينا لانك رافضى فقلت له تاذن لى فى الدنو منك فاذن لى فقلت ليس مع تعريضك بمهجتى للقتل صبر وهاهو المتوكل ان كتبت اليه بما يسمع منك لم آمنه على نفسى وقد احتملت كل ماجرى سوى الرفض والرافضى من زعم أن على بن أبى طالب أفضل من العباس وأن ولده احق من ولد العباس بالخلافة قال ومن ذلك قلت أنت وخطك عندى به وأخبرته بالشعر فوالله ماهو الا أن قلت ذلك له حتى سقط فى يده ثم قال أحضر الدفتر الذى بخطى فقلت له هيهات لا والله أو توثق لى بما أسكن اليه أنك لا تطالبنى بشئ ٣٢٤ عما جرى على يدى وتخرق هذه المؤامرة ولا تنظر لى فى حساب فحلف لى على ذلك وخرق العمل المعمول واحضرته الدفتر فوضعه فى خفه وانصرفت وقد زالت عنى المطالبة * ولابراهيم بن العباس مكاتبات قد دونت وفصول حسان من كلامه قد جمعت قد أتينا على كثير منها فى الكتاب الاوسط فما استحسن من فصوله وان كانت كلها فى نهاية الجودة وانتخبناه من كلامه وقال

وقد ما غذت المعصية أبناءها فحلبت عليهم من درها مرضعة وبسطت لهم من أمانيها مطمعة وركبت فيهم مخاطرها موضعة حتى إذا رتعوا فامنوا وركبوا فاطمأنوا وانقضى رضاع وآن فطام سقتهم سما فجرت مجارى ألبانها منها دما وأعقبتهم من غذائها مرا وخطت بهم من معقل الى عقال ومن عز الى حسرة قتلا وأسرا واباحة وقسرا وقل من أوضع فى الفتنة مرهبا فى لهبها ومقتحما عند ضلالها الا استقصمته آخذة بخنقه وموهنة بالحق كيده حتى تجعله لعاجله جزرا ولا جله حطبا وللحق موعظة وللباطل حجة ذلك لهم جزاء فى الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر وما ربك بظلام للعبيد وله أشعار حسان فما استحسن من شعره الذى لم يسبقه عنده جماعة أهل الادب أحد من زمانه قوله لنا ابل كوم يضيق بها الفضا * ويفتر عنها أرضها وسماؤها فمن دونها أن تستباح دماؤنا * ومن دوننا أن تستدام دماؤها * حمى وقرى فالموت دون مرامها * وأهون خطب فى الحقوق فناؤها وقوله ولكن الجواد أبا هشام * وفى العهد مأمون المغيب وقوله ومن ذخرت زمانى * شنأت فى الخلان ومن ذخرت لنفسى * فما دخر الزمان لو قيل لى خذ أمانا * من أعظم الحدثان لما أخذت أمانا * الا من الاخوان وقوله واذا جزى الله امرأ بفعاله * فجزى اخالك ماجدا اسمعا نبهته من كذبه فكأنما * نبهت اذ نبهته صبحا ومما يجب على الرؤساء أن يحفظوه قوله تزيده الايام ان أقبلت * حزما وعلما بتصاريفها

فاذا لم يشاركوا فسواء * هم والاعداء كيفما قد كانوا

وقال انصر أخاك على علاته أبدا * تهب وتسلك سبيل العز والظفر
ولا تدعه الى الاشمات مطرحا * فان ذلك عين الذل والصغر

وقال من عز كانت له الايام خادمة * تريه آماله فى كل ما حين
ومن يهن أولعت فيه المدى وأرت * له النوائب فى أنوابها الجون

وقال خل المنجم يهذى فى غوايته * واقصد الى الله رب النجم والفلك
لو كان للنجم حكم لم تجد أحدا * يخالف النجم الا تهدى فى درك

وقال حماية المرء لمن يصحب * تدل أن أصله طيب
لا خير فيمن لا يرى ناصرا * صديقه وهواه ينسب

وقال يا عاتبا من لا له همة * ألا اتئد الى متى تعتب
هل يسمع الميت أو يبصر الاعمى محال كل ما تطلب

كأنها في وقت اسعافها * تسمعه صوت تخاريفها   ومما أحسن فيه وبرز عن نظرائه قوله
سقيا ورعيا الايام لنا سلفت * بكيت منها فصرت اليوم أبكيها   كذاك أيامنا لاشك نندبها * اذا تقضت ونحن اليوم نشكوها
وقوله   أولى البرية طرا أن تواسيه * عند السرور لمن واساك في الحزن * ان الكرام اذا ما أسهلوا ذكروا *
من كان يألفهم في المنزل الخشن   وقوله   لا تأمني فان هملك أن تشترى وهمي مكارم الاخلاق
كيف يستطيع حفظ ما جمعت * كفاه من ذاق لذة الانفاق   وقوله   أسد ضار اذا ماهجته * وأب بر اذا ما قدرا
يعلم الاقصى اذا أثرى ولا * يعلم الادنى اذا ما افتقرا   وكان ابراهيم بن العباس يقول مثل أصحاب السلطان مثل قوم
علوا جبلا ثم وقعوا منه فكان أقربهم الى التلف أبعدهم في الارتقاء وكان ابراهيم يدعى خؤولة العباس بن الاحنف
الشاعر (وحكى) أبو العباس احمد بن جعفر بن حمدان القاضي عن سليمان بن الحسن بن مخلد عن أبيه الحسن قال أنشدهم
ابراهيم بن العباس قول العباس بن الاحنف   ان قال لم يفعل وان سيل لم * يبذل وان عوتب لم يعتب
صب بهجراني ولو قال لي * لا تشرب البارد لم أشرب   فقال هذا والله الشعر الحسن المعنى السهل اللفظ العذب المستمع
القليل النظير ما سمعت كلاما أجزل منه في رقة ولا أسهل في صعوبة ولا أبلغ في انصاف من هذا فقال له الحسن كلامك والله
أحسن من شعره ومما استحسن من شعر العباس بن الاحنف قوله تحمل عظيم الذنب ممن تحبه * وان كنت مظلوما فقل أنا الظالم
فطوبى لمن أغفى من الليل ساعة * وذاق اغتماضا ان ذاك لناعم وقوله   ٢٢٥   اصرف فؤادك يا عباس معتمدا *
عنها والاثم في حبها كذا
لو أنها من وراء الروم في بلد
ما كنت أسكن الا ذلك البلدا
يا من شكا شوقه من هول غيبته
اصبر لعلك تلقى ما تحب غدا
وقوله
أغب الزيارة لما بدا
له الهجر او بعض أسبابه
وما صد عنا ولكنه
طريد ملالة أحبابه (حدثنا) أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي قال حدثنا الرياشي قال ذكر جماعة من أهل البصرة قالوا
خرجنا نريد الحج فلما كنا ببعض الطريق اذا غلام واقف على المحجة وهو ينادي يا أيها الناس هل فيكم أحد من أهل البصرة
قال فلنا اليه وقلنا له ما تريد قال ان مولاي لما به يريد أن يوصيكم فلنا معه فاذا بشخص ملقى على بعد من الطريق تحت
شجرة لا يحير جوابا فجلسنا حوله فاحس بنا فرفع طرفه وهو لا يكاد يرفعه ضعفا وأنشأ يقول
يا غريب الدار عن وطنه * مفردا يبكي على شجنه   كلما جد البكاء به * دبت الاسقام في بدنه
ثم أغمى عليه طويلا وانا لجلوس حوله اذ أقبل طائر فوقع على أعلى الشجرة وجعل يغرد ففتح الفتى عينيه وجعل يسمع تغريد
الطائر ثم قال   ولقد زاد الفؤاد شجى * طائر يبكي على فننه   شفه ما شفني فبكى * كلنا يبكي على سكنه
قال ثم تنفس تنفسا فاضت نفسه منه فلم نبرح من عنده حتى غسلناه وكفناه وتولينا الصلاة عليه فلما فرغنا من دفنه سألنا
الغلام عنه فقال هذا العباس بن الاحنف وقد أخبرنا بهذا الخبر أبو اسحق الزجاجي النحوي عن أبي العباس المبرد عن المازني
قال حدثنا جماعة من أهل البصرة بما ذكرناه   وكانت وفاة أبي ثور ابراهيم بن مخلد الكلبي سنة أربعين ومائتين وفي سنة اثنتين
وثلاثين ومائتين نفى المتوكل علي بن الجهم الشاعر الى خراسان وقيل في سنة تسع وثلاثين ومائتين وقد أتينا على خبره وما
كان من أمره ورجوعه بعد ذلك الى العراق وخروجه يريد السفر وذلك في سنة تسع وأربعين ومائتين فلما صار بالقرب من

وقال   لا يعرف الفضل لاهل الفضل * الا أولو الفضل من اهل العقل
هيهات يدري الفضل من ليس له * فضل ولو كان من اهل النبل
وقال   لا تطلب المرء بما اعتدت من * أخلاقه والمرء في وهن
تنتقل الاخلاق لاشك مع * تنقل الحالات والسن
وقال   لا تعامل ما عشت غيرك الا * بالذي أنت ترتضيه لنفسك
ذاك عين الصواب فالزمه فيما * تبتغيه من كل أبناء جنسك
وقال   باعد الناس يوالوكا * واعتزل عنهم يهابوكا
فاذا ما تصطفيهم * وقعوا فيك وعابوكا
وقال   اياك لا تخذل الصديقا * وارع له العهد والحقوقا
نصرته ما قدرت عز * تمهد للعلا طريقا
فلا تسامح به عدوا * وكن له ناصرا حقيقا

حلب من بلاد قنسرين والعواصم بالموضع المعروف بخشاف لقيته خيل الكلبيين فقال في ذلك وهو في الشرق

أزيد في الليل ليل * أم سال بالصبح سيل   ذكرت أهل دجيل * وأين مني دجيل

وكان علي بن الجهم السامي هذا مع انحرافه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه واظهاره التسنن مطبوعا مقتدرا على الشعر عذب الالفاظ غزير الكلام وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب طعن من طعن على نسبه وما قال الناس في عقب سامة بن لؤي بن غالب وقول علي بن محمد بن جعفر العلوي الشاعر

وسامة منا فأما بنوه * فأمرهم عندنا مظلم   أناس أتونا بانسابهم * خرافة مضطجع يحلم

وقلت لهم مثل قول النبي * وكل أقاويله محكم   اذا ما سئلت ولم تدر ما * تقول فقل ربنا أعلم

وقول العلوي فيه أيضا   لو اكتنفت النضر أو معدا * أو اتخذت البيت كفا مهدا * وزمزما شريعة وورداً

والاخشبين محضرا ومبدى * ما ازددت الا من قريش بعدا * أو كنت الا مصقليا وغدا

وانما أعدنا هذا الشعر في هذا الموضع وان كنا قد قدمناه فيما سلف من هذا الكتاب لما سنح لنا من ذكر علي بن الجهم في أيام المتوكل ولما احتجنا اليه عند ذكرنا الشعر علي بن الجهم واجابته العلوي على هذا الشعر فكان ما أجاب به علي بن الجهم لعلي ابن محمد بن جعفر العلوي   لم تذقني حلاوة الانصاف * وتعسفتني أشد اعتساف

وتركت الوفاء علما بما فيه * وأسرفت غاية الاسراف   غير أني اذا رجعت الى حق بني هاشم بن عبد مناف

لم أجد لي الى التشفي سبيلا بقواف ولا بغير قوافي

لي نفس تأبى الدنيــة والاشــراف لا تعتدي على الاشراف

وله في الحبس شعر معروف لم يسبقه الى معناه أحد وهو قوله

قالوا حبست فقلت ليس بضائر * حبسي وأي مهند لا يغمد

أو ما رأيت الليث يألف غيله * كبرا وأوباش السباع تردد

نقد

والشمس لولا انها محجوبة * عن ناظريك لما أضاء الفرقد   والنار في أحجارها مخبوءة * لا تصطلى ان لم تثرها الازند

والحبس ما لم تغشه لدنية * شنعاء نعم المنزل المستورد   بيت يجدد للكريم كرامة * ويزار فيه ولا يزور ويحفد

لو لم يكن في الحبس الا أنه لا يستذلك بالحجاب الاعبد   ومما أحسن فيه قوله

خليلي ما أحلى الهوى وأمره * وأعلمني بالحلو منه وبالمر * بما بيننا من حرمة هل رأيتما

أرق من الشكوى وأقسى من الهجر * وأفصح من عين المحب لسره * ولا سيما ان أطلقت عبرة تجري

ومما اختير من قوله   حسرت عني القناع ظلوم * وتولت ودمعها مسجوم

شرما أنكرت تصرم عهد * لم يدم لي وأي عهد يدوم   أنكرت ما رأت برأسي وقالت * أمشيب أم لؤلؤ منظوم

قلت أولاهما علمت فقالت * آية يستثيرها المهموم   هي عندي من الهموم التي يحسن فيها العزاء والتسليم

ان أمرا أخنى على شيب الرأس في ليلة لأمر عظيم   ليس عندي وان تعزيت الا * طاعة حرة وقلب سليم

ومن جيد شعره   هي النفس ما حملتها تتحمل * وللدهر أيام تجور وتعدل

وعاقبة الصبر الجميل جميلة * وأكمل أخلاق الرجال التفضل

وقال   حدث جليسك ما أصغى اليك فان * تراه يعرض فاقطع عنه وانصرف

خفف فقد يضجر الذي تجالسه * طول المقام أو التحديث في سرف

وقال   جماع الخير في ترك الفجور * واظهار التواضع والبرور

وفي اضدادها من غير شك * جميع وجوه أنواع الشرور

وقال   محبة الدرهم طبع البشر * فاقنع من المرء بما قد حضر

وقس على نفسك في بذله * تقف على تحقيق عين الخبر

وقال   لا يلم غير نفسه كل من قد * عرض النفس أن تهان فذلا

ينظر العاقل الامور فيأبى * أن يرى منه غير ما هو أولى

وقال   اعذر الناس من أتته المضره * من أخ كان يرتجى منه نصره

مثل من غص بالشراب فكان الـهلاك فيما رجاه يدفع ضره

وقال   سلم تعش سالما مما يقال * من يعترض يعترض في كل حال

ولاعار ان زالت عن المرء نعمة * ولكن عارا ان يزول التجمل

وما المال الاحسرة ان تركته * وغنم اذا قدمته متعجل

ومما اعتذر فيه فأحسن قوله في المتوكل

ان ذل السؤال والاعتذار * خطة صعبة على الاحرار

ليس من باطل يوردها المر * ء ولكن سوابق الاقدار

فارض للسائل الخضوع وللقا * رف ذنبا بذلة الاعتذار

ان تجافيت منعما كنت أولى * من تجافي عن الذنوب الكبار

أو تعاقب فانت أعرف بالله وليس العقاب منك بعار

ومما جوده قوله

لماقيد فقلت لها والدمع شتى طريقه * ونار الهوى بالقلب يذكو وقودها

فلا تجزعي اما رأيت قيوده * فان خلاخيل الرجال قيودها

وكان في لسانه فضل قل من سلم معه منه وكان محمد بن عبد الله منحرفا عنه فاستشفع عليه بوصيف التركي حتى أصلح له ناحيته ثم فسد عليه وصيف فاستشفع عليه بمحمد بن عبد الله وكتب اليه

الحمد لله شكرا * قلوبنا في يديه

صار الامير شفيعا * الى شفيعي اليه

وله أشعار نادرة وأمثال سائرة اخترنا منها ما قدمنا ذكره واقتصرنا بذلك عن غيره وقد رثاه جماعة من الشعراء بعد قتله منهم أبو صاعد فقال

أريقي الدمع واجتنبي الهجوعا * وصوني شمل وجدك أن يضيعا

وقولي ان كهف بني لؤى * غدا بالشام مجدلا صريعا

عزاء يابني جهم بن بدر * فقد لاقيتم خطبا فظيعا

اما والله لو تدرى المنايا * بما لاقيتم لبكت نجيعا

توى كهف الارامل واليتامى ٣٢٧ * ومن كان الزمان به ربيعا

فتى كان السهام على الاعادى * وليثا دون حادثة منيعا

قال وفي سنة ثلاث وأربعين ومائتين كان خروج المتوكل من دمشق الى سر من رأى فكان بين خروجه منها ورجوعه اليها ثلاثة أشهر وسبعة أيام وفي خروجه يقول المهلبي شعرا طويلا اخترنا منه قوله

أظن الشام يشمت بالعراق * اذا عزم الامام على انطلاق

فان تدع العراق وساكنيها * فقد تبلى المليحة بالطلاق

ولما نزل بدمشق أبى أن ينزل المدينة لتكاثف هواء الغوطة عليها وما يرتفع من بخار مياهها فنزل قصر المأمون وذلك بين داريا ودمشق على ساعة من المدينة في أعلى الارض وهذا الموضع بدمشق يشرف على المدينة وأكثر الغوطة ويعرف بقصر المأمون الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة * وذكر سعيد بن نكيس قال كنت واقفا بين يدى المتوكل في مضربه بدمشق اذ شغب الجند واجتمعوا وضجوا يطلبون الاعطية ثم خرجوا الى تجريد السلاح والرمي بالنشاب وأقبلت أرى السهام ترتفع في الرواق فقال لي يا أبا سعد ادع لي رجاء الحضاري فدعوته فقال له يا رجاء أما ترى ما خرج اليه هؤلاء فما الرأى عندك فقال يا أمير المؤمنين قد كنت مشفقا في هذا السفر من مثل هذا فاشرت بما اشرت من تاخيره فقال امير المؤمنين اليه فقال دع ما مضى وقل الآن بما حضر برأيك فقال يا أمير المؤمنين توضع الاعطية فقال له فهذا ما أرادوا وفيه مع ما خرجوا اليه ما يعلم قال يا أمير المؤمنين مر بهذا فان الرأى بعده فامر عبد الله بن يحيى بوضع الاعطية فيهم فلما خرج المال وبدئ بانفاقه دخل رجاء فقال مر الآن يا أمير المؤمنين بضرب الطبل للرحيل الى العراق فانهم لا يأخذون مما أخرج اليهم شيأ ففعل ذلك فترك الناس الاعطية حتى ان المعطى ليتعلق بالرجل ليعطيه رزقه فلا يأخذه * قال سعيد وقد كان الاتراك قد رأوا انهم يقتلون المتوكل بدمشق فلم يمكنهم فيه حيلة بسبب بغا الكبير فانهم دبروا في ابعاده عنه فطرحوا في مضرب المتوكل الرقاع يقولون

نقد الفتى غافلا عن عيبه * لا يرتضى عند أرباب الكمال

وقال

تواضع المرء ترفيع لرتبته * وكبره ضعة من غير ترفيع

في نخوة الكبر ذل لا اعتزاز له * وفي التواضع عز غير مدفوع

وقال

اياك لا تنكر فضيلة كل من * تدرى فضيلته فترمى بالحسد

انكارها يجني عليك تنقصا * ويزيده شرفا ويدهم لك الكمد

وقال

انصر أخالك ما استطعت فانما * تعتز بالاخوان ماعز وا

من يخذل الاخوان يخذل نفسه * ويهن وماله سوانه عز

وقال

اذا جزاك بسوء من أسأت له * فذاك عدل وما في العدل من زلل

جزاء سيئة بالنص سيئة * لا حيف في ذاك في قول ولا عمل

وقال

نفس وشيطان ودنيا والهوى * يارب سلم من شرور الاربعه

أنت المخلص من رجالى وانثى * أرجوك فيما أتقي أن تدفعه

فيها ان بغا يريد ان يقتل أمير المؤمنين والعلامة في ذلك أن يركب في يوم كذا في خيله ورجله فيأخذ عليه أطراف عسكره ثم يأخذ جماعة من الغلمان العجم يدخلون عليه فيفتكون به فقرأ المتوكل الرقاع فبهت مما تضمنته ودخل في قلبه من بغا كل مدخل وشكا الى الفتح ذلك وقال له في أمر بغا والاقدام عليه وشاوره في ذلك فقال يا أمير المؤمنين ان الذي كتب الرقاع قد جعل للامر دلائل في وقت بعينه من ركوب الرجل الاطراف من العسكر وتوكيله بنواحيه وبعد ذلك يتبين الامر وأنا أرى أن تمسك فان صح هذا الدليل نظرنا كيف يفعل وان بطل ما كتب به فالحمد لله وأقبلت الرقاع تطرح في كل وقت على جهة النصح والصدق فلما علم واعلم به الخليفة وتمكن به ما عندهم من الامر كتبوا رقاعا فطرحوها في مضرب بغا يقولون فيها ان جماعة من الغلمان والاتراك قد عزموا على الفتك بالخليفة في عسكره ودبروا ذلك واتفقوا عليه وتعاقدوا على أن يأتوه من نواحي كذا ونواحي كذا فالله الله الا ما احترست لامير المؤمنين وحرسته في هذه الليلة من هذه المواضع وحصنتها بنفسك ومن تثق به فانا قد نصحنا وصدقنا وأكثروا طرح الرقاع بهذا المعنى والتوكيد في حراسة الخليفة فلما وقف بغا عليها وتتابعت عليه لم يأمن ان يكون ما كتب اليه فيها حقا مع ما كان وقع عليه من الامر قبل ذلك فلما كانت الليلة التي ذكروها جمع جيوشه وأمرهم بالركوب بالسلاح وركب بهم الى المواضع التي ذكرت فأخذها على المتوكل وحرسها واتصل الخبر بالمتوكل فلم يشك ان ما كتب له حق فاقبل يتوقع من يوافيه فيفتك به وسهر ليلته وامتنع من الاكل والشرب فلم يزل على تلك الحال الى الغداة وبغا يحرسه والامر عند ٣٢٨ المتوكل على خلاف ذلك وقد اتهم بغا واستوحش من فعله فلما عزم المتوكل على الانصراف قال له يا بغا قد أبت نفسي مكانك مني ورأيت أن أقلدك هذا الصقع واقر عليك ما كان لك من رزق وحباء ونزل ومعونة وكل سبب فقال أنا عبدك يا أمير المؤمنين فافعل ما شئت وأمرني بما أحببت فخلفه بالشام وانصرف فاحدث الموالي عليه ما أحدثوا فلم يعلم المتوكل وجه الحيلة ولم يعلم كل واحد منهما الحيلة في ذلك الى أن تمت الحيلة * قال ولما عزم بغا الصغير على قتل المتوكل دعا بباغر التركي من

وقال

لا تعظم يا أخي نفسك ان شئت السلامه
من يعظم نفسه يجن امتهانا وملامه
فتواضع تلق عزا * واحتفاء وكرامه

وقال

دع لذة الدنيا فمن يبتلي * بحبها ذاق عذاب السموم
لذاتها حلم وأيامها * لمح ولكن كم لها من هموم
محبة الدنيا هلاك فمن * يرومها أهلكه ما يروم

وقال

كل خل بعدما انت تخطى * لا تعول على صفاء وداده
اغفر الخل من تناسى خطايا * ك ويبقى له جميل اعتقاده

وقال

من عامل الناس بالانصاف شاركهم * في مالهم وأحبوه بلا سبب
انصافك الناس عدل لا تزال به * تعلو الى أن ترى في ارفع الرتب

وقال

قل جميلا ان تكلمت ولا * تقل الشر فتلقى الشر شر

وكان قد اصطنعه واتخذه وملأ عينه من الصلات وكان مقداما أهوج فقال له يا باغر أنت تعلم محبتي لك وتقديمي اياك وايثاري لك واحساني اليك واني قد صرت عندك في حد من لا يعصى له أمر ولا يخرج عن محبته وأريد أن آمرك بشئ فعرفني كيف قلبك فيه فقال أنت تعلم كيف أفعل فقل لي ما شئت حتى أفعله قال ان ابني فارس قد أفسد علي عملي وعمل على قتلي وسفك دمي وقد صح عندي ذلك منه قال فتريد مني ماذا قال أريد أن يدخل علي غدا فالعلامة بيننا أن أضع قلنسوتي في الارض فاذا أنا وضعتها في الارض فاقتله قال نعم ولكن أخاف أن يبدو لك أو تجد في نفسك على قال قد آمنك الله من ذلك فلما دخل فارس حضر باغر ووقف موقف الضارب فلم يزل يراعي بغا أن يضع قلنسوته فلم يفعل وظن أنه نسي فغمزه بعينه أي افعل قال لا فلما لم ير العلامة وانصرف فارس قال له بغا اعلم أني فكرت في أنه حدث وانه ولدي وقد رمت أن استخلصه هذه المدة فقال له باغر أنا قد سمعت وأطعت وأنت أعلم وما دبرت وقدرت عليه فيه صلاحه ثم قال له وههنا أمر أكبر من ذلك وأهم فعرفني كيف تريد أن تكون فيه قال له قل ما شئت حتى أفعله قال أخي وصيف قد صح عندي انه يدبر علي وعلى رفقائي وان مكاننا قد ثقل عليه وانه عول على أن يقتلنا ويفنينا ويتفرد بالامور قال فماذا تريد أن تصنع به قال أفعل هذا فانه يصير الى غدا فالعلامة أن أنزل عن المصلى الذي يكون معي قاعدا عليه فاذا رأيتني نزلت عنه فضع سيفك عليه واقتله قال نعم فلما صار

وصيف الى بغا حضر باغر وقام مقام المستعد فلم يرالعلامة حتى قام وصيف وانصرف قال فقال له بغا يا باغر انى فكرت فى أنه أخى وأنى قد عاقدته وحلفت له فلم أستجز أن أفعل ما دبرته ووصله وأعطاه ثم انه أمسك عنه مدة مديدة ودعا به فقال يا باغر قد حضرت حاجة أكبر من الحاجة التى قد متها فكيف قلبك قال قلبى على ما تحب فقل ما شئت حتى أفعله فقال هذا المنتصر قد صح عندى أنه على ايقاع التدبير على وعلى غيرى حتى يقتلنا وأريد أن أقتله فكيف ترى نفسك فى ذلك ففكر باغر فى ذلك ونكس رأسه وقال هذا لا يجىء منه شئ قال وكيف قال يقتل الابن والاب باق اذا لا يستوى لكم شئ ويقتلكم أبوه كلكم به قال فما ترى عندك قال نبدأ بالاب أولا فنقتله ثم يكون أمر الصبى أيسر من ذلك فقال له ويحك ويفعل هذا ويتهيأ قال نعم أفعله وأدخل عليه حتى أقتله فجعل يردد عليه فيقول لا تفعل غير هذا ثم قال له فادخل أنت فى اثرى فان قتلته والا فاقتلنى وضع سيفك على وقل أراد أن يقتل مولاه فعلم بغا حينئذ انه قاتله وتوجه له فى التدبير فى قتل المتوكل ❊ وفى سنة سبع واربعين توفيت شجاع ام المتوكل وصلى عليها المنتصر وذلك فى شهر ربيع الآخر ثم قتل المتوكل بعد وفاتها بستة اشهر ليلة الاربعاء لثلاث ساعات خلت من الليل وذلك لثلاث خلون من شوال سنة سبع واربعين ومائتين وقيل لاربع خلون من شوال سنة سبع واربعين ❊ وكان مولده بفم الصلح حدث البحترى قال اجتمعنا ذات يوم مع الندماء فى مجلس المتوكل فتذاكرنا امر السيوف فقال بعض من حضر بلغنى يا امير المؤمنين انه وقع عند رجل من اهل البصرة سيف من الهند ليس له نظير ولم ير مثله فامر المتوكل بكتاب الى عامل البصرة يطلبه بشراء ثمه ما بلغ فنفذت الكتب على البريد وورد جواب عامل البصرة بان السيف اشتراه رجل من اهل اليمن فامر المتوكل بالبعث الى اليمن بطلب السيف وابتياعه فنفذت الكتب بذلك قال البحترى فبينا نحن عند المتوكل اذ دخل عليه عبيد الله والسيف معه وعرفه انه ابتيع من صاحبه باليمن بعشرة آلاف درهم فسر بوجوده وحمد الله على ما سهل من امره وانتضاه فاستحسنه وتكلم

من يقل خيرا ينل خيرا ومن ❊ يقل الشر اذا يخشى الضرر

وقال

اذا التأمت امورك بعض شئ ❊ بارضك فاستتم فيها ولازم
فما فى غربة الانسان خير ❊ وما بالغربة الدنيا بلازم

وقال

الى متى تسرح مرخى العنان ❊ قل يا أخى حتى متى ذا الحران
ارجع الى الله وخل الهوى ❊ فما الهوى يا صاح الاهوان
قد أنذر الشيب فهل سامع ❊ أنت فصغ للذى قد أبان

وقال

من يكفر النعمة لابد أن ❊ يسلبها من حيث لا يشعر
ومن يكن يشكرها معلنا ❊ دامت له نامية تكثر

وقال

اعذر أخا الفقر فى أن ❊ يضيق ذرعا بنفسه
الفقر موت ولكن ❊ من للفقير برمسه
ان الفقير لميت ❊ ما بين أبناء جنسه

كل واحد منا عما يجب وجعله تحت ثنى فراشه فلما كان من الغداة قال للفتح اطلب لى غلاما تثق بنجدته وشجاعته أدفع له هذا السيف ليكون واقفا به على راسى لا يفارقنى فى كل يوم ما دمت جالسا قال فلم يستتم الكلام حتى أقبل باغر التركى فقال الفتح يا امير المؤمنين هذا باغر التركى قد وصف لى بالشجاعة والبسالة وهو يصلح لما اراد امير المؤمنين فدعا به المتوكل فدفع اليه السيف وامره بما اراد وتقدم ان يزاد فى مرتبته وان يضعف له الرزق قال البحترى فوالله ما انتضى ذلك السيف ولا اخرج من غمده من الوقت الذى دفع اليه الا فى الليلة التى ضربه فيها باغر بذلك السيف ال البحترى لقد رايت من المتوكل فى الليلة التى قتل فيها عجبا وذلك أننا تذاكرنا امر الكبر وما كانت تستعمله الملوك من الجبرية فجعلنا نخوض فى ذلك وهو يتبرأ منه ثم حول وجهه الى القبلة فسجد وعفر وجهه بالتراب خضوعا لله عز وجل ثم اخذ من ذلك التراب فنثره فى لحيته وراسه وقال انما انا عبد الله وان من صار الى التراب لحقيق أن يتواضع ولا يتكبر قال البحترى فتطيرت له من ذلك وانكرت ما فعله من نثره التراب على راسه ولحيته ثم قعد للشراب فلما عمل فيه غنى من حضره من المغنين صوتا استحسنه ثم التفت الى الفتح فقال يا فتح ما بقى احد سمع هذا الصوت من شارق غيرى وغيرك ثم أقبل على البكاء قال البحترى فتطيرت من بكائه وقلت هذه ثانية فانا فى ذلك اذ أقبل خادم من خدم قبيحة ومعه منديل وفيه خلعة وجهت بها اليه قبيحة فقال له الرسول يا امير المؤمنين تقول لك قبيحة انى استعملت هذه الخلعة لامير المؤمنين واستحسنتها ووجهت بها لتلبسها قال فاذا فيه

دراعة حمراء لم أر مثلها قط ومطرف خز أحمر كأنه دم بقي من رقته قال فلبس الخلعة والتحف المطرف قال فاني على ذلك اذ تحرك المتوكل فيه وقد كان التحف عليه المطرف فجذبه جذبة فخرقه من طرفه الى طرفه قال فأخذه ولفه ودفعه الى خادم قبيحة الذي جاءه بالخلعة وقال قل لها احتفظي بهذا المطرف عندك ليكون كفني عند وفاتي فقلت في نفسي انا لله وانا اليه راجعون انقضت والله المدة وسكر المتوكل سكرا شديدا قال وكان من عادته أنه اذا تمايل عند سكره أن يقيمه الخدم الذين عند رأسه قال فبينما نحن كذلك ومضى نحو ثلاث ساعات من الليل اذ أقبل باغر ومعه عشرة نفر من الاتراك وهم متلثمون والسيوف في أيديهم تبرق في ضوء تلك الشمع فهجموا علينا وأقبلوا نحو المتوكل حتى صعد باغر وآخر معه من الاتراك على السرير فصاح بهم الفتح ويلكم مولاكم فلما رآهم الغلمان ومن كان حاضرا من الجلساء والندماء تطايروا على وجوههم فلم يبق أحد في المجلس غير الفتح وهو يحاربهم ويمانعهم قال البحتري فسمعت صيحة المتوكل وقد ضربه باغر بالسيف الذي كان المتوكل دفعه اليه على جانبه الايمن فقده الى خاصرته ثم ثناه على جانبه الايسر ففعل مثل ذلك وأقبل الفتح يمانعهم عنه فبعجه واحد منهم بالسيف الذي كان معه في بطنه فأخرجه من متنه وهو صابر لا يتنحى ولا يزول قال البحتري فما رأيت أحدا كان أقوى نفسا ولا أكرم منه ثم طرح بنفسه على المتوكل فماتا جميعا فلفا في البساط الذي قتلا فيه وطرحا ناحية فلم يزالا على حالتهما في ليلتهما وعامة نهارهما حتى استقرت الخلافة للمنتصر فأمر بهما فدفنا جميعا وقيل ان قبيحة كفنته بذلك المطرف المخرق بعينه وقد كان بغا الصغير توحش من المتوكل

والاشروسنية الى أن كان من الامر ما ذكرناه وهذا ما اخترناه في هذا الموضع اذ كان أحسن ألفاظ وأقرب مأخذا وقد أتينا على جميع ما قيل في ذلك في الكتاب الاوسط فأغنى ذلك عن اكثاره في هذا الكتاب ولم يكن المتوكل يوما أشد سرورا منه في اليوم الذي قتل فيه فلقد أصبح في هذا اليوم نشيطا فرحا مسرورا وقال كأني أجد حركة الدم فاحتجم في ذلك اليوم وأحضر الندماء والملهين فاشتد سروره وكثر فرحه فانقلب ذلك الفرح ترحا والسرور حزنا فمن ذا الذي يغتر بالدنيا ويسكن اليها ويأمن الغدر والنكبات فيها الا جاهل مغرور فهي دار لا يدوم نعيمها ولا يتم فيها سرور ولا يؤمن فيها محذور قد قرنت منها السراء بالضراء والشدة بالرخاء والنعيم بالبلوى ثم يتبعها الزوال فمع نعيمها البؤس ومع سرورها الحزن ومع محبوبها المكروه ومع صحتها السقم ومع حياتها الموت ومع فرحاتها الترحات ومع لذاتها الآفات عزيزها ذليل وقويها مهين وغنيها محروب وعظيمها مسلوب ولا يبقى الا الحي الذي لا يموت ولا يزول ملكه وهو العزيز الحكيم وفي ذلك يقول البحتري في غدر المنتصر بأبيه وقتله به من قصيدة له

أكان ولي العهد أضمر غدره * فمن عجب أن ولي العهد غادره

فلا ملك الباقي تراث الذي مضى * ولا حملت ذاك الدعاء منابره

وكانت أيام المتوكل في حسنها ونضارتها ورفاهية العيش بها وحمد الخاص والعام لها ورضاهم عنها أيام سراء لا ضراء كما قال بعضهم كانت خلافة المتوكل أحسن من أمن السبيل ورخص السعر وأماني الحب وأيام الشباب وقد أخذ هذا بعض الشعراء

فكان المنتصر يجتذب قلوب الاتراك وكان أوتامش غلام الواثق مع المنتصر فكان المتوكل يبغضه لذلك وكان أوتامش يجتذب قلوب الاتراك الى المنتصر وعبيدالله بن خاقان الوزير والفتح بن خاقان منحرفين عن المنتصر مائلين الى المعتز وكانا قد أوغرا قلب المتوكل على المنتصر فكان المنتصر لا يبعد أحدا من الاتراك الا اجتذبه فاستمال قلوب الاتراك وكثير من الفراغنة

٣٣٠

وقال
كأنك يا من أنت يا صاحبي * تدان فاعمل عمل الفاضل
أنت كما أنت نخل الذي * يزين النفس من الباطل
وأين أنت ثم أنت اذ ذا * حسبك فاحذر زلل العاقل

وقال
مالك ما أنفقته قربة * لله والباقي حساب عليك
فقدم المال ترد آمنا * من بعده وهو ثواب لديك

وقال
دع مدح نفسك ان أردت زكاءها * فبمدح نفسك من مقامك تسقط
ما أنت تخفضها يزيد علاؤها * والعكس فانظر أي ذلك أحوط

وقال
ذو النقص يصحب مثله * فالشكل يألف شكله
فاصحب أخا الفضل كيما * تقفو بفعلك فعله
أما ترى المسك أبا * يكسب طيبا محله

وقال
من عيني المرء يبدو ما يكتمه * حتى يكون الذي يرعاه يفهمه

فقال قربك أشهى موقعا عندنا * من لين السعر وأمن السبيل ومن ليالى الحب موصولة * بطيب أيام الشباب الجميل

(قال المسعودى) وقد قيل انه لم تكن النفقات فى عصر من الاعصار ولا وقت من الاوقات مثلها فى أيام المتوكل ويقال انه أنفق على الهارونى والجوسق الجعفرى أكثر من مائة ألف ألف درهم هذا مع كثرة الموالى والجند والشاكرية ودرور العطاء لهم وجليل ما كانوا يقبضونه فى كل شهر من الجوائز والهبات ويقال انه كان له أربعة آلاف سرية وطئهن كلهن ومات وفى بيوت الاموال أربعة آلاف ألف دينار وسبعة آلاف ألف درهم ولا يعلم أحد فى صناعته فى جد ولا هزل الا وقد حظى فى دولته وسعد بأيامه ووصل اليه نصيب وافر من ماله وذكر محمد بن ابى عون قال حضرت مجلس المتوكل على الله فى يوم نيروز وعنده محمد بن عبد الله بن طاهر وبين يديه الحسن بن الضحاك الخليع الشاعر فغمز المتوكل خادما على رأسه حسن الصورة ان يسقى الحسن كأسا ويحييه بتفاحة عنبر ففعل ذلك ثم التفت المتوكل الى الحسن فقال قل فيه أبياتا فأنشأ يقول

وكالدرة البيضاء حيا بعنبر * من الورد يسعى فى قراطيس كالورد
له عبثات عند كل تحية * بعينيه تستدعى الخلى الى الوجد
تمنيت أن أسقى بعينيه شربة * تذكرنى ما قد نسيت من العهد
سقى الله دهرا لم أبت فيه ساعة * من الليل الا من حبيب على وعد

قال المتوكل أحسنت والله يعطى لكل بيت مائة دينار فقال محمد بن عبد الله ولقد أجاب فأسرع وذكر فأوجع ولولا أن يد أمير المؤمنين لا تطاولها يد لأجزلت له العطاء ولو بالطارف والتالد فقال المتوكل عند ذلك يعطى لكل بيت ألف دينار قال ويروى أنه لما ٣٣١ أتى بمحمد بن المغيث الى المتوكل وقد دعا له بالنطع والسيف قال له يا محمد ما دعاك الى المشاقة قال الشقوة يا أمير المؤمنين وانت ظل الله الممدود بينه وبين خلقه ان لى فيك لظنين أسبقهما الى قلبى أولاهما بك وهو العفو عن عبدك وأنشأ يقول

أبى الناس الا انك اليوم قاتلى * أمام الهدى والعفو بالحر أجمل
وهل أنا الا جبلة من خطيئة * وعفوك من نور النبوة يجمل
تضاءل ذنبى عند عفوك قلة * فمن لى بفضل منك والمن أفضل
لانك خير السابقين الى العلا * وانك خير الفعلتين ستفعل

قال المتوكل أفعل خيرهما وأمن عليك ارجع الى منزلك قال ابن المغيث يا أمير المؤمنين الله أعلم حيث يجعل رسالته ولما قتل المتوكل رثته الشعراء فممن رثاه على بن الجهم فقال من قصيدة له عبيد أمير المؤمنين قتلنه * وأعظم آفات الملوك عبيدها

بنى هاشم صبرا فكل مصيبة * سيبلى على وجه الزمان جديدها

وفيه يقول ابن يزيد المهلبى من قصيدة طويلة جاءت منيته والعين هاجعة * هلا أتته المنايا والقنا قصد خليفة لم ينل ما ناله أحد * ولم يصغ مثله نور ولا جسد ملك أسياف من لا دونه أحد * وليس فوقك الا الواحد الصمد وفيه يقول بعض الشعراء سرت ليلا منيته اليه * وقد خلى مناعمه وناما * فقالت قم فقام وكم أقامت * أناملك الى هلك فقاما وفيه يقول الحسن بن الضحاك الخليع ان الليالى لم تحسن الى أحد * الا أساءت اليه بعد احسان

ما رأيت خطوب الدهر ما فعلت * بالهاشمى وبالفتح بن خاقان وذكر على بن الجهم قال لما افضت الخلافة الى امير المؤمنين جعفر المتوكل على الله اهدى اليه الناس على أقدارهم واهدى اليه ابن طاهر هدية فيها مائتا وصيفة ووصيف

ما يضمر المرء يبدو من شمائله * لناظر فيه يهديه توسمه

وقال
انما الدنيا خيال * وأمانيها خبال
حبها سكر ولكن * وصلها ما ان ينال
فتنزه عن هواها * فهوى الدنيا ضلال

وقال
قلما يؤذيك من لا يعرفك * فتحفظ من صديق يألفك
لا تثق بالود ممن تصطفى * كم صديق تصطفيه يتلفك

وقال
لا تضجرن فى الامور وارض بما * يقضى به الله فهو مكتتب
ما قدر الله لا مرد له * فما يفيد العناء والتعب

وقال
تنزه عن دنيات الامور * وخذ بالحزم فى الامر الخطير
فأشراف الامور لها جمال * وخطر فى البهاء وفى الظهور
وفى سفسافها لا شك وهن * وتهوين يشين مدى الدهور

وفي الهدية جارية يقال لها محبوبة كانت لرجل من أهل الطائف قد أدبها وثقفها وعلمها من صنوف العلم وكانت تحسن
كل ما يحسنه علماء الناس فحسن موقعها من المتوكل وحلت من قلبه محلا جليلا لم يكن أحد يعدلها عنده قال علي فدخلت
عليه يوما للمنادمة فلما استقر بي المجلس قام فدخل بعض المقاصير ثم خرج وهو يضحك فقال ويلك يا علي دخلت فرأيت قينة
قد كتبت في خدها بالمسك جعفرا فما رأيت أحسن منه فقل فيه شيئا فقلت يا سيدي أوحدي أو أنا ومحبوبة قال لا بل أنت
ومحبوبة قال فدعوت بدواة وقرطاس فسبقتني الى القول ثم أخذت العود فترنمت ثم خفقت عليه حتى صاغت له لحنا
وتضاحكت مليا ثم قالت يا أمير المؤمنين تأذن لي فاذن لها فغنت

وكاتبة في الخد بالمسك جعفرا * بنفسي محط المسك من حيث أثرا
لئن اودعت خطا من المسك خدها * لقد أودعت قلبي من الوجد أسطرا
فيا من لمملوك يظل مليكه * مطيعا له فيما اسر واجهرا
ويا من لعيني من رأى مثل جعفر * سقى الله صوب المستهلات جعفرا

قال علي وتغالت خواطري حتى كأني
ما أحسن حرفا من الشعر قال فقال لي المتوكل ويلك يا علي ما امرتك به فقلت يا سيدي اقلني فوالله لقد عزب من ذهني فلم يزل
يضرب به على رأسي ويعيرني به الى أن مات قال علي ودخلت اليه أيضا لا نادمه فقال لي ويلك يا علي علمت اني غاضبت
محبوبة وأمرتها بلزوم مقصورتها ونهيت الحشم عن الدخول اليها وأنفت من كلامها فقلت يا سيدي ان كنت غاضبتها اليوم
فصالحها غدا ويديم الله سرور أمير المؤمنين ويمد في عمره قال فأطرق مليا ثم قال للندماء انصرفوا وأمر
برفع الشراب فرفع فلما
كان من غد دخلت اليه
فقال ويلك يا علي اني
رأيت البارحة في النوم
أني قد صالحتها فقالت
جارية يقال لها شاطر كانت
تقف أمامه والله لقد سمعت
الساعة في مقصورتها
هينمة لا أدري ما هي فقال
لي قم ويلك حتى ننظر
ما هي فقام حافيا وقمت
اتبعه حتى قربنا من
مقصورتها فاذا هي تخفق عودا وتترنم بشئ كأنها تصوع لحنا ثم رفعت عقيرتها وتغنت

أدور في القصر لا أرى احدا * أشكو اليه ولا يكلمني
حتى كأني اتيت معصية * ليس لها توبة تخلصني
فمن شفيع لنا الى ملك * قد زارني في الكرى وصالحني
حتى اذا ما الصباح عادلنا * عاد الى هجره وصارمني

قال فصفق المتوكل طربا وصفقت معه
فدخل اليها فلم تزل تقبل رجل المتوكل وتمرغ خديها على التراب حتى أخذ بيديها ورجعنا وهي ثالثتنا قال علي فلما قتل
المتوكل ضمت هي وكثير من الوصائف الى بغا الكبير فدخلت عليه يوما للمنادمة فامر بهتك الستارة وأمر بالقينات فاقبلن
يرفلن في الحلي والحلل واقبلت محبوبة حاسرة من الحلي والحلل عليها بياض فجلست مطرقة منكسة فقال لها وصيف غني
قال فاعتلت عليه فقال أقسمت عليك وامر بالعود فوضع في حجرها فلما لم تجد بدا من القول تركت العود في حجرها ثم غنت
عليه غناء مرتجلا

اي عيش يلذ لي * لا ارى فيه جعفرا
ملك قد رأيته * في نجيع معفرا
كل من كان ذا خبال * أو سقام فقد برا
غير محبوبة التي * لو ترى الموت يشترى
لاشترته بما حوته يداها لتقبرا

قال فغضب عليها وصيف وأمر بسجنها فسجنت وكان
آخر العهد بها (قال المسعودي) ومات في خلافة المتوكل جماعة من اهل العلم ونقلة الآثار وحفاظ الحديث منهم علي بن جعفر

وقال
من يبتلي من أهله بمنغص * يصبر فما أحد بغير منغص
من أزمعت بالوجه منه قرحة * بعزم على ضرر يشين مخصص

وقال
من كان في عزته داره * وكرر المشي الى داره
قبل يدا تعجز عن قطعها * ولن لمن تخشى من اضراره

وقال
لا تبتغ النعمة من جائع * لم يرها قبل لآبائه
لا يرشح الاناء ما لم يكن * ملآن قد أفعم من مائه

وقال
مروءة المرء رأس ماله * وصونه أشرف اعتماله
من لم يصن نفسه تردى * وزال عن رتبة اكتماله

وقال
ترك المطامع عزه * واليأس أهنى وأبره
هيهات يعتز من * أضحى للاطماع نهزه
نزاهة النفس عز * ما ذل من يتنزه

وقال

المدائني بسامرا يوم الاثنين لثلاث بقين من ذي الحجة سنة اربع وثلاثين ومائتين وهو ابن اثنتين وسبعين سنة واشهر وقد تنوزع في السنة التي مات فيها ابن المديني وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب السنة التي قيل فيها ان وفاته كانت فيها * وفي هذه السنة مات أبو الربيع بن الزهري وقد تنوزع في السنة التي مات فيها يحيي بن معين فمنهم من رأى ماقدمنا في هذا الكتاب ومنهم من رأى وهو الا كثر انه مات في سنة ثلاث وثلاثين ومائتين و يكنى بابي زكريا مولى بني مرة وقد بلغ من السن خمسا وسبعين سنة وأشهرا بالمدينة وقيل ان في هذه السنة كانت وفاة أبي الحسن على بن محمد المدائني الاخباري وقيل مات في أيام الواثق في سنة ثمان وعشرين ومائتين وفيها كانت وفاة مسدد بن مسرهد واسمه عبد الملك بن عبد العزيز * وفيها مات الحماني الفقيه وابن عائشة واسمه عبد الله بن محمد بن حفص و يكنى بابي عبد الرحمن وهو من تيم قريش * وفي خلافة المتوكل مات هدبن خالد وسفيان بن فرج الايلي وابراهيم بن محمد الشافعي وذلك في سنة ست وثلاثين ومائتين * وفي سنة سبع وثلاثين ومائتين مات العباس بن الوليد الرسي بالبصرة وعبد الاعلى بن حماد الرسي وعبيد الله بن معاذ العبدي * وفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين مات اسحق بن ابراهيم المعروف بابن راهويه وبشر بن الوليد القاضي الكندي صاحب أبي يوسف وقد قيل ان في هذه السنة مات العباس بن الوليد الرسي * وفي سنة تسع وثلاثين ومائتين مات عثمان بن ابي شيبة الكوفي بالكوفة والصلت بن مسعود الجحدري * وفي سنة أربعين ومائتين مات هياب بن خليفة العصفري وعبد الواحد بن عتاب * وفي سنة ثلاث وأربعين ومائتين مات هشام بن عمار الدمشقي وحميد بن مسعود الناجي ٣٣٣ وعبد الله بن معاوية الجمحي

وقال تعظيمك الناس تعظيم لنفسك في * قلوب الاعداء طرا والاوداء
من يعظم الناس يعظم في النفوس بلا * مؤنة و ينل عز الاعزاء
وقال اقنع من الناس بمقدار ما * يعطون لاتبتغ منهم مزيد
حسبك من كل امرئ قدر ما * يعطيك فالاطماع مال تفيد
وقال لن اذا كانت الامور صعابا * وتواضع لها تجدها قرابا
دار من شئت تنتفع منه واترك * صولة الكبر فهي تجني عذابا
لاتكن تاخذ الامور بعنف * من يعاني الامور بالعنف خابا
وقال سامح الناس ان أساؤا اليكا * وتغافل اذا تجنوا عليكا
ماترى كيف أنت تعصى ومولا * ك يزيد الانعام دأبا اليكا
وقال اغتنم ساعة انس * وانس ما كان بامس
ليس للمرء من دنياه سوى راحة نفس

وفيها مات يحيى بن أكثم القاضي في الربذة ومحمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب * وفي سنة ست وأربعين ومائتين مات محمد بن المصطفى الحمصي وعنبسة ابن اسحق بن شمر وموسى ابن عبد الملك (قال المسعودي) وللمتوكل اخبار وسير حسان غير ماذكرنا وقد أتينا عليها على الشرح والاختصار في كتابنا في اخبار الزمان والله الموفق للصواب

(ذكر خلافة المنتصر بالله)

وبويع محمد بن جعفر المنتصر في صبيحة الليلة التي قتل فيها المتوكل وهي ليلة الاربعاء لثلاث خلون من شوال سنة سبع واربعين ومائتين ويكنى بابي جعفر وأمه ام ولد يقال لها حبشية رومية واستخلف وهو ابن خمس وعشرين سنة وكانت بيعته بالقصر المعروف بالجعفري الذي احدث بناءه المتوكل ومات سنة ثمان واربعين ومائتين وكانت خلافته ستة اشهر *

(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه) *

كان الموضع الذي قتل فيه المتوكل هو الموضع الذي قتل فيه شيرويه أباه كسرى ابرويز وكان الموضع يعرف بالماخورة وكان مقام المنتصر بعد أبيه في الماخورة سبعة أيام ثم انتقل عنه وأمر بتخريب ذلك الموضع وحكى عن أبي العباس محمد بن سهل قال كنت أكتب لعتاب بن عتاب على ديوان جيش الشاكرية في خلافة المنتصر فدخلت الى بعض الاروقة فاذا هو مفروش ببساط سوسنجرد ومسند ومصلى ووسائد بالحمرة والزرقة وحول البساط دارات فيها أشخاص ناس و كتابة بالفارسية وكنت أحسن القراءة بالفارسية واذا عن يمين المصلى صورة ملك وعلى رأسه تاج كانه ينطق فقرأت الكتابة فاذا هي صورة شيرويه القاتل لابيه ابرويز الملك ملك ستة أشهر ثم رأيت صور ملوك شتى ثم انتهى بي النظر الى صورة عن يسار المصلى عليها مكتوب صورة يزيد بن الوليد بن عبد الملك قتل ابن عمه الوليد بن يزيد بن عبد الملك ملك ستة أشهر فعجبت من ذلك واتفاقه عن يمين مقعد المنتصر وعن شماله فقلت لا أرى يدوم ملكه أكثر من ستة أشهر فكان والله كذلك فخرجت من الرواق الى

مجلس وصيف وبغا وهما في الدار الثانية فقلت لوصيف أعجز هذا الفراش أن يفرش تحت أمير المؤمنين الاهذا البساط الذي عليه صورة يزيد بن الوليد قاتل ابن عمه وصورة شيرويه قاتل أبيه ابرويز وعاشا ستة أشهر بعدما قتلا ففزع وصيف من ذلك وقال علي بايوب بن سليمان النصراني خازن الفرش فمثل بين يديه فقال له وصيف لم تجد ما يفرش في هذا اليوم تحت أمير المؤمنين الاهذا البساط الذي كان تحت المتوكل ليلة الحادثة وعليه صورة ملك الفرس وغيره وقد كان ناله آثار الدماء قال سألني أمير المؤمنين المنتصر عنه وقال ما فعل البساط فقلت عليه آثار دماء فاحشة وقد عزمت أن لا أفرشه من ليلة الحادثة فقال لم لا تغسله وتطويه فقلت خشيت أن يشيع الخبر عند من يرى ذلك البساط من اثر الحادثة فقال ان الامر اشهر من ذلك بريد قتل الاتراك لابيه المتوكل فطويناه وبسطناه تحته فقال وصيف وبغا اذا قام امير المؤمنين من مجلسه فخذه واحرقه بالنار فلما قام احرق بحضرة وصيف وبغا فلما كان بعد ايام قال لي المنتصر افرش ذلك البساط الفلاني فقلت واين ذلك البساط فقال وما الذي كان من امره فقلت ان وصيفا وبغا امراني باحراقه قال فسكت ولم يعد في امره شيأ الى أن مات * وقد كان المنتصر طرب في هذه الايام فدعا ببنان بن الحرث العواد وكان مطربا مجيدا وقد كان غضب عليه فاحضره فغناه

لقد طال عهدي بالامام محمد * وما كنت اخشى أن يطول به عهدي
فاصبحت ذا بعد وداري قريبة * فيا عجبا من قرب داري ومن بعدي
رأيتك في برد النبي محمد * كبدر الدجى بين العمامة والبرد

وكان ذلك ثاني يوم الاضحى ٣٣٤ وقد كان المنتصر صلى بالناس في هذا العيد ومما غني به من الشعر للمنتصر في ذلك اليوم

رأيتك في المنام أقل بخلا * واطوع منك في غير المنام
فليت الصبح يبدو لا نراه * وليت الليل آخر الف عام
ولو ان النعاس يباع بيعا * لاغليت النعاس على الانام

ومن شعر المنتصر ايضا مما غني بحضرته

اني رأيتك في المنام كأنني * أعطيتني من ريق فيك البارد
وكأن كفك في يدي وكأنما * بتنا جميعا في لحاف واحد
ثم انتبهت ومعصماك كلاهما * بيدي اليمين وفي يمينك ساعدي
فظللت يومي كله متراقدا * لاراك في نومي ولست براقد

وقد كان استوزر احمد بن الخصيب وندم على ذلك وكان نهي عبد الله بن خاقان وذلك أن احمد ركب ذات يوم فتظلم اليه متظلم بقصة فاخرج رجله من الركاب فزج بها في صدر المتظلم فقتله فتحدث الناس بذلك فقال بعض شعراء ذلك الزمان

قل للخليفة يا ابن عم محمد * اشكل وزيرك انه ركال
اشكله عن ركل الرجال فان ترد * مالا فعند وزيرك الاموال

(قال المسعودي) ولحق هذا الشاعر الوزير حامد بن العباس في وزارته للمقتدر بالله لرأى منه قريبا مما ظهر من ابن الخصيب وذلك انه خاطبه مخاطب ذات يوم فقلب ثيابه على كتفه ولكم حلقه ولقد دخلت عليه ذات يوم أم موسى القهرمانة الهاشمية أو غيرها من القهارمة فخاطبته في شيء من الاموال عن رسالة المقتدر فكان مما خاطبها به أن قال

اضرطي والتقطي * واحسي لا تغلطي

فأخجلها ذلك فقطعها عما له قصدت فمضت من فورها الى المقتدر والسيدة فاخبرتهما بذلك فامر القيان يغنين ذلك اليوم بذلك الكلام وكان يوم طرب وسرور وقد أتينا على خبره وأخبار غيره من وزراء بني العباس وكتاب بني أمية الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة في الكتاب الاوسط وأخبرت عن أبي العباس أحمد بن محمد بن موسى ابن الفرات قال كان أحمد بن الخصيب سيئ الرأي في والده وكان عاملا له فجاءني مخبر من خدم الخاصة فقال ان الوزير قد ندب

من يكن حلف هموم * باع دنياه ببخس

وقال

حسبك الشئ يغطي قبحه * فتراه حسنا في كل حال
لا يرى المحبوب الا حسنا * كان قبح فيه مع ذا أو جمال
حتم الحب على ذي الحب أن * لا يرى المحبوب الا في كمال

وقال

يحسب الناقص أن الناس قد * غفلوا عن حاله في ضعته
لا يرى الناقص الا أنه * كامل من نعته في صفته
غلط المرء يغطي عقله * أن يرى النقص الذي في جهته

وقال

أيام عمرك هذي * ساعاتها رأس مالك
فاحرص على الخير فيها * قبل أوان ارتحالك
فانما أنت طيف * تجتاب سبل المهالك

وقال

تجد الناس على النقص ولا * تجد الكامل الا من ومن زمن

لاعمال الكم فلانا وقد أمره في والدك بكل مكروه وأن يصادره على جملة من المال غليظة ذكرها فقعدت وعندي بعض أصدقائنا من الكتاب أبادر بالكتاب الى والدي بذلك فاشتغلت عن جليسي الكاتب فاتكأ على الوسادة وغفا فانتبه مرعوبا وقال انى قد رأيت رؤيا عجيبة رأيت أحمد بن الخصيب واقفا في هذا الموضع وهو يقول يموت الخليفة المنتصر الى ثلاثة أيام قال قلت له الخليفة في الميدان يلعب بالصولجان وهذه الرؤيا ضرب من البلغم والمرار وقد قدمنا الطعام فاستتممنا الكلام حتى دخل علينا داخل فقال رأيت الوزير بدار الخاصة غير مسفر الوجه وانى سألت عن سبب ذلك فقيل لي ان الخليفة المنتصر انصرف من الميدان وهو عرق فدخل الحمام ونام في البازهنج فضربه الهواء ور كبته حمى ها ئلة فدخل عليه أحمد بن الخصيب فقال ياسيدي أنت متفلسف وحكيم الزمان تنزل من الركوب تعبا فتدخل الحمام ثم تخرج عرقا فتنام في البازهنج فقال له المنتصر أتخاف أن أموت رأيت في المنام البارحة آتيا أتاني فقال لي تعيش خمسا وعشرين سنة فعلمت أن ذلك بشارة في المستقبل من عمري وأنى أبقى في الخلافة هذه المدة قال فمات في اليوم الثالث فنظروا فاذا هو قد استوفى خمسا وعشرين سنة * وقد ذكر جماعة من أصحاب التواريخ أن المنتصر ضربته الريح يوم الخميس لخمس بقين من شهر ربيع الاول ومات مع صلاة العصر لخمس ليال خلون من ربيع الآخر وصلى عليه أحمد بن محمد المستعين وكان أول خليفة من بني العباس أظهر قبره وذلك ان أمه حبشية سألت ذلك فاذن لها وأظهرته بسامرا * وقد قيل ان الصنفوري الطبيب سمه في مشراط حجمه به وقد كان عزم على تفريق جمع الاتراك فاخرج وصيفا في جمع كثير الى غزاة الصائفة بطرسوس ونظر يوما الى بغا الصغير وقد ٣٣٥ أقبل في القصر وحوله جماعة من الاتراك فاقبل على الفضل بن المامون فقال قتلني الله ان لم اقتلهم وافرق جمعهم بقتلهم المتوكل على الله فلما نظر الاتراك الى ما يفعل بهم وما قد عزم عليه وجدوا منه الفرصة وقد شكا ذات يوم حرارة فاراد الحجامة فخرج له من الدم ثلثمائة درهم لما كان في المبضع وشرب شربة بعد ذلك فخلت قواه ويقال ان السم كان في مبضع الطبيب حين فصده * وقد ذكر ابن أبي الدنيا عن عبد الملك بن سليمان بن أبي جعفر قال رأيت في نومي المتوكل والفتح بن خاقان وقد أحاطت بهما نار وقد جاء محمد المنتصر فاستأذن عليهما فمنع الوصول ثم أقبل المتوكل على فقال ياعبد الملك قل لمحمد بالكأس الذي سقيتنا تشرب قال فلما أصبحت غدوت على المنتصر فوجدته محموما فواظبت على عيادته فسمعته في آخر علته يقول عجلنا فعوجلنا فمات من ذلك المرض * وكان المنتصر واسع الاحتمال راسخ العقل كثير المعروف راغبا في الخير سخيا أديبا عفيفا وكان يأخذ نفسه بمكارم الاخلاق و كثرة الانصاف وحسن المعاشرة بما لم يسبقه خليفة الى مثله وكان وزيره أحمد بن الخصيب قليل الخير كثير الشر شديد الجهل وكان آل أبي طالب قبل خلافته في محنة عظيمة وخوف على دمائهم قد منعوا زيارة قبر الحسين والغرى من أرض الكوفة وكذلك منع غيرهم من شيعتهم حضور هذه المشاهد وكان الامر بذلك من المتوكل سنة ست وثلاثين ومائتين وفيها أمر المعروف بالذيريج بالمسير الى قبر الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما وهدمه ومحو أرضه وازالة أثره وأن يعاقب من وجد به فبذل الرغائب لمن يقدم على هذا القبر فكل خشي العقوبة وأحجم فتناول الذيريج مسحاة وهدم أعالي قبر الحسين فحينئذ أقدم الفعلة فيه وانهم انتهوا الى الحفرة وموضع اللحد فلم يروا فيه أثر رمة ولا غيرها ولم تزل الامور على ما ذكرنا الى ان استخلف المنتصر فأمن الناس وتقدم بالكف عن آل أبي طالب وترك البحث عن أخبارهم وأن لا يمنع أحد زيارة الحيرة لقبر الحسين رضي الله تعالى عنه ولا قبر غيره من آل

زمن الباطل وأهله * وكذاك الناس أشباه الزمن

وقال

قل جميلا اذا أردت الكلاما * تجتنب عزامهنأ مستداما
ان قول القبيح يورث بغضا * وصغارا عند الورى وملاما

وقال

حسن الظن تعش في غبطة * ان حسن الظن من أقوى الفطن
من يظن السوء يجزى مثله * قلما يجزى قبيح بحسن

وقال

ان تبغ اخوان الصفاء فهم * تحت التراب انتقلوا الى القبور
اخوانك اليوم كأزمانهم * مشتبهون في جميع الامور

وقال

ومستقبح من أخ خلة * وفيه معايب تسترذل
كأعمى يخاف على أعور * عثارا وعن نفسه يغفل

وقال

من يبتغ الود من الناس * يكن لما قالوه بالناسي
اغض عن الناس تنل ودهم * انك لا تغنى عن الناس

أبي طالب وأمر بردفدك الى ولد الحسن والحسين وأطلق أوقاف آل أبي طالب وترك التعرض لشيعتهم ودفع الاذى عنهم وفي ذلك يقول البحتري من أبيات له

وان عليا الاولى بكم * وأزكى يدا عندكم من عمر
وكل له فضله والحجو * ل يوم التراهين دون الغرر

وفي ذلك يقول يزيد بن محمد المهلبي وكان من شيعة آل أبي طالب وما كان امتحن به الشيعة في ذلك الوقت واغريت بهم العامة

ولقد بررت الطالبية بعدما * ذموا زمانا بعدها وزمانا
ورددت ألفة هاشم فرأيتهم * بعد العداوة بينهم اخوانا
آنست ليلهم وجدت عليهم * حتى نسوا الاحقاد والاضغانا
لو يعلم الاسلاف كيف بررتهم * لرأوك أثقل من بها ميزانا

وفي سنة ثمان وأربعين ومائتين خلع المنتصر بالله أخويه المعتز وابراهيم من ولاية العهد بعده وقد كان المتوكل بالله أخذ لهم العهد في كتب كتبها وشروط اشترطها وأفرد لكل واحد منهم جزأ من الاعمال رسمه له وجعل ولي عهده والتالي الملكه محمدا المنتصر وتالي المنتصر وولي عهده المعتز وتالي المعتز وولي عهده ابراهيم المؤيد وأخذت البيعة على الناس بما ذكرنا وفرق فيها أموالا وعم الناس بالجوائز والصلات وتكلمت في ذلك الخطباء ونطقت به الشعراء فما اختير من قولهم في ذلك قول مروان بن أبي الجنوب من قصيدة

ثلاثة أملاك فاما محمد * فنور هدى يهدي به الله من يهدى
وأما أبو عبد الاله فانه * شبيهك في التقوى و يجدي كما تجدي
وذو الفضل ابراهيم للناس عصمة * تقي وفي بالوعيد وبالوعد
فاولهم نور وثانيهم هدى * وثالثهم رشد وكلهم مهدى

وقوله للمتوكل مما أجاد فيه وأحسن

ياعاشر الخلفاء دمت ممتعا * بالملك تعقد بعدهم للعاشر
حتى تكون امامهم وكانهم * زهر النجوم دنت لبدر زاهر

وفي بيعة المتوكل لمن ذكرنا من ولده الثلاثة بولاية العهد يقول الشاعر المعروف بالسلمي

لقد شد ركن الدين بالبيعة الرضا * وطاب سعد جعفر بن محمد
لمنتصر بالله أثبت ركنه * وأكد بالمعتز قبل المؤيد

وممن قال في ذلك فاحسن القول وأجاد النظم من ادريس بن أبي حفصة

ان الخلافة مالها عن جعفر * نور الهدى و بنيه من تحويل
فاذا قضى منها الخليفة جعفر * للناس لا فقدوه خير بديل
فبقاء ملكك وانتظار محمد * خير لنا وله من التعجيل

وقد كان خرج بايام المنتصر بناحية اليمن والبوازيج والموصل أبو العمود الشاري فظلم واشتد أمره فيمن انضاف اليه من المحكمة من ربيعة وغيرهم من الاكراد فسرح اليه المنتصر جيشا عليهم سيما التركي فكانت له مع الشاري حروب فاسر الشاري وأتى به المنتصر فجاد عليه بالعفو وأخذ عليه العهد وخلى سبيله (وحكى) عنه وزيره احمد بن الخصيب بن الضحاك الجرجاني أنه قال حين رضي عن الشاري ان لذة العفو أعذب من لذة التشفي وأقبح أفعال المقتدر الانتقام * وأخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد قال رأى بعض الكتاب في المنام في الليلة التي استخلف في صبيحتها المنتصر كأن قائلا يقول

هذا الامام المنتصر * والملك الحادي عشر * وأمره اذا أمر * كالسيف مالاقى بتر * وطرفه اذا نظر * كالدهر في خير وشر

وقد كان أظهر الانصاف في الرعية فمالت اليه قلوب الخاصة والعامة مع شدة الهيبة منهم له * وحدثني أبو الحسن أحمد بن علي بن يحيي المعروف بابن المديم قال حدثنا علي بن يحيي المنجم قال ما رأيت أحدا مثل المنتصر ولا أكرم أفعالا بغير تبجح منه ولا تكلف لقد رآني يوما وأنا مغموم شديد الفكر بسبب ضيعة مجاورة لضيعتي وكنت أحب شراءها فلم أزل أعمل الحيلة

وقال

اعييت مع الناس الحيل * وبار فيهم العمل
في أي وجه أملوا * يخيب منهم الامل
فآثر العزلة عنهم تنج من كل خال

وقال

لاترج غير الله في شئ تنل * ماتبتغيه وتكف كل مخوف
الله أعظم من رجوت فثق به * فهو الذي أعطى وأنجى من كفى

وقال

توسل الى الله في كل ما * تحب بمحبوبه المصطفى
تنل ماتحب كما تبتغى * وحسبك جاها به وكفى

انتهى مالخصت واخترت من الكتاب المذكور

وهذه نبذة من كتابه الابيات المهذبة في المعاني المقربة فمن ذلك قوله

اكتم السر واجعل الصدر قبره * لاتبح ماحييت منه بذره
انت مالم تبح بسرك حر * فاذا بحت صرت عبدا بمره

على مالكها حتى أجابني الى بيعها ولم يكن عندى فى ذلك الوقت قيمتها فصرت الى المنتصر وأنا على تلك الحال فتبين الانكسار فى وجهى وشغل القلب فقال لى أراك مفكرا فما قصتك فجعلت أزوى عنه خبرى وأستر قصتى فاستحلفنى فصدقته عن خبر الضيعة فقال لى المنتصر فكم مبلغ ثمنها فقلت ثلاثون ألف درهم قال فكم عندك منها قلت عشرة آلاف فامسك عنى ولم يجبنى وتشاغل عنى ساعة ثم دعا بدواة و بطاقة ثم وقع فيها بشئ لا أدرى ماهو وأشار الى خادم كان على رأسه عالم أفهم فمضى الغلام مسرعا وأقبل يشغلنى بالحديث ويطاعمنى الكلام الى أن اقبل الغلام فوقف بين يديه فنهض المنتصر وقال لى ياعلى اذا شئت فانصرف الى منزلك وقد كنت قدرت عند مسئلته انه سيامر لى بالثمن أو نصفه فاتيت وأنا لا أعقل غما فلما وصلت الى دارى استقبلنى وكيلى فقال ان خادم أمير المؤمنين صار الينا ومعه بغل عليه بدرتان فسلمهما الى وأخذ خطى بقبضهما قال فداخلنى من الفرح والسرور مالم أملك به نفسى ودخلت وأنا لا أصدق قول الوكيل حتى أخرج الى البدرتين فحمدت الله تعالى على ماحباه لى ووجهت فى وقتى الى صاحب الضيعة فوفيته الثمن وتشاغلت سائر يومى بتسلمها والاشهاد بها على البائع ثم بكرت الى المنتصر من الغد فما أعاد على حرفا ولا سالنى عن شئ من خبر الضيعة حتى فرق الموت بيننا

(قال المسعودى) وذكر الفضل بن أبى طاهر فى كتابه فى أخبار المؤلفين قال حدثنى أبو عثمان سعيد بن محمد الصغير مولى أمير المؤمنين قال كان المنتصر فى أيام امارته ينادمه جماعة من أصحابه وفيهم صالح بن أحمد المعروف بالحريرى فجرى فى مجلسه ذات يوم ذكر الحب والعشق فقال المنتصر لبعض من فى المجلس أخبرنى عن أى

شئ أعظم عند النفس فقدا وهى به أشد تفجعا قال فقد خل مشاكل وموت شكل موافق وقال آخر ممن حضر ما أشد جولة الرأى عند أهل الهوى وفطام النفس عند الصبا وقد تصدعت أكباد العاشقين من لوم العاذلين فلوم العاذلين قرط فى آذانهم ولوعات الحب نيران فى أبدانهم مع دموع المغانى كغروب السوانى وانما يعرف

ما أقول من أبكته المغانى والطلول وقال آخر مسكين العاشق كل شئ عدوه هبوب الرياح يقلقه ولمعان البرق يؤرقه والعذل يؤلمه والبعد ينحله والذكر يسقمه والقرب يهيجه والليل يضاعف بلاءه والرقاد يهرب منه ورسوم الدار تحرقه والوقوف على الطلول يبكيه ولقد تداوت منه العشاق بالقرب والبعد فما نجع فيه دواء ولا هدأه عزاء ولقد أحسن الذى يقول

وقد زعموا أن المحب اذا دنا * يمل وأن النأى يشفى من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا * على ان قرب الدار خير من البعد

فكل قال وأكثر الخطب فى ذلك فقال المنتصر لصالح بن محمد الحريرى ياصالح هل عشقت قط قال اى والله أيها الامير وان بقايا ذلك فى صدرى قال ويلك لمن قال ايها الملك كنت آلف الرصافة فى ايام المعتصم وكانت لقينة أم ولد الرشيد جارية تخرج فى جوار يها وتقوم فى أمرها وتلقى الناس عنها وكانت قينة تتولى امر القصر اذ ذاك وكانت تمر بى فاحتشمها واعابثها ثم راسلتها فطردت رسولى وهددتنى وكنت اقعد على طريقها لاكلمها فاذا رأتنى ضحكت وغمزت الجوارى بالعبث بى والهزء ثم فارقتها وفى قلبى منها نار لا تخمد وغليل لا يبرد ووجد يتجدد فقال له المنتصر فهل لك أن أحضرها وازوجكها ان كانت حرة واشتريها ان كانت امة فقال والله أيها الامير انى الى ذلك اعظم الفاقة وأشد الحاجة قال فدعا المنتصر باحمد بن الخصيب وساله أن يوجه له فى ذلك غلاما من غلمانه منفردا ويكتب معه كتابا مؤكدا الى ابراهيم بن اسحق وصالح الخادم المتولى لامر الحرم بمدينة السلام فضى الرسول وقد كانت أعتقتها

من يرد ان يعيش عيشا هنيئا * يتحفظ ماعسى ان يضره

وقال
عداوة العاقل مع عسرها * آمن من صداقة الاحمق
يمكن الاحمق من نفسه * عمدا ومن احبابه يتقى
لا يحفظ الاحمق خلا ولا * يرضاه للصحبة الاشقى

وقال
اذا أمعنت فى الدنيا اعتبارا * رايت سرورها رهن انتحاب
بعاد عن تدان وافتقار * عن استغنا وشيب عن شباب
حياة كلها اضغاث حلم * وعيش ظله مثل السراب

وقال
من تره يسرف فى ماله * يتلفه فى لذة وانهماك
فذلك المغبون فى رأيه * يسلك بالنفس سبيل الهلاك

وقال
من لا يرى نفسه فى الناس قاصرة * عن الكمالات لم يكمل له أدب
ومن يكن راضيا عن نفسه أبدا * فذاك غر عن الآداب محتجب

وخرجت من حد الجوارى الى حد النساء البوالغ فحملها الى المنتصر فلما حضرت نظر اليها فاذا عجوز قد حدبت وعنست وبها بقية من الجمال فقال لها تحبين ان ازوجك قالت انما أنا امتك أيها الامير ومولاتك فافعل ما بدا لك فاحضر صالحا واملكه بها واعهرها ثم زوجه فاحضر حوراً مرصصاً وعركا مخلاعا فنثره عليه واقامت مع صالح مدة طويلة ثم ملها ففارقها وقال يعقوب التمار فى ذلك

منح الله أبا الفضـل حياة لا تنغص * وتولاه فقـد بـا لغ فى الحب واخلص
عاشقا كان على التز * ويح للعـقد تحرص * من هوى من شعرها يخـضب بالحنا المعقص
فتراه عنـد ما ينـصل كالبرد المحرص * فهى من أصلح خلق الله فى التاج المفصص
رزق الصبر عليها * فتأنى وتربص * شيخة هام بها من * وجده شيخ مقرفص
قرنصت فى عهد نوح * صاحب الفلك وقرنص * أى حظ نال لولا الـعرك والحور المرصص
ليته قد جعل الامـر اليها وتخلص * فابو الجـوذن منها * حين يدنو يتقلص

وذكر ابو عثمان سعيد بن محمد الصغير قال كان المنتصر فى ايام امارته قد وجهني الى مصر فى بعض أموره للسلطان فعشقت جارية كانت لبعض النخاسين عرضت للبيع محسنة فى الصنعة مقبولة فى الخلقة قائمة على الوزن من المحاسن والكمال فساومت مولاها فابى أن يبيعها الا بالف دينار ولم يكن ثمنها متهيئا معى فازعجنى السفر وقد علقها قلبي فاخذني المقيم المقعد من حبها وندمت على ما فاتنى ٣٣٨ من شرائها فلما قدمت وفرغت مما وجهني اليه وأديت اليه ما عملت جهد أثرى فيه وسالنى عن حاجتى وخبرى فاخبرته بمكان الجارية وكلفى بها فاعرض عنى وجعل لا يزداد الا حدة وقلبي لا يزداد الا كلفا وصبرى لا يزداد الا ضعفا وسليت نفسى عنها بغيرها فكانى أغريتها ولم تتسل عنها وجعل المنتصر كلما دخلت اليه وخرجت من عنده يذكرها ويهيج شوقى اليها وتحيلت اليه بندمائه وأهل الانس به وخاص من يحظى من جواريه وأمهات اولاده وجدته ام الخليفة أن يشتريها لى وهو لا يجيبنى الى ذلك ويعيرنى بقلة الصبر وكان قدام أحمد بن الخصيب ان يكتب الى عامل مصر فى ابتياعها وحملها اليه من حيث لا أعلم فحملت اليه وصارت عنده فنظر اليها وسمع منها فعذرنى فيها ودفعها الى قيمة جواريه فاصلحت من شانها فلما كان يوم من الايام استجلسنى وأمرها ان تخرج الى الستارة فلما سمعت غناءها عرفتها وكرهت انى أعلمه انى قد عرفتها حتى ظهر فى ما كتمت وغلب على صبرى فقال مالك ياسعيد قلت خيرا أيها الامير قال فاقترح عليها صوتا فاقترحت عليها صوتا كنت قد أعلمته انى سمعته منها وأنى استحسنته من غنائها فغنته فقال أتعرف هذا الصوت قلت اى والله ايها الامير وكنت اطمع فى صاحبته فاما الآن فقد ايست منها وكنت كالقاتل نفسه بيده وكالطالب الحتف الى حياته فقال والله ياسعيد ما اشتريتها الا لك ويعلم الله أنى ما رأيت لها وجها الا ساعة دخلت عليها وقد استراحت من ألم السفر وخرجت من شعوبة التبذل فهى لك فدعوت له بما أمكننى من الدعاء وشكره عنى من حضره من الجلساء وأمر بها فهيئت وحملت الى فردت الى حياتى بعد أن اشرفت على الهلكة ولا احد عندى احظى منها ومن ملاحات أحاديث الملهين المجان ما ذكره أبو الفضل بن ابى طاهر قال حدثنى احمد بن الحرث الخزاز عن ابى الحسن المدائني وابى على الحرمازى قالا كان بمكة سفيه يجمع بين الرجال والنساء على الفحش الريب وكان من اشراف قريش ولم يذكر اسمه فشكا اهل مكة ذلك الى الوالى

آداب الانسان تحقيقا تواضعه * وجريه دائما على الذى يجب

وقال
يحق الحق حتما دون شك * وان كره المشكك والملد
صريح الحق قد يخفى ولكن * بعيد خفائه لاشك يبدو

وقال
كل ما قد فات لارداله * فلتكن عن ذاك مصروف الطمع
ايعود الحسن من بعد الصبا * قلما اد برشئ فرجع

وقال
اغتنم غفلة الزمان وبادر * لذة العيش ما بقيت سليما
ام هذى الحياة ايسر من أن * تقتدى فيه لائما وملوما

وقال
لا تغرنك صولة الجاه يوما * اوتظن انها تتمادى
صولة الجاه لفح نار ولكن * كل نار لابد تلقى رمادا

وقال
تنح عن الناس مهما استطعت * ولا تك فى الناس بالراغب
من اعتمد الناس يشقى ولا * يرى غير منتقد عائب

فغر به الى عرفات فاتخذها منزلا ودخل الى مكة مستترا فلقى بها حرفاءه من الرجال والنساء فقال وما يمنعكم مني فقالوا وأين بك وانت بعرفات فقال حمار بدرهمين وصرتم الى الامن والنزهة والخلوة واللذة قالوا نشهد انك لصادق فكانوا يأتونه فكثر ذلك حتى افسد على اهل مكة احداثهم وحواشيهم فعادوا ابا الشكية الى اميرهم فارسل اليه فاتى به فقال اى عدو الله طردتك من حرم الله فصرت الى المشعر الاعظم تفسد فيه وتجمع بين الخبائث فقال اصلح الله الامير انهم يكذبون علي ويحسدونني فقالوا للوالي بيننا وبينه واحدة تجمع حمر المكارين وترسلها الى عرفات فان لم تقصد الى بيته لما تعودت من اتيان السفهاء والفجار فالقول ما قال فقال الوالي ان في هذا لدليلا وامر بجمع الحمر فجمعت ثم أرسلت فقصدت منزله واتاه امناؤه فقال ما بعد هذا شئ جردوه فلما نظر الى السياط قال ولا بد من ضربي قال لا بد يا عدو الله قال اضرب فوالله ما في هذا شئ باشد من ان يسخر بنا أهل العراق ويقولون اهل مكة يجيزون شهادة الحمير مع تقريعهم لنا بقبول شهادة الواحد مع يمين الطالب قال فضحك الوالي وقال لا أضربك اليوم وامر بتخلية سبيله وترك التعرض له * (قال المسعودي) وللمنتصر بالله أخبار حسان واشعار وملح ومنادمات ومكاتبات ومراسلات قبل الخلافة وقد أتينا على مبسوطها وما استحسناه منها مما لم نورده في هذا الكتاب في كتابنا أخبار الزمان من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الدائرة وكذلك في الكتاب الاوسط اذ كنا ما ضمناه كل كتاب منها لم نتعرض لذكره في الآخر ولو كان كذلك لم يكن بينها فرق وكان الجميع واحدا وسنورد بعد فراغنا من هذا الكتاب كتابا نضمنه فنونا من الاخبار ونحلاه بالآداب وفنون الآثار تاليا لما سلف من

كتبنا ومعقبا لما تقدم من تصنيفنا ان شاء الله تعالى

(ذكر خلافة المستعين بالله)

وبويع أحمد بن محمد بن المعتصم في اليوم الذي توفي فيه المنتصر وهو يوم الاحد لخمس خلون من شهر ربيع الآخر سنة ثمان واربعين ومائتين ويكنى بابي العباس وكانت أمه أم ولد صقلبية يقال لها مخارق وخلع نفسه وسلم الخلافة الى المعتز فكانت خلافته ثلاث سنين وثمانية أشهر وقيل ثلاث سنين وتسعة اشهر وكانت وفاته يوم الاربعاء لثلاث خلون من شوال سنة اثنتين وخمسين ومائتين وقتل وهو ابن خمس وثلاثين سنة

(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه)

واستوزر المستعين بالله اباموسى اوتامش وكان المتولي لامر الوزارة والقيم بها كاتبا لاوتامش يقال له شجاع وبعد ان قتل أوتامش وكاتبه صار على وزارته أحمد بن صالح بن شيرزاد ولما قتل وصيف وبغا باغر التركي تعصبت الموالي وانحدر وصيف وبغا الى مدينة السلام والمستعين معهما فانزلاه دار محمد بن عبد الله بن طاهر وذلك في المحرم سنة احدى وخمسين ومائتين والمستعين لا امر له والامر لبغا ووصيف وكان من حصار بغداد ما ذكرناه في الكتاب الاوسط وفي المستعين بالله يقول بعض الشعراء

خليفة في قفص * بين وصيف وبغا
يقول ما قالا له * كما يقول الببغا

وقد كان المستعين نفى أحمد بن الخصيب الى اقريطش سنة ثمان وأربعين ومائتين ونفى عبيد الله بن يحيى بن خاقان الى برقة واستوزر عيسى بن فرخانشاه وقلد سعيد بن حميد ديوان الرسائل وكان سعيد حافظا لما يستحسن من الاخبار ويستجاد من الاشعار متصرفا في فنون العلم ممتعا اذا حدث مفيدا اذا جولس وله أشعار كثيرة حسان فمما يستحسن ويختار من شعره قوله

وكنت اخوفه بالدعاء * واخشى عليه من المأثم
فلما اقام على ظلمه * تركت الدعاء على الظالم

وقال

لا تقل يوما أنا * فتقاسي محنا
من يعظم نفسه * يلق هوانا وعنا
شر ما يأتي الفتى * مدحه لو فطنا

وقال

الناس اخوان ذي الدنيا وان قبحت * أفعاله وغدا لا يعرف الدينا
يعظمون أخا الدنيا وان عثرت * يوما به أولغوا فيه السكاكينا

وقال

العدل روح به تحيا البلاد كما * هلاكها أبدا بالجور يختتم
الجور شين به التعمير منقطع * والعدل زين به التمهيد ينتظم
يا قاتل الله أهل الجور كم خربت * بهم بلاد وكم بادت بهم أمم

وقال

اليأس أسلى وأغنى * من نيل ما يتمنى
يسلو أخو اليأس حتى * يهنا ولا يتعنى
لليأس برد فمن لم * يذقه لم يتهنا

وقوله اسيدى مالى اراك بخيلة * مقيم على الحرمان من يستزيدها * فاصبحت كالدنيا تذم صروفها
ونتبعها ذما ونحن عبيدها وقوله الله يعلم والدنيا مولية * والعيش منتقل والدهر ذو دول
فللفراق وان هاجت فجعته * عليك اخوف فى قلبى من الاجل وكنت أفرح بالدنيا ولذتها
واليأس يحكم للاعداء فى الامل وقوله وماكان حبها الاول نظرة * ولا غمرة من بعدها فتجلت
ولكنها الدنيا تولت وما الذى * يسلى عن الدنيا اذا ما تولت وقوله كأن انحدار الدمع حين تحيله
على خدها الريان در على در الا أن سعيدا على ما وصفناعنه من الادب كان يتنصب و يظهر التسنن والتحيل وظهر عنه
الانحراف عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وعن الطاهرين من ولده وفى ذلك يقول بعض الشعراء
مارأينا لسعيد بن حميد من شبيه * ماله يؤذى رسول الله فى شتم أخيه * انه الزنديق مستوهل على دين أبيه
وكان سعيد بن حميد من أبناء المجوس وفيه يقول بعض الشعراء وهو أبو على البصير
رأس من يدعى البلاغه منى * ومن الناس كلهم فى حرامه * وأخونا ولست أعنى سعيد بن حميد تؤرخ الكتب باسمه
وكان لسعيد بن حميد وأبى على البصير وأبى العيناء معاتبات ومكاتبات ومداعبات وقد أتينا على ذكرها فى الكتاب الاوسط
وكان أبو على البصير من أطبع الناس فى زمانه لايزال يأتى بالبيت النادر والمثل السائر الذى لايأتى به غيره وكان ابن ميادة
بسوء اختياره يرى أنه أشعر من جرير ويحسبه مقدما على أهل عصره وهو فوق نظرائه فى وقته ودون البحترى
فمن مشهور شعره قوله فى
المعلى بن أيوب
لعمر أبيك ما نسب المعلى
الى كرم وفى الدنيا كريم
ولكن البلاد اذا اقشعرت
وصوح نبتها رعى الهشيم
ومما استحسن له من شعره
قوله
اذا ما اغتدت طلابة العلم
مالها
من العلم الا ما يخلد فى
الكتب
غدوت بتشمير وجد عليهم * فمحبرتى سمعى ودفترها قلبى ومما استحسن من قوله وهو يريد الحج ان
خرجنا نبتغى مكة حجاج وعمارا فلما اشارف الحير * دعا عى ابلى حارا فقلت احطط بها رحلى * ولا تعبأ بمن حارا
فصادفنا بها الهوا * وبستانا وخمارا وظبيا عاقدا بين النقا والخصر زنارا فاطنك بالحلفا * ءان أشعلتها نارا
وظهر فى هذه السنة وهى سنة ثمان وأربعين ومائتين بالكوفة أبو الحسن يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن عبد الله بن
اسمعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب الطيار وقيل ان ظهوره كان بالكوفة سنة خمسين ومائتين فقتل وحمل رأسه الى
بغداد وصلب فضج الناس من ذلك لما كان فى نفوسهم من المحبة له لانه استفتح أموره بالكف عن الدماء والتورع عن أخذ
شئ من أموال الناس وأظهر العدل والانصاف وكان ظهوره لذل نزل به وجفوة لحقته ومحنة نالته من المتوكل وغيره من
الاتراك ودخل الناس الى محمد بن طاهر يهنؤنه بالفتح ودخل عليهم أبو هاشم الجعفرى وهو داود بن القاسم بن اسحق بن عبد الله
ابن جعفر بن أبى طالب بينه وبين جعفر الطيار ثلاثة آباء ولم يكن يعرف فى ذلك الوقت أقعد نسبا فى آل أبى طالب
وسائر بنى هاشم وقريش منه وكان ذا زهد وورع ونسك وعلم صحيح العقل سليم الحواس منتصب القامة وقبره مشهور وقد
أتينا على خبره وما روى عنه من الرواية عن أبيه ومن شاهد من سلفه فى كتاب حدائق الاذهان فى أخبار النبى صلى الله عليه
وسلم فقال لابن طاهر ايها وخرج من داره وهو يقول يا بنى طاهر ابيتين وقد كان المستعين أمر بنصب الرأس فامر ابن طاهر

وقال اذا عظمت نفس امرئ صار قدره * حقيرا وحيث احتل فالذل صاحبه
يسود ويعلو ذو التواضع دائما * و يحظى كما يرضى وتقضى مآربه
وقال ودمن يصطفيك للنفع زور * والجميل الذى يريك غرور
انما الودود من ليس يخشى * فيك من يلوم أو من يضير
وقال اشكر لمن والاك معروفا * تكن بفضل النفس معروفا
شكر أخى المنة عدل فكن * بالعدل مهما اسطعت موصوفا
من يكفر الاحسان لابد أن * يلقى عن الاحسان مصروفا
وقال حسب الانسان ماله * وهو فى الدنيا كماله
يحجر الفقر أخا الحلم وان طال احتماله
عزة المرء غناه * وبه تحسن حاله
وقال لاتصاحب أبدا من * عقله غير متين

بانزاله لما رأى من الناس وما هم عليه وفي ذلك يقول أبو هاشم الجعفري   يا بني طاهر كلوه وبيا * ان لحم النبي غير مري
ان وترا يكون طالبه الله لوتر بالفوت غير حري   وقد رثى أبو الحسن يحيى بن عمر باشعار كثيرة وقد أتينا على خبر مقتله
وما رثي به من الشعر في الكتاب الاوسط ومما رثي به ما قاله فيه أحمد بن أبي طاهر الشاعر من قصيدة طويلة

سلام على الاسلام فهو مودع * اذا ما مضى آل النبي فودعوا   فقدنا العلا والمجد عند افتقادهم
وأضحت عروس المكرمات تضعضع   أتجمع عين بين نوم ومضجع * ولابن رسول الله في الترب مضجع
فقد أقفرت دار النبي محمد * من الدين والاسلام فالدار بلقع   وقتل آل المصطفى في خلالها
وبدد شمل منهم ليس يجمع   ألم تر آل المصطفى كيف تصطفى * نفوسهم أم المنون فتتبع
بني طاهر واللؤم منكم سجية * وللغدر منكم حاسر ومقنع   قواطعكم في الترك غير قواطع
ولكنها في آل أحمد تقطع   لكم كل يوم مشرب من دمائهم * وغلتها من شربها ليس تنقع
رماحكم للطالبيين شرع * وفيكم رماح الترك بالقتل شرع   لكم مرتع في دار آل محمد
وداركم للترك والجيش مرتع   أخلتم بان الله يرعى حقوقكم * وحق رسول الله فيكم مضيع
وأضحوا يرجون الشفاعة عنده * وليس لمن يرميه بالوتر يشفع   فيغلب مغلوب ويقتل قاتل
ويخفض مرفوع ويدني المرفع   قال وكان يحيى دينا كثير التعطف   ٣٤١   والمعروف على عوام
الناس بارا بخواصهم واصلا لاهل بيته مؤثرا لهم على نفسه مثقل الظهر بالطالبيات يجهد نفسه ببرهن والتحنن عليهن لم تظهر له زلة ولا عرفت له خزية ولما قتل يحيى جزعت عليه نفوس الناس جزعا كثيرا ورثاه القريب والبعيد وحزن عليه الصغير والكبير وجزع لقتله الملي والدني وفي ذلك
يقول بعض شعراء عصره وممن جزع على فقده   بكت الخيل شجوها بعد يحيى * وبكاه المهند المصقول
وبكته العراق شرقا وغربا * وبكاه الكتاب والتنزيل   والمصلى والبيت والركن والحجـ
ـر جميعا لهم عليه عويل   كيف لم تسقط السماء علينا * يوم قالوا أبو الحسين قتيل
وبنات النبي يندبن شجوا * موجعات دموعهن تسيل   ويؤبن للرزية بدرا
فقده مفظع عزيز جليل   قطعت وجهه سيوف الاعادي * بابي وجهه الوسيم الجميل
وليحيى الفتى بقلبي غليل * كيف يرضى بالجسم ذاك الغليل   قتله مذكر لقتل علي
وحسين ويوم أودى الرسول   فصلاة الاله وقفا عليهم * ما بكى موجع وحن ثكول
وكان ممن رثاه علي بن محمد بن جعفر العلوي الحماني الشاعر وكان ينزل بالكوفة في حمان فاضيف اليهم فقال
يا بقايا السلف الصالـ * ـح والتجر الربيح   نحن للايام من بين قتيل وجريح
خاب وجه الارض كم غيب من وجه صبيح   آه من يومك ما أو * داه للقلب القريح
وفيه يقول   تضوع مسكا جانب القبر اذ ثوى * وما كان لولا شلوه يتضوع   مصارع فتيان كرام أعزة
اتيح ليحيى الخير منهن مصرع   وقوله   اني لقومي من احساب قومكم * بمسجد الخيف في بحبوحة الخيف

ان نقص العقل داء * يتقي مثل الجنون
صحبة الاحمق عار * لاحق في كل حين

وقال   وافق الناس ان أردت السلامه * ان روح الوفاق روح كرامه
من يوافق يعش هنيئا قريرا * آمنا من أذية وملامه
فتوق الخلاف واحذر أذاه * فركوب الخلاف عمدا ندامه

وقال   ظلمات الخطوب مهما ادلهمت * يجلها كالصباح فجر انفراج
أرح النفس لا تبت حلف هم * كم هموم فيها السرور يفاجي

وقال   من لم يكن يقصد أن يحمدا * يعش هنيئا وينل أسعدا
من يبتغي المدحة لابد أن * يلحقه الذل وأن يجهدا
عيش الفتى في ترك تقييده * وموته البحث اذا قيدا

وقال   قل لاهل الحاجات مهما ابتغوها * حسبكم ما أتى من التنبيه

ثم اعلق السيف منا بابن عاشرة * الا وهمته أمضى من السيف وقد كان على بن محمد بن جعفر العلوى هذا وهو أخو اسمعيل العلوى لامه لما دخل الحسن بن اسمعيل الكوفة وهو صاحب الجيش الذى لقى يحيى بن عمر قعد عن سلامه ولم يمض اليه ولم يتخلف عن سلامه أحد من آل على بن أبى طالب الهاشميين وكان على بن محمد الحمانى مفتيهم بالكوفة وشاعرهم ومدرسهم ولسانهم ولم يكن أحد بالكوفة من آل على بن أبى طالب يتقدمه فى ذلك الوقت فتفقده الحسن بن اسمعيل وسال عنه وبعث بجماعة فاحضروه فانكر الحسن تخلفه فاجابه على بن محمد بجواب مستقتل آيس من الحياة فقال أردت أن آتيك مهنئا بالفتح وداعيا بالظفر وأنشد شعرا لا يقدم على مثله من يرغب فى الحياة

قتلت أعز من ركب المطايا * وجئتك أستلينك فى الكلام
وعز على أن ألقاك الا * وفيما بيننا حد الحسام
ولكن الجناح اذا أهيضت * قوادمه يرف على الاكام

فقال له الحسن بن اسمعيل أنت موتور فلست أنكر ما كان منك وخلع عليه وحمله الى منزله قال وكان أبو أحمد الموفق بالله حبس على بن محمد العلوى لامر شنع به عليه من انه يريد الظهور فكتب اليه من الحبس

قد كان جدك عبد الله خير أب * لابنى على حسين الخير والحسن
فالكف يوهن منها كل أنملة * ما كان من أختها الاخرى من الوهن

فلما وصل هذا الشعر اليه كفل وخلى الى الكوفة وله أشعار ومراث فى أخيه اسمعيل وغيره من أهله وفى ذم الشيب قد أتينا على كثير من ذكرها فى كتابنا

أخبار الزمان عند ذكر أخبار الطالبيين وفى كتاب مزاهر الاخبار وطرائف الآثار فى أخبار النبى صلى الله عليه وسلم * ومما رثى به على بن محمد أيضا أبا الحسن يحيى بن عمر فاجاد فيه وافتخر على غيرهم من قريش قوله

لعمرى لئن سرت قريش بهلكه * لما كان وفا غداة التوقف
فان مات تلقاء الرماح فانه * لمن معشر يشنون موت الترف
فلا تشمتوا فالقوم من يبق منهم * على سنن منهم مقام المخلف
لهم معكم اما جحدتم أنوفكم * مقامات ما بين الصفا والمعرف
تراث لهم من آدم ومحمد * الى الثقلين من وصايا ومصحف

وفيه يقول أيضا فى الشيب

قد كان حين علا الشباب به * يقق السوالف حالك الشعر
وكأنه قمر تمنطق فى * أفق السماء بدارة البدر
يا ابن الذى جعلت فضائله * فلك العلا وقلائد السور
من اسرة جعلت مخايلهم * للعالمين مخايل النظر
تهب الاقدار قدرهم * فكأنهم قدر على قدر
والموت لا تسوى رميته * فلك العلا ومواضع الغرر

ومن مراثيه المستحسنة فى أخيه

هذا ابن أمى عديل الروح فى جسدى * شق الزمان به قلبى الى كبدى
فاليوم لم يبق شئ أستريح به * الا تفتت أعضائى من الكمد
أو مقلة بحياء الهم باكية * أو بيت مرثية تبقى على الابد
ترى أناجيك فيها بالدموع وقد * نام الخلى ولم أهجع ولم أكد
من لى بمثلك يا نور الحياة ويا * يمنى يدى التى شلت من العضد
من لى بمثلك أدعوه لحادثة * تشكى اليه ولا أشكو الى أحد
قد ذقت أنواع ثكل كنت أبلغها * على القلوب وأجناها على كبد
قل للردى لا تغادر بعده أحدا * وللمنية من أحببت فاعتمدى
ان الزمان تقضى بعد فرقته * والعيش آذن بالتفريق والنكد

ان تريدوا الحاجات من غير بطء * فاطلبوها عند الحسان الوجوه

وقال

خذ الامور برفق واتئد أبدا * اياك من عجل يدعو الى وصب
الرفق أحسن ما تؤتى الامور به * يصيب ذو الرفق أو ينجو من العطب
من يصحب الرفق يستكمل مطالبه * كما يشاء بلا أين ولا تعب

وقال

من يبتغى السودد لابد أن * يرهقه الجهد فلا يضجر
يصعب ادراك المعالى فمن * يرم لحاق بعضها يصبر
لا تحصل السودد هينا ولا * يظفر بالبغية الا الجرى

وقال

عاش فى الناس من درى قدر نفسه * ثم دارى جميع أبناء جنسه
علم الانسان قدره نيل عقل * وذكاء يبين عن فضل حدسه

وقال

عظم الناس تنل تعظيمهم * واجتنب تحقيرهم فهو الردى
من يرى الناس بتحقير يكن * عندهم مؤذى حقيرا أبدا

كانت وفاة محمد العلوى فى خلافة المعتمد فى سنة ست ومائتين وفى خلافة المستعين وذلك فى سنة خمسين ومائتين ظهر ببلاد طبرستان الحسن بن زيد بن محمد بن اسمعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم فغلب عليها وعلى جرجان بعد حروب كثيرة وقتال شديد وما زالت فى يده الى أن مات سنة سبعين ومائتين وخلفه أخوه محمد بن زيد فيها الى أن حاربه رافع بن هرثمة ودخل محمد بن زيد الى الديلم فى سنة سبع وسبعين ومائتين فصارت فى يده وبايعه بعد ذلك رافع بن هرثمة وصار فى جملته وانقاد لدعوته والقول بطاعته وكان الحسن بن زيد ومحمد بن زيد يدعوان الى الرضا من آل محمد وكذلك من طرأ بعدهما ببلاد طبرستان وهو الحسن بن على الحسنى المعروف بالاطروش وولده ثم الداعى الحسن بن القاسم الذى قتله التتار بطبرستان وكان الحسن بن القاسم من ولد الحسن بن على بن أبى طالب وقد أتينا على خبر سائر آل أبى طالب بطبرستان ومن ظهر منهم بالمشرق والمغرب وغير ذلك من بقاع الارض الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فى كتابنا أخبار الزمان وانما نذكر فى هذا الكتاب لمعا من سائر ما يجب ذكره لئلا يخلو هذا الكتاب من ذكرهم وظهر فى هذه السنة وهى سنة خمسين ومائتين بالرى محمد بن جعفر بن الحسن ودعا للحسن بن زيد صاحب طبرستان وكانت له حروب بالرى مع أهل خراسان من المسودة فأسر وحمل الى نيسابور والى محمد بن عبد الله بن طاهر فمات فى محبسه بنيسابور وظهر بعده بالرى أحمد بن عيسى بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ودعا الى الرضا من آل محمد وحارب محمد بن طاهر وكان بالرى فانهزم عنها وسار الى مدينة السلام فدخلها العلوى

وفى هذه السنة وهى سنة خمسين ومائتين ظهر بقزوين الكركى وهو الحسن بن اسمعيل بن محمد بن عبد الله بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم وهو من ولد الاوسط وقيل ان اسم الكركى الحسن بن أحمد ابن محمد بن اسمعيل بن محمد بن عبد الله بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم

لا يغرنك اهمال امرئ * ربما يؤذى الذباب الاسدا

وقال

حب الرياسة يا له من داء * كم فيه من محن وطول عناء

طلب الرياسة فت أعضاد الورى * واذاق طعم الذل للكبراء

ان الرياسة دون مرتبة التقى * فاذا اتقيت علوت كل علاء

وقال

لا تركنن الى شر * ان شئت تأمن كل شر

ذهب الذين اذا ركنت لهم امنت من الضرر

لم يبق الا شامت * او من يضر اذا قدر

وقال

خل راى الجهال ما استطعت واتبع * راى اهل الحلوم والتجريب

لا تحد عن مشورة فى مهم * فهى مما تنمى حياة القلوب

راى اهل الصلاح نور يجلى * ظلمة الكرب فى ليالى الخطوب

وقال

لا يرتضى بالدون الا امرؤ * مقصر ذو همة خامله

فحاربه موسى وبغا وصار الكركى الى الديلم ثم وقع الى الحسن بن زيد الحسنى فهلك قبله وظهر بالكوفة الحسين بن محمد ابن حمزة بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب فسرح اليه محمد بن عبد الله بن طاهر من بغداد جيشا عليه ابن خاقان فانكشف الطالبى واختفى لترك أصحابه له وتخلفهم عنه وكان ذلك فى سنة احدى وخمسين ومائتين وفى سنة تسع وأربعين ومائتين عقد المستعين لابنه العباس على مكة والمدينة والبصرة والكوفة وعزم على البيعة له فأخرها لصغر سنه وكان عيسى ابن فرخانشاه قال لابى البصير الشاعر أن يقول فى ذلك شعرا يشير فيه بالبيعة له فقال فى ذلك قصيدة طويلة يقول فيها

بك الله حاط الدين واحتاش أهله * من الموقف الدحض الذى مثله يردى

فول ابنك العباس عهدك انه * له موضع واكتب الى الناس بالعهد

فان خلفته السن فالعقل بالغ * به رتبة الشيخ الموفق للرشد

فقد كان يحيى أوتى العلم قبله * صبيا وعيسى كلم الناس فى المهد

وقال أبو العباس المكى كنت أنادم محمد بن طاهر بالرى قبل مواقعته الطالبيين فما رأيته فى وقت من الاوقات أشد سرورا منه ولا أكثر نشاطا قبل ظهور العلوى بالرى وذلك فى سنة خمسين ومائتين ولقد كنت عنده ليلة أتحدث والخير وافد والستر مسبل اذ قال كانى أشتهى الطعام فما آكل قلت صدر دراج أو قطعة من جدى باردة قال يا غلام هات رغيفا وخلا وملحا فاكل من ذلك فلما كان فى الليلة الثانية قال يا أبا العباس كانى جائع فما ترى أن آكل قلت ما أكلت البارحة فقال أنت لا تعرف فرق ما بين الكلامين قلت البارحة كانى

أشتهي الطعام وقلت الليلة كاني جائع وما بينهما فرق فدعا بالطعام ثم قال لي صف لي الطعام والشراب والطيب والنساء
والخيل قلت أيكون ذلك منثورا أو منظوما قال لا بل منثورا قلت أطيب الطعام مالقي الجوع بطعم وافق شهوة قال فما
أطيب الشراب قلت كاس مدام تبرد بها غليلك وتعاطي بها خليلك قال فأي السماع أفضل قلت أوتار أربعة وجارية
مترعة غناؤها عجيب وصوتها مصيب قال فاي الطيب أطيب قلت ريح حبيب تحبه وقرب ولد تربه قال فاي النساء أشهى
قلت من تخرج من عندها كارها وترجع اليها والها قال فاي الخيل أفره قلت الاشدق الاعين الذي اذا طلب سبق واذا
طلب لحق قال أحسنت يا بشر أعطه مائة دينار قلت وأين تقع مني مائة دينار قال أوقد زدت نفسك مائة دينار يا غلام أعطه
المائة كما ذكرنا والمائة الاخرى لحسن ظنه بنا فانصرفت بمائتي دينار فما كان بين هذا الحديث وبين تنحيه من الري الا جمعة
*وكان المستعين حسن المعرفة بايام الناس واخبارهم لهجا باخبار الماضين (وحدث) محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرني
أبو البيضاء مولى جعفر الطيار وكان طيب الحديث قال وفدنا في أيام المستعين من المدينة الى سامرا وفينا جماعة من آل أبي
طالب وغيرهم من الانصار فاقمنا ببابه نحوا من شهر ثم وصلنا اليه فكل تكلم وعبر عن نفسه فقرب وآنس وابتدأ بذكر
المدينة ومكة وأخبارهما وكنت اعرف الجماعة بما شرع فيه فقلت ايأذن أمير المؤمنين في الكلام قال ذلك اليك فشرعت
معه فيما قصد اليه وتسلسل بنا الكلام الى فنون من العلم في أخبار الناس ثم انصرفنا واقيم لنا الانزال والافضال فلما
كان في أول الليل أتانا خادم ومعه عدة من الاتراك فرسان مخملات على جنبة كانت معهم وأتى بي الى

المستعين فاذا هو جالس
في الجوسق فقربني
وأدناني ثم أخذ بعد أن
أنسني في أخبار العرب
وأيامها وأهل التتيم
فانتهى بنا الكلام الى
اخبار العذريين
والمتيمين فقال ما عندك
من أخبار عروة بن حزام
وما كان منه مع عفراء
فقلت يا أمير المؤمنين ان
عروة بن حزام لما انصرف
من عند عفراء بنت عقال توفي وجدا بها وصبابة اليها فمر به ركب فعرفوه فلما انتهوا الى منزل عفراء صاح
صائح منهم
ألا أيها القصر المغفل اهله * نعينا اليكم عروة بن حزام
ففهمت صوته وأشرفت عليه وقالت
ألا أيها الركب المجدون ويحكم * بحق نعيتم عروة بن حزام
فاجابها رجل من القوم فقال
نعم قد تركناه بارض بعيدة * مقيما بها في سبسب واكام
فقالت لهم
فان كان حقا ما تقولون فاعلموا * بان قد نعيتم بدر كل ظلام
فلا لقي الفتيان بعدك لذة
ولا رجعوا من غيبة بسلام
ولا وضعت انثى شريفا كمثله * ولا فرحت من بعده بغلام
ولا لا بلغتم حيث وجهتم له * ونغصتم لذات كل طعام
ثم سالتهم أين دفنوه فاخبروها فصارت الى قبره فلما قاربته
قالت انزلوني فاني أريد قضاء حاجة فانزلوها فانسلت الى قبره فاكبت عليه فما راعهم الا صوتها فلما سمعوه بادروا اليها فاذا
هي ممتدة على القبر قد خرجت نفسها فدفنوها الى جانب قبره قال فقال لي فهل عندك من خبره غير ما ذكرت قلت نعم يا أمير
٬ هذا ما أخبرنا به مالك بن الصباح العدوي عن الهيثم بن عدي بن عروة عن أبيه قال بعثني عثمان بن عفان مصدقا في
لادحي منهم يقال لهم بنو منبذة فاذا ببيت جديد متحاش عن الحي فملت اليه فاذا بشاب قائم في ظل البيت واذا
كسر البيت فلما رآني ترنم بصوت ضعيف يقول

الموت خير من حياة الفتى * مهتضما ذا رتبة سافله
روح حياة المرء في عزه * من ذل مات الميتة العاجله

وقال

استغن عمن تشاء * فالله يغنيك عنه
من أمل الناس يشقى * وليس يقنع منه
فان ظفرت بحر * فاحفظ عليه وصنه

وقال

خذ من صديقك قدر ما يعطيكا * لا تبغ ازيد واحذر ان يجفوكا
من يبغ مقدار الذي يحتاجه * من اخيه يبق نجيا متروكا
شان الالى رزقوا الحجا أن يقنعوا * فابغ القناعة انها تغنيكا

وقال

هن اذا عز اخوكا * واخش ان يقرض فيكا
ان من عاند أقوى * منه قد ضل سلوكا
نقص عقل أن تعادي * بشرا الا يقيكا

جعلت اعراف اليمامة حكمه * وعراف نجـــدان هما شفيانى فقالا نعم نشـــفى من الداء كله

وقاما مع العواد يبتـدران فما تركا من رقيـــــة يعرفانها * ولا شربة الا بهـــا سقيانى

وقالا شفاك الله والله مالنا * بما حملت منــك الضلوع يدان فلهفى على عفراء لهفا كانه

على النحر والاحشاء حد سنان * فعفراء أحظى الناس عندى مودة * وعفراء عنى المعرض المتدانى

وانى لأهوى الحشر اذ قيل انني * وعفــــراء يوم الحشر ملتقيان * ألا لعن الله الوشاة وقولهـــم

فلانة أضحت خلة لفلان ثم شهق شهقة خفيفة فنظرت فى وجهه فاذا هو قد مات فقلت أيتها العجوز ما أظن هذا النائم بفناء بيتك الا قد مات قالت وأنا والله أظن ذلك فنظرت فى وجهه وقالت فاض ورب الكعبة فقلت من هذا فقالت عروة بن حزام العذرى وأنا أمه والله ما سمعت له أنة من سنة الا فى صدر يومى هذا فانى سمعته يقول

من كان من أمهات باكيا أبدا * فاليوم انى أرانى فيه مقبوضا

تسمعيه فانى غير سامعه * اذا علوت رقاب القوم مفروضا

قال فاقمت حتى شهدت غسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه قال فقال عثمان وما دعاك الى ذلك قلت اكتساب الاجر فيه والله قال فوصل الجماعة وفضلنى عليهم فى الجائزة (قال المسعودى) ولمن سلف من المتيمين أخبار عجيبة وأشعار حسان فمن ذلك ما حدثنا به أبو خليفة الفضل بن الحاجب الجمحى القاضى ٣٤٥ قال حدثنا محمد بن سلام الجمحى قال أخبرنى أبو الهياج بن سابق النجدى ثم الثقفى قال خرجت الى أرض بنى عامر لا لشئ الا للقاء المجنون فاذا أبوه شيخ كبير واذا اخوته رجال واذا نعم ظاهرة وخير كثير فسألتهم عن المجنون فاستعبروا وقال الشيخ كان والله آثر هؤلاء عندى فهوى امرأة من قومه والله ما كانت تطمع فى مثله فلما عرف أمره وأمرها كره أبوها أن يزوجها منه فزوجها من رجل آخر فقيدناه فكان يعض شفتيه ولسانه حتى خشينا أن يقطعهما فلما رأينا ذلك خلينا سبيله فرفى هذه الفيافى يذهب اليه فى كل يوم بطعامه فيوضع له بحيث يراه فاذا عاينه جاء فأكل واذا خلقت ثيابه جاؤه بثياب فوضعت بحيث يراها فسألتهم أن يدلونى عليه فدلونى على فتى من الحى وقالوا انه لم يزل صديقا له وليس يأنس بأحد سواه فسألته أن يدلنى عليه فقال ان كنت تريد شعره فكل شعره عندى الى أمس وأنا ذاهب اليه غدا فان كان قد ذكر شيئا أتيتك به قلت أريد أن تدلنى عليه قال ان رآك نفر منك وأخاف أن يذهب منى فيما بعد فيذهب شعره فأبيت الا أن يدلنى فقال اطلبه فى هذه الصحراء فاذا رأيته فادن منه مستأنسا فانه يتهددك ويتوعدك أن يرميك بشئ فى يده فاجلس كانك لا تنظر اليه والحظه فاذا رأيته قد سكن فاجهد أن تروى لقيس بن الذريح شيأ فانه معجب به قال فخرجت اليه يومى فوجدته بعد العصر جالسا على تل يخط باصبعه خطا فدنوت منه غير منقبض فنفر والله كما ينفر الوحش من الانسان والى جانبه أحجار فتناول منها واحدا فأقبلت حتى جلست قريبا منه فمكثت ساعة وهو كانه نافر فلما طال جلوسى سكن وأقبل يعبث باصبعه فنظرت اليه وقلت أحسن والله قيس بن الذريح حيث يقول

وانى لمفن دمع عينى بالبكا * حذار الما قد كان أو هو كائن وقالوا غدا أو بعد ذاك بليلة * فراق حبيب لم يبن وهو بائن

وما كنت أخشى أن تكون منيتى * بكفى الا أن ما حان حائن قال فبكى والله حتى سالت دموعه ثم قال أنا والله أشعر منه

٤٤ ط ث

وقال

تنزه ما حييت عن القبيح * وخالف من يرى رد النصيح

وخذ بالحزم مهما اسطعت واحذر * من ان يلقيك حزمك فى فضوح

فلا تعدل عن الحق التفاتا * لغير الحق من بعد الوضوح

وقال

لا تخف فى الحق لوما * صدقه ينجيك حتما

يجلى الحق و يبدو * نوره لا يتعمى

شأن ذى الحق اهتداء * واخو الباطل اعمى

وقال

عامل بجد جميع الناس تحظ به * وجنب الهزل ان الهزل يرديكا

الجد احسن ما تبديه من خلق * والجد اشرف ما فى الناس يعليكا

من لازم الجد هابته النفوس ومن * يهزل يكن ابدا فى الناس مهتوكا

وقال

كفاك الله شر من اصطفيتا * وضر من اعتمدت ومن عرفتا

جميع الناس مونى عنك الا * معارفك الذين لهم ركنتا

حيث أقول أبى القلب الا حبها عامرية * لها كنية عمرو وليس لها عمرو * تكاد يدي تندى اذا ما لمستها
و ينبت في أطرافها الورق الخضر عجبت لسعي الدهر بيني وبينها * فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر
فيا حبها زدني جوى كل ليلة * ويا سلوة الايام موعدك الحشر قال ثم نهض فانصرفت ثم عدت من الغد
فاصبته ففعلت فعلي بالامس وفعل مثل فعله فلما أنس قلت أحسن والله قيس بن الذريح حيث يقول قال ماذا قلت
هبوني امرأ ان تحسنوا فهو شاكر * لذاك وان لم تحسنوا فهو صافح فان يك قوم قد أشاروا بهجرنا * فان الذي بيني وبينك صالح
قال فبكى وقال أنا والله أشعر منه حيث أقول وأدنيتني حتى اذا ما سبيتني * بقول يحل العصم سهل الاباطح
تجافيت عني حيث مالي حيلة * وخلفت ما خلفت بين الجوانح ثم ظهرت لنا ظبية فوثب في اثرها فانصرفت ثم عدت
في اليوم الثالث فلم أصادفه فرجعت فاخبرتهم فوجهوا الذي كان يذهب بطعامه فرجع وأخبرهم ان الطعام على حاله ثم
غدوت مع أخوته فطلبناه يومنا وليلتنا فلما أصبحنا أصبناه في واد كثير الحجارة واذا هو ميت فاحتمله اخوته ورجعت الى بلدي
(قال) وفي سنة ثمان وأربعين ومائتين كانت وفاة بغا الكبير التركي وقد نيف على التسعين سنة وقد كان باشر من الحروب
مالم يباشره أحد فما أصابته جراحة قط وتقلد ابنه موسى بن بغا ما كان يتقلده وضم اليه أصحابه وجعلت له قيادته وكان بغا
دينا بين الاتراك وكان من غلمان المعتصم يشهد الحروب العظام ويباشرها بنفسه فيخرج منها سالما ويقول الاجل جوشن
ولم يكن يلبس على بدنه شيئا من الحديد فعذل في ذلك فقال رأيت في نومي النبي صلى الله عليه وسلم ومعه

جماعة من أصحابه فقال لي يا بغا أحسنت الى رجل من أمتي فدعا لك بدعوات استجيبت له فيك قال فقلت يا رسول الله ومن ذلك الرجل قال الذي خلصته من السباع فقلت يا رسول الله سل ربك أن يطيل عمري فرفع يديه نحو السماء وقال اللهم أطل عمره وأتم أجله فقلت يا رسول الله خمس وتسعون
سنة فقال رجل كان بين يديه ويوقى من الآفات فقلت للرجل من أنت قال أنا علي بن أبي
طالب فاستيقظت من نومي وأنا أقول علي بن أبي طالب وكان بغا كثير التعطف والبر للطالبيين فقيل له من كان ذلك
الرجل الذي خلصته من السباع قال كان أتي المعتصم برجل قد رمي ببدعة فجرت بينهم في الليل مخاطبة في خلوة فقال لي
المعتصم خذه فألقه الى السباع فأتيت بالرجل الى السباع لالقيه اليها وأنا مغتاظ عليه فسمعته يقول اللهم انك تعلم ما تكلمت
الا فيك ولم أرد بذلك غيرك وتقربا اليك بطاعتك واقامة الحق على من خالفك أفتسلمني قال فارتعدت وداخلتني له رقة وملئ
قلبي له رعبا فجذبته عن طرف بركة السباع وقد كدت أن أزج به فيها وأتيت به حجرتي فاخفيته فيها وأتيت المعتصم فقال هيه
قلت ألقيته قال فما سمعته يقول قلت أنا أعجمي وهو يتكلم بكلام عربي ما أدري ما يقول وقد كان الرجل اغلظ فلما كان في
السحر قلت للرجل قد فتحت الابواب وأنا مخرجك مع رجال الحرس وقد آثرتك على نفسي ووقيتك بروحي فاجهد أن لا تظهر
في أيام المعتصم قال نعم قلت فما خبرك قال هجم رجل من عماله في بلدنا على ارتكاب المكاره والفجور واماتة الحق ونصر
الباطل فسرى ذلك الى فساد الشريعة وهدم التوحيد فلم أجد عليه ناصرا فوثبت عليه في ليلة فقتلته لان جرمه كان يستحق
به في الشريعة أن يفعل به ذلك (قال المسعودي) ولما انحدر المستعين ووصيف وبغا الى مدينة السلام اضطربت الاتراك
والفراغنة وغيرهم من الموالي بسامرا وأجمعوا على بعث جماعة اليه يسألونه الرجوع الى دار ملكه فصاروا اليه عدة من وجوه

تحفظ من قريب أو صديق * وكن في الغير دهرك كيف شئتا

وقال

من كان يرغب عن أحبابه ويرى * تقريب أعدائه لا شك يهتضم
يدني العدو فلا تدنو مودته * هيهات كل معاد قربه ندم
فاحفظ صديقك واحذر أن تعاديه * ان الصديق اذا عاديته خصم

وقال

جامل عدوك كي يلين حقده * فيكف بعض البعض من ايذائكا
واحفظ صديقك ما استطعت فانه * ادرى بطرق الضر من أعدائكا

وقال

اذا ظفرت بعن أخي عليك فخذ * بالحلم فيه ودع ما منه قد فرطا
ان المسيء اذا جازيته أبدا * بفعله زدته في غيه شططا
العفو أحسن ما يجزى المسيء به * يهينه أو يريه أنه سقطا

وقال

قابل عدوك بالفضائل انها * اعدى عليه من السهام النفذ
كسب الفضائل عدة لك في * رتب بها سبل السعادة تحتذي

فاحرص

الموالى ومعهم البردوالقضيب وبعض الخزائن ومائتا ألف دينار ويسألونه الرجوع الى دار ملكه واعترفوا بذنوبهم وأقروا بخطئهم وضمنوا أن لا يعودوا ولا غيرهم من نظرائهم الى شئ من ذلك مما أنكره عليهم وتذللوا وخضعوا فأجيبوا بما يكرهون وانصرفوا الى سر من رأى فأعلموا أصحابهم وأخبروهم بما نالهم وايأسهم من رجوع الخليفة وقد كان المستعين اعتقل المعتز والمؤيد حين انحدر الى بغداد ولم يأخذهما معه وقد كان حذر من محمد بن الواثق حين انحداره فأخذه معه ثم انه هرب منه مع رجال الحرب فاجتمع الموالى على اخراج المعتز والمبايعة له والانقياد الى خلافته ومحاربة المستعين ومناصريه ببغداد فأنزلوه من الموضع المعروف بلؤلؤة الجوسق وكان معتقلا فيه مع أخيه المؤيد فبايعوه وذلك يوم الاربعاء لاحدى عشرة ليلة خلت من المحرم سنة احدى وخمسين ومائتين وركب من ذلك اليوم الى دار العامة فأخذ البيعة على الناس وخلع على أخيه المؤيد وعقد له عقدين أسود وأبيض فكان الاسود لولاية العهد بعده والابيض لولاية الحرمين وتقلدهما وانبثت الكتب فى سامرا بخلافة المعتز بالله من سائر الامصار وأرخت باسم جعفر بن محمد الكاتب وأحدر أخاه أبا أحمد مع عدة من الموالى لحرب المستعين الى بغداد فنزل عليها فكان أول حرب جرت بينهم ببغداد بين أصحاب المعتز والمستعين وهرب محمد بن الواثق الى المعتز بالله ولم تزل الحرب بينهم وبين أهل بغداد للنصف من صفر من هذه السنة فلما نشبت الحرب بينهم كانت أمور المعتز تقوى وحالة المستعين تضعف والفتنة عامة فلما رأى محمد بن عبد الله بن طاهر ذلك كاتب المعتز وجنح اليه ومال الى الصلح على خلع المستعين وقد كانت العامة ببغداد حين علمت ما قد عزم عليه من خلع المستعين ثارت منكرة لذلك متحيزة الى المستعين ناصرة له فأظهر محمد بن عبد الله المستعين على أعلى قصره فخاطبته [illegible] عامة وعليه البردة فأنكر ما بلغهم من خلعه وشكر محمد بن عبد الله ابن طاهر ثم التقى محمد بن عبد الله بن طاهر وأبو أحمد الموفق بالشماسية فاتفقا على خلع المستعين على أن له الامان ولاهله وولده وما حوته أيديهم من أملاكهم وعلى أنه ينزل مكة هو ومن شاء من أهله وأن يقيم بواسط العراق الى وقت مسيره الى مكة فكتب له المعتز على نفسه شروطا أنه متى نقض شيئا من ذلك فالله ورسوله منه براء والناس فى حل من بيعته وعهودا يطول ذكرها وقد خذل المعتز بعد ذلك لمخالفتها حين عاج فى نقضها فخلع المستعين نفسه من الخلافة وذلك يوم الخميس لثلاث خلون من المحرم سنة اثنتين وخمسين ومائتين فكان له مذ وافى مدينة السلام الى أن خلع سنة كاملة وكانت خلافته منذ تقلد الامر على ما بيناه آنفا الى أن زال عنه ثلاث سنين وثمانية أشهر وثمانية وعشرين يوما على ما ذكرناه من الخلاف وأحدر الى دار الحسن بن وهب ببغداد وجمع بينه وبين أهله وولده ثم أحدر الى واسط وقد وكل به أحمد بن طولون التركى وذلك قبل ولايته مصر وعلم عجز محمد بن عبد الله بن طاهر عن قيامه بأمر المستعين حين استجار به وخذلانه اياه وميله الى المعتز بالله وفى ذلك يقول بعض شعراء العصر من أهل بغداد

أطاقت بنا الاتراك حولا محرما * وما برحت فى حجرها أم عامر

أقامت على ذل بها ومهانة * فلما بدت أبدت انا لؤم غادر

ولم ترع حق المستعين فأصبحت * تعين عليه حادثات المقادر

لقد جمعت لؤما وخبثا وذلة * وأبقت لها عارا على آل طاهر

ولما كان من الامر ما قدمنا من خلع المستعين انصرف أبو أحمد الموفق من بغداد الى سامرا فخلع عليه المعتز وتوج ووشح بوشاحين وخلع على من كان معه من قواده وقدم على المعتز عبيد الله بن عبد الله بن طاهر أخو محمد بن عبد الله بالبرد والقضيب والسيف وبجوهر الخلافة ومعه شاهك الخادم

فاحرص على نيل الفضائل جاهدا * ان الفضيلة صعبة فى المأخذ

وقال

وعد الكريم وفاء * تجنيه كيف تشاء

ما حال قط كريم * ولا ثناه التواء

فأنجز الوعد مهما * وعدت فهو الزكاء

وقال

ليس الغنى عن كثرة العرض * ان الغنى فى النفس أن ترض

رأس الغنى ترك المطامع عن * زهد بلا ميل ولا غرض

فازهد تعش أغنى البرية فى * عز بلا هم ولا مضض

وقال

زمن الفضائل قد مضى لسبيله * ولوى بطيب العيش وشك رحيله

ركدت رياح الجد بعد هبوبها * وعلا فريق الهزل بعد خموله

هيهات ما زمن الكرام وما هم * ذهبوا وجد الدهر فى تحويله

وقال

مروءة المرء ثوبه * والعرى فى الناس عيبه

وكتب محمد بن عبد الله الى المعتز فى شاهك ان من أتاك بارث رسول الله صلى الله عليه وسلم لجدير أن لا تخفر ذمته وخلع المستعين وعلى وزارته أحمد بن صالح بن شيرزاد ولما كان فى شهر رمضان من هذه السنة وهى سنة اثنتين وخمسين ومائتين بعث المعتز بالله سعيد بن صالح الحاجب ليلقى المستعين وقد كان فى جملة من حمله من واسط فلقيه سعيد وقد قرب من سامرا فقتله واحتز رأسه وحمله الى المعتز بالله وترك جثته ملقاة على الطريق حتى تولى دفنها جماعة من العامة * وكانت وفاة المستعين بالله يوم الاربعاء لست خلون من شوال سنة اثنتين وخمسين ومائتين وهو ابن خمس وثلاثين سنة على ما قدمنا فى صدر هذا الباب * وذكر شاهك الخادم قال كنت عديلا للمستعين عند اشخاص المعتز له الى سامرا ونحن فى عمارية فلما وصل الى القاطول تلقاه جيش كثير فقال يا شاهك انظر من رئيس القوم فان كان سعيد الحاجب فقد هلكت فلما عاينته قلت هو والله سعيد فقال انا لله وانا اليه راجعون ذهبت والله نفسى وجعل يبكى فلما قرب سعيد منه جعل يقنعه بالسوط ثم أضجعه وقعد على صدره واحتز رأسه وحمله على ما ذكرنا واستقامت الامور للمعتز واجتمعت الكلمة عليه * وللمستعين أخبار غير ما ذكرناه فى هذا الكتاب وأوردناه فى هذا الباب قد أتينا على ذكرها فى كتابنا أخبار الزمان والاوسط واغا ذكرنا ما أوردنا فى هذا الكتاب لئلا يتوهم أنا أغفلنا ذكرها أو عزب عنا علمها فانا بحمد الله لم نترك شيئا من أخبار الناس وسيرهم وما جرى فى أيامهم الا وقد ذكرناه وأوردنا فى كتبنا أحسنه وفوق كل ذى علم عليم والله الموفق للصواب

(ذكر خلافة المعتز بالله)

* بويع المعتز بالله وهو الزبير بن جعفر المتوكل وامه أم ولد يقال لها قبيحة ويكنى أبا عبد الله وله يومئذ ثمانى عشرة سنة بعد خلع المستعين

لنفسه وذلك يوم الخميس لليلتين خلتا من المحرم وقيل لثلاث خلون منه سنة اثنتين وخمسين ومائتين على ما قدمنا وبايعه القواد والموالى والشاكرية وأهل بغداد وخطب له فى المسجد الجامع ببغداد فى الجانبين ثم خلع المعتز نفسه يوم الاثنين لثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين ومات بعد أن خلع نفسه بستة أيام فكانت خلافته أربع سنين وستة أشهر ودفن بسامرا الجملة أيامه منذ بويع بسامرا قبل خلع المستعين الى اليوم الذى خلع فيه أربع سنين وستة أشهر وأياما ومنذ بويع له بمدينة السلام ثلاث سنين وسبعة أشهر وتوفى وله أربع وعشرون سنة

(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه)

* ولما خلع المستعين بالله وأحدر الى واسط بعد أن أشهد على نفسه انه قد برئ من الخلافة وانه لا يصلح لها لما رأى من الخلاف الواقع وانه قد جعل الناس فى حل من بيعته قالت فى ذلك الشعراء فأكثرت ووصفته فى شعرها فأغرقت فقال فى ذلك البحترى من قصيدة طويلة

الى واسط خاب الدجاج ولم يكن * لينبت فى لحم الدجاج مخالب

وفى ذلك يقول الشاعر المعروف بالكنانى من قصيدة

انى أراك من الفراق جزوعا * أمسى الامام مسيرا مخلوعا

وغدا الخليفة أحمد بن محمد * بعد الخلافة والبهاء خليعا

كانت به الايام تضحك زهرة * وهو الربيع لمن أراد ربيعا

فأزاله المقدور من رتب العلا * فثوى بواسط لا يحس رجوعا

وكان بين خلع المستعين وقتله تسعة أشهر ويوم * ومات فى خلافة المستعين جماعة من أهل العلم والمحدثين منهم أبو هاشم محمد بن زيد الرفاعى وأيوب بن محمد الوراق وأبو بكر محمد بن العلاء الهمدانى بالكوفة وأحمد بن صالح المصرى وأبو الوليد السرى الدمشقى وعيسى بن حماد زغبة المصرى بمصر ويكنى أبا موسى وأبو جعفر بن سوار الكوفى وذلك فى سنة ثمان وأربعين ومائتين * وفى خلافة المستعين وذلك فى سنة تسع

بثوبه المرء يعلو * قدرا ويحفظ قربه

من لم يصن ثوبه * لم يصن وان لاح شيبه

وقال

لا تصح ما بقيت حيا القول * ليس يجنى عليك الا المضره

واطرح ما أتاك منه وجنب * من برى بالفضول واتق ضره

وقال

ثقيل تراه النفس فى العين كالقذى * وكالجبل الراسى على الصدر والقلب

تسير غموم المرء رؤية وجهه * وتشكو جفاه الارض شكوى ذوى الكرب

وقال

أما ترى الاشجار مصفرة * أوراقها كالشمس عند المغيب

ماهى الاصفرة آذنت * بأنها ترحل عما قريب

وقال

كل ما تحب وتشتهى * ودع الطبيب وما يرى

حفظ الغذاء مشقة * ليست ترد مقدرا

كم عد من متحفظ * كم صح من قصرا

كل

وأربعين ومائتين كانت وفاة الحسن بن [illegible] البزار وكان من علية أصحاب الحديث وهشام بن خالد الدمشقي ومحمد بن سليمان الجهني بالمصيصة والحسن بن محمد بن طالوت وأبو جعفر الصيرفي بسامرا ومحمد بن زنبور المكي بمكة وسليمان بن أبي طيبة وموسى ابن عبد الرحمن البرقي ❊ وفي خلافة المستعين وذلك في سنة خمسين ومائتين مات ابراهيم بن محمد التيمي قاضي البصرة ومحمود بن خداش وأبو [illegible] لم أحمد بن شعيب الحراني والحرث بن مسكين المصري وأبو طاهر أحمد بن عمرو بن السرح وغير هؤلاء ممن أعرضنا عن ذكره من شيوخ المحدثين ونقلة الآثار ممن قد أتينا على ذكرهم من أول زمن الصحابة الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة في سنة ست من كتابنا المترجم بالاوسط وانما ذكرنا من وفاة من ذكرنا لئلا تخلى هذا الكتاب من نبذ مما يحتاج الى ذكره على قدر الطالب له وقد كان المستعين في سنة ثمان وأربعين ومائتين أخرج من خزانة الخلافة فص ياقوت أحمر يعرف بالجبل وكانت الملوك تصونه وكان الرشيد اشتراه بأربعين ألف دينار ونقش عليه اسمه أحمد ووضع ذلك الفص في أصبعه فتحدث الناس بذلك وقد ذكر أن ذلك الفص قد تداولته الملوك من الاكاسرة وقد نقش في قديم الزمان وذكر أنه لم ينقشه ملك الا مات قتيلا وكان الملك اذا مات وجلس تاليه في الملك حك النقش فتداولته في اللبس الملوك وهو غير منقوش فيقع النادر من الملوك فينقشه وكان ياقوتا أحمر يضيء بالليل كضياء المصباح اذا وضع في بيت لا مصباح فيه أشرق ويرى فيه بالليل تماثيل تلوح وله خبر طويل ظريف قد ذكرناه في كتابنا أخبار الزمان في ذكر خواتم ملوك الفرس وقد كان هذا الفص ظهر في أيام المقتدر ثم خفي أثره بعد ذلك وقد كان جماعة من الشعراء قالوا في المعتز حين استتم له الامر واستقامت له الخلافة وخلعها المستعين أقوالا كثيرة فمن ذلك قول مروان بن أبي الجنوب من قصيدة طويلة

ان الامور الى المعتز قد رجعت ❊ والمستعين الى حالاته رجعا
قد كان يعلم أن الملك ليس له ❊ وأنه لك لكن نفسه خدعا

وفي ذلك يقول رجل من أهل سامرا وقد قيل انه البحتري

لله در عصابة تركية ❊ ردوا نوائب دهرهم بالسيف
قتلوا الخليفة أحمد بن محمد ❊ وكسوا جميع الناس ثوب الخوف
وطغوا فاصبح ملكنا متقسما ❊ واماما فيه شبيه الضيف

وفي المعتز ورجوع الامر اليه واتفاق الكلمة عليه يقول أبو علي البصير

آب أمر الاسلام خير مآب ❊ وغدا الملك ثابتا في نصابه
مستقرا قراره مطمئنا ❊ آهلا بعد نأيه واغترابه
فاحمد الله وحده والتمس بالعفو عمن هفا جزيل ثوابه

وكان على وزارة المعتز جعفر بن محمد ثم استوزر جماعة فكانت الكتب تخرج باسم صالح بن وصيف كانه مرسوم بالوزارة وكانت وفاة أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد في خلافة المعتز بالله وذلك في يوم الاثنين لاربع بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين ومائتين وهو ابن أربعين سنة وقيل ابن اثنتين وأربعين وقيل أكثر من ذلك وسمع في جنازته جارية تقول ماذا لقينا في يوم الاثنين قديما وحديثا وصلى عليه احمد بن المتوكل على الله في شارع أبي أحمد في داره بسامرا ودفن هنالك حدثنا أبو الازهر قال حدثني القاسم بن عباد قال حدثني يحيى بن هرثمة قال وجهني المتوكل الى المدينة لاشخاص علي ابن محمد بن علي بن موسى بن جعفر لشئ بلغه عنه فلما صرت اليها ضج أهلها وعجوا ضجيجا وعجيجا ما سمعت مثله فجعلت أسكنهم وأحلف لهم اني لم أومر فيه بمكروه وفتشت بيته فلم أجد فيه الا مصحفا ودعاء وما أشبه ذلك فاشخصته وتوليت خدمته وأحسنت عشرته فبينا أنا نائم يوما من الايام والسماء صاحية والشمس طالعة اذ ركب وعليه ممطر وقد عقد ذنب دابته فعجبت من فعله

كل التحفظ زائد ❊ لابد مما قدرا

وقال

من كان يأكل ما اشتهى ❊ ويرى مخالفة الطبيب
سيرى مضرة ما أتى ❊ بطرا و يندم عن قريب
ان التحفظ في الامو ❊ ر لشيمة الفطن اللبيب
من لم يكن متحفظا ❊ يخطي و يبعد أن يصيب

وقال

وللحمام حالات اذا ما ❊ ظفرت بها عثرت على النعيم
فناء واحتكاك مجيد ❊ وقل مجرى على الاديم
وحوض مفعم ماء لذيذا ❊ وحمام على النهج القويم
وللحلاق الحديدة حين تمنى ❊ وأطيبها حديث أخ كريم

(وقال في الغزل) وهي آخر كتابه المذكور

الله أكبر جلت فتنة البشر ❊ بنور غرتك المغني عن البصر

فلم يكن بعد ذلك الا هنيهة حتى جاءت سحابة فارخت عز اليها ونالنا من المطر أمر عظيم جدا فالتفت الى وقال أنا أعلم انك أنكرت ما رأيت وتوهمت أنى علمت من الامر مالا تعلمه وليس ذلك كما ظننت ولكن نشأت بالبادية فانا أعرف الرياح التى يكون فى عقبها المطر فلما أصبحت هبت ريح لا تخلف وشممت منها رائحة المطر فتاهبت لذلك فلما قدمت مدينة السلام بدأت باسحق ابن ابراهيم الطاهرى وكان على بغداد فقال يا يحيى ان هذا الرجل قد ولده رسول الله صلى الله عليه وسلم والمتوكل من تعلم وان حرضته على قتله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خصمك فقلت والله ما وقفت له الا على كل أمر جميل فصرت الى سامرا فبدأت بوصيف التركى وكنت من اصحابه فقال والله لئن سقطت من رأس هذا الرجل شعرة لا يكون المطالب بها غيرى فعجبت من قولهما وعرفت المتوكل ما وقفت عليه وما سمعته من الثناء عليه فاحسن جائزته واظهر بره وتكرمته وحدثنى محمد بن الفرج بمدينة جرجان فى المحلة المعروفة سراى غسان قال حدثنى أبو دعامة قال أتيت على بن محمد بن على بن موسى عائدا فى علته التى كانت وفاته منها فى هذه السنة فلما هممت بالانصراف قال لى يا أبا دعامة قد وجب حقك أفلا احدثك بحديث تسر به قال فقلت له ما احوجنى الى ذلك يا ابن رسول الله قال حدثنى أبى محمد بن على قال حدثنى أبى على بن موسى قال حدثنى أبى موسى بن جعفر قال حدثنى أبى جعفر بن محمد قال حدثنى أبى محمد بن على قال حدثنى أبى على بن الحسين قال حدثنى أبى الحسين بن على قال حدثنى أبى على بن أبى طالب رضى الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب قال قلت وما اكتب قال لى اكتب بسم الله الرحمن الرحيم الايمان ما وقرته القلوب وصدقته الاعمال

والاسلام ما جرى به اللسان وحلت به المناكحة قال أبو دعامة فقلت يا ابن رسول الله ما أدرى والله أيهما أحسن الحديث أم الاسناد فقال انها لصحيفة بخط على بن أبى طالب باملاء رسول الله صلى الله عليه وسلم نتوارثها صاغرا عن كابر (قال المسعودى) وقد ذكرنا خبر على بن محمد بن موسى رضى الله عنه مع زينب الكذابة بحضرة المتوكل ونزوله الى بركة السباع وتذللها له ورجوع زينب عما ادعته من انها ابنة الحسين ابن على بن ابى طالب عليه السلام وأن الله تعالى أطال عمرها الى ذلك الوقت فى كتابنا أخبار الزمان وقيل انه مات مسموما عليه السلام (قال المسعودى) وفى سنة ثلاث وخمسين ومائتين وذلك فى خلافة المعتز مات محمد بن عبد الله بن طاهر للنصف من ذى القعدة بعد قتل وصيف بثلاثة عشر يوما والقمر مكسوف وكان من الجود والكرم وغزارة الادب وكثرة الحفظ وحسن الاشارة وفصاحة اللسان وملوكية المجالسة على ما لم يكن عليه أحد من نظرائه وفيه يقول الحسن بن على بن طاهر من قصيدة له

كسف البدر والامير جميعا * فانجلى البدر والامير عميد

عاود البدر نوره لتعليه * ونور الامير ليس يعود

يا كسوفين ليلة الاحد النحس * أحلتكما هناك السعود

واحد كان حده مثل حد السيف * والنار شب فيها الوقود

(وذكر) أبو العباس المبرد قال ارتاح محمد بن عبد الله بن طاهر [illegible] وقد حضره ابن طالوت وكان وزيره وأخص الناس به واحضرهم لخلواته فاقبل عليه وقال لابد لنا اليوم من ثالث [illegible] ة وتلذ بعنادمته المؤانسة فمن ترى أن يكون وأعفنا أن يكون شرير الاخلاق أو دنس الاعراق أو ظاهر [illegible] الفكر وقلت أيها الامير خطر ببالى رجل ليس علينا من مجالسته من مؤنة وقد برئ من ابرام المجالس خفيف الوطأة اذا أحببت سريع الوثبة اذا أردت قال ومن ذلك قلت مانى الموسوس قال أحسنت

شمس تطلع فى أفق الجمال لها * نورتألق فى داج من الشعر

وورد ة الخد فى أبراد سوسنها * شقائق زانها التغليف بالدرر

ومسكة الخال فوق الخد شاهدة * بان ابداعها احكام مقتدر

(وهذه نبذة من كتابه أنداء الديم فى المواعظ والوصايا والحكم) وكل ما فيه كالذى قبله من نظمه رحمه الله تعالى فمن ذلك قوله رحمه الله

العلم نور وهدى * فكن مجدّ طالبه

واحرص عليه واعتمد * فيه الامور الواجبه

من لازم العلم علا * على الانام قاطبه

وقال

خالف النفس عند قصد هواها * تبق ما عشت سالما من أذاها

فاتباع الهوى هوان ولكن * هان للنفس كى تنال مناها

وقال

من يخالف فى شئ الناس يرجع * هدفا للسهام من كل راشق

والله فليتقدم الى أصحاب الثمانية والعشرين الرابع فى طلبه برفعه رفعة فما كان باسرع من ان اقتنصه صاحب الكرخ فصار به الى باب الامير فاخذ وحذف ونظف وأدخل الحمام وألبس ثيابا نظافا وأدخل عليه فقال السلام عليك أيها الامير فقال محمد وعليك السلام يا مانى أما آن لك أن تزورنا على حين توقان منا اليك ومنازعة قلوب منا نحوك فقال مانى الشوق شديد والحب عتيد والمزار بعيد والحجاب صعب والبواب فظ ولو سهل لنا فى الاذن لسهلت علينا الزيارة فقال ألطفت فى الاستئذان فليلطف لك فى الاذن لا يمنع مانى أى وقت ورد من ليل أو نهار ثم أذن له فى الجلوس فجلس ودعا بالطعام فاكل ثم غسل يديه وأخذ مجلسه وكان محمد قد تشوق الى السماع من مؤنسة جارية بنت المهدى فاحضرت فكان أول ما غنت به

ولست بناس اذ غدوا فتحملوا * دموعى على الاحباب من شدة الوجد
وقولى وقد زالت بليل حمولهم * بواكر نجد لا يكن آخر العهد

فقال مانى أحسنت وبحق الامير الا ما زدت فيه

وقمت أناجى الفكر والدمع حائر * بمقلة موقوف على الضر والجهد
ولم يعدنى هذا الامير بغيرة * على ظالم قد لج فى الهجر والصد

فاندفعت تغنيه فقال له محمد أعاشق أنت يا مانى فاستحى وغمزه ابن طالوت أن لا يبوح له بشئ فيسقط من عينيه فقال مبلغ طرب وشوق كان كامنا فظهر وهل بعد الشيب صبوة ثم اقترح محمد على مؤنسة هذا الصوت

حجبوها عن الرياح لانى * قلت يا ريح بلغيها السلاما
لو رضوا بالحجاب هان ولكن * منعوها عن الرياح الكلاما

٣٥١

فغنته فطرب محمد ودعا برطل فشرب فقال مانى ما على قائل هذا الشعر لو زاد فيه فتنعست ثم قلت لطيف

آه ان زرت طيفها الماما * خصه بالسلام منى فاخشى
منعوه الشقوتى ان تماما * لكان اثقب لزند الصبابة بين الاحشاء واشد تعلغلا الى الكبد الصديا من زلال الماء مع حسن تاليف نظمه والانتهاء بالمعنى الى نهاية تمامه

فقال محمد أحسنت يا مانى ثم أمر مؤنسة بالحاقهما بالبيتين الاولين والغناء بهما ففعلت ثم غنت بهذين البيتين

يا خليلى ساعة لا تريما * وعلى ذى صبابة فاقيما
ما مررنا بدار زينب الا * هتك الدمع سرنا المكتوما

فاستحسنه محمد فقال مانى ولولا رهبة التعدى لاضفت الى هذين البيتين بيتين لا يردان على سمع ذى لب فيصدران الا عن استحسان لهما فقال محمد يا مانى الرغبة فى حسن ما تاتى به حائلة دون كل رهبة فهات ما عندك فقال

ظبية كالهلال لو تلحظ الصخـ * ـر بطرف لغادرته هشيما
واذا ما تبسمت خلت ايما * ض بروق أو لؤلؤا منظوما

فقال أحسنت يا مانى فاجز هذا الشعر

لم تطب اللذات الا بمن * طابت بها اللذات مأنوسه

فقال مانى

غنت بصوت أطلقت عبرة * كانت بسجن الصبر محبوسه
وكيف صبر الناس عن غادة * أظلمها ان قلت طاووسه
وجرت ان سميتها بانة * فى جنة الفردوس مغروسه
وغير عدل ان عدلنا بها * جوهرة فى البحر مغموسه

ثم سكت فقال محمد ما عدا فى وصفها فقال مانى

جلت عن الوصف فما فكرة * تلحقها بالنعت محسوسه

فقال محمد أحسنت فقالت مؤنسة وجب شكرك يا مانى فساعدك دهرك وعطف عليك الفلك وقارنك سرورك وفارقك محذورك والله يديم لنا ذلك ببقاء من به اجتمع شملنا فقال لها مانى عند قولها وعطف عليك الفلك مجيبا

ليس لى ألف فيعطفنى * فارقت نفسى الاباطيل
أنا موصول بنعمة من * حبله بالمجد موصول

كن مع الناس كيف كانوا وواقق * ان من لا يوافق الناس مائق

وقال

أرح النفس تتمتع بحياتك * واغتنم العيش قبل يوم وفاتك
واطرح عيب من سواك وسالم * جملة الناس يغفلوا عن اذاتك
واعتبر بالذين بادوا وبادر * ما بدا نيك من سبيل نجاتك

وقال

سالم الناس ما استطعت وجامل * من يعاديك ان اردت السلامه
وتنزه عن القبيح وجنب * من يرى بالفضول واحذر كلامه

وقال

صديقى أنت ما أبقى بخير * وموتى غير محتاج اليكا
فان أحتج اليك فانت منى * برئ لا صداقة لى عليكا

وقال

من أنت عنه غنى * كن فيه مثل اعتقاده
فان يكن منه ود * فجازه بوداده
وان يكن منه بعد * فخله لبعاده

أنا مغبوط بنعمة من * طبعه بالمجد مأمول فاوما اليه ابن طالوت بالقيام فنهض وهو يقول
ملك قل النظير له * ذانه الغر البهاليل طاهري في مواكبه * عرفه في الناس مبذول
دم من يشقى بصارمه * مع هبوب الريح مطلول يا أبا العباس صن أدبا * حده بالدهر مفلول
فقال محمد وجب جزاؤك لشكرك على غير نعمة سبقت ثم أقبل على ابن طالوت فقال ليست خساسة المرء ولا اتضاع الدهر ولا نبو
العين عن الظاهر بمذهب جوهرية الادب المركب في الانسان وما أخطأ صالح بن عبد القدوس حيث يقول
لا يعجبنك من يصون ثيابه * خوف الغبار وعرضه مبذول فلربما افتقر الفتى فرأيته دنس الثياب وعرضه مغسول
قال ابن طالوت فما رأيت أحضر ذهنا منه اذ تقول الجارية عطف عليك الفك وانشاده عند قولها ذلك
ليس لي الف فيعطفني * فارقت نفسي الاباطيل قال فلم يزل محمد مجريا عليه رزقه حتى توفي * ونمي الى المعتز ان المؤيد
يدبر عليه وانه قد استمال جماعة من الموالي فحبس المؤيد وأبا أحمد وهما لاب وام وطولب المؤيد بان يخلع نفسه من ولاية
العهد فضرب أربعين عصا الى ان أجاب وأشهد على نفسه بذلك ثم اتصل بالمعتز ان جماعة من الاتراك اجتمع رأيهم على
اخراج المؤيد من حبسه فلما كان يوم الخميس لثمان بقين من رجب سنة اثنتين وخمسين ومائتين أخرج المؤيد ميتا وأحضر
القضاة والفقهاء حتى رأوه ولا أثر فيه فيقال انه أدرج في لحاف مسموم وشد طرفاه حتى مات فيه وضيق حبس أبي أحمد فكان

بين دخوله سر من رأى وما لقي بها من الاكرام وبين حبسه ستة أشهر وثلاثة أيام ثم أشخص الى البصرة
لثلاث عشرة ليلة بقيت
من شهر رمضان بعد قتل
المؤيد بخمسين يوما ورتب
اسمعيل بن قبيحة وهو
أخو المعتز لابيه وأمه مكان
المؤيد في ولاية العهد
واجتمع قواد الموالي الى
المعتز فسألوه الرضا عن
وصيف وبغا فأجابهم الى
ذلك * وفي هذه السنة مات
زرافة صاحب دار المتوكل
بمصر * وقد كان يوسف
ابن اسمعيل العلوي غلب على مكة فمات في هذه السنة فخلفه بعد وفاته أخوه محمد بن يوسف وكان أسن أما
منه بعشرين سنة فنال الناس في هذه السنة جهد شديد فبعث المعتز بأبي الساج الاشر وسني الى الحجاز فهرب محمد بن يوسف
وقتل خلق من أصحابه وفيها أوقع الحسن بن زيد الحسيني بسليمان بن عبد الله بن طاهر فاخرجه عن طبرستان * وفي هذه السنة
قدم الى سامرا عيسى ابن الشيخ الشيباني من مصر ومعه مال كثير وستة وسبعون رجلا من سائر ولد أبي طالب من ولد علي
وجعفر وعقيل كانوا اخرجوا من الحجاز خوف الفتنة والجهد النازل بالحجاز الى مصر فحملوا منها فامر المعتز بتكفيلهم والتخلية
عنهم لما وقف عليه من أمرهم * وولى عيسى بن الشيخ فلسطين * وفي هذه السنة وهي سنة ثلاث وخمسين ومائتين مات
صفوان العقيلي صاحب ديار مضر في حبس سامرا * وفي هذه السنة قتل أهل كرخ سامرا من الفراغنة والاتراك لوصيف
التركي وتخلص بغا منهم واشتد أمر شاور الشاري ورتب صالح بن وصيف في موضع وصيف * وفي سنة أربع وخمسين ومائتين
خرج بغا من سامرا الى ناحية الموصل فانتهبت الموالي داره وانفض من كان معه من الجيش وانحدر في زورق فوقع به بعض
المغاربة بجسر سامرا فقتل ونصب رأسه بسامرا وهو بغا الصغير ثم أخذ الرأس الى مدينة السلام فنصب على الجسر وكان
المعتز في حياة بغا لا يلتذ بالنوم ولا يخلع سلاحه لا في ليل ولا في نهار خوفا من بغا وقال لا أزال على هذه الحالة حتى أعلم لبغا رأسي
أو رأسه لي وكان يقول اني لاخاف أن ينزل علي بغا من السماء أو يخرج علي من الارض وقد كان بغا عزم على أن ينحدر

وقال عليك بنفسك لا تشتغل * بشيء سواها وخل الفضول
تعش رائح القلب في غبطة * فلا من يذم ولا من يقول
وقال اترك الفكر في الامور ودعها * فكما قدرت تكون الامور
كل فكر وكل رأي وحزم * غير مجد اذا جرى المقدور
وقال هون عليك خطوب الدهر ان لها * نهاية والتناهي عنده الفرج
واصبر فان لحسن الصبر عاقبة * يصبحها ظلمة المكروب تنبلج
وقال احذر البخل انه شر خلق * يتحلى به وشر طريقه
من يجد غير مسرف فهو في النا * س موقى تثني عليه الخليقه
وقال الذل في طلب الافادة عزة * فاحرص على نيل الافادة ترشد
ان التعزز في الذي تحتاجه * كبر وكبر المرء أقبح مقصد
وقال دع من عرفت ولا تشدد عليه يدا * وداره وتحفظ منه ما بقيا

سرا فيصل الى سامرا فى الليل و يصرف الاتراك عن المعتز ويفيض فيهم الاموال فكان من أمره ما وصفنا ولما رأى الاتراك من اقدام المعتز على قتل رؤسائهم واعماله الحيلة فى فنائهم وانه قد اصطنع المغاربة والفراغنة دونهم صاروا اليه باجمعهم وذلك لاربع بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وجعلوا يقرعونه بذنوبه ويوبخونه على أفعاله وطالبوه بالاموال وكان المدبر لذلك صالح بن وصيف مع قواد الاتراك فلج وأنكر أن يكون قبله شئ من المال فلما حصل المعتز فى أيديهم بعث الى مدينة السلام فى محمد بن الواثق الملقب بالمهتدى وقد كان المعتز نفاه اليها واعتقله فيها فاتى به فى يوم وليلة الى سامرا فتلقاه الاولياء فى الطريق ودخل الى الجوسق وأجاب المعتز الى الخلع على ان يعطوه الامان أن لا يقتل وأن يؤمنوه على نفسه وماله وولده وأبى محمد بن الواثق أن يقعد على سرير الملك أو يقبل البيعة حتى يرى المعتز ويسمع كلامه فاتى بالمعتز وعليه قميص مدنس وعلى رأسه منديل فلما رآه محمد بن الواثق وثب اليه فعانقه وجلسا جميعا على السرير فقال له محمد بن الواثق يا أخى ما هذا الامر قال المعتز أمر لا أطيقه ولا أقوم به ولا أصلح له فاراد المهتدى أن يتوسط امره ويصلح الحال بينه وبين الاتراك فقال المعتز لا حاجة لى فيها ولا يرضونى لها قال المهتدى فانا فى حل من بيعتك قال أنت فى حل وسعة فلما جعله فى حل من بيعته حول وجهه عنه فاقيم عن حضرته ورد الى محبسه فقتل فى محبسه بعد أن خلع بستة أيام على ما قدمنا فى صدر هذا الباب * وقد قالت الشعراء فى خلع المعتز وقتله فاكثرت ورثته فاحسنت فمن ذلك قول بعض أهل ذلك العصر من قصيدة له

عين لا تبخلى بسفح الدموع * واندبى خير فاجع مفجوع
خانه الناصح الشفيق ونالتـ * ـه أكف الردى بحتف سريع
بكر الترك ناقمين عليه * خلعته افديه من مخلوع
قتلوه ظلما وجورا فالقو * م كريم الاخلاق غير جزوع
كان يعشى بحسنه بهجة البد * ر فتلقاه مظهرا للخضوع
وترى الشمس تستكين فلا تشـ * ـرق اما رأته وقت الطلوع
لم يهابوا جيشا ولا رهبوا السيـ * ـف فلهفى على القتيل الخليع
أصبح الترك مالكى الامر والعا * لم ما بين سامع ومطيع
وترى الله فيهم مالك الامـ * ـر سيجزيهم بقتل ذريع

وقال فيه آخر من قصيدة طويلة

أصبحت مقلتى بدمع سفوحا * حين قالوا أضحى الامام ذبيحا
قتلوه ظلما وجورا وغدرا * حين أهدوا اليه حتفا مريحا
نضر الله ذلك الوجه وجها * وسقى الله ذلك الروح روحا
أيها الترك سوف تلقون للدهـ * ـر سيوفا لا تستبل الجريحا
فاستعدوا للسيف عاقبة الامـ * ـر فقد جئتم فعالا قبيحا

وقال آخر من قصيدة طويلة أيضا

أصبحت مقلتى تسح الدموعا * اذ رأت سيد الانام خليعا
لهف نفسى عليه ما كان أملا * ه واسراه تابعا متبوعا
ألزموه ذنبا على غير جرم * فثوى فيهم قتيلا صريعا
وبنو عمه وعم أبيه * أظهروا ذلة وأبدوا خضوعا
ما بهذا يصح ملك ولا يغـ * ـزى عدو ولا تكون جميعا

وكان المعتز أول خليفة أظهر الركوب بحلية الذهب وكان من سلف قبله من خلفاء بنى العباس وكذلك جماعة من بنى أمية يركبون بالحلية الخفيفة من الفضة والمناطق واتخاذ السيوف والسروج واللجم فلما ركب المعتز بحلية الذهب اتبعه الناس فى فعل ذلك * وكذلك المستعين قبله أحدث لبس الاكمام الواسعة ولم يكن يعهد ذلك فجعل عرضها ثلاثة أشبار ونحو ذلك وصغر القلانس وكانت قبل ذلك طوالا كاقباع القضاة * وفى سنة خمس وخمسين ومائتين ظهر بالكوفة على بن زيد وعيسى

أماترى البلد الذى نشأت به * محقرا كلما أصبحت معتليا
وغيره من بلاد الله قاطبة * يعليك لاسيما ان كنت متقيا

وقال

ينبغى للذى تحلى بعقل * أن يرى كالبازى مدة عمره
بين أيدى الملوك أو فى فلاة * خيفة من شر ورأبناء دهره

وقال

العزل يضحك ذله * من تيه سلطان الولايه
فاذا وليت فسر على * نهج الدماثة والرعايه
واقصد مداراة الورى * واحذر كيود ذوى السعايه

وقال

لا تقبل الحكم على بلدة * نشأت فيها انه يحقد
رياسة المرء على الاهل والـ * ـجيران والخلان لا تحمد

وقال

هى الدنيا اذا فكرت فيها * رأيت نعيمها سما نقيعا
فلا تحفل بها واحذر أذاها * فان لسمها قتلا ذريعا

ابن جعفر العلوي فسرح اليهما المعتز سعيد بن صالح المعروف بالحاجب في جيش عظيم فانهزم الطالبيان لتفرق أصحابهما عنهما * وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب وفاة اسمعيل بن يوسف بن ابراهيم بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وما نال أهل المدينة وغيرهم من أهل الحجاز في أيامه من الجهد والضيق وما كان من أمر أخيه بعد وفاة محمد بن يوسف مع أبي الساج وحربه اياه ولما انكشف من بين يدي أبي الساج سار الى اليمامة والبحرين فغلب عليها وخلفه بها عقبه المعروف ببني الاخيضر الى اليوم وقد كان ظهر بناحية المدينة بعد ذلك ابن موسى ابن عبد الله بن موسى بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (قال المسعودي) وقد ذكرنا في كتابنا أخبار الزمان سائر أخبار من ظهر من آل أبي طالب ومن مات منهم في الحبس و بالسم وغير ذلك من أنواع القتل منهم عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب وهو أبو هاشم سقاه عبد الملك بن مروان السم ومحمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب حمله سعيد الحاجب من البصرة فحبس حتى مات وكان معه ابنه علي فلما مات الاب خلي عنه وذلك في ايام المستعين وقيل غير ذلك وجعفر بن اسمعيل بن موسى بن جعفر قتله ابن الاغلب بارض المغرب والحسن بن يوسف بن ابراهيم بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب قتله العباس بمكة وحمل في أيام المعتز من الري علي بن موسى بن اسمعيل بن موسى بن جعفر بن محمد ومات في حبسه * وحمل سعيد الحاجب من المدينة موسى بن عبد الله بن موسى بن الحسن بن علي بن أبي طالب وكان من النسك والزهد في نهاية الوصف وكان معه ادريس بن موسى فلما صار سعيد بناحية زبالة من جادة الطريق اجتمع خلق من العرب من بني فزارة وغيرهم لاخذ موسى من يده فسمه فمات هنالك وخلصت بنو فزارة ابنه ادريس بن موسى * وفي خلافة المعتز في سنة اثنتين وخمسين ومائتين كان بدو الفتنة بين البلالية والسعدية بالبصرة وما نتج من ذلك من ظهور صاحب الزنج

ولا تاسف على ما فات منها * وبادر في حياتك ان تطيعا

وقال
كن وحيدا ما عشت تحيا بخير * سالما من شرور كل البريه
ان من لا يخالط الناس يبقى * دهره لا تعروه منهم أذيه

وقال
لا تبح ما حييت يوما بسر * لصديق ولا لغير صديق
ان سر الحاوز الصدر فاش * يدريه العداو من في الطريق

وقال
لا تصاحب ما عشت الا الكبارا * تنم ذكرا وتعتلي مقدارا
ان من ماشى في طريق حقيرا * يكتسي منه مهنة واحتقارا
فتحفظ من أن تواخي دنيا * فهو يعديك ذلة وصغارا

وقال
محدثات الامور أردى الشرور * فتحفظ من محدثات الامور
انما المحدثات غي فدعها * واجتهد ان ترى مع الجمهور
كل من يتبع الحوادث يشقى * ويرى نفسه بغير نظير

* وللمعتز أخبار حسان غير ما ذكرنا قد أتينا على مبسوطها في كتابينا أخبار الزمان والاوسط وبالله التوفيق وقال

(ذكر خلافة المهتدي بالله) وبويع المهتدي محمد بن هرون الواثق قبل الظهر من يوم الاربعاء لليلة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وأمه ام ولد رومية يقال لها قرب ويكنى بابي عبد الله وله يومئذ سبع وثلاثون سنة وقيل تسع وثلاثون سنة وانه قتل ولم يستكمل الاربعين سنة في سنة ست وخمسين ومائتين فكانت ولايته أحد عشر شهرا ودفن بسامرا وقيل ان مولده كان في سنة ثماني عشرة ومائتين *(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه)*

واستوزر المهتدي بالله جماعة على قصر مدته فسلموا منه من قتل وغيره منهم عيسى بن فرخانشاه وبنى المهتدي قبة لها أربعة أبواب وسماها قبة المظالم وجلس فيها للعام والخاص للظالم وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وحرم الشراب ونهى عن القيان وأظهر العدل وكان يحضر كل جمعة الى المسجد الجامع ويخطب الناس ويؤمهم فثقلت وطأته على العامة والخاصة بحمله اياهم على الطريق الواضحة فاستطالوا خلافته وسئموا أيامه وعملوا الحيلة عليه حتى قتلوه وذلك أن موسى بن بغا الكبير كان عاملا غائبا بالري مشتغلا بحرب آل أبي طالب كالحسن بن زيد الحسني وما كان من الديلم ببلاد قزوين ودخولهم اياها عنوة وقتلهم أهلها فلما نمى الى موسى بن بغا قتل المعتز وما كان من أمر صالح بن وصيف والاتراك في ذلك قفل من تلك الديار متوجها الى سامرا منكرا لما جرى على المعتز وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب في أخبار المعتز قتل المعتز مجملا ولم نبين

كيفية قتله وتنازع الناس فى ذلك مفصلا ورأيت أصحاب السير والتواريخ وذوى العناية باخبار الدول قد تباينوا فى مقتله فمنهم من ذكر أن المعترمات فى حبسه فى خلافة المهتدى بالله على ماقدمنا من التاريخ حتف أنفه ومنهم من ذكر أنه منع فى حبسه من الطعام والشراب فمات عند قطع مواد الغذاء عنه من المأكل والمشرب ومنهم من رأى أنه حقن بالماء الحار المغلى فمن أجل ذلك حين أخرج الى الناس وجدوا جوفه وارما والاشهر فى الاخباريين ممن عنى بأخبار العباسيين أنه أدخل حماما وأكره فى دخوله اياه وكان الحمام محميا ومنع الخروج منه ثم تنازع هؤلاء فمنهم من قال انه ترك فى الحمام حتى فاضت نفسه ومنهم من ذكر أنه أخرج بعد أن كادت نفسه تتلف للحمى ثم أسقى شربة ماء مقراة بثلج فنثرت الكبد وغيره فخمد من فوره وذلك ليومين خلوا من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين وقد أتينا على مبسوط هذه الاخبار فى كتابنا أخبار الزمان ولما اتصل بالمهتدى مسير موسى بن بغا الى دار الخلافة أنكر ذلك وكاتبه بالمقام فى موضعه وان لايحل عن مركزه للحاجة اليه فأبى موسى ابن بغا الا اغذاذ المسير والسرعة فيه حتى وافى سامرا وذلك فى سنة ست وخمسين ومائتين وصالح بن وصيف يدبر الامر مع المهتدى فلما دنا موسى من سامرا صاحت العامة فى مواضعها والغوغاء فى طرقاتها يافرعون قد جاء موسى وكان صالح بن وصيف قد نفر عن المهتدى حين علم بموافاة موسى وقال ان المهتدى راسل موسى فى السر فى المسير الى سامرا والشخوص اليها وكاتبه فى ظاهر الامر وراسله أن لايقدم وكان رجل من قواد الاتراك يقال له بايكيال قد غلب على الامر أيضا وترأس فدخل موسى سامرا حتى انتهى الى مجلس ٣٠٠ المهتدى وهو جالس للمظالم والدار غاصة بخواص الناس وعوامهم فشرع أصحاب موسى فدخلوا الدار وجعلوا يخرجون العامة منها باشد مايكون من الضرب بالدبابيس والطبرزينات والعسف فضجت العامة فقام المهتدى منكرا عليهم فعلهم بمن فى الدار فلم يرجعوا عماهم عليه فتنحى مغضبا فقدم اليه فرس وقد استشعر منهم الغدر فمضى به الى دار مارجوج وقد كان موسى بن بغا انصرف عن دار المهتدى لما نظر الى ضجة العامة فيها فنزل تلك الدار فسير بالمهتدى اليها فاقام فيها ثلاثا عند موسى بن بغا وكان فيه ديانة وتقشف حتى ان الجند تاسوا به ولم يكن يشرب النبيذ وكان المهتدى فى أخلاقه شراسة فنافر موسى وكاد الامر أن ينفرج والحال أن يتسع غير أن موسى تعطف عليه وأعملا الحيلة فى قتل صالح بن وصيف وخاف موسى أن يكون صالح بن وصيف يعمل الحيلة عليهم فى حال اختفائه فبث فى طلبه العيون حتى وقع عليه فقاتل ومانع عن نفسه فقتل واحتز رأسه وأتى به الى موسى بن بغا ومنهم من رأى أنه احمى له حمام وأدخل اليه فمات على حسب مافعل بالمعتز وقوى أمر شاور الشارى وذنا فى عسكره من سامرا وعم الناس بالاذى وانقطعت السابلة وظهرت الاعراب فاخرج المهتدى بالله موسى بن بغا وبايكيال الى حرب الشارى وخرج معهما فشيعهما ثم قفلا من غير أن يلقيا شرا فلما استشعر المهتدى رجوعهما خرج فعسكر بجسر سامرا فى جمع من المغاربة والفراغنة وغيرهم من الرسوم ليحارب بايكيال فانصرف موسى على ظهر سامرا متحرجا لقتال المهتدى فكانت بين المهتدى وبين بايكيال حرب عظيم قتل فيها خلق كثير من الناس وانكشف بايكيال واستظهر المهتدى عليه فخرج كمين بايكيال على المهتدى وفيه مارجوج التركى فولى المهتدى وأصحابه ودخل سامرا مستغيثا بالعامة مستنصرا بالناس يصيح فى الاسواق فلا مغيث وقدامه أناس من الانصار فمضى مؤيسا من النصر الى دار ابن خيعونة بسامرا مختفيا فهجموا عليه وعزلوه وحملوه منها الى دار مارجوج وقيل له أتريد أن تحمل الناس على سيرة عظيمة لم يعرفوها فقال أريد أن احملهم على سيرة الرسول

وقال	من تفضلت عليه * أنت لاشك أميره
	ومن احتجت اليه * أنت بالرغم أسيره
	ومن استغنيت عنه * أنت فى الدنيا نظيره
وقال	لم يبق من يطمع فى وده * كلا ولا من ترتضى صحبته
	الناس أشباه ذئاب فهل * يعلم ذئب حسنت عشرته
	من يبتغى اليوم صديقا كما * يرضى فقد زلت به بغيته
وقال	فاعل الخير موقى كل ما * يتقى من ضرر ومن فتنة
	ليس يخشى فاعل الخير أذى * ان فعل الخير أوقى جنة
وقال	تحفظ من صديقك فى أمور * فربتما يضر بك الصديق
	من اعتمد الصديق ولم يبالى * يصبه الضر وهو به خليق
وقال	لاتركنن لمخلوق وكن أبدا * ممن توكل فى الدنيا على الله

صلى الله عليه وسلم وأهل بيته والخلفاء الراشدين فقيل له الرسول صلى الله عليه وسلم كان مع قوم قد زهدوا فى الدنيا ورغبوا فى الآخرة كأبى بكر وعمر وعثمان وعلى وغيرهم وأنت انما رجالك تركى وخزرى ومغربى وغير ذلك من أنواع الاعاجم لا يعلمون ما يجب عليهم من أمر آخرتهم وانما غرضهم ما استعجلوه من هذه الدنيا فكيف تحملهم على ما ذكرت من الواضحة فكثر منهم ومنه الكلام والمراجعة فى هذا المعنى وأشباهه ثم انقادوا اليه على حسب ما ظهر للناس من ذلك فلما كاد الامر أن يتم قام فيهم سليمان بن وهب الكاتب وقيل غيره وقال هذا سوء رأى منكم وخطأ فى تدبيركم ان أعطاكم بلسانه فنيته فيكم غير هذا فاقال وسيأتى عليكم جميعا ويفرق جمعكم فلما سمعوا هذا القول استرجعوا وجاؤه بالخناجر فكان أول من جرحه ابن عم لبايكيال جرحه بخنجر فى أوداجه وانكب عليه فالتقم الجرح والدم يفور منه وأقبل يمص الدم حتى روى منه والتركى سكران فلما روى من دم المهتدى قام قائما وقد مات المهتدى فقال يا أصحابنا قد رويت من دم المهتدى كما رويت فى هذا اليوم من الخمر وقد تنوزع فيما ذكرنا من قتل المهتدى والاشهر ما ذكرناه من قتله بالخناجر ومنهم من رأى أنه عصرت مذاكيره حتى مات ومنهم من رأى انه جعل بين لوحين عظيمين وشد بالحبال الى أن مات وقيل خنقا وقيل كبس عليه بالبسط والوسائد حتى مات ولما مات داروا به ينوحون ويبكون عليه وندموا على ما كان منهم من قتله لما تبينوا من نسكه وزهده وقيل ان ذلك كان يوم الثلاثاء لاربع عشرة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وكان موسى بن بغا وماروج التركى غير داخلين فى فعل الاتراك وكان حنق الاتراك على المهتدى بسبب قتله بايكيال وذلك أن بايكيال وقع بيد المهتدى فضرب عنقه ورمى به الى أصحابه ومنهم من رأى انه قتل فى الحرب المتقدم ذكرها فى الموضع المعروف بجسر سامرا وقد كان المهتدى لما افضت الخلافة اليه أخرج أحمد ابن اسرائيل الكاتب وأبا نوح الكاتب الى باب العامة بسامرا يوم الخميس لثلاث خلون من شهر رمضان فضرب كل واحد منهما خمسمائة سوط فماتا وذلك لامور كانت منهما استحقا عند المهتدى فيما يجب فى حكم الشريعة فلا أن يفعل بهما ذلك وقتل المهتدى وله من الولد سبعة عشر ذكرا وست بنات وقد كان المهتدى ولى أحمد بن المدبر خراج فلسطين وكانت له معه أخبار قد أتينا على جميعها فيما سلف من كتبنا وأخبار ابن المدبر لما وصل الى فلسطين وما حمل الى سامرا وقيل ان المعتز بالله كان أخرجه الى الشام ولاحمد بن المدبر أخبار حسان ولابراهيم بن المدبر أخيه مع صاحب الزنج أخبار حين أسره (قال المسعودى) فمن أخبار أحمد بن المدبر المستحسنة مما دونها الناس فى أخبار الطفيليين أن أحمد كان قليل الجلوس للمنادمة وكان له سبعة ندماء لا يانس بغيرهم ولا ينبسط الى سواهم قد اصطفاهم لعشرته وأخذهم لمنادمته كل رجل منهم قد انفرد بنوع من العلم لا يساويه فيه غيره وكان طفيلى يعرف بابن دراج من أكمل الناس أدبا وأخفهم روحا واشدهم فى كل مليحة افتنانا فلم يزل يحتال الى ان عرف وقت جلوس أحمد بن المدبر للندماء فتزيا فى زى ندمائه ودخل فى جملتهم وظن حاجبه ان ذلك بعلم من صاحبه ومعرفة من اولئك الندماء ولم ينكر شيأ من حاله وخرج احمد بن المدبر فنظر اليه بين القوم فقال لحاجبه اذهب الى ذلك الرجل فقل له ألك حاجة فسقط فى يد الحاجب وعلم ان الحيلة قد تمت عليه وان ابن المدبر لا يرضى فى عقوبته الا بقتله فروه ويجرر جليه فقال له الاستاذ يقول لك ألك حاجة فقال قل له لا فقال له ارجع اليه فقل له ما جلوسك فقال الساعة جلسنا يا بغيض فقال ارجع اليه فقل له اى شئ انت فقال قل له طفيلى يرحمك الله فقال له ابن

ولا تمل لسواه ما حييت فمن * يرجو سوى الله ها وحبله واهى

وقال
طلب الغاية اتباع غوايه * فاعتمد فى الامور ترك النهايه
من يكن راضيا بما يتمنى * عاش عيش الملوك دون اذايه

وقال
لا تعتمد أبدا على مخلوق ان * تبغ النجاح وتقصد الرشدا
من يرج غير الله يحرم رشده * ويذل وهو مخيب قصدا

وقال
سفر المرء قطعة من عذابه * فيه تخليق جسمه وثيابه
انما العيش للفتى بين أهليه وخلانه وفى أحبابه
من يرده بخير الله يكفه * كرب تحوا له وذل اغترابه

وقال
سلم ولا تعترض يوما على أحد * ان شئت تسلم من حقد واضرار
من يعترض يعترض لا شك وهو حر * بذاك فالشر مقدار بمقدار

وقال
ان الصديق لعون * فى كل ما تبتغيه

المدبر انت طفيلي قال نعم اعزك الله قال ان الطفيلي يحتمل على دخوله بيوت الناس وافساده عليهم ما يريدونه من الخلوة بندمائهم والخوض في اسرارهم لخصال منها ان يكون لاعبا بالشطرنج أو بالنرد أو ضاربا بالعود أو الطنبور فقال ابدلك الله انا احسن هذه الاشياء كلها قال وفي اى وظيفة انت منها قال في العليا من جميعها قال لبعض ندمائه لاعبه بالشطرنج فقال الطفيلي أصلح الله الاستاذ فان قمرت قال أخرجناك من دارنا قال فان قمرت قال أعطيناك ألف درهم قال فان رأيت أيدك الله أن تحضر الالف درهم فان في حضورها قوة للنفس والايقان بالظفر فاحضرت فلعبا فغلب الطفيلي ومد يده الى أخذ الدراهم فقال الحاجب لينفي عن نفسه بعض ما وقع فيه أعز الله الاستاذ انه زعم أنه في الطبقة العليا وابن فلان غلامك يغلبه فاحضر الغلام فغلب الطفيلي فقال له انصرف فقال أحضروا النرد فاحضرت فلوعب فغلب فقال الحاجب ولا هذا ياسيدي في الطبقة العليا من النرد ولكن بوابنا فلان يغلبه فاحضر البواب فغلب الطفيلي فقال له اخرج فقال ياسيدي فالعود فاتي بالعود فضرب فاصاب وغنى فاطرب فقال الحاجب ياسيدي في جوارنا شيخ هاشمي يعلم القيان أحذق منه فاحضر الشيخ فكان أطرب منه فقال له اخرج فقال فالطنبور فأعطي طنبورا فضرب ضربا بالمر الناس أحسن منه وغنى غناء في النهاية فقال الحاجب أعز الله الاستاذ فلان المحتكر في جوارنا أحذق منه فاحضر المحتكر فكان أحذق منه وأطيب فقال له ابن المدبر قد تقصينا لك بكل جهد فابت حرفتك الا طردك عن منزلنا فقال ياسيدي بقيت معي بابة حسنة قال ما هي قال تامر لي بقوس بندق مع خمسين بندقة رصاص ويقام هذا الحاجب على أربع وأرميه في دبره بهن وان اخطأت بواحدة منهن

ضربت رقبتي فضج الحاجب من ذلك ووجد ابن المدبر في ذلك شفاء لنفسه وعقوبة ومكافأة له على ما فرط منه في ادخال الطفيلي الى مجلسه فامر با كافين فاحضرا وجعل أحدهما فوق الآخر وشد الحاجب فوقهما وأمر بالقوس والبندق فدفع الى الطفيلي فرمى به فما أخطأه وخلى عن الحاجب وهو يتأوه لما به فقال له الطفيلي أعلى باب الاستاذ من يحسن مثل هذا فقال يا قرنان ما دام البرجاس استي فلا وللطفيليين أخبار حسان مثل خبر ساسان الطفيلي مع المتوكل في اللوزينج وما ابتدأ من العدد من الواحد الى ما فوقه من الاقرار ولغيره منهم ما قد أتينا على ذكره في كتابنا أخبار الزمان والاوسط على الشرح والتمام والكمال وانما نورد في هذا الكتاب لمعا مما لم يتقدم له ذكر فيما سلف من كتبنا في هذا المعنى وقد كان المهتدي بالله ذهب في أمره الى القصد والدين فقرب العلماء ورفع من منازل الفقهاء وعمهم ببره وكان يقول يا بني هاشم دعوني حتى أسلك مسلك عمر بن عبد العزيز فاكون فيكم مثل عمر بن عبد العزيز في بني أمية وقلل من اللباس والفرش والمطعم والمشرب وأمر باخراج آنية الذهب والفضة من الخزائن فكسرت وضربت دنانير ودراهم وعمد الى الصور التي كانت في المجالس فمحيت وذبح الكباش التي كان يناطح بها بين يدي الخلفاء والديوك وقتل السباع المحبوسة ورفع بسط الديباج وكل فرش لم ترد الشريعة باباحته وكانت الخلفاء قبله تنفق على موائدها في كل يوم عشرة آلاف درهم فازال ذلك وجعل لمائدته وسائر مؤنه في كل يوم نحو مائة درهم وكان يواصل الصيام وقيل انه لما قتل أخرج رحل من الموضع الذي كان يأوي اليه فاصيب له سفط مقفل فتوهموا أن فيه مالا أو جوهرا فلما فتح وجد فيه جبة صوف وغل وقيل جبة شعر فسالوا من كان يخدمه فقال كان اذا جن الليل لبسها وغل نفسه وكان يركع ويسجد الى أن يدركه الصباح وانه كان ينام من الليل ساعة من بعد العشاء الآخرة ثم يقوم وانه سمعه بعض من كان يأنس اليه قبل أن يقتل وقد صلى المغرب وقد دنا من افطاره وهو يقول

فلا تسيء لصديق * واحذر وقوعك فيه
فالمرء قيل كثير * بنفسه وأخيه

وقال

افعل الخير ما استطعت تنل ما * تبتغيه من الثناء الجميل
فاعل الخير آمن ليس يخشى * صرف دهر ولا حلول جليل

وقال

يحق الحق حتما دون شك * وان كره المشكك والملد
صريح الحق قد يخفى ولكن * بعيد خفائه لا شك يبدو

وقال

ان شئت عزا دائما * فاسلك سبيل من اقتنع
ان القناعة عزة * والذل عاقبة الطمع
المرء ان قنع اعتلى * قدرا وان طمع اتضع

وقال

استعن في الامور بالكتمان * وتحفظ من شر كل لسان
كل ما لا يدري من امرك فضل * ليس فيه شيء من الخسران

اللهم انه قد صح عن نبيك محمد صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة لاتحجب لهم دعوة عن الله دعوة الامام العادل وقد أجهدت
نفسي في العدل على رعيتي ودعوة المظلوم وأنا مظلوم ودعوة الصائم حتى يفطر وأنا صائم وجعل يدعو عليهم وأن يكفي شرهم
(وذكر) صالح بن علي الهاشمي قال حضرت يوما من الايام جلوس المهتدي للمظالم فرأيت من سهولة الوصول اليه ونفوذ
الكتب عنه الى النواحي فيما يتظلم به اليه ما استحسنته فاقبلت أرمقه ببصري اذ نظر في القصص فاذا رفع طرفه الى أطرقت
فكأنه علم ما في نفسي فقال يا صالح أحسب أن في نفسك شيأ تحب ان تذكره قلت نعم يا أمير المؤمنين فامسك فلما فرغ من
جلوسه أمر في ان لا أبرح ونهض فجلست جلوسا طويلا ثم دعاني فدخلت اليه وهو على حصير الصلاة فقال لي يا صالح أتحدثني
بما في نفسك أو أحدثك به قلت بل هو من أمير المؤمنين أحسن فقال كأني بك قد استحسنت ما رأيت من مجلسنا فقلت أي
خليفة ان لم يكن يقول بخلق القرآن فقلت نعم فقال قد كنت على ذلك برهة من الدهر حتى أقدم على الواثق شيخ من أهل
الفقه والحديث من أهل أذنة من الثغر الشامي مقيدا طوال حسن الهيئة فسلم عليه غير هائب ودعا فاوجز فرأيت الحياء منه في
حماليق عين الواثق والرحمة له فقال له يا شيخ أجب أبا عبد الله أحمد بن أبي دواد فيما يسألك عنه فقال يا أمير المؤمنين احمد يقل
و يضعف عن المناظرة فرأيت الواثق قد صار في مكان الرقة والرحمة له غضبا فقال له ابو عبد الله يضعف عن المناظرة فقال له
هون عليك يا أمير المؤمنين أتأذن في كلامه فقال له الواثق قد أذنت لك فاقبل الشيخ على أحمد فقال له يا احمد الى ماذا دعوت
الناس اليه فقال الى القول بخلق ٣٥٨ القرآن فقال الشيخ مقالتك هذه التي دعوت الناس اليها من القول بخلق القرآن
داخلة في الدين فلا يكون
الدين تاما الا بالقول بها قال
نعم قال الشيخ رسول الله
صلى الله عليه وسلم دعا
الناس اليها أو تركهم قال
تركهم قال فعلمها رسول
الله صلى الله عليه وسلم
أو لم يعلمها قال علمها قال
فلم دعوت الناس الى ما لم
يدعهم اليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وتركهم
منه فأمسك أحمد فقال
الشيخ يا أمير المؤمنين هذه واحدة ثم قال له بعد ساعة يا أحمد قال الله في كتابه العزيز اليوم أكملت لكم
دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فقلت أنت لا يكون الدين تاما الا بمقالتك بخلق القرآن فالله
أصدق في اكماله واتمامه أو أنت في نقصانك فامسك فقال الشيخ يا أمير المؤمنين وهذه ثانية ثم قال له بعد ساعة اخبرني يا احمد
عن قول الله عز وجل في كتابه يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الآية فمقالتك هذه التي دعوت الناس اليها مما بلغه
الرسول صلى الله عليه وسلم للامة أم لا فامسك فقال الشيخ يا امير المؤمنين وهذه ثالثة ثم قال بعد ساعة اخبرني يا احمد ما علم
رسول الله صلى الله عليه وسلم من مقالتك هذه التي دعوت الناس اليها والى القول بها من خلق القرآن اوسعه أن امسك عنهم
ام لا قال احمد بل اتسع ر… …وكذلك لابى بكر وعمر وكذلك لعثمان وكذلك لعلى رضى الله عنهم قال نعم فصرف وجهه
الى الواثق وقال يا امير المؤ… …ما اتسع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولاصحابه فلا وسع الله علينا فقال الواثق نعم
لا وسع الله علينا ان لم يتسع… …الله صلى الله عليه وسلم ولاصحابه ثم قال الواثق اقطعوا قيده فلما فكوا قيده جاذب
عليه فقال الواثق دعو… …عليه قال لانى عقدت فى نيتى ان اجاذب عليه فاذا أخذته اوصيت ان يجعل بين
كفنى و بدنى حتى اقو… …هذا لم قيدنى ظلما واراع فى اهلى فبكى الواثق و بكى الشيخ وكل من حضر ثم قال له
المدبر لا يرصى… …المؤمنين ما حرجت من منزلى حتى جعلتك فى حل اعظاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقل له ما جلوسك…

وقال
من مال عنك بشبر * مل أنت عنه بميل
فالله يغنيك عنه * فنعم كل جميل
فليس في الود خير * مع تركك حسن القبول

وقال
لا تقطعن صديقا * وان ضاق بك صدرا
واحرص عليه وزده * ان يجف برا وشكرا
فان قطع صديق * لاشك يعقب ضرا

وقال
خل التأنق في اللباس وسر على * نهج الافاضل في اختصار الملبس
ان التأنق في اللباس يكثر الحساد والاعداء للمتلبس
فالبس كمثل الناس لا تخرج عن المعتاد في شيء فتخطئ او تسي

وقال
لا تحقرن عدوا * ولو يكون كذره
واحذره ما اسطعت واجهد * أن لا تحرك شره

لقرابتك منه فتهلل وجه الواثق وسر ثم قال له اقم عندي آنس بك فقال مكاني في ذلك الثغر أنفع أنا شيخ كبير ولي حاجة قال سل ما بدا لك قال يأذن أمير المؤمنين لي في الرجوع الى الموضع الذي أخرجني منه هذا الظالم قال قد أذنت لك وأمر له بجائزة فلم يقبلها فرجعت من ذلك الوقت وأحسب أن الواثق رجع عنها * قال وعرض على المهتدي يوما دفاتر خزائن الكتب فاذا على ظهر كتاب منها هذه الابيات قالها المعتز بالله وكتبها بخطه وهي

جزعت للحب والحمى صبرت لها * وما عرفت علاج الحب والخدع * اني عرفت علاج الطب من وجعي

فليس يشغلني عن حبكم وجعي * من كان يشغله عن الفه وجع * اني لأعجب من صبري ومن جزعي

مع الحبيب ويا ليت الحبيب معي * وما أمل حبيبي ليتني أبدا

فقطب وجه المهتدي بالله وقال حدث وسلطان الشباب وكان المهتدي كثيرا ما ينشد البيت الاول من هذا الشعر * وكان محمد بن علي الربعي ممن يكثر ملازمة المهتدي فقال قال لي ذات ليلة أتعرف خبر نوف الذي حكاه عن علي بن أبي طالب حين كان يأتيه قلت نعم يا أمير المؤمنين ذكر نوف قال رأيت عليا رضي الله عنه قد أكثر الخروج والدخول والنظر الى السماء ثم قال لي يا نوف أنائم أنت قال قلت بل رامق أرمق بعيني منذ الليلة يا أمير المؤمنين فقال لي يا نوف طوبى للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة أولئك قوم اتخذوا أرض الله بساطا وترابها ثيابا وماءها طيبا والكتاب شعارا والدعاء دثارا ثم قرضوا الدنيا قرضا على منهاج المسيح عيسى بن مريم عليه السلام يا نوف أن الله تعالى أوحى الى عبده عيسى عليه السلام أن قل لبني اسرائيل أن لا يدخلوا الى الا بقلوب وجلة وأبصار خاشعة وأكف نقية واعلم اني لا أجيب لأحد منهم دعوة ولأحد من خلقي قبلهم مظلمة قال محمد بن علي الربعي فوالله لقد كتب المهتدي هذا الخبر بخطه ولقد كنت أسمعه في جوف الليل وقد خلا بربه في بيت كان لخلوته وهو يبكي ويقول يا نوف طوبى للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة وعبر في الخبر الى أن كان من أمره ما كان مع الاتراك وقتلهم اياه * قال محمد بن علي قلت للمهتدي ذات يوم وقد خلوت به وقد أكثرنا من ذكر آفات الدنيا ومن رغب فيها ومن انحرف عنها يا أمير المؤمنين ما للانسان العاقل المميز مع علمه بجميع آفات الدنيا وسرعة انتقالها وزوالها وغرورها لطلابها يحبها ويأنس اليها قال المهتدي حق ذلك له منها خلق فهي أمه وفيها انشأ فهي عيشه ومنها قدر رزقه فهي حياته وفيها يعاد فهي كفاته وفيها اكتسب الجنة فهي مبدأ سعادته والدنيا ممر الصالحين الى الجنة فكيف لا يحب طريقا تأخذ بسالكها الى الجنة فيها نعيم مقيم خالدا ان كان من أهلها وقيل ان هذا الكلام في جواب علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجاب به سائلا سأله عن ذلك وهو ماخوذ من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين مدح الدنيا وذم الذام لها على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب من باب ذكر زهده وأخباره (قال المسعودي) وكان خروج صاحب الزنج بالبصرة في خلافة المهتدي وذلك في سنة خمس وخمسين ومائتين وكان يزعم انه علي بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وأكثر الناس يقول انه دعي آل أبي طالب وكان من أهل قرية من أعمال الري يقال لها ورزنين وظهر من فعله ما دل على تصديق ما رمي به أنه كان يرى رأي الازارقة من الخوارج لان أفعاله في قتل النساء والاطفال وغيرهم من الشيخ الفاني وغيره ممن لا يستحق القتل يشهد بذلك عليه وله خطبة يقول في أولها الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله والله أكبر الا لا حكم الا لله وكان يرى الذنوب كلها شركا وكان

ان البعوضة تؤذي الملوك فوق الاسرة

وقال
ما أهنأ الانسان في عيشه * ما بين أهليه وفي منزله
الذل في الغربة يا كربها * وكرب من قوض عن معقله
وفي اقتلوا أو اخرجوا شاهد * ساوى خروج المرء مع مقتله

وقال
المال يستر عيب المرء فاقتنه * واحفظه تبقى موقى مدة الزمن
من ضيع المال أبدى عيبه وجنى * تهيينه أبدا من كل ممتهن

وقال
سريرة المرء تبديها شمائله * حتى يرى الناس ما يخفيه اعلانا
فاجعل سريرتك التقوى ترى أملا * في كل ما أنت تبغيه وبرهانا

وقال
ما متع الدنيا لشخص ولا * أمل ذا فيها سوى من فتن
عادتها الفتك بمن رامها * وكل من أعرض عنها أمن
فلا تغرنك بلذاتها * فان من غر بها قد غبن

أنصاره الزنج وكان ظهوره بير غمل بين مدينة الفتح وكرخ البصرة في ليلة الخميس لثلاث بقين من شهر رمضان سنة خمس وخمسين وقيل ليلة السبت لليلتين خلتا من صفر سنة سبعين ومائتين وذلك في خلافة المعتمد على الله وقد صنف الناس في أخباره وحروبه وما كان من أمره كتبا كثيرة وكان أوّل من صنف أخباره وما كان من بدوّ أمره ووقوعه الى بلاد البحرين وما كان من خبره مع الاعراب محمد بن الحسن بن سهل ابن أخي ذي الرياستين الفضل بن سهل صاحب المامون وهو الرجل الذي كان من أمره مع المعتضد بالله ما قد ذكرناه واشتهر قبل ذلك في الناس وما كان من أمره الى أن جعله كدجاج على النار وجلده ينتفخ ويتقرقع * وقد ذكر الناس صاحب الزنج في أخبار المبيضة وكتبهم وقد أتينا على جميع خبره وبدوّ خبر البلالية والسعدية بالبصرة في الكتاب الاوسط فأغنى ذلك عن اعادته وانما أوردنا في هذا الكتاب في الموضع المستحق له لمعان ذكره وما كان من أمره في مقتله (قال المسعودي) وفي هذه السنة سنة خمس وخمسين ومائتين وقيل سنة ست وخمسين ومائتين كانت وفاة عمرو بن بحر الجاحظ بالبصرة في المحرم ولا يعلم أحد من الرواة وأهل العلم أكثر كتبا منه مع قوله بالعثمانية وقد كان أبو الحسن المدائني كثير الكتب الا أن أبا الحسن المدائني كان يؤدي ما سمع وكتب الجاحظ مع انحرافه المشهور تجلو صدأ الاذهان وتكشف واضح البرهان لانه نظمها أحسن نظم ورصفها أحسن رصف وكساها من كلامه أجزل لفظ وكان اذا تخوف ملال القارئ وسآمة السامع خرج من جد الى هزل ومن حكمة بليغة الى نادرة ظريفة وله كتب حسان منها كتاب البيان والتبيين وهو أشرفها ٣٦٠ لانه جمع فيه بين المنثور والمنظوم وغرر الاشعار ومستحسن الاخبار وبليغ الخطب ما لو اقتصر عليه مقتصر لاكتفى به وكتاب الحيوان وكتاب الطفيليين والبخلاء وسائر كتبه في نهاية الكمال ما لم يقصد منها الى نصب ولا الى دفع حق ولا يعلم ممن سلف وخلف من المعتزلة أفصح منه وكان غلام ابراهيم بن يسار النظام وعنه أخذ ومنه تعلم (وحدث) يموت بن المزرع

وقال

لا يكن عندك الخديم نديما * ان قدر الخديم دون النديم
من ينادم خديمه يتأذى * ويصير الخديم غير خديم
انما يصلح الخديم ابتعاد * واشتغال بشأنه المعلوم

وقال

تثبت في الامور ولا تبادر * لشيء دون ما نظر وفكر
فيجي أن تبادر ثم تخطي * وترجع للتثبت دون عذر

وقال

كن في زمانك كيف يرضى أهله * لا تعد طورهم ولا تتبدل
فاذا ترى الحمقى تحامق معهمو * واذا ترى العقلاء فاتعقل
من لم يكن أبدا كأهل زمانه * يشقى ولا يحظى بنيل مؤمل

وقال

الفاضل اليوم غريب بلا * عون على شيء من الحق
ان غاب لم يحضر وان قال لم * يسمع ولم يؤبه بما يلقي
ما أضيع الفاضل يا ويحه * كأنه ليس من الخلق

وكان الجاحظ خاله قال دخل الى خالي أناس من البصرة من أصدقائه في العلة التي مات فيها فسألوه وقال عن حاله فقال عليل من مكانين من الاسقام والدين ثم قال أنا في هذه العلة المتناقضة التي يتخوف من بعضها التلف وأعظمها نيف وسبعون سنة يعني عمره قال يموت بن المزرع وكان يطلي نصفه الايمن بالصندل والكافور لشدة حرارته والنصف الآخر لو قرض بالمقاريض ما شعر به من خدره وبرده قال ابن المزرع وسمعته يقول رأيت رجلا يروح ويغدو في حوائج الناس فقلت له قد أتعبت بذلك بدنك وأخلقت ثيابك وأعجفت برذونك وقتلت غلامك فمالك راحة ولا قرار فلو اقتصدت بعض الاقتصاد قال سمعت تغريد الاطيار فطربت طربي لنغمة شاكر أوليته معروفا أو سعيت له في حاجة وكان يموت لا يعود مريضا خوفا من أن يتطير باسمه وله أخبار حسان وأشعار جياد وقد كان سكن طبرية من بلاد الاردن من الشام فمات بها وذلك بعد الثلثمائة وكان من أهل العلم والنظر والمعرفة والجدل وله ولد يقال له مهلهل بن يموت بن المزرع وهو شاعر مجيد من شعراء هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وفيه يقول أبوه يموت بن المزرع

مهلهل قد حلبت شطور دهر * فكافحني بها الزمن العنوت
وجاريت الرجال بكل ربع * فخادعت الجبالة والذموت
فأوجع ما أجن عليه قلبي * كريم عضه زمن عنوت
كفى حزنا بغيبة ذي وداع * وابقاء العتيد لها النحوت
وقد أسهرت عيني بعد غمض

مخافة أن يضيع اذا فنيت * وفي لطف المهيمن لي عزاء * بذلك ان فنيت وان بقيت
وان يشتد عظمك بعد موتي * فلا تقطعك جائحة سبوت * وقل بالعلم كان أبي جوادا
يقال ومن أبوك فقل يموت * تقرلك الاباعد والاداني * بعلم ليس يجحده البهوت

وللمهتدي أخبار حسان قد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا والله ولي التوفيق *(ذكر خلافة المعتمد على الله)* وبويع المعتمد أحمد بن جعفر المتوكل يوم الثلاثاء لاربع عشرة ليلة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وهو ابن خمس وعشرين سنة ويكنى أبا العباس وأمه أم ولد كوفية يقال لها فتيان ومات في رجب سنة تسع وسبعين ومائتين وهو ابن ثمان وأربعين سنة فكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة *(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه)* ولما أفضت الخلافة الى المعتمد على الله استوزر عبيد الله بن يحيى بن خاقان ثم استوزر الحسن بن مخلد ثم صارت الوزارة الى سليمان بن وهب ثم صارت الى صاعد وخلع المعتمد على أخيه أبي أحمد الموفق وعلى مفلح يوم الخميس مستهل ربيع الاول سنة ثمان وخمسين ومائتين وأشخصهما الى البصرة لمحاربة صاحب الزنج فاوقع مفلح التركي بصاحب الزنج يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الاولى سنة ثمان وخمسين ومائتين فاصاب مفلحا سهم في صدغه فاصبح يوم الاربعاء ميتا وحمل الى سامرا فدفن بها وانصرف أبو أحمد عن محاربة صاحب الزنج *وفي سنة ستين ومائتين قبض أبو محمد الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم

السلام في خلافة المعتمد وهو ابن تسع وعشرين سنة وهو أبو المهدي المنتظر والامام الثاني عشر عند القطعية من الامامية وهم جمهور الشيعة وقد تنازع هؤلاء في المنتظر من آل النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاة الحسن بن علي عشرين فرقة وقد ذكرنا حجاج كل طائفة منهم لما اجتبته نفسها واختارته لمذهبها في كتابنا المترجم بسر الحياة وفي كتاب المقالات في أصول الديانات وما ذهبوا اليه من الغيبة وغير ذلك (وقد كان المهتدي) سير بقبيحة أم المعتز وعبد الله بن المعتز واسمعيل بن المتوكل وطلحة بن المتوكل وعبد الوهاب بن المنتصر الى مكة فلما أفضت الخلافة الى المعتمد بعث بحملهم الى سامرا وفي سنة اثنتين وستين ومائتين كان مسير يعقوب بن الليث الصفار نحو العراق في جيوش عظيمة فلما نزل دير العاقول على شاطئ دجلة بين واسط وبغداد وقد أتينا في كتابنا في أخبار الزمان على بدو خبر يعقوب بن الليث ببلاد سجستان وكونه في حال صغره صفارا وخروجه مع مطوعة سجستان الى حرب الشراة اتصاله بدرهم بن نصر وخبر شاروق مدينة الشراة مما يلي بلاد سجستان المعروفة باوق وترقي الامر بيعقوب الى أن كان من أمره ودخوله بلاد زباستان وهي بلاد فيروز بن كبك بن زباستان وما كان من أمره مع زميل ملك السند على جسر نسط ودخوله الى هراة ثم بلخ واعماله الحيلة الى أن دخل بلاد نيسابور وقبضه على محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين ثم دخوله الى بلاد طبرستان ومواقعته الحسن بن زيد الحسني مع ما قدمنا قبل وصفنا من خبر حمزة بن أدرك الخارجي وما كان من أمره في أيام عبد الله بن طاهر واليه تضاف الحمزية من الخوارج وانتهينا باخبار يعقوب بن الليث من بدئه الى غايته ووفاته ببلاد جنديسابور من كور الاهواز فلما نزل يعقوب بن الليث دير العاقول خرج المعتمد فعسكر يوم السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة اثنتين وستين ومائتين في الموضع المعروف بالقائم بسامرا واستخلف ابنه المفوض ووصل المعتمد الى سيب

وقال وهو آخر أنداء النديم

العز عاقبة التقى * والذل عاقبة الرياسه
فاذا اتقيت علوت في * أهل المجادة والنفاسه
واذا رأست نزلت في * طرق التذلل والسياسه
فاختر التقوى ولا * ترأس فتخطيك الكياسه

وكان تاريخ فراغه من كتاب أنداء النديم نصف شعبان عام واحد وثلاثين وسبعمائة

(ولنذكر بعض أناشيده التي كان ينشدها أهل مجلسه بيلده قصبة المرية أعادها الله تعالى)

فمما أنشده رحمه الله تعالى لابي العباس أحمد بن العريف صاحب محاسن المجالس

من لم يشاور عالما باصوله * فيقينه في المشكلات ظنون
من أنكر الاشياء دون تيقن * وتثبت فمعاند مفتون
الكل تذكار لمن هو عالم * وصوابها بمحالها مقرون

كرمان يوم الخميس لخمس خلون من رجب من هذه السنة فواقع الصفار يوم الاحد لتسع خلون من رجب من السنة في الموضع المعروف باصطربند بين السبت ودير العاقول فهزم الصفار واستباح عسكره وأخذ من أصحابه نحو عشرة آلاف رأس من الدواب وذلك أنه بثق عليه النهر المعروف بالسبت فغشي الماء الصحراء وعلم الصفار أن الحيلة قد توجهت عليه وقد كان حمل على أصحاب السلطان في ذلك اليوم بضع عشرة حملة وغرق ابراهيم بن سيما وقتل بيده خلقا كثيرا وطعن محمد بن أوتامش التركي وكان يتوهم أنه خادم وقال لاصحابه ما رأيت في عسكرهم مثل هذا الخادم وقد كان الصفار في هذا اليوم قصد الميمنة وكان عليها موسى بن بغا وقتل خلقا كثيرا من الناس منهم المغربي المعروف بالمبرقع ونجا الصفار بنفسه والخواص من أوليائه واتبعه جيش المعتمد وأهل القرى والسواد فغنم الاكثر من ماله وعدده واستنقذ محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر وكان مقيدا كان أسره من نيسابور على ما قدمنا ومعه الحسن بن قريش وأتى الموفق وكان في القلب محمد بن طاهر ففك قيوده وخلع عليه ورده الى مرتبته وقيل ان السبب كان في هزيمة الصفار في ذلك اليوم مع ما ذكرنا من بثق النهر وانتظام الخيول فيه أن نصيرا الديلمي مولى سعيد بن صالح الحاجب كان في الشذوات في بطن دجلة فوافى مؤخر عسكر الصفار وسواده فخرج من الشذوات فطرح النار في الابل والبغال والخيول وكان في عسكره خمسة آلاف جمل بختي من حمر وغيرها فتفرقت الابل في العسكر وشردت البغال والخيل واضطرب الناس في مصاف الصفار لما سمعوه ورأوه في عسكره وسواده من ورائهم فكانت الهزيمة على الصفار بما ذكرنا ٣٦٢ ويقال ان يعقوب بن الليث قال في سفرته هذه أبياتا وفي مسيره وانه خرج منكرا على المعتمد ومن معه من الموالي اضاعتهم الدين واهمالهم أمر صاحب الزنج فقال

خراسان أحويها وأعمال فارس
وما أنا من ملك العراق بآيس
اذا ما أمور الدين ضاعت وأهملت
ورثت فصارت كالرسوم الدوارس
خرجت بعون الله يمنا ونصرة * وصاحب رايات الهدى غير حارس

فاذا

والفكر غواص عليها مخرج * والحق فيها لؤلؤ مكنون

وأنشد رحمه الله تعالى من وجادة

أعوذ بالله من أناس * تشيخوا قبل ان يشيخوا
احدودبوا وانحنوا رياء * فاحذرهم انهم فخوخ

وأنشد لنفسه رحمه الله تعالى

أقلل العشرة تغبط * ان من أكثر يخط
وعليك الصدق واحذر * أن ترى في القول تشتط
والزم الصمت اذا ما * خفت أن تلحن فتغلط
فعلى الفاضل يلفى * كل مفضول مسلط

وأنشد لنفسه أيضا

جنة العالم لا أد * رى اذا ما احتاج جنه

(وكانت وفاة الصفار) يوم الثلاثاء لتسع بقين من شوال سنة خمس وستين ومائتين على ماذكرنا بجندي سابور (وخلف) في بيت ماله خمسين ألف ألف درهم وثمانمائة ألف ألف دينار وخلفه أخوه عمرو بن الليث مكانه وكانت سياسة يعقوب ابن الليث لمن معه من الجيوش سياسة لم يسمع بمثلها فيمن سلف من الملوك من الامم الغابرة من الفرس وغيرهم ممن سلف وخلف بحسن انقيادهم لامره واستقامتهم على طاعته لما كان قد شملهم من احسانه وغمرهم من بره وملأ قلوبهم من هيبته فما ذكر من ظهور طاعتهم له أنه كان بأرض فارس وقد أباح الناس أن يرتعوا ثم حدث أمر أراد النقلة والرحيل من تلك الكورة فنادى مناديه بقطع الدواب عن الرتع وأنه رؤي رجل من أصحابه قد أسرع الى دابته والحشيش في فيها فأخرجه من فيها مخافة أن تلوكه بعد سماعه النداء وأقبل على الدابة مخاطبا لها فقال بالفارسية أمير المؤمنين دوابرا أزتر بريدند وتفسير ذلك اقطعوا الدواب عن الرطبة وأنه رؤي في عسكره في ذلك الوقت رجل من قواده ذو مرتبة والدرع الحديد على بدنه لا ثوب بينه وبين بشرته فقيل له في ذلك فقال نادى منادي الامير البسوا السلاح وكنت أغتسل من جنابة فلم يسعني التشاغل بلبس الثياب عن السلاح وكان الرجل اذا أتاه راغبا في خدمته مؤثرا للانقطاع اليه تفرس فيه فاذا أعجبه منظره امتحن خبره واستبر ما عنده من رمي أو طعان أو غير ذلك من ثقافة فاذا رأى منه ما يعجبه سأل عن خبره وحاله ومن أين أقبل ومع من كان فاذا

واقفه ماسمه منه قال له اصدقنى عما معك من المال والمتاع والسلاح فيقف على جميع مامعه ثم يبعث امناء قد رتبوا لذلك فيبيعون جميع ذلك ويجعلونه عينا اوورقا ويدفع اليه ويثبت فى الديوان ثم يزيح علته فى اللباس والسلاح والمأكل والمشرب والدواب والبغال والحمير من اصطبله حتى لا يفقد الرجل جميع مايحتاج اليه من أمره على قدر مكانه ومرتبته فان نقم عليه بعد ذلك مذهبه ولم يرض اختياره سلبه جميع ما أنعم به عليه حتى يخرج من عسكره نحو مادخل اليه محتملا بما معه من ذلك العين والورق الا أن يكون ذلك الرجل مقتصدا فيصير له فضل من أرزاقه فلا يمنعه ما كان له من متقدم ماله وكان جميع دوابه ملكا له وان اعلافها من قبله ولها سياسة وكلاء يقومون بامرها الا خصوص دوابهم التى تكون عندهم الا ان ملكها له واتخذ لنفسه عريشا من خشب يشبه السرير حيثما توجه من مسيره فيكثر الجلوس عليه ويشرف منه على أهل عسكره وعلى قضيم دوابه ويؤمن الخلل من وكلائه فاذا رأى شيئا يكرهه بادر بتغييره وقد كان انتخب من أصحابه ألف رجل على اختيارهم والغنى الظاهر منهم والنكاية فى حروبهم فجعلهم أصحاب الاعمدة الذهب كل عمود منها فيه ألف مثقال من الذهب ثم يليهم فى اللباس والغنى فوج ثان أصحاب الاعمدة الفضة فاذا كان فى الاعياد أوفى الايام التى يحتاج فيها الى مباهاة الاعداء والاحتفال دفع اليهم تلك الاعمدة واغماضر بت هذه الاعمدة عدة للنوائب (وسئل) بعض ثقاته ممن ينظر حاله عن اشغاله فى خلواته وعن مجالسته مع أهل بطانته وهل يسير مع أحد أو يجالسه فذكر أنه لا يطلع أحدا على سره ولا يعرف أحد بتدبيره وعزمه وأكثر نهاره خاليا بنفسه يفكر فيما يريده ويظهر غير مايضمره ولا يشرك أحدا فيما يريده برأى ولا غيره وان تفرجه واشتغاله بغلمان صغار يتخذهم ويؤدبهم ويخرجهم ويدعوهم ويدفع لهم ماقد عمله لهم من السيور يتضاربون بها بين يديه ففى هذا أكثر شغله اذا فرغ من تدبيره ولما واقع الصفار الحسن بن زيد الحسينى بطبرستان وذلك فى سنة ستين ومائتين وقيل سنة تسع وخمسين ومائتين وانكشف الحسن بن زيد وأمعن يعقوب فى الطلب وكانت معه رسل السلطان قد قصدوه بكتب ورسالة من المعتمد وهم راجعون فى طلب الحسن بن زيد قال له بعضهم لما رأى من طاعة رجاله وما كان منهم فى تلك الحرب ما رأيت أيها الامير كاليوم قال له الصفار وأعجب منه ما أريك اياه ثم قربوا من الموضع الذى كان فيه عسكر الحسن بن زيد فوجدوا البدر والكراع والسلاح والعدد وجميع ماخلف فى العسكر حين الهزيمة على حاله لم يلتبس أحد من أصحابه منه بشئ ولا دنوا اليه معسكرين بالقرب منه من حيث يرونه بالموضع الذى خلفهم فيه الصفار فقال له الرسول هذه سياسة ورياضة راضهم الامير بها الى أن تأتى له منهم ما أراده وكان لا يجلس الا على قطعة مسح يشبه أن يكون طوله سبعة أشبار فى عرض ذراعين أو نحو والى جانبه ترسه وعليه اتكاؤه وليس فى مضربه شئ غيره فاذا أراد أن ينام من ليله أو نهاره اضطجع على ترسه ونزع رايته يجعلها مخدته وأكثر لباسه خفتان مصبوغ فاختى (وكان) من سنته للقواد والرؤساء والعظماء عنده مراتب فى الدخول باب مضربه بحيث تقع عينه عليهم ويرى مداخلهم فيمرون مع أطناب الشقاق الى خيمة مضروبة بحيث لا يرى هو موضعها لكنه يرى مداخلهم اليها ومخرجهم منها فمن احتاج اليه منهم واحتاج الى كلامه او أمره اونهيه دعاه فأمره وكان دنوهم بحيث يقع نظره عليهم عوضا من السلام عليه ولم يكن لاحد أن يتقدم الى باب مجلسه الا رجل من خواصه يعرف بالعزيز واخوته وله من وراء خيمته خيمة تقرب من أطناب مجلسه فيها غلمان من خواصه فاذا احتاج الى أمر يامر به صاح بهم فخرجوا اليه والا

فاذا ما ترك الجنة بانت فيه جنه
فالزم الجنة تسلم * انما الجنة جنة

وأنشد للحلاج رحمه الله تعالى

يابدر ياشمس يانهار * انت لنا جنة ونار
تجنب الاثم فيك اثم * وخشية العار فيك عار
يخلع فيك العذار قوم * فكيف من لا له عذار

وانشد مما ينسب للحلاج أيضا

سقمى فى الحب عافيتى * ووجودى فى الهوى عدمى
وعذاب ترتضون به * فى فمى احلى من النعم
ماالضر فى محبتكم * عندنا والله من ألم

وأنشد لسيدى ابى العباس بن العريف فى محاسن المجالس وهى احسن ماقيل فى طول

فهو فى أكثر نهاره وليله فى ذلك الموضع لا يقومون على رأسه وخيمته من داخل أخبية مطنبة كلها يدور فيها خمسمائة غلام يبيتون من داخل مضربه على كل نفس منهم ثقة قد وكل بتفقد أحواله لئلا يكون منهم عبث أو فساد فهو المأخوذ به ويذبح له فى كل يوم عشرون شاة فتطبخ فى خمس قدور من الصفر الكبار وله قدور حجارة يتخذله فيها بعض ما يشتهيه وله أوزة فى كل يوم وخبيصة وفالوذج مع القدور الخمس وهى ألوان غليظة فيأكل منها ويفرق الباقى فى الغلمان الذين فى داخل مضربه ثم أهل عسكره حول مضربه وقربهم منه على حسب مراتبهم عنده (وقال) بعض من ورد اليه برسالة السلطان أيها الامير أنت فى رياستك ومجلسك ليس فى خيمتك الا سلاحك ومسح أنت عليه قال ان رئيس القوم يأتم به اصحابه فى أفعاله وسيرته فلو استعملت ما ذكرت من الآثاث لاثقلنا البهائم ولا ئتم بى فى فعلى من فى عسكرى ونحن نقطع فى كل يوم المهامه والمفاوز والاودية والقيعان ولا يصلح لنا الا التخفيف وكان قليل الاستعمال للبغال فى عسكره وكان فى عسكره خمسة آلاف جمل بخت وأضعاف عددها حمير شهب كالبغال وهى الحمير المعروفة بالصفارية تحمل الاثقال عوضا من البغال وكان السبب فى ذلك انه اذا نزل خليت الجمال والحمير للرعى وليس فى وسع البغال ذلك (قال المسعودى) وليعقوب بن الليث الصفار وعمرو بن الليث أخيه سير وسياسات عجيبة وحيل ومكايد فى الحروب قد أتينا على ذكرها وما انتظم لنا فى وصفها فى كتابنا أخبار الزمان والاوسط وانما نذكر فى هذا الكتاب منها المعالم نعرض لذكرها فيما سلف من كتبنا (وفى سنة أربع وستين ومائتين) وذلك فى خلافة المعتمد كانت وفاة موسى بن بغا ٣٦٤ وفيه يقول بعض الشعراء وكان قد امتدحه فلم يصله بشئ

مات موسى فهان ذاك علينا
ليس يضرنى اذ قيل قد مات شيأ
وكذا لا يضرنى موت من لم
يسد خيراً الى اذ كان حيا

(وفى هذه السنة) وهى سنة أربع وستين ومائتين مات أبو ابراهيم اسمعيل بن يحيى المزنى صاحب المختصر من علم محمد بن ادريس الشافعى يوم الخميس لست بقين من شهر ربيع الاول من هذه السنة بمصر (وفيها مات) أبو عبد الله أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ابن أخى عبد الله بن وهب وهو صاحب مالك بن أنس وقد روى عن عمه عبد الله بن وهب عن مالك (وفيها) مات يونس بن عبد الاعلى الصدفى بمصر وهو ابن اثنتين وتسعين سنة (وفيها) مات أبو خالد يزيد بن سنان بمصر وصلى عليه بكار بن قتيبة القاضى (وشخص الموفق) لمحاربة صاحب الزنج فى صفر سنة سبع وستين ومائتين وقدم الموفق ابنه أبا العباس فى ربيع الآخر الى سوق الخميس وقد كان الشعرانى صاحب العلوى قد تحصن بها فى جمع كثير من الزنج ففتح هذا الموضع وغنم جميع ما كان فيه وفتح مواضع كثيرة وقتل من كان فيها من الزنج وسار الموفق الى الاهواز فاصلح ما أفسده الزنج ثم عاد الى البصرة فلم يزل منازلا لصاحب الزنج حتى قتل فكانت مدة أيامه أربع عشرة سنة وأربعة أشهر يقتل الصغير والكبير والذكر والانثى ويحرق ويخرب وقد كان أتى بالبصرة فى وقعة واحدة على قتل ثلثمائة ألف من الناس (وقد كان المهلبى) من علية أصحاب على بن محمد بعد هذه [illegible] ة فنصب منبرا بالموضع المعروف بمقبرة بنى يشكر وكان يصلى يوم الجمعة بالناس ويخطب على ذلك المنبر ا[illegible]على أبى بكر وعمر ولا يذكر عثمان ولا عليا فى خطبته ويلعن جبابرة بنى العباس وأبا موسى الاشعرى [illegible]ية بن أبى سفيان على ما قدمنا من قوله فى هذا الكتاب وأنه كان يذهب الى رأى الازارقة من [illegible]بقى بالبصرة الى هذا الفعل من المهلبى فاجتمعوا فى بعض الجمع فوضع فيهم السيف فمن ناج سالم ومن

الليل

لست ادرى اطال ليلى ام لا * كيف يدرى بذاك من يتقلى
لو تفرغت لاستطالة ليلى * ولرعى النجوم كنت مخلا
ان للعاشقين عن قصر الليل وعن طوله من الفكر شغلا

وأنشد رحمه الله تعالى مما أنشده بعض الوعاظ الغرباء

عانقت لام صدغها صاد لثمى * فارتها المرآة فى الخد لصا
فاسترابت لما رأت ثم قالت * أكتابا ارى ولم ارشخصا
قلت بالكشط يمحى قالت اكشط بالثنايا وتابع الكشط مصا
ثم لما ذهبت اكشط قالت * كان لصا فصار والله فصا
قلت ان الفصوص تطبع بالاثم على خد كل من كان رخصا

وأنشد لابن خفاجة

مقتول ومن غريق واختفى كثير من الناس في الدور والآبار فكانوا يظهرون بالليل فيأخذون الكلاب فيذبحونها ويأكلونها والفيران والسنانير فأفنوها حتى لم يقدروا منها على شيء فكانوا اذا مات منهم الواحد أكلوه وعدموا مع ذلك الماء العذب (وذكر) عن امرأة منهم أنها حضرت امرأة تنازع ومعها أختها وقد احتوشوها ينظرون أن تموت فيأكلوا لحمها قالت المرأة فما ماتت حتى ابتدرناها فقطعناها وأكلناها ولقد حضرت أختها وقد جاءت على النهر وهي تبكي ومعها رأس أختها فقيل لها ويحك مالك تبكين قالت اجتمعوا على أختي فما تركوها حتى تموت موتا حسنا حتى قطعوها وظلموني فلم يعطوني من لحمها شيأ الا الرأس فهذا وهي تشتكي ظلمهم لها في أختها ومثل هذا كثير وأعظم مما وصفنا (وبلغ) من أمر عسكره أنه كان ينادي فيه على المرأة من ولد الحسن والحسين والعباس وغيرهم من ولد هاشم وقريش وغيرهم من سائر العرب وأبناء الناس تباع الجارية منهم بالدرهمين والثلاثة وينادي عليها بنسبها هذه ابنة فلان الفلاني لكل زنجي منهم العشرة والعشرون والثلاثون يطؤهن الزنج ويخدمن النساء الزنجيات كما تخدم الوصائف ولقد استغاثت الى علي بن محمد امرأة من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب كانت عند بعض الزنج وسألته أن ينقلها منه الى غيره من الزنج أو يعتقها مما هي فيه فقال هو مولاك وأولى بك من غيره (وقد تكلم) الناس في مقدار ما قتل في هذه السنين من الناس فمكثر ومقلل فاما المكثر فانه يقول أفنى من الناس مالا يدركه العد ولا يقع عليه الاحصاء ولا يعلم ذلك الا عالم الغيب فيما فتح من هذه الامصار والبلدان والضياع وأباد أهلها والمقلل يقول أفنى من الناس خمسمائة ألف ألف وكلا الفريقين يقول في ذلك ظنا وحدسا اذ كان شيئا لا يدرك ولا يضبط (وكان) مقتله ما بينا آنفا سنة سبعين ومائتين وذلك في خلافة المعتمد (وقد كان) الموفق بعد ذلك وجه بصاعد ابن مخلد في سنة اثنتين وسبعين ومائتين الى حرب الصفار فأمره على من معه من الجيوش وشيعه الموفق فلما صار الى بلاد فارس تجبر واشتد سلطانه وانصرف من المدائن في بعض الايام فاحتجم في حفة وأذنه عليه ونمى ذلك الى الموفق وما هو عليه من التجبر فقال في ذلك أبو محمد عبد الله بن الحسن سعيد القطربلي الكاتب في قصيدة طويلة اقتصرنا منها على ما نذكره وهو

بكتمن لما ظعن * ودان بدين العجم
وأصبح في حفة * وفي أذنه محتجم

خصه الموفق الى واسط فكان مدة مقامه في الوزارة سبع سنين الى أن قبض عليه وعلى اخيه عبدون النصراني وماتت ية لصاعد بعد حبسه وكانت الغالبة على أمره وكان يقال لها جعفر وماتت بعدها بايام أم الموفق ففي ذلك يقول عبد الله الحسين بن سعيد من ابيات له

اخذت جعفر برأس القطار * ثم قالت آذنتكم بالبوار
جابت أم الامير وقالت * قد اتيناك اول الزوار
وسيأتيك صاعد عن قريب * كتبه للتلاق والاشكدار

ي ماوجد لصاعد من الرقيق والمتاع والكسوة والسلاح والآلات في خاصة نفسه دون ماوجد لاخيه عبدون فكان ثلثمائة ألف دينار وكان مبلغ غلته في سائر ضياعه ألف ألف وثلثمائة الف (ومات صاعد) في الحبس وذلك في سنة وسبعين ومائتين (وفي سنة) سبعين ومائتين كانت وفاة ابي سليمان بن وهب الكاتب واحمد بن طولون وذلك بمصر يوم ت لعشر خلون من ذي القعدة من سنة سبعين ومائتين وله خمس وستون سنة (وكانت) ولاية احمد بن طولون سبع عشرة ة وكان ابن المظفر يصاحب الزنج ومرض احمد بن طولون عشرة اشهر ولما يئس احمد بن طولون من نفسه بايع لابنه ابي

واغر كاد لطافة وطلاقة * ينساب ماء بيننا مسكوبا
قد قام في سطر الندامى فاستوى * فحسبته ألفا به مكتوبا
واكب يشربها وتشرب ذهنه * فرأيت منه شاربا مشروبا
مشمولة بيد ساترى في كفه * ماء ترى في خده الهوبا

وانشد لابن عبد ربه صاحب العقد مما نسبه له الفتح في مطمح الانفس ومسرح التأنس

يا لؤلؤا يسبي العقول أنيقا * ورشا بتقطيع القلوب رفيقا
ما ان رأيت ولا سمعت بمثله * درا يعود من الحياء عقيقا
واذا نظرت الى محاسن وجهه * ألفيت وجهك في سناه غريقا
يا من تقطع خصره من رقة * ما بال قلبك لا يكون رقيقا

وأنشد لابن عبد ربه أيضا

ودعتني بزورة واعتناق * ثم قالت متى يكون التلاقي

الجيش بالامر من بعده فلما توفى جدّ ابو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون العهد لنفسه (ووجه الموفق) ابنه أبا العباس لمحاربة أبي الجيش خمارويه في سنة احدى وسبعين ومائتين فكانت الوقعة بينهما بالطواحين من أعمال فلسطين يوم الثلاثاء لاربع عشرة ليلة بقيت من شوال من هذه السنة فكانت الهزيمة على أبي الجيش واحتوى أبو العباس على جميع عسكره وأفلت أبو الجيش في جماعة من قوّاده حتى أتى الفسطاط وتخلف غلامه سعيد الاعسر فواقع أبا العباس فهزمه واستباح عسكره وقتل رؤساء قوّاده وجلة أصحابه ومضى أبو العباس لا يلوى على شيء حتى أتى العراق وقلد أبو الجيش أمر وزارته على ابن أحمد المادرانى وأبو بكر محمد بن على بن أحمد المادرانى هو المعتقل في يد الاخشيد أحمد بن طغج في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وقد كان على وزارته بمصر هو وولده الحسن بن محمد فلما استوزر الاخشيد أبا الحسن على بن خلف ابن طباب وانفصل من دمشق الى الفسطاط قبض عليه وعلى أخيه ابراهيم بن خلف واستوزر أبا الحسن محمد بن عبد الوهاب (وفي سنة) سبعين ومائتين كانت وفاة الربيع بن سليمان المرادى المؤذن صاحب محمد بن ادريس الشافعى والراوى لاكثر كتبه عنه بمصر وأخبرنا أبو عبد الله الحسن بن مروان المصرى وغيره عن الربيع بن سليمان قال استعار الشافعى من محمد بن الحسن الكوفى شيأ من كتبه فلم يبعث بها اليه فكتب اليه الشافعى

يا قل لمن لم ترعين من رآه مثله   من كان من قد راه * ما قد رأى من قبله

ومن كلا مناله * حيث عقلنا عقله   لأن ما يجتنبه * ٣٦٦ فاق الكمال كله

العلم ينهى أهله * أن يمنعوه أهله

وتصدت فاشرق الصبح منها * بين تلك الجيوب والاطواق
ياسقيم الجفون من غير سقم * بين عينيك مصرع العشاق
ان يوم الفراق افظع يوم * ليتنى مت قبل يوم الفراق

وأنشدله أيضا

هيج البين دواعى سقمى * وكسا جسمى ثوب الالم
أيها البين أقلنى مرة * فاذا عدت فقد حل دمى
ياخلى الذرع نم فى غبطة * ان من فارقته لم ينم
ولقد هاج لقلبى سقما * حب من لو شاء داوى سقمى

وانشد للمصحفى

صفراء تطرق فى الزجاج فان سرت * فى الجسم دبت مثل صل لادغ
عبث الزمان بجسمها فتسترت * عن عينه برداء نور سابغ

لعله يبذله

لاهله لعله

فبعث اليه محمد بن الحسن باكثر كتبه التى سال عنها (وبايع المعتمد) لابنه جعفر وسماه المفوض الى الله وقد كان المعتمد آثر اللذة وغلب الملاهى وغلب أخوه أبو أحمد الموفق على الامور ويدبرها ثم حصر على المعتمد وحبسه فكان أول خليفة قهر وحجر عليه ووكل به فم الصلح وقد كان قبل ذلك هرب وصار الى حديثة الموصل فبعث الموفق بصاعد   خفت الى سامرا وكتب الى اسحق بن كنداج فرده من الموصل (وفي سنة) أربع وستين ومائتين كان خروج أحمد بن طولون من مصر مظهر اللغزو فى عساكر كثيرة وخلق من المطوعة قد انجذبوا معه من مصر وفلسطين فقبل وصوله الى دمشق مات ماجور التركى وقد كان عليها فدخلها أحمد واحتوى على جميع تركته من الخزائن وغيرها وسار منها الى حمص وسار منها الى بلاد انطاكية ووصلت مقدمته الى اسكندرية من شاطئ بحر الروم ووصل هو الى الموضع المعروف بسفواس من جبل اللكام وقد تقدمته المطوعة والغزاة الى الثغر الشامى ثم عطف هو راجعا من غير أن يكون تقدم الى الناس معرفة ذلك منه حتى نزل مدينة انطاكية وفيها يومئذ سيما الطويل فى عدة منيعة من الاتراك وغيرهم وقد قدمنا فيما تقدم من هذا الكتاب الخبر عن كيفية بناء انطاكية وقصة سورها والملك البانى لها وصفة سورها فى السهل والجبل وقد كان قبل نزول أحمد بن طولون على انطاكية وقع بين سيما وبين أحمد المؤيد حروب كثيرة ببلاد جند قنسرين والعواصم من أرض الشام وكان سيما الطويل قد عم أذاه أهلها من قتل وأخذ مال وكان نزول ابن طولون على باب من أبوابها يعرف بباب البحر وقد كان لؤلؤ بعد ذلك انحدر الى السلطان مستامنا فاتى الموفق وهو ومنازل لصاحب الزنج فكان من أمره وقتل صاحب الزنج ما قدمنا ذكره فيما سلف من كتبنا من وقوع المشاجرة بين أصحاب لؤلؤ وأصحاب الموفق كما قدمنا أيهم القاتل لصاحب الزنج

دت الحال أن تنفرج بينهم في ذلك اليوم حتى قيل في عسكر الموفق لم ماتشتم هولوا * ...

كان ابن طولون على انطاكية في آخر سنة أربع وستين ومائتين وكان افتتاحه اياها في سنة خمس وستين ومائتين بحيلة من داخلها من بعض أهلها بالليل وقد أخذوا بحراسهم سورها فتحدر بعضهم مما يلي الجبل و باب فارس فاتى ابن طولون وقد يئس من فتحها لمنعها وحصانة سورها وعدوه فتحها فضم اليه عدة من رجاله فتسلقوا من حيث نزلوا واستعده و عسكره وأخذ أهبته وسيما في داره فما انفرج عمود الصبح الا والطولونية قد كبروا على سورها ونزلوا منحدرين اليها فوقع الصوت وكثر الضجيج وركب سيما فيمن يسرع معه من خواصه فارسلت عليه امرأة من أعالي سطح حجرا فاتت عليه وأخذ بعض من عرفه رأسه فاتى به ابن طولون وقد دخل من باب فارس ونزل على عين هنالك ومعه الحسين بن عبد الرحمن القاضي المعروف بابن الصابوني الانطاكي الحنفي فعاث أصحاب ابن طولون ساعة بانطاكية وشمل الناس أذاهم ثم منع من ذلك لساعتين من النهار وارتحل ابن طولون يؤم الثغر الشامي فاتى المصيصة وأذنة وامتنع منه أهل طرسوس وفيها مازار الخادم فلم يكن له في فتحها حيلة فرجع عنها وقد أراد الغزو على ما قيل والله أعلم لامر بلغه أن العباس ولده قد عصى عليه ونزع أن يحال بينه و بين مصر فحث في السير ودخل الفسطاط ولحق العباس ببرقة من بلاد المغرب خوفا من أبيه وقد حمل معه ما أمكنه حمله من الخزائن والاموال والعدد وقد أتينا على ما جرى بين أحمد بن طولون وولده العباس من المراسلات في كتابنا أخبار الزمان وكانت وفاة مازنار الخادم في أرض النصرانية غازيا في

جيش الاسلام تحت الحصن المعروف بكوكب وكان مولى للفتح بن خاقان فحمل الى طرسوس فدفن بباب الجهاد وذلك للنصف من رجب سنة ثمان وسبعين ومائتين وكان معه في تلك الغزاة من أمراء السلطان المعروف بالعجيفي وابن أبي عيسى وكان على امرة طرسوس وكان مازنار في نهاية البلاغة في الجهاد في البر والبحر وكان معه رجال من البحريين لم ير مثلهم ولا أشد منهم وكان له في العدو نكاية عظيمة وكان العدو يهابه ويفزع منه النصرانية في حصونها ولم ير في الثغور الشامية والجزرية بعد عمرو بن عبيد الله الاقطع صاحب ملطية وعلي بن يحيي الارمني صاحب الثغور الشامية أشد اقداما على الروم من مازنار الخادم (وكانت) وفاة عمرو بن عبيد الله الاقطع وعلي بن يحيي الارمني في سنة واحدة استشهدا جميعا وذلك في سنة تسع وأربعين ومائتين في خلافة المستعين بالله وقد كان عمرو بن عبيد الله غازيا في تلك السنة في الملطيين فلقي ملك الروم في خمسين ألفا فصبر الفريقان جميعا فاستشهد عمرو بن عبيد الله ومن كان معه من المسلمين الا اليسير وذلك يوم الجمعة للنصف من رجب من هذه السنة وقد كان علي بن يحيي الارمني انصرف عن الثغر الشامي وولي أرمينية ثم صرف عنها فلما صار الى بلاد ميافارقين من ديار بكر عدل الى ضياع له هنالك ووقع النفير فخرج مسرعا وقد أغارت جيوش الروم فقتل علي بن يحيي مقدار أربعمائة نفس والروم لا تعلم أنه علي بن يحيي الارمني (وأخبرني) بعض الروم ممن كان قد أسلم وحسن اسلامه أن الروم صورت عشرة أنفس في بعض كنائسها من أهل الباس والنجدة والمكايد في النصرانية والحيلة من المسلمين منهم الرجل الذي بعث به معاوية حين احتال على البطريق فاسره من القسطنطينية فأقاد منه بالضرب ورده الى القسطنطينية وعبد الله البطال وعمرو بن عبيد الله وعلي بن يحيي الارمني والعربل ... أحمد بن أبي قطيعة وقرمناس السلقاني صاحب مدينة ابريق وهي اليوم للروم وكان بطريق البيالقة وكانت

خفت على شرابها دائما * يجدون ريا في اناء فارغ

وانشد لابن شهيد

هب من رقدته منكسرا * مسبل للكم مرخ للردا
يمسح النعسة عن عيني رشا * صائد في كل يوم أسدا
شربت اعطافه خمر الصبا * وسقاه الحسن حتى عربدا
رشأ بل غادة ممكورة * عممت صبحا بليل اسودا
اجهمت من مضني في نهدها * ثم عضت حروجهي عمدا
فانا المجروح من عضتها * لاشفاني الله منها أبدا

وانشد لصفوان بن ادريس

حي الهوى قلبه واوقد * فهو على أن يموت أوقد
وقال عنه العذول سال * قلده الله ما تقلد

وفاته فى سنة تسع وأربعين ومائتين وحرس حارس أخت قرماس ومارنا الخادم فى موكبه والرجال حوله وابو القاسم بن عبد الباقى وقد أتينا على وصف مذهب البيالقة واعتقاداتهم وهو مذهب بين النصرانية والمجوسية وقد دخلوا فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فى جملة الروم وقد فسرنا خبرهم فى كتابنا اخبار الزمان (فاما خبر معاوية) وما ذكرناه من خبر الرجل الذى أسر البطريق من مدينة القسطنطينية فهو أن المسلمين غزوا فى أيام معاوية فاسر جماعة منهم فاوقفوا بين يدى الملك فتكلم بعض أسارى المسلمين فدنا منه بعض البطارقة ممن كان واقفا بين يدى الملك فلطم حر وجهه فآلمه وكان رجلا من قريش فصاح واسلاماه أين أنت عنا يا معاوية اذ اهملتنا وضيعت ثغورنا وحكمت العدو فى ديارنا ودمائنا وأعراضنا فنمى الخبر الى معاوية فآلمه وامتنع من لذيذ الطعام والشراب وخلا بنفسه وامتنع من الناس ولم يظهر ذلك لاحد من المخلوقين ثم أجمل الامر فى اعمال الحيلة باقامة الفداء للمسلمين فلما صار الرجل الى دار الاسلام دعاه معاوية فبره وأحسن اليه ثم قال له لم نهملك ولم نضيعك ولا أبحنا دمك وعرضك ومعاوية مع ذلك يجيل الرأى ويعمل الحيلة ثم بعث الى رجل من ساحل دمشق من مدينة صور وكان به عارفا كثير الغزوات فى البحر مبل من الرجال مرطان بالرومية فاحضره وخلا به وأخبره بما قد عزم عليه وساله اعماله الحيلة فيه والثانى له فتوافقا على أن يدفع للرجل مالا عظيما يبتاع به أنواعا من الطرف والملح والجهاز والطيب والجوهر وغير ذلك وابتنى له مركب لا يلحق فى جريه سرعة ولا يدرك فى مسيره بنيانا عجيبا فسار الرجل حتى أتى مدينة قبرس فاتصل برئيسها وأخبره أن معه جارية للملك وأنه يريد التجارة الى القسطنطينية قاصدا الى الملك وخواصه بذلك فروسل الملك بذلك وأعلم بحال الرجل فاذن له فى الدخول فدخل خليج القسطنطينية وسار فيه حتى انتهى الى القسطنطينية وقد أتينا على مقدار مسافة هذا الخليج واتصاله بالبحر الرومى وبحر مانطش عند ذكر البحار فيما سلف من هذا الكتاب فلما وصل الى القسطنطينية أهدى للملك وجميع بطارقته وبايعهم وشاراهم ولم يعط للبطريق الذى لطم وجه القرشى شيئا وقصده الى ذلك البطريق الذى لطم الرجل القرشى وتانى الصورى فى الامر على حسب ما رسمه معاوية وأقبل الرجل من القسطنطينية الى الشام وقد أمره البطارقة والملك بابتياع حوائج ذكروها وأنواع من الامتعة وصفوها فلما صار الى الشام سار الى معاوية سرا وذكر له من الامر ما جرى فابتيع له جميع ما طلب منه وما علم أن رغبتهم فيه وتقدم اليه فقال ان ذلك البطريق اذا عدت الى كرتك هذه سيعذلك عن تخلفك عن بره واستهانتك به فاعتذر اليه ولاطفه بالقصد والهدايا واجعله القيم بامرك والمتعقد لاحوالك وانظر ماذا يطلب منك حين أوبك الى الشام فان منزلتك ستعلو وأحوالك تزداد عندهم فاذا أتقنت جميع ما أمرتك به وعلمت غرض البطريق منك وأى شئ يامرك بابتياعه تكون الحيلة بحسب ذلك فلما رجع الصورى الى القسطنطينية ومعه جميع ما طلب منه والزيادة على ما لم يطلب منه زادت منزلته وارتفعت أحواله عند الملك والبطارقة وسائر الحاشية فلما كان فى بعض الايام وهو يريد الدخول الى الملك قبض عليه ذلك البطريق فى دار الملك وقال له ما ذنبى اليك واذا استحق غيرى أن تقصده وتقضى حوائجه وتعرض عنى فقال له الصورى أكثر من ذكرت ابتدانى وأنا غريب أدخل الى هذا الملك والبلد كالمتنكر من اسارى المسلمين وجواسيسهم لئلا ينموا ويخبرى ويعنوا بأمرى الى المسلمين فيكون فى ذلك فقدى واذ قد علمت ميلك الى فانت احب ان يعتنى أمرى سواك ولا يقوم به عند الملك وغيره غيرك

وباللوى شادن عليه * جيد غزال ولحظ فرقد
علله ريقه بخمر * حتى انتشى طرفه فعربد
لا تعجبوا الانهزام طرفى * بجيش اجفانه مؤيد
اناله كالذى تمنى * عبد نعم عبده وازيد
ان بسملت عينه اقتلى * صلى فؤادى على محمد

وأنشد لابى على ادريس بن اليمانى

عاقته شادنا صغيرا * وكنت لا أعشق الصغارا
يسفر عن مستنير وجه * صير جنح الدجى نهارا
لم أر من قبل ذاك ماء * اضرم فيه الحياء نارا

وأنشد للرمادى أولابن بردا القرطبى

الابدا فى لازور * دى الحرير وقد بهر

كمرت

قامر لى بجميع حوائجك وجميع مايعرض من امورك بارض الاسلام واهدى الى البطريق هدية [illegible]
والطيب والجواهر والطرائف والثياب ولم يزل هذا فعله يتردد من الروم الى معاوية ومن معاوية الى الروم ويسال الملك
والبطريق وغيره الحوائج والحيلة لاتتوجه لمعاوية حتى مضى على ذلك سنون فلما كان فى بعضها قال البطريق للصورى وقد
أراد الخروج الى دار الاسلام قد اشتهيت أن تغمر لى بقضاء حاجة وتمن بها على أن تبتاع لى بساطا سوسنجرديا بعناده ووسائده
يكون فيه من أنواع الالوان من الحمرة والزرقة وغيرهما ويكون من صفته كذا وكذا ولو بلغ ثمنه كل مبلغ فانعم له بذلك وكان
من شان الصورى اذا ورد الى القسطنطينية تكون مركبه بالقرب من موضع ذلك البطريق وللبطريق ضيعة سرية وفيها قصر
مشيد ومتنزه حسن على أميال من القسطنطينية راكبة على الخليج وكان البطريق أكثر أوقاته فى ذلك المتنزه وكانت الضيعة
مما يلى فم الخليج مما يلى بحر الروم والقسطنطينية فانصرف الصورى الى معاوية مسرا وأخبره بالحال فاحضر معاوية بساطا
بوسائده ومخاده ومجالس فانصرف به الصورى مع جميع ماطلب منه من دار الاسلام وقد تقدم اليه معاوية بالحيلة وكيفية
ايقاعها وكان الصورى فيما وصفنا من هذه المدة قد صار كاحدهم فى المؤانسة وفى العشرة وفى الروم طمع وشره فلما دخل من
البحر الى خليج القسطنطينية وقد طابت له الريح وقد قرب من ضيعة البطريق أخذ الصورى خبر البطريق من أصحاب
القوارب والمراكب فاخبر أن البطريق فى ضيعته وذلك أن الخليج طوله نحو من ثلثمائة ميل وخمسين ميلا بين هذين البحرين
وهما الرومى ومانطش على حسب ماقدمنا فيما سلف من هذا الكتاب ٣٦٩ والضياع والعمائر على هذا الخليج من
حافتيه والمراكب تختلف
والقوارب بانواع المتاع
والادوات الى القسطنطينية
وهذه المراكب لاتحصى
فى هذا الخليج كثرة فلما
علم الصورى ان البطريق
فى ضيعته فرش ذلك
البساط ونضد ذلك الصدر
والمجالس بالوسائد والمخاد
فى صحن المركب ومجلسه
والرجال تحت المجالس
بأيديهم المجاذف مشكلة
فائمة غير قاذفين بها ولا يعلم بهم أنهم فى بطن المركب الا من ظهر منهم فى المركب عمله
والريح فى القلع والمركب مار فى الخليج كانه سهم قد خرج من كبد قوس لايستطيع القائم على الشط أن يملأ بصره منه لسرعة
سيره واستقامته فى جريه فاشرف على قصر البطريق وهو جالس فى مستشرفه مع حرمه وقد أخذت منه الخمر وعلاه الطرب
وذهب به الفرح والسرور فلما رأى البطريق مركب الصورى غنى طربا وصاح فرحا وسرورا وابتهاجا بقدومه فدنا من أسفل
القصر وحط القلع وأشرف البطريق على المركب فنظر الى مافيه من حسن ذلك البساط ونظم ذلك الفرش كانه رياض تزهر
فلم يستطع اللبث فى موضعه حتى نزل قبل أن يخرج الصورى من مركبه اليه فطلع المركب فلما استقرت قدمه فى المركب ودنا
من المجلس ضرب الصورى بعقبه على من تحت البساط من الوقوف وكانت علامة بينه وبين الرجال الذين فى بطن المركب
فما استقر دقه بقدمه حتى اختطف المركب بالمجاذيف فاذا هو فى وسط البحر لايلوى على شئ وارتفع الصوت ولم يدر ما الخبر
لمعاجلة الامر فلم يكن الليل حتى خرج من الخليج وتوسط البحر وقد أوثق البطريق كتافا وطابت له الريح وأسعده الجد وعجلة
المجاذيف فى ذلك الخليج فتعلق اليوم السابع بساحل الشأم ورأى البر وحمل الرجل فكانوا اليوم الثالث عشر حضورا بين
يدى معاوية بالفرح والسرور ولاتلاحه بالامر وتمام الحيلة وأيقن معاوية بالظفر وعلو الجد فقال على بالرجل القرشى فاتى به
وقد حضره خواص الناس فاخذوا مجالسهم وانغص المجلس باهله فقال له معاوية انظر لاتتعدماجرى عليك منه واقتص

كبرت من فرط الجما * ل وقلت ماهذا بشر
فاجابنى لاتنكروا * ثوب السماء على القمر

وأنشد من وجادة

يا ذا الذى عذب محبوبه * أنحت عيس العزم عنى الهوان
لم ينبت الشعر على خده * بل دب فى أصداغه عقربان
رفقا على نفسك لاتفنها * فجوهر الانفس ذو يصان

وأنشد من حديقة ابن يربوع

غزا القلوب غزال * حجت اليه العيون
خطت بخديه نون * وآخر الحسن نون

وأنشد من وجادة

أودع فؤادى حرقا أودعى * ذاتك تؤذى أنت فى أضلعى

منه على حسب ماصنع بك ولا سعد وواع ما أوجب الله عليك من المماثلة فلطمه القرشي لطمات وو كزه في حلقه ثم انكب القرشي على يد معاوية وأطرافه يقبلها وقال ما أضاعك من سوّدك ولا خاب فيك أمل من أملك أنت ملك لا تضام تمنع حمالك وتصون رعيتك وأغرق في دعائه ووصفه وأحسن معاوية الى البطريق وخلع عليه وبره وحمل معه البساط وأضاف الى ذلك أمورا كثيرة وهدايا الى الملك وقال له ارجع الى ملكك وقل له تركت ملك العرب يقيم الحدود على بساطك ويقتص لرعيته في دار مملكتك وسلطانك وقال للصوري سر معه حتى تأتي الخليج فتطرحه فيه ومن كان أسر معه ممن بادر فصعد المركب من غلمان البطريق وخاصته فحملوا الى صور مكرمين وحملوا في المركب فطابت لهم الريح فكانوا في اليوم الحادي عشر متعلقين ببلاد الروم وقربوا من فم الخليج واذا به قد أحكم بالسلاسل والمنعة من الموكلين به فطرح البطريق ومن معه وانصرف الصوري راجعا وحمل البطريق من ساعته الى الملك ومعه الهدايا والامتعة فتباشرت الروم بقدومه وتلقوه مهنئين له من الاسر فكافأ الملك معاوية على ما كان من فعله بالبطريق والهدايا فلم يكن يستضام أسير من المسلمين في أيامه وقال الملك هذا أمكر الملوك وأدهى العرب ولهذا قدمته العرب عليها فساس أمرها والله لو هم باخذي لتمت له الحيلة على (وقد أتينا) على خبر معاوية فيما سلف من هذا الكتاب وأتينا على مبسوطه وأخبار الوافدين والوافدات عليه من الامصار فيما سلف من كتبنا وان كنا قد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب من أخبار معاوية جملا وللملوك الروم وبطارقتها ممن سلف وخلف الى هذا الوقت أخبارحسان ٣٧٠ مع ملوك بني أمية والخلفاء من بني العباس في المغازي والسرايا وغيرها وكذلك لاهل الثغور الشامية والحرورية الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وقد أتينا على مبسوطها فيما سلف من كتبنا وقدمنا في هذا الكتاب جملا من أخبارهم ومقادير أعمارهم وأيامهم ولمعا من سيرهم وكذلك أخبرنا عن ملوك الامم وسيرهم (قال المسعودي) وكان المعتمد مشغوفا بالطرب والغالب عليه المعاقرة ومحبة أنواع اللهو والملاهي وذكر عبد الله بن خرداذبه أنه دخل عليه ذات يوم أيها وفي المجلس عدة من ندمائه من ذوي العقول والمعرفة والحذق فقال له أخبرني عن أول من اتخذ العود فقال ابن خرداذبه قد قيل في ذلك يا أمير المؤمنين أقاويل كثيرة أول من اتخذ العود لمك بن متوشلخ بن محويل بن عاد بن خنوخ بن قاد بن آدم وذلك انه كان له ابن يحبه حبا شديدا فمات فعلقه بشجرة فتقطعت أوصاله حتى بقي منه فخذه والساق والقدم والاصابع فأخذ خشبا فرققه والصقه فجعل صدر العود كالفخذ وعنقه كالساق ورأسه كالقدم والملاوي كالاصابع والاوتار كالعروق ثم ضرب به وناح عليه فنطق العود قال الحمدوني

وناطق بلسان لا ضمير له * كانه فخذ نيطت الى قدم

يبدي ضمير سواه في الحديث كما * يبدي ضمير سواه منطق القدم

واتخذ موسك بن لمك الطبول والدفوف وعملت ضلال بنت لمك المعازف ثم اتخذ قوم لوط الطنابير يستميلون بها الغلمان والاكراد نوعا مما يصفر به فكانت اغنامهم اذا تفرقت صفروا فاجتمعت ثم اتخذ الفرس الناي للعود والنائي للطبلوت والسرياني للطبل والسنج الصنج وكان غناء الفرس بالعيدان والصنوج وهي لهم ولهم النغم والايقاعات والمقاطع والطرق الملوكية وهي سبع طرق فأولها ساكاف وهو أكثرها استعمالا لتفعل الانهار وهو أفصحها مقاطع وأمرسه وهو أجمعها لمحاسن النغم وأكثرها تصعدا وانحدارا وماداروسنان وهو اثقلها وسابكاد وهو المحبوب للارواح وسسم وهو المجس المنقل وحوبران وهو الدرج الموقوف على نغمة وكان غناء اهل خراسان

وارم سهام اللحظ أو كفها * أنت عما ترمي مصاب معي
موقعها قلبي وأنت الذي * مسكنه في ذلك الموضع

وأنشد من حديقة ابن يربوع

يخط الشوق شخصك في ضميري * على بعد التزاور خط زور
وتدنيك الاماني من فؤادي * دنوّ السبرق من لمح البصير
فلا تذهب فانك نور عيني * اذا ماغبت لم تطرف بنور

وأنشد للوزير المصحفي

لعينيك في قلبي على عيون * وبين ضلوعي للشجون فنون
لئن كنت صبا خلقا في سالهوى * فحبك غض في الفؤاد مصون
نصيبي من الدنيا هواك وانه * عذابي ولكني عليه ضنين

وأنشد الصالح بن شريف

وملوك بابل ... الطنابير وقال
الفرس تقدم الطنبور على كثير من الملاهي وكان غناء النبط والجرامقة بالعيروارات وايقاعها يشبه ايقاع الطنابير وقال
فندروس الرومي جعلت الاوتار اربعة بازاء الطبائع فجعلت الزير بازاء المرة الصفراء والمثنى بازاء الدم والمثلث بازاء البلغم
والبم بازاء المرة السوداء وللروم من الملاهي الاوعرو عليه ستة عشر وتراوله صوت بعيد المذهب وهو من صنعة اليونانيين
والسلبان وله اربعة وعشرون وتراوتفسيره الغصون ولهم اللوزا وهي الرباب وهي من خشب ولها خمسة أوتار ولهم
القثاوة ولها ثمانية عشر وترا ولهم الصابح وهو من جلود العجاجيل وكل هذه معازف مختلفة الصفة ولهم الارغين وهو منافخ
الجلود الحديد وللهند الكنكلة وهو وتر واحد يمد على قرعة فيقوم مقام العود والصنج قال وكان الحداء في العرب قبل الغناء
وقد كان مضر بن نزار بن معد سقط عن بعير في بعض أسفاره فانكسرت يده فجعل يقول يايداه يايداه وكان من
أحسن الناس صوتا فاستوسقت الابل وطاب لها السير فاتخذه العرب حداء برجز الشعر وجعلوا كلامه أول الحداء فمن قول
حادي ياهاديا ياهاديا و يايداه يايداه فكان الحداء أول السماع والترجيع في العرب ثم اشتق
الغناء من الحداء ونحن نساء العرب على موتاها ولم تكن أمة من الامم بعد فارس والروم أولع بالملاهي والطرب من العرب وكان
غناؤهم النصب ثلاثة أجناس الركباني والسناد الثقيل والهزج الخفيف (وكان أول) من غنى من العرب الجرادتان وكانتا
قينتين على عهد عاد لمعاوية بن بكر العلقمي وكانت العرب تسمى القينة الكرينة والعود المزهر وكان

أيها العاذل بالله اتئد * لك قلب في ضلوعي أو كبد
هي أجفاني فذرها تنهمي * هي أحشائي فدعها تتقد
لاتظن الحب شيأ هينا * ليس في الحب قياس يطرد
أنت خلو وأنا صب شجي * فاذا حدثت عني قل وزد
فاترك اليوم ملامي انه * يترك الشئ اذا مالم يفد
انا أسلو عن حبيبي ساعة * ياعذولي قل هو الله أحد

أنشد له أيضا

وافي وقد زانه جمال * فيه لعشاقه اعتذار
ثلاثة مالها شبيه * الوجه والخد والعذار
فمن رآه رأى رياضا * الورد والآس والبهار

أنشد من حديقة ابن يربوع

غناء أهل اليمن بالمعازف
وايقاعها جنسا من واحد
وغناؤهم جنسان حنفي
وحميري والحنفي أحسنهما
ولم تكن قريش تعرف
من الغناء الا النصب حتى
قدم النضر بن الحرث بن
كلدة بن علقمة بن عبد مناف
ابن عبد الدار بن قصي من
العراق وافدا على كسرى
بالحيرة فتعلم ضرب العود
والغناء عليه فقدم مكة فعلم
أهلها فاتخذوا القينات (والغناء) يرق الذهن ويلين العريكة ويبهج النفس ويسرها ويشجع القلب ويسخي البخيل وهو مع
النبيذ يعاونان على الحزن الهادم للبدن ويحدثان له نشاطا ويفرجان الكرب والغناء على الانفراد يفعل ذلك وفضل الغناء
على المنطق كفضل المنطق على الخرس والبرء على السقم وقد قال الشاعر

لاتبعثن على همومك اذ ثوت * غير المدام ونغمة الأوتار

فلله در حكيم استنبطه وفيلسوف استخرجه
أي غامض أظهر وأي مكنون كشف وعلى أي فن دل والى أي علم وفضيلة سبق فذلك نسيج وحده وقريع دهره (وقد كانت
الملوك) تنام على الغناء ليسري في عروقها السرور وكانت ملوك الاعاجم لاتنام الا على غناء مطرب او سهر لذيذ والعربية
لاتنوم ولدها وهو يبكي خوف أن يسري الهم في جسده ويدب في عروقه ولكنها تنازعه وتضاحكه حتى ينام وهو فرح مسرور
فينمو جسده ويصفو لونه ودمه ويشف عقله والطفل يرتاح الى الغناء ويستبدل بكائه ضحكا وقد قال يحيى بن خالد بن برمك
الغناء ما اطربك فارقصك وابكاك فاشجاك وماسوى ذلك فبلاء وهم (قال المعتمد) قد قلت فاحسنت ووصفت فاطنبت
وأنت في هذا اليوم سوقا للغناء وعلم أنواع الملاهي وان كان كلامك لمثل الثوب الموشى يجتمع فيه الاحمر والاصفر والاخضر
وسائر الالوان فاصفة المغني الحاذق قال ابن خرداذبه المغني الحاذق يا أمير المؤمنين من تمكن من أنفاسه ولطف في اختلاسه
وتفرع في اجناسه (قال المعتمد) فعلى كم تنقسم أنواع الطرب قال على ثلاثة أوجه يا أمير المؤمنين وهي طرب محرك مستخف

لاريحية بنعش النفس ودواعي الشيم عند السماع وطرب شجن وحزن لاسيما اذا كان الشعر في وصف أيام الشباب والشوق الى الاوطان والمراثي لمن عدم الصبر من الاحباب وطرب يكون في صفاء النفس ولطافة الحس لاسيما عند سماع جودة التأليف واحكام الصنعة اذ كان من لا يعرفه ولا يفهمه لا يسره بل تراه متشاغلا عنه فذلك كالحجر الجلمد والجماد الصلد سواء جوده وعدمه وقد قال يا أمير المؤمنين بعض الفلاسفة المتقدمين وكثير من حكماء اليونانيين من عرضت له آفة في حاسة الشم كره رائحة الطيب ومن غلظ حسه كره سماع الغناء وتشاغل عنه وعابه وذمه (قال المعتمد) فما منزلة الايقاع وأنواع الطرق وفنون الغناء قال قد قال في ذلك يا أمير المؤمنين من تقدم ان منزلة الايقاع من الغناء بمنزلة العروض من الشعر وقد أوضحوا الايقاع ورسموه بسمات ولقبوه بألقاب وهو أربعة أجناس ثقيل الاول وخفيفه وثقيل الثاني وخفيفه والرمل الاول وخفيفه والهزج وخفيفه والايقاع هو الوزن ومعنى أوقع وزن ولم يوقع خرج من الوزن والخروج ابطاء عن الوزن أو سرعة فالثقيل الاول نقره ثلاثة ثلاثة اثنتان ثقيلتان بطيئتان ثم نقرة واحدة وخفيف ثقيل الثاني نقره اثنتان متواليتان وواحدة بطيئة واثنتان مزدوجتان وخفيف الرمل نقره اثنتان اثنتان مزدوجتان وبين كل زوج وقفة والهزج نقره واحدة واحدة مستويتان ممسكة وخفيف الهزج نقره واحدة واحدة متساويتان في نسق واحد أخف قدرا من الهزج والطرائق ثمان الثقيلان الاول والثاني وخفيفاهما وخفيف الثقيل منهما يسمى بالماخوري وانما سمي بذلك لان ابراهيم بن ميمون الموصلي وكان من أبناء فارس وسكن الموصل كان كثير الغناء في هذه المواخير بهذه الطريقة ٣٧٢ والرمل وخفيفه ويتفرع من كل واحد من هذه الطرائق مزموم ومطلق وتختلف مواقع الاصطلاح فيها فيحدث لها ألقاب تميزها كالمحصور والمخبول والمحثوث والمخدوع والارواح والعود عند أكثر الامم وجل الحكماء يوناني صنعة أصحاب أهل الهندسة على هيئة طبائع الانسان فان اعتدلت أوتاره على الاقدار الشريفة جانس الطبائع فاطرب والطرب رد النفس الى الحال الطبيعية دفعة وكل وتر مثل الذي يليه ومثل ثلثه والرسان وصلاحا الذي يلي الانف موضوع على خط النسع من جملة الوتر فهذه يا أمير المؤمنين جوامع في صفة الايقاع ومنتهى حدوده فقام المعتمد في هذا اليوم وخلع على ابن خرداذبه وعلى من حضره من ندمائه وفضله عليهم وكان يوم لهو وسرور (فلما كان في صبيحة تلك الليلة دعا المعتمد من حضر في اليوم الاول فلما أخذوا مراتبهم من المجالس قال لبعض من حضره من ندمائه صف لي الرقص وأنواعه والصفة المحمودة من الرقاص واذكر لي شمائله فقال المسؤول يا أمير المؤمنين أهل الاقاليم والبلاد مختلفون في رقصهم من أهل خراسان وغيرهم فجملة الايقاع في الرقص ثمانية أجناس الخفيف والهزج والرمل وخفيف الرمل وثقيل الثاني وخفيفه وخفيف الثقيل الاول وثقيله والرقاص يحتاج الى أشياء في طباعه وأشياء في خلقته فأما ما يحتاج اليه في طباعه فخفة الروح وحسن الطبع على الايقاع وأن يكون طالبه مرحا الى التدبير في رقصه والتصرف فيه ما يحتاج اليه في خلقته فطول العنق والسوالف وحسن الدل والشمائل والتمايل في الاعطاف ودقة الخصر وحسن أقسام واقع المناطق واستدارة الثياب من أسافلها ومخارج النفس والاراحة والصبر على طول الغاية ولطافة الاقدام ولين الاصابع وامكان لينها في نقلها وفيما يصرف فيه من أنواع الرقص من الابل ورقص السكرة وغيره ولين المفاصل وسرعة الانفتال في الدوران ولين الاعطاف وأما ما يحتاج اليه في عمله فكثرة التصرف في ألوان الرقص واحكام كل جزء من حدوده وحـ

عليك باكرام وبرلستة * من الناس واحذر شرهم وتوقه
طبيب وحجام وشيخ وشاعر * وصاحب ديوان ومن يتفقه

وأنشد لبعض الصوفية

ماترى عند أحمق * في أمور توسطا
بل تراه في أمره * مفرطا أو مفرطا

وأنشد لبعض الادباء

الصبر أولى بوقار الفتى * من قلق يهتك ستر الوقار
من لازم الصبر على حاله * كان على أيامه بالخيار

ولنقتصر من ترجمة ابن ليون على هذا القدر فقد حصلت الاطالة بل ونكتفي من مشايخ لسان الدين بمن ذكرنا ولنورد ما في الاحاطة في ترجمة مشيخته وان تكرر مع ما تقدم * ونص المشيخة قرأت كتاب الله عزوجل على المكتب نسيج وحده في تحمل المنزل حتى حمله تقوة

لاستدارة وثبات القدمين على مدارهما واستواء ما تعمل يمنى الرجل ويسراها حتى يكون في ذلك واحدا ولو صح لهم
رفعها وجهان أحدهما أن يوافق بذلك الايقاع والآخر أن يتثبط به فأكثر ما يكون هو فيه أمكن وأحسن فليكن ما يوافق
الايقاع فهو من الحب والحسن سواء وأما ما يتثبط به فأكثر ما يكون هو فيه أمكن وأحسن فليكن ما يوافق الايقاع مترافعا
ما يتثبط به متسافلا (قال المسعودي) وللمعتضد مجالسات ومذاكرات ومجالس قد دونت في أنواع من الآداب منها مدح النديم
بصفاته وعفافه وأمن عيبه والتداعي في المنادمات والمراسلات في ذلك وعدد أنواع الشرب في الكثرة وهيئة السماع
وأقسامه وأنواعه وأصول الغناء ومباديه في العرب وغيرها من الامم وأخبار الاعلام من مشهوري المغنين المتقدمين والمحدثين
وهيئة المجالس ومنازل التابع والمتبوع وكيفية مراتبهم وتعبية مجالس الندماء والتحيات كما قال العطوي في ذلك

حي التحية أصحاب التحيات * القائلين اذا لم تسقهم هات * أما الغداة ففكري في نعيمهم
وبالعشي فصرعى غير أموات * وبين ذلك قصف لا يعادله * قصف الخليفة في لهو ولذات

وقد أتينا على وصف جميع ذلك في كتابنا أخبار الزمان مما لم يتقدم له ذكر كصنوف الشراب والاستعمال لانواع النقل
اذا وضع ذلك في المناقل والاطباق فنض نضا ورصف رصفا والابانة عن المراتب في ذلك ووصف جميل لذات الطبيخ مما
يحتاج التام الملذ رقته والاريب الى قيمته من المتولدات في معرفة الالوان ومقادير التوابل والابزار وأنواع المحادثات
ونسيس حين حضرة الرئيس والمقام عن مجلسه وادارات الكاسات وما حكي ٣٧٣ في ذلك عن الاسلاف من ملوك
الامم وغيرهم وما قيل في الاكثار والاقلال من الشراب وما ورد في ذلك من الاخبار وطلب الحاجات والاستماحات من أهل الرياسة على المعاقرات وهيئة النديم وما يلزمه لنفسه وما يلزم الرئيس لنديمه والفرق بين التابع والمتبوع والنديم والمنادم وما قال الناس في العلة التي من أجلها سمي النديم
نديما وكيفية الادب في لعب الشطرنج والفرق بينها وبين النرد وما ورد في ذلك من الاخبار وانتظمت فيه من الدلائل
والآثار وما ورد عن العرب في أسماء الخمر وورود التحريم فيها وتنازع الناس في ذلك وغيرها من أنواع الانبذة عليها قياسا
ووصف أنواع آنيتها ومن كان يشربها في الجاهلية ومن حرمها ووصف السكر وما قال الناس في ذلك وكيفية وقوعه من الله أم
من خلقه وغير ذلك مما لحق بهذا الباب واتصل بهذه المعاني وانما نذكر هذه اللمع منبهين بها على ما قدمنا فيما سلف من
كتبنا (وكان أبو العباس) المعتضد محبوسا فلما خرج أبوه الموفق خلفه بدار الوزير اسمعيل بن بلبل وكان مضيقا عليه الى أن
وافى الموفق من أذربيجان عليلا مدنفا ومر في بيت من الخشب قد اتخذ له مبطنا بالخز والحرير وفي أسفله حلق قد جعل فيها
الدهن فتحمله الرجال على أكتافها نوائب وكان وصوله الى بغداد يوم الخميس لليلتين خلتا من صفر سنة ثمان وسبعين ومائتين
فأقام بمدينة السلام أياما فاشتدت علته وأرجف بموته وانصرف اسمعيل بن بلبل وقد يئس منه فوجه اسمعيل بن بلبل الى
كفهمن وقيل الى بكتمر وكان موكلا بالمعتضد بالمدائن على أقل من يوم من مدينة السلام ان ينصرف بالمعتضد والمفوض الى
الله الى بغداد فدخل المعتضد اليها في يومه واتصل باسمعيل صلاح الموفق فانحدر ومعه المعتضد والمفوض في طيارة الى ولده
وقد كان يانس الخادم ومؤنس الخادم وصاف الحرمين وغيرهم من خدم الموفق وغلمانه أخرجوا أبا العباس من الموضع
الذي كان فيه محبوسا وساروا به الى الموفق ولما حضر اسمعيل بن بلبل الموفق والمعتضد معه وكثر اضطراب القواد والموالي

وصلاحا وخصوصية واتقانا ونعمة وعناية وحفظا وتبحرا في هذا الفن واطلاعا لغرائبه
واستيعابا لسقطات الاعلام الاستاذ الصالح أبي عبد الله بن عبد المولى العواد تكتيبا ثم حفظا
ثم تجويدا الى مقرآت أبي عمرو رحمة الله عليهما ثم نقلني الى أستاذ الجماعة ومطية الفنون
ومفيد الطلبة الشيخ الخطيب المتفنن أبي الحسن علي القيجاطي فقرأت عليه القرآن والعربية
وهو أول من انتفعت به وقرأت على الخطيب الحسيب الصدر أبي القاسم بن جزي رحمه الله
ولازمت قراءة العربية والفقه والتفسير والمعتمد عليه العربية على الشيخ الاستاذ الخطيب
أبي عبد الله بن الفخار البيري الامام المجمع على امامته في فن العربية المفتوح عليه من الله
حفظا واطلاعا ونقلا وتوجيها بما لا مطمع فيه لسواه وقرأت على قاضي الجماعة الصدر المتفنن
أبي عبد الله بن بكر رحمه الله وتأدبت بالشيخ الرئيس صاحب القلم الاعلى الصالح الفاضل أبي
الحسن بن الجياب ورويت عن الكثير ممن جمعهم الزمان بهذا القطر من أهل الرواية كالمحدث
أبي عبد الله بن جابر وأخيه أبي جعفر والقاضي الشهير الشيخ بقية السلف شيخنا أبي البركات

وأسرعت العامة وسائر الخدم في النهب فانتهبوا دار اسمعيل بن بلبل ولم تبق دار جليل ولا كاتب نبيل الا نهبوها وفتحت الجسور وابواب السجون ولم يبق أحد في المطبق ولا في الحديد الا اخرج وكان أمر افظعا غليظا وخلع على أبي العباس وعلى اسمعيل بن بلبل وانصرف كل واحد منهما الى منزله فلم يجد اسمعيل في داره مايقعد عليه حتى وجه اليه الشاه بن ميكال ماقعد عليه وقام بامر طعامه وشرابه وقد كان اسمعيل أسرع في بيوت الاموال وأسرف في النفقات والجوائز والخلع وأمد العرب واجزل لهم الانزال والارزاق واصطنع بني شيبان من العرب وغيرهم من ربيعة وكان يزعم أنه رجل من بني شيبان وطالب بخراج سنة مبهمة فثقل على الرعية وكثر الداعي عليه ومكث الموفق بعد ذلك ثلاثة ايام ثم توفي يوم الخميس لثلاث بقين من صفر سنة ثمان وسبعين ومائتين ومات وله تسع وأربعون سنة وامه أم ولد رومية يقال لها اسحق وكان اسم الموفق طلحة وفيه يقول الشاعر

لما استقل بظل الملك واجتمعت * له الامور فمنقاد ومقسور

حطت عليه لمقدار منيته * كذلك تصنع بالناس المقادير

فلما مات الموفق قام المعتضد بامور الناس في التدبير مكان أبيه الناصر وهو الموفق وخلع جعفر المفوض من ولاية العهد وقام اسمعيل بن بلبل في الوزارة بعد شغب كثير كان في مدينة السلام وكان لابي عبد الله بن أبي الساج ولخادمه وصيف خطب جليل وقيد اسمعيل بن بلبل ووجه أبو العباس الى أبي عبد الله بن سليمان بن وهب فاحضره وخلع عليه ورد اليه أمر كتابته وذلك في يوم الثلاثاء لثمان بقين من صفر سنة ثمان وسبعين ومائتين ولم يزل اسمعيل بن بلبل

يعذب بانواع العذاب وجعل في عنقه غلا فيه رمانة حديد والغل والرمانة مائة وعشرون رطلا والبس جبة صوف قد صيرت في ودك الاكارع وعلق معه رأس ميت فلم يزل على ذلك حتى مات في جمادى الاولى سنة ثمان وسبعين ومائتين ودفن بغله وقيوده وامر المعتضد بضرب جميع الآنية التي كانت في خزانته فضربت وفرقت في الجند (قال المسعودي) وقد كان المعتمد قعد للغداء واصطبح يوم الاثنين لاحدى عشرة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين فلما كان عند العصر قدم الطعام فقال يا موشكيره للموكل به مافعلت الرؤس بارقابها وقد كان قدم من الليل ان يقدم له رأسا حملين وقد فصل فيهما أرقابهما فقدمتا وكان معه على المائدة رجل من ندمائه يعرف بقف الملقم ورجل آخر يعرف بخلف المضحك فاول من ضرب بيده الى الرؤس الملقم فانتزع أذن واحد منهما وأما المضحك فانه يقتلع اللهازم والاعين فاكلوا اكل المعتمد وأتموا يومهم فاما الملقم صاحب اللقمة الاولى فانه تهرى في الليل واما المضحك فانه مات قبل الصباح واما المعتمد فاصبح ميتا قد لحق بالقوم ودخل اسمعيل بن حماد القاضي الى المعتضد وعليه السواد فسلم عليه بالخلافة وكان اول من سلم عليه بها وحضر الشهود منهم أبو عوف والحسين بن سالم وغيرهم من العدول حتى أشرفوا على المعتمد ومعهم بدر غلام المعتضد يقول هل ترون به من باس أو اثر مات فجأة وقتلته مداومته لشرب النبيذ فنظروا اليه فاذا ليس به من أثر فغسل وكفن وحمل في تابوت قد أعد له الى سامرا فدفن بها (وذكروا) والله اعلم ان سبب وفاته أنه سقي نوعا من السم في شرابهم الذي كانوا يشربونه وهو نوع يقال له البيش يحمل من بلاد الهند وجبال الترك والتبت وربما وجدوه في سنبل الطيب وهو الوان ثلاثة وفيه خواص عجيبة (وللمعتمد) أخبار حسان وما كان في أيامه من الكوائن والحوادث مما كان من حروب الصفار وما كان بديار بكر من بلاد واسر وغيرهما من أحمد بن عيسى بن الشيخ وما كان باليمن قد أتينا على مبسوطها وجميع ذلك كله والغرر منه وماحدث في

ابن الحاج والشيخ المحدث الصالح أبي محمد بن سلمون وأخيه القاضي أبي القاسم سلمون وأبي عمرو ابن الاستاذ أبي جعفر بن الزبير وله رواية عالية والاستاذ اللغوي أبي عبد الله بن بيش والمحدث الكاتب أبي الحسن التلمساني المسن والحاج أبي القاسم بن النهي المالقي والعدل أبي محمد السعدي تحمل عن الامام ابن دقيق العيد والقائد الكاتب ابن ذي الوزارتين أبي بكر بن الحكيم والقاضي المحدث الاديب جملة الظرف أبي بكر بن شيرين والشيخ أبي عبد الله بن عبد الملك والخطيب أبي جعفر الطنجالي والقاضي أبي بكر بن منظور والراوية أبي عبد الله بن حزب الله كلهم من مالقة والقاضي أبي عبد الله المقري التلمساني والشريف أبي علي حسن بن يوسف والخطيب الرئيس أبي عبد الله بن مرزوق كلهم من تلمسان والمحدث الفاضل الحسيب أبي العباس بن يربوع والرئيس أبي محمد الحضرمي السبتيين والشيخ المقري أبي محمد بن أيوب المالقي آخر الرواة عن ابن أبي الاحوص وأبي عثمان بن ليون من أهل المرية والقاضي أبي الحجاج المنتشافري من أهل رندة وطائفة كبيرة من المعاصرين تحملا وتدبجا ومن أهل

العدوة

كل سنة من أيامه من الحوادث فى كتابينا أخبار الزمان والاوسط فاغنى ذلك عن اعادته فى هذا الكتاب

(ذكر خلافة المعتضد بالله) وبويع أبو العباس احمد بن طلحة المعتضد بالله فى اليوم الذى مات فيه المعتمد على الله عمه وهو يوم الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين وامه ام ولد رومية يقال لها ضرار وكانت وفاته يوم الاحد لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين فكانت خلافته تسع سنين وتسعة اشهر ويومين وتوفى بمدينة السلام وله سبع وأربعون سنة وقيل انه ولى الخلافة وهو ابن احدى وثلاثين سنة وتوفى سنة تسع وثمانين على ما ذكرناوله اربعون سنة واشهر على تباين اصحاب التواريخ فى كتبهم وما أرخوه فى ايامهم والله الموفق

(ذكر جمل من اخباره وسيره ولمع مما كان فى ايامه) ولما افضت الخلافة الى المعتضد بالله سكنت الفتن وصلحت البلدان وارتفعت الحروب ورخصت الاسعار وهدأ الهرج وسالمه كل مخالف وكان مظفرا قد دانت له الامور وانفتح له المشرق والمغرب واديل له فى اكثر المخالفين عليه والمنابذين له وظفر بهرون الشارى وكان صاحب المملكة والقيم بامر الخلافة مولاه واليه جميع المعارف فى جميع الآفاق واليه حمل الجيوش وسائر القواد وخلف المعتضد فى بيوت الاموال تسعة آلاف الف دينار ومن الورق اربعين الف الف درهم والدواب والبغال والحمير والجمال اثنى عشر الف رأس وكان مع ذلك بخيلا ينظر فيما لا ينظر فيه العوام (وحكى عبد الله بن حمدون) وكان نديمه وخاصته وممن كان يأنس به فى خلواته انه امر ان ينقص حشمه وممن كان يجرى عليه من الاتراك من كل رغيف اوقية وان يبتدأ ٣٧٥ بامر خبزه لان للوصائف عددا من الرغفان فيها ثلاث وأربع كذا وأكثر من ذلك قال ابن حمدون فتعجبت من ذلك فى اول أمره ثم تبينت القصة فاذا أنه يتوفر من ذلك فى كل شهر مال عظيم وتقدم الى خزانه ان يختار له من الثياب التسترية والدبيقية أحسنها للقطيع النفسه (وكان) مع ذلك قليل الرحمة كثير الاقدام سفاكا للدماء شديد الرغبة فى ان يمثل بمن يقتله (وكان) اذا غضب على القائد النبيل والذى يختصه من غلمانه أمر ان تحفر له حفيرة ثم يدلى على رأسه فيها ويطرح التراب عليه ونصفه الاسفل ظاهر على التراب ويداس التراب فلا يزال كذلك حتى تخرج روحه من دبره (وذكر) من عذابه انه كان يأخذ الرجل فيكتف ويقيد فيؤخذ القطن فيحشى فى اذنه وخيشومه وفمه وتوضع المنافخ فى دبره حتى ينتفخ ويعظم جسمه ثم يسد الدبر بشئ من القطن ثم يفصد وقد صار كالجمل العظيم من العرقين اللذين فوق الحاجبين فتخرج النفس من ذلك الموضع وربما كان يقتل الرجل فى أعلى القصر مجردا موثقا ويرمى بالنشاب حتى يموت (واتخذ) المطامير وجعل فيها صنوف العذاب وجعل عليها الحرمى المتولى لعذاب الناس ولم يكن له رغبة الا فى النساء والبناء فانه أنفق على قصره المعروف بالثريا اربعمائة ألف دينار وكان طول قصره المعروف بالثريا ثلاثة فراسخ (وأقر) عبيد الله بن سليمان على وزارته فلما مات استوزر القاسم بن عبيد الله (وقد كان المعتضد) فى هذه السنة وهى سنة تسع وسبعين ومائتين ركب يوم الفطر وهو يوم الاثنين الى مصلى اتخذه بالقرب من داره وكبر فى الركعة الاولى ست تكبيرات وفى الآخرة تكبيرة واحدة ثم صعد المنبر فحصر ولم تسمع له خطبة (ففى ذلك) يقول بعض الشعراء

حصر الامام ولم يبين خطبة * للناس فى حل ولا احرام
ماذاك الا من حياء لم يكن * ما كان من عى ولا افحام

(وفى هذه السنة) قدم الحسن بن عبد الله المعروف بابن الجصاص رسولا من مصر لخمارويه بن أحمد ومعه هدايا كثيرة

العدوة الغربية والمشرق وأفريقية الكثير بالاجازة وأخذت الطب والتعاليم والمنطق وصناعة التعديل عن الامام أبى زكريا بن زهر ولازمته هذا على سبيل الالماع ولو تفرغت لذكر أفذاذهم لخرج هذا التأليف عما وضع له انتهى كلامه فى الاحاطة وقد ذكرت فى هذا الباب زيادة فى بعض التراجم على ما فى الاحاطة على ما اقتضاه الحال اذ ذلك لا يخلو من فائدة زائدة وحكمة بالخير عائدة ولو لم يكن فى هذا الكتاب غير هذا الباب لكان كافيا لاشتماله على تصوف وحكم وكرامات وآداب ووصايا وانشادات وغيرها مما يغنى عن خبره العيان ويشتاق الى الوقوف عليه ذووا الملكة فى البيان ولو لم يشتمل الا على المدائح النبوية التى فيه لتمت محاسنه والله سبحانه ينفع به بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وتابعيه وحزبه

(الباب الرابع)

فى مخاطبات الملوك والاكابر الموجهة الى حضرته العليه وثناء غير واحد من أعلام اهل

وأموال جليلة فوصل الى المعتضد يوم الاثنين لثلاث خلون من شوّال وخلع عليه وعلى سبعة نفر معه ثم سعى فى تزويج ابنة خمارويه من على المكتفى فقال المعتضد انما أراد أن يتشرف بنا وأنا أزيد فى تشريفه أنا أتزوجها فتزوجها وتولى ابن الجصاص أمرها وحمل جهازها فيقال انه حمل معها جوهرا لم يجتمع مثله عند خليفة قط فاقتطع ابن الجصاص بعضه وأعلم قطر الندى بنت خماروية ان ما أخذه ودعها عنده الى وقت حاجتها اليه فماتت والجوهر عنده فكان ذلك سبب غناه واستقلاله وقد كانت لابن الجصاص محن بعد ذلك فى ايام المقتدر وما كان من القبض عليه وما أخذ منه من الاموال بهذا السبب وغيره وحمل المعتضد صداق قطر الندى وهو بمدينة بلد الى أبى الجيش وكان الصداق ألف ألف درهم وغير ذلك من المتاع والطيب ولطائف الصين والهند والعراق وكان مما خص به أبا الجيش فى نفسه وحباه به بدرة من الجوهر المثمن فيها در وياقوت وأنواع من الجوهر ووشاح وتاج وأكاليل وقيل قلنسوة وكردف وكان وصولهم الى مصر فى رجب سنة ثمانين ومائتين وانحدر المعتضد من مدينة بلد والموصل بعد أن حمل ما وصفنا الى مدينة السلام فى الماء (وحدث أبو سعيد) أحمد بن الحسين بن منقذ قال دخلت يوما على الحسين بن الجصاص واذا بين يديه سفط خيازر مبطن بالحرير فيه جوهر قد نظم منه سبح فرأيت شيأ حسنا ووقع فى نفسى أن عددها يجاوز العشرين فقلت له جعلنى الله فداك كم عدد كل سبحة فقال لى مائة حبة وزن كل حبة كوزن صاحبتها لا تزيد ولا تنقص قد عدلت كل سبحة وزن صاحبتها واذا بين يديه سبائك ذهب توزن بقبان كما يوزن الحطب فلما خرجت من عنده تلقانى أبو العيناء فقال لى يا أبا سعيد على أى حال تركت هذا الرجل فوصفت له ما رأيت فقال رافعا رأسه الى السماء اللهم انك لم تساو بينى وبينه فى العمى ثم اندفع يبكى فقلت يا أبا عبد الله ما شانك فقال لا تنكر ما رأيت منى لو رأيت ما رأيت لشغفت ثم قال الحمد لله على هذه الحالة وقال يا أبا سعيد ما حمدت الله تعالى على العمى الا فى وقتى هذا فقلت لمن يخبر حال ابن الجصاص باى شئ ختم هذه السبح فقال بياقوتة حمراء لعل قيمتها أكثر مما تحتها (وكانت وفاة أبى العيناء) سنة اثنتين وثمانين ومائتين بالبصرة فى جمادى الآخرة وكان يكنى بابى عبيد الله وكان قد انحدر من مدينة السلام الى البصرة فى زورق فيه ثمانون نفسا فى هذه السنة فغرق الزورق ولم يتخلص ممن كان فيه الا أبو العيناء وكان ضريرا تعلق بطلال الزورق فأخرج حيا وتلف كل من كان معه فبعد أن سلم ودخل البصرة مات (وكان) لابى العيناء من اللسان وسرعة الجواب والذكاء ما لم يكن عليه أحد من نظرائه وله أخبار حسان وأشعار ملاح مع أبى البصير وغيره وقد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا (وحضر) مجلس بعض الوزراء فتعارضوا حديث بعض البرامكة وكرمهم وما كانوا عليه من الجود فقال الوزير لابى العيناء وقد كان أمعن فى وصفهم وما كانوا عليه من البذل والافضال قد أكثرت من ذكرهم ووصفك اياهم وانما هذا من تصنيف الوراقين وتأليف المحسنين فقال له أبو العيناء فلم لا يكذب الوراقون عليك أيها الوزير بالبذل والجود فأمسك عنه الوزير وتعجب الناس من اقدامه عليه (واستأذن) يوما على الوزير صاعد بن مخلد فقال له الحاجب الوزير مشغول فانتظر فلما أبطا اذنه قال للحاجب ما صنع الوزير قال يصلى قال صدقت لكل جديد لذة يعيره بانه حديث عهد بالاسلام (وقد كان أبو العيناء) دخل على المتوكل فى قصره المعروف بالجعفرى وذلك فى سنة ست وأربعين ومائتين فقال له كيف ترى دارنا هذه فقال ان الناس بنوا الدور فى الدنيا وأنت بنيت الدنيا فى دارك فاستحسن ذلك ثم قال له

عصره عليه وصرف القاصدين وجوه التاميل اليه واجتلائهم أنوار رياسته الجليه وكتبهم بعض المؤلفات باسمه ووقوفهم عند اشارته ورسمه وما يضاهى ذلك فى حظه وقسمه وسعيهم بين يديه ✻ (اعلم) سلك الله بى وبك الطريق الاقوم الاقوى وحلى صدور جميعنا بزينة التقوى أن لسان الدين ذكر فى كتبه كالاحاطة ونفاضة الجراب وغيرهما جملة مما خاطبه به الملوك وغيرهم من تبجيل وتنويه ولنذكر بعض ذلك من كتبه ومن غيرها تتميما للمقصود وتبليغا لنفوس الناظرين فى هذه العجالة ما تؤمله وتنويه ✻ فمن ذلك ما ذكره فى الاحاطة من اكرام السلطان أبى زيان المرينى ابن الامير أبى عبد الرحمن ابن السلطان أبى الحسن له وسرد ما كتب له به من قوله هذا ظهير الى قوله أيده الله ونصره ويسر له الفتح المبين ويسره وبعد ما صورته للشيخ الفقيه الاجل الاسنى الاعز الاحظى الارفع الامجد الاسمى الاوحد الانوه الارقى العالم العلم الرئيس الاعرف المتفنن الابرع المصنف المفيد الصدر الاحفل الافضل الاكمل أبى عبد الله ابن الشيخ الفقيه الوزير الاجل الاسنى الاعز

الارفع

كيف شربك النبيذ فقال أعجز عن قليله وأفتضح من كثيره فقال له دع هذا عنك ونادمنا فقال أنا امرؤ محجوب والمحجوب تتخطرف اشارته ويجور قصده وينظر منه الى ما لا ينظر اليه وكل من في مجلسك يخدمك وأنا احب أن اخدم وأخرى لست آمن ان تنظر الى بعين راض وقلبك غضبان أو بقلب غضبان وعينك راضية ومتى لم اميز بين هاتين هلكت فأختار العافية على التعرض للبلاء واحفظ فقال بلغنا عنك بذاء قال يا أمير المؤمنين قد مدح الله تعالى وذم فقال نعم العبد انه اوّاب وقال جل ذكره هماز مشاء بنميم الآيه فان لم يكن البذاء بمنزلة العقرب بلدغ النبي والذمي فلا ضير في ذلك قال الشاعر

اذا أنا بالمعروف لم أثن صادقاً * ولم أشتم النكس اللئيم المذمما
ففيم عرفت الخير والشر باسمه * وشق لى الله المسامع والفما

قال من أين أنت قال من البصرة قال ما تقول فيها قال ماؤها أجاج وحرها عذاب وتطيب في الوقت الذي تطيب فيه جهنم وكان وزيره عبد الله بن يحيى بن خاقان واقفا على رأسه قال ما تقول في عبد الله بن يحيى بن خاقان قال نعم العبد منقسم بين طاعة الله تعالى وخدمتك ودخل ميمون بن ابراهيم صاحب ديوان البريد فقال له ما تقول في ميمون قال يد تسرق واست تضرط هو بمنزلة يهودي قد سرق نصف جزيته له اقدام ومعه احجام احسانه تكليف واساءته طبيعة فاضحك ذلك منه ووصله وصرفه (وفي سنة) ثلاث وثمانين ومائتين وردت هدايا من قبل عمرو بن الليث الصفار مائة دابة من مهارى خراسان وجمازات كثيرة وصناديق كثيرة وأربعة آلاف ألف درهم وكان معها صنم من صفر على مثال امرأة لها أربعة أيد وعليها وشاحان من فضة مرصعان بالجوهر الاحمر والابيض وبين يدي هذا ٣٧٧ التمثال أصنام صغار لها أيد ووجوه وعليها الحلى والجوهر وكان هذا التمثال على عجل قد عمل على مقدارها تجره الجمازات فصير بذلك الى دار المعتضد ثم رد هذا التمثال الى مجلس الشرطة في الجانب الشرقي فنصب للناس ثلاثة أيام ثم رد الى دار المعتضد وذلك يوم الخميس لاربع خلون من شهر ربيع الآخر من هذه السنة فسمت العامة هذا التمثال شغلا لاشتغالهم عن أعمالهم بالنظر اليه عدة هذه الايام

.. رفع الامجد الوجيه الانوه الاحفل الافضل الحسيب الاصيل الاكمل المبرور المرحوم أبي محمد بن الخطيب قابله أيده الله بوجه القبول والاقبال وأضفى عليه ملابس الانعام والافضال ورعى له خدمة السلف الرفيع الجلال وما تقرر من مقاصده الحسنة في خدمة أمرنا العال وأمر في جملة ما سوّغه من الآلاء الوارفة الظلال الفسيحة المجال بان يجدد له حكم ما بيده من الاوامر المتقدم تاريخها المتضمنة تمشية خمسمائة دينار من الفضة العشرية في كل شهر عن مرتب له ولولده الذى لنظره من مجبى مدينة سلا حرسها الله في كل شهر ومن حيث جرت العادة أن يتمشى له ورفع الاعتراض ببابها فيما يجلب من الادم والاقوات على اختلافها من حيوان وسواه وفيما يستفيده خدامه بخارجها وأحوازها من عنب وقطن وكتان وفاكهة وخضر وغير ذلك فلا يطلب في شئ من ذلك بمغرم ولا وظيف ولا يتوجه فيه اليه بتكليف يتصل له حكم جميع ما ذكر في كل عام تجديدا تامّا واحتراما عامّا أعلى بتجديد الحظوة واتصالها واتمام النعمة واكمالها من تواريخ الاوامر المذكورة الى

٤٨ ط ث

وقد كان عمرو بن الليث قد حمل هذا الصنم من مدن افتتحها من بلاد الهند ومن جبالها مما يلي بلاد بسط ومعبر وبلاد الدوار وهي ثغور في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة مما يليها من الاكابر والامم المختلفة حضر وبدو في الحضر بلاد كابل وبلاد ماجان وهي بلاد متصلة ببلاد زابلستان والرخج وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب في أخبار الامم الماضية والملوك الغابرة أن زابلستان تعرف ببلاد فيروز بن كبك ملك زابلستان (وقد كان) عيسى بن علي بن ماهان دخل في طلب الخوارج في أيام الرشيد الى السند وجبالها والقندهار والرخج وزابلستان يقتل ويفتح فتوحا لم يتقدم مثلها في تلك الديار (ففي ذلك) يقول الاعمى الشاعر المعروف بابن القذافي القمي

كاد عيسى يكون ذا القرنين * بلغ المغربين والمشرقين
لم يدع كابلا ولا زابلستا * ن فما حولها الى الرخجين

وقد قدمنا فيما سلف من كتبنا الاخبار عن قلاع فيروز بن كبك الملك ببلاد زابلستان التي ليس في قلاع العالم على ما ظهر للناس من ذوي العناية والتنقير ومن أكثر في الارض المسير أحصن منها ولا أمنع ولا أعلى في الجو ولا أكثر عجائب منها وذكرنا عجائب تلك الديار الى بلاد الطبسين وبلاد خراسان واتصالها بسجستان وعجائب المشرقين والمغربين من عامر وغامر وما في العامر من الامم المختلفة الخلق والخلق (وقد كان) أهل البصرة وردوا على المعتضد فيما كتبه تقدمت

مشحمة بالشحم والنورة على ما في بحرهم ووفد فيها خلق من خطبائهم ومتكلميهم وأهل الرياسة والشرف والعلم منهم أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي وكان ولي آل جمح من قريش وكان ولي القضاء بعد ذلك يشكون الى المعتضد ما نزل بهم من محن الزمان وجدب لحقهم وجور من العمال اعتورهم وألحوا بالصياح والضجيج في مراكبهم في دجلة فجلس لهم المعتضد من وراء حجاب وأمر الوزير القاسم بن عبيد الله وغيره من كتاب الدواوين بالجلوس لهم من حيث يسمع المعتضد خطابهم فيقضون لهم عما يشكونه من حكم الدواوين ثم أذن للبصريين فدخلوا وأبو خليفة في أولهم عليهم الطيالسة الزرق والاقباع على رؤسهم ذوو عوارض جليلة وهيئة حسنة فاستحسن المعتضد ما رأى منهم وكان المبتدئ منهم بالنطق أبو خليفة فقال عمر العامر ودثر الظاهر واختلفت الاهواء وخسفت الجوزاء وناحت علينا المصائب واعتورتنا المحن وقام كل رجل منا في ظلمة واصطلمت الضياع وانخفضت القلاع فانظر الينا بعين الامام تستقم لك الايام وتنقاد لك الانام والا فنحن البصريون لا ندفع عن فضيلة ولا ننافس عن جليلة وسجع في كلامه وأغرق في خطابه فقال له الوزير أحسبك مؤدبا أيها الشيخ فقال له أيها الوزير المؤدبون أجلسوك هذا المجلس قال له الوزير كم في خمس من الابل قال له أبو خليفة للخبير سألت في خمس من الابل شاة وفي العشر شاتان ثم مضى في وصف فرائض الابل واصفا لما يجب فيها ذاكرا للتنازع في موضعه منها ثم شرع في البقر والغنم بلسان فصيح وخطاب حسن في ايجاز من خطاب وبيان من الوصف فبعث المعتضد وقد أعجبه ما سمع وأكثر لذلك من الضحك بخادم الى الوزير فقال له اكتب لهم عما يريدون وأجبهم الى ما سألوه ولا تصرفهم الا شاكرين فهذا شيطان قد قذف به البحر ومثله فليقذف على الملوك (وكان) ابو خليفة لا يتكلف الاعراب بل قد صار له كالطبع لدوام استعماله اياه من عنفوان حداثته وكان ذا محل من الاسناد (وله أخبار) ونوادر حسان قد دونت (منها) أن بعض عمال الخراج بالبصرة كان مصروفا من عمله وأبو خليفة مصروفا عن قضائه فبعث العامل الى أبي خليفة ابن مبرمان النحوي صاحب أبي العباس المبرد قد زارني نفسه في هذا اليوم الى بعض الانهار والبساتين فأتوه متنكرين مع من حضرنا من أصحابنا وسألوه الحضور معهم فخلوا في سمارية متفكهين قد غيروا ظواهر زيهم حتى أتوا نهرا من أنهار البصرة وقدم اليهم ما حملوا معهم من الطعام وكان أيام البادي وهي الايام التي يجز فيها التمر والرطب فيكبسونه في القواصر تمرا وتكون حينئذ البساتين مشحونة بالرجال ممن يعمل في التمر من الاكرة وهم الزراع وغيرهم فلما أكلوا قال بعضهم لابي خليفة غير مكترث له خوفا أن يعرفه من حضر ممن ذكرنا من الاكرة والعمال في النخل أخبرني أطال الله بقاءك عن قول الله عز وجل قوا أنفسكم وأهليكم نارا هذه الواو ما موقعها من الاعراب قال أبو خليفة موقعها رفع وقوله قوا هو أمر للجماعة من الرجال قال له كيف تقول للواحد من الرجال وللاثنين قال ...من الرجال ق وللاثنين قيا وللجماعة قوا قال كيف تقول للواحدة من النساء وللاثنتين منهن وللجماعة منهن ...للواحدة قي وللاثنتين قيا وللجماعة قين قال فاسألك أن تجعل بالجملة كيف يقال للواحد من الرجال ...من النساء وللاثنتين منهن والجماعة منهن قال أبو خليفة ع لان ق قياة واتى قيا قين وكان بالقرب ...سمعوا ذلك استعظموه وقالوا يا زنادقة أنتم تقرؤن القرآن بحرف الدجاج وعدوا عليهم ...خليفة والقوم الذين كانوا معه من أيديهم الا بعد كد طويل (وقد أتينا) على نوادر أبي خليفة

الآن ومن الآن الى ما يأتي على الدوام واتصال الايام وأن يحمل جانبه فيمن يشركه أو يخدمه محمل الرعي والمحاشاة في السخر مهما عرضت والوظائف اذا افترضت حتى يتصل له تالد العناية بالطارف وتتضاعف أسباب المنن والعوارف بفضل الله وتحرر له الازواج التي يحرثها بالمغت من كل وجيبة وتحاشى من كل مغرم أو ضريبة بالتحرير التام بحول الله وعونه ومن وقف على هذا الظهير الكريم فليعمل بمقتضاه وليمض ما أمضاه ان شاء الله وكتب في العاشر من شهر ربيع الآخر من عام ثلاثة وستين وسبعمائة وكتب في التاريخ انتهى وقوله وكتب في التاريخ هو العلامة السلطانية في ذلك الزمان يكتب بقلم غليظ وبعض ملوك المغرب يكتب عند العلامة صح في التاريخ * وقد عرف لسان الدين في الاحاطة بهذا السلطان بما نصه محمد بن يعقوب بن عبد الرحمن بن علي أمير المسلمين بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق أمير المسلمين بالمغرب الى هذا العهد يكنى أبا زيان وصل الله نصره على عدو الدين وأرشده الى سنن الخلفاء المهتدين (حاله) فاضل سكون منقاد مشتغل بخاصة

وأخباره ومخاطبته لبغلته حين ألقته وما تكلم به حين دخول اللص الى داره وغير ذلك فى كتابنا الاوسط (وكانت) وفاة أبى خليفة بالبصرة فى سنة خمس وثلثمائة (وفى سنة) ست وثمانين ومائتين فى ربيع الاول نزل المعتضد على آمد وذلك بعد وفاة أحمد بن عيسى ابن الشيخ عبد الرزاق وقد تحصن بها ولده محمد بن أحمد بن عيسى بن عبد الرزاق فبث جيوشه حولها وحاصرها فحدث علقمة بن عبد الرزاق قال حدثنا رواحة بن عيسى بن عبد الملك عن شعلة بن شهاب اليشكرى قال وجه بى المعتضد الى محمد بن أحمد بن عيسى ابن الشيخ لآخذ بالحجة عليه فلما سرت اليه واتصل الخبر بام الشريف أرسلت الى فقالت يا شهاب كيف خلفت أمير المؤمنين قال فقلت خلفته والله ملكا جذلا وحكما عدلا أمارا بالمعروف فعالا للخير متعززا على أهل الباطل متذللا للاحق لا تاخذه فى الله لومة لائم قال فقالت لى هو والله أهل لذلك ومستحقه ومستوجبه وكيف لا يكون ذلك كذلك [illegible] على بلاده وخليفته المؤتمن على عباده أعز به دينه وأحيا به سنته وثبت به شريعته ثم قالت لى وكيف [illegible] ابن أخيها محمد بن أحمد قال فقلت رأيت غلاما حدثا معجبا قد استحوذ عليه السفهاء فاستمد بآرائهم وأنصت لاقوالهم فهم يزخرفون له الكلام ويوردونه الندم فقالت لى فهل لك ان ترجع اليه بكتاب فلعلنا ان نحل ما عقده السفهاء قال قلت أجل فكتبت اليه كتابا لطيفا احسنا اجزلت فيه الموعظة وأخلصت فيه النصيحة وكتبت فى آخره هذه الابيات

اقبل نصيحة أم قلبها وجع * عليك خوفا واشفاقا وقل سددا
واستعمل الفكر فى قولى فانك ان * فكرت ألفيت فى قولى لك الرشدا
ولا تثق برجال فى قلوبهم * ٣٧٩ ضغائن تبعث الشنآن والحسدا
مثل النعاج تجول فى بيوتهم * حتى اذا أمنوا ألفيتهم أسدا
وداو ذلك والادواء ممكنة * واذ طبيبك قد ألقى اليك يدا
وأعط الخليفة ما يرضيه منك ولا * تمنعه مالا ولا أهلا ولا ولدا
واردد أخا يشكر ردا يكون له * ردا من السوء لا تشمت به أحدا

قال فاخذت الكتاب وسرت به الى محمد بن احمد فلما نظر فيه رمى به الى ثم قال يا أخا يشكر ما بآراء النساء تساس الدول ولا بعقولهن يساس الملك ارجع الى صاحبك فرجعت الى أمير المؤمنين فاخبرته الخبر عن حقه وصدقه فقال وأين كتاب أم الشريف قال فاظهرته فلما عرض عليه أعجبه شعرها وعقلها ثم قال والله انى لا أرجو أن أشفعها فى كثير من القوم فلما كان فى فتح آمد ما كان ونزل محمد بن أحمد على الامان لما عظم القتال وجه الى أمير المؤمنين فقال يا شعلة بن شهاب هل عندكم علم من أم الشريف قال قلت لا والله يا أمير المؤمنين قال امض مع هذا الخادم فانك تجدها فى جملة نسائها قال فمضيت فلما بصرت بى أسفرت عن وجهها وأنشأت تقول

ريب الزمان وصرفه * وعتوه كشف القناعا
وأذل بعد العز منا الصعب والبطل الشجاعا
ولقد نصحت فما أطعت وكم حرصت بان أطاعا
فابى بنا المقدور الا أن نقسم أو نباعا
ياليت شعرى هل نرى * يوما لفرقتنا اجتماعا

قال ثم بكت وضربت بيدها على الاخرى ثم قالت لى يا شهاب كانى والله كنت أرى ما أرى فانا لله وانا اليه راجعون قال فقلت لها ان أمير المؤمنين قد وجهنى اليك وما ذاك الا لحسن رأى منه فيك قالت فهل لك أن توصل اليه كتابى هذا لما فيه قلت نعم فكتبت اليه بهذه الابيات

قل للخليفة والامام المرتضى * رأس الخلائق من قريش الابطح
بك أصلح الله البلاد وأهلها * بعد الفساد وطالما لم تصلح
وتزحزحت بك قبة العز التى * لولاك بعد الله لم تتزحزح
وأراك ربك ما تحب فلا ترى * مالا يحب فجد بعفوك واصفح

نذ [illegible] حسن الكلام حسن الشكل درب بركض الخيل مفوض للوزراء عظيم التأنى لاغراضهم ووكل الامور لمن استكفاه منهم استقدم من أرض النصارى بالاندلس وقد فر اليهم خوفا على نفسه فسمح به ملك الروم بعد اشتراط واشتطاط فكان وصوله الى مدينة الملك بفاس يوم الاثنين الثانى والعشرين لصفر عام ثلاثة وستين وسبعمائة ودخوله داره مغرب ليلة الجمعة بطالع الثامن من السرطان وبه السعد الاعظم كوكب المشترى من الكواكب السيارة وقد كان الوزير قيم الامر والمثل فى الكفاية والاستطلاع بالعظيمة عمر بن عبد الله بن على اليابانى لما ثار بعمه السلطان أبى سالم رحمه الله تعالى وأقام الرسم باخيه المعتوه المدعو بابى عمر استدعى هذا المترجم به وقد نازله الامير عبد الحليم ابن عمهم وتوجه عنه رسوله أثناء الحصار لما رأى الامر لا يستقيم بنصبه فتلطف فيه الى طاغية النصارى واستعان بالسلطان أبى عبد الله بن نصر وقد جمعتهما آلته فتم له اللحاق بالمغرب وانصرف الامير عبد الحليم الى سجلماسة فتملكها وتم الامر للامير أبى زيان يقوم به عنه وزيره

يا بهجة الدنيا وبدر ملوكها * هب ظالمي ومفسدي لمصلح قال فأخذت الكتاب وسرت به الى أمير المؤمنين فلما عرضت
عليه الابيات أعجبته وأمر أن يحمل اليها تخوت من الثياب وجملة من المال والى ابن أخيها محمد بن أحمد مثل ذلك وشفعها في
كثير من أهلها عن عظم جرمه واستحق العقوبة عليه (وكتب) المعتضد الى أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف بمواقعة رافع بن
هرثمة وذلك في سنة سبع وسبعين ومائتين فسار أحمد بن عبد العزيز الى رافع والتقوا بالري لسبع بقين من ذي القعدة من هذه
السنة وأقامت الحرب بينهم أياما ثم كانت على رافع بن هرثمة فولى وركب أصحاب ابن أبي دلف أكتافهم واستولوا على
عسكرهم وكان وصول هذا الخبر الى بغداد لست خلون من ذي الحجة من هذه السنة (وفي سنة) ثمانين ومائتين أخذ ببغداد
رجل يعرف بمحمد بن الحسن بن سهل ابن أخي ذي الرياستين الفضل بن سهل يلقب بشميلة ومعه عبد الله بن المهتدي ولمحمد
ابن الحسن بن سهل هذا تصنيفات في أخبار المبيضة وله كتاب مؤلف في أخبار علي بن محمد صاحب الزنج على حسب ما ذكرنا
من أمره فيما سلف من هذا الكتاب فأقر عليه جماعة من المستأمنة من عسكر العلوي وأصيبت له جرائد فيها أسماء رجال قد
أخذ عليهم البيعة لرجل من آل أبي طالب وكانوا قد عزموا على أن يظهروا ببغداد في يوم بعينه ويقتلوا المعتضد فادخلوا الى
المعتضد فأبى من كان مع محمد بن الحسن أن يقروا وقالوا أما الرجل الطالبي فانا لا نعرفه وقد أخذت علينا البيعة له ولم نره وهذا
كان الواسطة بيننا وبينه يعنون محمد بن الحسن فأمر بهم فقتلوا واستبقى شميلة طمعا في أن يدله على الطالبي وخلى عبيد الله بن
المهتدي لعلمه ببراءته ثم أراد المعتضد بالله محمد بن الحسن بجميع الجهات أن يدله على الطالبي الذي
أخذ له العهد على الرجال فأبى وجرى بينه وبين المعتضد خطب طويل وكان في مخاطبته للمعتضد أن قال لو شويتني على النار ما زدتك على ما سمعت مني ولم أقر على من دعوت الناس الى طاعته وأقررت بامامته فاصنع ما أنت له صانع فقال له المعتضد لسنا نعذبك الا بما ذكرت فذكر أنه جعل في حديدة
طويلة أدخلت في دبره وأخرجت من فمه وأمسك باطرافها على نار عظيمة حتى مات بحضرة المعتضد فكل
وهو يسبه ويقول فيه العظائم والاشهر أنه جعل بين رماح ثلاثة وشد أطرافها وكتف وجعل فوق النار من غير أن تمسها
وهو في الحياة يدار عليها ويشوى كما تشوى الدجاج وغيرها الى ان تفرقع جسمه وأخرج فصلب بين الجسرين من الجانب
الغربي (وفي هذه السنة) كان خروج المعتضد في طلب الاعراب من بني شيبان وكانوا عتوا وأكثروا الفساد وأوقع بهم مما
يلي الجزيرة والدواب في الموضع المعروف بوادي الذئاب فقتل وأسر وساق الذراري وسار الى الموصل (وفي هذه السنة)
افتتح أبو عبيد الله بن أبي الساج المراغة من بلاد أذربيجان فقبض على عبد الله بن الحسن واستبقى أمواله ثم أتى عليه بعد ذلك
(وفي هذه السنة) كانت وفاة أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف (وفي هذه السنة) افتتح أحمد بن ثور عمان وكان مسيره اليها من
بلاد البحرين فواقع الشراة من الاباضية وكانوا في نحو من مائتي ألف وكان امامهم الصلت بن مالك ببلاد دبر وامن أرض عمان
وكانت له عليهم فقتل منهم مقتلة عظيمة وحمل كثيرا من رؤسهم الى بغداد (وفيها) دخل المعتضد بغداد منصرفا من الجزيرة
(وفي هذه السنة) كان دخول عمرو بن الليث نيسابور (وفي هذه السنة) نقلت ابنة محمد بن أبي الساج الى بدر غلام المعتضد
وقد أتينا على خبر ابن أبي الساج وما كان من تزويجه ابنته لبدر بحضرة المعتضد وما كان من خبر ابن أبي الساج ورحلته عن
باب خراسان متوجها الى أذربيجان في الكتاب الاوسط (وفي هذه السنة) سار اسمعيل بن احمد بعد وفاة أخيه نصر بن أحمد

ومستدعيه المذكور مصنوعا له في خدمته أعانه الله تعالى وأصلح حال وأحوال الخلق على
يديه ووفدت عليه من محل الانقطاع بسلا وأنشدته قولي

لمن علم في هضبة الملك خفاق * أفاقت به من غشية الهرج آفاق
تقل رياح النصر عنه غمامة * تمد لها أيد وتخضع أعناق
وبيعة شورى أحكم السعد عقدها * وأعمل اجماع عليها واصفاق
قضى عمر فيها بحق محمد * فحل عهد للوفاء وميثاق
أحلما ترى عيناي أم هي فترة * أعندكما في مشكل الامر مصداق
وفاض لفضل الله في الارض تبتغي * ومجتمعات لا تريب وأسواق
وسرح تهنيه الكلاءة بالكلا * وفلج لسقي الغيث قام له ساق
وقد كان طيف الحلم لا يعمل الخطا * وللفتنة العمياء في الارض اطباق
وللغيث امساك وفي الارض رجة * وللدين والدنيا وجوم واطراق

استيلائه على امرة خراسان الى ارض الترك ففتح المدينة الموصوفة من مدنهم بدار الملك وأسر خاتون زوجة الملك واسر جمعة ثم القا من الترك وقتل منهم عشرة آلاف ويقال ان هذا الملك يقال له طفكس وهذا الاسم سمة لكل ملك ملك هذا البلد من ملوكهم وأراه من الجنسين المعروفين بالخذلجية وقد أتينا فيما سلف من هذا الكتاب على جمل من أخبار الترك وأجناسهم وأوطانهم وكذلك فيما سلف من كتبنا (وفى سنة) احدى وثمانين ومائتين كانت الحرب بين وصيف خادم ابن أبى الساج وعمرو بن عبد العزيز ببلاد الجبل وكان من امره ماذكرنا فيما سلف من كتبنا وكان المعتضد خرج فى هذه السنة الى الجبل لامور بلغته منها قصة محمد بن زيد العلوى الحسنى صاحب بلاد طبرستان فولى ولده عليا المكتفى الرى وأنزله بها واضاف اليه قزوين وأرجان وابهر وقم وهمذان وانصرف المعتضد الى بغداد وقد قلد عمرو بن عبد العزيز اصبهان وكرخ بعد ابن ابى دلف فيها استأمن الى المكتفى على كوره وسار الى المعتضد فى عدة كثيرة وفيها سار طغج بن شدت بن الاخشيد صاحب مصر فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فى عساكر كثيرة من دمشق فدخل طرسوس غازيا وافتتح لوريه مما يلى بلاد برغوث ودرب الراهب (وفى هذه السنة) نزل المعتضد على حمدان بن حمدون وقد تحصن فى القلعة المعروفة بالصوارة نحو عين الزعفران وسارع اسحق بن ايوب العنبرى ومن كان معه من أصحابه الى المعتضد وقد اتينا على خبر حمدان بن حمدون وما كان من امره وصعوده الجبل الجودى وعبوره دجلة وكاتبه النصرانى ودخول عسكر المعتضد ليلا الى اسحق بن يعقوب حتى اتى به الى المعتضد واخراب المعتضد لهذه القلعة وقد كان حمدان أنفق عليها أموالا ٣٨١ جليلة وهو حمدان بن حمدون ابن الحرث بن منصور بن لقمان وهو جد أبى محمد الحسن بن عبد الله الملقب بناصر الدولة فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وما كان من الحسن بن حمدان فى طلبه هرون الشارى وما كان من أخذ الحسين بن حمدان اياه بعد هذا الموضع فيما يرد من هذا الكتاب (قال المسعودى) وفى سنة اثنتين وثمانين ومائتين ذبح أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون بدمشق فى ذى القعدة وقد كان بنى فى سفح الجبل أسفل من دير مروان قصرا وكان يشرب فيه فى تلك الليلة وعنده طغج وكان الذى تولى ذلك خادما من خدمه وأتى بهم على أميال فقتلوا وصلبوا ومنهم من رمى بالنشاب ومنهم من شرح لحمه من أفخاذه وعجيزته وأكله السودان مماليك أبى الجيش وقد أتينا على أخبار الخدم من السودان والصقالبة والروم والصين وذلك أن أهل الصين يخصون كثيرا من أولادهم كفعل الروم باولادهم وما يجتمع عليه الخصيان من التضاد وذلك لما حدث بهم من قطع هذا العضو فى كتابنا أخبار الزمان وما أحدثته الطبيعة عند الفلاسفة فيهم عند ذلك كما قاله الناس فيهم وما ذكروه من الصفات (وذكر المدائنى) أن معاوية بن أبى سفيان دخل ذات يوم على امرأته فاختة وكانت ذات عقل وحزم ومعه خصى وكانت مكشوفة الرأس فلما رأت معه الخصى غطت رأسها فقال لها معاوية انه خصى فقالت يا أمير المؤمنين أترى المثلة به أحلت له ما حرم الله عليه فاسترجع معاوية وعلم ان الحق ما قالته فلم يدخل بعد ذلك على حرمه خادما وان كان كبيرا فانيا (وقد تكلم) الناس فيهم وذكروا الفرق بين المجبوب والمسلوت وأنهم رجال مع النساء ونساء مع الرجال وهذا خلف من الكلام وفاسد من المقال بل هم رجال وليس فى عدم عضو من أعضاء الجسد ما يوجب الحاقهم بما ذكروا ولا عدم نبت اللحية محيلا لهم عما وصفوا ومن زعم أنهم بالنساء أشبه فقد أخبر عن تغيير فعل البارئ جل وعز لانه خلقهم رجالا ذكرانا الا انا نلو ليس فى الجناية عليهم ما يقلب أعيانهم ويزيل خلق البارئ جل وعز وقد قلنا فى علة

فكل فريق فيه للبغى راية * وكل طريق فيه للغيث طراق
أجل انه من آل يعقوب وارث * يحن له البيت العتيق ويشتاق
له من جناح الروح ظل مصحف * ومن رفرف العز الالهى رستاق
اطل على الدنيا وقد عاد ضوءها * دجى وعلى الاحداق للذعر احداق
فاشرقت الارجاء من نور ربها * وساح بها الله لطف واشفاق
فمن ألسن لله بالشكر أعلنت * وكان لها من قبل همس واطباق
وليس لامر ابرم الله ناقض * وليس لمسعى النجح فى الله اخفاق
محمد قد احييت دين محمد * وللخلق أذماء تفيض وأرماق
ولولم تنب غطى على شفق الضحى * دم لسيوف البغى فى الارض مهراق
فأين يعشون من الفلك سابح * له باختيار الله حط وايساق
اقلك والدأماء تظهر طاعة * اليك وصفح الماء أزرق رقراق

هدم نتن الآباط فى الخدم وماقالته الفلاسفة فيما سلف من كتبنا الان الخادم بطىء لايوجد لآباطه رائحة وهذا من فضائ
الخدم (وحمل أبو الجيش) فى تابوت الى مصر وورد الخبر بذلك الى مصر فاخرج من التابوت وجعل على السرير وذلك على باب
مصر وخرج ولده الامير جيش وسائر الامراء والاولياء فتقدم القاضى أبو عبيد الله محمد بن عبدة المعروف بالعبدانى وصلى عليه
وذلك فى الليل فحكى أبو بشر الدولابى عن أبى عبد الله النجارى وكان شيخا من أهل العراق وكان يقرأ فى دور آل طولون
ومقابرهم أنه كان بات فى تلك الليلة ممن يقرأ عند القبر وقد قدم أبو الجيش ليدلى فى القبر ونحن نقرأ جماعة من القراء سبعة
سورة الدخان فاحدر من السرير ودلى فى القبر وانتهينا من السورة فى هذا الوقت الى قوله عز وجل خذوه فاعتلوه الى سواء
الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق انك أنت العزيز الكريم قال فخفضنا اصواتنا وأذعرنا حياء ممن حضر (ومما
ذكر) من خبر المعتضد وحزمه فى الامور وحيله أنه أطلق من بيت المال لبعض الرسوم فى الجند عشر بدر فحملت الى منزل
صاحب عطاء الجيش ليصرفها فيهم فنقب منزله فى تلك الليلة واخذت العشر البدر فلما أصبح نظر الى النقب ولم ير المال فا
باحضار صاحب الحرس وكان على الحرس يومئذ مؤنس العجلى فلما أتاه قال له ان هذا المال للسلطان والجند ومتى لم تات
أو بالذى نقبه واخذ المال ألزمك امير المؤمنين غرمه فخذ فى طلبه وطلب اللص الذى جسر على هذا الفعل فصار الى مجلسه
واحضر التوابين والشرط والتوابون هم شيوخ انواع اللصوص الذين قد كبروا وتابوا فاذا جرت حادثة علموا من فعل من هو
فدلوا عليه وربما يتقاسمون ٣٨٢ اللصوص ما سرقوه فتقدم اليهم فى الطلب وتهددهم واوعدهم وطالبهم
فتفرق القوم فى الدروب
والاسواق والغرف
والمواخير ودكاكين
الرواسين ودور القمار فما
لبثوا أن احضروا رجلا
نحيفا ضعيف الجسم رث
الكسوة هين الحالة فقالوا
ياسيدى هذا صاحب
الفعلة وهو غريب من غير
هذا البلد واطبق القوم
كلهم على انه صاحب النقب
ولص المال فاقبل عليه

الى هدف السعد انبرى منه والدجى * يضل الحجا سهم من السعد رشاق
نخطت لتقويم القوام جداول * وصحت من التوفيق واليمن أوفاق
تبارك من اهداك للخلق رحمة * ومستبعد أن يهمل الخلق خلاق
هو الله يبلو الناس بالخير فتنة * وبالشر والايام سم وترياق
سمت منك أعناق الورى لخليفة * له فى مجال السعد عدو واعناق
وقالوا بنان ما استقل بكفه * تفيض على العافين أم هى أرزاق
وأطنب فيك المادحون وأغرقوا * فلم يجد اطناب ولم يغن اغراق
ألست من القوم الذين اكفهم * غمام ندى ان اخلف الغيث غيداق
ألست من القوم الذين وجوههم * بدور لها فى ظلمة الروع اشراق
رياض اذا العافى استظل ظلالها * ففيها جنى مل الاكف وايراق
أبوك ولى العهد لو سالم الردى * وجدك قد فاق الملوك وان فاقوا

مؤنس العجلى فقال له ويلك من كان معك ومن اعانك واين اصحابك ما اظنك تقدر على عشر بدر فن
وحدك فى ليلة ما كنتم الا عشرة واقل ذلك خمسة فاقر لى بالمال ان كان مجتمعا وعلى اصحابك ان كان المال قد قسم فما زاده على
الانكار شيأ فاقبل يترفق به ويعده أن يثنيه ويرزقه ويعظم جائزته ويعده بكل جميل على رده والاقرار به ويتوعده بكل مكروه
على جحوده وانكاره فلما غاظه ذلك وانكره ويئس من اقراره أخذ فى عقوبته ومساءلته فضربه بالسوط والقلوس والمقارع
والدرة على ظهره وبطنه وقفاه ورأسه واسفل رجليه وكعابه وعضله حتى لم يكن للضرب فيه موضع وبلغ به ذلك الى حالة
لا يعقل فيها ولا ينطق فلم يقر بشئ فبلغ ذلك المعتضد فاحضر صاحب الجيش فقال له ما صنعت فى المال فاخبره الخبر فقال له
ويلك تاخذ لصا قد سرق من بيت المال عشر بدر فتبلغ به الموت والتلف حتى يهلك الرجل ويضيع المال فاين حيل الرجال
فاتى به وقد حمل فى جل فوضع بين يديه وقد عقل فساله فانكر فقال له ويلك ان مت لم ينفعك وان برئت من هذا الضرب ا
أدعك تصل اليه فلك الامان والضمان على ما تصلح به حالتك ويحمد به أمرك فابى الا الانكار فقال على باهل الطب فاحضروا
فقال خذوا هذا الرجل اليكم فعالجوه بارفق العلاج واطبوا عليه بالمراهم والغذاء والتعاهد واجتهدوا ان تبرؤه فى اسرع
وقت فاخذوه اليهم واخرج ما لامكان المال وأمر بتفريقه على الجند فيقال انه برئ وصلح فى ايام يسيرة ثم واظبوا عليه بالطعام
والشراب والوطاء والطيب حتى صح وقوى جسمه وظهر لونه ورجعت اليه نفسه ثم ذكر به فامر باحضاره فلما حضر بين يديه

ساله عن حاله فدعا وشكر وقال انا بخير ما ابقى الله أمير المؤمنين ثم ساله عن المال فعاد الى الانكار فقال له ويلك لست تخلو من ان تكون أخذته وحدك كله أو وصل اليك بعضه فان كنت أخذته كله فانك تنفقه فى أكل وشرب ولهو ولا اظنك تفنيه قبل موتك وان مت فعليك وزره وان كنت اخذت بعضه سمعنا لك به فاقر على أصحابك فانى اقتلك ان لم تقر ولا ينفعك بقاء المال بعدك ولا يبالى اصحابك بقتلك ومتى أقررت دفعت اليك عشرة آلاف درهم واخذت لك من أصحاب الجسر مثل ذلك ورسمتك من التوابين وأجريت لك فى كل شهر عشرة دنانير تكفيك لاكلك وشربك وكسوتك وطيبك وتكون عزيزا وتنجو من القتل وتخلص من الاثم فابى الا الانكار فاستحلفه بالله واظهر له مصحفا فحلف عليه فقال انى ساظهر على المال فان انا ظهرت عليه بعد هذه اليمين قتلتك ولم استبقك فابى الا الانكار فقال له فضع يدك على راسى واحلف بحياتى فوضع يده على راسه وحلف بحياته انه ما اخذه وانه مظلوم متهم وان التوابين قد تبرؤا به فقال له المعتضد فان كنت قد كذبت قتلتك وانا برىء من دمك قال نعم فامر باحضار ثلاثين اسود بحيث يراهم ويرونه وامرهم ان يتناوبوا فى ملازمته فاقامت عليه ايام وهو قاعد لا يتكئ ولا يستلقى ولا يضطجع وكلما خفق خفقة وجئ فكه ووقع راسه حتى اذا ضعف وقارب التلف امر باحضاره فاعاد عليه ما كان طالبه به واستحلفه بالله وبغير ذلك من الايمان فحلف على ذلك كله وبما لم يستحلفه به انه ما اخذ المال ولا يعرف من اخذه فقال المعتضد لمن حضر قلبى يشهد أنه برىء وان ما يقول حق وان التوابين قد عرفوا صاحبه وقد اثمنا فى هذا الرجل وساله ان يجعله فى حل ففعل ثم امر باحضار مائدة عليها طعام واحضر بارد الشراب ٣٨٣ وامره بالجلوس والاكل والشرب

فاقبل يأكل ويشرب ويحث على الاكل ويلقم ويعاد الشراب عليه ويكرر حتى لم يبق للاكل والشرب موضع ثم امر ببخور وطيب فبخر وطيب واتى له بحشية ريش فوطئ له ومهد فلما استلقى واستراح وغفا أمر بازعاجه وسرعة ايقاظه فحمل من موضعه حتى أقعد بين يديه وفى عينيه الوسن فقال له حدثنى كيف صنعت

وكيف نقبت ومن اين خرجت والى اين ذهبت بالمال ومن كان معك قال ما كنت الا وحدى وخرجت من النقب الذى دخلت منه وكان مقابل الدار حمام له كوم شوك وقد به فاخذت المال ورفعت ذلك الشوك والقمام والقصب فوضعته تحته وغطيته وهو هنالك فامر برده الى فراشه فردوه واضجعوه عليه ثم أمر باحضار المال فاحضر عن آخره واحضر مؤنس العجلى واحضر الوزير والجلساء وقد غطى المال بالبساط ناحية من المجلس ثم أمر بايقاظ اللص وقد اكتفى فى النوم وذهب عنه الوسن فقال له بحضرة الجميع مثل قوله الاول فجحد وأنكر فامر بكشف البساط وقال له ويلك أليس هذا المال أليس فعلت كذا وكذا يصف له ما كان حدثه به فسقط فى يد اللص ثم أمر فقبض على يديه ورجليه وأوثق ثم أمر بمنفاخ فنفخ فى دبره وأتى بقطن فحشى فى أذنيه وفمه وخيشومه وأقبل ينفخ وخلى عن يديه ورجليه من الوثاق وأمسك بالايدى وقد صار كأعظم ما يكون من الزقاق المنفوخة وقد ورم سائر اعضائه وعظم جسمه وعيناه قد امتلأتا وبرزتا فلما كاد أن ينشق امر بعض الاطباء فضربه فى عرقين فوق الحاجبين وهما فى الجبين فاقبلت الريح تخرج منهما مع الدم ولها صوت وصفير الى ان خمد وتلف وكان ذلك اعظم منظر رؤى فى ذلك اليوم من العذاب وقيل ان البدر كانت عينا وان عددها كان اكثر مما وصفنا (وقد كان ببغداد رجل) يتكلم على الطريق ويقص على الناس بأخبار ونوادر ومضاحك ويعرف بابن المغازلى وكان فى نهاية الحذق لا يستطيع من يراه ويسمع كلامه أن لا يضحك قال ابن المغازلى فوقفت يوما فى خلافة المعتضد على باب الخاصة أضحك وأنادر

فمن ذاله جد لجدك أو أب * لآلئ والجد المؤثل نساق
وحسب العلا فى آل يعقوب أنهم * هم الاصل فى العلياء والناس ألحاق
اسود مروج أو بدور أسرة * فان حاربوا راعوا وان سالموا راقوا
يطول لتحصيل الكمال سهادهم * فهم للمعالى والمكارم عشاق

ومنها

لئن نسيت احسان جدك فرقة * تزرع على أعناقهم منه أطواق
اجازت خروج ابن ابنه عن تراثه * ولم تدر ما ضمت من الذكر أوراق
ومن دون ما راموه لله قدرة * ومن دون ما أموه للفتح اغلاق
خذ العفو وابذل فيهم العرف ولتسع * بجريرة من أبدى لك الغدر أخلاق
فربتما تنبو مهندة الظبا * وتهفو حلوم القوم والقوم حذاق
وما الناس الا مذنب وابن مذنب * ولله ارفاد عليهم وارفاق

فحضر حلقتي بعض خدمة المعتضد فأخذت في حكاية الخدم فأعجب الخادم بحكايتي وأشغف بنوادري ثم انصرف عني فلم يلبث أن عاد وأخذ بيدي وقال اني لما انصرفت عن حلقتك دخلت فوقفت بين يدي المعتضد أمير المؤمنين فذكرت حكايتك وما جرى من نوادرك فاستضحكت فرآني أمير المؤمنين فانكر ذلك مني وقال ويلك ما لك فقلت يا أمير المؤمنين على الباب رجل يعرف بابن المغازلي يضحك ويحاكي ولا يدع حكاية أعرابي وتركي ومكي ونحوي ونبطي وزنجي وسندي وخادم الا حكاها ويخلط ذلك بنوادر تضحك الثكول وتصبي الحليم وقد أمرني باحضارك ولي نصف جائزتك فقلت له وقد طمعت في الجائزة السنية يا سيدي أنا ضعيف وعلي عيلة وقد من الله علي بك فما عليك ان أخذت بعضها أسدسها أو ربعها فأبى الا النصف فلما طمعت في النصف وقنعت به فأخذ بيدي وادخلني عليه فسلمت واحسنت ووقفت في الموضع الذي أوقفت فيه فرد علي السلام وقد كان ينظر في كتاب فلما نظر في أكثره أطبقه ثم رفع رأسه الي وقال انت ابن المغازلي قلت نعم يا امير المؤمنين قال قد بلغني انك تحكي وتضحك وانك تاتي بحكايات عجيبة ونوادر ظريفة قلت نعم يا امير المؤمنين الحاجة تفتق الحيلة أجمع بها الناس واتقرب الى قلوبهم بحكايتها التمس برهم واتعيش بما انال منهم قال فهات ما عندك وخذ في فنك فان اضحكتني اجزتك بخمسمائة درهم وان لم اضحك فما لي عليك فقلت للشين والخذلان ما معي الا قفاي فاصفعه ما احببت وكم شئت وبما شئت فقال لي قد انصفت ان أضحكت فلك ما ضمنت وان أنا لم أضحك صفعتك بهذا الجراب عشر صفعات فقلت في نفسي ملك لا يصفع الا بشيء يسير

وبشيء خفيف هين ثم التفت واذا أنا بجراب أدم ناعم في زاوية البيت فقلت في نفسي ما أخطأ حزري ولا أخاف ظني وما عسى أن يكون من جراب فيه ريح ان أنا أضحكته ربحت وان أنا لم أضحكه فأمر عشر صفعات بجراب منفوخ هين ثم أخذت في النوادر والحكايات والنفاسة والعبارة فلم ادع حكاية اعرابي ولا نحوي ولا مخنث ولا قاض ولا زطي ولا نبطي ولا سندي ولا زنجي ولا خادم ولا شاطرة ولا عيارة ولا نادرة ولا حكاية الا احضرتها وأتيت بها حتى نفد جميع ما عندي وتصدع رأسي ولم يبق ولي ورائي خادم الا هرب ولا غلام الا ذهب لما استفزهم الضحك وورد عليهم من الامر فقلت يا أمير المؤمنين قد نفد والله ما معي وتصدع رأسي وذهب معاشي وما رأيت قط مثلك وما بقيت لي الا نادرة واحدة فقال هاتها فقلت يا أمير المؤمنين وعدتني أن تصفعني عشرا وجعلتها مكان الجائزة فاسألك ان تضعف الجائزة وتضيف اليها عشرا فاراد أن يضحك فاستمسك ثم قال نفعل يا غلام خذ بيده فاخذ بيدي ومددت قفاي فصفعت بالجراب صفعة فكأنما سقط على قفاي قلعة واذا فيه حصى مدور كانه صنجات فصفعت به عشرا كادت أن تنفصل رقبتي وينكسر عنقي وطنت أذناي وقدح الشعاع من عيني فلما استوفيت العشرة صحت يا سيدي نصيحة فرفع الصفع عني بعد أن عزم على ايفاء ما كنت سألته من اضعاف جائزتي فقال ما نصيحتك قلت يا سيدي انه ليس في الدنيا أحسن من الامانة ولا اقبح من الخيانة وقد ضمنت للخادم الذي أدخلني عليك نصف هذه الجائزة على قلتها أو كثرتها وامير المؤمنين أطال الله بقاءه بفضله وكرمه قد اضعفها فقد استوفيت نصفها وبقي لخادمك نصفها فضحك حتى استلقى واستفزه ما كان قد سمعه مني أولا وتحامل له وصبر عليه فما زال يضرب بيده ويفحص برجله ويمسك بمراق بطنه حتى اذا سكن ضحكه ورجعت اليه نفسه قال علي بفلان الخادم فاتي به وكان طوالا فامر بصفعه فقال يا أمير المؤمنين أي شيء قضيتي وأي جناية جنايتي فقلت له هذه جائزتي وأنت شريكي وقد استوفيت نصفها وبقي نصيبك منها فلما أخذه الصفع

ولا ترج في كل الامور سوى الذي * خزائنه ما ضرها قط انفاق
اذا هو أعطى لم يضر منع مانع * وان حشدت طسم وعاد وعملاق
عرفت الردى واستاثرت بك للعدا * تخوم بغتط الصليب وأعماق
فيسر لليسرى وأحيابك الورى * وللروع ارعاد عليك وابراق
فحاز صنيع الله وازدد بشكره * مواهب جود غيثها الدهر دفاق
وأوف لمن أوفى وكاف الذي كفى * فانت كريم طهرت منك أعراق
وتهنيك يا مولى الملوك خلافة * شجتها تباريح اليك وأشواق
وقد بلغت أقصى المنى بك نفسها * وكم فاز بالوصل المهنا مشتاق
فلا راع منها السرب للدهر رائع * ولا نال منها جدة السعد اخلاق
أمولاي راع الدهر سربي وغالني * فطرفي مذعور وقلبي خفاق
وليس لكسري غيرك اليوم جابر * ولا ليدي الا بحبلك اعلاق

وطرق قفاه الصافع أقبلت عليه أقول له أقول لك انى ضعيف معيل وشكوت اليك الحاجة والمسكنة وأقول ياسيدى لا تأخذ نصفها لك سدسها لك ربعها وأنت تقول ما آخذ الا نصفها ولو علمت أن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه جوائزه صفع وهبتها لك كلها فعاد الى الضحك من قولى للقادم وعتابى له فلما استوفى صفعه وسكن أمير المؤمنين من ضحكه أخرج من تحت مكانه صرة قد كان أعدها فيها خمسمائة درهم ثم قال له وقد أراد الانصراف قف هذه كنت أعددتها لك فلم يدعك فضولك حتى أحضرت لك شريكا فيها ولعلنى كنت أمنعه منها فقلت يا أمير المؤمنين وأين الامانة وقبح الخيانة وودت أنك كنت تدفعها كلها اليه وتصفعه مع العشرة عشرة أخرى وتدفع له الخمسمائة درهم فقسم الدراهم بيننا وانصرفنا (وفى سنة) اثنتين وثمانين ومائتين كانت وفاة اسمعيل بن اسحق القاضى والحرث بن أبى أسامة وهلال بن العلاء الرقى (وفى سنة) ثلاث وثمانين ومائتين نزل المعتضد تكريت وسار الحسن بن حمدان فى الاولياء لحرب هرون الشارى فكانت بينهم حرب عظيمة كانت للحسن بن حمدان عليه فاتى به المعتضد أسيرا بغير أمان ومعه أخوه فدخل المعتضد بغداد وقد نصبت له القباب وزينت الطرقات وعبى المعتضد بالله جيوشه بباب الشماسية أحسن ما يكون من التعبية وأكمل هيئة فاشتقوا بغداد الى القصر المعروف بالحسنى ثم خلع المعتضد على الحسن بن حمدان خلعا شرفه بها وطوقه بطوق من ذهب وخلع على جماعة من فرسانه ورؤساء أصحابه وأهله وشهرهم فى الناس كرامة لما كان من فعلهم وحسن بلائهم ثم أمر بالشارى فاركب فيلا وعليه دراعة ديباج وعلى رأسه برنس خز طويل وخلفه أخوه على جمل فالج

وهو ذو السنامين وعليه دراعة ديباج وبرنس خز وسيرهم فى اثر الحسن بن حمدان وأصحابه ثم دخل المعتضد فى اثره عليه قباء أسود وقلنسوة محدودة على فرس ضاف عن يساره أخوه عبد الله ابن الموفق وخلفه بدر غلامه وأبو القاسم وعبيد الله ابن سليمان بن وهب وزيره وابنه القاسم بن عبيد الله فاكثر الناس الدعاء له وتكاثف الناس

ولى فيك ود واعتداد غرسته * فراقت به من يانع الحمد أوراق
وقد عيل صبرى فى ارتقائى خليفة * تحمل به للضر عنى اوهاق
وأنت حسام الله والله ناصر * وأنت أمين الله والله رزاق
وأنت الامان المستجار من الردى * اذا راع خطب أو توقع املاق
وأهون ما ترجى لديك شفاعة * اذا لم يكن عزم حثيث وارهاق
ودونكها من ذائع الحمد مخلص * له فيك تقييد بروق واطلاق
اذا قال أصغى كل سمع لقوله * وصغو وأما كل أنف فنشاق
ودم خافق الاعلام بالنصر كلما * ذهبت لمسعى لم يكن فيه اخفاق

وعدت منه بكثير واحترام شهير (دخوله غرناطة) لحق بها مفلتا عند القبض على قرابته بنى عمه وتقريبهم الى مصارعهم فكان وصوله فى رمضان من عام خمسين وسبعمائة ثم أنه رائب لحق لاجله بصاحب قشتالة وأقام فى جملته الى حين استدعائه المتقرر آنفا وهو

فى منصرفهم من الجانب الشرقى الى الغربى فانخسف بهم كرسى الجسر الاعلى وسقط على زورق مملوء ناسا فغرق فى هذا اليوم نحو من ألف نفس ممن عرف دون من لم يعرف واستخرج الناس من دجلة بالكلاليب والغاصة وارتفع الضجيج وكثر الصراخ من الجانبين جميعا فبينما الناس كذلك اذ أخرج بعض الغاصة صبيا عليه حلى وثوب من ذهب وجوهر فبصر به شيخ من النظارة طار اليه فجعل يلطم وجهه حتى دمى أنفه ثم تمرغ فى التراب وأظهر أنه ابنه وجعل يقول ياسيدى لم تمت اذ أخرجوك صحيحا سويا لم يأكل السمك ولم تمت حبيبى اذ كحلت عينى بك مرة قبل الموت وأخذه فحمله على حمار ثم مضى به فما برح القوم الذين رأوا من الشيخ ما رأوا حتى أقبل رجل معروف باليسار مشهور من التجار حين بلغه الخبر وهو لا يشك الا أن الصبى فى أيديهم وليس يهمه ما كان عليه من حلى وثياب وانما أراد أن يكفنه ويصلى عليه ويدفنه فخبره الناس بالخبر فبقى هو ومن معه من التجار متحيرين مبهوتين وسألوا عنه واستبحثوا فافاد الاعين ولا أثر وعرف توابو هذا الجسر هذا الشيخ المحتال فأيأسوا أبا الغريق منه وذكروا أنه شيخ قد اعياهم أمره وحيرهم كيده وأنه بلغ من حيله وخبثه ودهائه أنه أتى يوما من أول الصباح الى باب بعض العدول الكبار المشهورين بالرياستين واليسار ومعه جرة فارغة على عاتقه وفاس وزنبيل فقام فى ثوب خلق ولم يتكلم حتى وضع الفأس فى الدكان التى على باب ذلك العدل فهدمها وجعل يبنى الآجر ويعزله فسمع ذلك العدل بهدمها ووقع الفأس والهدم فخرج لينظر فاذا الشيخ دائب بهدم دكانه

التى على باب داره فقال يا عبد الله أى شئ تصنع ومن أمرك بهذا الفعل الشيخ يعمل عمله ولا يلتفت الى العدل ولا يكلمه فاجتمع الجيران وهما فى المحاورة فاخذوا بيد الشيخ فوكزه هذا ودفعه هذا فالتفت اليهم فقال ويلكم أى شئ تريدون منى أما تستحيون تعبثون بى وأنا شيخ كبير فقالوا وما البلا والعبث بك ويحك من أمرك بهذا قال ويحكم أمرنى صاحب الدار فقالوا هذا صاحب الدار يكاملك قال لا والله ما هو هذا فلما سمعوا كلامه وغفلته رحموه وقالوا هذا مجنون أو مخدوع خدعه بعض جيران هذا العدل ممن قد حسده على ما أنعم الله تعالى به عليه وهم الذين حملوا هذا الشيخ على هذا الفعل فلما منعوه من الهدم مضى الى الجرة التى جاء بها وقد كان وضعها الى جانب الباب فادخل يده فيها كانه قد خبأ ثيابه فيها فصرخ وبكى فلم يشك العدل أن محتالا خدعه وأخذ ثيابه فقال وأى شئ ذهب لك قال قميص جديد اشتريته امس وملحفة لبيتى وسراويل ففرقوا له جميعا ودعاه العدل فكساه ووهب له دراهم كثيرة ووهب له الجيران دراهم كثيرة وانصرف غانما وهذا الشيخ كان يعرف بالعقاب ويكنى بابى البازوله أخبار عجيبة وحيل وهو الذى احتال للمتوكل حين بايعه بختيشوع الطبيب انه ان سرق من داره شيأ يعرفه فى ثلاث ليال ذكرت من ذلك الشهر فعليه أن يحمل الى خزانة أمير المؤمنين عشرة آلاف دينار وان خرجت هذه الليالى ولم يتم عليه ما ذكرنا فله الضيعة المعين ذكرها فى المبايعة فاتى بهذا الشيخ فى عنفوان شبابه الى المتوكل فضمن للمتوكل أن يأخذ من دار بختيشوع شيئا لا ينكره وقد كان بختيشوع حرس داره وحصنها فى هذه الليالى فاحتال هذا الشيخ المعروف بالعقاب بحيلة لطيفة الى أن سرق بختيشوع وجعله في صندوق واتى به المتوكل في خبر ظريف وانه رسول لعيسى

ابن مريم نزل الى بختيشوع بشمع أسرجه وتخليط عمله و بنج فى طعام اتخذه وأطعمه الحراس لداره فى تلك الليلة وقد ذكرنا ذلك فى كتابنا أخبار الزمان وهذا الشيخ قد برز فى مكايده وما أورده من حيله على دالة المحتالة وغيرها من سائر المكارين والمحتالين ممن سلف وخلف منهم (ولطلاب صنعة الكيمياء) من الذهب والفضة وانواع الجواهر من اللؤلؤ وغيره وصنعه أنواع الاكسيرات من سدى الاكسير المعروف بالفرار وغيره واقامة الزئبق وصنعته فضة وغير ذلك من خدعهم وحيلهم فى القرع والمغناطيس والتقطير والتكليس والبوادق والحطب والفحم والمنافخ أخبار عجيبة وحيل قد أتينا على ذكرها ووجوه الخدع فيها وكيفية الاحتيال بها فى كتابنا أخبار الزمان وما ذكروه فى ذلك من الاشعار وما عزوه الى من سلف من اليونانيين والروم مثل قلوبطرة الملكة ومارية وما ذكره خالد بن يزيد بن معاوية فى ذلك وهو عند أهل الصنعة من المتقدمين فيهم فى شعره الذى يقول فيه

خذ الطلق مع الاشق * وما يوجد فى الطرق وشيأ يشبه البرقا
فدبره بلا حرق فان أحببت مولاكا * فقد سودت فى الخلق

(وقد صنف) يعقوب بن اسحق بن الصباح الكندى رسالة فى ذلك وجعلها مقالتين يذكر فيها تعذر فعل الناس لما انفردت الطبيعة بفعله وخدع أهل هذه الصناعة وحيلهم وترجم الرسالة بابطال دعوى المدعين صنعة الذهب والفضة من غير معادنها وقد نقض هذه الرسالة على الكندى أبو بكر محمد بن زكريا الرازى الفيلسوف صاحب الكتاب المنصورى فى صناعة الطب الذى هو عشر مقالات وأرى القول أن ما ذكره الكندى فاسد وان ذلك قد يتأتى فعله ولابى بكر بن زكريا فى هذا المعنى كتب قد صنفها وأفرد كل واحد منها بنوع من الكلام فى هذه الصنعة فى الاحجار المعدنية وغير ذلك من كيفية الاعمال وهذ

لهذا العهد امير المسلمين بالمغرب أعانه الله تعالى على الخير وأطلق به يده وألهمه الى ما يرضى منه بفضله وكرمه انتهت الترجمة ورأيت على هامش هذا المحل من الاحاطة بخط الخطيب الشهير الامام أبى عبد الله بن مرزوق التلمسانى رحمه الله ما صورته توفى يعنى السلطان أبا زيان مغتالا عام ستة وستين على يد مظاهره الخائن عمر بن عبد الله بن على الوزير ترداه فى بئر وأشاع انه افرط فى السكر والقى نفسه فى البئر المعروفة برياض الغزلان وبايع لعمه عبد العزيز ابن السلطان أبى الحسن فسلطه الله عليه وأخذ حقوق الخلائق على يديه فقتله غيلة بعد أن كان تغلب عليه فأعمل الحيلة فى قتله واستمر ملك عبد العزيز ظاهرا ظافرا قد جمع بين المغرب الى اقصاه وبين ملك تلمسان وقد شرد اهلها كل مشرد فعندما اقبلت الدنيا عليه واستقام ملكه وكاد يلحق ملك ابيه او يزيد مات رحمه الله تعالى قيل مطعونا وقيل غير ذلك وذلك فى حدود اربع وسبعين وولى ولده ثم عزل بابن عمه ابى العباس ابن السلطان ابى سالم وحاز ملك المغرب الى حين كتب هذا سنة سبع وسبعين وسبعمائة انتهى ما الفيته بخط

باب قد تنازع الناس فيه من فعل قارون وغيره ونحن نعوذ بالله من التهوس فيما يخسف الدماغ ويذهب بنور الابصار ويكسف الالوان من بخار التصعيدات ورائحة الزاجات وغيرها من الجمادات (وفى سنة) ثلاث وثمانين ومائتين كان الفداء بالاسرى بين المسلمين والروم فى شعبان وكان بدؤه يوم الثلاثاء وفيه كان مسير جيش بن خمارويه بن أحمد بن طولون من الشأم الى مصر فى جيوشه فخالفه طغج بدمشق بعد ذلك (وفيها) خرج عن جيش بن خمارويه خاقان المفلحى ونيدفة بن كمجور وابن كنداج فساروا الى وادى القرى ودخلوا مدينة السلام فخلع عليهم المعتضد (وفيها) كان الشغب بمصر وقتل احمد المادرانى بن محمد بن على المادرانى المقبوض عليه فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة بمصر وقبض على جيش بن خمارويه ونصب أخوه هرون بن خمارويه مكانه وكانوا قد نقموا على جيش تقدمه لغلامه نجح المعروف بالطولونى وأخيه سلامة المعروف بالمؤتمن وقد كان أخوه سلامة هذا بعد ذلك صحب جماعة من الخلفاء منهم القاهر والراضى وأراه مع المتقى فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة (وفى سنة) ثلاث وثمانين ومائتين كانت وفاة أبى عمر ومقدام بن عمرو الرعينى بمصر ليومين بقيا من شهر رمضان وكان من جلة الفقهاء ومن كبار أصحاب مالك (وفيها) ولى المعتضد يوسف بن يعقوب القضاء بمدينة السلام وخلع عليه وانتدبه للجانب الشرقى (وفى هذه السنة) وهى سنة ثلاث وثمانين ومائتين قبض المعتضد على أحمد بن الطيب بن مروان السرخسى صاحب يعقوب بن اسحق الكندى وسلمه الى بدر غلامه ووجه الى داره من قبض على جميع ماله وقرر جواريه على المال حتى استخرجوه فكان جملة ما حصل من العين والورق وثمن الآلات خمسين ومائة ألف دينار وكان ابن الطيب قد ولى الحسبة ببغداد وكان موضعه من الفلسفة لا يجهل وله مصنفات حسان فى أنواع من الفلسفة وفنون من الاخبار (وقد تنازع الناس) فى كيفية قتله والسبب الذى من أجله كان قتل المعتضد اياه وقد أتينا على ما قيل فى ذلك فى كتابنا المترجم بالاوسط فاغنى ذلك عن اعادته فى هذا الكتاب (وفيها) ورد الخبر بقتل عمرو بن الليث ورافع بن هرثمة (وفى سنة أربع وثمانين ومائتين) أدخل الى بغداد رأس رافع بن هرثمة ثم صلب ساعة من نهار ثم رد الى دار السلطان (وفى هذه السنة) كان لاهل بغداد ثورة مع السلطان لصياحهم بالخدم السودان يا عقيق صب ماء واطرح دقيق يا عاق ما طويل الساق وذلك ان الخدم فى دار السلطان منهم اجتمعوا فكلموا المعتضد غضبا لحقهم فى الازقة والشوارع والدروب وسائر الطرق من الصغير والكبير من العوام فأمر المعتضد بجماعة من العامة فضربوا بالسياط فتشغب العامة لذلك (وفى هذه السنة) ظهر للمعتضد شخص فى صور مختلفة فى داره فكان تارة يظهر فى صورة راهب ذى لحية بيضاء وعليه لباس الرهبان وتارة يظهر شابا حسن الوجه ذا لحية سوداء بغير تلك البزة وتارة يظهر شيخا أبيض اللحية ببزة التجار وتارة يظهر بيده سيف مسلول وضرب بعض الخدم فقتله فكانت الابواب تؤخذ وتغلق فيظهر له أين كان فى بيت أو صحن أو غيره وكان يظهر له فى اعلى الدار التى بناها فاكثر الناس القول فى ذلك واستفاض الامر واشتهر فى خواص الناس وعوامهم وسارت به الركبان وانتشرت به الاخبار والقول فى ذلك على حسب ما كان يقع لكل واحد منهم فمن قائل ان شيطانا مريدا اصمد له يظهر فيؤذيه ومنهم من يقول ان بعض مؤمنى الجن رأى ما هو عليه من المنكر وسفك الدماء فظهر له رادعا وعن المنكر زاجرا ومنهم من رأى ان ذلك بعض خدمه كان قد هوى بعض جواريه فاحتال بحيلة فلسفية من بعض العقاقير الخاصة فيضعها فى فيه فلا يدرك بحاسة البصر وكل ذلك

سيدى ابى عبد الله بن مرزوق ورأيت بخط ابن لسان الدين أبى الحسن على ما صورته رحمة الله عليك يا عمر بن عبد الله بن على فلقد كنت غسلت ملك المغرب من درن كبير وقت على ملك لهو وضعف شهير وشهرت سيف الحق على الزواكرة الخرق فابتهج منبر الدين انتهى ومراده بهذا الكلام الرد على ابن مرزوق فى ذمه للوزير عمر وقوله الزواكرة لفظ يستعمله المغاربة ومعناه عندهم المتلبس الذى يظهر النسك والعبادة ويبطن الفسق والفساد وعند الله تجتمع الخصوم ولنرجع الى ما كنا بسبيله فنقول ومما خوطب به ابن الخطيب رحمه الله تعالى من قبل سلطان المغرب المستعين بالله أبى سالم ابراهيم ابن السلطان أبى الحسن المرينى ما صورته بعد البسملة والصلاة من عبد الله المستعين بالله ابراهيم أمير المسلمين المجاهد فى سبيل رب العالمين ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد فى سبيل رب العالمين أبى الحسن ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد فى سبيل رب العالمين أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق أيد الله أمره وأعز نصره الى الشيخ الفقيه الأجل الاسنى الاعز

سعيد بن عبد الاعلى (ودخل) أبو الاغر مدينة السلام وقدامه رأس صالح وجحش ورأس غلام لصالح أسود وأربعة أسارى وهم بنو عم صالح بن مدرك فخلع السلطان فى ذلك اليوم على أبى الاغر وطوقه بطوق من ذهب ونصب الرؤس على الجسر من الجانب الغربى وادخل الاسارى المطبق (وفى هذه) السنة مات اسحق بن أيوب العبدى وكان على حرب ديار ربيعة (وفيها) شخص العباس بن عمرو الغنوى الى البصرة لحرب القرامطة بالبحرين (وفى هذه السنة) كانت الحرب بين اسمعيل بن أحمد وعمرو بن الليث صاحب بلخ فأسر عمرو وقد أتينا على كيفية اسره فى الكتاب الاوسط (وفى سنة) سبع وثمانين ومائتين كان خروج العباس بن عمرو من البصرة فى جيش عظيم ومعه خلق من المطوعة نحو هجر فالتقى هو وأبو سعيد الجبائى فكانت بينهم وقائع انهزم فيها أصحاب العباس وأسر وقتل من أصحابه نحو سبعمائة صبرا دون من هلك من الرمل والعطش فاحرقت الشمس أجسادهم ثم ان أبا سعيد من على العباس بن عمرو بعد ذلك فأطلقه فصار الى المعتضد فخلع عليه وبعد هذه الوقعة افتتح ابو سعيد مدينة هجر بعد حصار طويل وقد اتينا على مبسوط هذه الحروب والسبب الذى كان من اجله تخلية أبى سعيد العباس بن عمرو الغنوى مع من بالبحرين من قومه وعصبتهم له (وفى هذه السنة) وهى سنة سبع وثمانين ومائتين كان مسير الداعى العلوى من طبرستان الى بلد جرجان فى جيوش كثيرة من الديلم وغيرهم فلقيته جيوش المسودة من قبل اسمعيل بن أحمد وعليها محمد بن رون فكانت وقعة لم ير مثلها فى ذلك العصر وصبر الفريقان جميعا وكانت للمبيضة على المسودة ثم كانت مكيدة من محمد بن هرون لما رأى من ثبوت الديلم على مصافها ٣٩٠ فلم ينقض صفوفه وولى فاسرعت الديلم ونقضت صفوفها فرجعت عليهم المسودة وأخذهم السيف فقتل منهم بشر كثير وأصاب الداعى ضربات وذلك أن أصحابه لما نقضوا صفوفهم فى الغنيمة ولم يعرجوا عليه ثبت مع من وقف لنصره فكرت عليهم الجيوش فاسفرت الحرب وقد أثخن بالكلوم وأسر ولده زيد بن محمد بن زيد وغيره وبقى محمد الداعى أياما يسيرة وتوفى لما ناله فدفن بباب جرجان وقبره هنالك معظم الى هذه الغاية (وقد أتينا) على خبره بطبرستان وغيرها وما كان من سيرته وخبر بكر بن عبد العزيز بن أبى دلف حين دخل اليه مستأمنا فى كتابنا أخبار الزمان وكذلك ذكرنا خبر يحيى بن الحسين الحسنى الرسى باليمن وتظافره هو وأبو سعد بن يعفر على ما كان من حروبهم باليمن مع القرامطة وما كان من أمرهم مع على ابن الفضل صاحب المذيخرة وما كان من قصته وخبر وفاته وقصة شيخ لاعة صاحب قلعة نحل وخبر ولده الى هذا الوقت بها وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ونزول يحيى بن الحسين الرسى مدينة صعدة من بلاد اليمن وخبر ولده أبى القاسم وخبر ولد ولده الى هذه الغاية وانما نذكر فى هذا الكتاب لمعا منبهين على ما قدمناه من تصنيفنا مما بسطناه من أخبار من ذكرناه وشرحناه من قصصهم وسيرهم وما كان منهم (وفى هذه السنة) وهى سنة ثمان وثمانين ومائتين كان دخول المعتضد الى الثغر الشامى فى طلب وصيف الخادم وراسله مع رشيق المعروف بالحرامى واستأمن الى المعتضد وصيف الشكرى وغيره من القواد قواد الخادم وأصحابه وقد كان وصيف الخادم لما أخذ الاكثر من أصحابه أراد الدخول الى أرض الروم والتعلق بالدروب وقد كان المعتضد أسرع فى السير من بغداد وستر أخباره ولم يعلم بذلك وصيف مع شدة حذره وتفقده لامره حتى عبر المعتضد الفرات وسار الى الشأم فلم يفلح جند المعتضد لذلك لما أتعب نفسه فى سرعة السير وقد كان المعتضد لما توسط الثغر الشامى خلف سواده بالكنيسة السوداء وجرد القواد فى طلب وصيف فساروا فى طلبه خمسة عشر ميلا الى أن أدركه أوائل الخيل وفيهم

ثمرة برأبيكم فى البنين وصنع لكم فى عدوكم الصنع الذى لا يقف عند معتاد وأذاق العذاب الاليم من أراد فى مثابتكم بالحاد عبدكم الذى ملكتم رقه وآويتم غربته وسترتم أهله وولده وأسنيتم رزقه وجبرتم قلبه يقبل موطئ الاخمص الكريم من رجلكم الطاهرة المستوجبة بفضل الله تعالى لموقف النصر الفارعة هضبة العز المعملة الخطو فى مجال السعد وميسر الحظ ابن الخطيب من شالة التى تاكد بملككم الرضى احتراءها وتجدد برعيكم عهدها واستبشر بملككم دفينها وأشرق بحسناتكم نورها وقد ورد على العبد الجواب المولوى البر الرحيم المنعم المحسن بما يليق بالملك الاصيل والقدر الرفيع والهمة السامية والعزة القعساء من رعى الدخيل والنصرة للذمام والاهتزاز لبر الاب الكريم فثاب الرجاء وانبعث الامل وقوى العضد وزار اللطف فالحمد لله الذى أجرى الخير على يدكم الكريمة وأعانكم على رعى زمام الصالحين المتوسل اليكم أولا بقبورهم ومتعبداتهم وتراب أجداثهم ثم بقبر مولاى ومولاكم ومولى الخلق أجمعين الذى تسبب فى وجودكم واختصكم

قان المفلحي ووصيف موشكير وعلي كوزه وغيرهم من القواد فقاتلهم وصيف وذلك في الموضع المعروف بدرب الحب
بأشرف المعتضد ووصيف قد خذله أصحابه وتفرق عنه جمعه أسر وأتى به المعتضد فسلمه الى مؤنس الفحلي وأمن جميع
صحابه الانفر انضافوا اليه من الثغر الشامي وغيره وأحرق المعتضد المراكب الحربية وحمل من طرسوس أبا اسحق امام
الجامع وأبا عمير عدي بن أحمد بن عبد الباقي صاحب مدينة اذنة من الثغر الشامي وغيرهم من البحرين مثل اسمعيل وابنه
وكان دخول المعتضد الى مدينة السلام في المساء لسبع خلون من صفر سنة ثمان وثمانين ومائتين ودخل جعفر بن المعتضد
وهو المقتدر وبدر الكبير وسائر الجيش على الظهر وقد زينت الطرق وبين أيديهم وصيف الخادم على جمل فالج وعليه دراعة
ديباج وبرنس وخلفه على جمل آخر البغيل وخلف البغيل ابنه على جمل آخر وخلف ابن البغيل على جمل آخر رجل من أهل
الشأم يعرف بابن المهندس وقد لبسوا الدراريع من الحرير الاحمر والاصفر وعلى رؤسهم البرانس وطوق وسور خاقان المفلحي
وغيره من القواد ممن أبلى في ذلك اليوم الذي كان فيه أسر وصيف الخادم وقد كان المعتضد أراد استحياء وصيف وأسف على
موت مثله لشهامته وشجاعته وحسن حيله واقدامه ثم قال ليس في طبع هذا الخادم أن يرأسه احد بل في طبعه ان يرؤس في نفسه
وقد كان بعث اليه بعد أن قبض عليه وأوثق بالحديد هل لك من شهوة فقال نعم باقة من الريحان اشمها وكتب من سير الملوك
الغابرة انظر فيها فلما رجع الرسول الى المعتضد واخبر انه يديم النظر في سير الملوك وحروبها ومحنها دون سائر ما حمل الى حضرته
من الدفاتر فتعجب المعتضد وقال هو يهون على نفسه الموت (وفي هذه السنة) كانت وفاة أبي عبيد الله محمد بن

أبي الساج باذربيجان
واختلفت كلمة أصحابه
وغلمانه بعده فمنهم من
انحاز الى اخيه يوسف بن
أبي الساج ومنهم من انحاز
الى ولده ديوداد (وفي هذه
السنة) ادخل عمرو بن
الليث الى مدينة السلام في
جمادى الاولى قدم به
عبد الله بن الفتح رسول
السلطان فشهر عمرو وأركب
على جمل فالج وقد ألبس

عه ديباج وخلفه بدر والوزير القاسم بن عبيد الله في الجيش فأتوا به الثريا فرآه المعتضد ثم أدخل المطامير وقد كان في هذا الوقت
ارتعسا كر الشاكرية من قبل طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث غضبا لجده عمرو ولحقته ببلاد الاهواز وخرجت عن حدود
رس واضطرب الامر وبعث المعتضد بعبد الله بن الفتح واستأمن الى اسمعيل بن أحمد بهدايا منها مائة بدلة ديباج منسوجة
لذهب مرصعة بالجوهر ومنطقة ذهب مرصعة بالجوهر وغير ذلك من الجواهر وثلثمائة ألف دينار ليفرقها في أصحابه
يبعثهم الى بلاد سجستان الى حرب طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث وامر عبد الله بن الفتح ان يحمل في طريقه من خراج
احتازيه من بلاد الجبل عشرة آلاف ألف درهم ويضيفها الى الثلثمائة ألف دينار وسار بدر غلام المعتضد بالله في عساكره
الى بلاد فارس من هذه السنة فنزل شيراز وانكشف عن البلد الشاكرية (وفي اول يوم) من المحرم وهو يوم الثلاثاء من سنة
تسع وثمانين ومائتين توفي وصيف الخادم فاخرج وصلب على الجسر بدنا بلا رأس وقد كان الخدم سألوا المعتضد أن يستروا
عورته فاباح لهم ذلك فالبس ثيابا ولف عليه ثوب جديد وخيط على مكان الثياب من سرته الى الركبتين وطلى بدنه بالصبر
وغيره من الاطلية القابضة والماسكة لاجزاء جسمه فاقام مصلوبا على الجسر لا يبلى الى سنة ثلثمائة في خلافة المقتدر بالله (وفي
هذه السنة) تشغب الجند والعامة فعمدت العامة اليه عاجنا وحطوه من فوق الخشبة وقالوا قد وجب علينا حق الاستاذ أبي
علي وصيف الخادم لطول مجاورته لنا وصبره علينا لا يبلى على هذه الخشبة فلفوه في رداء بعضهم وحملوه على اكتافهم وهم نحو

اختصكم بحبه وغمركم بلطفه وحنانه وعلمكم آداب الشريعة وأورثكم ملك الدنيا
هيأتكم دعواته بالاستقامة الى ملك الآخرة بعد طول المدى وانفساح البقاء وفي علومكم
المقدسة ما تضمنت الحكايات عن العرب من النصرة عن طائر داست أفراخه ناقة في جوار
رئيس منهم وما انتهى اليه الامتعاض لذلك مما أهينت فيه الانفس وهلكت الاموال
وقصارى من امتعض لذلك ان يكون كبعض خدامكم من عرب تامسنا فما الظن بكم وأنتم
الكريم ابن الكريم ابن الكريم فيمن لجأ أولا الى رحماكم بالاهل والولد عن حسنة
برعتم بها وصدقة حملتكم محرعلى بذلها ثم فيمن حط رحل الاستجارة بضريح أكرم
الخلق عليكم دامع العين خافق القلب واهي الفزعة يتغطى بردائه ويستجير بعليائه كأنني
اميت عليهم في الحياة أمام الذعر الذي يذهل العقل ويحجب عن التمييز بقصر داره
مضجع رقاده مامن يوم الاوأجهر بعد التلاوة باليعقوب بالمر بن نسال الله تعالى أن
يقمع عني معروفكم ولا يسلبني عنايتكم ويستعملني ما بقيت في خدمتكم ويتقبل دعائي

من مائة الف من الناس يرقصون ويغنون ويصيحون حوله الاستاذ الاستاذ فلما ضجروا من ذلك طرحوه في دجلة وذلك أنهم شيعوه في الماء سباحة فغرق منهم في جرية الماء خلق كثير (وفي هذه السنة) أتي بجماعة من القرامطة من ناحية الكوفة منهم المعروف بابي الفوارس وبعد ان قطعت يداه ورجلاه صلب الى جانب وصيف الخادم ثم حول الى ناحية الكناس مما يلي الشماسية من الجانب الغربي فصلب مع قرامطة هناك (وقد كان لاهل بغداد) في قتل أبي الفوارس هذا أراجيف كثيرة وذلك أنه لما قدم ليضرب عنقه اشاعت العامة انه قال لمن حضره قتله من العوام هذه عمامتي تكون قبلك فاني راجع بعد اربعين يوما فكان يجتمع في كل يوم خلائق من العوام تحت خشبته ويحصون الايام ويقتتلون ويتناظرون في الطرق في ذلك فلما تمت الاربعون ليلة وقد كان كثر لغطهم واجتمعوا فكان بعضهم يقول هذا جسده ويقول آخر قدم وانما السلطان قتل رجلا آخر وصلبه موضعه لكي لا يفتتن الناس فكثر تنازع الناس في ذلك حتى نودي بتفريقهم فتبرك التنازع والخوض فيه (وكان) ورد مال من محمد بن زيد من بلاد طبرستان ليفرق في آل أبي طالب سرا فغمز بذلك الى المعتضد فاحضر الرجل الذي كان يحمل المال اليهم فانكر عليه اخفاء ذلك وأمره باظهاره وقرب آل أبي طالب وكان السبب في ذلك قرب النسب ولما أخبرنا به أبو الحسن محمد بن علي الوراق الانطاكي الفقيه المعروف بابن الغزوي بانطاكية قال أخبرني محمد بن يحيى بن أبي عباد الجليس قال رأى المعتضد بالله وهو في سجن أبيه كأن شيخا جالسا على دجلة يمد يده الى ماء دجلة فيصير في يده وتجف دجلة ثم يرده من يده فتعود دجلة كما كانت

قال فسألت عنه فقيل لي هذا علي بن أبي طالب عليه السلام قال فقمت اليه وسلمت عليه فقال يا أحمد ان هذا الامر صائر اليك فلا تتعرض لولدي ولا تؤذهم فقلت السمع والطاعة يا أمير المؤمنين وعم الناس تأخر الخراج عنهم وكان انعام المعتضد عليهم فقالت الشعراء في ذلك وأكثرت و وصفت في أشعارها ذلك واطنبت فاحسن يحيى بن علي المنجم فقال

يا محيي الشرف اللباب * ومجدد الملك الخراب
ومعيد ركن الدين فيـ ـنا ثابتا بعد اضطراب
فت الملوك مبرزا * فوت المبرز في الحلاب
اسعد بنيروز جمعـ ـت الشكر فيه الى الثواب
قدمت في تأخيرما * قد قدموه الى الصواب

وقوله

يوم نيروزك يوم * واحد لا يتأخر
من حزيران يوافي * أبدا في أحد عشر

(وكان) وصول قطر الندى بنت خمارويه الى مدينة السلام مع ابن الجصاص في ذي الحجة سنة احدى وثمانين ومائتين في ذلك يقول علي بن العباس الرومي

يا سيد العرب الذي زفت له * باليمن والبركات سيدة العجم
اسعد بها كسعودها بك انها * ظفرت بما فوق المطالب والهمم
ظفرت بلألاء ناظريها بهجة * وضميرها نبلا وكفيها كرم
شمس الضحى زفت الى بدر الدجى * فتكشفت بهما عن الدنيا ظلم

(ولما أدخل) عمرو بن الليث الى مدينة السلام من المصلى العتيق رافعا يديه يدعو وهو على جمل فالج وهو ذو السنامين وكان أنفذه الى المعتضد في هدايا تقدمت له قبل أسره فقال في ذلك الحسن بن محمد بن مهر

ألم تر هذا الدهر كيف صروفه * يكون عسيرا مرة ويسيرا
وحسبك بالصفار نبلا وعزة * يروح ويغدو في الجيوش أميرا
حباهم باجمال ولم يدر أنه * على جمل منها يقاد أسيرا

وفي ذلك يقول محمد بن بسام

أيها المغتر بالدنيا أما أبصرت عمرا
مقبلا قد ركب الفا * لج بعد الملك قسرا

وبكم ولحين وصول الجواب الكريم نهضت الى القبر المقدس ووضعته بازائه وقلت يا مولاي يا كبير الملوك وخليفة الله وبركة بني مرين صاحب الشهرة والذكر في المشرق والمغرب عبدك المنقطع اليك المترامي بين يدي قبرك المتوسل الى الله ثم اليك ولدك بل ابن الخطيب وصله من مولاه ولدك ما يليق بمقامه من رعي وجهك والتقرب الى الله تعالى برعيك والاشتهار في مشرق الدنيا ومغربها ببرك وأنتم من أنتم من اذا اصطنع صنيعة كملها واذا من منه تممها واذا أبدى يدا أبرزها طاهرة بيضاء غير معيبة ولا ممنونة ولا منتقضة وأنا بعد تحت ذيل حرمتك وظل دخيلك حتى يتم أملي ويخلص قصدي وتحف نعمتك بي ويطمئن الى مأملك قلبي ثم قلت للطلبة أيها السادة بيني وبينكم تلاوة كتاب الله تعالى منذ أيام ومناسبة النحلة وأخوة التآلف بهذا الرباط المقدس والسكنى بين أظهركم فامنوا على دعائي باخلاص من قلوبكم واندفعت في الدعاء والتوسل الذي نرجو أن يتقبله الله تعالى ولا يضيعه وخاطب العبد مولاه شاكرا لنعمته مشيدا بصنيعته مسرورا بقبوله وشأنه من التعلق والتطارح

وعليه برنس السخط اذلالا وقهرا   رافعا كفيه يدعو الله اسرارا وجهرا
أن ينجيه من القتل وأن يعمل صفرا   ولما قتل محمد بن هرون محمد بن زيد العلوي أظهر المعتضد لذلك النكير والحزن تأسفا على قتله (وكانت) وفاة نصر بن أحمد صاحب ما وراء نهر بلخ في أيام المعتضد وذلك في سنة تسع وثمانين ومائتين وصار الامر الى أخيه اسمعيل بن أحمد (وكانت) وفاة أحمد بن أبي طاهر الكاتب صاحب كتاب أخبار بغداد سنة ثمانين ومائتين (وفيها كانت) وفاة أحمد بن محمد القاضي الذي يحدث (وفي سنة) احدى وثمانين ومائتين كانت وفاة أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا القرشي مؤدب المكتفي بالله في المحرم وهو صاحب الكتب المصنفة في الزهد وغيره (وفي سنة اثنتين) كانت وفاة أبي سهل محمد بن أحمد الرازي المحدث وانما ذكر وفاة هؤلاء لدخولهم في التاريخ وحمل الناس العلم عنهم من الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكانت) وفاة عبيد الله بن شريك المحدث في سنة خمس وثمانين ومائتين ببغداد (وفيها) وفاة بكر بن عبد العزيز بن أبي دلف بطبرستان (وفيها) مات محمد بن الحسين بن الجنيد (وفي سنة ثمان وثمانين ومائتين) مات أبو علي بشر بن عميرة الاسدي وله نيف وتسعون سنة وقبض ولده وهو ابن تسع وتسعين سنة وفيها مات أبو المثنى معاذ بن المثنى بن معاذ العبدي في أيام المعتضد (قال المسعودي) وقد ذكرنا من اشتهر من الفقهاء والمحدثين وغيرهم من أهل الآراء والادب في كتابينا أخبار الزمان والاوسط وانما نذكر في هذا الكتاب لمعا ملوحين على ما سلف (وكانت) وفاة المعتضد لاربع ساعات خلت من ليلة الاثنين لثمان بقين من ربيع الآخر

سنة تسع وثمانين ومائتين في قصره المعروف بالحسني بمدينة السلام وقيل ان وفاته كانت بسم اسمعيل ابن بلبل قبل قتله اياه فكان يسري في جسده ومنهم من ذكر أن جسمه تحلل في مسيره في طلب وصيف الخادم على ما ذكرنا ومنهم من رأى أن بعض جواريه سمته في منديل أعطته اياه يتنشف به وقيل غير ذلك مما عنه أعرضنا (وقد كان) أوصى أن يدفن في دار محمد بن عبد الله بن طاهر في الجانب الغربي من الدار المعروفة بدار الرخام فلما اعتراه الغشي ووقع للموت شك في وفاته فتقدم الطبيب الى بعض أعضائه فجسه فأحس به وهو على ما به من السكرات فأنف من ذلك وركله برجله فقلبه أذرعا فيقال ان الطبيب مات منها ومات المعتضد من ساعته وسمع ضجة وهو على ما به من الحال ففتح عينيه وأشار بيديه كالمستفهم فقال له مؤنس الخادم يا سيدي الغلمان قد ضجوا اعتقد القاسم بن عبيد الله فاطلقنا لهم العطاء فقطب وهمهم في سكرته فكادت أنفس الجماعة أن تخرج من هيبته وحمل الى دار محمد بن عبد الله بن طاهر فدفن بها (قال المسعودي) وللمعتضد أخبار وسير وحروب ومسير في الارض غير ما ذكرنا قد أتينا على ذكرها والغرر من مبسوطها في كتابي أخبار الزمان والاوسط

(ذكر خلافة المكتفي بالله)

و بويع المكتفي بالله وهو علي بن أحمد المعتضد بمدينة السلام في اليوم الذي كانت فيه وفاة أبيه المعتضد وهو يوم الاثنين لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين وأخذ له البيعة القاسم بن عبيد الله والمكتفي يومئذ بالرقة وللمكتفي يومئذ نيف وعشرون سنة ويكنى بأبي محمد فكان وصول المكتفي الى مدينة السلام يوم الاثنين لسبع ليال بقين من جمادى الاولى سنة تسع وثمانين ومائتين وكان دخوله في الماء ونزل قصر الحسني على دجلة وكانت وفاته يوم الاحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين وهو يومئذ ابن احدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر فكانت

والتطارح شأنه حتى يكمل القصد ويتم الغرض معمور الوقت بخدمة يرفعها ودعاء يردده والله المستعان انتهى * وكان تقدم من لسان الدين كتاب للسلطان المذكور وكان ما سبق من كتاب السلطان جوابا له وذلك بعد رجوع لسان الدين من مراكش واستقراره في مدينة سلا برباط شالة مدفن السلاطين من بني مرين ومنهم السلطان أبو الحسن والد السلطان أبي سالم المذكور ونص الكتاب مولاي المرجو لاتمام الصنيعة وصلة النعمة واحراز الفخر أبقاكم الله تعالى تضرب بكم الامثال في البر والرضا وعلو الهمة ورعي الوسيلة مقبل موطئ قدمكم المنقطع الى تربة المولى والدكم ابن الخطيب من الضريح المقدس بشالة وقد حط رحل الرجاء في القبة المقدسة وتيمم بالتربة الزكية وقعد بازاء لحد المولى أبيكم ساعة ايابه من الوجهة المباركة يفوز بزيارة الربط المقصودة والترب المعظمة وقد عزم أن لا يبرح طوعا من هذا الجوار الكريم والدخيل المرعي حتى يصله من مقامكم ما يناسب هذا التطارح على قبر هذا المولى العزيز على أهل الارض ثم عليكم والتماس شفاعته في أمر سهل عليكم لا يجر افساد مال ولا اهتمام خطر انما هو اعمال لسان وخط بنان وصرف عزم واحراز فخر وأجر واطالة ذكر

خلافته ست سنين وسبعة أشهر واثنين وعشرين يوما وقيل ست سنين وستة أشهر وستة عشر يوما على تباين الناس في تواريخهم والله أعلم

(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه)

ولم يتقلد الخلافة الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة من خلافة المتقي لله من اسمه على الا على بن أبي طالب والمكتفي ولما نزل المكتفي قصر الحسني في اليوم الذي كان دخوله الى مدينة السلام خلع على القاسم بن عبيد الله ولم يخلع على أحد من القواد وأمر بهدم المطامير التي كان المعتضد اتخذها لعذاب الناس واطلاق من كان محبوسا فيها وأمر برد المنازل التي كان المعتضد اتخذها لموضع المطامير الى أهلها وفرق فيهم أموالا فمالت قلوب الرعية اليه وكثر الداعي له بهذا السبب وغلب عليه القاسم بن عبيد الله وفاتك مولاه ثم غلب عليه بعد وفاة القاسم بن عبيد الله وزيره العباس بن الحسين وفاتك وقد كان القاسم بن عبيد الله أوقع بمحمد بن غالب الاصبهاني وكان يتقلد دواوين الرسائل وكان ذا علم ومعرفة وأوقع بمحمد بن بشار وابن منارة لشئ بلغه عنهم فأوثقهم بالحديد وأحدرهم الى البصرة فيقال انهم غرقوا في الطريق ولم يعرف لهم خبر الى هذه الغاية ففي ذلك يقول على بن بسام

عذرناك في قتلك المسلمين * وقلنا عداوة أهل الملل
فهذا المنارى ما ذنبه * ودينك يا أحدل لم يزل

وقد كانت الحال انفرجت بين القاسم بن عبيد الله وبدر قبل هذا الوقت فلما استخلف المكتفي أغراه القاسم ببدر وكان ميل جماعة من القواد الى بدر فساروا الى حضرة السلطان وسار بدر الى واسط فاخرج القاسم المكتفي الى نهر بيال فعسكر هنالك وجعل في نفس المكتفي من بدر كل حالة يقدر عليها من الشر وأغراه به فأحضر القاسم أبا حازم القاضي وكان ذا علم ودراية فأمره عن أمير المؤمنين بالمسير الى بدر فيأخذ له الأمان ويجيء به معه ويضمن له عن أمير المؤمنين ما أحب فقال أبو حازم ما كنت أبلغ عن أمير المؤمنين رسالة لم أسمعها منه فلما امتنع عليه أحضر أبا عمرو بن يوسف القاضي فأرسل به الى بدر في سمرا فأعطاه الامان والعهود والمواثيق عن المكتفي وضمن له أنه لا يسلمه عن يده الدنيا الا عن رؤية أمير المؤمنين فخلى عسكره وجلس معه في السمرا مصعدين فلما انتهوا الى ناحية المدائن والسيب تلقاه جماعة بالحذر فأحاطوا بالسمرا وتنحى أبو عمرو عنه الى طيار فركب فيه وقرب بدر الى الشط وسألهم ان يصلي ركعتين وذلك في يوم الجمعة لست خلون من شهر رمضان سنة تسع وثمانين ومائتين وقت الزوال فأمهلوه للصلاة فلما كان في الركعة الثانية قطعت عنقه وأخذ رأسه فحمل الى المكتفي فلما وضع الرأس بين يدي المكتفي سجد وقال الآن ذقت طعم الحياة ولذة الخلافة ودخل المكتفي الى مدينة السلام يوم الاحد لثمان خلون من شهر رمضان ففي محمد بن يوسف القاضي يقول بعض الشعراء في ضمانه لبدر العهود والمواثيق عن المكتفي

قل لقاضي مدينة المنصور * بم أحللت أخذ رأس الأمير
بعد اعطائه المواثيق والعهد * وعقد الامان في مسطور
أين أيمانك التي يشهد الله * على أنها يمين فجور
أين تأكيدك الطلاق ثلاثا * ليس فيهن نية التخيير
أن كفيك لا تفارق كفيه * الى ان ترى مليك السرير
يا قليل الحياء يا أكذب الامة * يا شاهدا شهادة زور
ليس هذا فعل القضاة ولا يحسن * أمثاله ولاة الجسور
قد مضى من قتلت في رمضان * راكعا بعد سجدة التكبير
أي ذنب أتيت في الجمعة الزهراء * في خير خير الشهور
فاعد الجواب للحكم العدل * من بعد منكر ونكير
يا بني يوسف بن يعقوب أضحى * أهل بغداد منكم في غرور

وذلك أن العبد عرفكم يوم وداعكم انه ينقل عنكم الى المولى المقدس بلسان المقال ما يحضر مما يفتح الله تعالى فيه ثم ينقل عنه لكم بلسان الحال ما يتلقى عنه من الجواب وقال لي صدر دولتكم وخالصتكم وخالصة المولى والدكم سيدي الخطيب يعني ابن مرزوق سني الله تعالى أمله من سعادة مقامكم وطول عمركم انت يا فلان والحمد لله ممن لا ينكر عليه الوفاء بهذين الفرضين وصدر عنكم من البشر والقبول والانعام ما صدر جزاكم الله تعالى جزاء المحسنين وقد تقدم تعريف مولاي بما كان من قيام العبد بما نقله الى التربة الزكية عنكم حسبما أداه من حضر ذلك المشهد من خدامكم والعبد الآن يعرض عليكم الجواب وهو أني لما فرغت من مخاطبته عراني من الملا الكبير والجم الغفير أكببت على اللحد الكريم داعيا ومخاطبا وأصغيت باذني نحو قبره وجعل فؤادي يتلقى ما يوحيه اليه لسان حاله فكأني به يقول لي قل لمولاك يا ولدي وقرة عيني المخصوص برضاي وبري وستر حريمي ورد ملكي وصان أهلي وأكرم صنائعي ووصل عملي أسلم عليك وأسال الله تعالى أن يرضى عنك ويقبل عليك

شتت الله شملكم وأراني * بكم الذل بعد ذل الوزير أنتم كلكم فداء أبي حا * زم المستقيم كل الامور

قالوا وكان بدر حراوهو بدر بن خير من موالي المتوكل وكان بدوفي خدمة ناشئ غلام الموفق صاحب ركابه ثم اتصل بالمعتضد وقرب من قلبه وخف بين يديه في أيام الموفق وكان للمعتضد غلام يقال له فاتك وكان من أعلى غلمانه فبعد من قلبه وانحطت مرتبته وكان السبب في ذلك ان المعتضد غضب على بعض جواريه وأمر ببيعها فدس فاتك من ابتاعها له فكان السبب في ابعاده من قلب المعتضد عند علمه بذلك اليه وزاد أمر بدر وعلت مرتبته حتى كان يلتمس الحوائج به من المعتضد وكانت الشعراء تقرن مدح بدر بمدح المعتضد وكذلك من خاطبه فيما عدا المنظوم من الكلام (قال المسعودى) وأخبرني أبو بكر محمد ابن يحيى الصولي النديم الشطرنجي بمدينة السلام قال كان لي وعد على المعتضد فما ظفرت به حتى عملت قصيدة ذكرت فيها بدرا أولها

أيها الهاجر عن الاجحد * أجزاء الود أن يلقى بصد

لامير المؤمنين المعتضد * بحر جود ليس يعدوه أحد وأبو النجم لمن يقصده * جدول منه الى البحر يرد

قد مضى الفطر الى الاضحى وقد * آن أن يقرب وعد قد بعد ما اقتضاني الوعد أن لست على

ثقة من أنه أخذ بيد غير أن النفس تهوى عاجلا * وسواء عطى كريم أو وعد

قال فضحك وأمر لي بما وعدني به (وأخبرنا) محمد بن النديم بمدينة السلام قال سمعت المعتضد يقول أنا آنف من هبة القليل ولا أرى الدنيا لو كانت لي أموالها وجمعت عندي تفي بقدر جودي والناس

يزعمون انى بخيل أتراهم لا يعلمون أني جعلت أبا النجم بيني وبينهم أعرف ما مبلغ ما ينفقه يوما فيوما لو كنت بخيلا ما أطاقت ذلك له (وأخبرنا) أبو الحسن محمد بن علي الفقيه الوراق الانطاكي بمدينة انطاكية قال أخبرني ابراهيم بن محمد الكاتب عن يحيى بن علي المنجم النديم قال كنت يوما بين يدى المعتضد وهو مقطب فاقبل بدر فلما رآه من بعيد ضحك وقال لي يا يحيى من الذي يقول من الشعراء

في وجهه شافع يمحو اساءته * من القلوب وجيه حيثما شفعا

فقلت يقول الحكم بن مرة المازني فقال لله دره أنشدني هذا الشعر فانشدته

ويلي على من أطار النوم فامتنعا * وزاد قلبي على أوجاعه وجعا

كأنما الشمس في أعطافه لمعت * حسنا أو البدر من أزراره طلعا

مستقبل بالذي يهوى وان كثرت * منه الذنوب ومعذور بما صنعا

في وجهه شافع يمحو اساءته * من القلوب وجيه حيثما شفعا

قال وأخذ قوله أو البدر من أزراره طلعا أحمد بن يحيى بن العراف الكوفي فقال

بدا وكأنما قمر * على أزراره طلعا بحت المسك عن عرق الجبين بنانه ولعا

(وفي سنة) تسع وثمانين ومائتين ظهر القرمطي بالشام وكان في حروبه مع طغج وعساكر المصريين ما قد اشتهر خبره وقد أتينا على ذكره فيما سلف وما كان من خروج المكتفي الى الرقة وأخذ القرامطة وذلك في سنة احدى وتسعين ومائتين وكذلك ما كان من ذكرويه بن مهرويه ووقوعه بالحاج في سنة أربع وتسعين ومائتين الى أن قتل وأدخل الى مدينة السلام (قال المسعودى) وكان فداء الغدر في ذي القعدة من سنة اثنتين وتسعين ومائتين بالامنس بعد أن فادوا بجماعة المسلمين ثم ان الروم غدروا بعد ذلك وكان فداء التمام بالامنس بين المسلمين على التمام في شوال من سنة خمس وتسعين ومائتين

الدنيا دار غرور والآخرة خير لمن اتقى * وما الناس الا هالك وابن هالك * ولا تجد الا ما قدمت من عمل يقتضي العفو والمغفرة أو ثناء يجلب الدعاء بالرحمة ومثلك من ذكر فذكر وعرف فما أنكر وهذا ابن الخطيب قد وقف على قبري وتهمم بي وسبق الناس الى رثائي وأنشدني وبجدني وبكاني ودعا لي وهناني بمصير أمري اليك وعفر وجهه في تربي وأملى لما انقطعت مني آمال الناس فلو كنت يا ولدي حيا لما وسعني أن أعمل معه الا ما يليق بي وأن أستقل فيه الكثير وأحتقر العظيم لكن لما عجزت عن جزائه وكلته اليك وأحلته يا حبيب قلبي عليك وقد أخبرني انه سليب المال كثير العيال ضعيف الجسم قد ظهر في عدم نشاطه أثر السن وأمل أن ينقطع بجواري ويستتر بدخيلي وحرمتي ويردعليه حقه بخدمتي ووجهي ووجوه من ضاجعني من سلفي ويعبد الله تعالى تحت حرمتك وحرمتي وقد كنت تشوقت الى استخدامه في الحياة حسبما يعلمه حبيبنا الخالص المحبة وخطيبنا العظيم المزية القديم القربة أبو عبد الله بن مرزوق فاسأله يذكرك واستخبره يخبرك فانا اليوم أريد أن يكون هذا الرجل

والامير في الفداء ابن جيغارستم وكان على الثغور الشامية فكان عدة من فدى به من المسلمين في فداء ابن طغان في سنة ثلاث وثمانين ومائتين على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب من ذكره ألفي نفس وأربعمائة وخمسا وتسعين نفسا من ذكر وأنثى وكان عدة من فدى به من المسلمين في الغدر ألفا ومائة وأربعة وخمسين نفسا وعدد من فودي به في فداء التمام ألفين وثمانمائة واثنين وأربعين نفسا ومات المكتفي وقد خلف في بيوت الاموال ثمانية آلاف ألف دينار ومن الورق خمسة وعشرين ألف ألف درهم ومن الدواب والبغال والجمازات وغيرها تسعة آلاف رأس وكان مع ذلك بخيلا ضيقا (وأخبرنا) أبو الحسن أحمد بن يحيى المنجم المعروف بابن النديم وكان من حذاق أهل النظر والبحث وأهل الرياسة من أهل التوحيد والعدل وفي ابنه على بن يحيى يقول ابو هفان لربيع الزمان في الحول وقت * وابن يحيى في كل وقت ربيع رجل عنده المكارم سوق * يشتري دهره ونحن نبيع قال وكانت وظيفة المكتفي بالله عشرة ألوان في كل يوم وجدي في كل جمعة وثلاث جامات حلوا وكان يرد عليه الحلوا وكل على مائدته بعض خدمه وأمره أن يحصي ما فضل من الخبز فما كان من المكسر عزله للثريد وما كان من الصحاح رد الى مائدته من الغد وكذلك كان يفعل بالبوارد والحلوا وأمر أن يتخذ له قصر بناحية الشماسية بازاء قطربل فاخذ بهذا السبب ضياعا كثيرة ومزارع كانت في تلك النواحي بغير ثمن من ملاكها فكثر الداعي عليه فلم يستتم ذلك البناء حتى توفي وكان هذا الفعل مثل الفعل أبيه المعتضد في بناء المطامير

(وكان وزيره) القاسم بن عبيد الله عظيم الهيبة شديد الاقدام سفاكا للدماء وكان الكبير والصغير على رعب منه لا يعرف أحد منهم لنفسه نعمة معه (وكانت) وفاته عشية الاربعاء لعشر خلون من شهر ربيع الآخر سنة احدى وتسعين ومائتين وله نيف وثلاثون سنة ففي ذلك يقول بعض أهل الادب وأراه عبد الله بن الحسن بن سعد

شربنا عشية مات الوزير ونشرب يا قوم في ثالثه

فلا قدس الله تلك العظام * ولا بارك الله في وارثه

خدمي بعد الممات الى أن الحق جميعا برضوان الله تعالى ورحمته التي وسعت كل شيء وله يا ولدي ولد نجيب يخدم ببابك وينوب عنه في ملازمة بيت كتابك وقد استقر ببابك قراره وتعين بأمرك مرتبه ودثاره فيكون الشيخ خديم الشيخ والشاب خديم الشاب هذه رغبتي منك وحاجتي اليك واعلم أن هذا الحديث لا بد له أن يذكر ويتحدث به في الدنيا وبين أيدي الملوك والكبار فاعمل ما يبقى لك فخره ويتلذذ ذكره وقد أقام مجاورا ضريحي تاليا كتاب الله تعالى على منتظرا ما يصله منك ويقرؤه على من السعي في خلاص ماله والاحتياج بهذه الوسيلة في جبره واجراء ما يليق بك من الحرمة والكرامة والنعمة فالله الله يا ابراهيم اعمل ما يسمع عني وعنك فيه ولسان الحال أبلغ من لسان المقال انتهى والعبد يا مولاي مقيم تحت حرمته وحرمة سلفه منتظر منكم قضاء حاجته ولتعلموا وتحققوا أني لو ارتكبت الجرائم ورزأت الاموال وسفكت الدماء وأخذت حسائن الملوك الاعزة ممن وراء النهر من الططر وخلف البحر من الروم ووراء الصحراء من الحبشة وأمكنهم الله تعالى مني من غير عهد

بعد

(وكان) ممن قتل القاسم بن عبيد الله عبد الواحد بن الموفق وكان معتقلا عند مؤنس فبعث اليه حتى أخذ رأسه وذلك في أيام المكتفي وقد كان المعتضد يعزه ويميل اليه ميلا شديدا ولم يكن لعبد الواحد همة في خلافة ولا سمو الى رياسة بل كان همته في اللعب مع الاحداث وقد كان المكتفي أخبر عنه انه أرسل عدة من غلمانه الخاصة فوكل به من يراعي خبره وما يظهر من قوله اذا أخذ الشراب منه فسمع منه وقد طرب وهو ينشد شعر العتابي حيث يقول

تلوم على ترك الغناء باهله * طوى الدهر عنها من طريف وتالد
رأت حولها النسوان يمشين حلقة * مقلدة أجيادها بالقلائد
يسرك أني نلت ما نال جعفر * من الملك أو ما نال يحيى بن خالد
وان أمير المؤمنين أغصني * مغصهما بالمرهفات البوارد
ذريني تجئني ميتتي مطمئنة * ولم أتجشم هول تلك الموارد
فان نفيسات الامور مشوبة * بمستودعات في بطون الاساود
وان الذي يسمو الى درك العلا * ملقى باسباب الردى والمكايد

فقال له بعض ندمائه وقد أخذ منه الشراب يا سيدي أين أنت عما تمثل به يزيد بن المهلب

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد * حياة لنفسي مثل أن أتقدما

فقال له عبد الواحد مه لقد أخطأت الغرض وأخطأ ابن المهلب وأخطأ قائل هذا البيت وأصاب أبو فرعون التميمي حيث

يقول قال النديم حيث يقول ماذا قال قال   ومالي شئ في الوغى غير أنني * أخاف على عجزاي أن يقطما
ولو كنت مبتاعا من السوق مثلها * لدى الدرع ما باليت أن أتقدما   فلما انتهى ذلك الى المكتفي ضحك
وقال قد قلت للقاسم ليس عمي عبد الواحد ممن تسمو همته اليها هذا قول من ليس له همة غير فرجه وجوفه وأمرد يعانقه
وكلاب يهارش بها وكباش يناطح بها وديوك يقاتل بها أطلقوا العمي كذا وكذا فلم يزل القاسم بعبد الواحد حتى قتله (وقد
كان) المكتفي لما أن مات القاسم وتبين قتله لعبد الواحد أراد نبش القاسم من قبره وضربه بالسوط وحرقه بالنار وقد قيل
غير ذلك والله أعلم (وممن أهلك) القاسم بن عبيد الله على ما قيل بالسم في خشكانجه علي بن العباس بن سريج الرومي وكان
منشؤه ببغداد ووفاته بها وكان من مختلقي معاني الشعراء والمجودين في القصير والطويل متصرفا في المذاهب تصرفا حسنا
وكان أقل أدواته الشعر ومن محكم شعره وجيده قوله   رأيت الدهر يجرح ثم يأسو * يعوّض أو يسلي أو ينسي
أبت نفسي الهلاك لفقد شئ * كفى حزنا لنفسي فقد نفسي   (ومن قوله) العجيب الذي ذهب فيه الى معاني
فلاسفة اليونانيين ومن مهر من المتقدمين قوله في القصيدة التي قالها في صاعد بن مخلد
لما تؤذن الدنيا به من زوالها * يكون بكاء الطفل ساعة يوضع   والا فما يبكيه منها وانها * لأفسح مما كان فيه وأوسع
ومما دق فيه فأحسن وذهب الى معنى لطيف من النظر على ترتيب الجدليين وطريقة حذاق المتقدمين قوله
غموض الشئ حين تذب عنه * يقال ناصر الخصم المحق   ٣٩٧
تضيق عقول مستمعيه عنه * فيقضي للمبطل على المحق
(ومما أجاد) فيه في وصف القناعة قوله
اذا ما شئت أن تعلم يوما كذب الشهوه
فكل ما شئت يصدرك عن المرة والحلوه
وطأ ما شئت يحصنك عن الحسناء والدره
وكم أنساك ما تهوا منيل الشئ لم تهوه
اجتماع الشتوى والصيفي فيه ورد ونرجس وعجيب
وقوله بأبي حسن وجهك اليوسفي * يا كفي الهوى وفوق الكفي
له في العنب الرازقي ورازقي مخطف الخصور * كأنه مخازن البلور   الين في المس من الحرير
لو أنه يبقى على الدهور * لقرطوه للحسان الحور *(ولابن الرومي) أخبار حسان مع القاسم بن عبيد الله وأبي
الحسن علي بن سليمان الاخفش النحوي وأبي العباس الزجاجي النحوي وكان ابن الرومي الاغلب عليه من الاخلاط السوداء
وكان شرها نهما وله أخبار تدل على ما ذكرناه من هذه الجمل مع أبي سهل اسمعيل بن علي النوبختي وغيره من آل نوبخت
(وفي سنة) تسعين ومائتين مات عبد الله بن أحمد بن حنبل يوم السبت لعشر بقين من جمادى الآخرة (وفي سنة) احدى
وتسعين ومائتين كانت وفاة أبي العباس أحمد بن يحيي المعروف بثعلب ليلة السبت لثمان بقين من جمادى الاولى ودفن في
مقابر الشام في حجرة اشتريت له وخلف احدى وعشرين ألف درهم وألفي دينار وغلة بشارع باب الشام قيمتها ثلاثة آلاف
دينار ولم يزل أحمد بن يحيي مقدما عند العلماء منذ أيام حداثته الى ان كبر وصار اماما في صناعته ولم يخلف وارثا الا ابنة
لابنه فرد ماله عليها وكان هو وأحمد بن المبرد عالمين قد ختم بهما تاريخ الادباء وكانا كما قال بعض الشعراء من المحدثين
أيا طالب العلم لا تجهل * وعذ بالمبرد أو ثعلب   تجد عند هذين علم الورى * ولا تك كالجمل الاجرب
علوم الخلائق مقرونة * بهذين في الشرق والمغرب   (وكان) محمد بن يزيد المبرد يحب أن يجتمع في المناظرة

بعد أن بلغهم تذممي بهذا الدخيل ومقامي بين هذه القبور الكريمة ما وسع أحدا منهم من حيث
الحياء والحشمة من الاحياء والاموات وايجاب الحقوق التي لا يغفلها الكبار للكبار الا
الجود الذي لا يتعقبه البخل والعفو الذي لا تفسده المؤاخذة فضلا عن سلطان الاندلس أسعده
الله تعالى بعوالي آرائكم فهو فاضل وابن ملوك أفاضل وحوله أكياس ما فيهم من يجهل قدركم
وقدر سلفكم لا سيما مولاي والدكم الذي أتوسل به اليكم واليهم فقد كان يتبنى مولاي أبا الحجاج
ويشمله بنظره وصارخه بنفسه وأمده باموال ثم صير الله تعالى ملكه اليكم وأنتم من أنتم ذاتا
وقبيلا فقد قرت يا مولاي عين العبد بما رأت في هذا الوطن المراكشي من وفور حشودكم
وكثرة جنودكم وترادف أموالكم وعددكم زادكم الله تعالى من فضله ولا شك عند عاقل
أنكم ان انحلت عروة تأميلكم وأعرضتم عن ذلك الوطن استولت عليه يد عدوه وقد علم
طارحي بين الملوك الكرام الذين خضعت لهم التيجان وتعلق بثوب الملك الصالح والد الملوك
الكرام مولاي والدكم وشهرة حرمة شالة معروفة حاش لله أن يضيعها أهل الاندلس وما

مع أحمد بن يحيى ويستكثر منه وكان أحمد بن يحيى يمتنع من ذلك (وأخبرنا) أبو القاسم جعفر بن حمدان الموصلي الفقيه وكان صديقهما قال قلت لابي عبد الله الدينوري ختن ثعلب لم يأبى احمد بن يحيى الاجتماع مع المبرد فقال لي أبو العباس محمد بن يزيد حسن العبارة حلو الاشارة فصيح اللسان ظاهر البيان وأحمد بن يحيى مذهبه مذهب المعلمين فاذا اجتمعا في محفل حكم لهذا على الظاهر الى أن يعرف الباطن (وأخبرنا) أبو بكر القاسم بن بشار الانباري النحوي ان أبا علي الدينوري هذا كان يختلف الى أبي العباس المبرد يقرأ عليه كتاب سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر فكان ثعلب يعذله على ذلك فلم يكن ذلك يردعه وقيل ان وفاة احمد بن يحيى ثعلب كانت في سنة اثنتين وتسعين ومائتين (وفي هذه السنة) مات محمد بن محمد الجذوعي القاضي وله أخبار عجيبة فيما كان به من المذهب قد أتينا على وصفه ونوادره فيها وما كان به من التعزز في الاوسط (وفي سنة) اثنتين وتسعين ومائتين كانت وفاة أبي حازم عبد العزيز بن عبد الحميد القاضي يوم الخميس لسبع ليال خلون من جمادى الآخرة من هذه السنة ببغداد وله نيف وتسعون سنة (وفي هذه السنة) تغلب ابن الخليجي في سنة آلاف وتسعين بمصر وأبوه على مصر (وفيها) وقع الحريق العظيم فاحرق الغلة بباب الطاق نحوا من ثلثمائة دكان وأ كثر وظفر بابن الخليجي في سنة ثلاث وتسعين ومائتين بمصر وأدخل الى بغداد وقد أشهر وقدامه أربعة وعشرون انسانا من أصحابه منهم العراجي الخادم الاسود وذلك للنصف من شهر رمضان من هذه السنة (وفي سنة) أربع وتسعين ومائتين مات موسى بن هرون بن عبد الله بن مروان البزار المحدث المعروف بالجمال في يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة بقيت من شعبان ببغداد ويكنى أبا عمران وهو ابن نيف وثمانين سنة ودفن في مقابر باب حرب الى جانب أحمد بن حنبل وقد قدمنا العذر فيما سلف من هذا الكتاب لذكرنا وفاة هؤلاء الشيوخ اذ كان الناس في أغراضهم مختلفين وفي طلبهم الفوائد متباينين وربما قد يقف على هذا الكتاب من لا غرض له فيما ذكرناه فيه ويكون غرضه معرفة وفاة هؤلاء الشيوخ (وكانت) وفاة أبي مسلم ابراهيم بن عبد الله الكجي البصري المحدث لكم في المحرم سنة اثنتين وتسعين ومائتين وكان مولده في شهر رمضان سنة مائتين (وقبض) أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب وهو في سن أبي مسلم على ما ذكرنا من تنازع الناس في تاريخ وفاته وقد كان أبو العباس أحمد بن يحيى قد ناله صمم وزاد عليه قبل موته حتى كان المخاطب له يكتب ما يريده في رقاع (وأخبرنا) محمد بن يحيى الصولي الشطرنجي قال كنا يوما نأكل بين يدى المكتفي فوضعت بين أيدينا قطائف رفعت من بين يديه في نهاية النضارة ورقة الخبز واحكام العمل فقال هل وصفت الشعراء هذا فقال له يحيى بن علي نعم قال أحمد بن يحيى فيها

قطائف قد حشيت باللوز * والسكر المازى حشو الموز
تسبح في أزى دهن الجوز * سررت لما وقعت في حوزى * سرور عباس بقرب فوز

قال وانشدت لابن الرومي

وأتت قطائف بعد ذاك لطائف

فقال هذا يقتضي ابتداء فانشدني الشعر من أوله فانشدته لابن الرومي

وخبيصة صفراء دينارية * ثمنا ولونا زفها لك جؤذر
عظمت فكادت أن تكون أوزة * ونوت فكاد اهابها يتفطر
طفقت تجود بلها وزابه * فاذا البابه اللوز فيها السكر
نعم السماء هناك ظل صبيبها * يهمي ونعم الارض ظلت تمطر
يا حسنها فوق الخوان وبنتها * قدامها بصبيرها تتغرغر
ظالما نقشر جلدها عن لحمها

توسل اليهم قط بها الا الآن وما يجهلون الاغتنام هذه الفضيلة الغريبة وأملي منكم أن يتعين من بين يديكم خديم بكتاب كريم يتضمن الشفاعة في رد ما أخذ لي ويخبر بثوائي مترامياً على قبر والدكم ويقرر ما ألزمكم بسبب هذا الترامي من الضرورة المهمة والوظيفة الكبيرة عليكم وعلى قبيلكم حيث كانوا وتطلبون منه عادة المكارمة بحل هذه العقدة ومن المعلوم أني لو طلبت بهذه الوسائل من صلب ماوسعهم بالنظر العقلي الاحفظ الوجه مع هذا القبيل وهذا الوطن فالحياء والحشمة يأبيان العذر عن هذا في كل ملة ونحلة واذا تم هذا الغرض ولا شك في اتمامه بالله تعالى تقع صدقتكم على القبر الكريم بي وتعينوني لخدمة هذا المولى وزيارته وتفقده ومدح النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المولد في جواره وبين يديه وهو غريب مناسب لبركم به الى أن أحج بيت الله بعناية مقامكم وأعود داعياً مثنياً مستدعياً للشكر والثناء من أهل المشرق والمغرب وأتعوض من ذمتي بالاندلس ذمة بهذا الرباط المبارك برثها ذريتي وقد ساومت في شيء من ذلك منتظراً ثمنه مما يباع بالاندلس بشفاعتكم ولو ظننت انهم يتوقفون

وكأن تبراعن محاسنين يقشر وتقدمتها قبل ذالك ثرائد * مثل الرياض بمثلهن يصدر
ومرققات كلهن مزخرف * بالبيض منها ململس ومدثر وأتت قطائف بعد ذالك لطائف
ترضى اللهاة بها ويرضى الحنجر فضلك الوجود من الطبرزذ فوقها * دمع العيون مع الدهان يقصر

استحسن المكتفي بالله الابيات وأومأ الى أن أكتبها له فكتبتها له (قال محمد) بن يحيي الصولى وأ كانا يوما بين يديه بعد هذا بمقدار شهر فجاءت لوزينجة فقال هل وصف ابن الرومى اللوزينج فقلت نعم فقال أنشدنيه فانشدته

لا يخطئني منك لوزينج * اذا بدا أعجب أو عجبا
لم تغلق الشهوة أبوابها * الا أبت زلفاه أن تحجبا
لو شاء أن يذهب في صحنه * لسهل الطيب له مذهبا
يدور بالنفحة في جامه * دورا ترى الدهن له لولبا
عاون فيه منظر مخبرا * مستحسن ساعد مستعذبا
كالحسن المحسن في شدوه * تم فأضحى مغربا مطربا
مستكثف الحشو ولكنه * أرق جلدا من نسيم الصبا
كأنما قدت جلابيبه * من أعين القطر الذى طنبا
تخال في رقة خرسانه * شارك في الاضحية الجندبا
لو أنه صور من خبزه * ثغر الكان الواضح الاشنبا
من كل بيضاء يود الفتى * ان يجعل الكف لها مركبا
مدهونة زرقاء مدفونة ٩٩٣ * شهباء تحكي الاورق الاشهبا

لكم فى مثل هذا أو يتوقع فيه وحشة أو جفاء والله ما طلبته لكنهم أسرى وأفضل وانقطاعي أيضا لوالدكم مما لا يسع مجدكم الا عمل ما يليق بكم فيه وها أنا أرتقب جوابكم عالى عند كم من القبول ويسعني مجدكم فى الطلب وخروج الرسول لاقتضاء هذا الغرض والله سبحانه يطلع من مولاى على ما يليق به والسلام وكتب فى الحادى عشر من رجب عام احد وستين وسبعمائة * وفى مدرج الكتاب بعد نثر هذه القصيدة

مولاى ها أنا فى جوار أبيكا * فابذل من البر القدير فيكا
أسمعه ما يرضيه من تحت الثرى * والله يسمعك الذى يرضيكا
واجعل رضاه اذا نهدت كتيبة * تهدى اليك النصر أو تهديكا
واجبر بجبري قلبه تنل المنى * وتطالع الفتح المبين وشيكا
فهو الذى سن البرور بامه * وأبيه فاشرع شرعه لبنيكا
وابعث رسولك منذرا ومحذرا * وبما تؤمل نيله يأتيكا

دين له اللوز فلا مرة
مرت على الذائق الا أبا
وانتقد السكر نقاده
وشار فوافى نقده المذهبا
فلا اذا العين رأتها نبت
ولا اذا الطرس علاها نبا

حفظها المكتفي فكان ينشدها (ومما استحسن) من شعر المكتفي لنفسه

انى كلفت فلا تحلو بجارية * كأنها الشمس بل زادت على الشمس
لها من الحسن أعلاه ورؤيتها * سعدى وغيبتها عن ناظرى نحسي

وللمكتفي أيضا

بلغ النفس ما اشتهت * فاذا هى قد اشتفت
انما العيش ساعة * أنت فيها وما انقضت
كل من يعذل المحب * اذا ما هدا اسكت

أيضا

من لى بان تعلم ما ألقى * فتعرف الصبوة والعشقا
ما زال لى عبدا وحبي له * صيرنى عبدا له رقا
أعتق من رقى ولكنني * من حبه لا أملك العتقا

(أخبرنا) أبو عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة النحوى المعروف بنفطويه قال أخبرنا أبو محمد عبد بن حمدون قال تذاكرنا بحضرة المكتفي فقال فيكم من يحفظ فى نبيذ الدوشاب شيأ فانشدته قول ابن الرومى

اذا أخذت حبه ودبسه * ثم أخذت ضربه ومرسه * ثم أطلت فى الاناء حبسه * شربت منه البابلى نفسه

فقال المكتفي قبحه الله ما أشرهه لقد شوقني فى هذا اليوم الى شرب الدوشاب وقدم الطعام فوضع بين أيدينا طيفورية عظيمة فيها هريسة وقد جعل فى وسطها مثل السكرجة الضخمة فيها دسم الدجاج فضحكت وخطر ببالى خبر الرشيد مع أبان القارى فلحظني المكتفي وقال يا أبا عبد الله ما هذا الضحك فقلت خبر ذكرته فى الهريسة يا أمير المؤمنين ودهن الدجاج مع جدك الرشيد فقال ما هو قلت نعم يا أمير المؤمنين ذكر العتبي والمدائنى أن أبان القارى تغدى مع الرشيد فأتوا بهريسة عجيبة

في وسطها مثل السكرجة الضخمة على هذا المثال من دهن الدجاج قال أبان فاشتهيت من ذلك الدسم وأجللت الرشيد من
أن أمد يدي فاغمس فيه قال ففقحت باصبعي فيه فتحا يسيرا فانقلب الدسم نحوي فقال الرشيد يا أبان أخرقتها لتغرق أهلها فقال
أبان لا يا أمير المؤمنين ولكن سقناه لبلد ميت فضحك الرشيد حتى أمسك صدره (وفي سنة) خمس وتسعين ومائتين وردت الى
مدينة السلام هدية زيادة الله بن عبد الله ويكنى أبا مضر وكانت الهدية مائتي خادم أسود وأبيض ومائة وخمسين جارية
ومائة من الخيل العربية وغير ذلك من اللطائف وقد كان الرشيد في سنة أربع وثمانين ومائة وذلك بالرقة قلد ابراهيم بن
الاغلب أمر افريقية من أرض المغرب فلم يزل آل الاغلب أمراء افريقية حتى أخرج عنها زيادة الله بن عبد الله هذا في سنة
ست وتسعين ومائتين وقيل في سنة خمس وتسعين ومائتين أخرجه من المغرب أبو عبد الله المحتسب الداعية الذي ظهر في كتامة
وغيرها من البربر فدعا الى عبد الله صاحب المغرب وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب تولية المنصور للاغلب بن سالم السعدي
المغرب (قال) واشتدت علة المكتفي بالله بالدرب فاحضر محمد بن يوسف القاضي وعبد الله بن علي بن أبي الشوارب فاشهدهما
على قضيته بالعهد الى أخيه جعفر وقد قدمنا ذكر وصيته فيما سلف من هذا الكتاب فأغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع
(قال المسعودي) وللمكتفي بالله أخبار حسان وما كان في عصره من الكوائن في قصة ابن الخليجي بمصر وأمر القرمطي بالشام وأمر
ذكرويه وخروجه على ٤٠٠ الحاج وغير ذلك مما كان في خلافته قد أتينا على جميع ذلك في كتابينا أخبار الزمان والاوسط
فأغنى ذلك عن اعادة ذكره

(ذكر خلافة المقتدر بالله)

وبويع المقتدر جعفر بن أحمد في اليوم الذي توفي فيه أخوه المكتفي بالله وكان يوم الاحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين ويكنى أبا الفضل وأمه أم ولد يقال لها شغب

قد هز عزمك كل قطر نازح * وأخاف مملوكا به ومليكا
فاذا سموت الى مرام شاسع * فقصونه عمر المنى تحنيكا
ضمنت رجال الله منك مطالبي * لما جعلتك في الثواب شريكا
فلئن كفيت وجوهها في مقصدي * ورعيتها بركاتها تكفيكا
واذا قضيت حوائجي وأريتني * أملا فسرنك ما أردت بريكا
واشدد على قولي يدا فهو الذي * برهانه لا يقبل التشكيكا
مولاي ما استأثرت عنك بمهجتي * أني ومهجتي التي تفديكا
لكن رأيت جناب شالة مغنما * يضفي على العز في ناديكا
وفروض حقك لا تفوت فوقها * باق اذا استجزيته يجزيكا
ووعدتني وتكرر الوعد الذي * أبت المكارم أن تكون أبيكا
أضفى عليك الله ستر عناية * من كل محذور الطريق يقيكا

وكذلك أم المكتفي أم ولد يقال لها ظلوم وقيل غير ذلك وكان له يوم بويع ثلاث عشرة سنة وقتل ببغداد بعد ببقائك
صلاة العصر يوم الاربعاء لثلاث ليال بقين من شوال سنة عشرين وثلثمائة فكانت خلافته أربعا وعشرين سنة واحد
عشر شهرا وستة عشر يوما وبلغ من السن ثمانيا وثلاثين سنة وخمسة عشر يوما وقد قيل في مقدار عمره غير ما ذكرنا والله أعلم

(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه)

وبويع المقتدر وعلى وزارته العباس بن الحسن الى أن وثب
الحسين بن حمدان ووصيف بن سوار تكين وغيرهما من الاولياء على العباس بن الحسن فقتلوه وفاتكا معه وذلك في يوم
السبت لاحدى عشرة ليلة بقيت من ربيع الاول سنة ست وتسعين ومائتين وكان من أمر عبد الله بن المعتز ومحمد بن داود
وغيرهما ما قد اتضح في الناس واشتهر وأتينا على ذكره في الكتاب الاوسط وغيره من أخبار المقتدر وقد صنف جماعة من
الناس أخبار المقتدر مجتمعة مع أخبار غيره من الخلفاء ومفردة وعمل ذلك في أخبار بغداد وقد صنف أبو عبد الله بن
عبدوس الجهشياري أخبار المقتدر في ألوف من الاوراق ووقع لي منها أجزاء يسيرة (وأخبرني) غير واحد من أهل الدراية أن
ابن عبدوس صنف أخبار المقتدر في ألف ورقة وانما نذكر من أخبار كل واحد منهم لمعا وانما الغرض جوامع من أخباره
تبعث على درسه وحفظ ما فيه ونسخه (وكان) عبد الله بن المعتز أديبا بليغا شاعرا مطبوعا مجودا مقتدرا على الشعر قريب
المأخذ سهل اللفظ جيد القريحة حسن الاختراع للمعاني

فمن ذلك قوله يقول العاذلون تعزعنها * وأطف لهيب قلبك بالسلو وكيف وقبلة منها اختلاسا * ألذ من الشماتة بالعدو (وقوله) ضعيفة أجفانه * والقلب منه حجر * كأنما ألحاظه * من فعله تعتذر (وقوله)
تولى الجهل وانقطع العتاب * ولاح الشيب وافتضح الخضاب لقد أبغضت نفسي في مشيبي * فكيف تحبني الخود الكعاب
(وقوله) عجبا للزمان من حالتيه * وبلاء دفعت منه اليه رب يوم بكيت فيه فلما * صرت في غيره بكيت عليه
وقوله في أبي الحسن على بن محمد بن الفرات الوزير أباحسن ثبت في الأرض وطأتي * وأدركتني في المعضلات الهزاهز
والبستني درعا على حصينة * فناديت صرف الدهر هل من مبارز
(وقوله) ومن شر أيام الفتى بذل وجهه * الى غير من خفت عليه الصنائع
متى يدرك الاحسان من لم تكن له * الى طلب الاحسان نفس تنازع (وقوله)
فان شئت غادتني السقاة بكاسها * وقد فتح الاصباح في ليلة فا نخلت الدجا والفجر قد مد خيطه * رداء موشى بالكواكب معلما
(وقوله) وأبكي اذا ما غاب نجم كأنني * فقدت صديقا أو رزئت حميما
فلوشق من طرف الا الى كواكب * شققت لها من ناظري نجوما ومما أحسن فيه قوله في عبيد الله بن سليمان
لآل سليمان بن وهب صنائع * الى ومعروف لدى تقدما هم وعلموا الايام كيف بنوتي * وهم غسلوا من ثوب والدي الدما
وقوله عند وفاة المعتصم بالله قضوا ما قضوا من حقه ثم قدموا * اماما يؤم الخلق بين يديه ٤٠١

وصلوا عليه خاشعين كأنهم
صفوف قيام للسلام عليه
وقوله في فصادة المعتضد
بالله
يادما سال من ذراع
الامام
أنت أذكى من عنبر ومدام
قد ظننناك اذ جريت الى الطشـ
ـت دموعا من مقلتي مستهام
انما غرق الطبيب شبا المبـ
ـضع في نفس مهجة الاسلام

١٥ ط ش
(وقوله) اصبر على حسد الحسود * فان صبرك يقتله
النار تأكل نفسها * ان لم تجد ما تاكله (وقوله) يطوف بالراح بيننا بشر * محكم في القلوب والمقل
يكاد لحظ العيون حين بدا * يسفك من خده دم الخجل (وقوله) رشا يتيه بحسن صورته * عبث الفتور بلحظ مقلته
أن عقرب صدغه وقفت * لما دنت من نار وجنته (وقوله) اذا اجتنى وردة من خده فه * تكونت تحتها أخرى من الخجل
(قال) وكانت وفاة أبي بكر محمد بن داود بن على بن خلف الاصبهاني الفقيه سنة ست وتسعين ومائتين وكان ممن قدملا في رتبة
الادب وتصرف في بحار اللغة وتمنن في موارد المذاهب وأشفى على أغراض المطالب وكان عالما بالفقه منفردا وواحدا فيه
فريدا وألف في عنفوان صباه وقبل كماله وانتهائه الكتاب المعروف بالزهرة ثم تناهت فكرته ونسقت قوته فصنف
الفقهيات ككتابه في الوصول الى معرفة الأصول وكتاب الانذار وكتاب الأعذار والأنجار وكتابه المعروف بالانتصار
على محمد بن جرير وعبيد الله بن شرشي وعيسى بن ابراهيم الضرير (ومما قال) فيه فاحسن في عنفوان شبابه وأثبته في كتابه
المترجم بالزهرة وعزاه الى بعض أهل عصره وان كان محسنا في سائر كلامه من منظومه ومنثوره قوله
على كبدي من خيفة البين لوعة * يكاد لها قلبي أسى يتصدع يخاف وقوع البين والشمل جامع
فيبكي بعين دمعها متسرع * فلو كان مسرورا بما هو واقع * كما هو محزون بما يتوقع

بقائك الدنيا تحاط وأهلها * فالله جل جلاله يبقيكا انتهى
فلما وصل الكتاب الى السلطان أجابه بما مر آنفا * ورأيت بخط الفقيه الاديب المؤرخ
أبي عبد الله محمد بن الحداد الوادي آشي نزيل تلمسان على هامش قول ابن الخطيب في هذه
الرسالة ولا شك عند عاقل أنكم ان انحلت عروة تأميلكم الخ ما صورته كذلك وقع
آخر الامر وكان الاستيلاء على مدينة غرناطة آخر ما بقي من بلاد الاندلس للاسلام في محرم
عام سبعة وتسعين وثمانمائة فرحم الله تعالى ابن الخطيب العاقل اللبيب وغفر له برحمته
انتهى * ومما خاطب به لسان الدين السلطان أبا سالم في الغرض المتقدم قوله
عن باب والدك الرضا لا أبرح * يأسو الزمان لاجل ذا أو يجرح
ضربت خيامي في حماه فصبيتي * تجني الجميم به وبهمي تسرح
حتى يراعي وجهه في وجهتي * بعناية تشفي الصدور وتشرح
أيسوغ عن مثواه سيري خائبا * ومنابر الدنيا بذكرك تصدح

لكان سواء برؤه وسقامه * ولكن وشك البين أدهى وأوجع (وقوله)

تمتع من حبيبك بالوداع * الى وقت السرور بالاجتماع فكم جربت من وصل وهجر * ومن حال ارتفاع واتضاع

وكم كأس أمر من المنايا * شربت فلم يضق عنها ذراعي فلم أرى في الذي لاقيت شيأ * أمر من الفراق بلا وداع

تعالى الله كل مواصلات * وان طالت تؤل الى انقطاع (وقوله)

لا خير في عاشق يخفي صبابته * بالقول والشوق في زفراته بادي يخفي هواه وما يخفى على أحد

حتى على العيس والركبان والحادي (وفي سنة ثلاث وثلثمائة) في خلافة المقتدر بالله كانت وفاة علي بن محمد بن

نصر بن منصور بن بسام وكان شاعرا لسانا مطبوعا في الهجاء ولم يسلم منه وزير ولا أمير ولا صغير ولا كبير وله في هجاء أبيه

واخوته وسائر أهل بيته فما قال في أبيه بني أبو جعفر دارا فشيدها * ومثله لخيار الدور بناء

فالجوع داخلها والذل خارجها * وفي جوانبها بؤس وضراء (وله فيه)

ما ينفع الدار من تشييد حائطها * وليس داخلها خبز ولا ماء (وله فيه)

هبك عمرت عمر عشرين نسرا * أترى أنني أموت وتبقى فلئن عشت بعد يومك يوما * لاشقن جيب مالك شقا

(وله فيه) رأى الجوع طباه ويحمي ويحتمي * فلست ترى في داره غير جائع ويزعم ان الفقر في الجود والسخا

وأن ليس حظ في اكتساب الصنائع ٤٠٢ * لقد أمن الدنيا ولم يخش صرفها * ولم يدر أن المرء رهن الفجائع

(وأنشدني) أبو الحسن محمد ابن علي الفقيه الوراق الانطاكي بانطاكية لعلي ابن محمد بن بسام يهجو الموفق والوزير أبا الصقر اسمعيل بن بلبل والطائي أمير بغداد وعبدون النصراني أخا صاعد وأبا العباس بن بسام وحامد بن العباس وزير المقتدر بالله بعد ذلك واسحق بن عمران أمير الكوفة يومئذ

أيرجو الموفق نصر الاله * وأمر العباد الى دانيه ومن قبلها كان أمر العباد * لعمر أبيك الى زانيه السلطاني

فان رضيت رضيت أنه * كداليه فوقها داليه وظل ابن بلبل يدعى الوزير * ولم يك في الاعصر الخاليه

وطحان طي تولى الجسور * وسقي الفرات وزرقاميه ويحكم عبدون في المسلمين * ومن ضله موجد الحاليه

وأحول بسطام طل المشير * وكان يحوك بير زاطيه وحامد يا قوم لو أمره * الى لالزمته الراويه

نعم ولا رجمته صاغرا * الى بيع رمان حصراويه واسحق عمران يدعى الامير * لداهية أيما داهيه

فهذي الخلافة قد ودعت * وظلت على عرشها خاويه فخل الزمان لاوغاده * الى لعنة الله والهاويه

فيا رب قد ركب الارذلون * ورجلي في رحلهم عاليه فان كنت حاملنا مثلهم * والا فأرجل بني الزانيه

جمع في شعره هذا جميع رؤساء أهل الدولة في ذلك العصر (وأنشد) أبو اسحق الزجاج النحوي صاحب المبرد في المعتضد وقد

ختن ابنه جعفرا المقتدر اذ صرف الناس من ختان * يدعون من جوعهم حزاما فقلت لا تعجبوا لهذا * فهكذا تختن اليتامى

(وله أيضا في المعتضد) الى كم لا نرى ما نرتجيه * ولا نغلث من امل كذوب

لئن سموك معتضدا فاني * اظنك سوف تعضد عن قريب (وله في الوزير) العباس بن الحسن وابن عمرويه الخراساني

وكان أمير بغداد يومئذ لعن الله الذي قلد عباس الوزاره والذي ولى ابن عمر * ويه بغداد الاماره

أنا في جماه وأنت أبصر بالذي * يرضيه منك فوزن عقلك أرجح

في مثلها سيف الحمية ينتضى * في مثلها زند الحفيظة يقدح

وعسى الذي بدأ الجميل يعيده * وعسى الذي سد المذاهب يفتح انتهى

وقد عرف في الاحاطة بالسلطان أبي سالم فقال بعد كلام أملاك المسلمين وحماة الدين وأمراء المغرب الاقصى من بني مرين غيوث المواهب وليوث العرين ومعتمد الصريخ وسهام الكافرين حفظ الله تعالى على الاسلام والمسلمين ظلهم وزين ببدور الدنيا والدين هالتهم وأبقى الكلمة فيمن اختاره منهم أو من أقاربهم فما عسى أن يطنب اللسان في مدحهم وأين تقع العبارة وماذا يحصر الوصف الى أن قال وفاته وفي ليلة العشرين من ذي القعدة من عام اثنين وستين وسبعمائة ثار عليه بدار الملك وبلد الامارة المعروف بالبلد الجديد من مدينة فاس الخائن الغادر مخالفه عليها عمر بن عبد الله بن علي نسمة السوء وجملة الشؤم والمثل البعيد في الجراءة على الله تعالى وقد اهتبل غرة انتقاله الى القصر

لوز برشمج الوجـــــه بطين كالقواره وقفا فيـه سناما * ن ورأس كالخياره لم يزل يعرف بالزفـــن قديما والعياره
وأمير أعجـمى * كحمار ابن حماره رحل الاسلام عنا * بتوليه الوزاره (وأنشدنى فى أبى الحسن جحظة البرمكى المغنى)
بجحظة المحسن عندى يد * أشكرها منه الى المحشر لما أرانى وجه برذونه * وصاننى عن وجهه المنكر
(وله فى أبيه محمد بن نصر بن منصور بن بسام) خبيصة تعقد من سكره * وبرمـة تطبخ فى قنبره
عندفتى أسمح من حاتم * يطبخ قدرين على مجمره وليس ذا فى كل أيامه * لكنه فى الدعوة المنكره
فى يوم لهو وفطـع هائل * ومجمع اللذات والقرقره يقول للآكل من خبزه * تعسا لهذا البطن ما أكبره
(وله فى أبيه أيضا) خبز أبى جعفر طباشير * فيه الافاويه والعقاقير فيه دواء لكل معضلة * للبطن والصدر والبواسير
وقصعة الاكل مثل مدهنة * يرهق من حولها النواظير ونيل ما ترتجيه من يده * ما ليس تجرى به المقادير
(وله فيه) بعثت لاستهديه عيرا ولم أكن * لأعلم أن العير صار لنا صهرا
فوجه لى كى نستوى فى ركوبه * فيركبه بطنا وأركبه ظهرا (وقال فى جماعة من الرؤساء)
قل للرؤس ومن ترجى نوافلهم * ومن يؤمل فيه الرفد والعمل ان تشغلونى بأعمال أصيرها * شغلا والا ففى أعراضكم شغل
وقوله مالى رأيتك دائبا * مستسخطا أبدا الرزقك ارجع الى ما تستحق فان قوتك فوق حقـــك
(وله فى عبيد الله بن سليمان الوزير) عبيد الله ليس له معاد * ولا عقل وليس له سداد

رددت الى الحياة فعدت عنها
اقول الله لو ردوا لعادوا
(وله فى القاسم بن عبيد الله ابن سليمان)
قل للولى دولة السلطان
عند الكمال توقع النقصان
كم من وزير قد رأيت معظما
أضحى بدار مذلة وهوان
(وله فى عبيد الله بن سليمان)
لابد يا نفس من سجود

فى زمن القرد للقرود هبت لك الريح يا ابن وهب * فخذ لها أهبة الركود (وله فى اسمعيل بن بلبل الوزير)
لابى الصقر دولة * مثله فى التخلف حزنة حين المعت * آذنت بالتكشف (وله فى العباس بن الحسن الوزير)
تحمل أوزار البرية كلها * وزير بظلم العالمين يجاهر ألم تر أسباب الذين تقدموا * وكيف أتتهم بالبلاء الدوائر
(وله فى الوزير صاعد بن مخلد) نجدنا للقرود رجاء دنيا * حوتها دوننا أيدى القرود
فما نالت أنامنا بشئ * عملناه سوى ذاك السجود (وله فى العباس بن الحسن الوزير)
بنيت على دجلة مجلسا * تباهى به فعل من قد مضى فلا تفرحن فكم مثل ذا * رأيناه ما تم حتى انقضى
(وله فى الوزير على بن محمد بن الفرات) وقفت شهورا للوزير أعدها * فلم تدنه منى الحقوق السوالف
فلا هو يرعى لى رعاية مثله * ولا أنا أستحى الوقوف وآنف (وله فى أبى جعفر محمد بن جعفر القوملى)
سألت أبا جعفر * فقال يدى تقصر فقلت له عاجلا * يكون كما تذكر (وله فيه)
لحية كنة أضربها النتـــف ووجه مشوه ملعون قلت لما بدا لجمعهم فى القو * لو يهذى كأنه مجنون
صدق الله أنت من ذكر الله مهين ولا يكاد يبين (وله فى ابن المرزبان وقد كان سأله دابة فمنعه)
بخلت على بعقرف عطب * فلم ترانى ما مشت أركبه وان تكن صنته فما خلق الله مصـــونا وأنت تركبه

السلطانى بالبلد القديم متحولا اليه حذرا من قطع فلكى كان يحذر منه استعجاله بضعف
نفسه وأعانه على فرص صحة الحكم به وسد الباب فى وجهه ودعا الناس الى بيعة أخيه المعتوه
وأصبح حائرا بنفسه يروم ارتجاع أمر ذهب من يده ويطوف بالبلد يلتمس وجها الى نجاح حيلة
فاعياه ذلك ورشقت من معه السهام وفرت عنه الاجناد والوجوه وأسلمه الدهر وتبرأ منه الجد
وعندما جن عليه الليل فر لوجهه وقد التف عليه الوزراء فسفهت حلومهم وذالت آراؤهم ولو
قصدوا به بعض الجبال المنيعة لولوا أوجههم شطر مظنة الخلاص واتصفوا ببلاغ الاعذار
ولكنهم نكلوا عنه ورجعوا أدراجهم وتسللوا راجعين الى يد غادر الجملة وقد سلبهم الله
سبحانه لباس الحياء والرجولية وتاذن الله تعالى لهم بعد بسوء العاقبة وقصد بعض بيوت
البادية وقد فضحه نهار الغد واقتفى المتبعة أثره حتى وقعوا عليه فسيق الى مصرعه وقتل
بظاهر البلد ثانى اليوم الذى غدر به فيه جعلها الله تعالى له شهادة ونفعه فلقد كان بقية
البيت وآخر القوم دمائة وحياء وبعدا عن الشر وركونا للعاقبة وأنشدت على قبره

الذى وور يت به جثته بالقلعة من ظاهر المدينة قصيدة أديت فيها بعض حقه

بنى الدنيا بنى لمع السراب * لدوا للموت وابنوا للخراب

انتهى المقصود من الترجمة وكان يصف لسان الدين بتقربى وجلدى كما سبقت الاشارة اليه من كلام لسان الدين فيما خاطب به ابن أبى رمانة والله يسبل على الجميع رداء عفوه سبحانه وقد تقدم انه شفع لابن الخطيب عند أهل الاندلس ولذلك قال يخاطبهم

سمى خليل الله أحييت مهجتى * وعاجلنى منك الصريخ على بعد

فان عشت أبلغ فيك نفسى عذرها * وان لم أعش فالله يجزيك من بعدى

(وقال الرئيس الامير الاديب أبو الوليد اسمعيل بن الاحمر فى حق ابن الخطيب ما صورته) هو شاعر الدنيا وعلم المفرد والثنيا وكاتب الارض الى يوم العرض لايدافع مدحه فى الكتب ولايجنح فيه الى العتب آخر من تقدم فى الماضى وسيف مقوله ليس بالكهام اذهو الماضى والا فانظر كلام الكتاب الاول من العصبه كيف كان فيهم بالافادة صاحب القصبه

(وله مما أحسن فيه) تضمن لى فى حاجة ما أحبه * فلما اقتضيت الوعد قطب واعتلى

وصرت عذارا شغله واتصاله * ولولا اتصال الشغل ما كان أشغلا

(ولعلى بن محمد بن بسام) فى هذه المعانى أشعار كثيرة اكتفينا بذكر البعض عن ايرادها وأكثر منه فى هذا الكتاب لما قدمنا ذكره فيما اسلف قبله من الكتب وقد كان أبوه محمد بن جعفر فى غاية الستر والمروأة وكان رجلا مترفا حسن الزى ظاهر المروأة مشغوفا بالنساء (وذكر) أبو عبد الرحمن العتبى قال دخلت عليه يوما شاتيا شديد البرد يغدادفاذا هو فى قبة واسعة قد طليت بالطين الاحمر الارمنى وهو يلوح بريقا فقدرت أن تكون القبة عشرين ذراعا فى مثلها وفى وسطها كانون بزرافين اذا اجتمع ونصب كان مقداره عشرة أذرع فى مثلها وقد ملئ جمر الغضى وهو جالس فى صدر القبة عليه غلالة تسترية وما فضل عن الكانون مفروش بالديباج الاحمر فاجلسنى بالقرب منه فكدت أتلظى فدفع الى جام ماء الورد وقد مزج بالكافور فمسحت به وجهى ثم رأيته قد استسقى ماء فاتوه بماء رأيت فيه ثلجا فلم يكن لى وكد الا قطع ما بينى وبينه ثم خرجت من عنده الى بردمانع وقد قال لى لا يصلح هذا البيت لمن يريد الخروج منه (قال) ودخلت عليه فى بعض الايام وهو جالس فى موضع فى آخر داره وقد رفعه على بركة وفى صدره صفة وهو يشرف منها على البستان وعلى حيز الغزلان وحظيرة القمارى وأشباهها فقلت يا أبا جعفر أنت والله جالس فى الجنة قال فليس ينبغى لك أن تخرج من الجنة حتى تصطبح فيها فما جلست واستقر بى المجلس حتى أتوه بمائدة جزع لم أر احسن منها وفى وسطها جام جزع ملونة قد لوى على جنباتها الذهب الاحمر وهى مملوأة من ماء ورد وقد جعل سافا على ساف كهيئة الصومعة من صدور الدجاج وعلى المائدة سكرجات جزع فيها الاصباغ وأنواع الملح ثم اتينا بخشوشق بلور وبعده بامات اللوزينج ورفعت المائدة وقمنا من فورنا الى موضع الستارة فقدم بين ايدينا اجانة صينى بيضاء قد كرمت بالبنفسج والخيرى واخرى مثلها قد عبى فيها التفاح الشامى قدرنا مقدار ما حضر فيها الف حبة فما رايت طعاما ألطف منه ولا ريحانا اظرف منه فقال لى هذا احق الصبوح فما انسى الى الساعة طيب ذلك اليوم (قال المسعودى) وانما ذكرنا هذا الخبر عن محمد بن جعفر ليعلم ان على بن محمد ابنه أخبر بضد ما كان عليه وانه لم يسلم من لسانه انسان وله أخبار وهجو كثير فى الناس قد أتينا على مبسوطها فيما سلف من كتبنا وما كان من قوله فى القاسم بن عبيد الله ودخوله الى المعتضد وهو يلعب بالشطرنج ويتمثل بقول على بن بسام

حياة هذا كموت هذا * فليس يخلو من المصائب

فلما شال رأسه نظر الى القاسم فاستحيا فقال يا قاسم اقطع لسان ابن بسام عنك فخرج القاسم مبادرا ليقطع لسانه فقال له المعتضد بالبر والشغل ولا تعرض له بسوء فولاه القاسم البريد والجسر جسر قنسرين والعواصم من أرض الشام وما كان من قوله فى أسد بن جهور الكاتب وخبره معه وما عم بهجائه أسدا وغيره من الكتاب وهو

تعس الزمان لقد أتى بعجائب * ومحارسوم الظرف والآداب

أوما ترى أسد بن جهور قد أتى * متشبها بأجلة الكتاب

وأتى باقوام لو انبسطت يدى * فيهم رددتهم الى الكتاب

(ولما قتل) العباس بن الحسن استوزر المقتدر على بن محمد بن موسى بن الفرات يوم الاربعاء لاربع ليال خلون من ذى الحجة سنة تسع وتسعين ومائتين فكانت وزارته الى أن سخط عليه ثلاث سنين وتسعة أشهر وأياما واستوزر محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان فى اليوم الذى سخط فيه على على بن محمد بن موسى بن الفرات وهو يوم الاربعاء لاربع خلون من ذى الحجة

وخلع عليه ولم يخلع على أحد غيره وقبض عليه يوم الاثنين لعشر خلون من المحرم سنة احدى وثلثمائة وخلع على الوزير على بن
عيسى بن داود بن الجراح يوم الثلاثاء لاحدى عشرة ليلة خلت من المحرم سنة احدى وثلثمائة وقبض عليه يوم الاثنين لثمان
خلون من ذى الحجة سنة أربع وثلثمائة واستوزر على بن محمد بن الفرات ثانية وخلع عليه يوم الاثنين لثمان خلون من ذى
الحجة سنة أربع وثلثمائة وقبض عليه يوم الخميس لاربع بقين من جمادى الاولى سنة ست وثلثمائة وخلع على الوزير حامد بن
العباس يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من جمادى الآخرة سنة ست وثلثمائة وأطلق على بن عيسى فى اليوم الثانى من وزارته
وهو يوم الاربعاء وفوضت الامور اليه وقبض على حامد بن العباس واستوزر على بن محمد بن الفرات وهى الثالثة من وزارته
وقد كان ولده محسن بن على هو الغالب على الامور فى هذه الوزارة فاتى على جماعة من الكتاب واستوزر المقتدر عبد الله بن
محمد بن عبيد الله الخاقانى ثم استوزر بعده أحمد بن عبيد الله الخصيبى ثم استوزر على بن عيسى ثانية ثم استوزر على بن محمد بن
على بن مقلة ثم استوزر بعده سليمان بن الحسن بن مخلد ثم استوزر بعده عبيد الله بن محمد الكلواذى ثم استوزر بعده الحسن
ابن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب وهو المقتول بالرقة ثم استوزر بعده الفضل بن جعفر بن موسى بن الفرات (وقتل
المقتدر بالله) ببغداد وقت صلاة العصر يوم الاربعاء لثلاث ليال بقين من شوال سنة عشرين وثلثمائة وكان قتله فى الوقعة التى
كانت بينه وبين مؤنس الخادم بباب الشماسية من الجانب الشرقى وتولى دفن المقتدر العامة وكان وزيره فى ذلك اليوم أبا
الفتح الفضل بن جعفر (وذكر) أن الفضل أخذ الطالع فى وقت ركوب المقتدر بالله الى الوقعة التى قتل فيها
فقال له المقتدر أى وقت
هو فقال وقت الزوال فقطب
له المقتدر وأراد أن لا يخرج
حتى أشرفت عليه خيل
مؤنس فكان آخر العهد
به من ذلك الوقت وكل
سادس من خلفاء بنى
العباس مخلوع مقتول فكان
السادس منهم محمد بن هرون
المخلوع والسادس الآخر
المستعين والسادس الآخر
المقتدر بالله (وللمقتدر
أخبار حسان) وما كان فى أيامه من الحروب والوقائع وأخبار ابن أبى الساج وأخبار مؤنس وأخبار سليمان بن الحسن
الجبارى وما كان منه بمكة فى سنة سبع عشرة وثلثمائة وغيرها وما كان فى المشرق والمغرب قد أتينا على جميع ذلك فى كتابنا
أخبار الزمان مفصلا وفى الكتاب الاوسط مجملا وذكرنا منه فى هذا الكتاب لمعا وأرجو أن يفسح الله لنا فى البقاء ويمد لنا فى
العمر ويسعدنا بطول الايام فنعقب تأليف هذا الكتاب بكتاب آخر نضمنه فنون الاخبار وأنواعا من طرائف الآثار على غير
نظم من تأليف ولا ترتيب من تصنيف على حسب ما يسنح من فوائد الاخبار ويوجد من نوادر الآثار ونترجمه بكتاب
وصل المجالس بجوامع الاخبار ومخلط الآداب تاليا لما سلف من كتبنا ولاحقا لما تقدم من تصنيفنا (وكانت) وفاة موسى بن
اسحق القاضى فى خلافة المقتدر وذلك فى سنة سبع وتسعين ومائتين ومحمد بن عثمان بن أبى شيبة الكوفى ودفن فى الجانب
الشرقى وكان هذا من علماء أهل الحديث وكبار أهل النقل وورد الخبر الى مدينة السلام بان أركان البيت الحرام الاربعة
غرقت حتى عم الغرق المطاف وفاضت بئر زمزم وان ذلك لم يعهد فيما سلف من الزمان (وفيها) كانت وفاة يوسف بن يعقوب
ابن اسمعيل بن حماد القاضى وذلك فى شهر رمضان بمدينة السلام وهو ابن خمس وتسعين سنة وقيل ان فى هذه السنة كانت وفاة
محمد بن داود بن خلف الاصبهانى الفقيه وقد قدمنا ذكره وأن وفاته كانت فى سنة ست وتسعين ومائتين وانما حكينا الخلاف
فى ذلك (وفى هذه السنة) وهى سنة سبع وتسعين ومائتين كانت وفاة ابن أبى عوف البرورى المعدل ببغداد وذلك فى شوال

القصبه للبراعة بالبراعه وبه أسكت صائلهم وما حمدت بكرهم وأصائلهم للجزالة
المشربة بالحلاوه الممكنة من مفاصل الطلاوه وهو نفيس العدوتين ورئيس الدولتين
بالاطلاع على العلوم العقليه والامتاع بالفهوم النقليه لكن صل لسانه فى الهجاء ألسع
وتجاذ نطاقه فى ذلك أنسع حتى صدمنى وعلى القول فيه أقدمنى بسبب هجوه لابن عمى
ملك الصقع الاندلسى سلطان ذلك الوطن فى النفر الجنسى المعظم فى الملوك بالقول الجنى
والانسى ثم صفحت عنه صفحة القادر الوارد من مياه الظفر غير القاذر لان مثلى
لا يليق به اظهار العورات ولا يجمل له تتبع العثرات اتباعا للشرع فى تحريم الغيبه
وضربا عن الكريهه واثباتا لحظوظ النقيبة الرغيبه فاضره لو اشتغل بذنوبه
وتاسف على ماشر به من ماء اللهو بذنوبه وقد قال بعض الناس من تعرض للاعراض
صار عرضه هدفا لسهام الاغراض انتهى * ومثل هذا فى لسان الدين لا يقدح
ومازالت الاشراف تهجى وتمدح وعلى تقدير صدور ما يخدش وجه جنابه الرفيع فالاولى

وهو ابن نيف وثمانين سنة ودفن فى الجانب الغربى وانما ذكرنا هؤلاء لتقدمهم فى السنن واشتهارهم بذلك وحاجة أهل العلم وأصحاب الآثار الى معرفة وقت وفاتهم (وفيها) مات أبو العباس أحمد بن مسروق المحدث وهو ابن أربع وثمانين سنة ودفن بباب آل حرب من الجانب الغربى وقد قدمنا فى هذا الكتاب أخبار من ظهر من آل أبى طالب فى أيام بنى أمية وبنى العباس وفى غيره مما سلف من كتبنا وما كان من أمرهم من قتل أو حبس أو حرب وقد كان ظهر بصعيد مصر أحمد بن محمد بن عبد الله ابن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب فقتله أحمد بن طولون بعد أقاصيص قد أتينا عليها فيما سلف من كتبنا وانما نذكر من ظهر من آل أبى طالب واللمع من أخبارهم فى هذا الكتاب لاشتراطنا فيه على أنفسنا من ايراد ذكرهم ومقاتلهم وغير ذلك من أخبارهم من منذ أمير المؤمنين الى الوقت الذى ينتهى اليه تصنيفنا لهذا الكتاب (وكانت) وفاة يحيى بن الحسين الرسى بعد أن قطن بمدينة صعدة من أرض اليمن فى سنة ثمان وسبعين ومائتين وقام بعده ولده الحسين بن يحيى وكان ظهور أبى الرضا وهو محسن بن جعفر بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد فى أعمال دمشق فى سنة ثلثمائة وكانت له مع أبى العباس أحمد بن كيغلغ وقعة فقتل صبرا وقيل قتل فى المعركة وحمل رأسه الى مدينة السلام فنصب على الجسر الجديد بالجانب الغربى وظهر ببلاد طبرستان والديلم الاطروش وهو الحسن بن على وأخرج عنها المسودة وذلك فى سنة احدى وثلثمائة وقد كان ذا فهم وعلم ومعرفة بالآراء والنحل وقد كان أقام فى الديلم سنين وهم كفار على دين المجوسية ومنهم جاهلية وكذلك الجيل فدعاهم الى الله عز وجل فاستجابوا وأسلموا وقد كان للمسلمين بازائهم ثغور مثل قزوين وغيرها وبنى فى الديلم مساجد والديلم زعم كثير من الناس من ذوى المعرفة بالنسب أنهم من ولد باسل ابن ضبة بن أدّ وأن الجيل من تميم وقد قيل ان دخول الاطروش الى طبرستان كان فى أول يوم من المحرم سنة احدى وثلثمائة وان فى هذا اليوم دخل صاحب البحرين البصرة وقتل أميرها عسكر المفلحى وقد أتينا على خبر الاطروش العلوى وخبر ولده وخبر أبى محمد الحسن بن القاسم الحسنى الداعى واستيلائه على طبرستان ومقتله وما كان من الجيل والديلم فى أمره فى كتابنا أخبار الزمان (وكانت) وفاة أبى العباس أحمد بن سريج القاضى فى سنة ست وثلثمائة (وكانت) وفاة أبى جعفر محمد بن ابراهيم بن جابر القاضى بحلب وأدخل الليث بن على بن الليث ابن أخى الصفار الى مدينة السلام على الفيل فى سنة سبع وتسعين ومائتين وقدامه الجيش وحوله وقد شهر وقيل ان الليث أدخل الى مدينة السلام فى سنة ثمان وتسعين ومائتين (وفى هذه السنة) وهى سنة ثمان وتسعين ومائتين مات ببغداد أبو بكر محمد بن سليمان المروزى المحدث صاحب الجاحظ وقيل أيضا ان وفاته كانت فى سنة ثمان وتسعين (وفى هذه السنة) كان دخول فارس صاحب مراكب الروم وحربها الى ساحل الشأم فافتتح حصن القبة بعد حرب طويل وعدم مغيث يغيثهم من المسلمين وافتتح مدينة اللاذقية فسبى منها خلقا كثيرا ووقع فى الكوفة برد عظيم الواحدة رطل بالبغدادى وريح مظلمة وذلك فى شهر رمضان وانهدم كثير من المنازل والبنيان وكان فيها رجفة عظيمة هلك فيها خلق كثير من الناس هكذا كان بالكوفة فى سنة تسع وثمانين ومائتين وكان بمصر فى هذه السنة زلزلة عظيمة وفيها طلع نجم الذنب (وفيها) غزا دميانة صاحب الغزو والبحر الرومى فى مراكب المسلمين جزيرة قبرس وقد كانوا نقضوا العهد الذى كان فى صدر الاسلام أن لا يعينوا الروم على المسلمين ولا المسلمين على الروم وأن خراجه نصفه للمسلمين ونصفه للروم وأقام دميانة فى هذه الجزيرة أربعة أشهر يسبى ويحرق

أن ينشد

واذا الحبيب أتى بذنب واحد * جاءت محاسنه بألف شفيع

*(وممن أثنى على لسان الدين بن الخطيب) رحمه الله تعالى بعض أكابر علماء تلمسان ولم يحضرنى الآن اسمه فى تأليف عرّف فيه بالشيخ العلامة سيدى أبى عبد الله الشريف التلمسانى وابنيه العالمين أبى يحيى وسيدى عبد الله فقال بعد كلام فى حق الشريف ما نصه وكان علماء الاندلس أعرف الناس بقدره وأكثرهم تعظيما له حتى ان العالم الشهير لسان الدين بن الخطيب صاحب الانباء العجيبة والتآليف البديعة كلما ألف تأليفا بعثه اليه وعرضه عليه وطلب أن يكتب عليه بخطه وكان الشيخ الامام الصدر المفتى أبو سعيد بن لب شيخ علماء الاندلس وآخرهم كلما أشكلت عليه مسئلة كاتبه بها وطلب منه بيان ما أشكل عليه مقرا له بالفضل انتهى ما نقلته من الكتاب المذكور *(رجع) وكتب لسان الدين بن الخطيب متمثلا بشيخه الاوحد قاضى الجماعة أبى البركات بن الحاج البلفيقى

ويفقع مواضع قد تمحص فيها وقد أتينا على خبر هذه الجزيرة فيما سلف من هذا الكتاب عند اخبارنا عن جمل البحار ومبادي الانهار ومطار رحها فمنع ذلك من اعادة وصفها (وفي سنة احدى وثلثمائة) مات عبد الله بن ناجية المحدث بمدينة السلام وكان مولده في سنة اثنتي عشرة ومائتين وكان القبض على ابن الجصاص الجوهري بمدينة السلام في سنة اثنتين وثلثمائة والذي صح مما قبض من ماله من العين والورق والجوهر والفرش والثياب والمستغلات خمسة آلاف ألف وخمسمائة ألف دينار (وفيها) مات القاسم بن الحسن بن الاشيب ويكنى أبا محمد يوم الاثنين لليلتين بقيتا من جمادى الاولى وكان من كبار العلماء والمحدثين ودفن في الجانب الغربي في الشارع المعروف بشارع الحماليق وحضر جنازته محمد بن يوسف القاضي وأبو جعفر محمد ابن اسحق بن البهلول القاضي وغيرهم من الفقهاء والعدول والكتاب وأهل الدولة وهو أبو أبي عمران موسى بن القاسم بن الحسن المعروف بابن الاشيب وهو كبير من فقهاء الشافعيين في هذا الوقت (وفي هذه السنة) وهي سنة اثنتين وثلثمائة ورد الجيش من الغرب فكان لاهل مصر من أصحاب السلطان معهم حروب عظيمة وقتل فيها خلق كثير واستأمن رجل من وجوه البرابرة يعرف بابي حزة الى السلطان وسار الى مدينة السلام فخلع عليه (وفي سنة سبع عشرة وثلثمائة) أدخل يوسف بن أبي الساج الى مدينة السلام وقد شهر على الجمل الفالج وعليه دراعة الديباج التي لبسها عمرو بن الليث ووصيف الخادم وعلى رأسه برنس طويل بشقائق وجلاجل وحوله الجيوش ومؤنس الخادم وراءه مع أرباب الدولة من أصحاب السيوف وقد أتينا على خبر هذه الوقعة التي أسر فيها مؤنس الخادم ابن أبي الساج بناحية اردبيل ومن حضرها من الامراء مثل ابن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان وعلي بن حسان وأبي الفضل المروي وأحمد بن علي بن صعلوك وغيرهم من الامراء والقواد وذكرنا تخلية المقتدر لابن أبي الساج وخروجه من ديار ربيعة ومضر الى بلاد اذربيجان التي هي من أعماله وأرمينية وما كان من غلامه مسلك واستيلائه على عمل مولاه ومفارقته الفارقي وما كان من سائر أخبار ابن أبي الساج ومسيره الى واسط ثم مسيره الى الكوفة وما كان من خبره في حربه لابي طاهر سليمان بن الحسن الجنابي وأسره اياه وقتله له نحو الانبار وهيت حين أشرف على سواده بليق ونظيف غلام ابن أبي الساج وما كان في هذه الوقعة وهزمه لبليق ونظيف ومسير القرمطي ونزوله على هيت وغير ذلك وذلك في سنة خمس عشرة وثلثمائة فيما سلف من كتبنا وكذلك ذكرنا ما كان من مؤنس الخادم ومن كان معه من أولياء السلطان من القتال لجيش صاحب المغرب بمصر وذلك في سنة تسع وثلثمائة

(ذكر خلافة القاهر بالله)

وبويع القاهر محمد بن أحمد المعتضد بالله يوم الخميس لليلتين بقيتا من شوال سنة عشرين وثلثمائة ثم خلع يوم الاربعاء لخمس خلون من جمادى الاولى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة وسملت عيناه وكانت خلافته سنة وستة أشهر وستة أيام ويكنى بابي منصور وأمه أم ولد

(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه)

واستوزر القاهر أبا علي محمد بن علي ابن مقلة في سنة احدى وعشرين وثلثمائة ثم عزله واستوزر أبا جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله الخصيبي وكانت أخلاقه لا تكاد تحصى لتقلبه وتلونه وكان شهما شديد البطش باعدائه وأباد جماعة من أهل الدولة منهم مؤنس الخادم وبليق وعلي بن بليق فهابه الناس وخشوا صولته واتخذ حربة عظيمة يحملها في يده اذا سعى في داره ويطرحها بين يديه في حال جلوسه يباشر الحرب بتلك الحربة لمن يريد قتله فسكن من كان يتعدى على من قبله من الخلفاء والتشغيب والوثب عليهم وكان

رحمهما الله تعالى

أيتها النفس اليه اذهبي * فحبه المشهور من مذهبي

أيأسني التوبة من حبه * طلوعه شمسا من المغرب

ويغلب على ظني انه خاطبه بذلك عند قدومه أعني لسان الدين من المغرب الى الاندلس والله تعالى أعلم *(وكان قاضي القضاة برهان الدين الباعوني الشامي) كثير الثناء على لسان الدين رحمه الله تعالى لانه تلقى أخباره من قاضي القضاة ابن خلدون حسبما ذكرناه في غير هذا الموضع ولقد رأيت بخطه على هامش بعض تآليف لسان الدين في الانشاء مانصه هذا بليغ الى الغاية انتهى *وكتب اثره بعض أكابر علماء المشرق مانصه هذا خط العلامة قاضي القضاة برهان الدين الباعوني وهو شديد الاعتناء والمدح للمصنف ابن الخطيب الاندلسي معظم له ولانشائه وهو خليق بالتعظيم جدير بمزيد التمجيد والتكريم وكيف لا وهو شاعر مفلق وخطيب مصقع وكاتب مترسل بليغ لولا مافي انشائه من الاكثار

قليل التثبت فى أمره مخوف السطوة فاذا ما وصفنا من فعله الى أن احتيل عليه فى داره فقبض عليه وسملت كلتا عينيه وهو حى هذا فى الجانب الغربى فى دار ابن طاهر على ما نمى الينا من خبره واتصل بنا من أمره وذلك أن الراضى بالله غيب خبره وقطع ذكره فلما بويع ابراهيم المتقى لله أصيب القاهر معتقلا فى بعض المقاصير فامر به الى دار ابن طاهر فاعتقل بها الى هذه الغاية التى وصفنا (وذكر) محمد بن على العبدى الخراسانى الاخبارى وكان القاهر به آنسا قال خلا بى القاهر فقال اصدقنى أوهذه وأشار الى بالحربة فرأيت والله الموت عيانا بينى و بينه فقلت أصدقك يا أمير المؤمنين فقال لى انظر يقولها ثلاثا فقلت نعم يا أمير المؤمنين قال عما أسألك عنه ولا تغيب عنى شيئا ولا تحسن القصة ولا تسجع فيها ولا تسقط منها شيئا قلت نعم يا أمير المؤمنين قال أنت علامة باخبار بنى العباس من أخلاقهم وشيمهم من أبى العباس فن دونه فقلت على أن لى الامان يا أمير المؤمنين قال ذلك لك قال قلت أما أبو العباس السفاح فكان سريعا الى سفك الدماء واتبعه عماله فى الشرق والغرب من فعله واستنوا بسيرته مثل محمد بن الاشعث بالمغرب وصالح بن على بمصر وحازم بن خزيمة وحميد بن قحطبة وكان مع ذلك بحرا سمحا وصولا جوادا بالمال وسلك من ذكرنا ممن كان فى عصره سبيله وذهبوا مذهبه مؤتمين به قال وأخبرنى عن المنصور قلت الصدق يا أمير المؤمنين قال الصدق قلت كان والله أول من أوقع الفرقة بين ولد العباس بن عبد المطلب و بين آل أبى طالب وقد كان قبل ذلك أمرهم واحدا وكان أول خليفة قرب المنجمين وعمل باحكام النجوم وكان معه نوبخت المجوسى المنجم وأسلم على يديه وهو أبو هؤلاء النوبختية وابراهيم الفزارى المنجم صاحب القصيدة فى النجوم وغير ذلك من علوم النجوم وهيئة الفلك وعلى بن عيسى الاسطرلابى المنجم وهو أول خليفة ترجمت له الكتب من اللغات العجمية الى العربية منها كتاب كليلة ودمنة وكتاب السندهند وترجمت له كتب ارسطاطاليس من المنطقيات وغيرها وترجم له كتاب المجسطى لبطليموس وكتاب الارثماطيقى وكتاب اقليدس وسائر الكتب القديمة من اليونانية والرومية والفهلوية والفارسية والسريانية وخرجت الى الناس فنظروا فيها وتعلقوا الى علمها وفى أيامه وضع محمد بن اسحق كتاب المغازى والسير وأخبار المبتدا ولم تكن قبل ذلك مجموعة ولا معروفة ولا مصنفة وكان أول خليفة استعمل مواليه وغلمانه وصرفهم فى مهماته وقدمهم على العرب فاتخذت ذلك الخلفاء من بعده من ولده فسقطت و بادت العرب وزال باسها وذهبت مراتبها وأفضت الخلافة اليه وقد نظر فى العلوم وقرا المذاهب وارتاض فى الآراء ووقف على النحل و كتب الحديث فكثرت فى أيامه روايات الناس واتسعت عليهم علومهم قال القاهر قد قلت فاحسنت وعبرت فبينت فاخبرنى عن المهدى كيف كانت خلافته قلت كان سمحا سخيا كريما جوادا فسلك الناس فى عصره سبيله وذهبوا فى أمرهم مذهبه واتسعوا فى مساعيهم وكان من فعله فى ركوبه أن يحمل معه بدر الدراهم فلا يسأله أحد الا أعطاه وان سكت ابتدأه المفرق بين يديه وقد تقدم بذلك اليه وامعن فى قتل الملحدين والذاهبين عن الدين لظهورهم فى أيامه واعلانهم باعتقاداتهم فى خلافته لما انتشر من كتب مانى وابن ديصان ومرقيون مما نقله عبد الله بن المقفع وغيره وترجمت من الفارسية والفهلوية الى العربية وما صنف من ذلك ابن أبى العرجاء وحماد عجرد و[يحيى بن زيـ]ـاد ومطيع بن إياس من تاييد المذاهب المانية والديصانية والمرقونية فكثر بذلك الزنادقة وظهرت آراؤهم فى الناس وكان المهدى أول من أمر الجدليين من أهل البحث من المتكلمين بتصنيف الكتب على الملحدين ممن ذكرنا

الذى لا يكاد يخلو من عثار والاطناب الذى يفضى الى الاجتناب والاسهاب الذى يقد الاهاب ويورث الالتهاب انتهى قلت وهذا الانتقاد غير مسلم فان لسان الدين وان أطنب وأسهب فقد سلك من البلاغة أحسن مذهب ورحم الله تعالى العلامة البرهان الباعونى المذكور رأى علاه اذ كتب بخطه فى آخر بعض تآليف لسان الدين فى الانشاء ما صورته قال كاتبه ابراهيم بن أحمد الباعونى لطف الله تعالى به الحمد لله على ما ألهم من البيان وعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم وقفت على هذا الكتاب من أوله الى آخره وعمت من بحر بلاغته فى زاخره وعددته من مناقب مؤلفه ومفاخره فانه برز فيه غاية التبريز وأتى بما هو أحسن من الذهب الابريز لا بل بما هو أبهى من الجواهر والنجوم الزواهر وعجبت من تلك الالفاظ المشبهة لسحر الالحاظ ورقة المعانى المحكمة المبانى انتهى فانظر أيدك الله تعالى بعين الانصاف الى كلام هذا الفاضل المنصف الكامل وقسه مع كلام ذلك المنتقد المتعصب الناقص الخامل مع أن الكلام الذى

من الجاحدين وغيرهم وأقاموا البراهين على المعاندين وأذلوا شبه الملحدين فاوضحوا الحق للشاكين وشرع في بناء المسجد الحرام ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم على ماهما عليه الى هذه الغاية وبنى بيت المقدس وقد كان هدمته الزلازل قال فأخبرني عن الهادي على قصر أيامه كيف كانت أخلاقه وشيمه قلت كان جبارا عظيما وأول من مشت الرجال بين يديه بالسيوف المرهفة والاعمدة المشهورة والقسي الموتورة فسلكت عماله طريقته و يمموا منهجه و كثر السلاح في عصره قال لقد أجدت في وصفك وبالغت فيما ذكرت من قولك فاخبرني عن الرشيد كيف كانت طريقته قلت كان مواظبا على الحج والغزو واتخاذ المصانع والا آبار والبرك والقصور في طريق مكة وأظهر ذلك بها وبمنى وعرفات ومدينة النبي صلى الله عليه وسلم فعم الناس احسانه مع ما قرن به من عدله ثم بنى الثغور ومدن المدن وحصن فيها الحصون مثل طرسوس وأذنة وعمر المصيصة ومرعش وأحكم بناء الحرب وغير ذلك من دور السبيل والمواضع للمرابطين واتبعه عماله وسلكوا طريقته ! وقفته رعيته مقتدية بعمله مستنة بامامته فغمط الباطل وأظهر الحق وأنار الاسلام و برز على سائر الامم و كان أحسن الناس في أيامه فعلا أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور لما أحدثته من بناء دور السبيل بمكة واتخاذ المصانع والبرك والا آبار بمكة وطريقها المعروف الى هذه الغاية وما أحدثته من الدور للسبيل بالثغر الشامي وطرسوس وما أوقفت على ذلك من الوقوف وما ظهر في أيامه من فعل البرامكة وجودهم وافضالهم وما اشتهر عنهم من أفعالهم وكان الرشيد أول خليفة لعب بالصولجان في الميدان ورمى بالنشاب في البرجاس ولعب بالاكرة والطبطاب

وقرب الحذاق في ذلك فعم الناس ذلك الفعل وكان أول من لعب بالشطرنج من خلفاء بني العباس والنرد وقدم اللعاب وأجرى عليهم الرزق فسمى الناس أيامه لنضارتها و كثرة خيرها وخصبها أيام العروس وكثير ممن يجاوز النعت ويتفاوت فيه الوصف قال القاهر فأراك قد قصرت في تفضيل أم جعفر فلم ذلك قلت يا أمير المؤمنين ميلا الى الاختصار وطلبا للايجاز قال فتناول الحربة وهزها فرأيت الموت الاحمر في طرفها ثم برق عينيه مع ذلك فاستسلمت وقلت هذا ملك الموت ولم أشك أنه يقبض روحي فاهوى بها نحوي فزغت منها فاسترجع وقد أخطأتني فقال ويلك أبغضت ما فيه عيشك وملك الحياة قلت هو يا أمير المؤمنين قال أخبار أم جعفر زدني منها قلت نعم يا أمير المؤمنين كان من فعلها وحسن سيرتها في الجد والهزل ما برزت فيه على غيرها فاما الجد والآثار الجميلة التي لم يكن في الاسلام مثلها مثل حفرها العين المعروفة بعين المشاش بالحجاز فانها حفرتها ومهدت الطريق لمائها في كل خفض ورفع وسهل وجبل ووعر حتى أخرجتها من مسافة اثني عشر ميلا الى مكة فكان جملة ما أنفق عليها مما ذكر وأحصى ألف ألف وسبعمائة ألف دينار وما قدمت ذكره من المصانع والدور والبرك والآبار بالحجاز والثغور وانفاقها الالوف على ذلك دون ما كان في وقتها من البذل وما عم أهل الفاقة من المعروف والخصب وأما الوجه الثاني مما تتباهى به الملوك في أعمالهم وينعمون به في أيامهم ويصونون به دولهم ويدونون في أفعالهم وسيرهم فهو أنها أول من اتخذ الآلة من الذهب والفضة المكللة بالجوهر وصنع لها الرفيع من الوشي حتى بلغ الثوب من الوشي الذي اتخذ لها خمسين ألف دينار وهي أول من اتخذ الشاكرية من الخدم والجواري يختلفون على الدواب في جهاتها و يذهبون في حوائجها برسائلها وكتبها وأول من اتخذ القباب الفضة والآبنوس والصندل وكلاليبها من الذهب والفضة ملبسة بالوشي والسمور والديباج وأنواع الحرير من الاحمر والاصفر

تعرض له ذلك بالقدح هو الذي تصدى له الباعوني بالمدح وكل اناء بالذي فيه ينضح وانما يعرف الفضل لاهل الفضل أهل الفضل والامر أجلى من أن يقام عليه دليل وأوضح (رجع) الى ما كنا بصدده وقال الوزير ابن عاصم عندما أجرى ذكر سلطان ابن الخطيب أمير المسلمين الغني بالله بعد كلام كثير ما صورته محل الحاجة منه وكان هذا السلطان من نيل الاغراض على أكمل ما يكون عليه مثله ممن نزع غرقا في قوس الخلافة وحكى لي شيخنا القاضي أبو العباس الحسني أن كبير ولده الامير أبا الحجاج طلب من الشيخ ذي الوزارتين أبي عبد الله بن الخطيب أن يطلب من أبيه الغني بالله أن يبادر باعذاره اذ كان قد جاوز سن الاثغار دون اعذار لمكان ما لحق والده من التمحيص وغير ذلك من الحوادث المهمة فاسعده الشيخ بذلك وقال للغني بالله يا مولاي ان سيدي يوسف وكلني على طلب اعذاره من مولانا نصره الله على ما يليق بك وبه فقال له الغني بالله حسبي الله وسكت سكتة لطيفة تشعر بفصل الكلام بعضه من بعض ثم قال ونعم الوكيل فعدها الاكياس

من مدارك نبله ومحاسن قوله وفعله انتهى قلت هذا من السلطان في حق لسان الدين غاية التبجيل أعني قوله ونعم الوكيل فاين هذا من سماع كلام أعدائه فيه بعد حتى آل أمره الى النحس بعد ذلك السعد وسقاه دهره بعد الحلاوة مامر ولم يكن قتله الا بسبب السلطان المذكور وكما

ثلاثة ليس لها أمان * البحر والسلطان والزمان

(وقال لسان الدين رحمه الله تعالى) ولما قضى الله عز وجل بالادالة ورجعنا الى أوطاننا من العدوة واشتهر عني ما اشتهر من الانقباض عن الخدمة والتيه على السلطان والدالة والتكبر على أعلى رتب الخدمة وتطارحت على السلطان في استنجاز وعد الرحلة ورغبت في تبرئة الذمة ونفرت عن الاندلس بالجملة خاطبني يعني أبا جعفر بن خاتمة بعد صدر بلغ من حسن الاشارة وبراعة الاستهلال الغاية بقوله والى هذا ياسيدي ومحل تعظيمي واجلالي أمتع الله تعالى الوجود بطول بقائكم وضاعف في العز درجات ارتقائكم فانه من الامر الذي

والاخضر والازرق واتخذت الخفاف المرصعة بالجوهر وشمع العنبر وتشبه الناس في سائر افعالهم بام جعفر ولما افضى الامر الى ولدها يا امير المؤمنين قدم الخدم وآثرهم ورفع منازلهم ككوثر وغيره من خدمه فلما رأت أم جعفر شدة شغفه بالخدم واشتغاله بهم اتخذت الجواري المقدودات الحسان الوجوه وعممت رؤسهن وجعلت لهن الطرر والاصداغ والاقفية وألبستهن الاقبية والقراطق والمناطق فبانت قدودهن وبرزت أردافهن وبعثت بهن اليه فاختلفن في يديه فاستحسنهن واجتذبن قلبه اليهن وأبرزهن للناس من الخاصة والعامة واتخذ الناس من الخاصة والعامة الجواري المطمومات وألبسوهن الاقبية والمناطق وسموهن الغلاميات فلما سمع القاهر ذلك الوصف ذهب به الفرح والطرب والسرور ونادى بأعلى صوته يا غلام قدح على وصف الغلاميات فبادر اليه جوار كثيرة قدهن واحد توهمتهن غلمانا بالقراطق والاقبية والطرر والاقفية ومناطق الذهب والفضة فاخذ الكاس بيده فاقبلت أتامل صفاء جوهر الكاس ونورية الشراب وشعاعه وحسن أولئك الجواري والحربة بين يديه وأسرع في شربه فقال هيه فقلت نعم يا أمير المؤمنين ثم أفضى الامر الى المامون فكان في بدء أمره لما غلب عليه الفضل بن سهل وغيره يستعمل النظر في أحكام النجوم وقضاياها وينقاد الى موجباتها ويذهب مذاهب من سلف من ملوك ساسان كاردشير بن بابك واجتهد في قراءة الكتب القديمة وأمعن في درسها وواظب على قراءتها فافتن في فهمها وبلغ درايتها فلما كان من الفضل بن سهل ذي الرياستين ما اشتهر وقدم العراق فانصرف عن ذلك كله وأظهر القول بالتوحيد والوعد والوعيد وجالس المتكلمين وقرب اليه كثيرا من الجدليين والنظارين كأبي الهذيل وأبي اسحق ابراهيم بن سيار النظام وغيرهم ممن وافقهم وخالفهم وألزم مجلسه الفقهاء وأهل المعرفة من الادباء وأقدمهم من الامصار وأجرى عليهم الارزاق فرغب الناس في صنعة النظر وتعلموا البحث والجدل ووضع كل فريق منهم كتبا ينصر فيها مذهبه ويؤيد بها قوله وكان أكثر الناس عفوا وأشدهم احتمالا وأحسنهم مقدرة وأجودهم بالمال الرغيب وأبذلهم للعطايا وأبعدهم من التسافه واتبعه وزراؤه وأصحابه في فعله وسلكوا سبيله وذهبوا مذهبه ثم المعتصم فانه يا أمير المؤمنين لم سلك في النحلة رأى أخيه المامون وغلب عليه حب الفروسية والتشبه بالملوك الاعاجم في الآلة ولبس القلانس والشاشيات فلبسها الناس اقتداء بفعله وائتماما به فسميت المعتصميات وعم الناس افضاله وأمنت به السبل في أيامه وشمل احسانه ثم هرون بن محمد الواثق فانه اتبع ديانة أبيه وعمه وعاقب المخالف وامتحن الناس وكثر معروفه وأمر القضاة في سائر الامصار أن لا يقبلوا شهادة من خالفه وكان كثير الاكل واسع العطاء سهل الانقياد متحببا الى رعيته ثم المتوكل يا أمير المؤمنين فانه خالف ما كان عليه المامون والمعتصم والواثق من الاعتقاد ونهى عن الجدل والمناظرة في الآراء وعاقب عليه وأمر بالتقليد وأظهر الرواية للحديث فحسنت أيامه وانتظمت دولته ودام ملكه وغير ذلك يا أمير المؤمنين مما اشتهر من أخلاقه قال القاهر قد سمعت كلامك وكأني مشاهد للقوم على ما وصفت معاين لهم فيما ذكرت ولقد سرني ما سمعت منك ولقد فتحت أبواب السياسة وأخبرت عن طرق الرياسة ثم أمر لي بجائزة عجل لي عطاءها في وقتها ثم قال لي اذا شئت فقم فقمت وقام على أثري بحربته فخيل والله لي أن يرميني بها من ورائي ثم عطف نحو دار الخدم فما مضت الايام يسيرة حتى كان من أمره ما ظهر (قال المسعودي) وهذا الرجل الذي أخبرت عنه بهذا الحديث له أخبار حسان وهو حي يرزق الى هذه الغاية وهي

سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة تمدحا للملوك شاعر الاهل الرياسات حسن الفهم جيد الرأى (وفى خلافة القاهر بالله) وهى سنة احدى وعشرين وثلثمائة كانت وفاة أبى بكر محمد بن الحسن بن دريد ببغداد وكان ممن قد برع فى زماننا هذا فى الشعر وانتهى فى اللغة وقام مقام الخليل بن أحمد فيها واورد أشياء فى اللغة لم توجد فى كتب المتقدمين وكان يذهب فى الشعر كل مذهب فطورا يجزل وطورا يرق وشعره أكثر من أن نحصيه أو ياتى عليه كتابنا هذا فن جيد شعره قصيدته المقصورة

وأولها

أما ترى رأسى حاكى لونه * طرة صبح تحت أذيال الدجى

واشتعل المبيض فى مسوده * مثل اشتعال النار فى جزل الغضى

(ومنها)

لست اذا ما أنهضتنى غمرة * ممن يقول بلغ السيل الزبى

ان الجديدين اذا ما استوليا * على جديد أدنياه للبلى

(ومنها)

وان ثوت بين ضلوعى زفرة * تملا ما بين الرحا الى الرحا

وقد عارضه فى هذه القصيدة المقصورة جماعة من الشعراء منهم أبو القاسم على بن محمد بن داود بن الفهم التنوخى الانطاكى وهو فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة بالبصرة فى جملة البريديين وأول قصيدته المقصورة التى يمدح فيها تنوخ وقومه من قضاعة

لولا انتهائى لم أطع نهى الهوى * مدى الصبا نطلب من حاز المدى

ان كنت أقصرت فما أقصر قلب داميا ترميه ألحاظ الدمى

ومقلة ان مقلت أهل الغضى * أغضت وفى أجفانها جمر الغضى

(وفيها يقول)

وكم ظباء رعيها ألحاظها * أسرع فى الانفس من حد الظبا

٤١١

أسرع من حرف الى جوء من * حب الى حبة قلب وحشى

فصاعد من ملك ابن حجر * ما بعده لمرتقين مرتقى

وقد سبق الى المقصورة أبو المقاتل نصر بن نصر الحلوانى بن محمد بن زيد الداعى بطبرستان بقوله

قفا خليلى على تلك الربا * وسائلاها أين هاتيك الدمى

أين الاوانس بعث ربوعها * عليك باستنجادها تشفى الجوى

(ولابن ورقاء فى المقصورة أيضا)

ما شئت قل هى المها هى القنا * جواهر يكين أطراف الدمى

وممن تاخر بعد موت ابن دريد العمانى أبو عبد الله المفجع وكان كاتبا شاعرا بصيرا بالغريب وهو صاحب الباهلى المصرى الذى كان يناقض ابن دريد فما جود فيه المفجع قوله

ألا طرب الفؤاد الى ردين * ودون مزارها ذو الحلمتين

الى حبالها وهنا رحلى * فولى رعيه الشرطين عينى

وقد أتينا على ما كان فى أيام القاهر مع قصر مدته من الكوائن فى الكتاب الاوسط فنع ذلك من ذكره فى هذا الكتاب

(ذكر خلافة الراضى بالله)

وبويع الراضى بالله محمد بن جعفر المقتدر ويكنى أبا العباس يوم الخميس لست خلون من جمادى الاولى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة فاقام فى الخلافة الى أن مضى من ربيع الاول عشرة أيام سنة تسع وعشرين وثلثمائة ومات حتف أنفه بمدينة السلام وكانت خلافته ست سنين واحد عشر شهرا وثلاثة أيام وامه أم ولد يقال لها ظلوم

(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه)

واستوزر الراضى أبا على محمد بن على بن مقلة ثم استوزر أبا على عبد الرحمن بن عيسى بن داود بن الجراح ثم أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخى ثم أبا القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد ثم أبا الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات ثم أبا عبد الرحمن بن محمد البزيدى وكان الراضى أديبا شاعرا ظريفا وله أشعار حسان فى معان مختلفة ان لم يكن ضاهى بها ابن المعتز فما نقص عنه فمن ذلك قوله فى حاله وحال معشوقه اذا التقيا

يصفر وجهى اذا تأمله * طرفى ويحمر وجهه خجلا

لم يغب عن رأى العقول ولا اختلف فيه أرباب المعقول أنكم بهذه الجزيرة شمس أفقها وتاج مفرقها وواسطة سلكها وطراز ملكها وقلادة نحرها وفريدة دررها وعقد جيدها المنصوص وتمام زينتها على العموم والخصوص ثم أنتم مدار أفلاكها وسر سياسة أملاكها وترجمان بيانها ولسان احسانها وطبيب مارستانها والذى عليه عقد ادارتها وبه قوام امارتها ولديه يحل المشكل واليه يلجأ فى الامر المعضل فلا غرو أن تقصد بكم الاسماع والابصار وتحدق نحوكم الاذهان والافكار ويزجر عنكم السانح والبارح ويستنبا ما تطرف عنه العين وتختلج الجوارح استقراء لمرامكم واستطلاعا لطالع اعتزامكم واستكشافا عن مرامى سهامكم لاسيما مع اقامتكم على جناح خفوق وظهوركم فى ملتمع بروق واضطراب الظنون فيكم مع الغروب والشروق حتى تستقر بكم الديار ويلقى عصاه التسيار ولله العذر فى ذلك اذ صدعها بفراقكم لم يندمل وسرورها بلقائكم لم يكتمل ولم ير بعد جناحها المهيض ولا جم ماؤها المغيض ولا

حتى كان الذي بوجنته * من دم وجهي اليه قد نقلا (ومن جيد شعره قوله)

يارب ليل قد نام اراه * يسترني ومؤنسي أزراره * ساق مليح القد كدجاره

سراجه ووجهه مناره * يشهد لي بيدله زناره * تاه بخد ظاهر احمراره

ماس مع الجمرة جلناره * أي كثيب قد حوى ازاره * وأي نور ضمنت أزراره

طوع الكؤس غره عذاره * اخفاؤه تعتاده امراؤه * لا كان لو لم يستر غباره

(وقد كان) أبو بكر الصولي يروي كثيرا من أشعار الراضي ويذكر حسن أخلاقه وجميل أخباره وارتياضه بالعلم وفنون الادب واشرافه على علوم المتقدمين وخوضه في بحار الجدليين من أهل الدراية والمتفلسفين (وذكر) أن الراضي رأى في بعض متنزهاته بالبوناب بستانا مونقا وزهرا رائقا فقال لمن حضر هل رأيتم أحسن من هذا فكل قال أشياء ذهب فيها الى مدحه ووصف محاسنه وانها لا يفي بها شيء من زهرات الدنيا فقال لعب الصولي بالشطرنج والله أحسن من هذا ومن كل ما تصفون (وذكر) أن الصولي في بدء دخوله الى المكتفي وقد كان ذكر له بجودة لعبه الشطرنج وكان الماوردي اللاعب معجبا بلعبه فلعبا جميعا بحضرة المكتفي فحمل المكتفي حسن رأيه في الماوردي وتقدم الخدمة والالفة على نصرته وتشجيعه حتى أدهش ذلك الصولي في أول وهلة فلما اتصل اللعب بينهما وجمع له الصولي غايته غلبه غلبا لا يكاد يرد عليه شيأ وتبين حسن لعب الصولي للمكتفي فعدل عن هواه ونصره للماوردي وقال له صار ماء ورد بولا (قال المسعودي) وقد تناهى بنا الكلام وتغلغل بنا التصنيف الى جمل من أخبار الشطرنج وما قيل فيه مع ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا الاخبار الهند ومبادي اللعب بالشطرنج والنرد واتصال ذلك بالاجسام العلوية والاجرام السماوية فلنذكر جملا مما ذكر في ذلك مما لم يتقدم له ذكر فيما سلف من هذا الكتاب وذكر عمرو بن بحر الجاحظ في كتابه في تفصيل صنعة الكلام وهي الرسالة المعروفة بالهاشمية أن الخليل ابن أحمد من أجل احسانه في النحو والعروض وضع كتابا في الايقاع وتراكيب الاصوات وهو لم يعالج وترا قط ولا مس بيده قضيبا قط ولا كثرت مشاهدته للمغنين وكتب كتابا في الكلام ولو جهد كل بليغ في الارض أن يتعمد ذلك الخطأ والتعقيد لما وقع له ولو أن ممرورا استغرق قوى مرته في الهذيان لما تهيأ له مثل ذلك منه ولا يتأتى مثل ذلك لاحد الا بخذلان الله الذي لا يبقى معه شيء قال الجاحظ ولولا أن أسخف الكتاب واهجر الرسالة وأخرجها من حد الجد الى الهزل لحكيت صدر كتابه في التوحيد وبعض ما وصفه في العدل قال ولم يرض بذلك حتى عمد الى الشطرنج فزاده في الدولاب جملا فلعبت به أناس من حاشية الشطرنجيين ثم رموا به وقد ذكر الناس ممن سلف وخلف أن جميع الآلات على هيآت تهاست صور ولم يظهر في اللعب غيرها فأولها آلة المربع المشهورة وهي ثمانية في مثلها ونسبت الى قدماء الهند ثم الآلة المستطيلة وأبياتها أربعة في ستة عشر والامثلة تنصب فيها في أول وهلة في أربعة صفوف من كلا الوجهين حتى تكون الرقاب منها في صفين والبيادق أيضا أمامها صفين ومسيرها كمسير أمثلة الصورة الاولى والآلة المربعة وهي عشرة في مثلها والزيادة في أمثلتها قطعتان تسميان الدبابين ومسيرهما كمسير الشاة الا أنهما يأخذان ويؤخذان ثم الآلة المدورة المنسوبة الى الروم ثم الآلة النجومية التي تسمى الفلكية وأبياتها على عدد نجوم الفلك مقسومة نصفين وينقل فيها سبعة أمثلة مختلفة الالوان على عدد الخمسة

تميزت من داجيها الليالي البيض ولا استوى نهارها ولا تألفت أنهارها ولا اشتملت نعماؤها ولا نسيت نعماؤها بل هي كالناقه والحديث العهد بالمكاره يستشعر نفس العافيه ويتمسح منكم باليد الشافيه فحنانيكم عليها وعظم حرمتكم على من لديها لا تشوبوا لها عذب المجاج بالاجاج وتفطموها عما عودت من طيب المزاج فالداء أنها وحياة قربكم غير طبكم من علاج واني لاخطر بخاطري محبة فيكم وعناية بما يعنيكم ما نال جانبكم صانه الله تعالى بهذا الوطن من الجفاء ثم اذكر ما نالكم من حسن العهد وكرم الوفاء وان الوطن احدى المواطن الاخطار التي يحق لمن جيل الاحتفاء وما يتعلق بكم من حرمة أولياء القرابة وأوداء الصفاء فيغلب على ظني أنكم لحسن العهد أجنح وبحق نفسكم عن حق أوليائكم اسمح والتي هي أعظم قيمة من فضائلكم أوهب وأسمح وهب أن الدر لا يحتاج في الاثبات الى شهادة النحور واللبات والياقوت غني المكان عن مظاهرة القلائد والتيجان أليس أنه أعلى للعيان وأبعد عن مكابرة البرهان تألقها في تاج الملك أنوشروان

الانجم والنيرين وعلى ألوانها (وقد بينا) فيما سلف من أخبار الهند كيفية اتصالها بالاجسام السماوية وقد قيل فى عشقها للاشخاص العلوية أو تحرك الفلك بعشقه لما فوقه وقولهم فى النفس ونزولها من عالم العقل الى عالم الحس حتى نسيت بعد الذكر وجهلت بعد العلم وغير ذلك من تخاليطهم مما يتصل علمه عنده معنى الشطرنج ثم آلة أخرى تسمى الجوارحية استحدثت فى زماننا هذا وهى سبعة أبيات فى ثمانية وأمثالها اثنا عشر فى كل جهة ستة كل واحد من الستة يسمى باسم جارحة من جوارح الانسان التى بها يميز وينطق ويسمع ويبصر ويبطش ويسعى وهى ... والخامس المشترك وهو الذى من القلب (وقد ذكرت) الهند وغيرها من اليونانيين والفرس والروم وغيرهم ممن لعب ... كيفية صورها ومباديها ووجوه عللها والغرائب فيها وتصنيف القوائم والمفردات وانواع ظرائف المنصوبات (وقد استعمل) نصاب الشطرنج عليها فنون الهزل والنوادر المدهشة فزعم كثير منهم أن ذلك مما يبعث على لعبها وانصباب المواد وصحيح الافكار اليها وأن ذلك بمنزلة الارتجاز الذى يستعمله أهل القتال عند اللقاء والحادى عند الاعياء والمائح للعرب عند الاستقاء وأن ذلك عدة للاعب كما ان الشعر والارتجاز من عدة التحارب (وقد قيل) فيما وصفنا أشعار كثيرة مما قاله بعض اللعاب فى ذلك

نوادر الشطرنج فى وقتها * أحر من ملتهب الجمر
كم من ضعيف اللعب كانت له * عونا على مستحسن القمر

(ومما قيل فيها) وبالغ فى وصف اللعب بها المأمون

أرض مربعة حمراء من أدم * ما بين الفين موصوفين بالكرم
تذاكرا الحرب فاحتالا لها شبها * من غير أن يسعيا فيها بسفك دم
٤١٣
هذا يغير على هذا وذاك على * هذا يغير وعين الحرب لم تنم
فانظر الى الخيل قد جاشت بمعركة * فى عسكرين بلا طبل ولا علم

ومما قيل لها وبولغ فى وصفها واستوعب النظر لاكثر معانيها ما قاله أبو الحسن بن أبى البغل الكاتب وكان من جلة الكتاب وكبار العمال وممن اشتهر بمعرفتها واللعب بها وهو

فتى نصب الشطرنج كيما يرى بها * مواقف لا يسمو بها غير جاهل
وأبصر أعقاب الاحاديث فى غد * بعينى مجد فى مخيلة هازل
ليجرى على السلطان فى ذاك أنه * أراه بها كيف اتقاء الغوائل
وتصريف ما فيها اذا ما اعتبرته * شبيه بتصريف القنا والقنابل

(قال المسعودى) فأما ما قيل فى النرد وأوصافها فقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب كيفية نصبها والحدث للعبها على ما حكى من التنازع فى ذلك عند ذكرنا أخبار الهند وفيها عند ذوى المعرفة بها ضروب من اللعب وفنون من الترتيب ووجوه من النصب الآن عدد البيوت واحد لا زيادة فيها ولا نقصان على ما تقدم فى ذلك من حكمها والمعهود فى أصولها وان الفصين فيها حاكمان واللاعب بهما وان لم يكن مختارا ولا خارجا عن حكم الفصين فيها وقضائهما محتاج الى أن يكون صحيح النقل وسابقه صحيح الحساب حسن الترتيب جيده (وقد قيل) فى لعبها ووصفها وأحكام الفصين فيها وقضائهما على لعابها أشعار كثيرة بالغوا بالقول فيها وأغرقوا فى استيعاب معانيها (من ذلك قول بعضهم)

لا خير فى النرد لا يغنى ممارسها * حسن الذكاء اذا ما كان محروما
ترى له أفعال فصيها بحكمهما * ضدين فى الحال ميمونا ومشؤوما
فما تكاد ترى فيها أخا أدب * يفوته القمر الا كان مظلوما

(وأخبرنى) أبو الفتح محمد بن الحسن السندى بن شاهك الكاتب المعروف بكشاجم وكان من أهل العلم والرواية والمعرفة والادب انه كتب الى صديق له يذم النرد وكان بها مشتهرا أبياتا وهى

أنوشروان فالشمس وان كانت أم الانوار وجلاء الابصار مهما أعمى مكانها من الافق قيل الليل هو أم نهار وكما فى علمكم ما فارق ذوو الارحام وأولو الاحلام مواطن استقرارهم وأماكن قرارهم الا برغمهم واضطرارهم واستبدال دار خير من دارهم ومتى توازن الاندلس بالمغرب أو يعوض عنها الاعكة أو يثرب ما تحت أديمها أشلاء أولياء وعباد وما فوقه مرابط جهاد ومعاقد ألوية فى سبيل الله ومضارب أوتاد ثم يبوؤا ولده مبوأ أجداده ويجمع له بين طارفه وتلاده أعيذ أنظاركم المسددة من رأى فائل وسعى طويل لم يحل منه بطائل فحسبكم من هذا الاياب السعيد والعود الحميد وهى طويلة قال لسان الدين رحمه الله تعالى فاجبته بقولى

لم فى الهوى العذرى أولا تلم * فالعذل لا يدخل اسماعى
شأنك تعنيفى وشأنى الهوى * كل امرئ فى شأنه ساعى

أهلا بتحفة القادم وريحانة المنادم وذكرى الهوى المتقادم لا يصغر الله مسراك فما أسراك

أيها المعجب المفاخر بالسنّ ❊ دليزهو بها على الاخوان فلعمري حرصت جهدا على فـ ـرك لولم تواتك الفصان
غـيران الاذيب يكذبه الظن و يبكى لشدة الحرمان واذا ما القضاة جاءت بحكم ❊ لم يحد عن قضائها الخصمان
ولعمري ما كنت أول انسا ❊ ن تمني فاخلفته الاماني وأنشدني أبو الفتح أيضا لابي نواس
ومأمورة بالامر تاتي بغيره ❊ ولم تتبع في ذاك غيا ولا رشدا اذا قلت لم تفعل ولست مطيعة ❊ وأفعل ما قالت فصرت لها عبدا
(وقد قدمنا) في أخبار ملوك الهند فيما سلف من هـذا الـكتاب قول من قال في النرد والفصين انها جعلت مثلا للمكاسب
وانها لا تنال بالـكيس ولا بالحيـل وماذ كر عن أردشير بن بابك في ذلك أنه أول من لعب بها وأرى تقلب الدنيا باهلها وجعله
لبيوتها اثنى عشر على ترتيب عدد الشهور وان كلابها ثلاثون كلبا بعدد أيام الشـهور وان الفصين مثال القدر وتلعبه باهل
هذا العالم وغير ذلك مما وصفنا من أحوالها وما قدمنا من ذكرها في هذا الـكتاب وغيره مما سلف من كتبنا (وذكر) بعض
أهل النظر من الاسلاميين أن واضع الشطرنج كان عدليا مستطيعا فيما يفعل وان واضع النرد كان مجبرا فتبين باللعب بها انه
لا صـنع له فيها بل تصرفه فيها على ما يوجبه القدر عليه بها (وذكر) العروضي وهو ممن كان له أدب الراضي وغيره من الخلفاء
وابنائهم قال حدثت الراضي ذات يوم خبرا ألفيته عن مسلم الباهلي في الـكبر وغيره من الخصال التي توجد في أهل الرياسات
مما يحمد فيهم و يكره منهم من الاخلاق فـكتب ذلك مني في حال صباه وعنفوان حداثته ولقد رأيته مواظبا على درسه الى أن
استكمل اتقانه في مجلسه دداخله عند ذلك طرب وفرح وأريحية لم أعهدها منه ثم قال لي وقد أقبل على

اعل الزمان أن يلغ بي أن
أتادب بهـذه الخصـال
وأكون في مرتبـة من
يرتاض بهـذه الآداب
وهو أنه قيل لقتيبة بن مسلم
وهو وال عـلى خراسان
للحجاج محارب للترك لو
وجهت فلانا الرجـل من
أصحابه الى حرب بعض
الملوك على الجيش فقال
قتيبة انه رجل عظيم الـكبر
ومن عظم كبره اشتد عجبه
ومن اعجب برأيه لم يشاور كفيئا ولم يؤامر نصيحا ومن تبجح بالاعجاب وتفرد بالاستبداد كان من الصنع
بعيـدا ومن الخذلان قريبا والخطا مع الجماعـة خير من الصواب مع الفرقة ومن تـكبر على عدوه حقره واذا حقره تهاون بامره
ومن تهاون بامر عدوه وثق بامر قوته وسكن الى جميع عدته ومن سكن الى جميع عدته قل احتراسه ومن قل احتراسه كثر
عثاره وما رأيت عظيما تـكبر على صاحب حرب قط الا كان منكوبا ومهزوما ولا ومخذولا لا والله حـتى يكون أسمع من فرس
وابصر من عقاب واهدى من قطاة واحذر من عقعق وأشد اقداما من أسد وأوثب من فهد واحقد من جمل واروغ من ثعلب
واسخى من ديك واشح من ظبي واحرس من كركى وأحفظ من كلب وأصبر من ضب واجمع من النمل وان النفس انما تسمح
بالعناية على قدر الحاجة وتتحفظ على قدر الخوف وتطمع على قدر السبب وقد قيل على وجه الدهر ليس لمعجب رأى ولا لمتـكبر
صديق ومن احب ان يحب تحبب (قال العروضي) وتذاكرنا يوما بحضرة الراضي بالله في حال صـباه وقد حضر جماعة من
ذوى العلم والمعرفة باخبار الناس ممن غبر فانتهى بنا الامر الى خبر معاوية بن ابي سفيان حين ورد عليه كتاب من ملك الروم
ان يرسـل اليه سراويل اجسم رجل عنـده فقال معاوية لا أعلمـه الا قيس بن سعد فقال لقيس اذا انصرفت فابعث الى
بسراويلك فخلعها ورمى بها فقال معاوية هلا بعثت بها من منزلك فقال قيس أردت لـكيما يعلم الناس انها
سراويل قيس والوفود شـهود وأن لا يقولوا غاب قيس وهذه سراويل عاد قد نمته ثمود

لقـد جبت الى من همومي ليـلا وجبت رجـلا وخيـلا ووفيت من صاع الوفاء كيلا
وظننت بي الاسف على ما فات فأعملت الالتفات لـكيلا فاقسم لو أن الامر اليوم بيـدي
أو كانت اللمـة السوداء من عددي ما أفلت أشراكى المنصوبة لامثالك حول المياه وبين
المسالك ولا علامت ما هنالك لـكنك طرقت حمى كسعتـه الغارة الشعواء وغيرت
ربعه الانواء فخمـد بعـد ارتجاجه وسكت أذين دجاجه ولاعبت الرياح الموج فوق
لجاجه وطال عهـده بالزمن الاول وهـل عند رسم دارس من معول وحيا الله ندبا الى
زيارتي ندبك وبآدابه الحـكمية أدبك فـكان وقد أفادتك الاماني كمن أهدى الشفاء الى
العليل وهي شيمة بوركت من شيمه وهبة الله تعالى قبله من لدن المشيمة ومن مثله في صلة
رعى وفضل سعى وقول ووعى
قسـما بالـكواكب الزهر والزهر عاتمـه
انما الفضـل ملة ❊ ختمت بابن خاتمه

كسانى

فقال قائل ممن حضر قد كان جبلة بن الايهم أحد ملوك بني غسان طوله اثنا عشر شبرا فاذا ركب مسحت قدماه الارض فقال له الراضي بالله قد كان قيس بن سعد هذا المذكور تخط قدماه الارض واذا مشى بين الناس يتوهمون انه راكب وقد كان جدي علي بن عبد الله بن العباس طويلا جميلا يتعجب الناس من طوله وكان يقول كنت الى منكب عبد الله بن عباس وكان عبد الله الى منكب جدي العباس وكان العباس بن عبد المطلب اذا طاف بالبيت يرى كأنه فسطاط أبيض قال فتعجب والله من حضر من ايراده هذا الخبر مع صغر سنه ثم تذاكرنا عجائب البلدان وما خص به كل صقع من الارض من أنواع النبات والحيوان والجماد من احجار وأنواع الجواهر وغيرها فقال لي قائل ممن حضر ان أعجب ما في الدنيا طير يكون بارض طبرستان على شاطئ الانهار شبيه بالباشق وأهل طبرستان يسمونه بالكيكم وهو صياحه الذي يصيح به ولا يصيح في السنة الا في هذا الفصل فاذا صاح اجتمعت عليه العصافير وصغار الطيور مما يكون في المياه وغيرها فتزقه من أول النهار حتى اذا كان في آخره أخذ واحدا مما قرب من الطير فأكله وكذلك يفعل في كل يوم الى أن ينقضي هذا الفصل الربيعي فاذا انقضى ذلك انعكست عليه الطيور فلا تزال تجتمع عليه وتضربه وتطرده وهو يهرب منها ولا يسمع له صوت الى الفصل الربيعي وهو طير حسن موشى حسن العينين قال وذكر علي بن يزيد الطبيب الطبري صاحب كتاب فردوس الحكمة ان هذا الطائر ليس يكاد يرى ولم ترقط قدماه على الارض معا بل يطأ على الارض باحدى قدميه على البدل لا يطأ الارض بهما في حالة واحدة قال وقد ذكر الجاحظ ان هذا الطير من احدى عجائب الدنيا وذلك انه لا يطأ الارض بقدميه بل باحداهما خوفا على الارض أن تخسف به من تحته قال والعجب الثاني دودة تكون من المثقال الى الثلاثة تضيء بالليل كضوء الشمع وتطير بالنهار وترى لها أجنحة خضراء ملساء لا جناحين لها غذاؤها التراب لا تشبع منه قط خوفا أن يفنى تراب الارض فتهلك جوعا وفيها خواص كثيرة ومنافع واسعة قال والعجب الثالث أعجب الطير والدودة من يكرى نفسه للقتل يعني المرتزقة من الجند فاستحسن هذا الخبر من حضر فقال أبو العباس الراضي أرضا لهذا الخبر الذي أخبر بالخبر الاول قد ذكر عمرو بن بحر الجاحظ أن اعجب ما في الدنيا ثلاث البوم لا تظهر بالنهار خوفا ان تصيبها العين لحسنها وجمالها ولما قد تصور في نفسها أنها احسن الحيوان فتظهر بالليل والعجب الثاني الكركي لا يطأ بقدميه الارض بل باحداهما فاذا وطئ باحداهما لا يعتمد عليها اعتمادا قويا ومشى بالثاني خوفا من أن تخسف الارض تحته لثقله والعجب الثالث الطائر الذي يقعد على سوق الماء من الانهار اذا الحزنت الذي يعرف بمالك الحزين على شبه الكركي خوفا من الماء أن يفنى من الارض فيموت عطشا قال العروضي فافترق من حضر وكل متعجب من الراضي مع صباه وصغر سنه كيف تتاتى منه هذه المذاكرات مع ان من حضره من اهل الرأي والسن والمعرفة (قال المسعودي) وقد أتينا بما سلف من كتبنا على عجائب الارض والبحار وما فيها من عجائب البنيان والحيوان والجماد والمائع والرجراج فاغنى ذلك عن ايرادها في هذا الموضع وانما ذكرنا أخبار الراضي وما كان من أمره في صباه وما أخبره عنه مؤدبه ونظمنا من أخباره ما تأتى ذكره في هذا الكتاب (وأخبرنا) العروضي قال سهرت عند الراضي في ليلة شاتية صاحيا كية فرأيته قلقا متململا فقلت له يا أمير المؤمنين أرى منك خصالا لم أعهدها وضيق صدر لم أعرفه فقال له دع عنك هذا وحدثني بحديث فان أنت أزلت عني ما أجده من الهم فلك ما على وما تحتي على ان أشترط عليك ازالة الهم بالمضحكات يا امير المؤمنين رجل رجل من بني

كساني حلة فضله وقد ذهب زمان التجمل وحلى شكره وكتندي واه عن التحمل ونظرني بالعين الكايلة عن العيب فهلا أجاد التامل واستطلع طلع ثنى ووالى في مبرك الهزة حتى أنما أشكو بثي ولو ترك القطا ليلا لناما ووما حال شمل وتده مفروق وقاعدته فروق وصواعق أبيه مسروق وقلب قرحه من عضة الدهر دام وجرة مسرته ذات احتدام هذا وقد صارت الصغرى التي كانت الكبرى لمشيب لم يرع أن هجم لما هجم ثم تهال عارضه وانسجم

لا تجمعي هجرا على وغربة * فالهجر في تلف الغريب سريع

نظرت فاذا النفس فريسة ظفر وناب والمال أكيلة انتهاب والعمر رهن ذهاب واليد صفر من كل اكتساب وسوق المعاد مترامية والله سريع الحساب

ولو نعطى الخيار لما افترقنا * ولكن لا خيار مع الزمان

هب أن العمر جديد وظل الامن مديد ورأى الاغتباط بالوطن سديد فما الحجة لنفسي

هاشم الى ابن عمه بالمدينة فاقام عنده حولا لم يدخل مستراحا فلما كان بعد الحول أراد الرجوع الى الكوفة فحلف عليه أن يقيم عنده أياما أخر فاقام وكان للرجل قينتان فقال لهما أما رأيتما ابن عمي وظرفه أقام عندنا حولا لم يدخل الخلاء فقالتا له فعلينا ان نصنع له شيئا لا يجد معه بدا من الخلاء قال شأنكما وذلك فعمدتا الى خشب العشر فدقتاه وهو مسهل وطرحتاه في شرابه فلما حضر وقت شرابهما قدمتاه اليه وسقياه ولاهما من غيره فلما اخذ الشراب منهما تناوم المولى ومغص الفتى فقال لاتي تليه ياسيدتي أين الخلاء فقالت لها صاحبتها مايقول لك قالت يسالك أن تغنيه

خلا من آل فاطمة الديار * فمنزل اهلها منها قفار فغنته فقال الفتى أظنهما كوفيتين ومافهمتا ثم التفت الى الاخرى فقال لها ياسيدتي اين الحش فقالت لها صاحبتها مايقول لك قالت يسالك ان تغنيه

أوحش الدقرات والدير منها * فغناهما بالمنزل المعمور فغنته فقال الفتى اظنهما عراقيتين ومافهمتا عني ثم التفت الى الاخرى فقال لها أعزك الله أين المتوضأ فقالت لها صاحبتها مايقول لك قالت يسالك ان تغنيه

توضأ للصلاة وصل خمسا * وأذن بالصلاة على النبي فغنته فقال أظنهما حجازيتين ومافهمتا عني ثم التفت الى الاخرى فقال لها ياسيدتي ابن الكنيف فقالت لها صاحبتها مايقول لك قالت يسالك ان تغنيه

تكنفني الواشون من كل جانب * ولو كان واش واحد لكفانيا فغنته فقال اظنهما يمانيتين ومافهمتا عني ثم التفت الى الاخرى فقال لها ياهذه أين المستراح فقالت لها صاحبتها ماقال لك قالت يسالك أن تغنيه

ترك الفكاهة والمزاحا
وقلا الصبابة واستراحا

فغنته والمولى يسمع ذلك وهو متناوم فلما اشتد به الامر أنشا يقول

تكنفني السلاح واضجروني
على مابي بتكرير الاغاني
فلماضاق عن ذاك اصطباري
زرقت به على وجه الزواني

ثم انه حل سراويله وسلح عليهما فتركهما آية للناظرين وانتبه المولى في اثر ذلك فلما رأى مانزل بجواريه قال يا أخي ما حملك على هذا الفعل قال يا ابن الفاعلة لك جوار يرون الخرج صراطا مستقيما لا يدللني عليه فلم أجد جزاء غير هذا ثم رحل عنه

اذا امرت عطارح جفوتها وملاعب هفوتها ومناقف قناتها ومظاهر عزاها ومنساتها والزمان ولود وزناد الكون غير صلود

واذا أم وئل غتبه افعي مرة * تركته حين يجر حبل يفرق

ثم ان المرغب قد ذهب والدهر قد استرجع ماوهب والعارض قد اشتهب وآراء الاكتساب مرجوحة مرفوضه وأسماؤه على الجوار مخفوضة والنية مع الله على الزهد فيما بايدى الناس معقوده والتوبة بفضل الله عز وجل منقوده والمعاملة سامريه ودرو ع الصبر سابريه والاقتصاد قد قرت العين بصحبته والله قد عوض حب الدنيا بمحبته فاذا راجعها مثلي من بعد الفراق وقد رقى لدغتها ألف راق وجعتني بها التجربة مالذى تكون الاجرة جل شاني وان رضي الوامق وسخط الشاني اني الى الله تعالى مهاجر وللعرض الادنى هاجر ولا طعان السرى زاجر لتجدان شاء الله تعالى وحاجر لكن دعاني للهوى الى هذا المولى المنعم هوى خلعت نعلي الوجود وماخلعته وشوقي أمرني فاطعته وغالب والله صبري

قال فذهب بالراضي الضحك كل مذهب وسلم الى كل ما كان عليه وتحته من لباس وفرش فكان مبلغ ثمن ذلك نحوا من الف دينار (وذكر) الصولي قال قال الراضي ما كان السبب في لبس المأمون الخضرة ورفعه السواد ثم لبسه السواد بعد ذلك قلت هو ما اخبرنا به محمد بن زكريا العلائي قال حدثنا يعقوب بن جعفر بن سليمان قال لما قدم المأمون بغداد اجتمع الهاشميون الى زينب بنت سليمان بن علي وكانت اقعد ولد العباس نسبا واكرمهم بيتا فسالوها أن تكلم أمير المؤمنين في تغييره الخضرة فضمنت لهم ذلك وجاءت الى المأمون فقالت يا أمير المؤمنين انك على بر أهلك من ولد علي بن أبي طالب اقدر منك على برهم لنا من غير أن تزيل سنة من مضى من آبائك فدع لباسك الخضرة ولا تطمعن احدا فيما كان منك قال لها يا عمة ما كلمني احد في هذا المعنى بكلام اوقع من كلامك ولا أقصد لما اردت لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي فولي الامر ابو بكر فقد عرفت ما كان من امره فينا أهل البيت ثم وليها عمر فلم يتعد فيها فعل من تقدمه ثم وليها عثمان فاقبل على بني أمية وأعرض عن غيرهم ثم آل الامر الى علي بن ابي طالب من غير صفو كصفوها لغيره بل مشوبة بالاكدار فولى مع ذلك عبد الله بن العباس البصرة وولى عبيد الله بن العباس اليمن وولى قثم البحرين وما احد منهم الا ولاه فكانت هذه في اعناقنا حتى كافاته في ولده بما فعلت

ولا يكون بعد هذا الاما تحبون ثم رجع الى ادس السواد وللمامون بامير المؤمنين شعر يشا كل معنى ما ذكرت من هذا الخبر وهو قوله

ألام على شكر الوصى ابى الحسن * وذلك عندى من عجائب ذا الزمن

خليفة خير الناس والاول الذى * اعان رسول الله فى السر والعلن

ولولاه ما عدت لهاشم امرة * وكانت على الايام تقصى وتمتهن

فولى بنى العباس ما اختص غيرهم * ومن فيه اولى بالتكرم والمنن

فاوضح عبد الله بالبصرة الهدى * وفاض عبيد الله جودا على اليمن

وقسم اعمال الخليفة بينهم * فلازلت مربوطا بذا الشكر مرتهن

وكان القاهر قد عمد الى كثير من الاموال عند قتله لمؤنس ويليق وابنه على وغيرهم فغيبها فلما قبض عليه وسملت عيناه وافضت الخلافة الى الراضى طولب القاهر بالاموال فانكر أن يكون عنده شئ من ذلك فاوذى وعذب بانواع من العذاب وكل ذلك لايزيده الا انكارا فاخذه الراضى وقربه وأدناه وطالت مجالسته اياه واكرامه واعطاه حق العمومية والسن والتقدم فى الخلافة ولاطفه واحسن اليه غاية الاحسان وكان للقاهر فى بعض الحصون بستان من ريحان وغرس من النارنج قد حمل اليه من البصرة وعمان مما حمل الى أرض الهند قد اشتبكت أشجاره ولاحت ثماره كالنجوم من أحمر وأصفر وبين ذلك انواع الغروس والرياحين والزهر وقد جعل مع ذلك فى الصحن انواع الاطيار من القمارى والدباسى والشحارير والببغاء مما قد جلب اليه من الممالك والامصار وكان فى غاية الحسن وكان القاهر كثير الشرب عليه والجلوس فى تلك المجالس فلما أفضت الخلافة الى الراضى اشتد

شغفه بذلك الموضع فكان يداوم الجلوس والشرب فيه ثم ان الراضى رفق بالقاهر واعلمه بما هو فيه من مطالبة الرجال بالاموال والحاجة اليها ولاشئ قبله منها وساله أن يسعفه بما عنده منها اذ كانت الدولة له وأن يدبر تدبيره ويرجع فى كل الامور الى قوله وحلف له بالايمان الوكيدة أن لا يسعى فى قتله ولا الاضرار به ولا باحد من ولده وأنعم له القاهر بذلك وقال ليس لى مال الا فى بستان النارنج فسار به الراضى الى البستان وسأله عن الموضع فقال له القاهر قد حجب بصرى فلست أعرف موضعه ولكن مر بحفره فانك تظهر على الموضع ولا يخفى عليك فكان ذلك فحفر البستان وقلع تلك الاشجار والغروس والازهار حتى لم يبق منه موضع الا حفره وبولغ فى حفره فلم يجد شيئا فقال له الراضى فما ههنا شئ مما ذكرت فما الذى حملك على ما صنعت فقال له القاهر وهل عندى من مال شئ انما كانت حسرتى جلوسك فى هذا الموضع وتمتعك به وكان لذتى من الدنيا فتاسفت على ان يتمتع به بعدى غيرى فتاسف الراضى على ما توجه عليه من الحيلة فى أمر ذلك البستان وندم على قبوله منه وأبعد القاهر فلم يكن يدنو منه خوفا على نفسه أن يتناول بعض أطرافه وكان الراضى كثير الاستعمال للطيب حسن الهيئة سخيا جوادا حسن المذاكرة باخبار الناس وأيامهم مقربا لاهل العلم والادب والمعرفة كثير الدنو منهم فائضا بجوده عليهم ولم يكن ينصرف عنه أحد من ندمائه فى كل يوم الا بصلة أو خلعة أو طيب وكانوا عدة ندماء منهم محمد بن يحيى الصولى وابن حمدون النديم وغيرهما فعوتب على كثرة افضاله على من يحضره من الجلساء فقال أنا أستحسن فعل أمير المؤمنين أبى العباس لانه كانت فيه فضائل لا تكاد تجتمع فى أحد لايحضره نديم ولا مغن ولا قينة فينصرف الا بصلة أو كسوة قلت أو كثرت وكان لا يؤخر احسان محسن لغد ويقول العجب من انسان يفرح انسانا فيعجل السرور ويؤخر ثوابا من مره تسويفا وعدة فكان أبو العباس فى كل ليلة أو يوم يقعد لشغله

فاستطعته والحال أغلب وعسى أن لايخيب المطلب فان يسر رضاه فامر كل وراحل احتمل وحاد أشجى الناقة والجمل وان كان خلاف ذلك فالزمان جم العلائق والتسليم بمقامى لائق

ما بين غمضة عين وانتباهتها * يصرف الامر من حال الى حال

وأما تفضيله هذا الوطن ليمن طيره وعموم خيره وبركة جهاده وعمران رباه ووهاده باشلاء عباده وزهاده حتى لا يفضله الا أحد الحرمين فحق برىء من المين لكنى للحرمين جنحت وفى جو الشوق اليهما سنحت فقد أفضت الى طريق قصدى محجته ونصرتنى والمنة لله تعالى حجته وقصد سيدى اسنى قصد توخاه الحمد والشكر ومعروف عرف به النكر والآمال من فضل الله بعد تمتار والله تعالى يخلق ما يشاء ويختار ودعاؤه بظهر الغيب مدد وعدة وعدد وبره حالى الظعن والاقامة معتمل ومعتمد ومجال المعرفة بفضله لا يحصره أمد والسلام انتهى * ومن خط ابن الصباغ ما صورته يكفى ابن خاتمة الغاية التى سلمها

٥٣ ط ث

لا ينصرف أحد ممن حضره الا مسرورا ونحن وان لم تتأت لنا الامور كتأتيها لمن سلف فانا نواسى جلساءنا بل اخواننا ببعض ما حضرنا وكان سخيا على سائر الاشياء لا يستكثر لاحد من ندمائه كثرة ما يصل اليه على طول الايام حتى كان بعضهم ربما يتأخر عن الحضور لما يترادف عليه من فضله وكان الغالب عليه من الخدم راغب الخادم وزيرك ومن الغلمان ذكى وغيره (وحدث) أبو الحسن العروضى مؤدب الراضى قال اجتزت فى يوم مهرجان بدجلة بدار بجكم التركى فرأيت من الهرج والملاهى واللعب والفرح والسرور ما لم أر مثله ثم دخلت الى الراضى بالله فوجدته خاليا بنفسه قد اعتراه هم فوقفت بين يديه فقال لى ادن فدنوت فاذا بيده دينار ودرهم فى الدينار نحو من مثاقيل وفى الدرهم كذلك عليه صورة بجكم شاك فى سلاحه وحوله مكتوب انما العز فاعلم * للامير المعظم * سيد الناس بجكم ومن الجانب الآخر الصورة بعينها جالس فى مجلسه كالمفكر المطرق فقال الراضى أما ترى صنع هذا الانسان وما تسمو اليه همته وما تحدثه به نفسه فلم أجبه بشئ وأخذت به فى أخبار من مضى من ملوك الفرس وغيرها وما كانت تلقى من أتباعها وصبرهم عليهم وحسن سياستهم لذلك حتى تصلح أمورهم وتستقيم أحوالهم فسلا عما عرض لنفسه ثم قلت يمتع الله أمير المؤمنين أن يكون كالمامون فى هذا الوقت حيث يقول

صل الندمان يوم المهرجان * بصاف من معتقة الدنان
بكأس خسروانى عتيق * فان العيد عيد خسروانى
وجنبنى الزبيب بين طرا * فشان ذوى الزبيب خلاف شانى
فأشربها وأزعمها حراما * وأرجو عفو رب ذى امتنان
ويشربها ويزعمها حلالا * وتلك على الشقى خطيئتان

فطرب وأخذته أريحية فقال لى صدقت ترك الفرح فى مثل هذا اليوم عجز وأمر باحضار الجلساء وقعد فى مجلس التاج على دجلة فلم أر يوما كان أحسن منه فى الفرح والسرور وأجاز فى ذلك اليوم من حضر من الندماء والمغنين والملهين بالدنانير والدراهم والخلع وأنواع الطيب وأتته هدايا بجكم والطافه من أرض العجم فسر فى ذلك اليوم وجميع من حضره (قال المسعودى) وقد أتينا على ما كان فى أيام الراضى من الكوائن والحوادث مجملا ومفصلا فى كتابينا أخبار الزمان ومن أباده الحدثان من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الداثرة وما كان من أمره حال خروجه بجكم الى بلاد الموصل وديار ربيعة وما كان بين بجكم وأبى محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان المسمى بعد ذلك بناصر الدولة وقصدنا لما ذكرنا فى هذا الكتاب الى الاختصار دون الشرح والاكثار اذ كان فى الاكثار من الاخبار ثقل على القلوب وملل للسامع وقليل الاخبار يغنى عن كثير الاقتدار *(ذكر خلافة المتقى لله)* وبويع المتقى لله وهو أبو اسحق ابراهيم المقتدر لعشر خلون من ربيع الاول سنة تسع وعشرين وثلثمائة وخلع وسملت عيناه يوم السبت لثلاث خلون من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة وكان خلافته ثلاث سنين واحد عشر شهرا وثلاثة وعشرين يوما وأمه أم ولد (ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه)* ولما أفضت الخلافة الى المتقى لله أقر على الوزارة سليمان بن الحسن بن مخلد ثم استوزر الحسن أحمد بن محمد بن ميمون وكان كاتبه قبل الخلافة ثم استوزر أبا اسحق محمد بن أحمد القراريطى ثم استوزر أبا العباس أحمد بن عبد الله الاصبهانى ثم استوزر أبا الحسن على بن مقلة وغلب على الامر أبو الوفاء توزون التركى واشتد أمر البريدى بالبصرة ومنعوا السفن أن تصعد وعظم جيشهم وكثرت رجالهم وصار لهم جيشان جيش فى الماء فى الشذوات والطيارات والسماريات والديارب وهذه أنواع من المراكب يقاتل فيها صغار وكبار وجيش فى البر عظيم واصطنعوا الرجال وبذ

له امام الطريقه وواحدها الفذ على الحقيقه حيث قال

انما الفضل ملة * ختمت بابن خاتمه

ومن نظمه وقد تخلى عن الكتابة وطلب منه أن يعود فابى وأنشد

تقضى فى الكتابة لى زمان * كشأن العبد ينتظر الكتابه
فمن الله من عتقى عالا * يطيق الشكر أن يملا كتابه
وقالوا هل تعود فقلت كلا * وهل حر يعود الى الكتابه

فانظر حسن هذه التورية العجيبة انتهى * ولابن خاتمة يخاطب ابن جزى يا أخى الذى سماوده أن يجازى وسيدى الذى علا مجده عن أن يوازى وصل الله تعالى لك أسباب الاعتلاء والاعتزاز وكافأ ما لك من الاختصاص بالفضائل والامتياز أما انه لو وسع التخلف عن جواب أخ أعز ولم يجب التكلف باجابة من ابان فاعجز لغطيت عجزى عن عين تعجيزك ولما تعاطيت المثول بين يدى مناهزك أو مجيزك لكنه فى حكم الود المكنون

المكنوز

الغائب فانضاف اليهم جريدة السلطان وغلمانه ومن رجيس السلطان الاتراك والديلم والجيل ونفر من القرامطة وكل ذلك
مع توزون وكان توزون من رفقاء بجكم والخواص من أصحابه فانحدر توزون الى واسط لحرب اليزيديين وكانوا امتلكوا واسط
وغلبوا عليها فكانت بينهم سجالا والمتقى لله لا أمر له ولا نهى فكاتب المتقى أبا محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان ناصر الدولة
وأخاه أبا الحسن على بن عبد الله سيف الدولة أن ينجدوه ويستنقذوه مما هو فيه ويفوض اليهما الملك والتدبير وقد كان قبل
ذلك خرج اليهم وتوزون فى جملتهم منضاف وغيره من الاتراك والديلم وذلك عند قتلهم محمد بن رائق فى سنة ثلاثين وثلثمائة
وانحدارهم الى مدينة السلام واستيلائهم على الملك والقيام له وحربهم اليزيديين وما كان بينهم من الوقائع الى أن توجه عليهم
ما ذكرنا فى كتابنا أخبار الزمان من خروج أبى محمد الحسن بن عبد الله من الحضرة الى الموصل ولحوق أخيه أبى الحسن على بن
عبد الله وخلاصه مما دبره عليه توزون وجحجح التركى فخرج المتقى الى الموصل فلما بلغ توزون ذلك رجع الى بغداد وقصد بنى
حمدان فكان التقاؤهم بعكبرا فكانت بينهم سجالا ثم كانت لتوزون عليهم فرجع الى بغداد ثم جمعوا له أيضا ورجعوا اليه
فهزمهم حتى قربوا الى بغداد فخرج عليهم فلقيهم فهزمهم بعد مواقعات كانت بينهم وسار وراءهم حتى دخل الموصل وخرج عنها الى
نصيبين ... بلد فصالحوه على مال حملوه اليه فرجع الى بغداد وهو مستظهر بمن معه من الاتراك والجيل والديلم وكمال العدة
والكراع وسار المتقى الى نصيبين ورجع عنها الى الرقة فنزلها وذلك لايام بقين من شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة
وكاتب الاخشيد محمد بن طغج فسار الى الرقة وحمل اليه مالا كثيرا وأهدى

اليه غلمانا وأثاثا وضم اليه
قائدا من قواده وحمل أ...
وزاد فى حاله وبر جميع من
معه من وزيره أبى الحسن
على بن مقلة وقاضى القضاة
أحمد بن عبد الله بن اسحق
الحرقى وسلام الحاجب
المعروف باخى نجح الطولونى
وجماعة الوجوه والغلمان
ثم لم يعبر الاخشيد محمد بن
طغج الى الرقة ولا الى شئ
من جانب الجزيرة وديار
مضر وعبر المتقى وسار الى
... من الجانب الشامى فكانت بينهم خطوب وأيمان وعهود وأبو الحسن على بن عبد الله بن حمدان مقيم بحران طول
مقام المتقى بالرقة وقد كان أبو عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان سار عن حلب وبلاد حمص عند مسير الاخشيد الى بلاد قنسرين
والعواصم فانفض جمعه وتفرق جنده عنه وانضافوا الى الحسن بن على بن عبد الله واتصلت كتب توزون بالمتقى وتواترت رسله
فى الرجوع الى الحضرة وأشهد توزون من حضره من القضاة والفقهاء والشهود وأعطى العهود والمواثيق بالسمع
والطاعة للمتقى والتصرف له بين أمره ونهيه وترك الخلاف عليه وأنفذ اليه كتب القضاة والشهود بما بذل من الأيمان وأعطى
من العهود وأشار بنو حمدان على المتقى أن لا ينحدر وخوفوه من توزون وحذروه أمره فانه لا يامنه على نفسه فأبى الا مخالفتهم
والثقة بما ورد عليه من توزون وقد كان بنو حمدان أنفقوا على المتقى نفقة واسعة عظيمة طول مقامه عندهم واحتيازه بهم
يكثر وصفها ويعسر علينا فى التحصيل ايرادها باكثار المخبرين لنا بتحديدها وانصرف الاخشيد عن الفرات متوجها نحو مصر
وانحدر المتقى فى الفرات فتلقاه أبو جعفر بن سيرار كاتب توزون باحسن لقاء وأقام الاتراك ومضى فى انحداره حتى دخل النهر
المعروف بنهر عيسى وسار الى الضيعة المعروفة بالسندية على شاطئ هذا النهر فتلقاه توزون هنالك وترجل له ومشى بين يديه
فأقسم عليه أن يركب ففعل حتى وافى به الى المضرب الذى كان ضربه له على الشط من نهر عيسى وذلك على شوط من مدينة
السلام فأقام هنالك وانفذ رسلا الى دار طاهر ليحضر المستكفى فلما حصل المستكفى فى المضرب قبض على المتقى ونهب جميع

... كنوز مما لا يحل ولا يجوز فالكم الفضل فى الاغضاء عن عاجز دعاه حكم التكلف الى
... قيام قيام مناجز وان لم يكن ذلك عند الانصاف وحميد الاوصاف من السائغ الجائز
... من جهد ما بلغو اليك الى هذه الاحواز ولم يحصل الحقيقة الا على المجاز وأما ماذهبتم اليه
من تخميس القصيدة التى أعجزت وبلغت من البلاغة الغاية التى عزت مناهضتها وأعوزت
... كن لا استهدف ثانيا للمناضلة الاعجاز واسجل على نفسى بالافلاس والاعواز انتهى
وكتب قبلها قصيدة زائية أجابه بها عن قصيدة رائية التزم فيها ابن جزى ترك الراء
... كان الشيخ يدلها علينا رحم الله تعالى الجميع * وقال لسان الدين فى ترجمة ابن خاتمة
المذكور انه الصدر المتفنن المشارك القوى الادراك السديد النظر الثاقب الذهن الكثير
الاجتهاد الموفور الادوات المعين الطبع الجيد القريحة الذى هو حسنة من حسنات
الاندلس أحمد بن على بن خاتمة من أهل المرية الى أن قال ومما خاطبنى به بعد المسام الركاب
السلطانى ببلده وأنا صحبته ولقائه اياى بما يلتقى به مثله من تانيس وبر وتودد وتردد

ما كان معه وقبض على وزيره أبي الحسن علي بن محمد بن مقلة وعلى قاضيه أحمد بن عبد الله بن اسحق ونهب جميع العسكر وانصرف القائد الذي كان الاخشيد ضمه الى المتقي ومن معه الى صاحبهم وأحضر المستكفي فبويع له وبكى المتقي وصاح النساء والخدم لصياحه فامر تورون بضرب الدبادب حول المضرب نخفي صراخ الخدم وأدخل الى الحضرة مسمول العينين وأخذ منه البردة والقضيب والخاتم وسلم الى المستكفي بالله وبلغ ذلك القاهر فقال قد صرنا بحقيق نحتاج الى صدر يعرض بالمستكفي بالله (وحدث) محمد بن عبد الله الدمشقي قال لما نزل المتقي الرقة كنت فيمن يتصرف بين يديه وأقرب منه في الخدمة لطول صحبته فقال لي في بعض الايام في الرقة وهو جالس في داره على الفرات اطلب لي رجلا أخباريا يحفظ أيام الناس أتفرج اليه في خلواتي وأستريح به في الاوقات قال فسألت بالرقة عن رجل بهذا الوصف فارشدت الى رجل بالرقة كهل لازم لمنزله فصرت اليه ورغبته في الدخول الى المتقي لله فقام معي كالمكره وصرنا الى المتقي فاعلمته احضاري للرجل الذي طلبه فلما خلا وجهه دعا به واستدناه فوجد عنده ما أراد فكان معه أيام مقامه بالرقة فلما انحدر كان معه في الزورق فلما صار الى نهر سعيد وذلك بين الرقة والرحبة أرق المتقي ذات ليلة فقال للرجل ما تحفظ من أشعار المبيضة وأخبارها فاخذ الرجل في أخبار آل أبي طالب الى أن صار الى أخبار الحسن بن زيد وأخيه محمد بن زيد بن الحسن وما كان من أمرهما ببلاد طبرستان وذكر كثيرا من محاسنهما وقصد أهل العلم والادب اياهما وما قالت الشعراء فيهما فقال له المتقي أتحفظ شعر أبي المقاتل نصر بن نصر الحلواني في محمد بن زيد الحسني الداعي قال لا يا أمير المؤمنين لكن معي غلام لي قد حفظ بحداثة سنه وحدة مزاجه وغلبة الهمة لطلب العلم والادب عليه ما لم احفظ من أخبار الناس وأيامهم وأشعارهم قال أحضره ولم أخفيت عني خبر مثل هذا فيكون حضوره زيادة في أنسنا فاحضر الغلام من زورق آخر فوقف بين يديه فقال له صاحبه أتحفظ قصيدة أبي المقاتل في ابن زيد قال نعم قال المتقي أنشدنيها فابتدأ ينشده اياها

يا من حصلت على الكمال بما رأت * عيناي منه من الجمال الرائع
قمر يروق وفي عطافي برده * ما شئت من كرم ومجد بارع
أشكو اليك من الزمان تحاملا * في فض شمل لي بقربك جامع
هجم البعاد عليه ضنا باللقا * حتى تقاص مثل برق لامع
فلو انني ذو مذهب لشفاعة * ناديته يا مالكي يا شافعي

شكواي الى سيدي ومعظمي أقر الله تعالى بسنائه أعين المجد وأدر بثنائه ألسن الحمد شكوى ظمآن صد عن القراح العذب لاول وروده والهيمان رد عن استرواح القرب لمعضل صدوده من زمان هجم على بابعاده على حين اسعاده ودهمني بفراقه غب انارة أفقي به واشراقه ثم لم يكفه ما اجترم في ترويع خياله الزاهر حتى حرم عن تشييع كماله الباهر فقطع عن توفية حقه ومنع من تادية مستحقه لاجرم انه أنف لشعاع ذكائه من هذه المطالع النائية عن شريف الانارة وبخل بالامتاع بذكائه عن هذه المسامع النائية

لا تقل بشرى وقل لي بشريان * غرة الداعي ويوم المهرجان
عن
خلقت كفاه موتا وحياة * وحوت أخلاقه كنه الجنان فهو فصل في زمان بدوى * وابن زيد مالك رق الزمان
فهو للكل بكل مستقل * بالعطايا والمنايا والامان أوحد قام بتشييد المباني * فبه استنبط أجناس المعان
مسرف في الجود من غير اعتذار * وعظيم البر من غير امتنان وهو من أوصى رسول الله فيه * وعلياه المعلى والحسان
سيد عرق فيه السيدان * والذي يكبر عن ذكر الحصان مختف فكرته في كل شيء * فهو في كل محل ومكان
يعرف الدهر على ما غاب عنه * فيرى المضمر في شخص العيان تتناءى ألفاظنا عنه ولكن * هو بالاوصاف في الاذهان دان
أخرجت ألفاظه ما في الخفايا * وكفاه الدهر نطق الترجمان كافر بالله جهرا والمثاني * كل من قال له في الخلق ثان
واذا ما أسبغ الدرع عليه * وانكفت يمناه بالسيف اليماني بعثت سطوته في الموت رعبا * أيقن الموت بأن الموت فان
يحدق الابطال بالالحاظ حتى * يترك المقدام في شخص الجبان ملك الموت يناديه أجرني * مثل كر يعزو بضرب وطعان
لا تكلفني فوق الوسع وارفق * فلقد ملكك الله عنان يا شقيق القدر المحتوم كم قد * رضم بالضيم عمادا وحزان
لك يومان فيوم من لبان * يقتفي يوم أرون أوريان أنجزت كفاك وعدا ووعيدا * وأناطت لك بالدنيا اليدان
فاذا ما أروت اليمنى حباء * همت اليسرى بارواء السنان جدنا في النفع والضر بدارا * فهما في كل حال ضرتان

أرخت كفاك فى الآفاق حتى * ماتلاقى بسوالك الشفتان قدمتك المدح الغر وصالت * لك أيضا فى أعاديك المعان

أنت لاتحوى بعقول كتاب * لك شأن خارج عن كل شان لك أثقال أيادى مثقلات * عجزت عن حملهن الثقلان

انما مدحك وحى وزبور * والذى ضمت عليه الدفتان ها كها جوهرة تبريه تو * لى وجوه الموت تكفين الجنان

ياامام الدين خذها من امام * ملكت أشعاره سبق الرهان واستمع للرمل الاول ممن * كشف المحنة من غير امتحان

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن * ستة أجزاؤها عز الوزان كرة الآفاق لاتطلع الا * صارت الريح لها كالصولجان

جليت فى صنعة الالفاظ ما * يرتجيه كل ذى عفو وجان أنت تحكى جنة الخلد طباعا * والقوافى فيك كالحور الحسان

وابق للشعر بقاء الشعر والشكر مع الدهر فنعم الباقيان عمر رضوى بل ثبير وشا م * وأرام وشمار يخ أبان

شهد الله على مافى ضميرى * فاستمع لفظى ترجيع أذان حسنات ليس فيها سيا ت * مدحة الداعى أكتبا يا كاتبان

فلم يزل المتقى كلما مر به بيت استعاده ثم أمر الغلام بالجلوس فلما كان فى اليوم الذى لقيه فيه ابن سيرار الكاتب سمعه ينشد هذا

البيت لاتقل بشرى وقل لى بشريان فقال له الغلام وقد كان أنس به يا أمير المؤمنين دامت البشرى فقل لى بشريان

وقد كان أنشده أولا القصيدة لاتقل بشرى وأنشده هذا الوجه دامت البشرى فقل لى وذكر له خبر أبى المقاتل مع الداعى

فوالله مازال المتقى يقول لاتقل بشرى ولايختار فى ذلك الوجه غير ذلك فقال له الرقى والغلام والله لتطيرنا لامير المؤمنين من

اختياره انشاده هذا البيت على هذا الوجه فكان من أمره ماذكرنا (وحدث) محمد بن عبدالله الدمشقى قال لما

انحدرنا مع المتقى من الرحبة وصرنا الى مدينة غانة دعا بالرقى وغلامه فنادماه وتسلسل بهم القول الى فنون من الاخبار الى أن صاروا الى ذكر الخيل فقال المتقى أيكم يحفظ خبر سليمان ابن ربيعة الباهلى فقال الغلام ذكر أبو عمرو بن العلاء يا أمير المؤمنين أن سليمان ابن ربيعة الباهلى كان يهجن الخيل ويعديها فى

عهد عمر بن الخطاب فجاءه عمرو بن معديكرب بفرس كميت هجينا فاستعدى عليه عمرو وشكاه اليه فقال سليمان ادع باناء رحراح

قصير الجدر فدعا به فصب فيه ماء ثم أتى بفرس عتيق لاشك فى عتقه فاسرع ونزل وشرب ثم أتى بفرس عمرو الذى كان هجين

فثنى سنبكه ومد عنقه كما فعل العتيق ثم ثنى أحد السنبكين قليلا فشرب فلما رأى ذلك عمر بن الخطاب وكان ذلك بحضره قال

أنت سليمان الخيل فقال المتقى فما عندكما عن الاصمعى وغيره من علماء العرب فى صفاتها قال الرقى ذكر الرياشى عن الاصمعى

قال اذا كان الفرس طويل أوظفة اليدين قصير أوظفة الرجلين طويل الذراعين قصير الساقين طويل الفخذين طويل العضدين

قصير الكتفين لم يكد يسبق وقال اذا سلم من الفرس شيا ن لم يضره عيب سواهما مغروز عنقه فى كاهله ومغروز عجزه فى

صلبه واذا جادت حوافره فهو هو وأنشدنا المبرد ولقد شهدت الخيل تحمل سكتى * عنه كسرحان القضيمة منهب

فرس اذا استقبلته فكأنه * فى العين جرع من أوائل مشرب واذا اعترضت له استوت أقطاره * فكأنه مستدبر المتصوب

وسأل يا أمير المؤمنين معاوية مطر بن دراج أى الخيل أفضل وأوجز فقال الذى اذا استقبلته قلت نافر واذا استدبرته قلت زاخر

واذا استعرضته قلت زافر سوطه عنانه وهواه أمامه قال فاى البراذين شر قال الغليظ الرقبة الكثير الجلبة الذى اذا أرسلته قال

أمسكنى واذا أمسكته قال أرسلنى قال الغلام أحسن ما قيل فى الفرس ووصفه قول بعضهم

بر مابركب الشجاع اذاما قيل يوما ألا اركبوا للغوار كل نهد أقب معتدل الخلق متين الشظى عتيق العذار

عن لطيف العباره فراجع أنظاره واسترجع معاره والا فهو يهتدى بغروب الشمس الى الطلوع وان البدر يتصرف بين الاقامة والرجوع فما بال هذا النير الاسعد غرب ثم لم يطلع من الغد ماذاك الا لعدوى الايام وعدوانها وشأنها فى تغطية اساءتها وجه احسانها وكما قيل عادت هيف الى أديانها أستغفر الله أن لايعد ذلك من المغتفر فى جانب ما أولت من الاثر التى أزرى العيان فيها بالاثر وأربى الخبر على الخبر فقد سرت متشوقات الخواطر وأقرت متشرفات النواظر بما حوت من ذلكم الكمال الباهر والجمال الناضر الذى قيد خطا الابصار عن التشوف والاستبصار وأخذ بازمة القلوب عن سبيل كل مأمول ومرغوب وأنى للعين بالتحول عن كمال الزين أو للطرف بالتنقل من خلال الظرف أو للسمع من مراد بعد ذلكم الاصدار الادبى والايراد أو للقلب من مراد غير تلكم الشيم الرافلة من ملابس الكرم فى حلل وأبراد وهل هو الا الحسن جمع فى نظام والبدر طالع لتمام وأنواع الفضل ضمها جنس اتفاق والتئام فماترى العين منه

سلجم اللحى واسع المنخر حـد الاذن وافى الدماغ والوجـه عارى   ماجنه الحرار واشتدعلي
هفا كدى محـدودبا بالعـوار   محضر القص مكرب الرسغ دامى الابط ساجى الجفون والاشـفار
مسرف مفتـل نجيب اذا أد * برمستـدبر ككر صـغار   فهو فى خلقه طوال ورحب
وعـراض الى سـداد قصار   طال زاهيه والذراعان والاضـلاع منه فتم فى اخـفار
ثم طالت وأيدت نفـذاه * فهو كفت الوثوب بيت الخيـار   والرحيب الفروج والجلد والمشـ
ـعر قـدام محـرر كالوجار   والعريض الوظيف والجنب والاو * راك والجبهة العريض الفقار
والحـديد الفؤاد والسمع والعر * قـوب والطـرف حـدة فى وقار   فهو صاف الاديم والعين والحا
فـر غمر بديهـة الاحـضار   والقصير الكراع والظهر والرسـغ العصيب العسيب والصلب وارى
لم تخـن مثـله القطـاة ولم يسـ * ـلمه تركيبها الى استئجار   مطمئن النسور بين حزام
كل لام أحـم كالمنـقار   يكفت المشى كالذى يتخطى * طنبا أو يستل كالمسمار
واذا ما استمر مـن غير ما بأ * س به مانـع مـن استمرار * لان فاهـتز مقبلا فاذا أد
بر أهـوى متابع الادبار * فى تعاقيب كالتماثيـل أو كالـسجن أو كالظباء أو كالحـوار
فاذا ما طحابه الجرى فالعقـ * ـبان تهوى كواسر الاعسار ٤٢٢ فلما كان فى الليلة الثانية دعا بهما فقال عودا الى
ما كنتما عليه البارحـة
واشرعا فى أخبار الحلائب
ومراتب الخيـل فيما قال
الغـلام يا أمير المؤمنين
أذكرة ولا جامعا أخبرنى
به كلاب بن حمزة العقيـلى
قال كانت العرب ترسـل
خيلها عشرة عشرة أو أسفل
والقصب تسعة ولا يدخل
الحجر المحجـر من الخيـل
الاثمانية وهذه أسماؤها
الاول السابق وهو المجلى
قال أبو الهندام كلاب انما سمى المجلى لانه جلى عن صاحبه ما كان فيه من الكرب والشدة وقال
الفراء انما سمى المجلى لانه يجلى عن وجه صاحبه والثانى المصلى لانه وضع جحفلته على قطاة المجلى وهى صلاه والصلا عجب
الذنب بعينه والثالث المسلى لانه كان شريكا فى السبق وكانت العرب تعد من كل ما يحتاج ثلاثة أو لانه سلى عن صاحبه بعض
همه بالسبق والرابع التالى سمى بذلك لانه تلا هذا المسلى فى حال دون غيره والخامس المرتاح وهو المفتعل من الراحة لان فى
الراحة خمس أصابع لا يعدمها غيرهن واذا أومأت العرب من العدد الى خمس فتح الذى يومئ بها يده وفرق أصابعه الخمس
وذلك أيضا ما يومؤن به من غير عقد الحساب ثم يكون بعدها الى أن تكون عشرة فيفتح الذى يومئ بها يديه جميعا ويقابل
الخمس أصابع بالخمس فلما كان الخامس مثل خامسة الاصابع وهى الخنصر سمى مرتاحا وسمى السادس حظيا لان له حظا
وقيل لان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى السادس حظه وهى آخر حظوظ خيل الحلبة فله حظ وسمى السابع العاطف
لدخوله الحجرة لانه قد عطف بشئ وان قل وحسن اذ كان قد دخل المحجور وسمى الثامن المؤمل على القلب والتفاؤل كما سموا
الفلاة مفازة واللديغ سليما وكنوا الحبشى أبا البيضاء ونحو ذلك فكذلك سموا الخائب المؤمل أى أنه يؤمل وان كان خائبا لانه
قرب من بعض ذوات الحظوظ بعد والتاسع اللطيم لانه لو رام الحجرة للطم دونها لانه أعظم جرما من السابع والثامن والعاشر
السكيت لان صاحبه يعلوه خشوع وذلة ويسكت حزنا وعيا فكانوا يجعلون فى عنق السكيت حبلا ويحملون عليه قردا

فى غير مرعى خصيب ولا تستهدف الاذن بغير سهم فى حدق البلاغة مصيب ولا تستطلع
النفس سوى مطلع له فى الحسن والاحسان أوفر نصيب لقد أزرى بناظم حلاه فيما يتعاطاه
التقصير وانفسح مدى علاه بكل باع قصير وسفه حلم القائل ان الانسان عالم صغير
شكر الدهر على يد أسداها بقرب مزاره وتحفة أهداها بمطلع أنواره على تغاليه فى ادخاره
نفائسه وتحليه بنفائس ادخاره لا غرو أن يضيق عنا نطاق الذكر ولا يتسع لنا سوار
الشكر فقد عمت هذه الاقطار بشاشات من تحف بين تحف وكرامه واجتنت أهلها ثمرة
الرحلة فى ظل الاقامه وجرى لهم الامر فى ذلك مجرى الكرامه ألا وان مفاتحى لسيدى
ومعظمى حرس الله تعالى مجده وضاعف سعده مفاتحة من ظفر من الدهر بمطلوبه وجرى
له القدر على وفق مرغوبه فشرع له الى أهله بابا ورفع له من خجله جلبابا فهو يكلف
بالاقتحام ويأنف من الاحجام غير أن الحصر عن درج قصده يقيده والبصر يبهرج نقده
فيقعده فهو يقدم رجلا ويؤخر أخرى ويجدد عزما ثم لا يتحرى فان أبطا خطابى فلواضح
الأعذار

يدفعون القردسوطا فيركضه القرد ليعير بذلك صاحبه وأنشد فى ذلك الوليد بن حصن الكلبى

أأنت لم تسبق وكنت مخلفا * سبقت اذا لم تدع بالقرد والحبل وان تك حقا بالسكيت مخلفا * فتورث ولاك المذلة بالنبل

اذ كره النبل فان بعضهم كان يفعل ذلك ينصب فرسه ثم يرميه بالنبل حتى يجحف وقد فعل ذلك النعمان بفرسه اليهب قال

الاب بن حمزة ولم نعلم أحدا من العرب فى الجاهلية والاسلام وصف خيل الحلبة العشرة باسمائها وصفاتها وذكرها على

بها غير محمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان وكان بالجزيرة بالقرية المعروفة بحصن مسلمة من أقليم بلخ من كورة

قمن ديار مضر فانه قال فى ذلك

شهدنا الرهان غداة الرهان * بجمعية ضمها الموسم

تقود اليها مقاد الجنيب * ونحن بصنعتها أقوم غدونا بعقودة كالقداح * غدت بالسعود لها الانجم

مقابلة نسبة فى الصريح * فهاهن للاكرم الاكرم كست اذا ما تباطى بسل * يفوت الخطوط اذا يلجم

فهن أحوى عمر أغر * وأجرد ذو غرة أرثم تلألأ فى وجهه فرجة * كأن تلألؤها المرزم

ففيدت لمذخور ما عندها * لمنتظرى أنها تجسم عليهن سحم صغار الشخوص * عمائم لحام انى تجسم

كأنهم فوق أشباحها * زراز يرفى نفق حوم فصفت على الخيل فى محضر * يلى أمره ثقة مسلم

تراضوا به حكما بينهم * فبالحق بينهم يحكم ورب بالسيف عن ساعة * من الناس كلهم أعلم

فقلت ونحن على جبهة * من الارض نيرها مظلم لقد فرغ الله مما يكون * ٤٢٣ ومهما يكن فهو لا يكتم

فأقبل فى أمرنا نافر

كما يتبل الوابل المثجم

وأتبع فوضى ومرفضة

كما رفض من سلكه المنظم

أو السرب سرب القطا راعه

من الجو شوذانق مظلم

فواصل من كل سقط له

كأن عنابيها العندم

وللمرء من فرح ما تستشير

سنا يكهن سنا يحزم

فجلى الاغر وصلى الكميت

وسلى فلم يذم الادهم

وأردفها رابع تاليا * وأين من المجد المتهم وماذم مرتاحها خامسا * وقد جاء يقدم ما تقدم

وجاء الحظى لها سادسا * فاسهمه حظه المسهم وسابعها العاطف المستجير * يكاد لحيرته يحسرم

وجاء المؤمل فيها يخب * وغى له الطائر الاشيم وجاء اللطيم لها تاسعا * فمن كل ناحية يلطم

يخب السكيت على أثره * وذفراه من قبة أعظم كأن جوانبه بين ذى * جانة نيط بها مقمم

اذا قيل من رب ذا لم يحر * من الخزى بالصمت يستعصم ومن لا يعد للحلاب الجواد * وشيك لعمرك ما يندم

وماذوا قتضاب لحمولها * كمن يتنميها ويستلزم فرحنا بسبق شهرنا به * ونيل به الفخر والمغنم

وأحرزن عن قصبات الرهان * رغائب أمثالها تقسم برود من القصب موشية * وأكسية الخز والملحم

فراحت عليهن منشورة * كأن حواشيهن الدم ومن ورق صامت بدرة * ينوء بها الاغلب الاعصم

ففضت لهن خواتيمها * وبدرتنا الدهر لا تختم نوزعها بين خدامها * ونحن لها منهم أخدم

وأنا لنرتبط المعربا * ت فى اللدنات فما ترزم نعدلها المحض بعد الثلث * كما يصلح الصبية المفطم

ونخلطها بصميم العيال * بمن لم يخب وهو المحرم مشاربها الصافيات العذاب * ومطعمها فهو المطعم

فهن با كناف أبياتنا * صوافن يصهلن أوحوم وما ل محمد بن يزيد فى كلمته هذه الى انه لاحظ للثامن ويجعل

الاعذار مثلكم من قبل جليات الاقدار والله سبحانه يصل لكم عوائد الاسعاد والاسعاف

ويحفظ بكم ما لمجدكم من جوانب وأكناف ان شاء الله تعالى وكتب فى عاشر ربيع الاول

عام ثمانية وأربعين وسبعمائة انتهى * ومن خاتمة رسالة من انشاء ابن خاتمة المذكور

فلنصرف عنان البطالة عن الاطالة ونسلم على السيادة الطاهرة الاصالة باطيب تسليم

ختامه مسك ومزاجه من تسنيم * ومن نظم ابن خاتمة المذكور

هو الدهر لا يبقى على عائذ به * فمن شاء عيشا يصطبر لنوائبه

فمن لم يصب فى نفسه فمصابه * بفوت أمانيه وفقد حبائبه

ومنه قوله ملاك الامر تقوى الله فاجعل * تقاه عدة لصلاح أمرك

وبادر نحو طاعته بعزم * فما تدرى متى يقضى بعمرك

وقال لسان الدين وكتب الى يعنى ابن خاتمة المذكور عقب انصرافه من غرناطة فى بعض

قدماته عليها ما نصه مما قلته بديهة عند الاشراف على جنابكم السعيد ودخوله مع النفر الذين

للسابع حظاق السبق والمندسة اجراء الخيل وتجر بتهافيمادون الغاية وانما سميت الحلبة حلبة لان العرب تحلب اليها خيولها من كل مكان (قال المتقى) أثبتناما يجرى فى هذه الاوقات ودوناه فلم يزل الامعه فى ذلك يجدد لهما البر الى أن كان من أمره ما قد اشتهر وقد تناهى بنا الكلام الى هذا الموضع من خلافة المتقى فلنذكر الآن بعض من اشتهر شعره فى هذا الوقت واستفاض فى الناس وظهر فمنهم أبو نصر القاسم بن أحمد الحرورى وهو أحد المطبوعين المجودين فى البديهة المعروفين بالغزل فمن جيد شعره قوله

أضنى الهوى جسدى و بدلنى به * جسدا تكوّن من هوى متجسد
مازال ايجاد الهوى عدمى الى * أن صرت لو أعدمته لم أوجد

ومن جيد شعره ما عاتب به ابن انكك الشاعر وهو

لم لاترى لصداقتى تصديقا * فيناولم تدع الصديق صديقا
ذو العقل لا يرضى بوسم صداقة * حتى يرى لحقوقها تحقيقا
فلمن يرجى الحب أن يدعى أخا * وعلى الرفيق بان يكون رفيقا
ان غاب غاب محافظا أوحل كا * ن مداعبا أوقال كان صدوقا

وفى هذا الشعر يقول

ويكاد من علق الهوى بفؤاده * مما تفكر أن يرى زنديقا

وقوله

أعليك أعتب أم على الايام * بدأت وكنت مؤكدا بتمام
قطع التواصل قربنا بتواعد * وقطعت أنت تواصل الاقلام
هلا ألفت اذا الزمان مشتت * الالف للارواح لا الاجسام

وفى هذا الشعر يقول

عذرا أبا عيسى عسى لك فى القلا * عذرا وذا علم بلا اعلام
من غابت الاخبار عنه ودينه * دين الامامة قال بالاوهام

خذ من فرائدك الذى أعطيتنى * فالدردرك والنظام نظامى
حكم معانيها معانيك التى * فصلتها الى والكلام كلامى

وشعره فى الغزل وغيره أكثر من أن نأتى عليه وأكثر الغناء المحدث فى وقتنا هذا من شعره وقد أشيع بموته وان البريدى غرقه لانه كان هجاه وقيل بل هرب من البصرة ولحق بهجر ولجأ بأبى طاهر بن سليمان بن الحسن صاحب البحرين (قال المسعودى) وقد أتينا على أخبار المتقى وما كان فى أيامه من الكوائن والاحداث على الشرح والايضاح فى الكتاب الاوسط الذى كتابنا هذا تال له وانما نذكر من أخبارهم فى هذا الكتاب لمعا لاشتراطنا فيه على أنفسنا الاختصار والايجاز وكذلك أتينا على خبر مقتل بجكم التركى وكان مقتله فى رجب سنة تسع وعشرين وثلثمائة وما كان من أمره مع الاكراد بناحية واسط وما كان من كورتكين الديلمى واستيلائه على جيش بجكم وانحدار محمد بن رائق من الشام ومحاربته كورتكين بعكبرا ومحاربته اياه ودخوله الحضرة وما كان بينهم من الوقعة بالحضرة الى ان انهزم كورتكين واستولى محمد بن رائق على الامر وما كان من البريديين وموافاتهم الحضرة وخروج المتقى عنها مع محمد بن رائق الموصلى فى كتابنا المترجم باخبار الزمان فاغنى ذلك عن اعادته فى هذا الكتاب والله الموفق للصواب

(ذكر خلافة المستكفى بالله)

و بويع المستكفى بالله وهو أبو القاسم عبدالله بن على المكتفى يوم السبت لثلاث خلون من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة وخلع فى شعبان سنة أربع وثلاثين وثلثمائة لسبع بقين من هذا الشهر فكانت خلافته سنة وأربعة أشهر الا أياما وأمه أم ولد

(ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه)

قد قدمنا عند ماذكرنا خلع المتقى لله ان المستكفى بويع له بالسبق على نهر عيسى من أعمال قادود بازاء القرية المعروفة بالسندية فى الوقت الذى سملت فيه عينا المتقى بايع له أبو الوفاء توزون وسائر من حضره من القواد وأهل الدولة وأهل عصره من القضاة منهم القاضى أبو الحسن محمد بن الحسن

أتحفتهم سيادتكم بالاشراف عليه والدخول اليه وتنعيم الابصار فى المحاسن المجموعة لديه وان كان يوما قد غابت شمسه ولم يتفق أن كمل أنسه وأنشدته حينئذ بعض من حضر ولعله لم يبلغكم وان كان قد بلغكم ففضلكم يحملنى فى اعادة الحديث

أقول وعين الدمع نصب عيوننا * ولاح لبستان الوزارة جانب
أهذى سماء أم بناء سمائه * كواكب غضت عن سناها الكواكب
تناظرت الاشكال منه تقابلا * على السعد وسطى عقده والجوانب
وقد جرت الامواه فيه مجرة * مذانبها شهب لهن ذوائب
وأشرف من عليائه بهو تحفه * شماسى زجاج وشيها متناسب
يطل على مائه الآس دائرا * كما افتر ثغر أو كما اخضر شارب
هنالك ماشاء العلا من جلالة * بها يزدهى بستانها والمراتب

ولما أحضر الطعام هنالك دعى شيخنا القاضى أبو البركات فاعتذر أنه صائم قد بيته من الليل

نى أن قلت

دعونا الخطيب أبا البركات * لأكل طعام الوزير الاجل
وقد ضمنا في نداه جنان * به احتفل الحسن حتى كمل
فاعرض عنا لعذر الصيام * وما كل عذر له مستقل
فان الجنان محل الجزاء * وليس الجنان محل العمل

مافرغنا من الطعام أنشدت الابيات شيخنا أبا البركات فقال لي لو أنشدتنيها وأنتم بعد لم
شامنه لا كانت معكم براً بهذه الابيات والحوالة في ذلك على الله تعالى انتهى * ومن نظم
ة المذكور في فران

* رب فران جلا صفحته * لهب الفرن جلاء العسجد
يضرم النار باحشاء الورى * مثل مايضرم في المستوقد
فكأن الوجه منه خمرة * فوقها الشعر كقدر أسود انتهى

لسان الدين رحمه الله تعالى ولما قدمت مالقة آيبا من السفارة الى ملك المغرب محفوفا
بالله تعالى وجميل صنعه موفي المآرب مصحبا بالاعانة لقيني على عادته مهنيا يعني أحمد
صفوان أحد أعلام مالقة وبقية أدبائها وصدور كتابها وأنشدني معيدا في الود ومبديا
ن غرضا له تجل قضاءه والحمد لله تعالى

قدمت باسعد القدوم احتلاؤه * فهنيت ماعم الجميع هناؤه
قدوما بخير وافر وعناية * وعز مشيد بالمعالي بناؤه
ورفعة قدر لا يداني محلها * رفيع وان ضاهى السماك اعتلاؤه
عنيت بأمر المسلمين فكلهم * بخير تحييه قد توالى دعاؤه
بلغت الذي أملته من صلاحهم * فادركت أمولا عظيما جزاؤه
فيا واحدا أغنت عن الجمع ذاته * وقام باعباء الامور غناؤه
تشوقك الملك الذي بك فخره * وأنت حقيقا حسنه وبهاؤه
فلا زال مزدانا بحليك جوده * ولا زال موفورا عليك اصطفاؤه
وخصصت من رب العباد بنعمة * ينيلكها تخصيصه واحتفاؤه
وعشت عزيزا في النفوس محببا * يلبي بتبجيل وبر نداؤه
وقد جاءني داعي السرور مؤديا * لحق هناء فرض عين أداؤه
ولي بعد هذا مأرب متوقف * على فضلك الرحب الجناب قضاؤه
هززت له عطف البطرني راجيا * له النجح فاستعصى وخاب رجاؤه
ولم يدر اني من علاك لمنتض * حساما كفيلا بالنجاح انتضاؤه
يصمم ان هززته كفي لمعضل * فيكفي العنا تصميمه ومضاؤه
فحقق له دامت سعودك حومتي * لديك برحبي مطله والتواؤه
وشارك محبا خالصا لك حبه * قديما كريما عهده ووفاؤه
وصل بجزيل الرعي حبل زمامه * يصلك جزيلا شكره وثناؤه

وسار حتى نزل في يوم الاحد بالشماسية فلما كان في يوم الاثنين انحدر في الماء راكبا في الطيار الذي يسمى الغزالة وعليه قلنسوة طويلة محدودة ذكر أنها كانت لابيه المكتفي بالله وعلى رأسه تورون التركي ومحمد بن يحيى شيرزاد وجماعة من غلمانه وسلم اليه المتقي ضريرا وأحمد ابن يحيى القاضي مقبوضا عليه وحضر بعد ذلك سائر القضاة والهاشميين فبايعوا له واستوزر أبا الفرج محمد ابن علي السامري مدة ثم غضب عليه وغلب على أمره محمد بن شيرزاد وجلس للناس وسال عن القضاة وكشف عن أمر شهود الحضرة فامر باسقاط بعضهم وأمر باستتابة بعضهم من الكذب وقبول بعضهم لاشياء كان قد علمها منهم قبل الخلافة فامتثل القضاة ماأمر به من ذلك واستقضى على الجانب الشرقي محمد بن عيسى المعروف بابن أبي موسى الحنفي وعلى الجانب الغربي محمد بن الحسن بن أبي الشوارب الاموي الحنفي فقالت العامة الى ههنا انتهى سلطانه وانتهى في الخلافة أمره ونهيه وقد كان بينه وبين الفضل بن

المقتدر الذي يسمى بالمطيع قبل ذلك مجاورة في دار ابن طاهر وعداوة في اللعب بالحمام وتطييرها واللعب

بقيت وصنع الله يدني لك المنى * و يوليك من مصنوعه ما تشاؤه
بحرمة من حقت سيادته على * بني آدم والخير منه ابتداؤه

وجمعت ديوان شعره أيام مقامي بمالقة عند توجهي صحبة الركاب السلطاني الى اصراخ الخضراء عام أربعة وأربعين وسبعمائة وقدمت صدره خطبة وسميت الجزء بالدرر الفاخره واللجج الزاخره وطلبت منه أن يجيزني وولدي عبد الله رواية ذلك عنه فكتب بخطه الرائق بظهر المجموع ما نصه الحمد لله مستحق الحمد أجبت سؤال الفقيه الاجل الافضل السري الماجد الاوحد الاحفل الاديب البارع الطالع في أفق المعرفة والنباهة والرفعة المكينة والوجاهة بابهى المطالع المصنف الحافظ العلامة الحائز في النظم والنثر واسلوبي الكتابة والشعر رتبة الرياسة والامامة محلي جيد العصر بتآليفه الباهرة الرواء ومجلي محاسن بنيه الرائقة على منصة الاشارة والانباء الى عبد الله بن الخطيب وصل الله تعالى سعادته وحرس مجادته وسني من الخير الاوفر والصنع الابهر مقصده وارادته وبلغه في نجله الاسعد وابنه الراقي بجده الفاصل ومنشئه الاطهر محل الفرقد افضل ما يؤمل نحلته اياه من المكرمات وافادته واجزت له ولابنه عبد الله المذكور أبقاهما الله تعالى في عزة سنية الخلال وعافية ممتدة الافياء وارفة الظلال رواية جميع ما تقيد في الاوراق المكتتب على ظهر اول ورقة منها من نظمي ونثري وما توليت انشاءه واعتمدت بالارتجال والروية اختياره وانتقاءه ايام عمري وجميع مالي من تصنيف وتقييد ومقطوعة وقصيد وجميع ما حملته عن اشياخي رضي الله تعالى عنهم من العلوم وفنون المنثور والمنظوم باي وجه تادى ذلك الي وصح حملي له وثبت اسناده لدي اجازة تامة في ذلك كله عامة على سنن الاجازات الشرعي وشرطها المأثور عند اهل الحديث المرعي والله ينفعني واياهما بالعلم وحمله و ينظمنا جميعا في سلك حزبه المفلح واهله ويفيض علينا من انوار بركته وفضله قال ذلك وكتبه بخط يده الفانية العبد الفقير الى الله الغني به احمد ابن ابراهيم بن احمد بن صفوان ختم الله تعالى له بخير حامدا الله تعالى ومصليا ومسلما على نبيه المصطفى الكريم وعلى آله الطاهرين ذوي المنصب العظيم وصحابته البررة أولي الاثرة والتقديم في سادس ربيع الآخر عام أربعة وأربعين وسبعمائة وحسبنا الله ونعم الوكيل انتهى * وكتب الفقيه ابو جعفر بن عبد الملك العذري من اهل بلنسية الى لسان الدين رحمه الله تعالى في بعض الاغراض

اني بعبدك لم ازل مستيقنا * ان لا يهدم بالتغير ما بني
اذ انت اعظم ماجد يعزى له * صفح واكرم من عفا عمن جني

وكتب ايضا

ان كان دهري قد اساء وجارا * فذمام مجدك لا يضيع جارا
ولأنت اعظم ملجأ يحمى اذا * ما الدهر اخلف موعدا واغارا

وقال لسان الدين رحمه الله تعالى خاطبت الشيخ الشريف الفاضل ابا عبد الله بن نفيس صحبة ثمن سكن اشتريته منه وكان قد أهداني فرسا عتيقا

بالكباش والديوك والسمان وهو الذي يسمى بالشام القبج فلما جلس المستكفي الى نهر عيسى ليبايع له هرب المطيع من داره وعلم أنه سياتي عليه فلما استقرت للمستكفي طلب المطيع فلم يقف له على خبر فهدم داره وأتى على جميع ما قدر عليه من بستان وغيره (وذكر) أبو الحسن على ابن أحمد الكاتب البغدادي قال لما استخلف المستكفي ضم اليه تورون غلاما تركيا من غلمانه يقف بين يديه وكان للمستكفي غلام قد وقف على أخلاقه ونشأ في خدمته فكان المستكفي يميل الى غلامه وكان تورون يريد من المستكفي ان يقدم المضموم اليه على غلامه الاول فكان المستكفي يبعث بالغلام التركي في حوائجه اتباعا لمرضاة تورون فلا يبلغ له ما يبلغ غلامه (قال) وأقبل المستكفي يوما على محمد بن محمد بن يحيى بن شيرزاد الكاتب فقال له أتعرف خبر الحجاج بن يوسف مع أهل الشام قال لا يا أمير المؤمنين قال ذكروا أن الحجاج بن يوسف كان قد اجتبى قوما من أهل العراق وجد عندهم من الكفاية ما لم يجد عند خاصته من الشاميين فشق ذلك على الشاميين وتكلموا فيه فبلغ اليه كلامهم فركب في جماعة من الفريقين وأوغل بهم في الصحراء فلاح لهم من بعد قطار ابل فدعا برجل من أهل الشام فقال له امض

جريت

جزيت يا ابن رسول الله أفضل ما * جزى الاله شريف البيت يوم جزى
أن أعجز الشكر مني منة ضعفت * عن بعض حقك شكر الله ما عجزا

سيدي أبقى الله شرفك تشهد به الطباع اذا بعدت المعاهد المقدسة والرباع وتعترف به الابصار والاسماع وان جحدت عارضها الاجماع بأي لسان أثني أم أي الافنان أهصر وأجني أم أي المقاصد الكريمة أعني أمطيت جوادك المبارك وأسكنت دارك واوسعت مطاي اصطبارك وهضمت حقك وبوأت جوارك ووصلت للغرباء ايثارك أشهد بانك الكريم ابن الكريم لا أقف في تعدادها عند حد الى خير جد فان أعان الدهر على مجاراه وان ترفع كرمك عن موزاه فحاجة نفس قضيت وأحكام آمال أمضيت وان اتصل العجز فعين على القذى اغضيت ومناصل عزم ما انتضيت وعلى كل حال فالثناء ذائع والحمد شائع واللسان والحمد لله طائع والله مشتر ما أنت بائع وقد وجهت من يحاول لسيدي ثمن ما اكتتبه مجده وسفر عنه جده والعقيدة بعد التراضي وكمال التقاضي وحميد الصبر وسعة التغاضي وكونه الخصم والقاضي انه هبة سوغها انعامه وأكلة هنأها مطعامه نسأل الله تعالى أن يعلي ذكره ويتولى شكره وينمي ماله ويرفع قدره والولد جاره الغريب الذي برز الى مقارعة الايام عن خبرة قاصره وتجربة غير منجدة على الدهر وناصره قد جعلته وديعة في كرم جواره ووصعته في حجر ايثاره فان زاغ فيده العليا في تبصيره ومؤاخذته بتقصيره ومن نبه مثله نام ومن استنام اليه بهمه أكرم عن السه استنام وان تشوف سيدي لحال محبه فطلق للدنيا من عقال ورافض أثقال ومؤمل اعتياض بخدمة الله تعالى وانتقال انتهى (وقال) رحمه الله تعالى مما خاطبت به صدر الفضلاء الفقيه المعظم أبا القاسم بن رضوان بما يظهر داعيته من فحواه

مرضت فأيامي لديك مريضة * وبرؤك مقرون ببرء اعتلالها
فلا راع تلك الذات للضر رائع * ولا وسمت بالسقم غر خلالها

وردت على من فئتي التي اليها في معرك الدهر أتحيز وبفضل فضلها في الاقدار المشتركة أتميز سحابة سرت وساءت وبلغت من القصد بين ما شاءت أطلع بها سيدي صنيعة وده من شكواه على كل عابث في السويداء موجب اقتحام البيداء مضرم نار الشفقة في فؤاد لم يبق من صبره الا القليل ولا من افصاح لسانه الا الانين والاليل ونوى مدت لغير ضرورة رضاها الخليل فلا تسأل عن ضنين تطرقت اليد الى رأس ماله أو عابد توزع متقبل أعماله أو آمل ضويق في فذلكة آماله لكني رجحت دليل المفهوم على دليل المنطوق وعارضت القواعد الموحشة بالفروق ورأيت الخط يبهر والحمد لله تعالى ويروق واللفظ الحسن تومض في حبره للمعنى الاصيل بروق فقلت ارتفع الوصب وردمن الصحة المغتصب آلة الحس والحركة هي العصب واذا أشرق سراج الادراك دل على سلامة سليطه والروح خليط البدن والمرء بخليطه وعلى ذلك فلا يقنع بليد احتياطي الا الشرح ففيه يسكن الظما البرح وعذرا عن التكليف فهو محل الاستقصاء والاستفسار والاطناب والاكثار وزند القلق في مثلها أوري والشفيق بسوء الظن مغرى وسيدي هو العمدة التي سلمت لي الايام فيها

فقال أمحملة هي أم غير محملة قال لا أدري ولكني أعود وأتعرف ذلك وقد كان الحجاج أتبعه برجل آخر من أهل العراق وأمره بمثل ما كان أمر الشامي فلما رجع العراقي أقبل عليه الحجاج وأهل الشام يسمعون فقال ماهي قال ابل قال وكم عددها قال ثلاثون قال وما تحمل قال زيتا قال ومن أين صدرت قال من موضع كذا قال ومن ربها قال فلان فالتفت الى أهل الشام فقال

ألام على عمرو ولومات أوناى
لقل الذي يغني غناءك يا عمرو

فقال ابن شيرزاد فقد قال يا أمير المؤمنين بعض أهل الادب في هذا المعنى

شر الرسولين من يحتاج مرسله
منه الى العود والاثران سيان

كذلك ما قال أهل العلم في مثل

طريق كل أخي جهل طريقان

قال المستكفي ما أحسن ما وصف البحتري الرسول بالذكاء بقوله

وكأن الذكاء يبعث منه
في سواد الامور شعلة نار

وعلم ابن شيرزاد استثقال المستكفي لغلام توزون فاخبر توزون بذلك فاعفاه منه وأزاله عن خدمته

وقالت حسب آمالك و يكفيها فكيف لا اشفق ومن أنفق من ميته فانا من عيني لا أنفق والله لا يحبط سعيي فى سؤال عصمتها ولا يخفق ويرشد الى شكره على ما وهب منها ويوفق والسلام الكريم على سيدى البر الوصول الذى زكت منه الفروع لما طابت الاصول وخلص من وده لابن الخطيب المحصول ورحمة الله تعالى وبركاته قال فراجعنى حفظ الله سيادته بما نصه

متى شئت ألفى من علائك كل ما * ينيل من الآمال خيرمنالها
كبرء اعتلال من دعائك زارنى * وعادات برلم ترم عن وصالها

أبقى الله ذلك الجلال الاعلى متطولا بتأكيد البر متفضلا بموجبات الحمد والشكر وردتنى سحاءته المشتملة على معهود تشريفه وفضله الغنى عن تعريفه متحفيا فى السؤال عن شرح الحال ومعلنا بما تحلى به من كرم الخلال والشرف العال والمعظم على ما يسر ذلك الجلال الوزارى الرياسى أجراه الله تعالى على أفضل ما عوده كما أعلى فى كل مكرمة يده ذلك ببركة دعائه الصالح وحبه المخيم بين الجوانح والله سبحانه المحمود على نعمه ومواهب لطفه وكرمه وهو سبحانه المسؤل أن يهيئ لسيدى قرار الخاطر على ما يسره فى الباطن والظاهر عن الله تعالى وفضله والسلام الكريم على جلاله الاعلى ورحمة الله وبركاته كتبه المعظم الشاكر الذاكر الداعى المحب ابن رضوان وفقه الله تعالى فى ذى الحجة ختام عام واحد وستين وسبعمائة انتهى (وقال) رحمه الله تعالى وفاتحته يعنى الشيخ الجنان محركا قريحته ومستثيرا ما عنده بقولى

ان كانت الآداب أضحت جنة * فلقد غدا جنانها الجنان
أقلامه القضب اللدان بدوحها * والزهر ما رقته منه بنان

وذكر بعد البيتين سجعا بليغا ثم قال فراجعنى الجنان بما نصه

ياخاطب الآداب مهلا فقد * ردك عن خطبتها ابن الخطيب
هل غيره فى الارض كفء لها * وشرطها الكفاة قول مصيب
أصبح للشرط بها معترسا * فاستفت فى الفسخ فهل من مجيب

أيها السيد الذى يتنافس فى لقائه و يتغالى و يصادم بولائه صرف الزمان و يتعالى و تستنتج نتائج الشرف بمقدمات عرفانه وتقتنص شوارد العلوم بروايات كلامه فكيف بدانات عيانه جلوت على من بنات فكرك عقائل نواهد وأقمت بها على معارفك الجمة دلائل وشواهد واقتنصت بشرك بديهتك من المعانى اوابد شوارد وفجرت من بلاغتك وبراعتك حياضا عذبة الموارد ثم كلفتنى من اجراء ظالعى فى ميدان ضليعها مقابلة الشمس المنيرة بسراج عند طلوعها فاخلدت اخلاد مهيض الجناح وفررت فرار الاعزل عن شاكى السلاح وعلمت انى ان أخذت نفسى بالمقابله وأدليت دلو قريحتى للمساجله كنت كمن كلف الايام مراجعة أمسها أو طلب ممن علته السماء محاولة لمسها وان رضيت من القريحة بسجيتها وأظهرت القدر الذى كنت امتحت من ركيتها أصبحت مسخرة للراوين والسامعين ونبت عن اسمى دواوينهم كما تنبو عن الاشيب عيون العين ثم ان أمرك

(وحدث) أبو إسحق ابراهيم بن إسحق المعروف بابن الوكيل البغدادى قال كان أبى نديما فى خدمة المكتفى فلما كان من أمره ما اشتهر صرت فى خدمة أخيه عبد الله ابن المكتفى فلما أفضت الخلافة اليه كنت أخص الناس به فرأيته فى بعض الايام وعنده جماعة من ندمائه ممن كان يعاشرهم قبل الخلافة من جيرانه بناحية دار ابن طاهر وقد تذاكروا الخمر وأفعالها وما قال الناس فيها من المنثور والمنظوم وما وصفت به فقال بعض من حضر يا أمير المؤمنين ما رأيت أحدا وصف الخمرة بأحسن من وصف بعض من تأخر فانه ذكر فى بعض كتبه فى الشراب ووصفه أنه ليس فى العالم شئ واحد أخذ من أمهاته الاربع فضيلتها وابتزها أكرم خواصها الا الخمرة فلها لون النار وهو أحسن الالوان ولدونة الهواء وهى ألين المجسات وعذوبة الماء وهى أطيب المذاقات وبرد الارض وهى ألذ المشروبات قال وهذه الاربع وان كن فى جميع المآكل والمشارب مركبة فليس الغالب عليه ما وصفنا من الغالب على الخمر قال واصفها قد قلت فى اجتماع الصفات التى ذكرنا فيها

لست أرى كالراح فى جمعها * لاربع هن قوام الورى
عذوبة الماء ولين الهواء * وسخنة النار وبرد الثرى

يا

ياسيدى لايحل وثيق مبرمه ولا يحل نسج محكمه فامتثلته امتثال من لم يجد فى نفسه حرجا من قضائك ورجوت حسن تجاوزك واغضائك أبقاك الله تعالى قطبا لفلك المكارم والمآثر وقصا لخاتم المحامد والمفاخر والسلام انتهى * والجنان المذكور مغربى من مكناسة الزيتون وهو الشيخ الفقيه العدل الاديب الاخبارى المشارك أبو جعفر أحمد بن محمد بن ابراهيم الاوسى الجنان من أهل الظرف والانطباع والفضيلة كاتب عاقل ناظم ناثر مشارك فى فنون من العلم له تصنيف حسن فى ثلاث مجلدات سماه المنهل المورود فى شرح المقصد المحمود شرح فيه وثائق أبى القاسم الجزيرى المالكى فأربى على غيره بيانا وافادة قال فى نفاضة الجراب وناولنيه ايا واذن لى فى حمله عنه وأنشدنى كثيرا من شعره فمن ذلك ما صدر به رسالة يهنئ بها ناقها من مرض

الدمس الصحة بردا قشيبا * وارشف النعمة ثغرا شنيبا
واقطف الآمال زهرا نضيرا * واعطف الاقبال غصنا رطيبا
ان يكن ساءك وعك تقضى * تجد الاجر عظيما رحيبا
فانتعش فى دهرنا ذا سرور * يصبح الحاسد منه كئيبا

أيضا لسان الدين فى النفاضة قرأت بالدور المحدثة فى الدار التى نزلت بها بمكناسة من أبيات منقشة استحسنتها وسألته فاخبرنى انها من نظمه وهى

انظر الى منزل متى نظرت * عيناك يعجبك كل ما فيه
ينبئ عن رفعة لمالكه * وعن ذكاء الحجا لبانيه
يناسب الوشى فى أسافله * ما رقم النقش فى أعاليه
كأنه روضة مدبجة * جاد لها وابل بعافيه
فاظهرت للعيون زخرفها * ووافقتها على تجليه
فهو على بهجة تلوح به * ورونق للجمال يبديه
يشهد للساكنين أن لهم * من جنة الخلد ما يحاكيه انتهى

قلت قد تذكرت هنا والشئ بالشئ يذكر ما رأيته مكتوبا على دائرة مجرى الماء بمدرسة تلمسان التى بناها أمير المسلمين ابن تاشفين الزيانى وهى من بدائع الدنيا وهو

انظر بعينك بهجتى وسنائى * وبديع اتقانى وحسن بنائى
وبديع شكلى واعتبر فيما ترى * من نشأتى بل من تدفق مائى
جسم لطيف ذائب سيلانه * صاف كذوب الفضة البيضاء
قد حف بى أزهار وشى نمقت * فغدت كمثل الروض غب سماء

وما أنشده بعض أهل العصر فى المغرب بقصد أن يرسم فى الاستار المذهبة المحكمة الصنعة التى جعلها السلطان المنصور أبو العباس الشريف الحسنى رحمه الله تعالى لكى يستر بها النواحى الاربع من القبة الكبيرة بالبديع وتسمى هذه الستور عند أهل المغرب بالحائطى ففى الجهة الاولى

متع جفونك من بديع لباسى * وأدر على حسنى حميا الكاس

لما كانت الراح بالموضع الذى وصفناها به من الفضل على سائر ما ينال ويوصف من صنوف اللذات والمدح بها عما ينفع من فنون الشهوات قال فاما شعاع الخمر فانه يشبه بكل شئ نورى من شمس وقمر ونجم ونار وغير ذلك من الاشياء النورية فاما لونها فيحتمل أن يشبه بكل أحمر فى العالم وأصفر من ياقوت وعقيق وذهب وغير ذلك من الجواهر النفيسة والحلى الفاخرة قال وقد شبهها الاولون بدم الذبيح ودم الجسون وشبهها غيرهم بالزيت والرازقى وغيرهما وتشبيهها بالجوهر الاكرم أفضل لها وأحسن فى مدحها قال فاما صفاؤها فيحتمل ان يشبه بكل ما يقع عليه اسم الصفاء وقد قال بعض الشعراء المتقدمين فى صفائها تريك القذى من دونها وهى دونه وهذا أحسن ما قاله الشعراء فى وصف الخمر قال وقد أتى أبو نواس فى وصفها ووصف طعمها وريحها وحسنها ولونها وشعاعها وفعلها فى النفس وصفة آلاتها وظروفها وأدنانها وحال المنادمات عليها والاصطباح والاغتباق وغير ذلك من أحوالها بما يكاد يعلو به باب وصفها ولولا اتضاع الاوصاف لها واحتمالها اياها وأنها لا تكاد تحصر ولا يبلغ الى غاياتها قال وقد وصف أبو نواس نورها مثل فعل الصبح فى الظلم فقال فكأنه فى كفه شمس وراحته قمر (وقال) فعلت فى البيت اذ مزجت

هذى الربا والروض من جرعائها * ما اغتدى بالعارض البجاس
أنى لروض أن يروق بهاؤه * مثلى وأن يجرى على مقياس
فالروض تغشاه السوام وانما * تأوى الى كنفى ظباء كناس

وعلى الجهة الثانية

من كل حسنا كالقضيب اذا انثنى * تزرى بغصن البانة المياس
ولقد نشرت على السماك ذوائبى * ونظرت من شزر الى الكناس
وجررت ذيلى بالمجرة عابثا * فخرا بعنبر عى أبى العباس
ما نيط مثلى فى القباب ولا ازدهت * بفتى سواه مراتب وكراسى

وعلى الجهة الثالثة

ملك تقاصرت الملوك لعزه * ورماهم بالذل والاتعاس
غيث المواهب بحر كل فضيلة * ليث الحروب مسعر الاوطاس
فرد المحاسن والمفاخر كلها * قطب الجمال أخو الندى والباس
ملك اذا وافى البلاد تارجت * منه الوهاد بعاطر الانفاس

وعلى الجهة الرابعة

واذا تطلع بدره من هالة * يغشى سناه نواظر الجلاس
أيامه غرر تجلت كلها * أبهى من الاعياد والاعراس
لا زال للمجد السنى يشيده * ويقيم مبناه على الآساس
ما مال بالغصن النسيم وحيبت * درر الندى فى جيده المياس

وما أنشدنيه بعض العصريين من المغاربة لصاحبنا المرحوم الفقيه الكاتب المحقق أبى محمد الحسن بن أحمد المسفيوى المراكشى أحد مشاهير الكتاب بباب أمير المؤمنين المنصور بالله أبى العباس الشريف الحسنى ملك المغرب صب الله تعالى على الجميع أمطار الرضوان مما كتب فى بعض مبانى صاحبنا الوزير العلامة الاجل سيدى عبد العزيز القشتالى رحمه الله تعالى وهو

أجل المعلى من قداح سرورى * وأدر كؤس الانس دون شرور
خلعت على عطف البهاء محاسنى * فكست به الآفاق ثوب حبور
وتناسق الوشى المفوّف حاتى * نسق الشذور على نحور الحور
شاو القصور قصورها عن رتبة * لى بالسنا الممدود فى المقصور
فى المبتنى المراكشى وافقه * ازرى على الزوراء والخابور
اعلى مقامى البارع الاسمى الذى * قد حاز سبق النظم والمنثور
فاذا اقل بنانه اقلامه * نفثت عقود السحر بين سطور
عبد العزيز اخو الجلالة كاتب * سر الخليفة احمد المنصور
لا زال فى يمن وأمن ماشدت * ورق بروض بالندى ممطور انتهى

وبعضه كتبته بالمعنى من حفظى لطول العهد والغاية فى هذا الباب ما أنشدنيه لنفسه الوزير أبو فارس

اذا عب فيها شارب القوم خلته * يقبل فى داج من الليل كوكبا
ترى حيثما كانت من البيت مشرقا * وما لم تكن فيه من البيت مغربا

(وقال أيضا)

وكأن شاربها لفرط شعاعها * فى الكاس يكرع فى ضيا مقباس

(وقال أيضا)

فقلت له ترفق بى فانى * رأيت الصبح من خلل الديار
فقال تعجبا منى أصبح * ولا صبح سوى ضوء العقار
وقام الى الدنان فسدّ فاها * فعاد الليل مصبوغ الازار

(وقال أيضا)

وحمراء قبل المزج صفراء دونه * كأن شعاع الشمس يلقاك دونها

(وقال)

كأن نارا بها محرشة * تهابها تارة وتخشاها

(وقال أيضا)

حمراء لولا انكسار الماء لاختطفت * نور النواظر من بين الحماليق

(وقال أيضا)

ينقض منها شعاع كلما مزجت * كالشهب تنقض فى اثر العفاريت

ن عبد العزيز القشتالى المذكور وهى جملة من قصائد ... بت فى المبانى الملوكية المنصورية
ضرة المراكشية حاطها الله تعالى فمنها ما كتب خارج القبة الخمسينية أى التى فيها الجسون
عابالعمل وذلك قوله رحمه الله تعالى على لسان القبة

سموت فخر البدر دونى وانحطا * وأصبح قرص الشمس فى أذنى قرطا
وصغت من الاكليل تاجا لمفرقى * ونيطت بى الجوزاء فى عنقى سمطا
ولاحت باطواقى الثريا كأنها * نثير جمان قد تتبعته لقطا
وعديت عن زهر النجوم لاننى * جعلت على كيوان رحلى مخطا
وأجريت من فيض السماحة والندى * خليجا على نهر المجرة قد غطى
عقدت عليه الجسر للفخر فارتمت * اليه وفود البحر تغرق ما أعطى
... ضمن ما بين الغروس كأنه * وقد قرقت حصباؤه حية رقطا
واليه من دوح الرياض خرائد * وغيد تجرر من خمائلها مرطا
ا أرسلت لدن الفروع ونقحت * جنى الزهر لاح فى ذوائبها وخطا
... كهام النسيم اذا سرى * كأمال نشوان تشرب اسفنطا
... فى رياض جادها الجود والندى * سواء لديها الغيث أسكب أم أخطا
... ات بسلسال اللجين حياضه * بحار اغدا مرض البسيط لها شطا
... الح منها واسط وسطا دمية * هى الشمس لا تخشى كسوفا ولا غمطا
... حكت وحباب الماء فى جنباتها * سنى البدر حل من نجوم السما وسطا
اذا غازلتها الشمس التى شعاعها * على جسمها الفضى نهر ابها لطا
توسمت فيها من صفاء أديمها * نقوشا كأن المسك ينقطها نقطا
اذا نسقت بيض القباب قلادة * فانى لها فى الحسن درتها الوسطى
تكنفنى بيض الدمى فكأنها * عذارى نضت عنها القلائد والربطا
قدود ولكن رانها الحسن عريها * وأجمل فى تنعيمها النحت والخرطا
نمت صعدا تيجانها فتكسرت * قوارير أفلاك السماح بها ضغطا
فيا لك شاوا با السعادة آهلا * با كنافه رحل العلا والهدى حطا
وكعبة مجد شادها العز فانبرت * تطوف بمغناها أمانى الورى شوطا
ومسرح غزلان الصريم كناسها * حنايا قباب لا الكثيب ولا السقطا
فلكن به ما طاب لا الأثل والخمطا * ووسدن فيه الوشى لا السدر والارطى
نراه من المسك الفتيت مدبرا * اذا مازجته الصب عاد بها خلطا
وان باكرته نسمة لسرى بها * الى كل انف عرف عنبره قسطا
اقرت له الزهراء والخلد وانتقت * أواوين كسرى الفرس تغبطه غبطا
جناب رواق المجد فيه مطنب * على خير من يعزى لخير الورى سبطا
امام يسير الدهر تحت لوائه * وترى سفان للعلا حيثما وطا
وفتاح أقطار البلاد بفيلق * يفلق هامات العدا با الظبا خبطا

(وقال)
مجودها حتى عيانا يرى لها
الى الشرف الاعلى شعاعا مطنبا

(وقال)
قال ابغنى المصباح قلت له اتئد
حسبى وحسبك ضوؤها مصباحا
فسكبت منها فى الزجاجة شربة
كانت لنا حتى الصباح صباحا

قال وله فى هذا الفن أشياء كثيرة قد وصفها فى مشابهة النار ومخالفة الانوار والرفع للظلام وتصيير الليل نهارا والظلم انوارا مما هو اغراق الواصف واشتطاط المادح قال وليس الى صفة لونها ونورها ما هو أحسن مما وصفها اذ ليس بعد الانوار شئ فى الحسن قال فداخل المستكفى سرور وفرح وابتهاج بما وصف فقال ويحك فرج عنى من هذا الوصف قال نعم يا سيدى (قال) عبد الله بن محمد الناشى وقد كان المستكفى ترك النبيذ حتى أفضت الخلافة اليه فدعا بها من وقته ودعا الى شربها وقد كان المستكفى حين أفضت الخلافة اليه طلب الفضل

ابن المقتدر على حسب ما قدمنا لما كان بينهما من العداوة فيما ذكرنا وغير ذلك مما عنه اعرضنا

تطلع من خرصانه الشهب فانثنت * ذوائب أرض الزنج من ضوئها شمطا
كتائب نصران جرت للمة * جرت قبلها الاقدار تسبقها فرطا
اذا ما عقدن راية علوية * جعلن ضمان الفتح فى عقدها شرطا
فما للسما تلك الاهلة اغا * سنابكها أبقت مثالا بها خطا
يطاوع أيدى المعلوات عنانها * فيعتاد من فيض الزمان بها بسطا
يد لامير المؤمنين بكفها * زمام يقود الفرس والروم والقبطا
أدار جدار العلا وسرادقا * يحوط جهات الارض من رعيه حوطا

وقوله مما كتب بهو ها بحرم أسود فى أبيض

لله بهو عز منه نظير * لما زها كالروض وهو نضير
رصفت نقوش حلاه رصف قلائد * قد نضدتها فى النحور الحور
فكأنها والتبر سال خلالها * وشى وفضة تربها كافور
وكأن أرض قراره ديباجة * قد زان حسن طرازها تشجير
واذا تصعدت نوافق * أغاطه نو ربه عطو باسر
شاو القصور قصورها عن وصفه * سيان فيه خورنق وسدير
فاذا أجلت اللحظ فى جنباته * يرتد وهو بحسنه محسور
وكأن موج البركتين أمامه * حركات نجف صافحته دبور
صفت بصفتها تماثل فضة * ملك النفوس بحسنها تصوير
فتخدر من صفو الزلال معتقا * يسرى الى الارواح منه سرور
ما بين آساد يهيج زئيرها * واساود يسلى لهن صفير
ودحت من الانهار أرض زجاجة * وأظلها فلك يضىء منير
راقت فمن حصبائها وفواقع * تطفو عليها اللؤلؤ المنثور
ياحسنه من مصنع فبهاؤه * باهى نجوم الافق وهى تنور
وكانما زهر الرياض بجنبه * حيث التقت كواكب وبدور
ولدسته الاسمى تخير وصفه * فخر الورى وامامها المنصور
ملك أناف على الفراقد رتبة * واقله فوق السماك سرير
قطب الخلافة تاج مفرق دولة * رميت بجحفلها اللهام الكور
وجرى الى أقصى العراق لرعبها * جيش على جسر الفرات عبور
نجل النبى ابن الوصى سليل من * حقن الدماء وعف وهو قدير
بحر الندى لكنه متموج * سيف العلا لكنه مطرور
طود يخف لحلمه ووقاره * ولجيشه يوم النزال ثبير
دامت معاليه ودام ومجده * طوق على جيد العلا مزرور
وتعاهدته عن الفتوح بشائر * يغدو عليه بها المساو يكور
ما دام منزل سعده يرتاده * نصر يرف لواؤه المنشور

فهرب الفضل وقيل انه هرب الى أحمد بن بويه الديلمى متنصرا وأحسن اليه أحمد ولم يظهر
مات توزون ودخل الديلمى
الى بغداد وخرج الاتراك
عنها صار الى ناصر الدولة
أبى محمد الحسن بن عبدالله
ابن حمدان وانحدر معه هو
وابن عمه أبو عبدالله بن
العلاء فكان بينه وبين
ابن بويه الديلمى من الحرب
ما قد اشتهر وانحاز الديلمى
الى الجانب الغربى ومعه
المستكفى والمطيع مختف
ببغداد والمستكفى يطلبه
أشد الطلب وأنزل المستكفى
فى بيعة النصارى المعروفة
بدرنا من الجانب الغربى
فذكر أبو اسحق ابراهيم بن
اسحق المعروف بابن
الوكيل ومنزلته من خدمة
المستكفى ما قدمنا قال
كان المستكفى فى سائر
أوقاته فازعا وجلا من
المطيع أن يلى الخلافة
ويسلم اليه فيحكم فيه بما يريد
فكان صدره يضيق لذلك
فيشكو ذلك فى بعض
الاوقات الى من ذكرنا
ممن كان يألفه من ندمائه
فيشجعونه ويهونون عليه
أمر المطيع الى أن قال لهم فى
بعض الايام قد اشتهيت أن
نجتمع فى مكان كذا وكذا
فنتذاكر أنواع الاطعمة
وما قال الناس فى ذلك
منظوما فاتفق معهم على
ذلك فلما كان فى اليوم الذى حضر وأقبل المستكفى فقال هاتوا ما الذى أعده كل واحد منكم فقال واحد

ومشت

ومشت به مرحا جياد مسرة * وأدار كاس الانس فيه سمير

وقوله مما كتب بداخل القبة المذكورة

جمال بدائعي سحر العيونا * ورونق منظري بهر الجفونا
وقد حسنت نقوشي واستطارت * سنى يعشي عيون الناظرينا
وأطلع سمكي الاعلى نجوما * ثواقب لا تغور الدهر حينا
وجوّى من دخان الند ألقى * على أرضي الغياهب والدجونا
علوت دوائر الافلاك سبعا * لذاك الدهر ما ألفت سكونا
فصغت من الاهلة والحنايا * أساور والخلاخل والبرينا
تكنفني حياض مائجات * أمامي والشمال او اليمينا
يقيد حسنها الطرف انفساحا * ويجري الفلك فيها والسفينا
تدافع نهرها نحوي فلما * تلاقي البحر في جرى دفينا
ترى شهب السماء بهن غرقى * فتحسبها بها الدر المصونا
وقد نشر الحباب على سماها * لآلئ تزدري العقد الثمينا
فخرت وحق لي لما اجتباني * لمجلسه امير المؤمنينا
هو المنصور حائز خصل سبق * وباني المجد بنيانا مكينا
وليث وغى اذا زأر امتعاضا * يروع زئيره هندا وصينا
اذا امت كتائبه الاعادي * بعثن برعبه جيشا كمينا
يدير عليهم من كل حرب * تدقهم رحى أو منجنونا
امام بالمغارب لاح شمسا * بها الشرق اكتسى نورا مبينا
بقيت بذي القصور الغر بدرا * تلوح بافقهن مدى السنينا
تحف بكم عوا كف عند بابي * ملائكة كرام كاتبونا
لك البشرى امير المؤمنين اد * خلوها مع سلام آمنينا

وقوله في بعض المباني المنصورية

معاني الحسن تظهر في المغاني * ظهور السحر في حدق الحسان
مشابه في صفات الحسن اضحت * تمن بها المغاني للغواني
بكل عمود صبح من لجين * تكوّن في استقامة خوط بان
مفصلة القدود منمنمات * مواصلة العناق من التداني
تردت سابري الحسن يزرى * بحسن السابري الخسرواني
وتعطو الخيزرانة من دماها * بسالفة القطيع البرهماني
لمجدك تنتمي لكن غناها * الى صنعاء ما صنع اليدان
يدين لك ابن ذي يزن ويعنو * لها غمدان في ارض اليماني
غدت حرما ولكن حل فيها * لوفدكم الامان مع الاماني
مبان بالخلافة آهلات * بها يتلو الهدى السبع المثاني

امتع بسلة قضبان أتتك وقد
حفت جوانبها الجامات أسطار
فيها سكارج أنواع مصففة
حمر وصفر وما فيهن انكار
فيهن كامخ طرخون مبوهرة
وكامخ احمر فيها وتيار
أعطته شمس الضحى لونا فجاء به
كانه من ضياء الشمس عطار
فيهن كامخ مرزنجوش قابله
من القرنفل نوع منه مختار
وكامخ الدارصيني فليس له
في الطعم شبه ولا في لونه عار
كانه المسك ريحا في تنسمه
حريف في طعمه والريح معطار
وكامخ الزعتر البري ان له
لونا حكاه لدينا المسك والقار
وكامخ الثوم لما أن بصرت به
ابصرت عطر اله بالاكل أمار
كأن زيتونها فيها ظلام دجى
في الجيب منه من المعصور اسفار
اذا تأملت ما فيهن من بصل
كأنهن لحسن حشوه نار
وسلجم مستدير القد خالطه
طعم من الخل قد حازته أسطار
كأن أبيضه فيه وأحمره
دراهم صففت فيهن دينار
في كل ناحية منها يلوح لنا
نجم الينا بصفو الفجر نظار
كأنها زهرة البستان قابلها
بدر وشمس واظلام وأنوار

ط ش قال المستكفي تحضر هذه الجونة بعينها على هذا الوصف وهاتوا فليس نأكل اليوم الا ما تصفون

هي الدنيا وساكنها امام * لاهل الارض من قاص ودانى
قصور ما لها في الارض شبه * وما في المجد للمنصور ثاني

وقوله رحمه الله تعالى مما كتب في المصرية المطلة على الرياض المرتفعة على القبة الخضراء من بديع المنصور وكان انشاها في جمادى الاولى من عام خمسة وتسعين وسبعمائة

باكر لدى من السرور كؤوسا * وارض النديم أهلة وشموسا
واعرج على غرف المنيف سماؤها * تلق الفراقد في حماى جلوسا
واذا اطلعت باوجها قمر العلا * لا ترتضي غير النجوم جليسا
شرق القصور بريقها لما اجتلت * مني على بسط الرياض عروسا
واعتضت بالمنصور أحمد ضيفها * ورد التحسين من بديعي خيسا
ملك أرى كل الملوك عمالكا * لعلاه والدنيا عليه حبيسا
دامت وفود السعد وهي عواكف * تصل المقيل لديه والتعريسا
وهناك باشرف الخلافة دولة * تلقى برايتها طلائع عيسى

وقوله من جملة قصيدة من نمط ما تقدم لم استحضر أولها

سلبت تماثلها الجمال اغتدت * تزهو بحسن طرازها تذهيبا
ولقد تشامخ في العلو سماكها * يجري على الفلك المنير جنيبا
وسما الى الشهب الزواهر فاغتدى الاكليل منها تاجها المعصوبا
هذا البديع يعز شبه بدائع * أبدعتهن به فجاء غريبا
أضحى الغزالة حسنه حسد الذا * أبدى عليها للاصيل شحوبا
وانقضت الزهر المنيرة اذ رأت * زهر الرياض به ينور عجيبا
شيدتهن مصانعا وصنائعا * أنجزن وعدك للعلا المرقوبا
وجريت في كل الفخار لغاية * أدركتها ومامسست لغوبا
فانعم بملكك فيه دام مؤبدا * تجني به فنن النعيم رطيبا
واليكها عذراء فكر أهديت * وجعلت مدحك مهرها الموهوبا
ونظمت من درر البلاغة عقدها * فغدا بروق بجيدها ترتيبا
ورفعتها لمقامكم تمشي على استحيا فيزعجها الولا ترغيبا
فأتت على شرف لكم فتوقفت * لما رأت ذاك الجلال مهيبا
شفعت اليك بحب جدك أحمد * لتنيلها منك الرضا المرغوبا
دامت بك الدنيا يروق جمالها * والى القيامة أمركم مرهوبا
وكلاكم الله العظيم كلاءة * يرعى بها خلفاءكم وعقيبا انتهى

ومحاسن صاحبنا المذكور في النظم والنثر يضيق عنها هذا التأليف وكنت أثبت منها جملة في غير هذا الموضع ولما أحس بعزمي على الرحلة الى الحجاز واقتضائي من سلطان المغرب في وعده لي بها الجواز كتب الي من حضرة مراكش وأنا حينئذ بفاس ما صورته بعد سطر الافتتاح

فقال آخر من الجلساء يا أمير المؤمنين لمحمود بن الحسين الكاتب المعروف بكشاجم في صفة سلة نوادر

متى ننشط للاكل
فقد أصلحت الجونه
وقد زينها الطاهي
لنا أحسن ما زينه
فجاءت وهي من أطيب ما يؤكل مشحونه
فمن جدي شويناه
وعصبناه صارينه
ونضدنا عليه نعنع الفلفل وطرخونه
وفرخ وافر الزور
أجدنا لك تسفينه
وطيهوج وفروج
أجدنا لك تطجينه
وسنبوسجة مقلوة في أثر طريونه
وجراء من البيض
الى جانب زيتونه
وأوساط سطيرات
بزيت الماء مدهونه
يولدن لذي التخمة جوعا ويشهينه
ربوع بكسور الند بالعنبر معجونه
وجريف من الخبز
به الاوساط مقرونه
وطلع كاللآلي في
سموط العيد مكنونه
ونخل ترعف الآنا
فمنه وهي مختونه
وباذنجان بوران
به نفسك مفتونه
وهليون وهدى بسلك تعذب هليونه
ولوزينجة في الدهن والسكر مدفونه
وعندي للترسنيجة مطبوخ وقنينه

يا نسمة عطست بها أنف الصبا * فتضمخت بعبيرها فن الربا
هبي على ساحات أحمد واشرحي * شوقي الى لقياه شرحا مطنبا
وصفي له بالمنحنى من أضلعي * قلبا على جمر الغضى متقلبا
بان الاحبة عنه حتى قد توى * منهم وآخر قد نأى وتغيبا
فعسالك تسعد يا زمان بقربهم * فأقول أهلا باللقاء ومرحبا

السيادة التي سواها الله من طينة الشرف والحسب وغرس دوحتها الطيبة بمعدن العلم الزاكي المحتد والنسب سيادة العالم الذي تمشي تحت علم فتياه العلماء الاعلام وتخضع لفصاحته وبلاغته صيارفة النثر والنظام وحملة الاقلام كلما خط أو كتب واذا استطار بفكره الوقاد سواجع السجع انثالت عليه من كل أوكارها ونسلت من كل حدب وحكت بانسجامها السيل والقطر في صبب الفقيه العالم العلم والمحصل الذي ساجلت العلماء لتدرك في مجال الادراك شأوه فلم سيدنا الفقيه الحافظ حامل لواء الفتيا ومالك المملكة في المنقول والمعقول من غير شرط ولا ثنيا أبو العباس سيدي أحمد بن محمد المقري أبقاه الله تعالى للعلم يفتض أبكاره ويجني من روضه اليانع ثماره سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته كتبه المحب الشاكر عن ود راسخ العماد ثابت الاوتاد مزهو الاغوار والانجاد ولا جديد الا الشوق الذي تحن الى لقياكم ركائبه وترتاح وتحوم على مورد الانس بكم حوم ذات الجناح على العذب القراح جمع الله تعالى الارواح المؤتلفة على بساط السرور وأسرة الهنا وأتاح للنفوس من حسن محاضرتكم قطف المشتهى وهو غض الجنى وقد اتصل بالمحب الودود الرقيم الذي راقت من سواد النقش وبياض الطرس شياته وأرانا معجز أحمد فبهرت آياته وخبا سقط الزند لما أشرقت من سماء فكركم آياته فاطربنا بتغريد طيوره هزاته على أغصان ألفاته وعوذنا بالسبع المثاني بنانا أجادت نثر زهراته على صفحاته ثم مر رنا بتضاعيفه بسوق الرقيق فرمنا السلوك على مفاداها فعمي علينا الطريق وقلنا واها على سوق ابن نباتة وكساد رقيقها واستلاب البهجة عن نفيس دررها وأنيقها لا كسوق نفق فيها سوق الغزل وعلا كعب الرامح والاعزل وتظافر على سحر النفوس والالباب هاروت الجد وماروت الهزل وقد ألقينا السلاح وجنحنا للسلم وتهيأنا للسباحة فوقفنا بساحل اليم وسلمنا لمن استوت به سفينة البلاغة على الجودي فابنا والحمد لله على السلامة بالفهاهة والعي وقلنا ما لنا وللانشاء فهو فضل الله يؤتيه من يشاء وعذرا أيها الشيخ عن البيت الذي عطست به أنف الصبا فقذفت به البديهة من الفم وشرقت به صدر قناة القلم كما شرقت صدر القناة من الدم وأما ما تحمل الرسول من كلام في صورة ملام لا بل مدام أترع به من سلاف المحبة كاس وجام فلا وربك ما هي الا نفحة نفحت لا سموم لفحت هز زنا بها جذع أدبكم كي يتساقط علينا رطبا جنيا ويهمي ودقه على الربع المحيل من أفكارنا وسميا ووليا فجاد وأروى وأجاد فيما روى وأحيا من القرائح ميتا كان حديثا يروى وطرسا بين أنامل الايام ينشر ويطوى أحيا الله تعالى قلوبنا بمعرفته ونواسم رحمته وعرج بأرواحنا عند الممات الى المحل الاخص بالمؤمن من حضرته وأهدى السلام المزري بمسك الختام الى

وساق واعد بالوصل منه عطفة النونه * له شدة الحائط وفي ألفاظه لينه
وقرى يغنيك بحو ناعيره لحونه
الايام لمحزون
نأى عن دار محزونه
فاعذرك في أن لا
ترى من سكره طينه
فقال المستكفي احسنت
واحسن القائل فيما
وصف ثم امر باحضار كل
ما يجري في وصفه مما يمكن
احضاره ثم قال هاتوا من
معه شئ في هذا المعنى فقال
آخر في هذا المعنى لابن
الرومي في صفة وسط
يا سائلي عن مجمع اللذات
سألت عنه أنعت النعات
فهاك ما انشاته من قصه
مسلما من سوئه ونقصه
خذ يا مريد المأكل اللذيذ
جردقتي خبز من السميذ
لم تر عينا ناظر مثليهما
فقشر الحرفين عن وجهيهما
حتى اذا ما صار تا طفا طفا
فضف على احداهما تأنفا
من لحم فروج ولحم فرخ
تذوب جوذاباهما بالنفخ
واجعل عليها أسطرا من لوز
معارضات أسطرا من جوز
اكفافها الجبن مع الزيتون
وشكلها النعنع بالطرخون
حتى ترى بينهما مثل اللبن
مقسومة كأنها وشي اليمن
واعمد الى البيض السليق
الاحمر
فدرهم الوسط به ودنر
وترب الاسطر بالملح ولا * تكثر ولا ترل معتدلا وردد العينين فيه لحظا * فان للعينين منه حظا

الفقيهين الأمجدين الصدرين الانجدين الفذين التوأمين الفاضلين المجيدين فارسى البراعة والبراعه ورئيسى الجماعة فى هذه الصناعه رضيعى لبان الادب و واسطتى عقده ومجيلى قدحه المعلى ومورى زنده المتعين بشميم عراره ورنده الكارعين بالبحر الفياض من هزله وجده الآتيين بالجنس والفصل من رسمه وحده الكاتب البارع أبى الحسن سيدى على بن أحمد الشامى والكاتب البليغ أبى عبد الله سيدى محمد بن على الوجدى وأقرئهما الود المستحكم المعاقد الصافى المناهل العذب الموارد وانى قائم بورد الثناء عليكم وعليهما الدى المقام العلى الامامى الناصرى دام سلطانه وتمهدت أوطاره وأوطانه ونهى اليكم أن الفقيه المحب الاستاذ سيدى محمد بن يوسف طلق اللسان بالشكر صادح على أيك الثناء عن تلكم السيادة بما أوليتموه به من جزيل الاحسان وقابلتموه به عند الورود والصدر من البشر والكرامة وجميل الامتنان والسلام التام معاد عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبه وجب الكتب اليكم والله سبحانه يرعاكم فى يوم الخميس موفى عشرين من محرم الحرام فاتح سبعة وعشرين وألف المحب الودود الشاكر عبد العزيز بن محمد القشتالى لطف الله تعالى به وخار له بمنه وكرمه انتهى ومن أراد شيأ من اخباره فعليه بكتابى الموسوم بروضة الآس العاطرة الانفاس فى ذكر من لقيته من أعلام مراكش وفاس وقد بلغتنى وفاته رحمه الله تعالى وأنا فى مصر بعد عام ثلاثين وألف رحمه الله تعالى فلقد كان أوحد عصره حتى ان سلطان المغرب كان يقول ان القشتالى نفتخر به على ملوك الارض ونبارى به لسان الدين بن الخطيب رحم الله تعالى الجميع والشامى الذى أشار اليه هو من أعيان أهل فاس وذوى البيوت بها وجده قدم من الشام على حضرة فاس فشهر بنوه بالنسبة الى الشام وقد بلغتنى وفاته أيضا بعد الثلاثين بعد الالف وقد أجاب عن الابيات البائية التى خاطبنى بها الوزير سيدى عبد العزيز القشتالى المذكور رحم الله تعالى الجميع بقوله

نمت نوافح عرف أنفاس الصبا ❊ فنما بها روض الوداد وأخصبا

نثرت جواهر سلكها فتتوّج الـ ❊ ـغصن النضير بدرها وتعصبا

ورمت محاجر منحنى ذاك الحمى ❊ فغدا بها خيف القلوب محصبا

وروت أحاديث الغرام صحيحة ❊ فشفت فؤادا من بعادك موصبا

لا غرو أن طارت حشاشة لبه ❊ طربا فما خلو الغرام كمن صبا

لا زلتم والزهر ينشق عرفكم ❊ والزهر تحسد من كمالك منصبا انتهى

ولنمسك عنان البنان ونرجع الى ما كنا بصدده من شان لسان الدين بن الخطيب المريع منه بمزن البلاغة والفصاحة جنان الجنان فنقول والله سبحانه ولى التوفيق والامداد وليس الا عليه الاعتماد وقال ابن الصباغ العقيلى كان أبو الحسن بن الجياب رئيس كتاب الاندلس وهم رؤساء غيرهم واختص به ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الخطيب اختصاصا تاما وأورثه رتبة من بعده وعهد بها اليه مشيرا بذلك على من استشاره من أعلام الحجاب عند حضور عمره وتدرب بذكائه حتى استحق أزمته فانسى بحسن سياسته شيخه المذكور ونال التى لا فوقها من الحظوة وبعد الصيت وسعادة البخت اتفق له يوما بعد ما عزم

ومتّع العين به مليا ❊ وأطبق الوسط وكل هنيا واسلك بنابيك وا لُدم كدما ❊ تشرع فيما قد بنيت هدما

طورا ترى حلقة الدولاب
حروفه ودوره كالداب
وتارة مثل الرحى بلا سغب
قد شذبت عنها بنابيك الشذب
لهفى عليها وأنا الزعيم
بعدة شيطانها رجيم
وقال آخر يا أمير المؤمنين
لاسحق بن ابراهيم الموصلى
فى صفة سنبوسج
يا سائلى عن أطيب الطعام
سالت عنه أبصر الانام
اعمد الى اللحم اللطيف الاحمر
فدقه بالشحم غير مكثر
واطرح عليه بصلا مدوّرا
وكرنبا طرحا جنيا أخضرا
والق السذاب بعده موفرا
ودارصينى وكف كزبرا
وبعده شئ من القرنفل
وزنجبيل صالح وفلفل
وكف كمون وشئ من مرى
وملء كفين بملح تدمر
فدقه يا سيدى شديدا
ثم أوقد النار له وقودا
واجعله فى القدر وصب الماء
من فوقه واجعل له غطاء
حتى اذا الماء فنى وقلا
ونشفته النار عنك كلا
فانه ان شئت فى رقاق
ثم احكم الاطراف بالالزاق
او شئت خذ جزأ من العجين
معتدل التفريك مستكين
فابسطه بالسويق مستديرا ❊ ثم اظفرن اطرافه تظفيرا وصب فى الطابق زيتا طيبا ❊ ثم اقله بالزيت قليا عجبا النصرانى

النصرانى على ورود البلد وضاقت به الصدور فانشد ابن الجياب بديها بعض الكتاب

هذا العدو قد طغى * وقد تعدى و بغى

وقال لابن الخطيب أجز يا أبا عبد الله فانشده بديها

وأظهر السلم وقد * أسر حسوا فى ارتغا
فبلغ الرحمن سيف النصر فيه ما ابتغى
ورده رد ثمو * د والفصيل قد رغا
حتى يرى وليمة * لكل مرهوب الثغا

فقال ابن الجياب هكذا او الا لا وعجب الحاضرون من هذه البديهة انتهى ومما خوطب به لسان الدين قول الفقيه أبى يحيى البلوى المرى رحم الله الجميع

عللونى ولو بوعد محال * وصلونى ولو بطيف خيال
واعلموا أننى أسير هواكم * لست أنفك دائما من عقال
فدموعى من بينكم فى انسكاب * وفؤادى من هجركم فى اشتعال
يا أهيل الحمى كفانى غرامى * لا تزيدوا حسبى بما قد جرى لى
من مجيرى من لحظ ريم ظلوم * حال الهجر بعد طيب الوصال
ناعس الطرف أسهر الجفن منى * طال منه الجفا بطول الليالى
بابلى اللحاظ أصمى فؤادى * و رماه من غنجه بنبال
وكسا الجسم من هواه نحولا * قصده فى النوى بذاك انتحالى
ما ابتدا فى الوصال يوما بعطف * مذروى فى الغرام باب اشتغالى
ليس لى منه فى الهوى من مجير * غير تاج العلا وقطب الكمال
علم الدين عزه وسناه * ذروة المجد بدر أفق الجلال
هو غيث الندى وبحر العطايا * هو شمس الهدى فريد المعالى
ان وشى فى الرقاع بالنقش قلنا * صفحة الطرس حليت باللآلى
أو دجا الخطب فهو فيه شهاب * زانه الصبح فى ظلام الضلال
أو نبا الامر فهو فى الامر عضب * صادق العزم عند ضيق المجال
لست تلقى مثاله فى زمان * جل فى الدهر يا أخى عن مثال
قد نأى بى حيله عن ديارى * لا لجدوى ولا لنيل نوال
لكن اشتقت أن أرى منه وجها * نوره فاضح لنور الهلال
وكما همت فيه ألثم كفا * جاد لى بالنوال قبل السؤال
ها كها ابن الخطيب عذراء جاءت * تلثم الارض قبل شسع النعال
وتوفى حق الوزارة عن * هو ملاك لها على كل حال

ومن نظمه قوله يخاطبه مهنئا فى اعذاره أولاده بعد نثر نصه يعتذر عن خدمة الاعذار و يصل المدح والثناء على بعد الدار بتاريخ الوسط من شهر شعبان عام تسعة وأربعين وسبعمائة

لا عذر لى عن خدمة الاعذار * ولئن نأى وطنى وشط مزارى

فقال آخر يا أمير المؤمنين لمحمود بن الحسين بن السندى كشاجم الكاتب فى وصف هليون

لنا رماح فى أعاليها اود
مثقلات الجسم فتلا كالمسد
مستحسنات ليس فيها من عقد
لها رؤس طالعات فى جسد
مكسورة من صنعة الفرد الصمد
منتصبات كالقداح فى العمد
ثوب من السندس من فوق برد
قد اشربت حمرة لون يتقد
كأنها مز وجة جمر تخد
قد فرضت حمرته كف جرد
خالطته حمرة خد و يد
كأنها فى صحن جام او برد
منضدات كتماضيد الزرد
نـاتج العسجد حسنا منتضد
كأنها أطراف خز قد نضد
لو أنها تبقى على طول الابد
كانت فصوصا بخواتيم الخرد
من فوقها مودى عليها يطرد
يجول فى جانبها جرد مرد
مكشوفة من فوقها ثوب زبد
كأنه من فوقه حين لبد
شراك تبر أو لجين قد مسد
فلو رآها عابد أو مجتهد
أفطر مما يشتهيها وسجد
فلما فرغ منها قال له المستكفى هذا مما يتعذر وجوده فى هذا الوقت بهذا الوصف فى هذا البلد الا

ان نكتب الى الاخشيد محمد بن طغج يحمل الينا من ذلك البر من دمشق فانشدونا فيما يمكن وجوده قال آخر يا أمير المؤمنين

أوعاقني عنه الزمان وصرفه * تقضي الاماني عادة الأعصار
قد كنت أرغب أن أفوز بخدمتي * وأحط رحلي عند باب الدار
بادي المسرة بالصنيع وأهله * متشمرا فيه بفضل ازاري
من شاء أن يلقي الزمان وأهله * ويرى جلا الاشاع في الاقطار
فليأت حي ابن الخطيب ملبيا * فيفوز بالاعظام والاكبار
كم ضم من صيد كرام قدرهم * يسمو ويعلو في ذوي الأقدار
ان جئت ناديه فنب عني وقل * نلت المنى بتلطف ووقار
يا من له الشرف القديم ومن له الحسب الصميم الى يوم فخار
يهنيك ما قد نلت من أمل به * في الفرقدين النير بن لساري
نجلاك قطبا كل مجد باذخ * أملان مرجوان في الاعسار
عبد الاله وصنوه قمر العلا * فرعان من أصل زكا ونجار
ناهيك من قمرين في أفق العلا * ينميهما نور من الانوار
زاكي الارومة معرق في مجده * جم الفضائل طيب الاخبار
رقت طبائعه وراق جماله * فكأنما خلقا من الازهار
وحلت شمائل حسنه فكأنما * خلعت عليه رقة الأسحار
فاذا تكلم قلت طل ساقط * أو وقع در من نحور جواري
أوفت حبر المسك في قرطاسه * فالروض غب الواكف المدرار
تتبسم الاقلام بين بنانه * فتريك نظم الدر في الاسطار
وتخال من تلك البنان كأنما * طلت تفتح ناضر النوار
تلقاه فياض الندى متهللا * يلقاك بالبشرى والاستبشار
بحر البلاغة قسها واياذها * سحبانها حبر من الاحبار
ان ناظر العلماء فهو امامهم * شرف المعارف واحد النظار
أربى على العلماء بالصيت الذي * قد طار في الآفاق كل مطار
ماضره أن لم يجئ متقدما * بالسبق يعرف آخر المضمار
ان كان أخره الزمان لحكمة * ظهرت وما خفيت كضوء نهار
الشمس تحجب وهي أعظم نير * وترى من الآفاق اثر دراري
يا ابن الخطيب خطبتها لعلاكم * بكرا تزف لكم من الافكار
جاءتك من خجل على قدم الحيا * قد طيبت بثنائك المعطار
وأتت تؤدي بعض حق واجب * عن نازح الاوطان والاوطار
مدت يد التطفيل نحو علاكم * فتوشحت من حليكم بنضار
فابذل لها في النقد صفحك انها * تشكو من التقصير في الاشعار
لازلت في دعة وعز دائم * ومسرة تترى مع الاعمار

قال لسان الدين في حق المذكور في الاحاطة هو محمد بن محمد بن عبد الواحد بن محمد البلوي

أتى من الثلج المضاعف سمكه
من صنعة الاهواء والانداء
وكأنها في صحفة مقدودة
بيضاء مثل الدرة البيضاء
بهرت عيون الناظرين بضوئها
وتريك ضوء البدر وقت مساء
وكأن سكرها على أكنافها
نور تجسد فوقها بضياء
فقال آخر يا أمير المؤمنين
أنشدت لبعض المتأخرين في
هريسة
ألذ ما يأكله الانسان
اذا أتى من صيفه نيسان
وكانت الجديان والخرفان
هريسة يصنعها النسوان
لمن طيب الكف والاتقان
يجمع في فيه الطير والجلان
وتلتقي في قدرها الادهان
واللحم والالية والشحمان
وبعده أرزه السمان
والحنطة البيضاء والجلبان
وبعده الارز واللبان
جودها بطحنه الطحان
وبعده الملح وخولنجان
كأنها يد وترسان
تخجل من رؤيتها الالوان
اذا بدت يحملها الغلمان
تضمها الصحفة والخوان
وفوقها كالقنو خيزران
يمسكه سقف له حيطان
مقبب وماله أركان

أبرزها الآكل الولدان * يفتر من لهيبها العينان والمرء فيها فله مكان * يؤثرها الجائع والشبعان من

من أبناء النعم وذوى البيوتات كثير السكون والحياء آل به ذلك أخيرا الى لوثة لم يستفق منها لطف الله به حسن الخط مطبوع الادب سيال الطبع معينه وناب عن بعض القضاة وهو الآن رهين ماذكر يتمنى أهله موته والله ولى المعافاة وجرى ذكره فى الاكليل بما نصه من أولى الاتصال باولى الخلال البارعة والخصال خطارائقا ونظما عثله لائقا ودعابة يستترها تجهم وسكونا فى طيه ادراك وتفهم عنى بالدراية والتقييد ومال فى النظم الى بعض التوليد وله اصالة نبتت فى السرعروقها وتألقت فى سماء الجادة بروقها وتصرف بين النيابة فى الاحكام الشرعيه و بين الشهادات العلمية المرعيه انتهى و رأيت بخط أبى الحسن على بن لسان الدين على هامش هذا المحل من الاحاطة ما صورته رحمة الله عليه ما أعذب حلاوته وأعظم مروءته وأكرم أصالته و بنوالبلوى ذووحسب واهل نعيم وتربية ملوكية حياهم الله و بياهم قال ذلك حبيبهم وأخوهم على بن الخطيب انتهى وقال لسان الدين رحمه الله تعالى عند ذكر الخطيب الرئيس أبى عبد الله محمد بن مرزوق التلمسانى ما صورته ولما قدمت على مدينة فاس فى غرض الرسالة خاطبنى بمنزل الشاطبى على مرحلة منها بما نصه

بافادماوافى بكل نجاح * أبشر بما تلقاه من أفراح
هذا ذرا ملك الملوك فلذبها * تنل المنى وتفز بكل سماح
مغنى الامام أبى عنان يمن * تظفر ببحر فى العلا طفاح
من قاس جود أبى عنان فى الندى * بسواه قاس البحر بالضحضاح
ملك يفيض على العفاة نواله * قبل السؤال وقبل بسطة راح
فلجود كعب وابن سعدى فى الندى * ذكر محاه عن نداه ماحى
ماان سمعت ولا رأيت بمثله * من أريحى للندى مرتاح
بسط الامان على الانام فأصبحوا * قد ألحقوا منه بظل جناح
وهمى على العافين سيب نواله * حتى حكى سح الغمام الساحى
فنواله وجلاله وفعاله * فاقت وأعيت ألسن المداح
وبه الدنا أضحت تروق وأصبحت * كل المنى تنقاد بعد جماح
من كان ذا ترح فرؤ يه وجهه * متلافة الاحزان والاتراح
فانهض أبا عبد الاله تفز بما * تبغيه من أمل ونيل نجاح
لازلت ترتشف الامانى راحة * من راحة المولى بكل صباح

فالحمد لله ياسيدى وأخى على نعمه التى لا تحصى حمدا يؤم به جميعنا المقصد الاسنى فيبلغ الامد الاقصى فطالما كان معظم سيدى للاسى فى خبال وللاسف بين اشتغال بال واشتعال بلبال ولقدومكم على هذا المحل المولوى فى ارتقاب ولمواعيدكم بذلك فى تحقق وقوعه من غير شك ولا ارتياب فها أنت تجتلى من هذا المقام العلى بتشيعك وجوه المسرة صباحا وتتلقى أحاديث مكارمه ومواهبه مسندة صحاحا بحول الله تعالى ولسيدى الفضل فى قبول مركوبه الواصل اليه بسرجه ولجامه فهو من بعض مالدى المعظم من احسان مولاه وانعامه

أبدعها فى عصرها ساسان
وأعجبت كسرى أنوشروان
اذا رآها الجائع الغرثان
لم يعط صبرا معها الجيعان
وقال آخر يا أمير المؤمنين
لبعض المتأخرين فى صفة المضيرة
ان المضيرة فى الطعام
كالبدر فى ليل التمام
اشراقها فوق الموا
ئد كالضياء على الظلام
مثل الهلال اذا بدا
للناس فى خلل الغمام
فى صحفة مملوءة
للناس من جرع الهمام
قد أعجبت لابى هري
رة اذ أتت بين الطعام
حتى لقد مال الهوى
بهواه عن طلب الصيام
ولقد رأى فى أكلها
حظا فبادر بالقيام
ولقد تمكب ان يكو
ن مؤاكلا عند الامام
اذا بنس ثم مضيرة
تشفى السقيم من السقام
لاعذر فى اتيانها
من غير اتيان الحرام
فهى اللذيذة والغريـ
ـبة والعجيبة فى الانام
فقال آخر يا أمير المؤمنين
لمحمود بن الحسن فى صفة جوزابة
جوزابة من أرزفائق
مصفرة فى اللون كالعاشق

ولعمرى لقد كان وافدا على سيدى فى مستقره مع غيره فالحمد لله الذى يسر فى ايصاله على أفضل أحواله فراجعته عائصه

راحت تذكرنى كؤس الراح * والقرب يخفض للجنوح جناحى
وسرت تدل على القبول كأنما * دل النسيم على انبلاج صباح
حسناء قد غنيت بحسن صفاتها * عن دملج وقلادة ووشاح
أمست تحض على الايادى بن جرت * بسعوده الاقلام فى الالواح
بخليفة الله المؤيد فارس * شمس المعالى الازهر الوضاح
ماشئت من شيم ومن همم غدت * كالزهر أو كالزهر فى الادواح
فضل الملوك فليس يدرك شاوه * أنى يقاس الغمر بالضحضاح
أسنى بنى عباسهم بلوائه المنصور أو بحسامه السفاح
وغدت مغانى الملك لما حلها * تزرى ببدر هدى وبحر سماح
وحباة من أهداك تحفة قادم * فى العرف منها راحة الارواح
مازلت أجعل ذكره وثناءه * روحى وريحانى الاريج وراحى
ولقد تمازج حبه بجوارحى * كتمازج الاجسام بالارواح
ولو انى أبصرت يوما فى يدى * أمرى لطرت اليه دون جناح
فالآن ساعدنى الزمان وأيقنت * من قربه نفسى بفوز قداحى
ايه أبا عبد الاله وانه * لنداء ودفى علاك صراح
أما اذا استنجدتنى من بعدما * ركدت لما خبت الخطوب رياحى
فاليكها مهزولة وأنا امرؤ * قررت عجزى واطرحت سلاحى

سيدى أبقاك الله لعهد تحفظه وولاء بعين الوفاء تلحظه وصلتنى رقعتك التى أبدعت وبالحق من مولى الخليقة صدعت وألفتنى وقد سطت بى الاوجال حتى كادت تتلف الرجال والحاجة الى الغذاء قد شمرت كشح البطين وثانية العجاوين قد توقع فوات وقتها وان كانت صلاتها صلاة الطين والفكر قد غاض معينه وضعف وعلى الله جزاء المولى الذى يعينه فغزتنى بكتيبة بيان اسدها هصور وعامها منصور وألفاظها ليس فيها قصور ومعانيها عليها الحسن مقصور واعتراف مثلى بالعجز فى المضايق حول ومنه وقول لاأدرى للعالم فكيف لغيره جنه لكنها بشرتنى بما يقل لمؤديه بذل النفوس وان جلت وأطلعتنى من السراء على وجه تحسده الشمس اذا تجلت بما أعلمتنى به من جميل اعتقاد مولانا أمير المؤمنين أيده الله فى عبده وصدق المخيلة فى كرم مجده وهذا هو الجود المحض والفضل الذى شكره هو الفرض وتلك الخلافة المولوية تتصف بصفات من يبدأ بالنوال من قبل الضراعة والسؤال من غير اعتبار للاسباب ولا مجازاة للاعمال نسال الله تعالى أن يبقى منها على الاسلام أوفى الظلال ويبلغها من فضله أقصى الآمال ووصل ما بعثه سيدى صحبتها من الهديه والتحفة الوديه وقبلتها امتثالا واستجليت منها عقدا وجمالا وسيدى فى الوقت أنسب لاتخاذ ذلك الجنس وأقدر على الاستكثار من

لينة ملمسها زبدة
وريحها كالعنبر الفائق
كأنها فى جامها اذ بدت
تزهر كالكوكب فى الغاسق
عقيقة صفرتها فاقع
فى جيد خود بضة عاتق
أحلى من الامن أتى موهنا
الى فؤاد قلق خافق

(وقال آخر يا أمير المؤمنين هى لبعض المحدثين فى صفة جوزابة أخرى)

وجوزابة مثل لون العقيق
وفى الطعم عندى كطعم الرحيق
من السكر المحض معمولة
ومن خالص الزعفران السحيق
مغرقة بشحوم الدجاج
وبالشحم أكرم بها من غريق
لذيذة طعم اذا استعملت
وفى اللون منها كلون الخلوق
عليها اللآلى من فوقها
تضم جوانبها ضم ضيق
ترددها فى الاناء نفخة
ومافى حلاوتها من مطيق

(وقال آخر يا أمير المؤمنين لمحمود بن الحسين كشاجم فى صفة قطائف)

عندى أصحابى اذا اشتد السغب
قطائف مثل أضابير الكتب
كأنه اذا ابتدى من كثب
كوافر النحل بياضا قد ثقب

م والانس وأناضعيف القدره غير مستطيع على ذلك الا في الندره فلو رأى سيدي ورأيه سداد وقصده فضل ووداد أن ينقل القضية الى باب العارية من باب الهبة مع وجود الحقوق المترتبة لبسط خاطري وجهه وعمل في رفع المؤنة على شاكلة حالي معه وقد استصحبت مركوبا يشوق على هجره ويناسب مقامي شكله ونجره وسيدي في الاسعاف على الله أجره وهذا أمر عرض وفرض فرض وعلى نظره المعول واعتماد اغضائه هو المعقول الاول والسلام على سيدي من معظم قدره وملتزم بره ابن الخطيب في ليلة الاحد السابع والعشرين لذي قعدة خمس وخمسين وسبعمائة والسماء قد جادت بمطر سهرت منه الاجفان وظن انه طوفان والالحاق في غدها بالباب المولوي مؤمل بحول الله انتهى * وكتب القاضي أبو القاسم البرجي للسان الدين في غرض الشفاعة لبعض قرابته قوله

أيا سابقا في مجال البراعه * وفارس ميدان أهل اليراعه
ومن بدره في سماء المعالي * يزين بوصف الكمال ارتفاعه
عيالك في الفضل من نجبة * ومن أمره في ذويه مطاعه
قضاؤك في معسر حل دين * عليه فارجاؤه قد أضاعه
وقد كان يبغي لديكم شفيعا * توسط عندكم في شفاعه
على انه في اقتضاء الوداد * يوفي موازينه أو صواعه
وما هو في سوق تقريظكم * ونشر حلاكم بمزجي البضاعه

كتبت يا سيدي أدام الله تعالى علاكم وحرس مجدكم الطاهر وسناكم وأنا بين خجل مفحم وخجل مقحم أتذكر تسويفي بلقائكم حين سمح الدهر باقترابكم فاحجم وأفكر في أن احجامي عند ذلك بارجائي عسى أن يكون وفق رجائي أفاتني المقصود فارى الحزم في أن أقدم وموقعها بين يديكم فلان يطالبني مطالبة الغريم وأروم مطاله فلا يبرح ولا يريم والانقياد في زمام طاعته مما توجبه المروه بعدما أوجبه الشارع اذ جعل له حظا في الابوه وقد أعاقته من ذمام علائكم بالحبل المتين وأنزلته من حماكم بربوة ذات قرار ومعين فان أعرتموه من لحظكم الجميل طرف اقتبال وأقبلتموه من اعتنائكم الجزيل وجه اقبال فقد عاد دهره بعد الفار مواتيا ونزل على أهل المهالب شاتيا ومجدكم كفيل بتبليغ أمله وتوسيع جذله وذلكم يد على معظمكم شكرها وعلى الله أجرها انتهى * والبرجي المذكور هو محمد بن يحيي بن محمد بن يحيي بن علي بن ابراهيم الغساني البرجي يكنى أبا القاسم من أهل غرناطة قال في الاحاطة هو فاضل مجمع على فضله صالح الابوة طاهر النشاة بادي الصيانة والعفة طرف في الخير والحشمة صدر في الادب جم المشاركة ثاقب الفهم جميل العشرة ممتع المجالسة حسن الشعر والخط والكتابة فذ في الانطباع صناع اليدين محكم العمل الكثير من الآلات العلمية و يجيد تفسير الكتب رحل الى العدوة ولقي جلة وتوسل الى ملكها مجدد الرسم ومقام أولى الشهرة وعامر دست الشعر والكتابة أمير المسلمين أبي عنان فاشتمل عليه وقربه وملأ بالخير يده فاقتنى جدة وحظوة وذكرا

اذا آه واله القلب طرب * مدرج تدريج أبناء الكتب
أطيب منه أن تراه ينتهب
كل امرئ لذته فيما أحب
فاقبل المستكفي على معلم
كان يعلمه في صباه طيب
النفس وكان يضحك منه
ويستظرفه فقال له أنشدنا
ما سمعت فقال أنشدنا أنت
قال لا أدري ما قال
هؤلاء وما أنشدوا غير
أني مضيت في أمس يومنا هذا
أدور حتى أتيت باطرنجا
فرأيت رياضها فذكرت
من أمرها فقلت
نوم عينيك يا ابن وهب
غرار
ولنار الهوى بقلبك نار
من حديث اني مررت بها و
ما وقلبي من الهوى مستطار
وبها ترجمن ينادي علانا
قف فقد أدركت لدينا
العقار
وتغني دراج واستمطر اللهـ
ـو وجادت بنورها الازهار
فانثنينا الى رياض عيون
ناظرات ما ان بهن احورار
ومكان الجفون منها ابيضاض
ومكان الاحداق منها
اصفرار
بينما نحن عندها صرح الور
د الينا يا معشر السمار
عندنا قهوة تغافل عنها
دهرها فالوجوه منها نهار
وانثنينا للورد من غير أن ننـ
ـبو عن النرجس المضاعف دار
فرأى النرجس الذي صنع الور * دفنادى مستصرخا بابهار

وشهرة وانقبض مع استرسال الملك لفضل عقله حتى تشكى الى سلطانه بث ذلك عند قدومى عليه وآثر الراحة وجهد فى التماس الرحلة الحجازية ونبذ الكل وقصر الخطوة وسلا الحظوة فاسعفه سلطانه بغرضه وجعل حبل همه على غاربه وأصحبه الى النبى الكريم صلوات الله عليه رسالة من انشائه وقصيدة من نظمه وكلاهما يعلن فى الخلفاء بعد شاوه ورسوخ قدم علمه وعراقة البلاغة فى نسب خصله ولما هلك وولى ابنه ملكه وضاعف له التنويه فاجرى الخطة على سبيل من السداد والنزاهة ثم لما ولى السلطان أبو سالم عمه أجراه على الرسم المذكور واستجلى المشكلات بصدقه وهو الآن بحاله الموصوفة مفخر من مفاخر ذلك الباب السلطانى على تعدد مفاخره (شعره) ثبت فى كتاب نفاضة الجراب من تاليفنا عند ذكر المدعى الكبير بباب ملك المغرب لملة ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر من أنشد ليلتئذ من الشعراء ما نصه وتلاه الفقيه الكاتب الحاج القاضى حلة السداجة وكرم الخلق وطيب النفس وخدن العافية وابن الصلاح والعبادة ونشاة القرآن المتحيز الى حزب السلامة المنقبض عن الغمار العزوف عن فضول القول والعمل جامع المحاسن من عقل رصين وطلب ممتع وأدب نقاوة ويد صناع أبو القاسم بن أبى زكريا البرجى فانشدت له على الرسم المذكور هذه القصيدة الفريدة

أصغى الى الوجد لما جد عاتبه * صب له شغل عن يعاتبه
لم يعط للصبر من بعد الفراق يدا * فضل من ظل ارشاد يخاطبه
لولا النوى لم يبت حران مكتئبا * يغالب الوجد كتما وهو غالبه
يستودع الليل أسرار الغرام وما * تمليه أشجانه فالدمع كاتبه
لله عصر بشرقى الحمى سمحت * بالوصل أوقاته لو عاد ذاهبه
يا جيرة أودعوا اذ ودعوا حرقا * يصلى بها من صميم القلب ذائبه
يا هل ترى تجمع الايام فرقتنا * كعهدنا أو يرد القلب سالبه
ويا أهيل ودادى والنوى قذف * والقرب قد أبهمت دونى مذاهبه
هل ناقض العهد بعد البعد حافظه * وصادع الشمل يوم الشعب شاعبه
ويا ربوع الحمى لا زلت ناعمة * يبكى عهودك مضنى الجسم شاحبه
يا من لقلب مع الاهواء منعطف * فى كل أوب له شوق يجاذبه
يسمو الى طلب الباقى بهمته * والنفس بالميل للفانى تطالبه
وفتنة المرء بالمألوف معضلة * والانس بالالف نحو الالف جاذبه
أبكى لعهد الصبا والشيب يضحك بى * بالارجال سدت جدى ملاعبه
ولن ترى كالهوى اشجاه سالفه * ولا كوعد المنى أحلاه كاذبه
وهمة المرء تغليه وترخصه * من عز نفسا لقد عزت مطالبه
ما هان كسب المعالى أو تناولها * بل هان فى ذاك ما يلقاه طالبه
لولا سرى الفلك السامى لما ظهرت * آثاره ولما لاحت كواكبه
فى ذمة الله ركب للعلا ركبوا * ظهر السرى فاجابتهم نجائبه

واستجاش البهار جيشا من الاتـ ـرج فيه صغاره والكبار فرأيت الربيع فى عسكر الصفـ ـر وقلبى بشفه الاحرار ليس الابحمرة من خدود من أناس بغوا علينا وجاروا فلم أر المستكفى منذ ولى الخلافة أشد سرورا منه فى ذلك اليوم وأجاز جميع من حضر من الجلساء والمغنين والملهين ثم أحضر ما حضره فى وقته من عين وورق عن ضيق الاحوال به فوالله ما رأيت له بعد ذلك يوما مثله حتى قبض عليه أحمد ابن بويه الديلمى وسمل عينيه وذلك أن الحرب لما طالت بين أبى محمد الحسن ابن عبد الله بن حمدان وكان فى الجانب الشرقى ومعه الاتراك وابن عمه الحسين بن سعيد بن حمدان وابن أحمد بن بويه الديلمى فى الجانب الغربى والمستكفى معه اتهم الديلم المستكفى بمساواة بنى حمدان ومكاتبتهم باخباره واطلاعهم على أسراره مع ما كان قد تقدم له فى نفسه فسمل عينيه وولى المطيع وأعمل الديلمى الحيلة فى البيات بالديلم بحملهم فى السفن مع بوقات ودبادب فى الليل وألقاهم فى مواضع كثيرة من الشارع الى الجانب

يرمون عرض الفلا بالسير عن غرض * طى السجل اذا ماجد كاتبه
كأنهم فى فؤاد الليل سر هوى * لولا الضرام لما خفت جوانبه
شدوا على لهب الرمضاء وطأتهم * فغاص فى لجة الظلماء راسبه
وكلفوا الليل من طول السرى شططا * فخلفوه وقد شابت ذوائبه
حتى اذا أبصروا الاعلام مائلة * بجانب الحرم المحمى جانبه
بحيث يأمن من مولاه خائفه * من ذنبه وينال القصد راغبه
فيها وفى طيبة الغراء لى أمل * يصاحب القلب منه ما يصاحبه
لم أنس لاأنس أياما بظلهما * سقى ثراه عميم الغيث ساكبه
شوقى اليها وان شط المزار بها * شوق المقيم وقد سارت حبائبه
ان ردها الدهر يوما بعد ما عبثت * فى الشمل منا يداه لا نعاتبه
معاهد شرفت بالمصطفى فلها * من فضله شرف تعلو مراتبه
محمد المجتبى الهادى الشفيع الى * رب العباد أمين الوحى عاقبه
أوفى الورى ذمما أسماهم همما * أعلاهم كرما جلت مناقبه
هو المكمل فى خلق وفى خلق * زكت حلاه كما طابت مناسبه
عناية قبل بدء الخلق سابقة * من أجلها كان آتيه وذاهبه
جاءت تبشرنا الرسل الكرام به * كالصبح تبدو تباشيرا كواكبه
أخباره سر علم الاولين وسل * بدير تيماء ما أبداه راهبه
تطابق الكون فى البشرى بمولده * وطبق الارض أعلاما تجاوبه
فالجن تهتف اعلانا هواتفه * والجن تقذف احراقا ثواقبه
ولم يزل عصمة التاييد تكنفه * حتى انجلى الحق وانزاحت شوائبه
سرى وجنح ظلام الليل منسدل * والنجم لايهتدى فى الافق ساربه
يسمو لكل سماء منه منفرد * عن الانام وجبرائيل صاحبه
لمنتهى وقف الروح الامين به * وامتاز قربا فلاخلق يقاربه
لقاب قوسين أو أدنى فما علمت * نفس بمقدار ما أولاه واهبه
أراه أسرار ما قد كان أودعه * فى الخلق والامر باديه وغائبه
وآب والبدر فى بحر الدجى غرق * والصبح لما يؤب للشرق آيبه
فأشرقت بسناه الارض واتبعت * سبل النجاة بما أبدت مذاهبه
وأقبل الرشد والتاحت زواهره * وأدبر الغى فانجابت غياهبه
وجاء بالذكر آيات مفصلة * يهدى بها من صراط الله لاحبه
نور من الحكم لاتخبو سواطعه * بحر من العلم لاتفنى عجائبه
له مقام الرضا المحمود شاهده * فى موقف الحشر اذنابت نوائبه
والرسل تحت لواء الحمد يقدمها * محمد أحمد السامى مراتبه
له الشفاعات مقبولا وسائلها * اذا دهى الامر واشتدت مصاعبه

الشرق فوجهت له على بنى حمدان الحيلة فخرجوا نحو الموصل من بعد أحداث كثيرة بين الاتراك وبينهم ببلاد تكريت واستوثق الامر لاحمد بن بويه الديلمى وشرع فى عمارة البلد وسد البثوق على حسب ما ينموا الينا من أخباره واتصل بنا من أفعاله على بعد الدار وفساد السبل وانقطاع الاخبار وكوننا ببلاد مصر والشام (قال المسعودى) ولم يتأت لنا من أخبار المستكفى مع قصر أيامه غير ماذكرنا والله الموفق للصواب

(ذكر خلافة المطيع لله) *
وبويع المطيع لله وهو أبو القاسم الفضل بن جعفر المقتدر لسبع بقين من شعبان سنة أربع وثلاثين وثلثمائة وقيل انه بويع فى جمادى الاولى من هذه السنة وغلب على الامر ابن بويه والمطيع فى يده لاأمر له ولانهى ولاخلافة تعرف ولاوزارة تذكر وقد كان أبو جعفر محمد بن يحيى ابن شيرزاد يدبر الامر بحضرة الديلمى قيما بامر الوزارة برسم الكتبة ولم يخاطب بالوزارة الى أن استأمن الحسين بن على بن حمدان الى الجانب الغربى وخرج معه عند خروجه الى ناحية الموصل الى أن اتهمه بتغريته الاتراك عليه فسمل عينيه وقد قيل ان أبا الحسن محمد بن على بن مقلة بعرض الكتب

والحوض يروي الصدى من عذب مورده * لا يشتكي غلة الظمآن شاربه
محامد المصطفى لا ينتهي أبدا * تعدادها هل بعد القطر حاسبه
فضل تكفل بالدارين يوسعها * نعمى ورحمى فلا فضل يناسبه
حسبي التوسل منها بالذي سمحت * به القوافي وجلتها غرائبه
حياه من صلوات الله صوب حيا * تحدى الى قبره الزاكي نجائبه
وخلد الله ملك المستعين به * مؤيد الامر منصورا كتائبه
امام عدل بتقوى الله مشتمل * في الأمر والنهي يرضيه يراقبه
مسدد الحكم ميمون نقيبته * مظفر العزم صدق الرأي صائبه
مشمر للتقى أذيال مجتهد * جرار أذيال سحب الجود ساحبه
قد أوسعت أمل الراجي مكارمه * وأحسبت رغبة العافي رغائبه
وقاز بالامن مجبورا مسالمه * وباء بالخزي مقهورا محاربه
كم وافد آمل معهود نائله * أثنى وأثنت بما أولى حقائبه
ومستجير بعز من مثابته * عزت مراميه وانقادت مآربه
وجاء الدهر يسترضيه معتذرا * مستغفرا من وقوع الذنب تائبه
لولا الخليفة ابراهيم لانبهمت * طرق المعالي ونال الملك غاصبه
سمت اليه تراث المجد همته * والملك ميراث مجدوه وعاصبه
ينميه للعز والعليا أبو حسن * سمح الخلائق محمود ضرائبه
من آل يعقوب حسب الملك مفتخرا * بباب عزهم السامي تعاقبه
أطواد حلم رسا بالارض محتده * وزاحمت منكب الجوزاء مناكبه
تحفها من مرين أبحر زخرت * أمواجها وغمام ثار صائبه
بكل نجم لدى الهيجاء ملتهب * ينقض وسط سماء النقع ثاقبه
أكفهم في دياجيها مطالعه * وفي نحور أعاديهم مغاربه
ياخير من خلصت لله نيته * في الملك أو خطب العلياء خاطبه
جردت والفتنة الشعواء ملبسة * سيفا من العزم لا تنبو مضاربه
وخضتها غير هياب ولا وكل * وقلما أدرك المطلوب هائبه
صبرت نفسا لعقبى الصبر حامدة * والصبر مذ كان محمود عواقبه
فليهن دين الهدى اذ كنت ناصره * أمن يواليه أو خوف يجانبه
لازال ملكك والتأييد يخدمه * تقضي بخفض مناويه قواضبه
ودمت في نعم تضفو ملابسها * في ظل عز علا تصفو مشاربه
ثم الصلاة على خير البرية ما * سارت اليه بعشاق ركائبه

ومن شعره ماقيده لي بخطه صاحب قلم الانشاء بالحضرة المرينية الفقيه الرئيس الصدر المتفنن أبو زيد بن خلدون

صحا القلب عما تعلمين فاقلعا * وعطل من تلك المعاهد أربعا

سنة ست وثلاثين وثلثمائة ولم نفرد لجوامع تاريخ المطيع بابا مفصلا عن أخباره كافرادنا لغيره مما سلف ذكره في هذا الكتاب لاناني خلافته بعد (قال المسعودي) وقد كنا شرطنا في صدر كتابنا هذا أن نذكر مقاتل آل أبي طالب ومن ظهر منهم في أيام بني أمية وبني العباس وما كان من أمرهم من قتل أوحبس أوضرب ثم ذكرنا ماتأتى لنا ذكره من أخبارهم من قتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه (وبقي) علينا من ذلك مالم نورده وقد ذكرناه في هذا الموضع وفاء بما تقدم من شرطنا في هذا الكتاب (فمن) ذلك أنه قام بصعيد مصر أحمد بن عبد الله بن ابراهيم ابن اسمعيل بن ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم فقتله أحمد بن طولون بعد أقاصيص قد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا وذلك نحو سنة سبعين ومائتين وكان خروج ابن عبد الرحمن العمري على أحمد بن طولون بصعيد مصر وما كان من أمره الى أن قتل (ومن ذلك) ظهور ابن الرضا وهو محمد بن جعفر بن علي بن موسى بن جعفر

وأصبح لا يلوي على حد منزل * ولا يتبع الطرف الخلي المودعا
وأضحى من السلوان في حرز معقل * بعيد عن الايام أن يتضعضعا
يرد الجفان الجسل عن شرفاته * وان لحظت عن كل أجيد أتلعا
عزيز على داعي الغرام انقياده * وكان اذا ناداه للوجد أهطعا
اهاب به للشيب أنصح واعظ * أصاخ له قلبا منيبا ومسمعا
وسافر في أفق التفكر والحجا * زواهره لا تبرح الدهر طلعا
لعمري لقد أنضيت عزمي تطلبا * وقضيت عمري رقبة وتطلعا
وخضت عباب البحر أخضر مزبدا * ودست أديم الارض اغبر أسفعا

وقال حسبما قيده المذكور

نهاه النهى بعد طول التجارب * ولاح له منهج الرشد لاحب
وخاطبه دهره ناصحا * بألسنة الوعظ من كل جانب
فاضحى الى نهجه واعيا * والغى حديث الاماني الكواذب
وأصبح لا تستبيه الغواني * ولا تزدريه حظوظ المناصب

ثم قال في الاحاطة واحسانه كثير في النثر والنظم والقصار والمطوّلات واستعمل في السفارة الى ملك مصر وملك قشتالة وهو الآن قاضي حضرة الملك نسيج وحده في السلامة والتخصص واجتناب فضول القول والعمل كان الله له انتهى *(وكتب)* ابن المصنف بهامش ترجمة المذكور من الاحاطة ما صورته سيدي وشيخي علامة المغرب اليوم وحائز رتبه العلية من خطابة وقضاء وعلامة وهو أحق بها الخلاله الحميدة أبقاه الله تعالى قاله محبه علي بن الخطيب انتهى *وكتب على القصيدة الميلادية المتقدمة ما نصه رويتها عنه وسمعتها من لفظه وأجازني اياها بتلمسان انتهى وكتب على حاشية قصيدته صحا القلب الى آخره ما صورته سمعتها من لفظ سيدي وشقيق روحي الامام العلامة الرئيس أبي زيد بن خلدون بالاندلس امتع الله به تعالى قال ذلك أخوه علي بن الخطيب انتهى* وقال في الاحاطة في ترجمة ابن زمرك ما صورته وشعره مترام الى هدف الاجادة خفاجي النزعة كلف بالمعاني البديعة والالفاظ الصقيلة غزير المادة فمن ذلك ما خاطبني به وهي من أول نظمه قصيدة مطلعها *أما وانصداع النور من مطلع الفجر* يقول فيها بعد أبيات

لك الله من فذ الجلالة أوحد * تطاوعه الآمال في النهي والامر
لك القلم الاعلى الذي طال فخره * على المرهفات البيض والاسل السمر
يقلد أجياد الطروس تمائما * بصنفي لآل من نظام ومن نثر
تهيئ القرطاس فاجر اذ غدا * يقبل بحورا من أناملك العشر
كأن رياض الطرس خد مورد * يطرزه وشي العذار من الحبر
فشارة هذا الملك رائقة الحلى * بالوية حمر وبالصحف الحمر
ومنار وضة غناء عاهدها الحيا * تحوك بها وشي الربيع يد القطر
تغني قيان الطير في جنباتها * فيرقص غصن البان في حلل خضر

ن محمد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم في أعمال
دمشق سنه ثلثمائه وكانت
له مع أميرها أحمد بن كيلغ
فقتل صبرا وقيل قتل في
المعركة وحمل رأسه الى
مدينة السلام فنصب على
الجسر الجديد بالجانب
الغربي (وظهر) ببلاد
طبرستان والديلم الاطروش
وهو الحسن بن علي بن محمد
ابن علي بن أبي طالب رضي
الله عنهم واخرج عنها
المسودة وذلك في سنة
احدى وثلثمائة وقد
كان أقام في الديلم
والجبل سنين وهم جاهلية
ومنهم مجوس فدعاهم الى
الله تعالى فاستجابوا
وأسلموا الا قليلا منهم في
مواضع من بلاد الجبل
والديلم في جبال شاهقة
وقلاع وأودية ومواضع
خشنة على الشرك الى هذه
الغاية وبنى في بلادهم
مساجد وقد كان للمسلمين
بازائهم ثغور مثل قزوين
وسالوس وغيرهما من بلاد
طبرستان وقد كان بمدينة
شالوس حصن منيع وبنيان
عظيم بنته ملوك فارس
يسكن فيه الرجال
المرابطون بازاء الديلم
ثم جاء الاسلام فكان كذلك
الى أن هدمه الاطروش
والحسن بن القاسم الحسني
الداعي وافى الري وذلك
سنة سبع عشرة وثلثمائة في جيوش كثيرة من الجبل والديلم ووجوههم فاخرج عساكر أحمد بن اسمعيل

تمدّ لا كواس العــرار أناملا * من السوسن الغض المختم بالتبر
ويحرس خدالو رد صارم نهرها * و يمنع ثغر النور بالذابل النضر
يفاخر مرآها السماء محاسنا * وتزرى نجوم الزهر منها على الزهر
اذا مسحت كف الصبا جفن نورها * تنفس ثغر الزهر عن عنبر الشحر
بأعطر من ريا ثنائك فى السرى * وأبهر حسنا من شمائلك الغر
عجبت له يحكى خلالك جميلة * وتفرق منه الاسد فى موقف الذعر
اذا اضرمت من بأسها الحرب جاحما * تاجج منه العضب فى لجة البحر
وان كلح الابطال فى حومة الوغى * ترقرق ماء البشر فى صفحة البدر
لك الحسب الوضاح والسودد الذى * يضيق نطاق الوصف فيه عن الحصر
تشرف أفق أنت بدر كماله * فغرناطة تختال تيها على مصر
تكلل تاج الملك منك محاسنا * وفاخرت الاملاك منك بنو نصر
بعزمة مضمون السعادة أوحد * وغرة وضاح المكارم والنجر
طوى الحيف منشورا للواء مؤيدا * فعز حمى الاسلام بالطى والنشر
ومد ظلال الامن اذ قصر العدا * فيتلى سناء الملك بالمد والقصر
اذا احتفل الايوان يوم مشورة * وتضطرب الآراء من كل ذى حجر
صدعت بفصل القول غير منازع * وأطلعت آراء قبس من الفجر
فان تظفر الخيل المغيرة بالضحى * فعن رأيك الميمون تظفر بالنصر
فلا زلت للعلياء تحمى ذمارها * وتسحب أذيال الفخار على النسر
وللعلم فخر الدين والفتك بالعدا * بأوت به يا ابن الخطيب على الفخر
فيهنيك عيد الفطر من أنت عيده * و يثنى بما أوليت من نعم غر
جبرت مهيضا من جناحى ورشته * وسهلت لى من جانب الزمن الوعر
وبوأتنى من ذروة العز معتلى * وشرفتنى من حيث أدرى ولا أدرى
وسوغتنى الآمال عذبا مسلسلا * وأسميت من ذكرى ورفعت من قدرى
فدهرى عيد بالسرور و بالمنى * وكل ليالى العمر لى ليلة القدر
فاصبحت مغبوطا على خير نعمة * يقل لاد ناها الكثير من الشكر

وهى طويلة انتهى قلت هذا الرئيس ابن زمرك صرح هنا بانه بجاه لسان الدين بن الخطيب أدرك من العز ما أدرك ثم انقلب عليه مع الدهر وكفر نعمته وبه أشرك وحرك من دواعى قتله ما حرك وكم من صديق لك ضرك وعقك بعد ما برك وساءك اثر ما سرك ولذا رأيت بخط ابن لسان الدين على هامش قوله فى هذه القصيدة ومد ظلال الامن الخ ما صورته هذا مدحه لحاه الله وعلى قوله و بوأتنى من ذروة العز الخ ما مثاله هكذا اشهاد تك لحقه ثم تحولك عنه و كفر نعمته أغرب أخزاك الله انتهى * و كتب بهامش أول ترجمته من الاحاطة ما نصه أتبعه الله خزيا وعامله بما يستحقه فبهذا ترجمه والدى مولاه الذى رفع من قدره فيه ولم يقتله أحد غيره كفانا الله تعالى شر من أحسنا اليه و كتب أيضا تحت هذا

ابن أحمد وصاحبه عنها واستولى عليها وعلى قزوين وزنجان وقم وأبهر وغير ذلك مما اتصل بالرى فكتب المقتدر كتابا الى نصر بن أحمد بن اسمعيل ابن أحمد صاحب خراسان ينكر عليه ذلك ويقول انى ضمنتك المال والدم فاهملت أمر الرعية وأضعفت البلد حتى دخلته المبيضة وألزمه اخراجهم عنه فوقع اختيار نصر صاحب خراسان على انفاذ رجل من أصحابه بالجبل يقال له اسفار بن شيرويه وأخرج معه ابن النساج وهو أمير من أمراء خراسان فى جيش كثير ليحارب من مع الداعى وما كان بن كاكى من الديلم لما بين الجبل والديلم من الضغائن والتنافر فسار اسفار بن شيرويه الجبلى فيمن معه من الجيوش الى حدود الرى فكانت الوقعة بين اسفار ابن شيرويه الجبلى وبين ما كان بن كاكى الديلمى فاستأمن أكثر أصحاب ماكان بن كاكى الديلمى وقواده مثل مسبترو تاجين وسليمان بن سلكة والاسكرى ومرد الاشكرى وهشونه بن أومكن فى آخرين من قواد الجبلى فحمل عليهم ماكان فى نفر يسير من غلمانه سبع عشرة حملة ومدت له عساكر خراسان ومن معه من الاتراك فولى ماكان ودخل بلاد طبرستان وانهزم الداعى

مثاله هذا الوغد ابن زمرك من شياطين الكتاب ابن حداد البياز بن قتل أباه بيده وجعه ضروبا فيات من ذلك وهو أخس عباد الله تربية وأحقرهم صورة وأخلمهم شكلا استعمله أبي في الكتابة السلطانية فخبنا أيام تحوّلنا عن الاندلس منه كل شر وهو كان السبب في قتل أبي مصنف هذا الكتاب الذي رباه وأدبه واستخدمه حسبما هو معروف وكفانا الله شر من أحسنا اليه وأساء الينا انتهى * وقد ألممنا بترجمته في هذا الكتاب في باب تلامذة لسان الدين فلتراجع هنالك * ومما كتب به ابن زمرك المذكور الى لسان الدين ابن الخطيب جوابا عن رسالة قوله

حيت صباحا فاحيت ساكني القصبه * واسترجعت أنفسا بالشوق مغتصبه
قضى البيان لها أن لا نظير لها * فأحرزت من معانيه خصله قصبه
ناجت طلائح سري لا يستفيق لها * هدت جوارحه واستوهنت عصبه
فحركته على قتلك الكلال به * وأذهبت بسرور الملتقى نصبه
واذ كرت عهد مهديها على شحط * فعاود القلب من تذكاره وصبه
ما كنت أسمع من دهري بجوهره * لو كان يسمح لي بالقلب من غصبه
سل أدمع الصب من أعدى السحاب بها * وقلبه بجمار الشوق من حصبه
فالله يحفظ مهديها ويشكره * فوجهها بعصاب الحسن قد عصبه
من كان وارث آداب يشعشعها * بالفرض اني في ارثي لها عصبه
هو الملاذ ملاذ الناس قاطبة * سبحان من لغيات الخلق قد نصبه

وخاطبه كذلك بقوله

يكلفني مولاي رجع جوابه * ومالتعاطي المعجزات ومالِيا
أجيبك للفضل الذي أنت أهله * وأكتب مما قد أفدت الاماليا
فأنت الذي طوقتني كل منة * وأحييت آمالي وأكسبت ماليا
وأنت الذي أعدى الزمان كماله * وصيرت أحرار الزمان مواليا
فلازلت للفعل الجميل مواصلا * ولازلت للشكر الجزيل مواليا

وخاطبه كذلك بقوله

طالعتها دون الصباح صباحا * لما جلت غرر البيان صباحا
ولقد رأيت وما رأيت كحسنها * وجها أغر ومبسما وضاحا
عذراء أرضعها البيان لبانه * وأطال مغدى عندها ومراحا
فأتت كما شاءت وشاء نجيبها * تذكي الحجا وتنعم الارواحا
لا بل كمثل الروض باكره الحيا * وسقى به زهر الكمام ففاحا
وطوت بساط الشوق مني بعدما * نشرت على من القبول جناحا

وخاطبه كذلك بقوله

ذروني فاني بالعلاء خبير * أسير فان النيرات تسير
وكم بت أطوي الليل في طلب العلا * كأني الى نجم السماء سفير

ن يديه وما كان على حاميته فطمعت فيه خيول خراسان والجبل والديلم والاتراك فيهم اسفار بن شيرويه ومضى ماكان لكثرة الخيول وانحاز الداعي وقد لحق بقرب بلاد طبرستان الى ناحية هنالك وقد تخلى عنه من كان معه من الانصار فقتل هنالك ولحق ماكان بالديلم واستولى اسفار بن شيرويه على بلاد طبرستان والري وجرجان وقزوين وزنجان وأبهر وقم وهمذان والكرج ودعا لصاحب خراسان واستوثقت له الامور وعظمت جيوشه وكثرت عدته فتجبر وطغى وكان لا يدين بملة الاسلام وعصى صاحب خراسان وخالف عليه وأراد أن يعقد التاج على رأسه وينصب بالري سريرا من ذهب للملك ويتملك ما في يده مما قد ذكرنا من البلاد ويحارب السلطان وصاحب خراسان فسير المقتدر هرون بن غريب في الحال نحو قزوين فكانت له معه حروب فانكشف هرون وقتل من أصحابه خلق كثير وذلك بباب قزوين وقد كان أصحاب قزوين عاونوا أصحاب السلطان فقتلوا منهم عدة فكانت لهم بعد هزيمة هرون بن غريب مع الديلم حروب وسار اليهم اسفار بن شيرويه فأتى على خلق عظيم بها وملك القلعة التي في وسط قزوين وتدعى بالفارسية

بعزم اذاما الليل مد رواقه * يكر على ظلمائه فينير
أخو كاف بالمجد لا يستفزه * مهاد اذا جن الظلام وثير
اذا ما طوى يوما على السر كشحه * فليس له حتى الممات نشور
وانى وان كنت المدمنع جاره * لتسبى فؤادى أعين وثغور
وما تعتريني فترة فى مدى العلا * الى أن أرى لحظا عليه فتور
وفى السرب من نجد تعلقت ظبية * تصول على ألبابنا وتغير
وتمنع ميسور الكلام أخا الهدى * وتبخل حتى بالخيال يزور
أسكان نجد جادها واكف الحيا * هوا كم بقلبي منجد ومغير
ويا ساكنى بالاجرع الفرد من منى * وأيسر حظ من رضاك كثير
ذكرتك فوق البحر والبعد بيننا * فدته من فيض الدموع بحور
وأومض خفاق الذؤابة بارق * فطارت بقلبي أنة وزفير
ويهفو فؤادى كلما هبت الصبا * أما الفؤادى فى هواك نصير
ووالله ما أدرى أذكرك هزنى * أم الكاس ما بين الخيام تدور
فمن مبلغ عنى النوى ما يسوءها * وللبين حكم يعتدى ويجور
بأنا غدا أو بعده سوف نلتقى * وعسى ومنا زائر ومزور
الى كم أرى اكتى ووجدى مصرح * وأخفى اسم من أهواه وهو شهير
أمجد آمالى ومغلى كاسدى * ومصدر جاهى والحديث كثير
أأنسى ولا أنسى مجالسك التى * بها تلتقى نضرة وسرور
نزورك فى جنح الظلام وننثنى * وبين يدينا من حديثك نور
على أننى ان غبت عنك فلم تغب * لطائف لم يحجب لهن سفور
نروح ونغدو كل يوم وعندنا * رواح علينا دائم وبكور
فظلك فوقى حيثما كنت وارف * ومورد آمالى لديك غزير
وعذرا فانى ان اطلت فانما * قصاراى من بعد البيان قصور

وكتب اليه خاتمة رسالة كذلك

وحقك ما استطعمت بعدك غمضة * من النوم حتى آذن النجم بالغروب
وعارضت مسرى الريح قلت لعلها * تمر بريا مثلك عاطرة الهبوب
الى أن بدا وجه الصباح كأنه * محياك اذ يجلو بغرته الخطوب
فقلت لقلبي استشعر الانس وابتهج * فان تبعد الاجسام لم تبعد القلوب
وسر فى ضمان الله حيث توجهت * ركابك لا تخشى الحوادث أن تنوب

قلت هذه غاية فى معناها لولا خروجها عن القواعد فى ترتيب قافيتها ومبناها فانظر الى تحوّله عن لسان الدين بعد هذه المدائح ونسبته اليه بعد ذه القبائح والانسان خوّان الا النادر من الاخوان ولا حول ولا قوة الا بالله * قال فى الاحاطة فى ترجمة ابن سلبطور ما نصه ومما خاطبنى به

مكثرين وهو الحصن الذى كان للدينة أوّلا فى نهاية المنعة مما كانت الفرس جعلته ثغرا بازاء الديلم وشحنته بالرجال لان الديلم والجبل مذ كانوا لم ينقادوا الى ملة ولا استجروا شرعا ثم جاء الاسلام وفتح الله على المسلمين البلاد فجعلت قزوين للديلم ثغرا هى وغيرها مما أطاف ببلاد الديلم والجبل وقصدها المطوّعة والغزاة فرابطوا وغزوا ونفروا منها الى أن كان من أمر الحسن بن على العلوى الداعى الاطروش واسلام من ذكرنا من ملوك الجبل والديلم على يديه ما تقدم ذكره فى صدر هذا الباب من خبره والآن فقد فسدت مذاهبهم وتغيرت آراؤهم وألحد أكثرهم وقد كان قبل ذلك جماعة من ملوك الديلم ورؤسائهم يدخلون فى الاسلام وينصرون من ظهر ببلاد طبرستان من آل أبى طالب مثل الحسن ابن محمد بن زيد الحسينى وخرب أسفار بن شيرويه قزوين لما كان من فعل أهلها ومعاونتهم أصحاب السلطان على رجاله وقلع أبوابها وسبا وأباح الفروج وسمع المؤذن يؤذن على صومعة الجامع فأمر أن ينكس منها على أم رأسه وخرب المساجد ومنع الصلوات فاستغاث الناس فى المساجد فى أمصار المشرق واستعمل أمر موسا رصاحب تالله

تالله ماأورى زنادالقلق * سوى بريق لاح لي بالابرق
أيقنت بالحين فلولا نفحة * نجدية منكم تلافت رمق
لكنت أقضي بتلظى زفرة * وحسرة بين الضلوع تلتق
فآه من هول النوى وماجنى * على القلوب موقف التفرق
ياحاكى الغصن انثنى متوجا * بالبدر تحت لمة من غسق
الله في نفس معنى أقصدت * من لاعج الشوق بما لم تطق
أتى على أكثرها برح الاسى * دع مامضى منها وأدرك مابقى
ولو بالمام خيال في الكرى * ان ساعد الجفن رقيب الارق
فرب زور من خيال زائر * أقر عيني وان لم يصدق
شقيت من برح الاسى لو أن من * أصبح رقى في يديه معتق
ففي معاناة الليالي عائق * عن التصابي وفنون القلق
وفي ضمان مايعاني المرء من * نوائب الدهر مشيب المفرق
هذا لعمري مع أني لم أبت * منها بشكوى روعة أوفرق
فقد أخذت من خطوب غدرها * بابن الخطيب الأمن مما أتقى
فخر الوزارة الذي مامثله * بدر علا في مغرب أومشرق
ومذ أرانيه زماني لم أبل * من صرفه ببرعد أو مبرق
لاسيما منذ حططت في حمى * مقامه الامنع رحل أينق
أيقنت أني في رجائي لم أخب * وأن مسعى بغيتي لم يخفق
ندب له في كل حسن آية * تناسبت في الخلق أوفي الخلق
في وجهه مسحة بشران بدت * تبهرجت أنوار شمس الافق
تعتبر الابصار في اللألاء ما * عليه من نور السماح المشرق
كالدهر في استيناته وبطشه * كالسيف في حد الظبا والرونق
ان بخل الغيث استهلت يده * بوابل من غيث جود غدق
وان وشت صفحة طرس انجلى * ليل دجاها عن سنى مؤتلق
بمثلها من حبرات أخجلت * حواشي الروض خدود المهرق
ماراق في الآذان أشناف سوى * ماتسقطات لفظه المغترق
تود أجياد الغواني أن ترى * حليها من درذاك المنطق
فسل به هل آده الامر الذي * حل في شرخ الشباب المونق
اذا رأى الرأى فلا يخطئه * يمن اختيار للطريق الاوفق
ايه أباعبد الاله هاكها * عذراء تحتوي وجوه السبق
خذها اليك بكر فكر يزدري * لديك بالاعشى لدى المحلق
لازلت مرهوب الجناب مرتجى * موصول عز في سعود ترتقي
مبلغ الآمال فيما تبتغي * مؤمن الاغراض مما تتقي

خراسان يريد الري لحرب أسفار بن شيرويه في عساكره وانفصل عن مدينة بخارى وهي دار مملكة صاحب خراسان في هذا الوقت وعبر نهر بلخ فنزل مدينة نيسابور وسار اسفار بن شيرويه الى الري وجمع عساكره وضم اليه رجاله من الاطراف وعزم على محاربة صاحب خراسان فاشار عليه وزيره وهو مطرف الجرجاني وكان يخاطب بالوزير الرئيس أن يلاطف صاحب خراسان ويراسله ويطمعه في المال واقامة الدعوة فان الحرب تارات وأوقاتها سجال والانفاق عليها من رأس المال فان جنح الى مادونه وراسلته به والا فالحرب بين يديك لان من معك من الاتراك وأكثر فرسان خراسان اغناهم رجاله وا عتاقد تملكتهم بالاحسان اليهم ولا يدرى عليه اذا قرب منك صاروا مع صاحبهم فقبل قوله وأمر بمكاتبته فلما وردت الكتب على صاحب خراسان أبى أن يقبل شيأ من ذلك وعزم على المسير اليه فاشار عليه وزراؤه أن يقبل منه وأن يرضى منه بما يحمل من الاموال واقامة الدعوة فان الحرب عثراتها لاتقال ولا يدرى الى ماتؤل لان الرجل قوى

بالمال والرجال فان هزم لم يكن في ذلك كبير فتح اذ كان رجلا من رجالات قد دبت محرب عدوك

وابن سلبطور هو محمد بن أحمد بن سلبطور الهاشمى قال فى الاحاطة من أهل المرية يكنى أبا عبد الله من وجوه بلده وأعيانه نشأ نبيه البيت ساحبا بنفسه وبماله ذيل الحظوة متحليا بخصل من خط وأدب وزير امتجدا ظريفا دربا على ركوب البحر وقيادة الاساطيل ثم انحط فى هواه انحطاطا أضاع مروءته واستهلك عقاره وهد بيته والجاه أخيرا الى اللحاق بالعدوة فهلك بها * وجرى ذكره فى الاكليل بما نصه مجموع شعر وخط وذكاء عزدرجة الظرفاء غير منحط الى مجادة أثيلة البيت شهيرة الحى والميت نشأ فى حجر الترف والنعمة محفوفا بالمالة الجمة فلما عقل عن ذاته وترعرع بين لداته أجرى خيول لذاته فلم يدع منها ربعا الا أقفره ولا عقارا الا عقره حتى حط بساحلها واستولى بسفر الانفاق على جميع مراحلها الا أنه خلص بنفس طيبة وسراوة تماؤها صيبة وتمتع ما شاء من زيرو بم وتأنس لم يعط القياد لهم وفى عمو الله سعة وليس مع التوكل عليه ضيعة شعره من شعره قوله يمدح السلطان وأنشدها اياه بالمضارب من وادى الغيران عند قدومه المرية

أثغرك أم سمط من الدر ينظم * وريقك أم مسك به الراح تختم
ووجهك أم باد من الصبح نير * وفرعك أم داج من الليل مظلم
أعال منك الوجد والليل ملتقى * وهل ينفع التعليل والخطب مؤلم
وأقنع من طيف الخيال بزورة * لو ان جفونى بالمنام تنعم

ثم سرد لسان الدين القصيدة وهى طويلة ثم قال ومن شعره مذيلا على البيت الاخير حسبما نسب اليه ببلده

نامت جفونك يا سؤلى ولم أنم * ماذاك الا لفرط الوجد والسقم
أشكو الى الله ما لى من محبتكم * فهو العليم بما ألقى من الالم
ان كان سفك دمى أقصى مرادكم * فما غلت نظرة منكم بسفك دمى

ومما ينسب اليه كذلك

قف بى وناد بين تلك الطلول * أين الالى كانوا عليها نزول
أين ليالينا بهم والمنى * نجنيه غضا بالرضا والقبول
لاحملوا بعض الذى حملوا * يوم تولت بالقباب الحمول
ان غبتم يا أهل نجد فقى * قلبى أنتم وضلوعى حلول

ثم قال ناب فى القيادة البحرية عن خاله القائد أبى على الرنداحى وولى أسطول المركب برهة وتوفى بمراكش عام خمسة وخمسين وسبعمائة رحمه الله تعالى انتهى * وقال لسان الدين كتب الى أبو عبد الله بن راجح التونسى بما يظهر من أبياته وهى

أما والذى لى فى حلاك من الحمد * ومالك ملاكى لدى من الرفد
لقد أشعرتنى النفس انك معرض * عن المسرف الآتى لفضلك يستجدى
فان زلة منى بدت لك جهرة * فصفحا فما والله أذنبت عن قصد

فراجعته بقولى

أجلك عن عتب يغض من الود * وأكرم وجه العذر منك عن الرد

وضممت اليه عساكرك وعلمنا انك تخالف عليك وان كانت وعائذ بالله عليك لم تستقل من ذلك فشاور صاحب خراسان ذوى الرأى من قواده وأصحابه فيما قال وزيره فسددوا رأيه وصوبوا قوله فجنح الى قولهم وما أشير عليه فاجاب اسفار بن شيرويه الى ما سأل وأعطاه ما طلب من بعد شروط اشترطها عليه من حمل أموال وغير ذلك فلما ورد الكتاب على اسفار ابن شيرويه قال لوزيره هذه أموال عظيمة قد اشترط علينا حملها ولا سبيل الى اخراجها من بيت المال فالواجب أن نستفتح خراج هذه البلاد فقال له وزيره ان فى استفتاح الخراج فى غير وقته مضرة على أرباب الضياع وخراب البلاد وخللا لكثير من أهل الخراج قبل ادراك غلاتهم قال له اسفار فما الوجه قال الوزير الخراج انما يخص بعض الناس من أرباب الضياع خاصة وههنا وجه يعم سائر الناس من أرباب الضياع وغيرهم من المسلمين وسائر الملل من أهل هذه البلاد وغيرهم من الغرباء من غير ضرر عليهم ولا كثير مؤنة بل اعطاء شئ يسير وهو أن تجعل على كل رأس دينارا فيكون فى ذلك ما اشترط علينا من المال وزيادة عليه كثيرة فامره اسفار بذلك فكتب أهل الاسواق والحال من المسلمين ولكنى

ولكنني أهدى اليك نصيحتى * وان كنت قد أهديتها ثم لم تجدى
اذا مقول الانسان جاوز حده * تحولت الاغراض منه الى الضد
فاصبح منه الجد هزلا مذمما * وأصبح منه الهزل فى معرض الجد
فما اسطعت قبضا للعنان فانه * أحق السجايا بالعلاء و بالمجد

وقال فى الاحاطة فى حق ابن راجح المذكور ما محصله محمد بن على بن الحسن بن راجح الشريف الحسنى باعترافه ولا تزر وازرة وزر أخرى تونسى أبو عبد الله يعرف بابن راجح صاحب رواء وأبهة نظيف البزة فاره المركب مطفف مكيال الاطراء جموح فى ايجاب الحقوق مترام الى أقصى آماد التوغل سخى اللسان بالثناء نثر ثاره مرسل لعنانه فى كل المحافل متواضع متودد فكه مطبوع حسن الخلق عذب الفكاهة مخصوص حيث حل من الملوك والامراء بالاثرة وممن دونهم بالمداخلة والصحبة ينظم الشعر و يحاضر بالابيات و يقوم على تاريخ بلده و يثابر على لقاء أهل المعرفة والاخذ عن أولى الرواية قدم الاندلس عام خمسين وسبعمائة مفلتا من الوقيعة بالسلطان أبى الحسن فهدله سلطانها كنف بره وآواه الى سعة رعيه وتأكدت بينى و بينه صحبة كتبت اليه أول قدومه بما نصه احذوحذو ابيات ذكر أن شيخنا أبا محمد الحضرمى خاطبه بها

أمن جانب الغربى نفحة بارح * سرت منه أرواح الجوى فى الجوارح
قدحت بها زند الغرام وانما * تجافيت فى دين السلو لقادح
وما هى الا نسمة حاجرية * رمى الشوق منها كل قلب بقادح
وجدنا لها من غير شك كأنها * شمائل أخلاق الشريف ابن راجح
فتى هاشم سبقا الى كل غاية * وصبرا مغار الفتل فى كل فادح
أصيل العلا جم السيادة ذكره * طراز نضار فى برود المدائح
وفرقان مجد يصدع الشك نوره * حبا الله منه كل صدر بشارح
وفارس ميدان البيان اذا انتضى * صحائفه أنست مضاء الصفائح
رقيق كما راقتك نغمة ساجع * وجزل كما راعتك صولة جارح
اذا ما احتبى مستحضرا فى بلاغة * وخوض خضم القول منه بسابح
وقد شرعت فى مجمع الحفل نحوه * أسنة حرب للعيون اللوامح
فما ضعضعت منه لصولة صادع * ولا ذهبت منه بحكمة ناصح
تذكرت قسا قائما فى عكاظه * وقد غص بالشم الانوف الجحاجح
ليهنك شمس الدين ما حزت من علا * خواتمه موصولة بالفواتح
رعى الله ركبا أطلع الصبح مسفرا * لمرآك من فوق الربا والبطائح
ولله ما أهدته كوماء أوضعت * برحلك فى قفر عن الانس نازح
أقول لقومى عند ما حط كورها * وساعدها السعدان وسط الاباطح
ذروها وأرض الله لا تعرضوا لها * بعرض سوء فهى ناقة صالح
اذا ما أردنا القول فيه فمن لنا * بطوع القوافى وانبعاث القرائح

وأهل الذمة حتى استوفى الاحصاء الى من فى الفنادق والخانات من الغرباء من التجار وغيرهم وحشر الناس الى دار الخراج بالرى وسائر أعمالها فطولبوا بهذه الجزية فمن أدى كتب له براءة بالاداء مختومة على حسب ما تكتب براءة أهل الذمة عند أدائهم الجزية فى سائر الامصار فأخبرنى جماعة من أهل الرى وغيرهم ممن طرأ عليهم من الغرباء والتجار والكتاب وغيرهم وأنا يومئذ بالاهواز وفارس أنهم أدوا هذه الجزية وأخذوا هذه البراءة بادائها فاجتمع من ذلك أموال عظيمة حمل منها ما اشترط حمله وكان الباقى من ذلك ألف ألف دينار ونيفا وقيل أضعاف ما ذكرنا على حسب الخلائق الذين بالرى وأعمالها ورجع صاحب خراسان الى بخارى وعظم أمر اسفار على خلاف ما عهد وبعث برجل من أصحابه يقال له مرداويج بن زيار الى ملك من ملوك الديلم مما يلى قزوين وهو صاحب الطرم من أرض الديلم وهو ابن اسوار المعروف بسلام الذى ولده فى هذا الوقت صاحب أذربيجان وغيرها ليأخذ عليه البيعة لاسفار بن شيرويه والعهد والدخول فى طاعته فسار مرداويج الى سلام فتشاكيا ما نزل بالاسلام من اسفار بن شيرويه واخرابه البلاد وقتله الرعية وتركه

بقيت منى نفس وتحفة قادم * ومورد ظمآن وكعبة مادح
ولازلت تلقى البر والرحب حيثما * أرحت السرى من كل غاد ورائح

فاجابني بما نصه

أمن مطلع الانوار لمحة لائح * تعاد لمفؤد عن الحى نازح
وهل بالمنى من مورد الوصل يرتوى * غليل عليل للتواصل جانح
فيا فيض عين الدمع مالك والحمى * ورند الحمى والشيح شيح الاباطح
مرابع آرامى ومورد نا قتى * فسقيا لها سقيا لناقة صالح
سقى الله ذاك الحى ودقا فانه * حمى لمحات العين عن لمح لامح
وأبدى لنا حور الخيام ترف فى * حلى الحسن والحسنا وحلى الملامح
ترى حى تلك الحور للعور مهيع * يدل وهل جسم لداء التبارح
ويا دوحة الريحان هل لى عودة * لمغنى عفار الانس بين الاباطح
وهل أنت الا حلة حاتمية * تغص نواديها بغاد ورائح
أقام بها الفخر الخطيب منابرا * لترتيل آيات الندى والمنائح
وشفع بالانجيل حمد مديحه * وأوتر بالتوراة شفع المدائح
وفرق بالفرقان كل فريقة * نأت عن رشاد فيه محض النصائح
وهل هو الا للبرية مرشد * لكل هدى هاد لا رجح راجح
فبشرى لسان الدين ساد بك الورى * وأورى الهدى للرشد أوضح واضح
متى قلت لم تترك مقالا لقائل * وان لم تقل لم يغن مدح لمادح
فمن حام بالحى الذى أنت ربه * وعام بحر من عطاياك طافح
يحق له أن يشفع الحمد بالثنا * ويغدو بذاك البحر أسبح سابح
ويا فوز ملك دمت صدر صدوره * وبشرى له قد راح أرجح راجح
بآرائك اللاتى تدل على الهدى * وتبدى لمن خصصت سبل المناجح
ملكت خصال السبق فى كل غاية * وملكت ما ملكت يا ابن الجحاجح
مطامح آمال لاشرف همة * أقل مراميها أجل المطامح
فدونكها يا مهدى المدح مدحة * أجيبت بها عن مدح أشرف مادح
تهنيك بالعام الذى عم مدحه * مواهب هاتيك البحار الطوافح
فخذها سمى الفخر يا خير مسبل * على الخلق اغضاء ستور التسامح
ودم خاطب العليا بها خير خاطب * وأتوق تواق وأطمع طامح

ثم قال لسان الدين توفى يوم الخميس ثالث شعبان سنة خمسة وستين وسبعمائة وقد ناهز السبعين ودفناه بروضتنا بباب البيرة واعفى شارب الشعر من ثانى مقصه عفا الله تعالى عنا وعنه انتهى * قلت رأيت بخط البدر البشتكى فى اختصاره لاحاطة لسان الدين وسماه بمركز الاحاطة فى هذا المحل مانصه قال كاتبه لو وفق الله تعالى هذا الرجل لم يجب عن مثل تلك الحائية بهذا الهذاء واهل ما فى كتاب أبى البركات الذى اسمه شعر من لاشعر له أنزل من هذه

العمارة والنظر فى عواقب الامور فتحالفا وتعاقدا على التظافر على اسفار والتعاون على حربه وقد كان اسفار سار فى عساكره الى قزوين وقرب من نحو الديلم من أرض الطرم من مملكة ابن اسوار منتظر الصاحبه مرداويج بن زيار وانه ان لم ينقد ابن اسوار الى طاعته ورجع اليه رسوله بالايجاب وطئ بلاده وسلام هذا هو خال على بن وهشوذان المعروف بابن حسان ملك آخر من ملوك الديلم وهو الذى قتل بالرى قتله ابن اسوار هذا فى خبر يطول ذكره فلما قرب مرادويج من عساكر اسفار راسل قواده وكاتبهم فى معاونته على الفتك باسفار وأعلمهم مظافرة سلام عليه وقد كان القواد وسائر أصحابه سئموا وملوا دولته وكرهوا سيرته فاجابوا مرداويج الى ذلك فلما دنا من الجيش استشعر اسفار بن شيرويه البلاء وعلم توجه الحيلة عليه وان لاناصر له من أصحابه ولا غيرهم لما تقدم من سوء سيرته فهرب فى نفر من غلمانه فوافى مرداويج وقد فاته اسفار فاستولى على الجيش وحاز الخزائن والاموال وأحضر وزير اسفار المعروف بمطرف الجرجانى فاستخرج منه الاموال وأخذ البيعة على القواد والرجال وفرق فيهم الاموال من الارزاق والجوائز وزاد فى ارزاقهم وأحسن اليهم بما لم يكونوا

الطبقة

الطبقة انتهى وقد أشار لسان الدين لهذا بقوله السابق وأعني شارب الشعر من ثاني مقصه فلله دره من لوذعي زان خاتم البراعة بفصه فلكم له من عبارة وجيزة يقضي بها ما لم يستطع غيره أن يعبر عنه باطنابه فعلى كل من يروم التعبير عما في الضمير أن يتمسك بأطنابه * وقال ابن خاتمة حدثني الشريف الاديب أبو عبد الله بن راجح التونسي مقدمه علينا بالمرية قال سجن القاضي أبو عبد الله بن عبد السلام شابا وسيما لحق تعين عليه فانشدته مداعبا

أقاضي المسلمين حكمت حكما * غدا وجه الزمان له عبوسا
سجنت على الدراهم ذا جمال * ولم تسجنه اذ غصب النفوسا

فأجابني بأن قال اغياشكاه لي أرباب الدراهم دون أرباب النفوس انتهى (رجع) الى ما خوطب به لسان الدين رحمه الله تعالى ومما خاطبه به أبو عبد الله العتاب التونسي في بعض الاعياد قوله

بمن أبي عبد الاله محمد * تيمن هذا القطر وانسجم القطر
أفاض علينا من جزيل عطائه * بحورا تديم المد ليس له جزر
وآنسنا المساعد منا غانيا * اذا ذكرت في القلب ليس لها ذعر
هنيئا بعيد الفطر يا خير ماجد * كريم به تسمو السيادة والفخر
ودمت مدى الايام في ظل نعمة * تطيع لك الدنيا ويعنو لك الدهر

وقال لسان الدين في ترجمة ابن عبد الملك المراكشي ما صورته وخاطبني بقوله

وليت ولاية أحسنت فيها * ليعلم أنها شرفت بقدرك
وكم وال أساء فقيل فيه * دني القدر ليس لها بقدرك

وقال أيضا يخاطبني في المعنى

وليت فقيل أحسن خير وال * ففاق مدى مداركها بفضله
وكم وال أساء فقيل فيه * دناءتها محاسنها بفعله انتهى

وفي الاحاطة ما محصله ان المذكور محمد بن محمد بن عبد الملك بن سعيد الانصاري الاوسي كان شديد الانقباض محجوب المحاسن تنبو العين عنه جهامة ووحشة ظاهرة وغرابة شكل وفي طي ذلك أدب غض ونفس حرة وحديث ممتع وأبوة كريمة أحد الصابرين على الجهد المتمسكين بأسباب الحشمة الراضين بالخصاصة وأبوه قاضي القضاة نسيج وحده الامام العالم التاريخي المتبحر في الآداب تقلبت به أيدي الليالي بعد وفاته لتبعة سلطت على نشبه فاستقر بمالقة مقدورا عليه لا يهتدي لمكان فضله الا من عثر عليه ومن شعره قوله

من لم يصن في أمل وجهه * عنك فصن وجهك عن رده
واعرف له الفضل وعرف له * حيث أحل النفس من قصده

ثم قال توفي في ذي القعدة عام ثلاثة وأربعين وسبعمائة انتهى * ومما مدح به لسان الدين قول أبي عبد الله محمد المكودي الفاسي رحمه الله تعالى

رحماك بي فلقد خلدت في خلدي * هوى أكابد منه حرقة الكبد
حلت عقد سلوي عن فؤادي اذ * حلت منه محل الروح من جسدي

يعرفونه من اسفار ومضى اسفار الى نحو مدينة السارية من بلاد طبرستان فلم يجد له ملجأ يقصده وحار في أمره فرجع يريد قلعة من قلاع الديلم منيعة تعرف بقلعة ألموت وكان فيها شيخ من شيوخ الديلم يعرف بأبي موسى مع عدة من الرجال قبله ذخائر اسفار بن شيرويه من خزائنه وأمواله وكان مرداويج لما توجه له ذلك وملك الجيش والاموال خرج يتصيد على أميال من قزوين نحو الطريق الذي سلكه اسفار يستعلم أمره وأي البلاد سلك والى أي القلاع لجأ فال الى القلعة فنظر الى خيل يسيرة في بعض الاودية فأسرع أصحابه نحوها ليأخذوا خبرها فوجدوا اسفار بن شيرويه في عدة يسيرة من غلمانه يؤم القلعة ليأخذ ماله فيها من الاموال ويجمع الرجال والديلم والجبل ويعود الى حرب مرداويج فلما وقعت عينه عليه نزل فذبحه من ساعته وأقبل رجال الديلم والجبل نحو مرداويج لما ظهر من بذله واحسانه الى جنده وتسامع الناس بادراره الارزاق على جنده فقصدوه من سائر الامصار فعظمت عساكره وكثرت جيوشه واشتد أمره ولم يسعه ما في يديه من الامصار ولا كفى رجاله ما فيها من الاموال ففرق قواده الى بلاد قم ونحو كرج أبو دلف الى البرج وهمذان

مرالـبدري وذكراك التـذاذفي * ودين حبك اضماري ومعتقدي
ومن جمالك نورلاح في بصري * ومن ودادك روح حل في خلدي
لاتحسبن فؤادي عنك مصطبرا * فقبل حبك كان الصبرطوع يدي
وهالجسمي قدأودي النحول به * فلوطلبت وجودامنه لم تجد
عما بطرفك من غنج ومن حور * وما بثغرك من در ومن برد
كن بين طرفي وقلبي منصفا فلقد * حابيت بعضهما فاعدل ولاتحد
فقال لي قدجعلت القلب لي وطنا * وقدقضيت على الاجفان بالسهد
وكيف تطلب عدلا والهوى حكم * وحكمه قط لم يعدل على أحد
من لي بأغيد لا يرثي لذي شجن * وليس يعرف مايلقاه ذوكمد
ما كنت من قبل اذعاني لسطوته * اخال أن الرشا يسطو على الاسد
ان جاء بالوعد لم تصدق مواعده * فان قنعت بزور الوعد لم يعد
شكوته علتي منه فقال ألا * سر للطبيب فبأبره الضنى بيدي
فقلت ان شئت برئي أوشفا ألمي * فبارتشاف لمالك الكوثري جد
وان بخلت فلي مولى يجود على * ضعفي ويبرئ ماأضنيت من جسدي

وخرج بعد هذا الى مدح لسان الدين فاطال وأطاب وكيف لا وقد ملأ من احسانه الوطاب رحم الله تعالى الجميع * وقال لسان الدين كتبت الى أبي عبد الله اليتيم أسأل منه ما أثبت في كتاب التاج من شعره فكتب الي بهذه الابيات

اما الغرام فلم أخلل بمذهبه * فلم حرمت فؤادي نيل مطلبه
يامعرضا عن فؤاد لم يزل كلفا * بحبه ذاحذار من تجنبه
قطعت عنه الذي عودته فغدا * وحظه من رضاه برق خلبه
أيام وصلك مبذول وبرك بي * مجدد قدصفا لي عذب مشربه
وسمع ودك عن افك العواذل في * شغل وبدرالدجى ناس لمغربه
لاانت تمنعني نيل الرضا كرما * ولافؤادي يوان في تطلبه
لله عرفك ماأذكى تنسمه * لو كنت تمنحني استنشاق طيبه
أنت الحبيب الذي لم أتخذ بدلا * منه وحاشى لقلبي من تقلبه
يا ابن الخطيب الذي قدفقت كل سني * أزال عن ناظري اظلام غيهبه
محمد الحسن في خلق وفي خلق * أكملت باسمك معنى الحسن فازهبه
حضرت أوغبت مالي عن هواك غنى * لاينقص البدر حسنا في تغيبه
سيان حال التداني والبعاد وهل * لمبصر البدر نيل في ترقبه
يامن أحسن ظني في رضاه وما * ينفك يهدي قبيحا من تغضبه
ان كان ذنبي الهوى فالقلب مني لا * يصغي لسمع ملام من مؤنبه

فاجبته بهذه الرسالة وهي طريفة في معناها ياسيدي الذي اذا رفعت راية ثنا ثم تلقيتها باليدين واذا قسمت سهام وداده على ذوي اعتقاده كنت صاحب الفريضة والدين دام

وابهروزنجان فكان من وكان بها جيش السلطان مع أبي عبد الله محمد بن خلف الدينوري السرماني ومعه خفيفا غلام أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان في جماعة من قواد السلطان فكانت لهم مع الديلم حروب متصلة ووقائع كثيرة وعاون أهل همذان أصحاب السلطان فقتل من رجال مرداويج خلق كثير من الديلم والجبل أربعة آلاف وقتل ابن أخت مرداويج صاحب الجيش المعروف بابي الكراديس بن علي الطلحي وكان من وجوه قواد مرداويج وولت الديلم نحو مرداويج أوحش هزيمة فلما أتاه الخبر وضعت أخته ورأى مانزل بها من أمر ولدها سار عن الري في جيوشه حتى نزل مدينة همذان على الباب المعروف بباب الأسد وانما سمي هذا الباب بباب الاسد لان أسدا من حجارة كان على أعمدة من هذا الباب على الطريق المؤدية الى الري وجادة خراسان أعظم مايكون من الاسد كالثور العظيم كانه أسد حي يدنو الانسان منه فيعلم أنه حجر قد صور أحسن صورة ومثل أقرب مايكون من تمثيل الاسد فكان أهل همذان به

انفذ الى همذان ابن أخت له في جيش كثيف مع جماعة من قواده ورجاله

بقاؤك لطرفة تبديها وغريبة تردفها بأخرى تليها وعقيلة بيان تجليها ونفس أخذ
الحزن بكظمها وكاف الدهر بشت نظمها تؤنسها وتسليها لم أزل أشد على بدائعك
يد الضنين وأقتني درر كلامك ونفثات أقلامك اقتناء الدر الثمين والايام بلقائك تعد
ولا تسعد وفي هذه الايام انثالت على سماؤك بعد قحط وتواترت لدي آلاؤك على شحط
وزارتني من عقائل بيانك كل فاتنة الطرف عاطرة العرف رافلة في حلل البيان والظرف
لو ضربت بيوتها بالحجاز لأقرت لها العرب العاربة بالاعجاز ماشئت من رصف المبنى
ومطاوعة اللفظ لغرض المعنى وطيب الاسلوب والتشبث بالقلوب غير أن سيدي أفرط في
التنزل وخلط المخاطبة بالتغزل وراجع الالتفات ورام استدراك مافات ويرحم الله
تعالى شاعر المعرة فلقد أجاد في قوله وأنكر مناجاة الشوق بعد انصرام حوله

أبعد حول تناجي الشوق ناجية * هلا ونحن على عشر من العشر

ولقد تجاوزت في الامد وأنسيت أخبار صاحبك عبد الصمد فاقسم بالفات القدود
وهمزات الجفون السود وحامل الارواح مع الالواح بالغدو والرواح لولا بعد مزارك
ما أمنت غائلة ما تحت ازارك ثم اني حققت الغرض وبحثت عن المشكل الذي عرض
فقلت للخواطر انتقال ولكل مقام مقال وتختلف الحوائج باختلاف الاوقات ثم رفع
اللبس خبر الثقات * (ومنها) وتعرفت ما كان من مراجعة سيدي لحرفة التكتيب
والتعليم والحنين الى العهد القديم فسررت باستقامة حاله وفضل ماله وان لاحظ
اللاحظ ما قال الجاحظ فاعتراض لا يرد وقياس لا يطرد حبذا والله عيش التأديب
فلا بالضنك ولا بالجديب معاهدة الاحسان ومشاهدة الصور الحسان يمينا ان المعلمين
لسادة المسلمين واني لأنظر منهم كلما خطرت على المكاتب أمراء فوق المراتب من كل
مسيطر الدرة متقطب الاسرة متنمر للوارد تنمر الهره يغدو الى مكتبه كالامير في موكبه
حتى اذا استقل في فرشه واستوى على عرشه وترنم بتلاوة قالونه وورشه أظهر للخلق
احتقارا وأزرى بالجبال وقارا ورفعت اليه الخصوم ووقف بين يديه الظالم والمظلوم
فتقول كسرى في ايوانه والرشيد في أوانه أو الحجاج بين أعوانه فاذا استولى على البدر
السرار وتبين لاشهر الغرار تحرك الى الخرج تحرك العود الى الفرج استغفر الله مما
يشق على سيدي سماعه وتشمئز من ذكره طباعه شيم اللسان خلط الاساءة بالاحسان
والغفلة من صفات الانسان فاي عيش كهذا العيش وكيف حال أمير هذا الجيش طاعة
معروفه ووجوه اليه مصروفه فان أشار بالانصات لتحقق القصات فكأنما طمس
على الافواه ولأم بين الشفاه وان أمر بالافصاح وتلاوة الالواح علا الضجيج والعجيج
وحف به كما حف بالبيت الحجيج وكم بين ذلك من رشوة تدس وغمزة لا تحس ووعد
يستنجز وحاجة تستعجل وتحفز هنأ الله سيدي ما خوله وأنساه بطيب أخراه أوله وقد
بعثت بدعابتي هذه مع اجلال قدره والتقيد بسعة صدره فليتلقها بيمينه ويفسح لها في
المرتبة بينه وبين خدينه ويفرغ لمراجعتها وقتا من أوقاته مما لا يقتضي دينه وفضل يقينه
والسلام ثم قال ومن المداعبة التي وقعت اليها الاشارة ما كتب به صديقه اليه أبو عبد السلام

يتوارثون أخبارهم عن أسلافهم مستفيضا فمنها أن الاسكندر بن فيلبش بنى همذان حين انصرف من بلاد
خراسان ورجوعه من مطافه من الهند والصين وغيرهما وأن ذلك الاسد جعل طلسما للمدينة وسورها وأن خراب البلد وفناء أهله وهدم سوره والقتل الذريع يكون عند كسر ذلك الاسد وقلعه من موضعه وأن ذلك من وجه الديلم والجبل وكان أهل همذان يمنعون من يجتاز بهم من العساكر والسابلة والمتألفة من أحداثهم أن يقلبوا ذلك الاسد أو يكسروا شيأ منه ولم يكن يقلب لعظمه وصلابة حجره الا بالخلق الكثير من الناس وقد كان عسكر مرداويج الذي سير مع ابن أخته نزلوا على هذا الباب وانبسطوا في تلك الصحراء قبل الوقعة بينهم وبين أصحاب السلطان فقلب على ما ذكر هذا الاسد فكسر فكان من أمر الوقعة ما ذكرنا وذلك على طريق الواع من الديلم فلما سار مرداويج ونزل على هذا الباب ونظر الى مصارع أصحابه وقتل أهل همذان لابن أخته اشتد غضبه لذلك
فكانت بينه وبين أهل همذان نوبة ثم ولى القوم وقد أسلمهم قبل ذلك أصحاب السلطان

أباعبد الاله نداء خل * وفي تاه يمحض النصيحه
الى كم تألف الشبان غيا * وخذلانا أما تخشى الفضيحه

فاجابه بقوله

فديتك صاحب السمة المليحه * ومن طابت أرومته الصريحه
ومن قلبي وضعت له محلا * فما عنه يحل بأن أزيحه
رأيت فدمع عيني في انسكاب * وأكبادي لفرقتكم قريحه
وطرفي لايتاح له رقاد * وهل نوم لاجفان جريحه
وزاد تشوقي أبيات شعر * أتت منكم بالفاظ فصيحه
ولم تقصد بها جدا ولكن * قصدت بها مداعبة وقيحه
فقلت أتألف الشبان غيا * وخذلانا أما تخشى الفضيحه
ففيهم حرفتي وقوام عيشي * وأحوالي بخلطتهم نجيحه
وأمري فيهم أمر مطاع * وأوجههم مصابيح صبيحه
وتعلم أنني رجل حصور * وتعرف ذاك معرفة صحيحه

ثم قال لسان الدين بعد ايراده ما مر ماصورته ولما اشتهر المشيب بعارضه ولمته وخفر الدهر بعهود صباه وأذمته أقلع واسترجع وتألم لما فرط وتوجع وهو الآن من جلة الخطباء طاهر العرض والثوب خالص من الشوب باد عليه قبول قابل التوب وتوفي في أخريات صفر سنة خمسين وسبعمائة في الطاعون رحمه الله تعالى وغفر له انتهى * واليتيم المذكور هو أبو عبد الله محمد بن علي العبدري المالقي وفي حقه يقول لسان الدين في التاج ما مثاله هو مجموع أدوات حسان من خط ونغمة لسان أخلاقه روض تتضوع نسماته وبشره صبح تتألق قسماته ولا تخفى سماته يقرطس أغراض الدعابة ويصميها ويفوّق سهام الفكاهة الى مراميها فكلما صدرت في عصره قصيدة هازلة أو أبيات منحطة عن الاجادة نازلة خمس أبياتها وذيلها وصرف معانيها وسيلها وتركها سمر الندمان وأحدوثة الازمان وهو الآن خطيب المسجد الاعلى بمالقة متحل بوقار وسكينة حال من أهلها بمكانة مكينة لسهولة جانبه واتضاح مقاصده في الخير ومذاهبه واشتغل لاول أمره بالتكتيب وبلغ الغاية في التعليم والترتيب والشباب لم ينصل خضابه ولا سلت للمشيب عضابه ونفسه بالمحاسن كلفة صبة وشأنه كله هوى ومحبة ولذلك ماخاطبه بعض أودائه وكلاهما رمى أنحاء مداته حسبما يأتي خلال هذا القول وفي أثنائه انتهى وذكر نحو ماتقدم ذكره سامح الله الجميع بفضله * وقال لسان الدين في ترجمة أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الكرسوطي الفاسي نزيل مالقة ماصورته وأنشدني وأنا بمالقة أحاول لوث العمامة وأستعين بالغير على الاحكام لها

أعمما قرأت كامل حسنه * أربى على الشمس المنيرة في البها
لاتلتمس عمرا لديك زيادة * فالبدر لايمتار من نور السها انتهى

قال لسان الدين وهو فقيه محدث متكلم ألف كتبا منها الغرر في تكميل الطرر طرر أبي

ابراهيم

فدخلوا فقتلوا في اليوم الاول في قول المقلل من الناس الى ما أدركه الاحصاء من حمل السلاح في المعركة نحوا من أربعين ألفا وأقام السيف يعمل فيها ثلاثة أيام والنار والسبي ثم نادى برفع السيف في اليوم الثالث وأمن بقيتهم ونادى أن تخرج شيوخ البلد ومستوروه اليه فلما سمعوا النداء أملوا الفرج فخرج من وثق بنفسه من الشيوخ وأهل الستر ومن لحق بهم فخرجوا الى المصلى فدخل اليه صاحب عذابه وكان يقال له الشقطيني فسأله عن أمره فيهم فأمره أن يطوف بهم الديلم والجبل بحرابهم وخناجرهم فيؤتى عليهم فطافت بهم الرجال من الديلم فأتى على القوم جميعا ولحقوا بمن مضى منهم وبعث منها بقائد من قواده يعرف بابن علان القزويني وكان يلقب بخواجه وذلك أن أهل خراسان اذا عظموا الشيخ فيهم سموه خواجه في عسكر من عساكره الى مدينة الدينور ومن همذان اليها ثلاثة أيام فدخلها بالسيف وقتل من أهلها في اليوم الاول سبعة عشر ألفا في قول المقلل والمكثر يقول خمسة وعشرين ألفا فخرج اليه رجل من مشهوري أهل الدينور وصوفيتها وزهادها يقال له ممشاد

براهيم الاعرج ثم كتاب الدرر فى اختصار الطرر المذكور وتقييدان على الرسالة
كبير وصغير ولخص التهذيب لابن بشير وحذف أسانيد المصنفات الثلاثة والتزم اسقاط
التكرار واستدرك الصحاح الواقعة فى الترمذى على البخارى ومسلم وقيد على مختصر
الطليطلى وشرع فى تقييد على قواعد الامام أبى الفضل عياض بن موسى برسم ولدى
يصدر منه الشعر مصدر الاتكيف فمنه العناية وكانت له اليد الطولى فى عبارة الرؤيا
مولده بفاس عام تسعين وستمائة انتهى ملخصا * وقال فى ترجمة أبى عمرو بن الزبير
ما صورته ومما خاطبنى به منتدبا من العدوة فى غرض الرسالة قوله

نوالى الشكر للرحمن فرضا * على نعم كست طولا وعرضا
وكم لله من لطف خفى * لنا منه الذى قد شا وأمضى
بمقدمك السعيد أتت سعود * تنال بها نعيم الدهر محضا
فيا بشرى لاندلس بما قد * به والاك باريها وأرضى
ويا لله من سفر سعيد * قد اقرضك المهيمن فيه قرضا
ورحت بنية أخلصت فيها * فأبت بكل ما يبغى ويرضى
وثبت لنصرة الاسلام لما * اليك علمت أن الامر أفضى
لقد أحييت بالتقوى رسوما * كما أرضيت بالتمهيد أرضا
وقت بسنة المختار فينا * تمهد سنة وتقيم فرضا
ورضت من العلوم الصعب حتى * جنيت ثمارها رطبا وغضا
فرأيك راجح فيما تراه * وعزمك من مواضى الهند أمضى
تدبر أمر مولانا فيلقى السمى * لديك اشفاقا وأغضا
فأعقبنا شفاء وانبساطا * وقد كانت قلوب الناس مرضى
ومن أضحى على ظما وأمسى * يردان شاء من نعماك حوضا
أبا عبد الاله اليك أشكو * زمانى حين زاد الفقر عضا
ومن نعماك أستجدى لباسا * تفيض به على الجاه فيضا
بقيت مؤملا ترجى وتخشى * ومثلك من اذا ما جاد أرضى

انتهى

وأبو عمرو المذكور هو محمد بن أحمد بن ابراهيم بن الزبير أبوه الاستاذ أبو جعفر بن الزبير أستاذ
الزمان شيخ أبى حيان وغيره وقال فى الاحاطة فى حقه انه فكه حسن الحديث ركض طرف
الشبيبة فى ميدان الراحة مكبا على سنن أبيه وقومه مع شفوف ادراك وجودة حفظ كانا
يطمعان والده فى نجابته فلم يعدم قادحا شرف فنال حظوة وجرت عليه خطوب ثم عاد الى
الاندلس فتطور بها وهو الآن قد نال منه الكبر يزجى لوقته بما لقه متهملا لا يرمق من بعض
الخدم المخزونية استجازله والده العلم والرم من أهل المغرب والمشرق وبضاعته فى الشعر
مزجاة ثم قال مات تاسع المحرم عام خمسة وستين وسبعمائة انتهى * وقال فى ترجمة أبى يحيى
محمد بن أحمد بن محمد بن الاكحل ما صورته شيخ هدورى الذقن خدوع الظاهر خلوب اللفظ
شديد الهوى الى الصوفية والكلف باطراء أهل الخير من بيت صون وحشمة متقدم فى

بيده مصحف قد نشره فقال لابن علان المعروف بخواجه أيها الشيخ اتق
الله وارفع السيف عن
هؤلاء المسلمين فبلا ذنب
لهم ولا جناية يستحقون
ما قد نزل بهم فأمر بأخذ
المصحف من يده فضرب
به وجهه ثم أمر به فذبح
وسبى وأباح الاموال
والدماء والفروج وبلغت
عساكر مرداويج
وجنوده الى الموضع
المعروف بالسحوس وهو
فرز بين الجبل وأعمال
حلوان مما يلى العراق
وذلك من بلاد طرز
والطامير ومرج القلعة قتلا
وسبيا وغنم الاموال ثم
ولت جيوشه راجعة وقد
غنمت الاموال وقتلت
الرجال وملكت الاولاد
وأخذوا الغلمان
وتملكوهم وسبوا من بلاد
الدينور وقد ساسين
والربذة الى حيث ما بلغوا
مما وصفنا من البلاد مما
أدركه الاحصاء من
الجوارى العتق العواتق
والغلمان فى قول المقلل
خمسين ألفا وفى قول
المكثر مائة ألف فلما تم
لمرداويج ما وصفنا وحملت
اليه الاموال والغنائم
بعث بها الى اصبهان
بجماعة من قواده فى
قطعة من عساكره
فملكوها وأقيمت لهم
الانزال والعلوفات وعمرت لهم قصور أحمد بن أبى دلف العجلى وهيئت له البساتين والرياض وزرع

له فيها أنواع الرياحين على حسب ما كان فى آل عبد العزيز بن فسار مرداويج الى اصبهان فنزلها وهو فى نحو
من خمسين ألفا وقيل
أربعين سوى ماله بالرى
وقم وهمذان وسائر أعماله
من العساكر وقد كان
أنفذ جماعة من قواده
وعساكره مع أبى الحسن
محمد بن وهبان الصنعانى
وهو الذى استأمن بعد
ذلك الى السلطان ثم قصد
الى محمد بن رائق وهو
بالرقة من بلاد ديار مضر
قبل دخول الشام
ومحاربته الاخشيد محمد
ابن طغج فاحتال عليه
رافع القرمطى وكان من
قواد ابن رائق حتى فرق
بينه وبين عسكره وغرقه
فى الفرات وذلك نحو
رحبة مالك بن طوق وقد
أتينا على خبره وما كان
من الحيلة فى أمره ومدة
بقائه فى الماء مقيدا الى أن
خرج ثم قتل بعد ذلك فى
الكتاب الاوسط فى
أخبار محمد بن رائق وسار
ابن وهبان فيمن معه من
العساكر الى أوسع كور
الاهواز وذلك على طريق
مناذر والعش ونوح
واحتوى على هذه البلاد
وجبى أموالها وحمل ذلك
الى مرداويج فتكبر
[illegible] وشه وأمواله
وعشرين ألفا بسرير امس الذهب رصع له بالجوهر وعملت له بدلة وتاج من الذهب وجمع

معرفة الامور العلمية خائض فى غمار التصوف وانتحال كيمياء السعادة واكب متن
دعوى عريضة فى مقام التوحيد تكذبها أحواله الراهنة لمناصاة خلقه على الرياضة
واستيلاء الشره وغلبة سلطان الشهوة والمشاحة أيام الولاية والسباب الشاهد بالشدة
والحلف المتصل بياض اليوم فى ثمن الخردلة باليمين التى فيها افساد الانكحة والغضب
الذى يقلب العين خاطبنى بين يدى نكبته ولم أكن أظن الشعر مما تلوكه بجفلته ولكنه
من أهل الكفاية

رجوتك بعد الله يا خير منجد * وأكرم مأمول وأعظم مرفد
وأفضل من أملت للحادث الذى * فقدت به صبرى وما ملكت يدى
وحاشا وكلا أن يخيب مؤملى * وقد علقت بابن الخطيب محمد
وما أنا الا عبد نعمته التى * عهدت بها يمنى والنجاح مقصدى
وأشرف من حض الملوك على التقى * وأبدى لهم رشدا نصيحة مرشد
وساس الرعايا الآن خير سياسة * مباركة فى كل غيب ومشهد
وأعرض عن دنياه زهدا وانها * لمظهرة طوعا له عن تودد
وما هو الا الليث والغيث ان أتى * له خائف أو جاء مغناه مجتدى
وبحر علوم دره كلماته * اذا رددت فى الحفل أى تردد
صقيل مرائى الفكر رب لطائف * محاسنها تجلى بحسن تعبد
بديع عروج النفس للملا الذى * تجلت له الاسرار فى كل مصعد
شفيق رفيق دائم الحلم راحم * ورأى جميل للجميل معود
صفوح عن الجانى على حين قدرة * مواصل تقوى الله فى اليوم والغد
أيا سيدى يا عمدتى عند شدتى * ويا مشربى مهما ظمئت وموردى
حنانيك والطف بى وكن لى راحما * ورفقا على شيخ ضعيف منكد
رجاك رجاء للذى أنت أهله * ووالاك يهدى للثناء المجدد
وأملك مضطر الرجاء شاكيا * بحال كحر الشمس حال توقد
وعندى افتقار لا يزال مواصلا * لأكرم مولى حاز أجرا وسيد
ترفق بأولاد صغار بكاؤهم * يزيد لوقع الحادث المتزيد
وليس لهم الا اليك تطلع * اذا مسهم ضر أليم التعهد
أنلهم أيا مولاى نظرة مشفق * وجد بالرضا وانظر لشمل مبدد
وعامل أخا الكرب الشديد برحمة * وأسعف بغفران الذنوب وأسعد
ولا تنظرن الا فضلك لا الى * جريمة شيخ عن محلك مبعد
وان كنت قد أذنبت انى تائب * فعوّد لى الفعل الجميل وجدد
بقيت بخير لا يزال وعزة * وعيش هنىء كيف شئت وأسعد
وسخرك الرحمن للعبد انه * لمثن وداع للعلى المجدد

ثم قال وهو الآن من مسطرى الاعمال على تهور واقتحام كبره من خطلا نهاية وراءه فى

الركاكة كما قال المعرى

تمشت فوقه حمر المنايا * ولكن بعد ما مسخت نعالا

وقال فى ترجمة أبى عبد الله محمد بن على بن عياش بن مشرف الامى انه من أهل الاصالة والحسب ظهرت منه على حداثة السن أبيات ونسب اليه شعر توسل به وتصرف فى الاشراف فحمدت سيرته وكتب الى بقوله

سفرت شموس اليمن والاقبال * وبدت بدور السعدذات كمال

لقدوم سيدنا الوزير محمد * أعزز به من سيد مفضال

قمر تجلى بين زهر تجتلى * يهدى لفعل الخير لا الاضلال

سر آمنا لا تكترث فلا أنت فى * حفظ الاله الواحد المتعالى

براو بحر الاتخاف ملمة * وعدو ذاتك خاف ظهرك صالى

لايستقر له قرار بعدكم * مما يحل به من الاوجال

والآن ترجع سالما ومبشرا * ببلوغ كل مسرة ومنال

وهى طويلة غطاها تخلف عن الاجادة وهى من مثله مما يستظرف انتهى * وقال فى ترجمة أبى عبد الله محمد بن محمد العراقى الوادى آشى فاضل الابوة بادى الاستقامة حسن الاخلاق تولى أعمالا كتب الى وقد أبى عملا عرض عليه بقوله

أأصمت ألفاظم أنطق بالخلف * وأفقد الفاظم آنس بالجلف

وأمسك دهرى ثم أفطر علقما * ويمحق بدرى ثم ألحق بالخسف

وعز كم لا كنت بالذل عاملا * ولو أن ضعفى ينتهى بى الى الحتف

فان تعملونى فى تصرف عزة * وعدل والا فاحسموا علة الصرف

بقيت وسحب العفو منكم تظلنى * وحظ ثنائى دائما ثانى العطف انتهى

وقال فى ترجمة أبى محمد عبد الله بن ابراهيم الازدى ما صورته وخاطبنى لما وليت خطة الانشاء وغيرها فى أواخر عام تسعة وأربعين وسبعمائة بما نصه

حشاشة نفس أعلنت لمذيبها * بتذكار أيام الوصال وطيبها

ونادته رحمى أختها نفس مدنف * تموت اذا لم تحيها بوجيبها

فداو بقرب منك لاعج وجدها * وفيض أماقيها وطول نحيبها

وقد بلغت حدا به صح فى الهوى * وأحكامه ثوب الضنى فى نصيبها

وهل يتداوى داء نفس تعيسة * اذا كان يوما داؤها من طبيبها

لعل أوار الجد تخمد ناره * فيبرد عنها ما بها من لهيبها

اليك حداها الشوق يا بدرها الذى * يعز عليها منه طول مغيبها

سلكت بها سبل الهوى فهى تبتغى * لقاءك وتبغى غفلة من رقيبها

أجبها بابقاء عليها فانها * ستفنى اذا ما لم تكن بمجيبها

ومل نحوها بالود فهى قد اذعنت * كما ذعن الاقلام لابن خطيبها

وحيد الزمان الماهر الباهر الحلى * وجهبذ آداب العلا وأديبها

له وصلت الهدايا رسل الملك انوشروان بن قباذ (وكان) نمى اليه من كتابه ومن أطاف به من أتباعه من دهاة العالم وشياطينه أن الكواكب ترى شعاعاتها الى بلاد أصبهان فيظهر بها ديانة وينصب بها سرير ملك ويجبى له كنوز الارض وأن الملك الذى يليها يكون مصفر الرجلين ويكون من صفته كيت وكيت وأن مدة عمره فى الملك كذا وكذا ثم يتلوه من بعده فى هذه المملكة أربعون ملكا وقربوا له الزمان فى ذلك وحددوه وتقربوا اليه باشياء من هذه المعانى مما مال اليه هواه واستدعاه منهم واستهواه وأنه المصفر الرجلين الذى يملك الارض وكان معه من الاتراك نحو أربعة آلاف مملوك دون من فى عسكره من الاتراك مع ما عنده من الامراء والاتراك وكان سيئ الصحبة لهم كثير القتل فيهم فعملوا على قتله وتحالفوا وقد كان على المسير الى مدينة السلام والقبض على الملك وتولية أصحابه مدن الاسلام باسرها فى شرق البلاد وغربها فى يد ولد العباس وغيرهم فاقطع الدور ببغداد لاهله ولم يشك أن الامر فى يده والملك له فخرج ذات يوم

امام معاليها وبحر علومها * وبدر دياجيها وصدر شعوبها
مصرفها كيف انثنت ومعيدها * ومبدئها حيث انتهت ومصيبها
ورافع أعلام البلاغة والذى * أتى ناثرا أو ناظما بعجيبها
وحامل رايات الرياسة رفعة * قضى المجد تخصيصا له بوجوبها
من العرب أوجبت لشبابها * معاليهم الفضل العظيم وشيبها
من ابناء أرباب الزمان الالى بها * سما فخرهم بين الورى بركوبها
خلال ابن عبد الله طود الحجا أبى * محمد بادحسنها من ضروبها
أجاد وأجدى فاسل عن ذكر طيئ * وحاتمها زهوا به وحبيبها
ففى كل ما يبدى محمد عبرة * محاسنها تنبى بسر غيوبها
تجيب القوافى ان دعا ببعيدها * وتنقاد طوعا ان دعا بقريبها
تخير أخلاق الكرام فلم يكن * تهوى ولها يرضى بغير رحيبها
تقدم فى دار الخلافة حاجبا * ليجدها فى سلمها وحروبها
وقام لها فى ساحة العز كاتبا * يحضرها أسرارها ومغيبها
فابدى من انواع الفضائل أوجها * تقر لها بالحسن عين لبيبها
هنيأ به عينا باسعد ماثل * لغرناطة قاض بصرف خطوبها
فللسعد تاثير يجىء اذا جرى * به قدر كالريح عند هبوبها
اموقد نار الفكر يقدح زندها * فيسبى به الالباب سحر نسيبها
حدانى اليك الحب قدما ومال بى * حديث لآمال خلت عن غريبها
فقدمتها نظما قوافى قصرت * لديك بذاوى فكرتى ورطيبها
وكنت كمن وافى لدى الدر بالحصى * يرفع منها ساهيا عن عيوبها
فصلها وخذ بالعفو فيها فلم أصل * لابلغ منها فاغتفر من ذنوبها انتهى

وصاحب هذا النظم من اهل باش وله اقتدار على النظم والنثر قال فى الاحاطة ما تحصله ومما وقع له أثناء مقامات وأغراض تشهد باقتداره مهملا

رعى الله عهدا حوى ما حوى * لاهل الوداد وأهل الهوى
أراهم أمورا حلا وردها * وأعطاهم السؤل كلا سوى
ولما حلا الوصل صالوا له * وراموه مأوى وماء روى
وأوردهم سر أسرارهم * ورد الى كل داء دوا
وما أمل طال الاوهى * وما أمل صال الاهوى

وقال معجمة

بث بينى بفنى فيض جفنى * شغفى شفنى فشبت بينى
فتنتنى بغنج ظبى تجنى * تبتغى نقض نيتى بتجنى
برة زينت قضيب تثنى * قضيت بغيتى ففزت بظن
خفت تشتيت بغيتى بخفيتى * تقية تثنى تغيب ظنى

الى الصيد وهو فرح مسرورا بما قدمتم له من الامر وتاتي له من الملك فدخل الحمام بعد رجوعه فى قصر أحمد بن عبد العزيز بن أبى دلف العجلى باصبهان فدخل اليه غلام من وجوه الاتراك وهو بجكم وكان من خواص الغلمان ومعه ثلاثة نفر من وجوه الاتراك أرى أحدهم تورون مدبر الدولة بعد بجكم فقتلوه فخرج بجكم ومن معه وقد كان أعلم الاتراك بذلك فكانوا له متاهبين فركبوا من فورهم وذلك فى سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة فى خلافة الراضى وتفرق الجيش عند وقوع الضجة ونهب بعض الناس بعضا وأخذت الخزائن وانتهبت الاموال ثم ان الجيل والديلم ثابوا واجتمعوا وتشاوروا وقالوا ان بقينا على ما نحن عليه من التحزب بغير رئيس تنقاد اليه هلكنا فاجتمع أمرهم على مبايعة وشمكير أخى مرداويج وتفسير مرداويج معلق الرجال وقد يكتب زادويج بالزاى فبايعوا وشمكير بعد أن تفرق كثير من الجيش ففرق فيهم كثيرا مما بقى من الاموال وأحسن اليهم وتوجه فيمن معه من العساكر الى الرى فنزلها وساير بجكم التركى فيمن معه من الاتراك وقد جمعوا أنفسهم الى أن يخلصوا من الديلم وسار الى البلاد

وقال

وقال كانه وكلة

الهوى شفني وأهمل جفني * أدمعا تنثني دما بتثني
أحور شب حربي لما * نقض العهد بين طول تجني
حاكم يتقي ولاذنب الا * شغف لم يخب لسعاه ظني
ماله ينقض العهود فيشجي * ولها ينثني مسهد جفن
لم يجز وصله فبت محالا * يقتضي حل بغيتي كل فن

وقال يرثي ديكا فقده ويصف الوجد الذي وجده ويبكي عدم ادانه الى غير ذلك من مستظرف شانه

أودى به الحتف لما جاءه الاجل * ديكا فلا عوض منه ولا بدل
قد كان لي امل في ان يعيش فلم * يثبت مع الحتف في بقياه لي أمل
فقدته فلعمري انها عظة * وبالمواعظ تذرى دمعها المقل
ما كان ابدع مرآه ومنظره * وصفا به كل حين يضرب المثل
كأن مطرف وشي فوق ملبسه * عليه من كل حسن باهر حلل
كأن اكليل كسرى فوق مفرقه * وتاجه فهو عالي الشكل محتفل
موقت لم يكن يعزى له خطا * فيما رتب من ورد ولا خلل
كأن زرقال فيما علمه * علم المواقيت مما رتب الاول
يرحل الليل يحيي بالصراخ فما * يصده كلل عنه ولا ملل
رأيته قد وهت منه القوى فهوى * للارض فعلا يريه الشارب الثمل
لو يفتدى بدولك الارض قل له * ذاك الفداء ولكن فاجأ الاجل
قالوا الدواء فلم يغن الدواء ولم * ينفعه من ذاك ما قالوا وما فعلوا
أملت فيه ثوابا أجر محتسب * ان نلت ذلك صح القول والعمل

انتهى

وأمره السلطان أبو عبد الله سادس الملوك النصريين وقد نظر الى شلير وقد تردى بالثلج وتعمم وكمل ما أراده من برنه وتمم أن ينظم في وصفه فقال بديها

وشيخ جليل القدر قد طال عمره * وما عنده علم بطول ولا قصر
عليه لباس أبيض باهر السنى * وليس بثوب أحكمته يد البشر
فطورا تراه كله كاسيا به * وكسوته فيها لاهل النهى عبر
وطورا تراه عاريا ليس يكتسي * بحر ولا برد من الشمس والقمر
وكم مرت الايام وهو كما ترى * على حاله لم يشك ضعفا ولا كبر
وذاك شلير شيخ غرناطة التي * لبهجتها في الارض ذكر قد اشتهر
بها ملك سامي المراقي أطاعه * كبار ملوك الارض في حالة الصغر
تولاه رب العرش منه بعصمة * تقيه مدى الايام من كل ما ضرر

وتوفي المذكور في بلده باش في طاعون عام خمسين وسبعمائة انتهى * وقال في الاحاطة في ترجمة صاحب القلم الاعلى بالمغرب أبي القاسم بن رضوان النجاري ما صورته ولما ولي الانشاء بباب ملك المغرب ظهر لسلطاننا بعض قصور في المراجعات فكتبت اليه

لدينور يجبي منها الخراج وأخذ كثيرا من الاموال وسار الى النهروان على أقل من يومين من مدينة السلام فراسل الراضي وكان الغالب على أمر الساحة وعدة من الغلمان الحجرية فأبوا أن يتركوه يصل الى الحضرة خوفا أن يغلب على الدولة فمضى بجكم لما منع من الحضرة الى واسط الى محمد بن رائق وكان مقيما بها فادناه وحياه وغلب عليه وقوي أمر بجكم واصطنع الرجال وضعف أمر ابن رائق عنه فكان من أمره ما قد اشتهر وقد قدمنا ذكره فيما سلف من كتبنا من اختفائه وخروج بجكم مع الراضي الى الموصل ومعهم علي بن خلف بن طباب الى ديار بني حمدان من بلاد الموصل وديار ربيعة وظهور محمد ابن رائق ببغداد ومعاونة الغوغاء له ومسيره الى دار السلطان وقتله لابن بدر الشرابي وخروجه من الحضرة ومن تبعه من الجبل والقرامطة مثل رائع وعمارة وغيرهما وكانوا أنصاره ومسيره الى ديار مضر ونزوله الرقة وما كان بينه وبين غيره ودخول يانس المؤنسي وحملته ومسيره الى جند قنسرين والعواصم واخراجه طريفا الشكري عنها وتوليه الثغر الشامي (وقد أتينا) في الكتاب الاوسط الذي كتابنا هذا تال له والاوسط لكتابنا أخبار الزمان ومن

أباقاسم لازلت للفضل قاسما * عيزان عدل ينصر الحق من نصر
مدادك وهو المسك طيبا ومنظرا * والاسواد القلب والفود والبصر
عهدناه في كل المعارف مطنبا * فما باله في حرمة الود مختصر
أطلك من ليل الوصال انتخبته * الينا وذاك الليل يوصف بالقصر
أردنابك العذر الذي أنت أهله * ومثلك لا يرمى بعي ولا حصر

فراجعني ولا أدري أهي من نظمه أم نظم غيره

حقيق أباعبد الاله بك الذي * لمذهبه في البر يتضح الاثر
وان الذي نبهت مني لم يكن * نوما وحاشى الود أن أغمط الاثر
ورب اختصار لم يشن نظم ناظم * ورب اقتصار لم يعب نثر من نثر
وعذرك عني من محاسنك التي * نظام حلاها في المدائح ما انتثر
ومن عرف الوصف المناسب منصفا * تاتى له نهج من العذر ما دثر

وهو عبد الله بن يوسف بن رضوان النجاري من أهل مالقة صاحب العلامة العلمية والقلم الاعلى بالمغرب قرأ على جماعة منهم بتونس قاضي الجماعة ابن عبد السلام قال في التاج فيه أيام لم يفهق حوضه ولا أزهر روضه مانصه أديب أحسن ماشاه ومنح قليبه فلا الدلو وبل الرشاء وعاني على حداثته الشعر والانشاء وله ببلده بيت معمور بفضل وأمانة ومجد وديانة ونشأ هذا الفاضل على أتم العفاف والصون فمال الى فساد بعد الكون وله خط بارع وفهم الى الغوامض مسارع وقد أثبت من كلامه ونفثات أقلامه كل محكم العقود زاربابنة العنقود فمن ذلك قوله

لعل كمان ترعيالي مسائلا * فبالله عوجا بالركاب وسائلا
(ومنها) لقد جار دهري اذ نأى بمطالبي * وظل بما أبغي من القرب ماطلا
عتبت عليه فاغتدى لي عاتبا * وقال أصخ لي لا تكن قط عاذلا
أتعتبني أن قد أفدتك موقفا * لدى أعظم الاملاك حلما ونائلا
مليك حباه الله بالخلق الرضا * وأعلى له في المكرمات المنازلا

وهي طويلة ومن نظم ابن رضوان المذكور

تبرأت من حولي اليك وأيقنت * برحماك آمالي أصح يقين
فلا أرهب الايام اذ كنت ملجأ * وحسبي يقيني باليقين يقيني

وكلفه أبو عنان وصف صيد من غدير فقال من أبيات

ولرب يوم في جنابك شهدته * والسرح ناشرة عليك ظلالها
حيث الغدير يريك من صفحاته * درعا تجيد به الرياح صقالها
والمنشآت به تدير حبائلا * للصيد في حبل تدير حبالها
وتريك اذ يلقى بها اليم الذي * أخفت جوانحه وغاب خلالها
فحسبتها زردا وأن عواليا * تركت به عند الطعان نصالها

وقال فيه أيضا

محمد بن طغج بالعريش من بلاد مصر وانكشافه ورجوعه الى دمشق وما كان من قتله لاخيه الاخشيد محمد بن طغج باللجون من بلاد الاردن وما كان قبل وقعة العريش بينه وبين عبد الله بن طغج ومن كان معه من القواد وانكشافهم عنه واستئمان من استأمن منهم اليه مثل محمد بن بكير الخاصة وبكير الخاقاني غلام خاقان المفلحي وغيرهما وغير ذلك من أخباره وأخبار غيره وذكرنا مقتل ظريف اليشكري في سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة على باب طرسوس وما كان من وقيعته مع الثملية وهم غلمان ثمل الخادم فاغنى ذلك عن اعادته مبسوطا في هذا الكتاب وانما تغلغل بنا الكلام في التصنيف فيما ذكرنا من أخبار الديلم والجيل وما كان من أمر اسفار بن شيرويه ومرداويج عند ذكرنا لآل أبي طالب وأمر الداعي الحسن بن القاسم الحسني صاحب طبرستان ومقتله وخبر الاطروش الحسن ابن علي بن الحسن (قال المسعودي) وقد أتينا على ذكر سائر الاحداث والكوائن في أيام من ذكرنا من الخلفاء والملوك في كتابنا أخبار الزمان

أبصرت في يوم الغدير عجائبا * جاءت بآيات العجائب مبصره
سمكا لدى شبك فقل ليل بدت * فيه الزواهر للنواظر نيره
فكأن ذا زرد تضاعف نسجه * وكأن تلك أسنة متكسره

ومما نظمه عن أمر الخلافة المستعينية ليكتب في طرة قبة رياض الغزلان من حضرته

هذا محل المنى بالامن معمور * من حله فهو بالآمال محبور
مأوى النعيم به ما شئت من ترف * تهوى محاسنه الولدان والحور
و يطلع الروض منه مصنعا عجبا * يضاحك النور من لألائه النور
و يسطع الزهر من أرجائه أرجا * ينافح الند نشر منه منشور
مغنى السرور سقاه الله ما جلت * غر الغمام وحلته الازاهير
انظر الى الروض تنظر كل معجبة * مما ارتضاه لرأي العين تحبير
مر النسيم به يبغي القرى فقرى * دراهم النور تبديد وتنثير
وهامت الشمس في حسن الظلال به * فقرّقت فوقها منه دنانير
والدوح ناعمة تهتز من طرب * همسا وصوت غناء الطير مجهور
كأنما الطير في أفنانها صدحت * بشكر مالكها والفضل مشكور
والنهر شق بساط الروض تحسبه * سيفا ولكنه في السلم مشهور
ينساب للجنة الخضراء أزرقه * كالأيم جدّ انسياب وهو مذعور
هذي مصانع مولانا التي جمعت * شمل السرور وأمر السعد مأمور
وهذه القبة الغراء ما نظرت * لشكلها العين الاعز تنظير
ولا يصوّرها في الفهم ذو فكر * الا ومنه لكل الحسن تصوير
ولا يرام بحصر وصف ما جمعت * من المحاسن الاصدّ تقصير
فيها المقاصير تحميها مهابته * لله ما جمعت تلك المقاصير
كأنها الافق تبدو النيرات به * و يستقيم بها في السعد تسيير
و ينشا المزن في ارجائه وله * من عنبر الشحر انشاء وتسخير
و يهمي القطر منه وهو منسكب * ماء من الورد يذكو منه تقطير
وتخفق الريح منه وهي ناسمة * مما أهب به مسك وكافور
و يشرق الصبح منه وهو من غرر * غر تلألأ منهن الاسارير
وتطلع الشمس فيه من بني ملك * تبسم الدهر منه وهو مسرور
لله منه امام عادل بهرت * أوصافه فهي للامداح تحبير
غيث السماح وليث الباس فالق به * محيي الهدى وهو للعادين تثبير
قل للمبارى وان لم تلقه أبدا * ورب فرض محال وهو تقدير
فخر الانام أحل الفخر منزله * فكل مدح على علياه مقصور
اذا أبو سالم مولى الملوك بدا * بدرا تضيء بمرآه الدياجير
فأي خطب يخاف الدهر آمله * وأي سؤل له في النيل تعذير

الاوسط وذكرنا في هذا الكتاب ما يكتفي به الناظر فيه وانتهى التصنيف فيه الى هذا الوقت وهو جمادى الاولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة ونحن بفسطاط مصر والغالب على أمر الدولة والحضرة أبو الحسن أحمد ابن بويه الديلمي المسمى معز الدولة وأخوه الحسن ابن بويه صاحب بلاد أصبهان وكور الاهواز وغيرها المسمى ركن الدولة وأخوهما الاكبر والرئيس المعظم على بن بويه الملقب بعميد الدولة المقيم بارض فارس والمدبر منهم لامر المطيع أحمد بن بويه معز الدولة وهو المحارب للبريديين بارض البصرة والمطيع معه على حسب ما ينمو الينا من أخبارهم ودللنا في كتابنا هذا بالقليل على الكثير وبالجزء القليل على الجليل الخطير وذكرنا في كل كتاب من هذه الكتب مالم نذكره في الآخر الا مالا يسع تركه ولم نجد بدا من ايراده لما دعت الحاجة الى وصفه وأتينا على أخبار أهل كل عصر وما حدث فيه من الاحداث وما كان فيه من الكوائن الى وقتنا هذا مع ما أسلفناه في هذا الكتاب من ذكر البر والبحر والعامر منهما والغامر والملوك وسيرها والامم وأخبارها وارجو أن يفسح الله تعالى لنا في البقاء ويمدنا بالعمر ويسعدنا بطول الايام فنعقب تأليف هذا

بشراك بشراك بالحل الخلافة ما * خولت من نيلها والصدّمقهور
لك الخلود بعز الملك في نعم * لا يعترى صفوها في الدهر تكدير
فانعم هنيئا بلذات مواصلة * لا تأتلين المسام وتكرير
لا زلت تلقى المنى في غبطة أبدا * ما دام لله تهليل وتكبير

وقال وكتب به على قلم فضة

اذا شهدت بالنصر خطية القنا * فلا كنت أم الفتح من غير ما شرط
كفى شاهدا منى بفضلك ناطقا * لسانى مهما أفصحت ألسن الخط

وقال وكتب به على سكين

أروح بأمر المستعين وأغتدى * لاذهاب طغيان اليراع الرواقم
ويفعل فى الاقلام حدى مصلحا * كفعل ظبا أسيافه فى الاقالم

قال ومما كتب به على قصيدة عيدية

لما رأيت هدايا العيد أعظمها * هدية الطيب فى حسن وتعجيب
ولم أجد فى ضروب العاطرات شذى * يحكى ثناءك فى نشر وفى طيب
أهديت نحوك منه كل ذى أرج * أنفاسه بين تشريق وتغريب
وفى القبول منال السعد فالق به * تلق الامانى بتأهيل وترحيب

وقال فى رجل يلقب بالبعير

وذى لقب عنت له عند صحبه * مآرب لم يسعد عليهن مسعد
دعوه بعيرا فاستشاط فقال مه * أبا أحمد وارتدّ عنهم يهدهد
فقلت له عد نحوهم لتعودمن * مرامك بالمطلوب توفى وتحمد
فقال وقد غص الفضاء بصوته * وقد هدرت منه الشقاشق تزبد
لئن عدت نادونى بعيرا كمثلها * فقلت له لا عش والعود أحمد

وقال

وبخيل لما دعوه لسكنى * منزل بالجنان ضن بذلك
قال لى مخزن بدارى فيه * كل مالى فلست للدار تارك
قلت وفقت للصواب فبادر * قول خل مرغب فى انتقالك
لا تعرج على الجنان بسكنى * ولتكن ساكنا بمخزن مالك

وقال رحمه الله تعالى فى مركب

يا رب منشأة عجبت لشأنها * وقد احتوت فى البحر أعجب شان
سكنت بجنبيها عصابة شدة * حلت محل الروح فى الجثمان
فتحركت بارادة مع أنها * فى جنسها ليست من الحيوان
وجرت كما قد شاءه سكانها * فعلمت أن السر فى السكان

وقال رحمه الله تعالى

وذى خدع دعوه لاشتغال * وما عرفوه غثا من سمين
فاظهر زهده وغنى بمال * وجيش الحرص منه فى كمين

الكتاب بكتاب آخر تضمنه فنونا من الاخبار وأنواعا من طرائف الآثار على غير نظم من التاليف ولا ترتيب من التصنيف على حسب ما يسنح من فوائد الاخبار ونترجمه بكتاب وصل المجالس بجوامع الاخبار ومختلط الآثار تاليا لما سلف من كتبنا ولاحقا بما تقدم من تصنيفنا وجميع ما أوردناه فى هذا الكتاب لا يسع ذوى الدراية جهله ولا يعذر فى تركه والتغافل عنه فمن عد أبواب كتابى هذا ولم يمعن النظر فى قراءة كل باب منه لم يبلغ حقيقة ما قلناه ولا عرف للعلم مقداره ولقد جمعنا فيه فى عدة السنين باجتهاد وتعب عظيم وجولان فى الاسفار وطواف فى البلدان من الشرق والغرب وكثير من الممالك غير مملكة الاسلام فمن قرأ كتابنا هذا فليتدبره بعين المحبة وليتفضل هو باصلاح ما أنكر منه مما غيره الناسخ وصحفه الكاتب وليرع لى نسبة العلم وحرمة الادب وموجبات الرواية بما تجشمت من التعب فيها فان منزلتى فيه وفى نظمه وتاليفه بمنزلة من وجد جوهرا منثورا ذا أنواع مختلفة وفنون متباينة فنظم منها سلكا واتخذ عقدا نفيسا ثمينا باقيا لطالبه وليعلم من نظر فيه أنى لم أنتصر فيه لمذهب ولا تحيزت الى قول ولا حكيت عن الناس الا مجالس أخبارهم ولم أعرض واقسم

وأقسم لافعلت يمين خب * فياعجبا لحلاف مهين
يقر بيسره ويمين حنث * ليأكل باليسار وباليمين

وهو الآن بحاله الموصوفة انتهى * وقال لسان الدين رحمه الله تعالى خاطبني أبو بكر عبد الرحمن بن عبد الملك مستدعيا الى اعذار ولده بقوله

أريد من سيدي الاعلى تكلفه * الى الوصول الى داري صباح غد
يزيدني شرفا منه ويصرلي * صناعة القاطع الحجام في ولدي

فاجبته

ياسيدي الاوحد الاسمى ومعتمدي * وذا الوسيلة من أهلي ومن بلدي
دعوت في يوم الاثنين الصباح ضحى * وفيه ماليس في سبت ولا أحد
يوم السلام على المولى وخدمته * فاصفح وان عثرت رجلي فخذ بيدي
والعذر أوضح من نار على علم * فعذ ان غبت عن لوم وعن فند
بقيت في ظل عيش لانفاد له * مصاحبا غير محصور الى أمد

انتهى

وأبو بكر المذكور أصله من باغة ونشأ بلوشة وهو محسوب من الغرناطيين * وفي التاج في حقه ماصورته مادح هاجي مداهن مداجي أخبث من نظر من طرف خفي وأعذر من تلبس بشعار وفي الى مكيدة مبثوثة الحبائل واغراء يقطع بين الشعوب والقبائل من شيوخ طريقة العمل المتقلبين من أحوالها بين الصحو والثمل المتعللين برسومها حين اختلاط المرعي بالهمل وهو ناظم أرجاز ومستعمل حقيقة ومجاز نظم مختصر السيرة في الالفاظ اليسيرة ونظم رجزا في الزجر والفال نبه به تلك الطريقة بعد الاغفال انتهى قال ومن شعره

ان الولاية رفعة لكنها * أبدا اذا حققتها تتنقل
فانظر فضائل من مضى من أهلها * تجد الفضائل كلها لاتعزل

توفي بالطاعون بغرناطة عام خمسين وسبعمائة انتهى *وقال في ترجمة أبي سلطان عبد العزيز بن علي الغرناطي بن يشت ماصورته ومما خاطبني به قوله

أطلت عتب زمان فل من أملي * وسمته الذم في حل ومرتحل
عاتبته ليلين العتب جانبه * فما تراجع عن مطل ولا بخل
فعدت أمنحه العتبى ليشفق لي * فقال لي ان سمعي عنك في شغل
فالعتب عندي كالعتبى فلست أرى * أصغي لمدحك اذ لم أصغ للعذل
فقلت للنفس كفي عن معاتبة * لاتنقضي وجواب صيغ من وجل
من يعتلق في الدنيا بابن الخطيب فقد * سما عن الذل واستولى على الجذل
قالت فهل لي بتقريبي لخدمته * فقد أجاب قريبا من حوائلك لي
فقال للناس كفوا عن محادثتي * فليس ينفعكم حولي ولاحيلي
قد اشتغلت عن الدنيا بآخرتي * وكان ما كان من أيامي الاول
وقد رميت بما أهملت من منح * فكيف يختلط المرعي بالهمل

فيه لغير ذلك فلنذكر الآن الباب الثاني من جامع التاريخ على حسب ما قدمنا الوعد بايراده في صدر هذا الكتاب

(ذكر جامع التاريخ الباقي من الهجرة الى هذا الوقت)

وهو جمادى الاولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة الذي فيه انتهينا من الفراغ من هذا الكتاب قد افردنا فيما سلف من هذا الكتاب بابا للتاريخ في تاريخ العالم والانبياء والملوك الى مولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومبعثه الى هجرته ثم ذكرنا هجرته الى وفاته وأيام الخلفاء والملوك الى هذا الوقت على حسب ماتوجبه الحساب ومافي كتب السير وأصحاب التواريخ ممن عني باخبار الخلفاء والملوك ولم نعرض فيما ذكرنا من ذلك لما في كتب الزيجات مما ذكره أصحاب النجوم على حسب ما توجبه تاريخهم فلنذكر في هذا الباب جميع ما أثبتوه في كتب زيجات النجوم من الهجرة الى هذا الوقت المؤرخ ليكون ذلك أكثر لفائدة الكتاب وأجمع لمعرفة تباين أصحاب التواريخ من الاخباريين والمنجمين وما اتفقوا عليه من ذلك فالذي وجدناه من ذلك في كتاب الزيجات

٥٩ ط ث أن الابتداء في يوم الجمعة مستهل المحرم سنة احدى للتروية وذلك يوم ستة عشر من تموز سنة

ولست أرجع للدنيا وزخرفها * من بعد شيب غدا فى الرأس مشتعل
ألست تبصر أطمارى وبعدى عن * نيل الحظوظ واغتذاى الى اجلى
فقلت ذلك قول صح مجمله * لكنّ من شانه التفصيل للجمل
ما أنت جالب أمر تستعين به * على المظالم فى حال ومقتبل
ولا تحلل حراما أو تحرّم ما * أحل ربك فى قول ولا عمل
ولا تبع آجل الدنيا بعاجلها * كما الولاة تبيع الجم بالوشل
وأين عنك الرشا ان ظلت تطلبها * هذا العمرى أمر غير منفعل
هل أنت تطلب الآن تعود الى * كتب المقام الرفيع القدر فى الدول
فالا وحدهذا الكون قاطبة * وأسمع الخلق من حاف ومنتعل
لم يلتفت نحو ما تبغيه من وطر * ولم يسد الذى قد بان من خلل
ان لم تقع نظرة منه عليك فما * يصفو لديك الذى أملت من أمل
فدونك السيد الاعلى فطلبكم * قد نيط منه بفضل غير منفصل
فقد خبرت بنى الدنيا باجمعهم * من عالم وحكيم عارف وولى
فما رأيت له فى الناس من شبه * قل النظير له عندى فلا تسل
وقد قصدتك يا أسمى الورى هِمما * وليس لى عن حمى علياك من حول
فاسوالك لما أملت من أمل * وليس لى عنك من زيغ ولا ميل
فانظر لحالى فقد رق الحسود لها * واحسم زمانة ما قد ساء من علل
ودم لنا ولدين الله ترفعه * ما أعقبت بكر الاصباح بالاصل
لازلت معتليا عن كل حادثة * كما علت ملة الاسلام فى الملل انتهى

والمذكور هو عبد العزيز بن على بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد العزيز بن يشت من غرناطة يكنى أبا سلطان قال فى الاحاطة فى حقه فاضل حى حسن الصورة بادى الحشمة فاضل البيت سريه كتب فى ديوان الاعمال فاتقن وترقى الى الكتابة السلطانية وسفر فى بعض الاغراض الغربية ولازام الشيخ أبا بكر عتيق بن مقدم من مشيخة الصوفية بالحضرة فظهرت عليه آثار ذلك فى نظمه ومقاصده فى نظمه ما أنشده ليلة الميلاد المعظم

القلب يعشق والمدامع تنطق * برح الخفاء فكل عضو منطق
ان كنت أكتم ما أكن من الجوى * فشحوب لونى فى الغرام مصدق
وتذللى عند اللقا وتملقى * ان المحب اذا دنا يتملق
فلكم سترت عن الوجود محبتى * والدمع يفضح ما يسر المنطق
ولكم أموه بالطلول وبالكنى * وأخوض بحر الكتم وهو الاليق
ظهر الحبيب فلست أبصر غيره * فبكل مرأى أرى متحقق
ما فى الوجود تكثر لمكثر * ان المكثر بالاباطل يعلق
فمتى نظرت فانت موضع نظرتى * ومتى نطقت فابغيرك أنطق
ياسائلى عن بعض كنه صفاته * كل اللسان وكل عنه المنطق

تسعمائة وثلاثة وثلاثين بعد أن مضى منها شهران وثمانية أيام فمكث بها حتى قبض صلى الله عليه وسلم تسع سنين وأحد عشر شهرا واثنين وعشرين يوما فذلك عشر سنين وشهران (أبو بكر الصديق) رضى الله عنه سنتين وثلاثة أشهر وثمانية أيام فذلك اثنتا عشرة سنة وخمسة أشهر وثمانية أيام (عمر بن الخطاب) رضى الله عنه عشر سنين وستة أشهر وتسعة عشر يوما فذلك اثنتان وعشرون سنة (عثمان بن عفان) رضى الله عنه احدى عشرة سنة وأحد عشر شهرا وتسعة عشر يوما (على بن ابى طالب) رضى الله عنه أربع سنين وسبعة أشهر فذلك تسع وثلاثون سنة وثمانية أشهر وسبعة عشر يوما والى بيعة معاوية بن أبى سفيان ستة أشهر وثلاثة أيام فذلك أربعون سنة وشهران وعشرون يوما (معاوية بن ابى سفيان) رضى الله عنه تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وخمسة وعشرين يوما فذلك تسع وخمسون سنة وستة أشهر وخمسة وعشرون يوما (يزيد بن معاوية) ثلاث سنين وثمانية أشهر (معاوية بن يزيد بن معاوية) ثلاثة أشهر واثنين

فاسلك مقامات الرجال محققا * ان المحقق شأوه لايلحق
مزق حجاب الوهم لاتحفل به * فالوهم يستر ما العقول تحقق
واخلص اذا شئت الوصول ولا تسل * فالعجز عن طلب المعارف موبق
ان التحلي في التخلي فاقتصد * ذاك الجناب فبابه لايغلق
واقتبس نار الكليم ولاتخف * والغ السوى ان كنت منها تفرق
ومتى تجلى فيك سر جماله * وصعقت خوفا فالمكلم يصعق
دع رتبة التقليد عنك ولاتته * تلق الذي قيدت وهو المطلق
واقطع حبال علائق وعوائق * ان العوائق بالمكاره تطرق
جرد حسام النفس عن جفن الهوى * ان العوائد بالتجرد تخرق
فاذا فهمت السر منك فلاتبح * فالسيف من بث الحقائق أصدق
بالذوق لابالعلم يدرك علمنا * سر بمكنون الكتاب مصدق
وبما أتى عن خير من وطئ الثرى * سر الوجود وغيثه المتدفق
خير الورى وابن الذبيحين الذي * أنواره في هديها تتألق
من أخبر الانباء قبل بعثه * ولنصه سر الكتاب يصدق
رفعت له الحجب التي لم ترتفع * الا اليه فكل ستر يخرق
ورقى مقاما قاصرت عن كنهه * رتب الوجود وكم عنه السبق
وطئ البساط تدللا وجرى الى * أمد تناهى ما اليه مسبق
انسان عين الكون مبلغ سره * قطب الكمال وغيثه المتدفق
سر الوجود ونكتة الدهر الذي * كل الوجود بجوده يتعلق
من جاء بالآيات يسطع نورها * والذكر فهو عن الهوى لاينطق
ياسيد الارسال غير مدافع * وأجلهم سبقا وان هم أعنقوا
بالفقر جئتك موئلي لابالغنى * فالذل والاذعان عندك ينفق
فاجبر كسير جرائر وجرائم * فالقلب من عظم الخطايا يقلق
أرجوك ياغوث الانام فلاتدع * باب الرضا دوني يسد ويغلق
حاشاك تطرد من أتاك مؤملا * فلانت لي مني أحن وأرفق
ومحبتي تقضي بانك منقذي * مما أخاف فما بغيرك أعلق
ياهل تساعدني الاماني والمنى * وأحل حيث سنى الرسالة يشرق
ان كان ثبطني القضا بقيده * فعنان عزمي نحو مجدك مطلق
ولئن نوى شخصي باقصى مغرب * فتشوقي مني اليك يشرق
فعليك يا أسنى الوجود تحية * من طيب نفحتها البسيطة تعبق
وعلى صحابتك الذين تانقوا * رتب الكمال ومثلهم يتأنق
وعلى الالى آووك في أوطانهم * نالوا بذلك رتبة لاتلحق
أعظم بانصار النبي وحزبه * وبمن أتى بعناية يتعلق

وعشرين يوما (مروان بن الحكم) أربعة أشهر (عبدالله بن الزبير) ثمان سنين وخمسة أشهر (عبدالملك بن مروان) حتى قتل ابن الزبير سنة وشهرين وستة أيام

(ذكر أيام بني مروان)

(عبد الملك بن مروان ابن الحكم) اثنتى عشرة سنة وأربعة اشهر وخمسة أيام (الوليد بن عبد الملك) تسع سنين وتسعة أشهر وعشرين يوما (سليمان بن عبد الملك) سنتين وسبعة أشهر وعشرين يوما (عمر ابن عبد العزيز بن مروان) سنتين وخمسة أشهر وثلاثة عشر يوما (يزيد بن عبد الملك) أربع سنين ويوما واحدا (هشام بن عبد الملك) تسع عشرة سنة وثمانية أشهر وسبعة أيام فذلك مائة سنة وأربعة وعشرون سنة وثلاثة أشهر وستة أيام (الوليد ابن يزيد بن عبد الملك) حتى قتل سنة وشهرين وعشرين يوما فذلك مائة سنة وخمسة وعشرون سنة وخمسة أشهر وسبعة وعشرون يوما وكانت الفتنة بعد مقتله بشهرين وخمسة وعشرين يوما فذلك مائة سنة وخمسة وعشرون سنة وثمانية أشهر واثنتان وعشرون يوما (يزيد بن الوليد بن عبد الملك) شهرين وسبعة أيام فذلك مائة وخمس وعشرون سنة وأحد عشر شهرا ويوم واحد (ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك)

حتى خلع شهرين وأحد

من مثل سعد أو كقيس بجله * عرف السيادة من حماهم ينشق
أكرم بهم وبمن أتى من سرهم * عز النظير فجدهم لا يلحق
من مثل نصر أو بنيه ملوكنا * كل الانام لعزهم يتملق
بمحمد نجل الخليفة يوسف * عز المدى فحماه ما ان يطرق
مولى الملوك وتاج مفرق عزهم * وأجل من تحدى اليه الاينق
ملك يرى أن التقدم مغنم * مهما تعرض موكب أو فيلق
تروي أحاديث الوغى عن بأسه * فالسيف يسند والعوالي تطلق
ملك البسالة والمكارم والنهى * فعداته منه تغص وتشرق
ملئت قلوب عداه منه مهابة * فمغرب من خوفه ومشرق
مولاي يا أسمى الملوك ومن غدت * عين الزمان الى سناه تحدق
لا تقطعوا عنى الذى عودتم * فالعبد من قطع العوائد يشفق
لا تحرموني مطالبي فعبتي * تقضى لسعيي أنه لا يخفق
فانعم بردى في بساطك كاتبا * وأعد لما قد كنت فهو الاليق
فاسلم أمير المسلمين لامة * أفواههم ما ان بغيرك تنطق
واهنأ بها من ليلة نبوية * جاءت بأكرم من به يتعلق
صلى عليه الله ما هبت صبا * واهتز غصن في الحديقة مورق

بن محمد) حتى قتل خمس سنين وشهرين فذلك مائة سنة واحدى وثلاثون سنة وثلاثة أشهر واثنا عشر يوما

(ذكر الخلفاء من بني هاشم)

(أبو العباس عبد الله بن محمد) أربع سنين وثمانية أشهر ويومين فذلك مائة وخمس وثلاثون سنة وأحد عشر شهرا وأربعة عشر يوما حتى انتهت البيعة الى المنصور أربعة عشر يوما فذلك مائة وخمس وثلاثون سنة وأحد عشر شهرا وثمانية وعشرون يوما (أبو جعفر عبد الله بن محمد المنصور) احدى وعشرين سنة وأحد عشر شهرا وستة أيام حتى انتهى الخبر الى المهدي اثنى عشر يوما فذلك مائة وسبع وخمسون سنة وأحد عشر شهرا وثمانية عشر يوما (المهدي) عشر سنين وشهرا واحدا وخمسة أيام فذلك مائة وثمان وستون سنة وثلاثة عشر يوما حتى انتهى الخبر الى الهادي ثمانية أيام فذلك مائة وثمان وستون سنة وشهر واحد ويوم واحد (الهادي) سنة وثلاثة أشهر فذلك

ثم قال وهو الآن بحالته الموصوفة انتهى *ومما خوطب به لسان الدين رحمه الله تعالى ما حكاه في الاحاطة في ترجمة القاضي أبي الحسن النباهي اذ قال ما نصه وخاطبني بسبتة وأنا يومئذ بسلا بقوله يا أيتها الآية البالغة وقد طمست الاعلام والغرة الواضحة وقد تنكرت الايام والبقية الصالحة وقد ذهب الكرام أبقاكم الله تعالى البقاء الجميل وأبلغكم غاية المراد ومنتهى التأميل أبى الله أن يتمكن المقام بالاندلس بعدكم وأن يكون سكون النفس الا عندكم سر من الكون غريب ومعنى في التشاكل عجيب أختصر لكم الكلام فأقول بعد التحية والسلام تفاقمت الحوادث وتعاظمت الخطوب الكوارث واستأسدت الذئاب الاخابث وتلاث الاكثر من ولد سام وحام ويافث فلم يبق الا كاشح باحث أو مكافح عابث ويا ليت شعري من الثالث فحينئذ وجهت وجهي للفاطر الباعث ونجوت بنفسي لكن منجى الحرث وقد عبرت البحر كسير الجناح دامي الجراح واني لارجو الله سبحانه بحسن نيتكم أن يكون الفرج قريبا والصنع عجيبا فعمادي أعان الله على القيام بواجبه هو الركن الذي ما زلت أميل على جوانبه ولا تزيدني الايام الا بصيرة في الاقرار بفضله والاعتداد به وقد وصلني خطاب سيدي الذي جلى الشكوك بنور يقينه ونصح النصح اللائق بعلمه ودينه وكأنه نظر الى الغيب من وراء حجاب فأشار بما أشار به على سارية عمر بن الخطاب ومن العجب أني عملت بمقتضى اشارته قبل بلوغ اضبارته فلله ما تضمنه مكتوبكم الكريم من الدر وحرره من الكلام الحر وايم الله لو تجسم لكان ملكا ولو تنسم لكان مسكا ولو قبس لكان شهابا ولو لبس لكان شبابا

فحل منى علم الله تعالى محل البرء من المريض وأعاد الانس بما تضمنه من التعريض والكلام المزرية بقطع الروض الاريض فقبلته عن راحتكم وتخيلت أنه مقيم بساحتكم ثم وردت معينه الاصفى وكلت من بركات مواعظه بالمكيال الاوفى وليست باول أياديكم واحالتكم على الله فهو الذى يجازيكم وبالجملة فالامور بيد الاقدار لا الى المراد والاختيار

وما كل ماترجوا النفوس بنافع * ولا كل ماتخشى النفوس بضرار

انتهى

قلت أين هذا الكتاب من الذى قدمناه عنه فى الباب الثانى حين أظلم بينه وبين لسان الدين الجو وعطفه الى مهاجاته ثانى وسفر فى أمره الى العدوة واجتهد فى ضرره بعد ان كان له به القدوة وقد قابله لسان الدين بما أذهب عن جفنه الوسن وألف فيه كما سبق خلع الرسن على انه عرف به فى الاحاطة أحسن تعريف وشرفه بحلاه أجل تشريف اذ قال ما ملخصه على بن عبد الله بن محمد بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن الحسن الجذامى المالقى أبو الحسن ويعرف بالنباهى هذا الفاضل قريع بيت مجادة وجلالة وبقية تعين وأصالة عف النشاة طاهر الثوب مؤثر للوقار والحشمة خاطب للشيخوخة مستعجل للشيبة ظاهر الحياء متحرك مع السكون بعيد الغور رهف الجوانب مع الانكماش مقتصد فى الملبس والآلة متظاهر بالسذاجة برىء من النوك والغفلة يقظ للمعاريض مهتد الى الملاحن طرف فى الجود حافظ مقيد طلعة اخبارى قائم على تاريخ بلده شرع فى تكميل ماصنف فيه ملازم للتقييد والنظر يف متفرع عن الاجادات والفوائد استفدت منه فى هذا الغرض وغيره كثيرا حسن الخط ناظم ناثر نثره يشف على نظمه ذاكر للكثير استظهر محفوظات منها النوادر للقالى وناهيك به محفوظا مهجورا وسلكا غفلا فاطنك بسواه نشا بالده حر الطعمة فاضل الابوة وقرأ به ثم ولى القضاء بملتماس ثم ببلش وعملها فسيح الخطة مطلق الجراية بعيد المدى فى باب النزاهة ماضيا غير هيوب حتى أربى فى الزمن القريب على المحتنكين وغبر فى وجوه أهل الدربة توجت أحكامه مستندة الى الفتيا جارية على المسائل المشهورة ثم نقل منها الى النظر فى أمور الحل والعقد بالقلعة مضافة اليه الخطط النبيهة وصدر له منشور من املائى الى أن قال فى ترجمة نظمه قال نظمت سمح الله تعالى لى قطعتين موطئا فيهما على البيتين المشهورين احداهما

بنفسى من غزلان جزوى غزالة * جال محياها عن السلك زاجر
تصيد بلحظ الطرف من رام صيدها * ولو انه النسر الذى هو طائر
معطرة الانفاس رائقة الحلى * هواها بقلبى فى المهامه سائر
اذا رمت عنها سلوة قال شافع * من الحب ميعاد السلو المقابر

والاخرى

وقائلة لما رأت شيب لمتى * ائن ملت عن سلمى فعذرك ظاهر
زمان التصابى قد مضى لسبيله * وهل لك بعد الشيب فى الحب عاذر
فقلت لها كلا وان تلف الفتى * فما لهواها عند مثلى آخر
سيبقى لها فى مضمر القلب والحشى * سريرة ود يوم تبلى السرائر

يوما فذلك ثلثمائة واثنتان وتسعون سنة وخمسة أشهر وخمسة عشر يوما (الامين) حتى خلع وحبس ثلاث سنين وخمسة وعشرين يوما فذلك مائة وخمس وتسعون سنة وستة أشهر واثنا عشر يوما وأخرج وبويع له وحارب وحوصر حتى قتل سنة وستة أشهر وثلاثة عشر يوما (المأمون) عشرين سنة وخمسة أشهر واثنين وعشرين يوما فذلك مائتان وسبع عشرة سنة وستة أشهر وتسعة عشر يوما (المعتصم) ثمان سنين وثمانية أشهر ويوما فذلك مائتان وستة وعشرون سنة وشهران وتسعة عشر يوما (الواثق) خمس سنين وتسعة أشهر وخمسة أيام فذلك مائتان واحدى وثلاثون سنة وأحد عشر شهرا وأربعة وعشرون يوما (المتوكل) أربع عشرة سنة وتسعة أشهر وسبعة أيام فذلك مائتان وست وأربعون سنة وتسعة أشهر ويوم واحد (المنتصر) ستة أشهر فذلك مائتان وسبعة وأربعون سنة وثلاثة أشهر ويوم واحد الى أن انحدر المستعين الى مدينة السلام سنتين وتسعة أشهر وثلاثة أيام فذلك مائتان وخمسون سنة وأربعة عشر يوما والى أن خطب للمعتز بمدينة السلام احد عشر شهرا وعشرين يوما فذلك مائتان واحدى وخمسون سنة وأربعة أيام

وكتب على مثال النعل الكريم وأهداه لمزمع سفر

فديتك لا يهدى اليك أجل من * حديث نبي الله خاتم رسله
ومن ذلك الباب المثال الذى أتى * به الاثر المأثور فى شان نعله
ومن فضله مهما يكن عند حامل * له نال ما يهواه ساعة حمله
ولاسيما ان كان ذا سفر به * فقد ظفرت يمناه بالامن كله
فدونك منه أيها العلم الرضا * مثالا كريما لا نظير لمثله

وقال مراجعا عن أبيات يظهر منها غرضها

اذا كنت بالقصد الصحيح لنا تهوى * فسلم لنا فى حكمنا ودع الشكوى
ولا تتبع أهواء نفسك والتفت * لنا حيث كنا فى الرخاء وفى اللأوا
وكم من محب فى رضانا وحبنا * محا كل ما يبدو سوانا له محوا
رآنا عيانا عين معنى وجوده * فعاج عن الشكوى وفوض فى البلوى
وقال تحكم كيف شئت بما ترى * رضيت بما تقضى وهمت بما تهوى
فحل لدينا بالخلوص وبالرضا * محل اختصاص نال منه المنى صفوا
فان كنت ترجو فى الصبابة والهوى * لحاقا بهم فاسلك طريقهم الاضوا
ومت فى سبيل الحب ان كنت مخلصا * لنا فى الهوى تحيا حياة أولى التقوى
هنالك تؤتى ما تريد وتقتضى * ديونك منا دون مطل ولا دعوى
وتشرب من عين اليقين وتغتذى * بخمر الصفا الصرف الزلال لكى تروى

وقال لا تلجأن لمخلوق من الناس * من يافث كان أصلا أو من الياس
وثق بربك لا تيأس تجد عجبا * فلا أضر على عبد من الياس

وقال فديتك لا تصحب لئيما ولا تكن * معينا له ان اللئيم خؤون
فلا عهد يرعى لا ولا نعمة يرى * ولا سر خل عن عداه يصون

وقال يخاطب أبا القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان

لك الله قلبي فى هواك رهين * وروحى عنى ان رحلت ظعين
ملكت بحكم الفضل كلى خالصا * وملكك للحر الصريح يزين
فهب لى من نطقى بمقدار ما به * يترجم سر فى الفؤاد دفين
فقد شملتنا من رضاك ملابس * وسح لدينا من نداك معين
أعنت على الدهر الغشوم ولم تزل * بديباك فى الامر المهم تعين
وقصر من لم تعلم النفس انه * خذول اذا خان الزمان يخون
وانى بحمد الله عنه لفى غنى * وحسبى صبر عن سواك يصون
أبى لى مجد عن كرام ورثته * وقوفا بباب للكريم يهين
ونفس سمت فوق السماكين همة * وما كل نفس بالهوان تدين
ولما رأت عينى محياك اقسمت * بانك للفعل الجميل ضمين
وعاد لها الانس الذى كان قد مضى * برية اذ شرخ الشباب خدين

وستة أشهر وثلاثة وعشرين يوما فذلك مائتان وأربعة وخمسون سنة والى أن خلع ثلاث سنين وسبعة وعشرون يوما والى بيعة المهتدي يومين فذلك مائتان وأربع وخمسون سنة وسبعة أشهر (المهتدى) احد عشر شهرا وثمانية وعشرين يوما فذلك مائتان وخمس وخمسون سنة وستة أشهر وسبعة عشر يوما (المعتمد) ثلاثا وعشرين سنة وثلاثة أيام فذلك مائتان وثمان وثمانون سنة وثلاثة أشهر واثنان وعشرون يوما (المقتدر) حتى خلع احدى وعشرين سنة وشهرين وخمسة أيام فذلك ثلثمائة سنة وست عشرة سنة وتسعة عشر يوما (المعتز) حتى خلع يومين فذلك ثلثمائة سنة وست عشرة سنة واحدى وعشرون يوما (المقتدر) حتى قتل ثلاث سنين وتسعة أشهر وثمانية أيام فذلك ثلثمائة وتسع عشرة سنة وعشرون يوما (القاهر) حتى خلع سنة وستة أشهر واثنى عشر يوما فذلك ثلثمائة واحدى وعشرون سنة وأربعة أشهر وسبعة أيام (الراضى) ست سنين وأحد عشر شهرا وثمانية أيام فذلك ثلثمائة وثمانية وعشرون سنة وسبعة عشر يوما (المتقى) ثلاث سنين وتسعة أشهر وستة عشر يوما فذلك ثلثمائة واثنتان وثلاثون سنة وشهر واحد

بحيث

بحيث نشأنا لابس ابن جلى التقى * وكل بكل عند ذاك ضنين
أما وسنى تلك الليالى وطيبها * ووجد غرامى والحديث شجون
وفتيان صدق كالشموس وكالحيا * حديثهم ما شئت عنه يكون
لئن نزحت تلك الديار فوجدنا * عليها له بين الضلوع أنين
اذا مرحين زاده الشوق جدة * وليس يعاب للربوع حنين
وأنى بسلاها وللبين لذعة * أقل اذاها للسليم جنون
لقد عبثت أيدى الزمان بجمعنا * وحان افتراق لم يخله يحين
وبعد التقينا فى محل تغرب * وكل الذى دون الفراق يهون
فقابلت بالفضل الذى أنت أهله * ومالك فى حسن الصنيع قرين
وغبت وما غابت مكارم لك التى * على شكرها الرب العظيم يعين
عينا لقد أوليتنا منك نعمة * تلذ بها عند العيان عيون
ويقصر عنها الوصف اذ هى كلها * لها وجههم بالحياء مصون
ولما قدمت الآن زاد سرورنا * ومقدمك الاسنى بذاك قمين
لأنك أنت الروح منا وكلنا * جسوم فعند البعد كيف نكون
ولو كان قدر الحب فيك لقاؤنا * اليك لكنا باللزوم ندين
ولكن قصدنا راحة الجد جهدنا * فراحته شمل الجميع تصون
هنيئا هنيئا أيها العلم الرضا * بما لك فى طى القلوب كمين
لك الحسن والاحسان والعلم والتقى * فحسبك دنيا للمحب ودين
وكم لك فى باب الخلافة من يد * أقرت لها بالصدق منك يمين
وقامت عليها للملوك أدلة * فانت لديها ما حييت مكين
فلا وجه الا وهو بالبشر مشرق * ولا نطق الا عن علاك مبين
بقيت لربع الفضل تحمى ذماره * صحيحا كما قد صح منك يقين
ودونك يا قطب المعالى بنية * من الفكر عن حال المحب تبين
أتتك ابن رضوان تمت بودها * ومالسوى الاغضاء منك ركون
فخل انتقاد البحر عن هفواتها * ومهد لها بالسمع حيث تكون
وخذها على علاتها فحديثها * حديث غريب قد عراه سكون

وهو بحاله الموصوفة انتهى باختصار ولما كتب لسان الدين الى شيخه الرئيس الكاتب أبى الحسن الجياب قصيدة أولها

أمستخرجا كنز العقيق بآماقى * أناشدك الرحمن فى الرمق الباقى
فقد ضعفت عن حمل صبرى طاقتى * عليك وضاقت عن زفيرى أطواقى

وهى طويلة أجابه عنها بقوله

سقانى فأهلا بالمدامة والساقى * سلافا بها قام السرور على ساق
ولا نقل الا من بدائع حكمة * ولا كأس الا من سطور وأوراق

سنة وسبعة أشهر واثنا عشر يوما (المطيع لله) الى غرة جمادى الاولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة سنة وثمانية أشهر وخمسة عشر يوما فذلك ثلثمائة وخمسة وثلاثون سنة وأربعة أشهر الاثلاث ليال (قال المسعودى) وسنو الهجرة قريبة وبين هذا التاريخ وتاريخ أصحاب الاخبار والسير تفاوت من زيادات الشهور والايام ومعوّلنا فيما ذكرنا من التاريخ من الهجرة الى هذا الوقت على ما وجدنا فى كتب الزيجات وكان أهل هذه الصناعة يراعون هذه الاوقات ويحيطون علمها على التحديد والذى نقلناه من التاريخ فمن زيج أبى عبد الله محمد بن جابر البتانى وغيره من الزيجات الى هذا الوقت فاما ما قدمنا ذكره فى هذا الوقت من الهجرة الى هذا الوقت فانا نعيد ذكره مفصلا فى هذا الكتاب لكى يقرب تناوله على الطالب له ولا يبعد عما ذكرناه من الزيجات (فالذى صح) من تاريخ أصحاب السير والاخبار من أهل النقل والآثار أنه بعث صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة فاقام بمكة ثلاث عشرة سنة وهاجر عشرا وقبض وهو ابن ثلاث وستين سنة صلى الله عليه وسلم (أبو بكر) سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام

فقد أنشأت لى نشوة بعد نشوة * بتدبير روحانية ذات أذواق
فمن خطها الفانى متاع لناظرى * وشمى وحظ الروح من خطها الباقى
أعادت شبابى بعد سبعين حجة * فاثوابه قد جددت بعد اخلاق
وما كنت يوما للمدامة صاحبا * ولا قبلتها قط نشأة أخلاقى
ولا خالطت لحمى ولا مازجت دمى * كفى شرها مولاى فالفضل للواقى
وهذا على عهد الشباب فكيف لى * بها بعد ماء للشبيبة مهراق
تبصر فكم القهوتين تخالفا * فكم بين اثبات لعقلى وازهاق
وشتان ما بين المدامة فاعتبر * فكم بين انجاح لسعى واخفاق
فتلك تهادى بين ظلم وظلمة * وهذى تهادى بين عدل واشراق
أيا علم الاحسان غير منازع * شهادة اجماع عليها واصفاق
فضائلك الحسنى على تواترت * بمنهمر من سحب فكرك غيداق
خزائن آداب بعثت بدرها * الى ولم تمسك بخشية انفاق
ولا مثل بكر حرة عربية * زكية أخلاق كريمة اعراق
فأقسم ما البيض الحسان تبرجت * تناجيك سرا بين وحى واطراق
بدور بدت من أفق أطواقها على * رياض شدت فى قطبها ذات أطواق
فناظر منها الاقحوان ثغورها * وقابل منها نرجس سحر أحداق
وناسب منها الورد خدا موردا * سقاه الشباب النضر بورك من ساق
والبسن من صنعاء وشيا منمنما * وحلين من درنفائس أعلاق
بأحلى لأفواه وأبهى لأعين * وأحلى لألباب وأشهى لعشاق
رأيت بها شهب السماء تنزلت * الى تحيينى تحية مشتاق
ألا ان هذا السحر لا سحر بابل * فقد سحرت قلبى المعنى فمن راق
لقد أعجزت شكرى فضائل ماجد * أبر بأحباب وأوفى بميثاق
تقاضى ديون الشعر منى منجما * رويدك لا تعجل على بارهاق
فلو نشر الصادان من ملحديهما * لانصاف هذا الدين لاذا باملاق
تخذ بزمام الرفق شيخا تقاصرت * خطاه وعاهده بعهود اشفاق
فلا زلت تحيى للمكارم رسمها * وقدرك فى أهل العلا والنهى راق

قال وكتبت اليه فى غرض العتاب قصيدة أولها

أدرنا وضوء الافق قد صدع الفضا * مدامة عتب بيننا نقلها الرضا
فلله عينا من رآنا ولعيا * جنى باك فاق البشاشة أومضا
نفر الى عدل الزمان الذى أتى * ونبرأ من جور الزمان الذى مضى
ونأسو كلوم اللفظ باللفظ عاجلا * كذا قدح الصهباء داوى وأمرضا

فراجعنى عنها بهذه القصيدة

ألا حبذا ذاك العتاب الذى مضى * وان جره واش بزور وعضضا

ابن ابى طالب) اربع سنين (الحسن بن على) ستة اشهر وعشرة ايام (معاوية بن أبى سفيان) سبع عشرة سنة وثمانية أشهر (يزيد بن معاوية) ثلاث سنين وثمانية أشهر الاثمان ليال (معاوية ابن يزيد) شهرا واحدا واحد عشر يوما (مروان بن الحكم) ثمانية أشهر وخمسة أيام (عبد الملك بن مروان) احدى وعشرين سنة وشهرا ونصفا (الوليد بن عبد الملك) سبع سنين وثمانية أشهر ويومين (سليمان بن عبد الملك) سنتين وسبعة أشهر وسبعة وعشرين يوما (عمر بن عبد العزيز) سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام (يزيد ابن عبد الملك) أربع سنين وشهرا ويومين (هشام ابن عبد الملك) تسع عشرة سنة وتسعة أشهر واحدى عشرة ليلة (الوليد بن يزيد) سنة وشهرين واثنين وعشرين يوما (مروان ابن محمد) خمس سنين وعشرة أيام (عبد الله بن محمد السفاح) أربع سنين وتسعة أشهر (المنصور) اثنتين وعشرين سنة الا تسع ليال (المهدى) عشر سنين وشهرا وخمسة عشر يوما (الهادى) سنة وستة أشهر

أغارت له خيل فاذعرت حي * ولكنها كانت طلائع للرضا
تألق منه بارق صاب مزنه * على معهد الحب الصميم فروّضا
فلولا نورا للصداقة حافظا * وان علن سيفا للقطيعة منتضى
فان سوّد الشيطان منه صحيفة * أتى ملك الرحمى عليها فبيضا
وما كان حب أحكم الصدق عهده * ليرمى بوسواس الوشاة فيرفضا
أعيذ ودادا زاكى القصد وافيا * تخلص من أدرانه فتمحضا
ونية صدق فى رضا الله أخلصت * سناها بآفاق البسيطة قد أضا
من الآفك الساعى ليخفى نورها * أيخفى شعاع الشمس قد ملأ الفضا
وكيف يحل المبطلون بافكهم * معاقد حب أحكمتها يد القضا
تعرض يبغى هدمها فكأنه * لتشييد مبناها الوثيق تعرضا
وحرض فى تغييره فكأنما * على البر والتسكين والحب حرضا
وأوقد نارا فهو يصلى جحيمها * يقلب منها القلب فى موقد الغضى
أيا واحدى المعدود بالالف وحده * ويا ولدى البر الزكى ان ارتضى
بعثت من الدر النفيس قلائدا * على ما ارتضى حكم المحبة واقتضى
نتيجة آداب وطبع مهذب * أطال مداه فى البيان وأعرضا
ولا مثل بكر باكرتنى آنفا * كزورة خل بعدما كان أعرضا
هى الروضة الغناء أينع زهرها * تناظر حسنا مذهبا ومفضضا
أو الغادة الحسناء راقت فينقضى * مدى العمر فى وصفى لها وهو ما انقضى
تطابق منها شعرها وجبينها * فذا الليل مسودا وذا الصبح أبيضا
أو الشهب منها زينة وهداية * ورجم لشيطان اذا هو قيضا
أتت ببديع الشعر طورا مصرحا * بآياتك الحسنى وطورا معرضا
ومهدت الاعذار دون جناية * ولو أنك الجانى لكنت المغمضا
لك الله من برّ وفى وصاحب * محضت له صدق الضمير فامحضا
اسائلك فى شكرى مفيض تفضلا * فيا حسن ما أهدى وأسدى وأقرضا
وقلبك فاضت فيه أنوار خلتى * فالقى بدى تسليمه لى مفوّضا
وقصدك مشكور وعهدك ثابت * وفضلك منشور وفعلك مرتضى
فهل مع هذا ريبة فى مودة * بحال وان رابت فها أنا معرضا
فثق بولائى اننى لك مخلص * هوى ثابتا يبقى وليس له انقضا
عليك سلام الله ما هبت الصبا * وما بارق جنح الدجنة أومضا

(وقال لسان الدين) من غريب ما خاطبنى به قوله

أقسم بالقيسين والنابغتين * وشاعرى طيئ المولدين
وبابن حجر وزهير وابنه * والاعشيين بعد ثم الاعميين
ثم بعشاق الثريا والرقيات وعزة ومى وبثين

(الرشيد) ثلاثة وعشرين سنة وستة أشهر (الامين) أربع سنين وستة أشهر (المأمون) احدى وعشرين سنة سواء (المعتصم) ثمان سنين وثمانية أشهر (الواثق) خمس سنين وتسعة أشهر وخمسة ايام (المتوكل) أربع عشرة سنة وتسعة أشهر وتسع ليال (المنتصر) ستة أشهر (المستعين) ثلاث سنين وثمانية أشهر (المعتز) أربع سنين وستة أشهر (المهتدى) أحد عشر شهرا (المعتمد) ثلاثا وعشرين سنة (المعتضد) تسع سنين وتسعة أشهر ويومين (المكتفى) ست سنين وسبعة أشهر ويومين (المقتدر) أربعا وعشرين سنة واحد عشر شهرا وستة عشر يوما (القاهر) سنة وستة اشهر وستة ايام (الراضى) ست سنين وأحد عشر شهرا وثمانية أيام (المتقى) ثلاث سنين وتسعة أشهر وستة عشر يوما (المستكفى) سنة وثلاثة أشهر (المطيع) الى غرة جمادى الاولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة سنة وثمانية أشهر وخمسة عشر يوما (ونحن) نؤمل من الله تعالى البقاء والزيادة فى العمر لنزيد فى هذا الكتاب ما يحدث فى أيامهم وما يكون فى المستقبل من دولتهم فهذا جمل التاريخ من الهجرة الى هذا الوقت وهو جمادى الاولى سنة ست

وبابي الشيص ودعبل ومن * كشاعري خزاعة الحضرميين
وولد المعتز والرضي والمعري ثم حسن وابن الحسين
واختم بقس وبسحبان وان * أوجب حق أن يكونا أولين
وحلبتي نثرهم ونظمهم * في مشرقي أقطارهم والمغربين
ان الخطيب بن الخطيب سابق * بنثره ونظمه للحلبتين
راقتني الصحيفة الحسنا التي * شاهدت فيها المكرمات رأي عين
تجمع من براعة المعنى الى * براعة الالفاظ كلتا الحسنيين
اشهد أنك الذي سبقت في * طريقي الآداب أقصى الامدين
شعر حوى جزالة ورقة * تصاغ منه حلة للشعريين
رسائل أزهارها منثورة * سرور قلب ومتاع ناظرين
يا أحوذيا نسيج وحده * شهادة تنزهت عن قول مين
بقيت في مواهب الله التي * تقر عينيك وتملأ اليدين

انتهى

(وحكى لسان الدين) أن سعيد بن محمد الغرناطي الغساني استعار منه كتابا فارسله اليه وعلى ظهره هذه الابيات

هذا كتاب كله مبهم * أغمض معناه افهاما
أعجمه منشئه أولا * وزاده الناسخ اعجاما
أسقط من اجماله جملة * وزاد في التفصيل أقساما
وغير الالفاظ عن وضعها * وصير الايجاد اعداما
فليس في اصلاحه حيلة * ترجى ولو قوبل أعواما

ولم أقف على جواب لسان الدين له عنها والله تعالى أعلم * وولد سعيد المذكور سنة ٦٩٩
(ومما خوطب به لسان الدين) لما تقلد الكتابة العليا قول أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن البناء الوادي آشي رحمه الله تعالى

هو العلاء جرى باليمن طائره * فكان منك على الآمال ناصره
ولو جرى بك ممتدا الى أمد * لاعجز الشمس ما آبت عساكره
لقد حباه مليك العز خالقه * بفاضل منك لا تحصى مآثره
فليزه فخرا فما خلق يعارضه * ولا علاء مدى الدنيا يفاخره
لله أوصافك الحسنى لقد عجزت * من كل ذي لسن عنها خواطره
هيهات ليس عجيبا عجز ذي لسن * عن وصف بحر رمى بالدر زاخره
هل أنت الا الخطيب بن الخطيب ومن * زانت حلى الدين والدنيا مفاخره
فان يقصر عن الاوصاف ذو أدب * فلابد امنك في التقصير عاذره
يا ابن الكرام الالى ما شب طفلهم * الا وللمجد قد شدت مآزره
مهلا عليك فما العلياء قافية * ولا العلاء بسجع أنت ناثره
ولا المكارم طرسا أنت راقمه * ولا المناقب طبا أنت ماهره

وثلاثين وثلثمائة وقد أوردنا في الكتاب ما ذكر الفريقان جميعا لكي لا يبعد فهم ذلك على مريده والطالب له ان شاء الله تعالى والتاريخ من المولد الى هذا الوقت معلوم ومن المبعث الى الوفاة معروف غير مجهول ولا يتعذر تناوله على ذي الدراية من هذا الكتاب الآن معول الناس أن بدء التاريخ من الهجرة على حسب ما بيناه فيما سلف في كتبنا من مشاورة عمر الناس في التاريخ عند حدوث بدئه وما قاله الناس من كل فريق منهم وأخذه بقول علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أن يؤرخ بهجرة النبي صلى الله عليه وسلم وتركه أرض الشرك وأن ذلك كان من عمر رضي الله عنه في سنة سبع عشرة أو ثماني عشرة على حسب التنازع في ذلك والله أعلم

(ذكر تسمية من حج بالناس أول الاسلام الى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة)

(قال المسعودي) فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة في شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة ورجع الى المدينة واستعمل عتاب ابن أسيد بن أبي العيص بن أمية على مكة فحج بالناس سنة ثمان وقيل بل حج الناس أوزاعا ليس عليهم أحد ثم كانت سنة تسع فحج بالناس أبو بكر

ماذا

ماذا على سابق يسري الى سنن * ان كان من رفقه خل يسايره
سر حيث شئت من العلياء متئدا * فما أمامك سباق تحاذره
أنت الامام لاهل الفخر ان فخروا * أنت الجواد الذي عزت أوافره
ما بعد ما حزته من عزة وعلا * شأو يطارد فيه المجد كابره
نادت بك الدولة النصرية محتدها * نداء مستنجد أزرا يوازره
حليتها برداء الصبر مرتديا * وصح عنك بفخر السعد سافره
فالملك يرفل في أبراده مرحا * قد عمت الارض اشراقا بشائره
فاهنأ بها نعمة ما ان يقوم لها * من اللسان ببعض الحق شاكره
وليهنها أنها ألقت مقالدها * الى زكي زكت منه عناصره
فانه بدر تم في مطالعها * قد طبق الارض بالانوار نائره

(وقال لسان الدين) وأهدى الى قبا في خشب جوز وكتب معها

ها كها ضمرا مطايا حسانا * نشأت في الرياض قضبا لدانا
وثوت بين روضة وغدير * مرضعات من النمير لبانا
لابسات من الظلال برودا * دونها العضب رقة وليانا
ثم لما أراد اكرامها الله وسنى لها المنى والاماما
قصدت بابك العلي ابتدارا * ورجت في قبولك الاحسانا

قال فأجبته

قد قبلنا جيادك الدهم لما * أن بلونا منها العتاق الحسانا
أقبلت خلف كل حبر تبيع * خلعت وصفها عليه عيانا
فعنينا برعيها وفسحنا * في ربوع العلا لها ميدانا
وأردنا امتطاءها فاتخذنا * من شراك الاديم فيها عنانا
قدمت قبلها كتيبة سحر * من كتاب سبت به الاذهانا
مثل ما تجنب الجيوش المذاكي * عدة للقاء مهما كانا
لم يرق مقلتي ولا راق قلبي * كعلاها براعة وبيانا
من يكن مهديا فمثلك يهدي * لم أجد للثناء عليك لسانا

(وقال لسان الدين) ومن أبدع ما هز به الى اقامة سوقه ورعى حقوقه قوله

يا معدن الفضل موروثا ومكتسبا * وكل مجد الى علياته انتسبا
بباب مجدكم الاسمى أخو أدب * مستصرخ بكم يستنجد الادبا
ذل الزمان له طورا فبلغه * من بعض آماله فوق الذي طلبا
والآن أركبه من كل نائبة * صعب الاعنة لا يألو به نصبا
فحملته دواعي حبكم وكفى * بذاك شافع صدق يبلغ الاربا
فهل سرى نسمة من جاهكم فبها * خليفة الله فينا يمطر الذهبا

(وقال لسان الدين) في الاكابل في حق المذكور ما نصه فاضل بروقك وقاره وصقر

الصديق رضي الله عنه حين خرج من المدينة مع ثلثمائة وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين بدنة ثم أرسل على اثره علي ابن أبي طالب رضي الله عنه فادركه بالعرج ومعه سورة براءة فاذن بها يوم النحر عند العقبة فاقام أبو بكر الحج وخطب أبو بكر بمكة قبل التروية بيوم ويوم عرفة بعرفة ويوم النحر بمنى ثم كانت سنة عشر فحج بالناس سيد المرسلين رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كانت سنة احدى عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم كانت سنة اثنتي عشرة فحج بالناس أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثم كانت سنة ثلاث عشرة فحج بالناس عبد الرحمن بن عوف ثم كانت سنة أربع عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم كانت سنة خمس عشرة فحج بالناس ٣ ثم كانت سنة ست عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم كانت سنة سبع عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم كانت سنة ثمان عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم كانت سنة تسع عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم كانت سنة عشرين فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم كانت سنة احدى وعشرين فحج بالناس

بعد مطاره قدم من بلده يروم اللحاق بكتاب الانشاء وتوسل بنظم أنيق ونسب في نسب الاجادة عريق تعرب براعته عن لسان ذليق وطبع طليق وذكاء بالاثرة خليق وبينما هو يهم في ذلك الغرض ويبدي ويعيد ويبدي وقد كادت وسائله أن تنجح وليل رجائه أن يصبح اغتاله الحمام وخانته الايام والبقاء لله تعالى والدوام توفي بالطاعون في عام واحد وخمسين وسبعمائة وسنه دون الثلاثين رحمه الله تعالى انتهى

والمخوطب لسان الدين من سلطان تونس بما لم يحضرني الآن أجاب عنه بما نصه المقام الامامي الابراهيمي المولوي المستنصري الحفصي الذي كرم فرعا وأصلا وشرف جنسا وفصلا وغلا في رعاية المجد من لدن المهد كرما وخصلا وصرفت متجردة الاقلام الى مثابة خلافته المنصورة الاعلام وجوه عبارة الكلام فاتخذ من مقام ابراهيم مصلى مقام مولانا أمير المؤمنين الخليفة الامام أبي اسحق ابن مولانا أبي يحيي أبي بكر ابن الخلفاء الراشدين أبقاه الله تعالى تهوي اليه الافئدة كلما انتشت بذكره وتتنافس الالسنة في احراز غاية حمده وشكره وتتكفل الاقدار بانفاذ نهيه وأمره وتغري عوامله بحذف زيد عدوه وعمره ويتبرع أسمر الليل وابيض النهار باعمال بيضه وسمره ولا زال حسامه الماضي يغني يومه في النصر عن شهره والروض يحييه بباسم زهره ويرفع اليه رقع الحمد بنان قضبه الناشئة من معصم نهره وولي الدنيا والآخرة يمتعنا بهما بعد الاعانة على مهره يقبل بساطه المعود الاستلام بصفحات الخدود الرافع عماده ظل العدل الممدود عبد مقامه المحمود ووارد غمر انعامه غير المنزور ولا الثمود المثني على نعمه العميمه ومنحه الجسيمة ثناء الروض المجود على العهود ابن الخطيب من باب المولى الموجب حقه المتأكد الفروض الثابت العهود المعتد منه بالود الجامع الرسوم والحدود والفضل المتوارث عن الآباء والجدود يسلم على مثابتها سلام متلو على مثلها ان وجد المثل في الثاني ويعوذ كمالها بالسبع المثاني ويدعو الله تعالى لسلطانها بتشييد المباني وتيسير الاماني وينهي الى علوم تلك الخلافة الفاروقية المقدسة بما يناسب التوحيد المستولية من مدارك الآمال على الامد البعيد ان مخاطبتها المولويه تاهت على الملوك فارعة العلا مزعفرة الحلل والحلى ذهبية المجلى تفيد العز المكين والدنيا والدين وترعى في الآباء والبنين على مر السنين صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قد جلت من مدحها الكريم ما أخفى للملوك من قرة عين ودرة زين جبين الشرف الوضاح ومستوجب الحق على مثله من الخلق بالنسب الصراح والغرر والاوضاح والارج الفواح فاقتنى دره النفيس ووجد المروع في جانب الخلافة التنفيس وقرا لما قراه التعظيم والتقديس وقال يا أيها الملأ اني ألقي الى كتاب كريم وان لم يكن بلقيس أعلى الله تعالى تلك اليد مطوقة الايادي ومخجلة العمائم والغوادي وأبقاها عامرة النوادي غالبة الاعادي وجعل سيفها السفاح ورأيها الرشيد وعلمها الهادي ووصل ما ألطف به رعيها من أشتات برلغت وموارد فضل سوغت أمدتها سعادة المولى بعدد لم يضر معه البحر الهائل ولا العدو الغائل وأقام أودها عند الشدائد الفلك المائل لا بل الملك الذي له الى الله الوسائل وحسب الجفن رسالتكم الكريمة لحظا

عمر بن الخطاب ثم كانت سنة اثنتين وعشرين فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم كانت سنة ثلاث وعشرين فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم قتل رضي الله عنه آخر ذي الحجة ثم كانت سنة أربع وعشرين فحج بالناس عبد الرحمن بن عوف ثم كانت سنة خمس وعشرين فحج بالناس عثمان بن عفان الى سنة أربع وثلاثين ثم كانت سنة خمس وثلاثين حج بالناس عبد الله بن عباس بأمر عثمان وهو محصور ثم كانت سنة ست وثلاثين حج بالناس عبد الله بن عباس ثم كانت سنة سبع وثلاثين بعث علي بن أبي طالب على الموسم عبد الله بن العباس وبعث معاوية بن أبي سفيان يحرة الرهاوي فاجتمعا بمكة وتنازعا الامارة ولم يسلم أحدهما لصاحبه فاصطلحا على أن يصلي بالناس شيبة بن عثمان الحجبي ففعل ذلك ثم كانت سنة ثمان وثلاثين حج بالناس قثم بن عباس نائب مكة ثم كانت سنة تسع وثلاثين حج شيبة بن عثمان ثم كانت سنة أربعين والتنازع مع معاوية والحسن بن علي في الخلافة فحج بالناس المغيرة بن شعبة عن كتاب يقال انه افتعله فيما قيل ثم كانت سنة احدى وأربعين حج بالناس

فصان وأكرم وعوذة فتعوذبها وتحرم وتولى المملوك تنفيق عروضها بانشراح صدره وعلى قدره فوقعت الموقع الذي لم يقع سواها فاما الخيل فاكرم مثواها وجعلت جنان الصون ماواها ولو كسيت الربيع المزهر حللا وأوردت في نهر المجرة علا ونهلا وقلدت النجوم العوام محلا ومسحت أعطافها بمنديل النسيم والحفت باردية الصباح الوسيم وانبرشت لمرابطها الحشايا وانضمت حبات القلوب بالعشايا لكان بعض ما يجب لحقها الذي لا يجحد ولا يحتجب وماعداها من الرقيق والقيان وعاة ذلك الفريق تكفله الاستحسان وأطنب الاعتقاد وان قصر اللسان تولى الله تعالى تلك الخلافة بالشكر الذي يحسب العطاء والحفظ الذي يسبل الغطاء والصنع الذي يسمو من مطا الامل الامتطا وأما ما يختص بالمملوك فقد حصه بقوله تبركا بتلك المقاصد التي سددها الدين وعددها الفضل المبين وأنشد الخلافة التي راق من مجدها الجبين

قلدتني بفرائد أخرجتها * من بحر جودك وهو ملتطم الثبج

ورعيت نسبتها فان سبكة * مما يلائم لونها قطع السبج

والمملوك بهذا الباب النصري أعزه الله تعالى على قدم خدمه وقائم بشكر منة لكم ونعمه وحاضر في جملة الاولياء بدعائه وحبه ومتوسل في دوام بقاء أيامكم ونصر أعلامكم الى ربه وان بعد بجسمه فلم يبعد بقلبه والسلام الكريم الطيب البر العميم يخصها دائما متصلا ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى * ومما خوطب به لسان الدين قول أبي الحسن علي بن يحيي الفزاري المالقي المعروف بابن البرزي وكان ممن يمدح الملوك والكبراء

لبابك أم الآملون ويمموا * وفي ساحتي رحماك حطوا وخيموا

ومن راحتي كفيك جدواك تنهمي * فتروي عطاش من نداك وتنعم

وأنت لما راموه كعبة حجهم * اذا شاهدوا مرآك لبوا وأحرموا

يطوفون سبعا حول بابك عندما * يلوح لهم ذاك المقام المعظم

فيمناك يمن للرعايا ومنة * ويسراك يسر للعفاة ومغنم

ولقياك بشر للنفوس وجنة * ترن بها ورق المنى وترنم

فيا واحدا لازمان علما ومنصبا * ويامن به الدنيا تروق وتبسم

ومن وجهه كالبدر يشرق نوره * ومن جوده كالغيث بل هو أكرم

ومن ذكره كالمسك فض ختامه * وكالشمس نورا بشره المتوسم

لقد حزت فضل السبق غير منازع * فانت على أهل السباق مقدم

حويت من العلياء كل كريمة * بها الروض يندى والربا تتبسم

وباهت أقلام الفتام براعة * فلا قلم الا براعك يخدم

اذا فاخر الامجاد يوما فانما * لمجدك في حال الفخار يسلم

وان سكتوا كنت البليغ لديهم * تعبر عن سر العلا وتترجم

ومنها

فيا صاحبي نجواي عوجا برامة * على ربعه حيث الندى والتكرم

وقولا له عبد ببابك يرتجي * قضاء لبانات لديك تتمم

حج معاوية بن أبي سفيان ثم كانت سنة خمس وأربعين حج بالناس مروان بن الحكم ثم كانت سنة ست وأربعين حج بالناس عتبة بن أبي سفيان ثم كانت سنة سبع وأربعين حج بالناس عتبة ابن أبي سفيان ثم كانت سنة ثمان وأربعين حج بالناس مروان بن الحكم ثم كانت سنة تسع وأربعين حج بالناس سعيد بن العاص ثم كانت سنة خمسين حج بالناس معاوية بن أبي سفيان ثم كانت سنة اثنتين وخمسين حج بالناس سعيد بن العاص عامين ثم كانت سنة أربع وخمسين حج بالناس مروان بن الحكم ثم كانت سنة خمس وخمسين حج بالناس مروان ابن الحكم ثم كانت سنة ست وخمسين حج بالناس عتبة بن أبي سفيان ثم كانت سنة سبع وخمسين حج بالناس الوليد بن عتبة عامين ثم كانت سنة تسع وخمسين حج بالناس عثمان بن أبي سعيد ثم كانت سنة ستين حج بالناس عمرو بن سعيد ابن العاص ثم كانت سنة احدى وستين حج بالناس الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ثم كانت سنة اثنتين وستين حج بالناس الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ثم كانت

فليس له الا علاك وسيلة * ولاشئ أسمى من علاك وأعظم
فقد بالذي يرجو ومنك فاله * كعقد ثمين من نثائك ينظم
بقيت ونجم السعد عندك طالع * يضيء له بدر وتشرق أنجم

توفي المذكور بالطاعون عام خمسين وسبعمائة انتهى * ومما خوطب به قول أبي القاسم قاسم بن محمد الحرالي المالقي القاضي بانتقيرة قبل وفاته

عليك قصرت المدح ياخير ماجد * وأفضل موصوف بكل المحامد
ويا كهف ماهوف وملجأ خائف * ومورد جود قد كفى كل وارد
لقد شهرت بالمجد منك شمائل * محاسنها أزكى وأعدل شاهد
وكل الذي يبدو من الفضل بعض ما * حبيت به أعظم بها من مشاهد
اذا أملت منك المكارم ألفيت * تنادى هلموا فزتم بالمساعد
عطاؤكم جزل فمن أمل الغنى * فناداكم يبغي فياسعد قاصد
ورائة مجد كابرا بعد كابر * وأصل زكى الفرع عذب الموارد

وتوفي المذكور بالطاعون عام خمسين وسبعماية وفي حقه يقول في الاكليل مشمر في الطلب عن ساق مثابر على اللحاق بدرجات الحذاق منتحل للعربية جاد في احصاء خلافها ومعاطاة سلافها وربما شرست في المذاكرة أخلاقه اذا بهرجت أعلاقه ونوزع تمسكه بالحجة واعتلاقه * وقال لسان الدين في ترجمة شعر المذكور انه ضعيف مهزول انتهى * ومما خوطب به قول أبي الحجاج يوسف بن موسى الجذامي المنتشافري من أهل رندة ونصه

حباك فؤادي نيل بشرى وأحياكا * وحيد بآداب نفائس حياكا
بدائع أبداها بديع زمانه * فطاب بها ياعاطر الروض رياكا
أمهديها أودعت قلبي علاقة * وان لم يزل مغرى قديما بعلياكا
اذا ما أشار العصر نحوفريده * فاياك يعني بالاشارة اياكا
لاتحفني لقياك أسنى مؤملي * وهل تحفة في الدهر الابلقياكا
واعقبت اتحافي فرائدك التي * وجوب ثناها بالساني أعياكا

ووصل هذا النظم بنثر صورته خصصتني أيها المخصوص بمآثر أعيا عدها وحصرها ومكارم طيب أرواح الازاهر عطرها وساوت الركبان بثنائها وشملت الخواطر محبة علائها بفرائدك الانيقه وفوائدك المزرية جالا على أزهار الحديقه ومعارفك التي زكت حقا وحقيقة وهدت الضال عن سبيل الادب مهيعه وطريقه وسبق تحفتك أعلى التحف عندي وهو مأمول لقائك والتمتع بالتماح سناك الباهر وسنائك على حين امتدت لذلكم اللقاء أشواقي وعظم من فوت استنارتي بنور محياك اشفاقي وتردد سعي بما يلغني من معاليك ومعانيك وماشاده فكرك الوقاد من مبانيك وما أهلت به بلاغتك من دارسه وما أضفت على الزمان من رائق ملابسه وما جمعت من أشتاته وأحييت من امواته وايقظت من سناته وماجادبه الزمان من حسناته فلتزداد هذه المحاسن من أنبائك وتصرف الالسنة

عام أربع وسبعين حج بالناس الحجاج بن يوسف ثم كانت سنة خمس وسبعين حج بالناس عبد الملك بن مروان ثم كانت سنة ست وسبعين حج بالناس الى سنة ثمانين أبان بن عثمان ابن عفان ثم كانت سنة احدى وثمانين حج بالناس سليمان بن عبد الملك بن مروان ثم كانت سنة اثنتين وثمانين حج بالناس أبان بن عثمان بن عفان ثم كانت سنة ثلاث وثمانين حج بالناس الى سنة خمس وثمانين هشام بن اسمعيل ابن هشام بن الوليد بن مغيرة المخزومي ثم كانت سنة ست وثمانين حج بالناس العباس ابن الوليد بن عبد الملك ثم كانت سنة سبع وثمانين حج بالناس عمر بن عبد العزيز ابن مروان ثم كانت سنة ثمان وثمانين حج بالناس الوليد بن عبد الملك ثم كانت سنة تسع وثمانين حج بالناس عمر بن عبد العزيز ثم كانت سنة تسعين حج بالناس عمر بن عبد العزيز ثم كانت سنة احدى وتسعين حج بالناس الوليد ابن عبد الملك ثم كانت سنة اثنتين وتسعين حج بالناس عمر بن عبد العزيز ثم كانت سنة ثلاث وتسعين حج بالناس عثمان بن الوليد بن عبد الملك ثم كانت سنة

(سنة ثلاث وستين حج ... وقتل عبدالله بن الزبير ثم كانت سنة أربع)

بثنائك علقت النفس من هواها باشد علاقة وجنحت الى لقائك جنوح والهة مشتاقة
والحوادث الجارية تصرفها والعوائق الحادثة كلما عطفت آمالها اليه لا تحفها به ولا تعطفها
الى ان ساعد الوقت وأسعد البخت بلقائكم في هذه السفرة الجهادية وجاد اسعاف الاسعاد
من امنيتي باسنى هديه فلقيتكم لقيا خجل ولمحت انواركم لمحة على وجل وجئت في
محاسنكم الرائقة ومعاليكم الفائقة على ما يعلمه ربنا عز وجل وتذكرت عند لقائكم
المأمول انشاد قائل يقول

كانت مساءلة الركبان تخبر عن * محمد بن خطيب اطيب الخبر
حتى التقينا فلا والله ما سمعت * اذني باحسن مما قد رأى بصري

قسم لعمري اقوله واعتقده واعتمده فلقد بهرت منك المحاسن ووقفت من
محاسن وقصر عن شأوك كل بليغ لسن وسبقت فطنتك النارية النورية بلاغة كل فطن
وشهد لك الزمان انك وحيده ورئيس عصبته الادبية وفريده فبورك لك فيما انلت من
الفضائل واوتيت من آيات المعارف التي بها نور الغزالة ضائل ولازلت ترقى في مراتب
المعالي موقى صروف الايام والليالي انتهى وهذا الخطاب جواب من المذكور لكلام
خاطبه به لسان الدين نصه

حمدت على فرط المشقة رحلة * أتاحت لعيني اجتلاء محياكا
وقد كنت بالتذكار في البعد قانعا * وبالريح ان هبت بعاطر رياكا
فلات لي النعمى بما أنعمت به * على خفياها الاله وحياكا

أيها الصدر الذي بمخاطبته يباهي ويتشرف والعلم الذي بالاضافة اليه يتعرف والروض
الذي لم يزل على البعد بازهاره الغضة يتحف دمت تتزاحم على موارد ثنائك الالسن ويروى
الرواة من أنبائك ما يصح ويحسن طالما مالت اليك النفوس مناوجنحت وزجرت الطائر
الميمون من رفاعك كلما سنحت فالآن اتضح البيان وصدق الاثر العيان ولقد كنا للقاء
بهذه الرحال نرغض ويجن الظلام فلا نغمض هذا يقلقه اصفار كيسه وهذا يتوجع
لبعد أنيسه وهذا تروعه الاهوال وتضجره بتقلباتها الاحوال فن أنه لا تنفع وشكوى
الى الله تعالى ترفع فلما ورد بقدومك البشير وأشار الى ثنية طلوعك المشير تشوفت
النفوس الصدية الى جلائها وصقالها والعقول الى حل عقالها والانفس المفحمة الى فصل
مقالها ثم ان الدهر راجع التفاته واستدرك مافاته فلم يسمع من لقائك الا بلمحه ولا
بعث من نسيم روضك بغير نفحه فما زاد أن هيج الاشواق فالتهبت وشن غاراتها على الجوانح
فانتهبت وأعل القلوب وامرضها ورمى ثغرة الصبر فاصاب غرضها فان رأيت أن تنفس
من نفس شد الشوق مخنقها وكدر مشارب أنسها واذهب رونقها وتتحف من آدابك
بدر رتقتني وروضة طيبة الجنى فليست ببدع في شيمك ولا شاذة في باب كرمك ولولا شاغل
لايبرح وعوائق أكثرها لا يشرح لنافست هذه السحابة في القدوم عليك والمثول بين
يديك فشوقي الى اجتلاء أنوارك شديد وتشيعي الى ابلاء الزمان جديد انتهى *(ووصف
لسان الدين في التاج المحلى أبا الحجاج المذكور بما صورته)* حسنة الدهر الكثير العيوب

أربع وتسعين حج بالناس مسلمة بن عبد الملك ثم كانت سنة خمس وتسعين
حج بالناس الوليد بن عبد
الملك ثم كانت سنة ست
وتسعين حج بالناس أبو بكر
محمد بن عمرو بن حزم ثم
كانت سنة سبع وتسعين
حج بالناس سليمان بن
عبد الملك ثم كانت سنة
ثمان وتسعين حج بالناس
عبد العزيز بن عبد الله بن
خالد بن أسيد بن العاص
ابن أمية ثم كانت سنة تسع
وتسعين حج بالناس أبو بكر
محمد بن عمرو بن حزم ثم
كانت سنة مائة حج بالناس
أبو بكر أيضا ثم كانت سنة
احدى ومائة حج بالناس
عبد العزيز بن عبد الله أمير
مكة ثم كانت سنة اثنتين
ومائة حج بالناس عبد الرحمن
ابن الضحاك الفهري ثم
كانت سنة ثلاث ومائة
حج بالناس عبد الله بن كعب
ابن عمير بن سبع بن عوف
ابن نضر بن معاوية النضري
ثم كانت سنة أربع ومائة
حج فيها أيضا ثم كانت سنة
خمس ومائة حج بالناس
ابراهيم بن هشام بن اسمعيل
المخزومي ثم كانت سنة ست
ومائة حج بالناس هشام بن
عبد الملك ثم كانت سنة
سبع ومائة حج بالناس
ابراهيم بن هشام المخزومي
الى سنة اثنتي عشرة ومائة
ثم كانت سنة ثلاث عشرة
ومائة حج بالناس سليمان بن هشام بن عبد الملك ثم كانت سنة أربع عشرة ومائة حج بالناس خالد بن

وتوبة الزمان الجم الذنوب ماشئت من أدب يتألق وفضل تتعطر به النسمات وتتخلق ونفس كريمة الشمائل والضرائب وقريحة يقذف بحرها بدرر الغرائب الى خشية لله تعالى تحول بين القلوب وقرارها وتثنى النفوس عن اغترارها ولسان يبوح باشواقه وجفن يسخو بدرر آماقه وحرص على لقاء كل ذى علم وأدب ومن يمت الى أهل الديانة والعبادة بسبب سبق بقطره الحلبه وفرع من الادب الهضبه ورفع الرايه وبلغ فى الاحسان الغايه فطارت قصائده كل المطار وتغنى بها اركب الفلك وحادى القطار وتقلد خطة القضاء ببلده وانتهت اليه رياسة الاحكام بين أهله وولده فوضحت المذاهب بفضل مذهبه وحسن مقصده وله شيمة فى الوفاء تعلم منها الاس ومؤانسة عذبة لاتستطيعها الا كؤس وقد أثبت من كلامه ماتحلى به مراتب المهارق ويجعل طيبه فوق المفارق وكنت أتشوق الى لقائه فلقيته بالمحلة من جبل الفتح لقيا لم تبل صدا ولاشفت كدا وتعذر بعد ذلك لقاؤه فخاطبته بهذه الرقعة * حمدت على فرط المشقة رحلة * فذكر لسان الدين ما قدمناه الى آخره وقد أورد جملة من مطولاته وغيرها ومؤلفاته ولنلخص بعض ذلك فنقول * ومن شعر أبى الحجاج المذكور بمدح الجهة الكريمة النبويه مصدرا بالنسيب لبسط الخواطر النفسانية

قوله

لما تناهى الصب فى تشويقه * درر الدموع اعتاضها بعقيقه
متلهف وفؤاده متلهب * كيف البقا بعد احتدام حريقه
متموج بحر الدموع بخده * أنى خلاص يرتجى لغريقه
متجرع صاب النوى من هاجر * ماان يحن للاعجات مشوقه
يسبى الخواطر حسنه ببديعه * يصبى النفوس جماله بانيقه
قيد النواظر اذ يلوح لرامق * لاتنثنى الاحداق عن تحديقه
للبدر لمحته كبشر ضيائه * للمسك نفحته كنشر فتيقه
سكرت خواطر لاحيه كانهم * شربوا من الصهباء كاس رحيقه
عطشوا والثغر لاسبيل لريقه * الا كما هم للمع بريقه
ماضر مولى عاشقوه عبيده * لورق اشفاقا لحال رقيقه
عنه اصطبارى ماأنا بمطيعه * مثل السلو ولاأنا بمطيقه
سجع الحمام يشوق ترجيع الهوى * فاثار شجو مشوقه بمشوقه
وبكت هديلا راعها تفريقه * ويحق أن يبكى أخو تفريقه
وبكاء امثالى أحق لاننى * لم أقض للمولى أكيد حقوقه
وغفلت فى زمن الشباب المنقضى * أقبح بنسخ بروره بعقوقه
وبدا المشيب وفيه زجر ذوى النهى * لو كنت مزدجرا الشيم بروقه
حسبى ندامة آسف مما جنى * يصل النشيج لوزره بشهيقه
ويرم ما خرم الهوى زمن الصبا * ويروم من مولاه رتق فتوقه
ويردد الشكوى لديه تذللا * عل الرضا يحبيه درك لحوقه
فيصح من سكر التصابى سكره * نسخا لحكم صبوحه وغبوقه

الحكم بن العاص بن أمية ثم كانت سنة خمس عشرة ومائة حج بالناس محمد بن عبد الملك بن الحرث بن هشام بن اسمعيل بن الوليد ابن المغيرة ثم كانت سنة ست عشرة ومائة حج بالناس الوليد بن يزيد بن عبد الملك وهو ولى عهده ثم كانت سنة سبع عشرة ومائة حج بالناس خالد بن عبد الملك ثم كانت سنة ثمان عشرة ومائة حج بالناس محمد بن هشام بن اسمعيل ثم كانت سنة تسع عشرة ومائة حج بالناس مسلمة بن هشام بن عبد الملك أبو شاكر وقيل بل مسلمة بن عبد الملك ثم كانت سنة عشرين ومائة حج بالناس محمد بن هشام بن اسمعيل ثم كانت سنة احدى وعشرين ومائة حج بالناس محمد بن هشام بن اسمعيل الى سنة أربع وعشرين ومائة ثم كانت سنة خمس وعشرين ومائة حج بالناس يوسف ابن أخى الحجاج بن يوسف ثم كانت سنة ست وعشرين ومائة حج بالناس عمر بن عبد الله بن عبد الملك ثم كانت سنة سبع وعشرين ومائة حج بالناس عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ثم كانت سنة ثمان وعشرين ومائة حج بالناس عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ثم كانت سنة تسع وعشرين ومائة حج بالناس عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان

لوكنت يمت التقاوصحبته * وسلكت ايثاراسواء طريقه
لأفدت منه فوائدا وفرائدا * عرضت تسام لرائج فى سوقه
لله أرباب القلوب فانهم * من حزب من نال الرضاوفريقه
قاموا وقدنام الانام فنورهم * هتك الدجى بضيائه وشروقه
وتانسوا بحبيبهم فلهم به * بشر لصدق الفضل فى تحقيقه
قصرت عنهم عند ماسبقوا المدى * ولسابق فضل على مسبوقه
لولا رجاء تامع من نورهم * يحيى الفؤاد بسيره وطروقه
وتارج يستاف من أرواحهم * سبب انتعاش الروح طيب خلوقه
لعنيت من جرا جرائرى التى * من خوفها قلبى حليف خفوقه
ومى رجاء توسل أعددته * ذخرالصدمات الزمان وضيقه
حبى ومدحى احمد الهادى الذى * فوز الانام يصح فى تصديقه
أسمى الورى فى منصب وبنسب * من هاشم زاكى النجار عريقه
الحق أظهره عقيب خفائه * والدين نظمه لدى تفريقه
ونفى هداه ضلالة من جائر * مستوثق بيغوثه ويعوقه
سبحان مرسله الينا رحمة * يهدى ويهدى الفضل من توفيقه
والمعجزات بدت بصدق رسوله * وحقيقه بالمأثرات خليقه
كالظبى فى تكليمه والجذع فى * تحنينه والبدر فى تشقيقه
والنار اذ خمدت بنور ولادة * وأجاج ماء قد حلا من ريقه
والزاد قل فزاد من بركاته * فكفى الجيوش بتمره وسويقه
ونبوع ماء الكف من آياته * وسلام أحجار بدت بطريقه
والنخل لما أن دعاه مشى له * ذا سرعة بعذوقه وعروقه
والارض عاينها وقد زويت له * فقريب مافيها رأى كسحيقه
وكذا ذراع الشاة قد نطقت له * نطق اللسان فصيحه وذليقه
ورمى عداه بكف حصبا فانثنت * هربا كذعر الجنان فروقه
وعليه آيات الكتاب تنزلت * تتلى بعلو جنابه وبسوقه
وأذيق من كاس المحبة صرفها * سبحان ساقيه بها ومذيقه
حاز السناء واله بعر وجه * جاز السماء طباقها بخروقه
ولكم له من آية من ربه * وعناية ورعاية بحقوقه
ياخيرة الأرسال عند الهه * ياحرز العليا على مخلوقه
علقت آمالى بجاهك عدة * والقصد ليس يخيب فى تعليقه
وعلقت من حبل اعتمادى عمدة * لتمسكى بقويه ووثيقه
ولئن غدوت اخيذ ذنبى اننى * أرجو بقصدك أن أرى كطليقه
وكسادسوقى مذ لجأت لبابكم * يقضى حصول نفوذه ونفوقه

وكان ابو حمزة المختار بن عوف الخارجي من الازد داعية المعروف بطالب الحق قد وقف وخرج ثلاث السنة فكلمه الناس حتى نزل عبد الواحد يصلي بالناس ويخرج الى منزله ثم كانت سنة ثلاثين ومائة حج بالناس محمد بن عبد الملك بن مروان ثم كانت سنة احدى وثلاثين ومائة حج بالناس عروة بن محمد بن عطية السعدي بكتاب افتعله على لسان عمه عبد الملك بن محمد وهو والى الحجاز واليمن لمروان ابن محمد (قال المسعودي) فهذا آخر ما حج بنو أمية ثم كانت سنة اثنتين وثلاثين ومائة حج بالناس داود بن علي بن عبد الله بن العباس ابن عبد المطلب ثم كانت سنة ثلاث وثلاثين ومائة حج بالناس زياد بن عبد الله الحرثي ثم كانت سنة اربع وثلاثين ومائة حج بالناس عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ثم كانت سنة خمس وثلاثين ومائة حج بالناس سليمان بن علي بن عبد الله ابن عباس ثم كانت سنة ست وثلاثين ومائة حج بالناس أبو جعفر المنصور وفيها بويع لابي جعفر المنصور ثم كانت سنة سبع وثلاثين ومائة حج بالناس اسمعيل بن علي بن عبد الله ابن العباس ثم كانت سنة ثمان وثلاثين ومائة حج بالناس الفضل بن صالح بن علي ثم كانت سنة تسع

ويحن قلبي وهو في تغريبه * لمزاره لربالك في تشريقه
وتزيد لوعته متى حث السرى * حاد حدا بجماله وبنوقه
وأرى تشيب العمر أمسى باليا * ومرور دهري جد في تمزيقه
وأخاف أن أقضي ولم أقض المنى * بنفوذ سهم منيتي ومروقه
فتى أحط على اللوى رحلي وقد * بلغت ركابي للعمى وعقيقه
وأمرغ الخدين في ترب غدا * كالمسك في أرج شذا منشوقه
وأعيد انشائي وانشادي الثنا * ببديع نظم قد يحتي ورقيقه
حتى أميل العاشقين تطربا * كالغصن مترصبا على معشوقه
وتحية التسليم أبلغ شافع * وثنا المديح حديثه وعتيقه
ولذى الفخار وذي الحلي ووزيره * صديقه وأخي الهدى فاروقه
مني السلام عليهم كالزهر في * تأليفها والزهر في تأنيقه

وقال

هوا كم بقلبي ما لا حكامه نسخ * ومن أجله جفني بمدمعه يسخو
ومن نشاقي ما ان محت منه نشوتي * سواه عصر المشيب أو الشرخ
عليه حياتي مذ تمادت وميتتي * وبعثي اذا بالصور ينفق النفخ
ولي خلد أضحى يبيض غرامه * ولا شرك يدني اليه ولا فخ
قتلت سلوي حين أحييت لوعتي * وما الحجيج بالاقرار في حالتي لطخ
وأغدو الى سعدى بكرخ علاقتي * وقصدي قصدي ليس سعدى ولا الكرخ
وناصح كتمي اذ كتب بيناته * يجول عليه من دموع الاسى نضخ
وأرجو بتحقيقي هوا كم بان أفي * فعهد ولا نقض وعقد ولا فسخ
وما الحب الا ما استقل ثبوته * لمبناه رص في الجوانح أو رسخ
اذا مسلك لم يستقم بطريقه * سلكت اعتداء الامثل ما يسلك الرخ
بدا الله ميري من سنا كم تلمح * فبح لعقل لم يطر عنه دماغ
على عود ذاك اللمح ما زلت نادبا * كما تندب الورقاء فارقها الفرخ
يدي بايادي كم وقلبي شاغل * فمن فكرتي نسج ومن اغلي نسخ

وقال

اليك تحن النجب والنجباء * فهم وهي في أشواقهم شركاء
تخب بركاب تحب وصولها * لارض بها بادسني وسناء
فانفاسها ما ان ثني صعداؤها * وأنفسهم من فوقها صعداء
هموع الجوا اذ عجل السير داءهم * وأشباه مثلي مدنفون بطاء
قعدت ودوني للحبيب ترحلوا * وما قاعد والراحلون سواء
ادوعليه حب قلبي وأدمعي * وقد صح لي حب وسح بكاء
بطيبة هل أرضي وتبدو سماؤها * وان تك أرضا فالحبيب سماء
شذا نفحها والجو منها كأنه * ذكاء عبير والضياء ذكاء
فيا حاديا يغني وللركب حاديا * عناني بعد البعد عنك عناء

ثم كانت سنة احدى وأربعين ومائة حج بالناس صالح بن علي ثم كانت سنة اثنتين وأربعين ومائة حج بالناس اسمعيل بن علي ثم كانت سنة ثلاث وأربعين ومائة حج بالناس أبو جعفر المنصور ثم كانت سنة أربع وأربعين ومائة حج بالناس

٣

ثم كانت سنة خمس وأربعين ومائة حج بالناس السري بن عبد الله بن الحرث بن العباس بن عبد المطلب ثم كانت سنة ست وأربعين ومائة حج بالناس عبد الوهاب بن ابراهيم بن محمد بن علي بن علي بن عبد الله ابن العباس ثم كانت سنة سبع وأربعين ومائة حج بالناس أبو جعفر المنصور وقيل محمد بن ابراهيم الامام وقيل في سنة ثمان ثم كانت سنة تسع وأربعين ومائة حج بالناس عبد الوهاب بن ابراهيم بن محمد بن علي ثم كانت سنة خمسين ومائة حج بالناس عبد الصمد بن علي ثم كانت سنة احدى وخمسين ومائة حج بالناس محمد بن ابراهيم بن محمد بن علي ثم كانت سنة اثنتين وخمسين ومائة حج بالناس أبو جعفر المنصور ثم كانت سنة ثلاث وخمسين

ومائة حج بالناس المهدي محمد بن عبد الله بن محمد بن علي ثم كانت سنة أربع وخمسين ومائة حج بالناس

بسلع فسل عما أقاسى من الهوى * وسل بقباء اذيلوح قباء
وفى عالج منى بقلبي لاعج * فهل لى علاج عنده وشفاء
وفى الرقتين أرقم الشوق لادغ * ودرياقه إن لو يباح لقاء
أما كن تمكين وأرض بها الرضا * وأرجاء فيها للمشوق رجاء

وقال أدب الفتى فى أن يرى متيقظا * لأوامر من ربه ونواهى
فاذا تمسك بالهوى يهوى به * والحبل منه لمن تيقن واهى

وقال يامن بدنياه ظل فى لجج * حقق بان النجاة فى الشاطى
تطمع فى ارثك الفلاح وقد * أضعت ماقبله من اشراط
كن حذرا فى الذى طمعت به * من حجب نقص وحجب اسقاط

وقال ترى شعروا أنى غبطت نسيمة * ذكت بتلاقى الروض غب الغمائم
كما قابلت زهر الرياض وقبلت * ثغور أقاحيه بلا لوم لائم

وقال ورد المشيب مبيضا بوروده * ما كان من شعر الشبيبة حالكا
ياليته لو كان بيض بالتقى * ماسودته ماثم من حالكا
ان المشيب غدا رداء للردى * فاذا علاك أجد فى ترحالكا

وقال لوعة الحب فى فؤادى تعاصت * أن تداوى ولو أتى الفراق
كيف يبرا من علة وعليها * زائد علة النوى والفراق
فانسكاب الدموع جار بجار * والتهاب الضلوع راق فراق

*(ومن غرائب الاتفاق) أنه قال كنت جالسا بين يدى الخطيب أبى القاسم الناكرونى صبيحة يوم بمسجد مالقة فقال لنا فى أثناء حديثه رأيت البارحة فى عالم النوم كأن أباعبدالله الجليانى يأتينى ببيتى شعر فى يده وهما

كل علم يكون للمرء شغلا * بسوى الحق قادح فى رشاده
فاذا كان فيه لله حظ * فهو مما يعده لمعاده

قال فلم ينفصل المجلس حتى دخل علينا الفقيه الاديب أبو عبدالله الجليانى والبيتان معه فعرضهما على الشيخ فاخبره أنه صنعهما البارحة فقال له كل من فى المجلس أخبرنا بهما الشيخ قبل مجيئك فكان هذا من العجائب * ولابى الحجاج المذكور تآليف منها كتاب ملاذ المستعين فى بعض خصائص سيد المرسلين أربعون حديثا وكتاب تخصيص القرب وتحصيل الارب وقبول الرأى الرشيد فى تخميس الوتريات النبويه لابن رشيد وانتشاق النسمات النجديه واتساق النزعات الجديه وغرر الامانى المسفرات فى نظم المكفرات والنفحات الرنديه واللمعات الزنديه مجموع شعره وحقائق بركات المنام فى مرأى المصطفى خير الانام والاستشفاء بالعده والاستشفاع بالعمده فى تخميس البرده وتوجع الراثى فى تنوع المراثى واعتلاق السائل بافضل الوسائل ولمح البهيج ونفح الاريج فى ترجيز كلام الشيخ أبى مدين من عبارات حكميه واشارات صوفيه وكتاب تجريد رؤس مسائل البيان والتحصيل لتيسير البلوغ لمطالعتها والتوصيل وفهرسة روايته

محمد بن ابراهيم بن محمد بن على ثم كانت سنة خمس وخمسين ومائة حج بالناس عبد الصمد بن على ثم كانت سنة ست وخمسين ومائة حج بالناس العباس بن محمد بن على ثم كانت سنة سبع وخمسين ومائة حج بالناس ابراهيم ابن يحيى بن محمد بن على ثم كانت سنة ثمان وخمسين ومائة حج بالناس ابراهيم ابن يحيى أيضا ثم كانت سنة تسع وخمسين ومائة حج بالناس يزيد بن منصور ابن عبدالله بن شهر بن يزيد بن مثوب الحميرى ثم كانت سنة ستين ومائة حج بالناس الهادى بن موسى بن المهدى وهو ولى عهد ثم كانت سنة اثنتين وستين ومائة حج بالناس ابراهيم بن جعفر بن أبى جعفر ثم كانت سنة ثلاث وستين ومائة حج بالناس على بن المهدى ثم كانت سنة أربع وستين ومائة حج بالناس صالح بن أبى جعفر ثم كانت سنة خمس وستين ومائة حج بالناس صالح أيضا ثم كانت سنة ست وستين ومائة حج بالناس محمد بن ابراهيم بن محمد بن على ثم كانت سنة سبع وستين ومائة حج بالناس ابراهيم ابن يحيى بن محمد بن على ثم كانت سنة ثمان وستين ومائة حج بالناس على بن محمد المهدى ثم كانت سنة تسع وستين ومائة حج

وو جزذ كر مشايخ أبي عمر الطنجي وكتاب أرج الارجاء فى مزج الخوف والرجاء أربعون حديثا فى الرجاء والخوف وكان رحمه الله تعالى حيا حين ألف لسان الدين الاحاطة رحم الله تعالى الجميع * ورأيت على ظهر أول ورقة من الريحانة بخط الامام الكبير الشهير الشيخ ابراهيم الباعونى الدمشقى رحمه الله تعالى مانصه قال كاتبه ابراهيم بن أحمد الباعونى غفر الله ذنوبه وستر عيوبه وبلغه من فضله مطلوبه صاحب كتاب الريحانة آية من آيات الله سبحانه لوجه أدبه طلاقه وللسانه ذلاقه وللقلوب به علاقه وفى خطه غلاقه يعرفها من عرف اصطلاحه بطالعته وينفتح له باب فهمها بتكرير مراجعته فليتامل الناظر اليه والمقبل عليه مافيه من الجواهر والنجوم الزواهر بل الآيات البواهر وليسبح الله تعالى تعجبا من قدرته جل وعلا ومواهبه التى عذب ماؤها النميروحلا وليقل عند تامل دره النظيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم اه وقوله رحمه الله تعالى وفى خطه غلاقه ليس المراد به الاصعوبة الخط المغربى على أهل المشرق حسبما يعلم مما بعده والافان خط لسان الدين رحمه الله تعالى محمود عند المغاربة ولنقتصر من هذا الغرض على ماذكر فان تتبعه يطول اذهو بحر لاساحل له

*وكان لسان الدين رحمه الله تعالى مؤثرا القضاء حاجة من أمله وقصد بابه وأمله سواء كان من أودائه أومن أعدائه وقد ذكر الوزير الرئيس الكاتب أبويحيى بن عاصم رحمه الله تعالى عنه فى ذلك حكاية فى أثناء كلام رأيت أن أذكر جملته لما اشتمل عليه من الفائدة وهو أنه ذكر فى ترجمة شموس العصر من ملوك بنى نصر من كتابه المسمى بالروض الاريض فى اسم السلطان الذى كان ابن الخطيب وزيره وهو الغنى بالله محمد بن يوسف بن اسمعيل بن فرج بن نصر الخزرجى بعد كلام ماصورته كان قد جرى عليه التمحيص الذى أزعجه عن وطنه الى الدار البيضاء بالمغرب من ايالة بنى مرين فافادته الحنكة والتبحر بهذه السيرة التى وقف شيوخنا على حقيقتها وانتهجوا واضح طريقتها وبلغتنا منقولة بألسنة صدقهم معبرا عنها فى عرف التخاطب بالعادة فلم يكن الوزير الكيس والرئيس الجهبذ يجريان من الاستقامة على قانون ولايطردان من الصواب على اسلوب الا بالمحافظة على مارسم من القواعد والمطابقة لما ثبت من العوائد وكان ذووالنبل من هذه الطبقة وأولو الحذق من أرباب هذه المهن السياسية يتعجبون من صحة اختياره لمارسم وجودة تمييزه لما قصد ويرون المفسدة فى الخروج عنها ضربة لازب وان الاستمرار على مراسمها آكد واجب فيتحرونها بالالتزام كما تتحرى السنن ويتوخونها بالاقامة كما تتوخى الفرائض وسواء تبادرلهم معناها ففهموه أوخفى عليهم وجه رسمها فجهلوه حدثنى شيخنا القاضى أبوالعباس أحمد بن أبى القاسم الحسنى أن الرئيس أباعبدالله بن زمرك دخل على الشيخ ذى الوزارتين أبى عبدالله بن الخطيب يستأذنه فى جملة مسائل مما يتوقف عادة على اذن الوزير وكان معظمها فيما يرجع الى مصلحة الرئيس أبى عبدالله بن زمرك قال الشريف فامضاها كلها الا ماعدا واحدة منها تضمنت نقض عادة مستمرة فقال له ذوالوزارتين بن الخطيب لا والله يارئيس أباعبدالله لا آذن فى هذا لانا مااستقمنا فى هذه الدار الابحفظ العوائد ثم قال صاحب الروض فلما تأذن الله تعالى للدولة

بالناس سليمان بن أبي جعفر المنصور ثم كانت سنة سبعين ومائة حج بالناس هرون الرشيد ثم كانت سنة احدى وسبعين ومائة حج بالناس عبد الصمد بن على ثم كانت سنة اثنتين وسبعين ومائة حج بالناس ٣ ثم كانت سنة ثلاث وسبعين ومائة حج بالناس هرون الرشيد خرج محرما من عسكره الى مكة ثم كانت سنة أربع وسبعين ومائة حج بالناس هرون الرشيد الى سنة تسع وسبعين ومائة ثم كانت سنة ثمانين ومائة حج بالناس موسى بن عيسى ابن موسى بن محمد بن على ثم كانت سنة احدى وثمانين ومائة حج بالناس هرون الرشيد ثم كانت سنة اثنتين وثمانين ومائة حج بالناس موسى بن عيسى ثم كانت سنة ثلاث وثمانين ومائة حج بالناس العباس بن محمد المهدى ثم كانت سنة أربع وثمانين ومائة حج بالناس ابراهيم ابن المهدى ثم كانت سنة خمس وثمانين ومائة حج بالناس منصور بن المهدى ثم كانت سنة ست وثمانين ومائة حج بالناس هرون الرشيد ثم كانت سنة سبع وثمانين ومائة حج بالناس عبدالله بن العباس بن على وقيل منصور بن المهدى ثم كانت سنة ثمان وثمانين ومائة حج بالناس

بالاضطراب واستحكم الوهن بتمكن الاسباب عدل عن تلك القواعد الراسخة واستخف بتلك القوانين الثابتة فنشأ من المفاسد ما أعوز رقعه وتعدد وتره وشفعه واستحكم ضرره حتى لم يمكن دفعه وتعذر به الدواء الذى يرجى نفعه وكان قد صحبه من الجد ما سنى آماله وأنجح باذن الله تعالى أقواله وأفعاله فكان يجرى الامر على رسم من السياسة واضح ونظر من الآراء السديدة راجح ثم يحفه من الجد سياج لا يفارقه الى تمام الغاية المطلوبة من حصوله وتمكن مقتضى الارادة السلطانية من فروعه وأصوله انتهى كلام ابن عاصم * واذ جرى ذكره فلا بأس أن نلم بشئ من أحواله لان أهل الاندلس كانوا يسمونه ابن الخطيب الثانى فنقول هو الامام العلامة الوزير الرئيس الكاتب الجليل البليغ الخطيب الجامع الكامل الشاعر المفلق الناثر الحجة خاتمة رؤساء الاندلس بالاستحقاق ومالك خدم البراعة بالاسترقاق أبو يحيى محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عاصم القيسى الاندلسى الغرناطى قاضى الجماعة بها كان رحمه الله تعالى من أكابر فقهائها وعلمائها ورؤسائها أخذ عن الامام المحقق أبى الحسن بن سمعت والامام القاضى أبى القاسم بن سراج والشيخ الراوية أبى عبد الله المنثورى والامام أبى عبد الله البيانى وغيرهم ومن تآليفه شرح تحفة والده وذكر فيه أنه ولى القضاء سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة ومنها كتاب جنة الرضا فى التسليم لما قدر الله تعالى وقضى وكتاب الروض الاريض فى تراجم ذوى السيوف والاقلام والقريض كانه ذيل به احاطة لسان الدين بن الخطيب وله غير ذلك وقد أطلت الكلام فى ترجمته من كتابى أزهار الرياض فى أخبار عياض وما يناسبها مما يحصل للنفس به ارتياح وللعقل ارتياض ووصفه ابن فرج السبتى بانه الاستاذ العلم الصدر المفتى القاضى رئيس الكتاب ومعدن السماحة ومنبع الآداب انتهى وقد تقدم بعض كلامه فيما مر ومن بديع نثره الذى يسلك به نهج ابن الخطيب رحمه الله تعالى قوله من كلام جلبت جملته فى أزهار الرياض واقتصرت هنا على قوله بعد الحمدلة الطويلة ما صورته أما بعد فان الله على كل شئ قدير وانه بعباده لخبير بصير وهو لمن أهل نيته وأخلص طويته نعم المولى ونعم النصير بيده الرفع والخفض والبسط والقبض والرشد والغى والنشر والطى والمنح والمنع والضر والنفع والبطء والعجل والرزق والاجل والمسرة والمساءة والاحسان والاساءة والادراك والفوت والحياة والموت اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون وهو الفاعل على الحقيقة وتعالى الله عما يقول الآفكون وهو الذى تكفل بان يظهر دينه على الدين كله ولو كره المشركون وان فى أحوال الوقت الداهية لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد وعبرة لمن يفهم قوله تعالى ان الله يفعل ما يشاء وان الله يحكم ما يريد بينما الدسوت عامره والولاة آمره والفئة مجموعه والدعوة مسموعه والامرة مطاعه والاجوبة سمعا وطاعه واذا بالنعمة قد كفرت والذمة قد خفرت الى أن قال والسعيد من اتعظ بغيره ولا يزيد المؤمن عمره الا خيرا جعلنا الله تعالى ممن قضى عمره بخيره وبينما الفرقة حاصله والقطيعة فاصله والمضرة واصله والحبل فى انبتات والوطن فى شتات والخلاف يمنع رعى متات والقلوب شتى من قوم أشتات والطاغية يتمطى لقصم الوطن

هرون الرشيد ثم كانت سنة تسع وثمانين ومائة حج بالناس العباس بن موسى بن عيسى بن محمد بن على ثم كانت سنة تسعين ومائة حج بالناس على بن الرشيد ثم كانت سنة احدى وتسعين ومائة حج بالناس العباس بن عبد الله بن جعفر بن أبى جعفر المنصور ثم كانت سنة اثنتين وتسعين ومائة حج بالناس العباس بن عبيد الله أيضا ثم كانت سنة ثلاث وتسعين ومائة حج بالناس داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن على ثم كانت سنة أربع وتسعين ومائة حج بالناس على بن الرشيد ثم كانت سنة خمس وتسعين ومائة حج بالناس داود بن عيسى بن موسى ثم كانت سنة ست وتسعين ومائة حج بالناس العباس بن موسى الى ثمان وتسعين ثم كانت سنة تسع وتسعين ومائة حج بالناس محمد بن داود ابن عيسى بن محمد بن على ووثب ابن الافطس العلوى بمكة فقبض عليها فتنحى محمد بن داود ولم يمض الى عرفة وخرج الناس فوقفوا بغير امام فلما كانوا بالمزدلفة طلع عليهم ابن الافطس فاقام لهم باقى حجتهم ثم كانت سنة مائتين حج بالناس المعتصم بن اسحق ثم كانت سنة احدى ومائتين حج بالناس اسحق بن موسى بن عيسى بن موسى بن

وقضمه وبحفظه لحظ الخائف على هضمه والآخذ بكظمه ويتوقع الحسرة أن يأذن الله بجمع شمله ونظمه على رغم الشيطان ورغمه واذا بالقلوب قد ائتلفت والمتنافرة قد اجتمعت بعد ما اختلفت والافئدة بالالفة قد اقتربت الى الله تعالى وازدلفت والمتضرعة الى الله تعالى قد ابتهلت في اصلاح الحالة التي سلفت فالقت الحرب أوزارها وادنت الفرقة النافرة مزارها وجلت الالفة الدينية أنوارها وأوضحت العصمة الشرعية آثارها ووقعت الوحشة الناشبة أظفارها اعذارها وأوضت الخلافة الفلانية أنصارها وغضت الفئة المتعرضة أبصارها وأصلح الله تعالى أسرارها فجمعت الاوطان بالطاعه والتزمت نصيحة الدين باقصى الاستطاعه وتسابقت الى لزوم السنة والجماعه وألقت الى الامامة الفلانية يد التسليم والضراعه فتقبلت فيآتهم وأحمدت جيآتهم وأسعدت آمالهم وارتضيت أعمالهم وكملت مطالبهم وتممت مآربهم وقضيت حاجاتهم واستمعت مناجاتهم وألسنتهم بالدعاء قد انطلقت ووجهتهم في الخلوص قد صدقت وقلوبهم على جمع الكلمة قد اتفقت وأكفهم بهذه الامامة الفلانية قد اعتلقت وكانت الادالة في الوقت على عدو الدين قد ظهرت وبرقت الى أن قال وكفت القدرة القاهره والعزة الباهره من عدوان الطاغية غوائل باعزاز دين الله الموعود بظهوره على الدين كله فواتح وأوائل ومعلوم بالضرورة أن الله تعالى لطيف بعباده حسبما شهد بذلك برهان الوجود وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها دليلا على ماسوغ من الكرم والجود انتهى المقصود منه وهو كلام بليغ ومن أراد جلته فعليه بأزهار الرياض * ومن نظم ابن عاصم المذكور قوله مخاطبا شيخه قاضي الجماعة أبا القاسم بن سراج وقد طلب الاجتماع به زمن فتنة فظن انه يستخبره عن سر من أسرار السلطان فاعده معتذرا ولم يصدق الظن

فديتك لا تسال عن السر كاتبا * فتلقاه في حال من الرشد عاطل
وتضطره اما لحالة خائن * أمانته أوخائض في الاباطل
فلافرق عندي بين قاض وكاتب * وشي ذا بسر أوقضى ذا بباطل

ومن بديع ما نظم في مدح الرئيس أبي يحيى بن عاصم المذكور قول العلامة ابن الازرق رحمه الله تعالى

خضعت لمعطفه الغصون الميس * ورنا فهام بمقلتيه النرجس
ذو مبسم زهر الربا في كمه * متنافس عن طيبه متنفس
ومورد من ورده أوتاره * يتنعم القلب العميد وييأس
فالورد فيه من دموعي يرتوي * والنار فيه من ضلوعي تقبس
كملت محاسنه فقد ناضر * ولواحظ نجل وثغر ألعس
صعب التعطف بالغرام حبيته * فالحب يحيي والتعطف يحبس
غرس التشوق ثم أغرى الوجد بي * فالوجد يغري والتشوق يغرس
ما كنت أشقى لو حللت بجنة * من وصله تحيا لديها الانفس
الحاظه ورضابه وعذاره * حورها او كوثر أو سندس

ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وهو أول طالبي اقام للناس الحج في الاسلام على انه أقام متغلبا عليه لاموليٍ من قبل خليفة وكان ممن سعى في الارض بالفساد وقتل أصحاب ابراهيم بن عبيد الله الحجبي وغيره في المسجد الحرام ويزيد بن محمد بن حنظلة المخزومي وغيره من أهل العبادة ثم كانت سنة ثلاث ومائتين حج بالناس سليمان ابن عبد الله بن جعفر بن سليمان بن علي ثم كانت سنة أربع ومائتين حج بالناس عبيد الله بن الحسن ابن عبيد الله ثم كانت سنة خمس ومائتين حج بالناس عبيد الله بن الحسن أيضا ثم كانت سنة ست وسبع ومائتين حج بالناس أبو عيسى بن الرشيد ثم كانت سنة ثمان ومائتين حج بالناس صالح بن الرشيد ومعه زبيدة الى سنة عشر ومائتين ثم كانت سنة احدى عشرة ومائتين حج بالناس اسحق بن العباس ابن محمد بن علي ثم كانت سنة اثنتي عشرة ومائتين حج بالناس المأمون ثم كانت سنة ثلاث عشرة ومائتين حج بالناس أحمد بن العباس ثم كانت سنة أربع عشرة ومائتين حج بالناس عبيد الله بن عبد الله ثم كانت سنة خمس

وليالِ أنس قد أمنت بهن من * واش ينم ومن رقيب يحرس
أطلعت شمس الراح فيها فاهتدى * عاش الينا في الدجى ومغلس
صفراء كالعقيان في الالوان للـ * ـندمان كالشهبان منها الكؤس
صبت شقيقا فاستحالت نرجسا * في مزجها فورد ومورس
وحبابها يغني بأسنى جوهر * أنفى لغم المعدمين وأنفس
يجلى بها للغم منها حندسا * قرعليه من الذؤابة حندس
حتى اذا عسعست مرآة البدر من * صبح بدا تلقاه اذ يتنفس
ناديته وسنى الصباح مقعص * ينجاب عنه من الظلام معسعس
يامطلع الانوار زهرا يجتنى * ومشعشع الصهباء نارا تلمس
بل يا بلس الانس اطمأن وبابن عا * عاصم اطمأن من الرياسة مجلس
بدر بأنوار الهدى متطلع * غيث بأشتات الندى متبجس
حامى فلم ترتع لخطب يعترى * ووفى فلم تحفل بدهر يعبس
شيم مهذبة وعلم راسخ * ومكارم هتن ومجد أقعس
لو كان شخصا اذكره ابدا على * اعطافه من كل حمد ملبس
ذاكم أبو يحيى به تحمى العلا * وبه خلال الفخر طرا تحرس
بيت على عمد الفخار مطنب * مجد على متن السماك مؤسس
خيم وعرس في حماه فكم حوى * فيه المراد مخيم ومعرس
انا لنغدو هما فينيلنا * رياو يوحشنا النوى فيؤنس
حتى اقمنا والاماني منهضا * تواتبسمنا والزمان معبس
لم ندر قبل يراعه وبنانه * ان الذوابل بالغمائم تبجس
هن اليراع بها يؤمن خائف * ويحاط مذعور ويغني مفلس
مهما انبرت فهي السهام يرى لها * وقع لاغراض البيان مقرطس
يشفي بمأمله الشكي المعترى * يحيي بمامنه الحمام المؤيس
فتقص حين تشق منها السن * وتسير حين تقط منها ارؤس
من كل وشاء باسرار النهى * دوب باظهار السرائر يهجس
قد جمع الاضداد في حركاته * فلذا اطراد خباره لايعكس
عطشان ذوري يبس مثمر * غضبان ذو صفح فصيح أخرس
لله من تلك اليراع جواذب * للسحر منك كأنها المغنيطس
رضنا شماس القول في أوصافها * فهي التي راضت لنا مايشمس
واليكها حللا تشابه نسجها * مثلي يفصلها ومثلك يلبس
واهنأ بعيد باسم متهلل * وافاك يجهر بالسرور ويهمس
واحبس لواء الفخر موقوفا فان الحمد موقوف عليك محبس

قلت وعندي الآن شك في صاحب هذه القصيدة هل هو قاضي الجماعة بغرناطة محمد بن

٣

ثم كانت سنة سبع عشرة ومائتين حج بالناس سليمان ابن عبد الله بن علي ثم كانت سنة ثمان عشرة ومائتين حج بالناس صالح بن العباس ابن محمد ثم كانت سنة تسع عشرة ومائتين حج بالناس صالح بن العباس بن محمد ثم كانت سنة عشرين ومائتين حج بالناس صالح ابن العباس أيضا ثم كانت سنة احدى وعشرين ومائتين حج بالناس أيضا صالح بن العباس بن محمد ثم كانت سنة اثنتين وعشرين ومائتين حج بالناس محمد ابن داود بن عيسى بن محمد ابن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ثم كذلك الى سنة ست وعشرين ومائتين ثم كانت سنة سبع وعشرين ومائتين حج بالناس جعفر المتوكل بن المعتصم بن الرشيد ثم كانت سنة ثمان وعشرين ومائتين حج بالناس الى سنة خمس وثلاثين ومائتين محمد بن داود بن عيسى ثم كانت سنة ست وثلاثين ومائتين حج بالناس محمد المنتصر ومعه جدته شجاع ثم كانت سنة سبع وثلاثين ومائتين حج بالناس علي بن عيسى بن جعفر بن المنصور

ثم كانت سنة ثمان وثلاثين ومائتين الى سنة احدى وأربعين ومائتين حج بالناس عبد الله بن محمد بن

الازرق أو ابن الازرق الثانى القائل فيما يكتب على سيف

ان عمت الافق من نقع الوغى سحب * فشم بها بارقا من لمع ايماضى
وان نوت حركات النصر أرض عدا * فليس للفتح الا فعلى الماضى

والله سبحانه أعلم

(ومن انشاء الرئيس ابن عاصم المذكور) ما كتب به يخاطب الكاتب أبا القاسم بن طركاط وهو القضاء حفظ الله تعالى كمالك وأنجح آمالك اذا لم يحطه العدل من كلا جانبيه سبيل معوج ومذهب لا يوافق عليه مناظر ولا ينصره محتج كما انه اذا حاطه العدل جادة للنجاه وسبب فى حصول رحمة الله تعالى المرتجاه وسوق النفاق بضاعة العبد المزجاه وأجل العدل ما تحلى به فى نفسه الحكم وجرى على مقتضى ما شهدت به الآراء المشهورة والحكم حتى يكون عن البغى رادعا وبالقسط صادعا ولأنف الانفة من الاذعان للحق جادعا وأنت أجلك الله تعالى على سعة اطلاعك وشدة ساعد قيامك بالطريقة واضطلاعك ممن لا ينبه على ما ينبغى ولا يرد على طلبته من الانصاف المبتغى فلك فى الطريقة القاضوية التبريز وأنت اذا كان غيرك الشبه الذهب الابريز ولعلمية عدلك التوشية بالنزاهة والتطريز وليتنى كنت لمظهرك الحكمى حاضرا ولاعلام القضاة بآرائك المرتضاة محاضرا والوازع قد تمرس بالخصوم وجعل المتصدى للاذن فى محل المخصوم وأنت حفظك الله تعالى قد حققت من غلظ الحجاب بالمقام المعصوم ومثلت من سعة المنزل فى الفضل والطول كالشهر المصوم والباب قد سد وداعى الشفاعة قد رد والميقات للاذن قد حد ومطلب الاجرة المتعارفة قد بلغ الاشد حتى اذا قضى الواجب وأذن فى دخول الخصمين الحاجب وأولج السابقين الى الحد الذى لا يعدونه وحفز ايماؤه من تعداه أو وقف دونه وقد حصل باللحظ واللفظ التساوى وأنتج المطالب الاربعة هذا اللازم المساوى ومجلسك قد رجع وقاره برضوى ومجتلاك قد فضح نوره البدر الاضوا وقد امتزت عن سوالك من القضاة براسم لا تليق بجماتهم معارفها وتخصصت عنهم بلابس تعج عجا من جذامهم مطارفها بحيث تحد لخلع النعلين حدا لا يتجاوز طواه وتسد فى بعض الاوقات الباب سدا لا ترفع بالمحاجر كواه وتفصل بين الخصمين أحيانا بالنية دون الكلام ولكل امرئ ما نواه وهذه أعانك الله تعالى مكملات من العدل فى الحكم وقف عياض دون تحقيق مناطها وأعيت ابن رشد فلم يهتد لبيانه ولا تحصيله لاستنباطها فما بال النازحة عنك حسا ومعنى النازلة من تقاضى دينك بمنزلة الممطول المعنى المعتقلة من ملكة رقك بحيث أقصاها الاعج الشوق المعذبة من الصبابة فيك بما شاب عمره عن الطوق تتنفس الصعداء عما تشاهده منك من مبتدعات الجور وتردد البكاء على ضياع ما استعار الحسن لصفاتها من النجد والغور وتقضى العجب مما تسمع من عدلك الذى لم تحتل لمحة من نوره ومن حلمك الذى أشقاها فلم تحضر لدكه طوره وتستصوب أنظار النحاة فى منع التهيئة والقطع فى العامل وتستجلب اصطلاح العروضيين فى المديد والبسيط دون الطويل والكامل فهلا راجعت فيها النظر وأنجزت لها الوعد المنتظر وكففت من عيونها دموعا مستهله واجتليت من جبينها

داود بن عيسى بن موسى بن على بن عبد الله بن عباس ثم كانت سنة اثنتين وأربعين ومائتين حج بالناس الى سنة أربع وأربعين ومائتين عبد الصمد بن موسى بن محمد بن ابراهيم الامام ابن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ثم كانت سنة خمس وأربعين ومائتين حج بالناس الى سنة ثمان وأربعين ومائتين محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد ابن ابراهيم الامام ثم كانت سنة تسع وأربعين ومائتين حج بالناس عبد الصمد ابن موسى بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ثم كانت سنة خمسين ومائتين حج بالناس جعفر بن الفضل بن موسى ابن عيسى بن موسى ويلقب بشاشان ثم كانت سنة احدى وخمسين ومائتين وقف بالناس اسمعيل بن يوسف العلوى المقدم ذكره فيما مضى من هذا الكتاب وبطل الحج الا يسير الان اسمعيل هذا اطلع على الحاج وهم بعرفة فى جموعه فقتل من المسلمين خلقا عظيما حتى زعم انه كان يسمع بالليل تلبية القتلى وكان شأنه فى الفساد عظيما ثم كانت سنة اثنتين وخمسين ومائتين حج بالناس كعب البقر محمد بن أحمد بن عيسى

الوضاح

الوضاح ما أخجل بدورا مشرقة وأدلة ولم تحوجها الى أن ينطق قرينها الروحانى بالشعر
على لسانها ولسانك ولم تضطرها فى هذه المعاملة الى ما لا ترتضيه من كفر احسانك والعذر
أظهر والبرهان أبهر وخلافك فى العالم أشهر وأنت ان لم يكن ما عصم الله تعالى منه
لمقتضى الطبيعة أقهر وقد أدرجت لك فى طى هذا ما يصل الى يدك وتلهج به فى يومك
وغدك منتظرة منك اطفاء الجوى بالجواب ومحو ما سبق من الخطا بالخطاب ان شاء الله
تعالى والله تعالى يصل سعادته ويحفظ مجادته ومعاد السلام من الشاكر الذاكر ابن
عاصم وفقه الله تعالى فى أوائل ذى الحجة عام خمسة وأربعين وثمانمائة انتهى وهو مما لم
أذكره فى أزهار الرياض * ولنذكر هنا الظهير الذى جلبته فيها بتقديم المذكور للنظر فى أمور
الفقهاء وغيرهم ونصه هذا ظهير كريم اليه انتهت الظهائر شرفا عليا وبه تقررت المآثر
برهانا جليا وراقت المفاخر قلائدا وحليا وتميزت الاكابر الذين اقترت بهم الاقلام
والمنابر اختصاصا ووليا * فهو وان تكاثرت المرسومات وتعددت وتوالت المنشورات
وتجددت أكرم مرسوم تمم فى الاعتقاد نظرا خطيرا واحكم فى التفويض أمرا كبيرا وابرم
فى الاختصاص عزما أبيا * اعتمد بمضمونه العزيز واختص بمنشوره الذى تلقاه اليمن
بالتعزيز من لم يزل بالتعظيم حقيقا وبالاكبار خليقا وبالاجلال حريا * فهو شهير لم يزل
فى الشهرة سابقا هاد لم يزل بالهدى ناطقا بليغ لم يزل بالبلاغة دريا * عظيم لم يزل فى النفوس
معظما علم لم يزل فى الاعلام مقدما كريم لم يزل فى الكرام سنيا * اشتملت منه محافل الملك
على العقد الثمين وحلت به المشورة فى الكنف المحوط والحرم الامين فكان فى مشكاة
الامور هاديا وفى ميدان المراشد جريا * فالى مقاماته تبلغ مقامات الاخلاص والى مرتبته
تنتهى مراتب الاختصاص فمن حاز خصلا وزين محلا وشرف نديا * واستكمل
هما واستعمل قلما واستخدم شرفيا * ولله ما أعلى قدر هذا الشرف الجامع بين المتلد
والمطرف السابق فى الفضل أمدا قصيا * الحال من الاصطفاء مظهرا القارع من العلاء
منبرا الصاعد من العز كرسيا * حاز الفضل ارثا وتعصيبا واستوفى الكمال حظا ونصيبا
ثناء أرجه كالروض لو لم يكن الروض ذابلا وهديا * نوره كالبدر لو لم يكن البدر آفلا ومجد
علوه كالسها لو لم يكن السها خفيا * فما أشرف الملك الذى اصطفاه وكمل له حق التقريب
ووفاه وأحله قرارة التمكين ومن باختصاصه بالمكان المكين فسبق فى ميدان
التفويض وسما ورأى من الانظار الحميدة ما رأى صادعا بالحق اماما علما موضحا من
الدين نهج المما هاديا من الواجب صراطا سويا * بانيا للمجد صرحا مشيدا مشهرا للعدل
قولا مؤيدا مبرما للخير سببا قويا * فالله تعالى يصل لمقام هذا الملك الذى طلع فى سمائه
بدرا دونه البدور وصدرا تلو ذيه الصدور سعدا لا يمطله الايام فى تقاضيه ونصرا يمضى به
نصل الجهاد فلا يزال ماضيه على الفتح مبنيا * ويوالى له عزا يذود عن حرم الدين ويمنعه
تاييدا يصبح فى أعناق الكفر حديث سيفه قطعيا * أمر به مرسوما عزيزا لا تبلغ المرسومات
الى مداه ولا يبدى بآثار الاختصاص مثل ما أبداه عبد الله أمير المسلمين محمد الغالب
بالله أيد الله تعالى مقامه ونصر أعلامه وشكر انعامه ويسر مرامه لامام الائمة وعلم

ابن جعفر بن المنصور ثم كانت سنة ثلاث وخمسين ومائتين حج بالناس عبد الله بن محمد ٤٨٩ بن سليمان بن عبد الله الرسى ثم كا
سنة أربع وخمسين ومائتين
حج بالناس على بن الحسين
ابن اسمعيل بن العباس
بن على ثم كانت
سنة خمس وخمسين
ومائتين حج بالناس على
ابن الحسين أيضا ثم كانت
سنة ست وخمسين ومائتين
حج بالناس كعب البقر
محمد بن أحمد بن عيسى بن
جعفر بن المنصور ثم كانت
سنة سبع وخمسين ومائتين
حج بالناس الفضل بن
العباس بن الحسن بن
اسمعيل بن العباس بن
محمد بن على ثم كانت سنة
ثمان وخمسين ومائتين حج
بالناس الفضل بن
العباس أيضا ثم كانت
سنة تسع وخمسين ومائتين
حج بالناس ابراهيم بن
محمد بن اسمعيل بن جعفر
ابن سليمان بن على بن بويه
ثم كانت سنة ستين
ومائتين حج بالناس ابن
بويه أيضا ثم كانت سنة
احدى وستين ومائتين
حج بالناس الفضل بن
العباس بن الحسن بن
اسمعيل بن العباس بن
محمد بن على ثم كانت سنة
اثنتين وستين ومائتين حج
بالناس الفضل بن
العباس أيضا ثم كانت سنة
ثلاث وستين ومائتين حج
بالناس الفضل بن العباس أيضا ثم كانت سنة أربع وستين ومائتين حج بالناس الى سنة ثمان وسبعين ومائتين

خمس عشرة سنة متوالية هرون بن محمد بن اسحق بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ثم

الاعلام وعماد ذوي العقول والاحلام وبركة حملة السيوف والاقلام وقدوة رجال الدين وعلماء الاسلام الشيخ الفقيه أبي يحيى أبن كبير العلماء شهير العظماء حجة الاكابر والاعيان مصباح البلاغة والبيان قاضي القضاة وامامهم أوحد الجلة وطود شمامهم الشيخ الفقيه أبي بكر بن عاصم أبقاه الله تعالى ومناطق الشكر له فصيحة اللسان ومواهب الملك به معهودة الاحسان وقلائد الايادي منه متقلدة بجيد كل انسان قد تقرر وا المفاخر لاتنسب الا لبنيها والفضائل لاتعتبر الا عن يشيد أركانها ويبنيها والكمال لا يصفي شربه الا لمن يؤمن سربه ان هذا العلم الكبير الذي لايفي بوصفه التعبير علما [2] ثاره يقتدى وبانظاره يهتدى وباشارته يستشهد وبادارته يسترشد اذلا أمد علوا الا وقد تخطاه ولا مركب فضل الا وقد تمطاه ولا شارة هدى الا وقد حلاها ولا لبة فخر الا وقد حلاها ولا نعمة الا وقد أسداها ولا سومة الا وقد أبداها لماله في دار الملك من الخصوصية العظمى والمكانة التي تسوغ النعمى والرتب التي تسمو العيون الى مرتقاها وتستقبلها النفوس بالتعظيم وتتلقاها حيث سر الملك مكتوم وقرطاسه مختوم وأمره محتوم والاقلام قد روضت الطروس وهي ذاوية وقسمت الارزاق وهي طاوية شقت ألسنتها فنطقت وقطت أرجلها فسبقت ويبست فاثمرت انعاما ونكست فاظهرت قواما وخطت فاعطت وكتبت فوهبت ومشقت فرفقت وأبرمت فانعمت فكم يسرت الجبر وعقرت الهزبر وشنفت المسامع وكيفت المطامع وأقلت فيما ارتفع من المواضع وأحلت لما امتنع من المراضع فهي تنجز النعم وتجز القمم وتبث المذاهب وتحث المواهب وتروض المراد وتنهض المراد وتحرس الاكناف وتغرس الاشراف مصيخة لنداء هذا العماد الاعلى طامحة لمكانه الذي سما واستعلى فيما أملى عليها من البيان الذي يقر له بالتفضيل الملك الضليل ويشهد له بالاحسان لسان حسان ويحكم له بيرى القوس حبيب بن اوس ويهيم بما من الاساليب عنده شاعر كنده ويستمطر سحبه الثره فصيح المعره الى منثور تزيل الفقر فقره وتدر الرزق درره لو أتى الى قس اياد لشكر في الصنيعة أياديه واستمطر سحبه وغواديه أو بلغ الى سحبان لسحره وما فارقه عشيته ولا سحره ولو رآه الصابي لابدى اليه من صبوته ما أبدى أو سمعه ابن عباد لكان له عبدا أو بلغ بديع الزمان لهجر بدائعه واستنزر بضائعه أو أتحف به البستي لاتخذه بستانا أو عرض على عبد الحميد لاحمد من صوبه هتانا فاعظم به من عال لاترقى ثنيته ولا تحاز حزنيته ولا يرجم أفقه ولا يكتم حقه ولا ينام له عن اكتساب الحمد ناظر ولا يقاس به في الفضل مناظر وهل تقاس الاجادل بالبغاث أو الحقائق بالاضغاث . الا وان بيته هو البيت الذي طلع في أفقه كل كوكب وقاد ممن وشح به للعلوم اتقاء وانقاد وترامى به للمدارك اذ كانوا انقاد فاعظم بهم أعلاما وصدورا وأهلة وبدورا خلدت ذكرهم الدواوين المسطره وسرت في محامدهم الانفاس المعطره الى أن نشأ في سمائهم هذا الاوحد الذي شهرة فضله لاتجحد فكان قمرهم الازهر ونيرهم الاظهر وواسطة عقدهم الانفس ونتيجة مجدهم الاقعس فابعد في المناقب آماده ورفع الفخر وأقام عماده وبنى

سنة تسع وسبعين ومائتين حج بالناس الى سنة سبع وثمانين ومائتين تسع حجج متوالية أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن داود بن عيسى بن موسى ثم كانت سنة ثمان وثمانين ومائتين حج بالناس محمد بن هرون بن العباس بن ابراهيم بن عيسى بن جعفر ابن أبي جعفر المنصور ثم كانت سنة تسع وثمانين ومائتين حج بالناس الفضل ابن عبد الملك بن عبد الله ابن العباس بن محمد بن علي ولم يزل يحج بالناس كل سنة الى سنة خمس وثلثمائة ثم كانت سنة ست وثلثمائة حج بالناس أحمد بن العباس بن محمد بن عيسى بن سليمان بن محمد ابن ابراهيم الامام وهو المعروف باخي أم موسى الهاشمية قهرمانة شغب أم المقتدر بالله ثم كانت سنة سبع وثلثمائة حج بالناس أحمد بن العباس أيضا ثم كانت سنة ثمان وثلثمائة حج بالناس الى سنة احدى عشرة وثلثمائة اسحق بن عبد الملك بن عبد الله بن عبيد الله ابن العباس بن محمد ثم كانت سنة اثنتى عشرة وثلثمائة حج بالناس الحسن ابن عبد العزيز بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ثم كانت سنة ثلاث عشرة على

على تلك الأساس المشيده وجرى لادراك تلك الغايات البعيده فسبق وجلى وشنف بذكره المسامع وحلى ورفع المشكل ببيانه وحرر المتيسر ببرهانه الى أن أحله قضاء الجماعة ذروة أفقه الاصعد وبوّأه عزيز ذلك المقعد فشرف الخطه وأخذ على الايدى المشتطه لا يراقب الا به ولا يضمر الا العدل وحبه والمجلس السلطانى أسماه الله تعالى يختصه بنفسه ويفرغ عليه من حلل الاصطفاء ولبسه ويستمطر فوائده ويجرب بانظاره حقوق الملك وعوائده فكان بين يديه حكما مقسطا ومقسما لحظوظ الانعام مقسطا الى أن خصه بالكتابة المولوية ورأى له فى ذلك حق الاولوية اذ كان والده المقدس نعم الله تعالى ثراه ومنحه السعادة فى أخراه مشرف ذلك الديوان ومعلى ذلك الايوان يحبر رقاع الملك فتروق وتلوح كا[لشمس] عند الشروق فحل ابنه هذا الكبير شرفا الشهير سلفا مرتبته التى سمت واقترنت به بالسعد وابتسمت فصحبت به للشرف مطارف وأحرزت به من الفخر التالد والطارف واليوم فى وجهها غره وفى عينها قره ولله هو فى ملاحظة الحقائق ورعيها وسمع الحجج ووعيها فلقد فضل بذلك أهل الاختصاص وسبقهم فى تبيين ما يشكل منها وما يعتاص اذا المشكلة معه جلية الاغراض والآراء لديه آمنة من مأخذ الاعتراض فكم رتبة عمرها بذويها فاكسبها تشريفا وتنويها وعلى ذلك فاعلام قضاة الوطن ومن عبر منهم وقطن مع أقدارهم السامية ومعاليهم التى هى للزهر مسامية اغاروقتهم وساطته التى أحسنت وزينت بهم المجالس وحسنت فبه أمضوا أحكامهم وأعلوا فى الاباطيل احتكامهم وكتبوا الرسوم وكبتوا الخصوم وحلوا دست القضاء وسلوا سيف المضاء وفى زمانه تخرجوا وفى بستانه تأرجوا ومن خلقه اكتسبوا والى طرقه انتسبوا وعلى موارده حاموا وحول فوائده قاموا وبتعريفه عرفوا وبتشريفه شرفوا وبصفاته كلفوا وبعرفانه وقفوا فامتزاج انسكاب سحب افادته من الجانب وقاموا بذلك الفرض بسبب ذلك الندب وهل العلماء وان عمت فوائدهم وانتظمت بجياد الاذهان فرائدهم الا من أنواره مستمدون والى الاستفادة من أنظاره ممتدون وببركاته معتدون وباسبابه مشتدون فبه اجتنيت من أفنان المنابر ثمراتهم وتأرجت فى روضات المعارف زهراتهم وبه عمر والجا[...] [...]هم ما ائتلق اذ كل من اصطناعه محسوب والى بركته منسوب فهو بدرهم الاهدى [...] وشيخهم الاجدى وعقدهم المقتنى وروضهم المجتنى وبدر[...]هم وصدر محافلهم و[...] ما أعلى المقام المولوى من مكانه وقضى به من استمكا[نه] واعتمد من ابرامه وأبرم من اعتمد[...] واستخلص ومهد من اكرامه وكرم من مهاده واختص من علاه وأعلى من اختصاصه واصطفى من مجده وحلاه وحلا من استخلاصه ووفى من تكرمه وكرم من وفائه وأنطق من خطه [...] من اصطفائه وقدم من [...]ه وحكم من يراعته وشقق من كتابته وعجل من اختياره فكذكره وسطره وأمعن معناه وا[...] من انتقائه تعرف ايثار أيده الله تعالى باستئناف خصوصيته وتجديدها واثبات مقاماته وتحديدها لتعرف تلك الحدود فلا تتخطى وتكبر تلك المراتب فلا تستعطى فاصدر له شكر الله تعالى اصداره

وثلثمائة حج بالناس أبو طالب عبد السميع بن أيوب بن عبد العزيز بن عبد الله بن العباس بن محمد خليفة لعمه الحسن ثم كانت سنة اربع عشر وثلثمائة حج بالناس عبد الله بن عبد الله ابن سليمان بن محمد الاكبر ثم كانت سنة خمس عشرة وثلثمائة حج بالناس عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد المعروف بابى أحمد الازرق خليفة الحسن بن عبد العزيز بن العباس ثم كانت سنة ست عشرة وثلثمائة حج بالناس أبو أحمد الازرق أيضا ثم كانت سنة سبع عشرة وثلثمائة دخل سليمان بن الحسن صاحب البحرين مكة وقد حضر عمر بن الحسن بن عبد العزيز المقدم نسبه اليه لاقامة الحج خليفة لابيه فكان من أمر الناس ما كان فيما قدمنا ذكره فيما سلف من هذا الكتاب ولم يتم حج فى موسم سنة سبع عشرة وثلثمائة هذه من أجل حادثة القرامطة لعنهم الله الا لقوم يسير غدروا فتم حجهم دون امام وكانوا رجالة ثم كانت سنة ثمان عشرة وثلثمائة حج بالناس عمر بن الحسن بن عبد العزيز الهاشمى خليفة لابيه الحسن بن عبد العزيز [ثم] كانت سنة تسع عشرة [وثلثمائة] حج بالناس فيها [...] بن عبد العزيز خليفة الحسن بن عبد العزيز ثم كانت سنة عشرين وثلثمائة حج بالناس فيها عمر بن الحسن بن عبد العزيز خليفة ابيه

وعمر بالنصر داره هذا المنشور الذى تأرج بمحامده نشره وتضمن من مناقبه البديع فراق
طيه ونشره وغدا وفرائد المآثر لديه موجدة مكونة وأصبح للمفاخر الكامنة التى به مدونه
وخصصه فيه بالنظر المطلق الشروط الملازم للتفويض ملازمة الشرط للمشروط المستكمل
الفروع والاصول المستوفى الاجناس والفصول فى الامور التى تختص باعلام القضاة
الاكابر وكتاب القضاة ذوى الاقلام والمحابر وشيوخ العلم وخطباء المنابر وسائر أرباب
الاقلام القاطن منهم والعابر بالحضرة العليه وجميع البلاد النصريه تولى الله تعالى جميع
ذلك بعهوده وستره ووصل لديه ما تعوده من شفع اللطف ووتره يحوط مراتبهم التى قطفت من
روضاتها ثمرات الحكم وجنيت ويراعى أمورهم التى أقيمت على العوائد وبنيت
وحقوقهم التى حفظت لهم فى المجالس السلطانية ورعيت ويحل كل واحد منهم فى منزلته التى
تليق ومرتبته التى هو بها خليق على ما يقتضى ما يعلم من أدواتهم ويخبر من تباين ذواتهم
ويرشح كل واحد الى ما استحقه ويؤتى كل ذى حق حقه اعتمادا على أغراضه التى عدلت
وصدحت على أفنانها من الافواه طيور الشكر وهدلت واستنادا فى ذلك الى آرائه
وتفويضاته فى هذا الشان بين خلصاء الملك وظهرائه وذلك على مقتضى ما كان عليه أعلام
الرياسة الذين سبقوا وانتهضوا بمهمهم واستبقوا كالشيخ الرئيس الصالح أبى الحسن
ابن الجياب والشيخ ذى الوزارتين أبى عبد الله بن الخطيب رحمهما الله تعالى فليقم أبقاه الله
تعالى بهذه الاعمال التى سمت واعتزت ومالت بها أعطاف العدل واهتزت وسار بها الخبر
حثيث السرى وصار بها الحق مشدود العرى وعلى جميع القضاة الامضياء والعلماء
الارضياء والخطباء الاولياء والمقرئين الازكياء وحملة الاقلام الاحظياء أن يعتمدوا
هذا الولى اعتمادا فى كل ما يرجع الى عوائدهم ويختص فى دار الملك من مراتبهم وفوائدهم
وما يتعلق بولاياتهم وأمنياتهم ويليق بمقاصدهم ونياتهم فهو الذى يسوغهم المشارب
ويبلغهم المآرب ويستقبل العلى بالعلى والعاطل بالحلى والمشكل بالجلى والمفرق
بالتاج والمقدمة بالانتاج وعلى ذلك فهذا المنشور الكريم قد أقرهم على ولاياتهم وأبقاهم
ولقاهم من حفظ المراتب ما رقاهم فليجروا على ما هم بسبيله وليهتدوا بمرشد هذا الاعتناء
ودليله وكتب فى صفر عام سبعة وخمـ[illegible] * قلت وانما أتيت به لوجوه
أحدها ما يتعلق بلسان الدين اذ وقعت الاشارة الى مرتبته فى آخره والثانى ما اشتمل عليه
من الانشاء الغريب والثالث [illegible] رفعة حال الرئيس أبى يحيى بن عاصم وتمكنه من الرياسة
لانا بنينا هذا الكتاب على [illegible] يناسبه من أنباء أهل المغرب لكون أهل هذه البلاد
المشرقية ليس لهم [illegible] والرابع ان بعض أكابر شيوخنا ممن ألف فى ملحقات المالكية
لما عرف بابى يحيى [illegible] ذكره فى نحو أسطر عشرة وقال هذا الذى حضرنى من التعريف به
والخامس بسط [illegible] عاصم المذكور كما قاله الوادى آشى وغيره كان يدعى فى الاندلس بابن
المنصب الثانى ويعنون بذلك البلاغة والبراعة والرياسة والسياسة *(رجع) الى أخبار
لسان الدين فنقول وأما كتب التآليف باسم لسان الدين رحمه الله تعالى فقد قال فى الاحاطة
لما جرى ذكر ذلك ما صورته وأما ما رفع الى من الموضوعات العلميه والوسائل الادبيه

لم يزل يحج بالناس الى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة وهو على قضاء مكة فى هذا الوقت وهو جمادى الآخرة
سنة ست وثلاثين وثلثمائة
واليه قضاء مصر وغيرها
(قال أبو الحسن على بن
الحسين بن على المسعودى
رحمه الله) قد ذكرنا فيما
سلف من هذا الكتاب
أنواعا من الاخبار وفنونا
من العلم من أخبار الانبياء
عليهم الصلاة والسلام والملوك
وسيرها والامم وأخبارها
وأخبار الارض والبحار وما
بها من العجائب والآثار وما
اتصل بذلك ليستدل به
على ما سلف من كتبنا
ومدخلا الى ما تقدم من
تصنيفنا فى أنواع العلوم
عما قدمنا ذكره ولم نترك
نوعا من العلوم ولا فنا من
الاخبار ولا طريقا من
الآثار الا أوردناه فى هذا
الكتاب مفصلا أو ذكرناه
مجملا أو أشرنا اليه بضرب
من الاشارات أو لوحنا اليه
بفحوى من العبارات من
أخبار العجم والعرب
والكوائن والاحداث فى
سائر الامم فمن حرف شيئا
من معنى هذا الكتاب أو
أزال ركنا من مبناه أو
طمس واضحة من معانيه
أو لبس شاهرة من تراجمه
أو غيره أو بدله أو انتحله أو
اختصره أو نسبه الى غيرنا
أو أضافه الى سوانا فسقط
منه ذكرنا ان غضب
[illegible] منه وفوادح بلاياه ما يعجز عنه صبره ويحار له فكره وجعله الله مثلة للعالمين وعبرة للمعتبرين وآية

والرسائل